إحسان إلهي ظهير

الإسماعيلية

تاريخ وعقائد

الإسماعيلية

تاريخ وعقائد

تأليف الأستاذ

إحسان إلهي ظهير رحمه الله

١٩٤١ء — ١٩٨٧ء

إدارة ترجمان السنة

لاهور . باكستان

الناشر

ادارة ترجمان السُّنة

لاهور . باكستان

الوكيل الوحيد فى المملكه

مكتبه بيت السلام

رياض

طبع فى

احد برنترز لاهور

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم الى يوم الدين.

أقدم اليوم الى القراء والباحثين كتاباً آخر في سلسلة الكتب عن الملل والنحل، وانه لعاشر كتاب حتى اليوم في اللغة العربية، ولم أجهد نفسي، ولم أواجه الصعوبات والمتاعب في كتابة الكتب التسعة الاخرى مثلما أجهدت نفسي، وعانيت المشاق في هذا الكتاب.

أولاً: لأنه مع كثرة من كتب عن الاسماعيلية وحكمهم في المغرب ومصر والبلاد الشرقية الاخرى، وعن حكامهم وخلفائهم قلّما تطرق أحدهم إلى عقائدهم ومعتقداتهم الخاصة بهم، اللهم إلاّ النزر اليسير استطراداً، لا استقلالا، من المصريين، المتقدمين منهم والمتأخرين من المقريزي، والنويري، والقلقشندي، وأبي المحاسن، وابن إياس الى حسن ابراهيم حسن، وجمال الدين سرور، وطه احمد شرف، وعبد المنعم ماجد ومحمد عبدالله عنان وغيرهم الكثيرون الكثيرون - الذين لهم إرتباط خاص بهؤلاء القوم لتسلّطهم على بلادهم قرابة قرنين من الزمان - وغير المصريين من المسلمين والمستشرقين الذين لم يهدفوا بالكتابة عنهم إلاّ سرد تاريخهم وبيان الوقائع والحوادث التي حدثت في أيامهم، أو الجوانب الاخرى عن التمدن

والثقافة والحضارة والانشطة العلمية والأحوال الاقتصادية والسياسية والحروب والفتوحات، أللهم إلا ما ذكروا عن الاختلاف في نسب أئمتهم، وهذا أيضاً جزء من التاريخ أكثر من أن يكون له علاقة بالعقائد، وإن كان له بعض العلاقة بها.

فمحور جلّ الكتاب عن الاسماعيلية هو التاريخ، لا العقائد(*).

(*) وقل من يسلم من المؤرخين من الاخطاء، الذين يكتبون تاريخ طائفة مذهبية ولا يلمون بعقائدها مثل الطائفة الاسماعيلية. فان اكثر المؤرخين من المصريين وغير المصريين، ومن المسلمين والمستشرقين، وحتى الاسماعيلية المحدثين، وقعوا في الاخطاء الفاحشة عند كتابة تاريخ الاسماعيلية.

فمنها أن كل واحد منهم ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه الامام الأول، وجعفر بن محمد الامام السادس للاسماعيلية، ثم تحيّروا وتخبطوا في بيان السابع - أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل؟ فقال فريق: ان اسماعيل لم يكن اماما مع أن الاسماعيلية لا يسمون بالاسماعيلية الا لاعتقادهم بامامة اسماعيل؟

وقال الآخرون: ان الحسن لم يكن اماما مع الرواية المشهورة الموجودة في جميع كتب الاسماعيلية «والحسن والحسين امامان قاما أو قعدا» ولم يعلموا لعدم معرفتهم بعقائد القوم ومعتقداتهم أن عليا رضي الله عنه ليس بامام عندهم، بل هو اساس للناطق محمد صلى الله عليه وسلم، الامامة اذن تبدأ من الحسن، لا من علي رضي الله عنهم، وعلى ذلك لا يكون جعفر بن محمد إلاّ الخامس، واسماعيل بن جعفر السادس، ومحمد بن اسماعيل هو السابع، وبه يكمل دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويسمونه الناطق السابع أيضاً، والنطقاء السبعة عند الاسماعيلية هم أولوا العزم من الرسل، يبدأون من آدم وينتهون بمحمد بن اسماعيل بن جعفر، وللمسألة تفصيل يأتي في محله من الكتاب ان شاء الله.

ومن الأخطاء الفاحشة في التاريخ الاسماعيلي مما وقع فيه المؤرخون هو ذكر الكفلاء الأربعة من الحافظ والظافر والفائز والعاضد في عداد الائمة الاسماعيلية، مع أنهم لا يعدّون منهم بالاتفاق، بل الاسماعيليون المستعليون يعدّونهم من الغاصبين للامامة، غادرين ناكثين.

وأما الاسماعيلية النزارية فهم يضيفون اليهم الأمر والمستعلي أيضا، وعلى كل فان الاربعة أولئك ليسوا من الائمة الاسماعيلية بالاتفاق مع ذكر جل المؤرخين لهم في عدادهم.

ثانياً: أن القليلين من العلماء والباحثين المتقدمين الذين كتبوا خصيصاً في العقائد الاسماعيلية، غير الغزالي والديلمي والعلوي لم يلمّوا بمعتقدات القوم من جميع جوانبها اضافة الى أن عددا من كتابات هؤلاء الاعلام قد فقد.

وأما الغزالي ومحمد بن الحسن الديلمي، ويحيى بن حمزة العلوي وغيرهم من علماء السنة والشيعة والزيدية فانهم أيضاً مع عدم احاطتهم جميع الجوانب العقدية لم يبنوا معلوماتهم الا على السماع(١) كثيراً لعدم تمكنهم من الحصول على كتب القوم، ومن تمكن منهم كالديلمي لم يحصل الا على العدد القليل الضئيل، العدد الذي لا يسمن ولا يغني من جوع للذين يُريدون البحث والتنقيب في العقائد الاسماعيلية.

وأما الجدد منهم، فانهم ينقسمون الى قسمين:

الاسماعيلية، أو اسماعيلية الأهْواء والأغراض مثل الهمدانيين حسين الهمداني، وعباس الهمداني، وحسن الأعظمي، ومصطفى غالب،(٢)، وعارف تامر والمستشرق الروسي أيوانوف وغيرهم فانه لاعبرة بما كتبوه لأنهم

---

(١) ولذلك تجرأ على بن الوليد الداعي الاسماعيلي المتوفي سنة ٦١٢هـ أن يقول ردّاً على الغزالي بأنه كيف يقول عنهم ما لا يعلم. (أنظر «دامغ الباطل وحتف المناضل» الكتاب الذي ردّ به علي بن الوليد على الغزالي).

(٢) ما رأيت مثل هذا الرجل جريئا على السرقة والكذب، فانه من الاشخاص الذين يمكن ان يضرب بهم الامثال بسرقة افكار الآخرين وآرائهم، فانه ينقل العبارات الكاملة بدون أن يعزوها الى من ينقلها عنه مضيفا اياها الى نفسه، وحتى المتعمق في كتبه يعلم تماما أن فقرة واحدة في كتبه ليست له، بل هي مسروقة أو مأخوذة عن الآخرين بدون نسبتها الى اصحابها. وهكذا نشره كتب الاسماعيلية بدعوى التحقيق فان أكثر ما نشره كان منشورا من قبل، فلم يكلف نفسه إلاّ أن يشوّه ذلك الكتاب وينشره باسمه.

وأما بعض الكتب الاخرى التي لم يسبق الى نشرها فنشرها مليئة بالأخطاء، محشوة بالأغلاط، ولا توجد صفحة من صفحاتها إلاّ وهي مشوهة ممسوخة من كثرة ما وقع فيها من الفحش من الأخطاء.

لم يكتبوا ما كتبوه في المعتقدات الاسماعيلية وعقائدها الا عن تحيّز وتعصب للدفاع عن الاسماعيلية وأفكارها وآرائها، ولم يختاروا إلّا ما يمجدهم ويقرّبهم الى الطوائف الشيعية الاخرى ويوفق بين آرائهم وأفكارهم بالآراء والأفكار الاسلامية، معرضين عن الآراء التي تشينهم وتعيبهم وتشوّه سمعتهم في أعين المسلمين، اللهم إلّا شخصاً واحدا وهو الدكتور زاهد علي الهندي(٣) فانه وحيد من بين القوم، الذي جعل نصب عينيه أو هدفه الحقيقة وقول الحق ولو على نفسه والوالدين والأقربين، ولو أنه أوذي وأصيب بسوء في هذا السبيل.

والقسم الثاني: الذين بحثوا العقائد الاسماعيلية، وتنقبوا في كتبهم، وسبروا أغوار فكرهم ومذهبهم ولكنهم مع وفرة علمهم وفطنتهم وذكائهم، واعتنائهم بالكتب الاسماعيلية، لم يصلوا إلى كنه الحقائق المستورة وأصل الأفكار المخفية ـ وعلى رأسهم الدكتور محمد كامل حسين وغيره ممن حقق الكتب الاسماعيلية العديدة وقدمها بمقدمات علمية ضافية ـ

= ومن جرأته على الكذب أنه بدأ يلقب نفسه في الأعوام الأخيرة بالدكتور مصرحا بانه حصل على الدكتوراة في الفلسفة والتاريخ، مع أنه لم يتخرج من جامعة إطلاقاً دون أن يحصل على شهادة عالية أو عالية، وتخبطاته العشوائية في كتاباته في الكتب التي ينسبها اليه تدل على ذلك.

وأكثر من ذلك أن قصة حصوله على الدكتوراة في الفلسفة والتاريخ، وعارف تامر أيضا قصة مضحكة مبكية، شاهدة ناطقة بجرأة هؤلاء على الكذب الواضح البيّن عواره وبطلان ما يكتبونه ويظهرونه للناس.

فان جامعة في بلدة من بلاد المشرق وهي كراتشي بباكستان تشتمل على غرفة ضيقة صغيرة واحدة لا تسع الا طاولة وكراسي أربعة، ولا تشتمل الا على شخص واحد هو رئيسها ومرءوسها، ومعلمها ومتعلمها، ومؤسسها وصاحبها وهو من الاسماعيلية أيضا، هي التي قدم لها للالتحاق في قسم الدكتوراة بمبلغ من الدولارات، ثم منها أخذت الشهادات للذين لا يحملون ولا الشهادة الثانوية، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

(٣) وسوف نذكره بشيء من التفصيل في هذا الخصوص فيما يأتي.

إمّا لعدم وجود الكتب الكافية للقوم، التي تنوّر الرأي، وتبصّر الحقيقة، وتكشف اللثام عن الآراء الحقيقية المستورة في مسألة من المسائل.

وإمّا لعدم التفريق بين الكتب السرّية التي يعبر عنها عند الاسماعيلية بكتب الباطن، وبين الكتب الظاهرية أو كتب الظاهر.

ولذلك نجد هذا القسم من الباحثين يخلطون الحق بالباطل، ولا يفرّقون بين الحابل والنابل وسيجد القارىء أمثلة كثيرة لهذا الخلط منشورة في الأبواب المتفرقة من هذا الكتاب، كما سنذكر بعض الأشياء التي لم نذكرها هناك، في هذه المقدمة لأهميتها وفائدتها.

وعلى هذا لا يستفاد كثيراً من هذا القسم أيضاً ولا يستنار بهم الطريق في الكتابة عن معتقدات القوم.

ثالثاً: صعوبة الحصول على الكتب الاسماعيلية المطبوع منها والمخطوط. أما المطبوع فلعدم انتشارها بين الناس ولقلة العدد المطبوع منها، زيادة على ذلك عدم مبالاة المكتبات العامة في بلاد المسلمين في مساعدة الباحثين والكتاب، وجهل مدرائها والمشرفين عليها في هذا الزمان حيث لا يعرفون عن العلم شيئا إلاّ من رحم ربّك، وانعدام روح المساعدة والمساهمة والتشجيع في تبلور الفكر وتنوّر الأذهان وصقل الأفكار، ولنظرتهم الى هذه الوظيفة التي لم تكن في سالف الزمان إلاّ وظيفة علمية روحية ـ ولا زالت في الغرب حتى الآن، ويا للأسف ـ نظرة مادية صرفة لقضاء بعض الوقت بين الكتب بدل المكافآت الشهرية التي يأخذونها، يحملون أوزارها كما يحمل الحمار أسفارا، وانني ذقت الأمرّين على أعتاب هذه المكتبات ودهاليزها، وجريا وراء مدرائها وأمنائها، فصارت المطبوعات ـ قليلة العدد وقديمة الطبعة ـ في حكم المخطوطات، لا يستفيد منها إلاّ الأرضة أو الفيران.

وأما المخطوط فمخطوط، لا يملكها إلاّ الآحاد والوصول إليها كالوصول إلى سعاد التي قال فيها الشاعر:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها
قلل الجبال ودونهن حتوف

وخاصة حينما تكون المخطوطات من كتب الاسماعيلية الذين أخذ كتّابهم العهود والمواثيق من أخص الناس إليهم، ومن الذين لأجلهم كتبت هذه الكتب أن لا يعطوها لأحد، ولا يفضوا كلامها إلى الآخرين ولا يفسحوا مجالاً لأحد أن يلقي النظرة على ما فيه كما هو مسطور في أول كل كتاب من كتب الباطن أو الحقيقة، ونحن ننقل ههنا نموذجاً من كتابين، أولهما:

(الأنوار اللطيفة) للداعي الاسماعيلي طاهر بن إبراهيم الحارثي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ فيقول في مقدمة كتابه:

«وأنا آخذ عهد الله المؤكد، وميثاقه المغلّظ المشدد، الذي أخذه على أسمائه النورانيين وصفاته الروحانيين، ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وأوصيائه الطاهرين وأئمتهم الميامين، وحدود دينه أجمعين، من أهل السماوات وأهل الأرضين، على كل من وقع كتابي في يديه، وحصل لديه من خاص وعام، وعالي الرتبة ودان، أن لا قرأه ولا وقف عليه إلا بأمر من ذوي الأمر، ولا أباحه وبذله واطلع عليه إلا من يكون أخانا حقاً يرى برأينا، ويقول في فصل أئمة الحق بقولنا، ويعتقد فيهم كاعتقادنا، العارف بفضل حدودنا، الذين أخرجونا من حنادس الظلمة، ومهاوى الغمة، ونظروا إلينا بعين الرحمة، وأسدلوا علينا أثواب النعمة»(٤).

وأما صاحب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار الساميّة) فيقول بعد البسملة والحمدلة:

---

(٤) «الأنوار اللطيفة» للحارثي اليماني ص ٧٨ المدرج في كتاب «الحقائق الخفية» للأعظمي ط الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

«أما بعد أيها الأخ أعلى الله في رتب الصالحين درجتك ونوّر بنور الصافين المسبّحين صورتك فقد وقفت على مسائلك التي دلّت على تألّق جذوة ذكائك وعلوك من منازل العلم وارتقائك وسألت الإجابة عنها وهي أيها الأخ تقتضي جواباً من زبد الحقائق المصونة وسرائر الحكم المكنونة ولب الفوائد المخزونة وأنا أتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك إلا أنه مما لا يودع بطون الأوراق ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية بالأحداق صيانة له عن إبدائه وبذله وخوفاً عليه أن يقع إلى غير أهله، بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية وقلمه اللسان المترجمة عن جوهرها الغالية لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة في إنارة صورتك كتبت لك ذلك في هذه الأوراق وأنا آخذ عهد الله تعالى وعظيم الميثاق الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المنتجبين وأئمة دينه الهادين وحدودهم الميامين وإلّا فأنت بريء منهم أجمعين لا وقف على ذلك إلّا أنت أو أولادك لا غيرهم ثم يردّ إلى هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها وإن أردت أن تغيّب ذلك تركتها عندك مدّة ما يحفظ ما فيها ثم أعدتها إليّ، والله على ما نقول وكيل - ثم كتب في آخر الرسالة:

«وهذه الأجوبة أمانة عندك مؤكدة مغلّظة مشدّدة يسألك الله عنها أنك لا نسخت منها حرفاً ولا اطلعت عليها أحداً ولتردّها إلى من يوصلها إليك في هذه النسخة بعد أن تقف على ذلك وتتحققه»[٥].

ويروون فيه روايات عن جعفر بن محمد أنه قال:

«من أذاع لنا سراً أذاقه الله برد الحديد» - وأيضاً «من أذاع لنا سراً وأوصلنا بجبال من ذهب لم يزدد منا إلا بعداً - وقال: «الذائع لسرنا كالجاحد له»[٦].

---

(٥) «مسائل مجموعة» للداعي الاسماعيلي الكبير ص ٥ و٥٨ نشر شتروطمان ط المجمع العلمي غونتينغن.

(٦) أنظر «مطالع الشموس في معرفة النفوس» للداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبي فراس ص ٣٤ من «أربع رسائل اسماعيلية» ط عارف تامر، بيروت، لبنان ١٩٧٨م.

وقال داعي الدعاة الاسماعيلي المؤيد الشيرازي المتوفى ٤٧٠هـ في هذا المعنى:

وإنما باب المعاني مقفل ... وأكثر الأنام عنها مغفل
مفتاحه أضحى بأيدى خزنه ... بهم إلهي علمه قد خزنه(٧)

وقال أيضاً:

للعلم قوم به خصّوا أقامهم ... ربّ الورى للورى في أرضه علما(٨)

فمن كان هذا دينه كيف يمكن الوصول إلى كتبهم؟

ولقد اشتكى من صعوبة الحصول عليها والوصول إليها كل من أراد دراسة هذه الديانة، سواء كان من الإسماعيلية أو من غيرهم.

فها هو ذا الأستاذ آصف علي فيضى محقق كتاب (دعائم الإسلام) للنعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الاسماعيلي يكتب في مقدمة هذا الكتاب، الصعوبات التي واجهها في سبيل تحقيقه ونشره إياه فيقول ذاكراً إحدى النسخ للدعائم:

«وهي النسخة التي يمتلكها الملاّجي السردار سيدنا طاهر سيف الدين الداعي المطلق للفرقة البهرة الداودية فقد سمح لي أن أطلع على هذه النسخة النفيسة في بدرى محل - بشارع هورنباي ببومباي - بحضور ومعونة نجله الثاني السيد يوسف نجم الدين في ١٦ يولية سنة ١٩٤٨م، وبالرغم من أني لم أستطع تحديد حجم النسخة ولا عدد صفحاتها، فإني أستطيع أن أقول: إنها في الحجم الذي به تطبع الكتب على الحجر بإيران، مثل كتاب شرائع الإسلام ومجمع البحرين وغيرهما، وعلى النسخة شروح كثيرة. وهذه

(٧) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الأولى ص ١٩٦ ط محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري ١٩٤٩م.
(٨) أيضاً القصيدة السابعة والخمسون ص ٣٠٧.

النسخة لا تخرج بأي حال من الأحوال من مكتبة الداعي، وهذا سبب من الأسباب التي جعلتني لم أستطع الاعتماد عليها كثيراً. وقد تفضل قداسة الداعي (الملاجي طاهر سيف الدين) فندب شيخاً من أتباعه ليقابل ما أعددته للنشر بهذه النسخة. ولكن العمل لم يكن منتظماً، ولم يكن دقيقاً الدقة التي يحتاج إليها مثل هذا العمل العلمي. ويجب أن نصرح بهذه الحقيقة المؤلمة، وهي أن رجال الطوائف الدينية ليس عندهم فكرة ما عن قواعد تحقيق النصوص، ويحاولون وضع العراقيل في طريق كل بحث حر أو دراسة علميّة، ويشهرون سلاح التقية في وجه التسهيلات العلميّة التي اعتاد أن يقدمها علماء أوربا، ويكفي أن أقول إني بدأت العمل في إعداد الجزء الأول من دعائم الإسلام للنشر في أول يناير سنة ١٩٤٤م ومع ذلك لم أتمكن إلّا من إلقاء نظرة خاطفة على هذه النسخة النفيسة بعد ثمان سنوات ونصف، بالرغم من أني أعيش في نفس البلد الذي توجد به النسخة، وإن من دواعي غبطتي أن أكون صديقاً لصاحب هذه النسخة، وليس ذلك بمستغرب، ومهما يكن من شيء، فإني أشكر قداسة الداعي إذ سمح لي أن أحظى برؤية هذه النسخة مدة ساعة من الزمان برقابة ابنه وفي مقرّه الرسمي ببدرى محل بيومباى، وأرجو بمرور الزمن، أن تتغير هذه النظرة المتطرفة غير المعقولة إلى نظرة العقل الناقد الحديث، وأن تتخذ التقاليد المعروفة بين علماء أوربا التي نلمسها في كتابات المستشرقين[٩].

وقبل ذلك ترجّى بقوله:

«ونرجو مخلصين أن تزول التقية والستر، فقد أصبحتا لا قيمة لهما الآن. وصار الكتمان أظهر من الشمس لكل من درس فلسفة اليونان. ونرجو أن يستبدل بذلك كله الاتجاه العلمي الخالص ذلك الاتجاه الذي يشجع حرية البحث والدرس في جميع نواحي الدراسات الاسماعيلية»[١٠].

---

(٩) مقدمة «دعائم الاسلام» لآصف علي فيضي ج ١ ص ٢٠، ٢١ ط دار المعارف مصر.
(١٠) أيضاً ص ١٥.

وكتب الدكتور محمد كامل حسين الذي حقق عديداً من الكتب الاسماعيلية، وأخرجها من العدم إلى حيّز الوجود، وعرف بالعطف والحنان على الاسماعيلية والدفاع عن معتقداتهم، والمعتذر عن عقائدهم، كتب عندما كتب عن صعوبة الحصول على الكتب في كتابه الذي أفرده واستقلّه لمدح الاسماعيلية وتمجيدهم:

«فحرصنا على أن نرجع إلى كتب دعوة الفاطميين وراعنا أن القاهرة التي أنشأها الفاطميون وكانت قاعدة ملكهم الواسع لا تحتفظ بكتاب واحد من كتب الدعوة، فسعينا إلى البحث في غير مصر، وكان السعي شاقاً عسيراً كلفنا من الجهد والمال الشيء الكثير، وما حيلتنا إذا كانت أكثر كتب الدعوة في حوزة طاهر سيف الدين الذي لقب نفسه بسلطان البهرة وزعم أنه الداعي المطلق لإمام مستور من نسل الأئمة الفاطميين، وهو رجل شحيح بهذه الكتب على الباحثين بدعوى أنها كتب الدعوة السريّة ولكن حجته هذه أو هي من بيت العنكبوت فإن الأئمة الفاطميين - الذين ورث دعوتهم - لم يستروا علومهم، بل عملوا على نشرها وإذاعتها: شجعوا العلم والعلماء، وأنشأوا دار العلم وخزائن الكتب ليطلع عليها من يشاء متى يشاء[11]، وكانوا يطلبون من العلماء تأليف الكتب على النحو الذي سنراه في هذا

---

(١١) وهذا أيضا من تعاطف الدكتور مع الاسماعيلية، الذي جعله يخطىء ابن تيمية، وعبد القادر البغدادي، والغزالي وغيرهم، ويرميهم بالانحراف عن الحقيقة، والتمسك بالعصبية المذهبية تجاه الاسماعيلية (أنظر مقدمة «ديوان المؤيد الشيرازي» لمحمد كامل حسين ص ١) وإلا فأئمتهم أنفسهم أمروا بكتمان تعاليمهم وأحكامهم عن المخالفين، ولا الخالفين وحدهم، بل كانوا يكتمون بعض التعاليم والكتب عن الاسماعيلية وخاصتهم بل وخاصة خاصتهم حتى أن قاضي قضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد لم يكن يعلم عن كتابات باب أبواب المعز جعفر بن منصور اليمن إلى ما أطلعه على بعض منها الإمام الاسماعيلي المعز بنفسه، واندهش النعمان من قراءته، وخرّ على رجليه مقبّلاً إياها (أنظر «عيون الأخبار» للداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين، السبع السادس ص ٣٩ نسخة خطيّة.

وقد ذكرنا نص هذه الحادثة في الباب التاسع من هذا الكتاب تحت ترجمة جعفر بن منصور اليمن، وهناك في (سيرة الأستاذ جوذر) نائب الإمام الاسماعيلي القائم على

الكتاب، فظاهر سيف الدين الآن يعمل عكس ما عمله الأئمة، ويأتي بآراء لم نعهدها في عصر الفاطميين، ولعله يريد أن يظل أتباعه في جهل مطبق حتى يستطيع أن يخدعهم بهذه الآراء الرجعيّة التي لا سند لها من تقاليد الأئمة ونظمهم، ومن يدري لعله يريد أن يستغل ما عليه أتباعه من جهل بحقيقة الدعوة الفاطمية كي يستولي على أموالهم باسم الدين، شأنه في ذلك شأن كل دجال مشعوذ(١٢)».

المغرب والمتولي زمام الأمور للمنصور والمعز، فيه بأن المنصور الإمام الاسماعيلي الثالث في دور الظهور أعطى للجوذر كتباً كثيرة من كتبه وكتب الأئمة من آبائه تحتوي على علوم شتى من ظاهر وباطن، وقد أورد منها صفّي الجوذر وكاتب العزيز بالله أشياء في كتابه بعد ما صرّح ونص: «وقد أثبت في كتابنا هذا من ذلك ما يجب ذكره، وأباح الله ووليه إظهاره، وتركنا ما سوى ذلك كراهة اكتساب الآثام والتجاوز إلى المحظور (سيرة الأستاذ جوذر لأبي علي منصور العزيزي الجوذري ص ٥٣، ٥٤ ط دار الفكر العربي بالقاهرة).

ومن الطرائف أن هذا الكتاب قدمه وحققه الدكتور محمد كامل حسين مع اشتراك الدكتور محمد عبد الهادي، وأطرف من ذلك أنه قال معلقاً على هذا النص: «يصرح المؤلف هنا بتصريح هام يتصل بمبدأ من مبادىء الدعوة: ذلك أنه ذكر أن بعض ما جاء في الكتب المحفوظة عن الأئمة لم يكتب للعامة بل كان محظوراً عليهم وذكر أن في نشره على العامة إثماً - وهذا مبدأ من مبادىء الاسماعيلية في ستر العلم إلا لأهله... وإنما أباحوا لأنفسهم ستر العلم إلا لأهله بحديث ينسبونه إلى النبي أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين» وهم يقتدون في ستر علومهم بقصة النبي موسى مع الرجل الصالح وهي القصة الواردة في القرآن في سورة الكهف ويعلق المؤيد في الدين داعي الدعاة على هذه القصة بقوله: «فإن كان موسى يرد عليه من علم الملكوت ما لا يقوم لاحتماله ويضعف عنه قوة نهوضه فلأن يكون العامة على احتمال ذلك أضعف وأقصر» (تعليقات على الكتاب المذكور تعليق رقم ٥٥ ص ١٦٤، ١٦٥).

وما أدرى أنسى ذلك أم تناساه في حبهم، وعطفه وحنانه عليهم، والدفاع عنهم وقد قيل قديماً:

حبّك الشيء يعمى ويصمّ

وسقطاته مثل هذه كثيرة جداً، وقد ذكرناها في الأبواب المختلفة من هذا الكتاب كما سنذكر بعضها في المقدمة إن شاء الله.

(١٢) «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين ص ٥، ٦ ط دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١م.

وزاد محمد حسن الأعظمي[١٣] ـ وهو من الاسماعيلية ـ الأمر بياناً ووضوحاً عما قاله الدكتور محمد كامل حسين حيث كتب:

كان شيخ البهرة «طاهر سيف الدين» (والد محمد برهان الدين شيخ البهرة الحالي) قاسياً في تصرفاته، وبحكم التقاليد كانت جميع الأعمال الدينية موقوفة على إذن رسمي خاص منه أو من نائبه في كل مدينة أو بلد أو قرية

---

(١٣) والجدير بالذكر أن السيد الأعظمي لا يقل جرأة في السرقات عن تلميذه مصطفى غالب الاسماعيلي الذي منحه «الدكتوراه» لعله للحصول على هذه الجرأة.
فإنه ينقل الموضوع بكامله عن الآخرين مضيفاً إلى نفسه دون أن يشير إلى مشقة وعناء من نهبه وسلبه، ومثال واحد على ذلك «الباب الأول» في كتابه (الحقائق الخفيّة) في «عقائد الفاطميين» فإنه سرقة فاضحة حيث أخذ هذا الباب بكامله من مقدمة ديوان المؤيد الشيرازي للدكتور محمد كامل حسين بدون أدنى تغيير وتبديل في العبارة، وحتى الجمل والتراكيب اللهم إلا ما يغير «الله» بالرب، و«الربّ» باسم الجلالة، ولا غير (قارن بين صفحة ٢٢ إلى ٥٢ من «الحقائق الخفيّة» وبين ص ٩٩ وما بعد من مقدمة ديوان المؤيد).

بينما طبع الأعظمي كتابه سنة ١٩٧٠م، وكامل حسين سنة ١٩٤٩م.
وهذا مما يؤيد أيضاً ما ذكرته آنفاً بأن الكتاب المطبوع اليوم يصير في حكم المخطوط أو المعدوم إذا مضى عليه وقت، وإلاّ لما أظن بأن الهيئة المصريّة لو علمت ما فعله ويفعله السيد الاسماعيلي المحترم لما أذنت له أن يعمل ما عمله بأحد الأساتذة المصريين المعروفين وكتّابها البارزين.
وأكثر كتب «حضرته» على هذا المنوال.
وما أكثر هذا النهب وهذا السلب!
وهذه السرقات وهذا الغصب!
من أناس ينتمون إلى العلم والفكر!
وينتسبون إلى البحث والتنقيب!

ونحن نصرح ههنا بانه لا بأس عندنا من الاستفادة والاستنارة من الآخرين واقتباس عباراتهم ومقولاتهم ولكن بذكر أصحابها وملاّكها، والذين أحرقوا في إنشائها وتخليقها دماء قلوبهم وأعمار مهجهم.
وليس بمقتطف الأفكار دون عزوها إلى أصحابها أقل جناية من مقتطف الأولاد من آبائهم ظلماً وخفية.
فالله يهدينا إلى سواء السبيل.

يسمى «عاملاً» وكانت مخاطبته شخصياً غير ممكنة، ففي حضوره كان يوجد عدد من الوسطاء، فيوجه الخطاب إلى أحدهم لينقله إليه، وهكذا ينقل عنه الجواب بالواسطة مع أن الجميع حاضرون، وفي قاعة واحدة موجودون. وكان يسلط الأشرار لينتقموا من المتنورين المتحررين الذين كانوا يبوحون بأسرار جده الذي وضع السم للداعي المطلق السادس والأربعين الحق، والذي يعرف عنه هذا يطرد من الجماعة ويسمى «مدعياً».

وقد ثار عليه ـ كرد الفعل ـ بعض كبار التجار الأغنياء والمفكرين المتحررين في مدينة «سورت» مسقط رأسه. وقد كتبوا محضراً سجلوا فيه جميع المآخذ والعيوب، ثم قالوا: قد أجمعنا بما ثبت لدينا أنك غير مؤمن. بهذا قررنا اخراجك من جماعة المؤمنين. وقد قطعوا علاقتهم به وبشيعته، وأنشأوا هيئة خاصة لنشر فكرتهم، وأكثرهم يقيمون في مدن بومباي وسورت وناغفور بالهند»(١٤).

وإذا كان الأمر كذلك فالحصول على كتب القوم من دونه خرط القتاد.

فأضنيت نفسي في ذلك، وصبرت مدة طويلة، وسافرت إلى بلدان بعيدة، وراسلت المعارف والأجانب، الأباعد والأقارب، ويئست ورجوت، أمنّي نفسي تارة، وأحرضها أخرى، أقدم على مواصلة البحث والتنقيب وأحجم تارة إلى أن طال بي الأمد وألّفت بين هذا الإقدام والإحجام كتابين آخرين عن الشيعة (الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ) وكتاب (بين الشيعة وأهل السنة)(١٥).

إضافة إلى العلل الأخرى التي ذكرتها في بدء الكلام.

---

(١٤)«الحقائق الخفيّة عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية» للحسن الأعظمي ص ١٨ ط الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

(١٥)هذا غير كتاب «الشيعة والسنة» الذي ألفته سنة ١٩٧٣م، ألفته ردّاً على الدكتور علي عبد الواحد وافي، وصدرت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٨٥م.

ففكرت يوماً من الأيام أن أرجىء هذا الموضوع إلى أن أفرغ من بحثي في (الصوفية والتصوف) الذي كنت قد جمعت له كتباً كثيرة تتعلق به، عربيّة وعجميّة، إلى أن فتح الله لي الآفاق. وحصلت على بعض الكتب الاسماعيلية صدفة وبدون مشقة بعد ما تعبت وسئمت من الحصول عليها.

ومن غرائب هذا التعب والمشقة أنني سافرت مرة من المرات إلى المملكة العربية السعوديّة فسمعت أن هناك معرضاً للكتب أقيم في القاهرة في تلك الأيام اشترك فيه كثير من مكتبات العالم والدول العربية التي تعتني بنشر كتب التراث والكتب العربيّة، فطِرتُ إلى القاهرة وبادرت إلى المعرض، وسمعت أن كتاباً للنعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الاسماعيلية (المجالس والمسايرات) بيع في المعرض، وقد طبعته مطبعة تونسية، ففتشت عن الكتاب ودوّرت عليه ولكنه لم يكن ليوجد، وسألت عن المكتبة التي باعت نسخها في المعرض، وعن الأشخاص الذين اشتروها ولكن بدون جدوى، فطرت إلى تونس واتصلت بالناشر، وبعد إلحاح وإصرار، والترجيّ والاغراء فتّش في مخازنه ـ حسب ما قاله ـ ولكن لم يجد ولا نسخة ولكن زادني علماً، ودلّني مشكوراً بأن المتحف الحكومي جنب جامع القيروان اشترى نسخاً منه فأجد بغيتي فيه وآخذ من عندهم تصوير الكتاب.

ووا أسفي ويا لهفتي أن مدراء المتحف هذا وأمناءه لم يكونوا مختلفين عن المسلمين الآخرين، أمناء المتاحف ومدراء المكتبات فلم يكن عندهم إصغاء ولا استماع اللهم إلاّ الاصرار والاستكبار. فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وأما حكايات ذهابي وترددادي إلى المركز الاسماعيلي الأغاخاني في كراتشي، والمركز الاسماعيلي البهري المتمثل في الجامعة السيفية بكراتشي أيضاً مع تأثيري ورسوخي وشهرتي وسمعتي وعلاقاتي وروابطي فإنه يطول شرحها ولكنّ الله عندما أراد ـ ولكل شيء أجل ـ فتح لي أبواب السماء «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» فدرّت الكتب وتكاثرت، واجتمعت في أيام ما كنا نتصور جمعها في أعوام إلى أن اجتمع لدينا ما يقارب ثلاثمائة كتاب صغير وكبير عربي وفارسي، وأُردي وإنجليزي من كتب القوم.

«ومن يتق الله يجعل الله من أمره يسرا».

فالحمد لله على نعمائه حصلت على بعض الكتب عن الاسماعيلية النزاريّة التي لم ترها عين المسلمين قط، ولم تنلها أيدي المسلمين أبداً، فاستعنت بالله، وخططت خطة، ورسمت المنهج، وأردت أن لا أخرج عن طريقي المعروف، والمعروف لدى قرّائي بأن لا أكتب شيئاً إلّا بألفاظ القوم وعباراتهم من كتبهم المعتمدة الموثوقة لديهم، بذكر الصفحات والمجلدات، والطبعات إن كانت مطبوعة، وذكر المخطوط إن كانت خطيّة، وأن لا أتسرع في الحكم إلّا بعد ما ألّم بجميع جوانب الموضوع وأن لا ألتفت إلى ما يقوله المخالفون أو الموافقون، والمعارضون أو المدافعون والمؤيدون فظهرت لنا حقائق طالما خفيت على كثير من الباحثين للاسماعيلية - وما أقلّهم - وظهرت لنا أشياء لم نكن نتصورها عكس ما قدمها لنا بعض المرتزقة من الأعاجم، والجهلة من المستشرقين، والسذج من العرب، والمغفلون الطيبون من المصريين، من المحدثين غير المتقدمين[١٦] الذين غرّهم وأغواهم وأوقع بهم مكوث الاسماعيلية برهة من الزمن في مصر وتسلطهم عليها مع قطع النظر عما أذاقهم من الذلّ والخسف، والهوان وسوء العذاب، وإحراق مدنهم، وهتك عرضهم وسبّ أسلافهم، وشتم أعيانهم وأكابرهم على رؤوس المنابر والأشهاد، نعم! قطع النظر عن هذا كلّه بالغوا في مدحهم واطرائهم والثناء عليهم، لمصريتهم، والآخرون لأغراضهم وأهدافهم، والقليلون لعدم بلوغهم إلى كنه الأشياء وإدراكهم حقائق الأمور.

ومن البارزين الذين اشتهروا في الآونة الأخيرة في الاسماعيليات من الناحية العقائدية وكتبوا عنها ولكنهم لم يصيبوا الهدف، ولم يصلوا إلى الحقيقة المغلوفة في الأغلفة الكثيرة المتراكمة، الدكتور محمد كامل حسين فإنه مع احتواء مكتبته على عديد من المخطوطات الاسماعيلية ونشره عدداً من الكتب

---

(١٦) اللهم إلّا البحاثة الإسلامي الكبير الأستاذ محمد عبد الله عنان الذي قلما يوجد له مثال في أبحاثه وتعمقه في المواضيع التي يختارها للكتابة عنها، وقد أنصف القول في كتابه (الحاكم بأمر الله) أو أحداً آخرا لم أطلع على ما كتبه في هذا الخصوص.

لم يستطع التفريق بين كتب الظاهر وكتب الباطن، ولم يدرك أن القوم لا يظهرون عقائدهم إلاّ في الكتب السريّة التي يحرم الاطلاع على ما فيها إلاّ للخاصة وخاصة الخاصة أو لمن يأذن له الإمام الاسماعيلي المعصوم، أو من ينوب عنه ويقوم مقامه كما ذكرناه آنفاً.

وأما كتب الظاهر فيكتبونها للعامة أي عامة الاسماعيلية وغير الاسماعيلية، ومن تعمق وتفحص، وفتش ونقب، عرف وعلم يقيناً بأن كاتباً واحداً من كتّاب الاسماعيلية يكتب في الكتاب الظاهري شيئاً، وفي السرّي شيئاً آخر، ومثلنا في المباحث الآتية من الكتاب أمثلة كثيرة، ولكن لبيان أخطاء محمد كامل حسين وغيره من الذين انتهجوا منهجه، ودافعوا عن الاسماعيلية وعن عقائدهم التي تخرجهم من الملة الحنيفية البيضاء أو المعتدلين من الشيعة[١٧] تمسكاً بما كتبوه في كتب الظاهر. نمثل بمثال واحد من الداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين فإنه يصرح في كتاب ظاهري بأن القائم بأمر الله كان ابناً حقيقياً للمهدي الاسماعيلي، كما كان المهدي ابناً للحسين ابن أحمد الإمام الاسماعيلي المستور، وتكفله عمه سعيد الخير[١٨].

ولكن نفس هذا الداعي يقول في كتابه السرّي عكس ما يقوله تماماً في كتابه الظاهري المذكور فيصرح فيه بأن المهدي لم يكن إلاّ سعيد الخير الذي استكفل القائم، وأن القائم لم يكن ابنه، بل كان ولده المنتسب إليه بتعليمه وإفادته[١٩].

ومثال آخر ما ذكره في محمد بن إسماعيل بأنه لما مات أبوه إسماعيل بن جعفر كان عمره ستاً وعشرين سنة[٢٠].

---

(١٧) ـ مع العلم أنه لا يوجد في الشيعة اعتدال، في جميع طوائفها وفرقها.

(١٨) ـ أنظر لذلك «عيون الأخبار وفنون الآثار» للداعي المطلق ادريس عماد الدين، السبع الخامس ص ٨٩ و ١٥٧ ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٣م، أيضاً «عيون الأخبار»، السبع الرابع. ص ٤٠٢.

(١٩) ـ أنظر «زهر المعاني» للداعي أدريس عماد الدين ـ الباب السابع عشر ص ٦٦، ٦٧ من «المنتخب» لايوانوف ط أجمل بريس بومبي.

(٢٠) ـ أنظر «عيون الأخبار» ص ٣٥١.

ولكنه نفسه يقول في كتابه السرّي أن عمره كان ثلاث سنين[٢١].

فهذان المثالان خير دليل على ما يعمل به الاسماعيلية من إخفاء الأشياء عن العامة في الكتب الظاهريّة تجنباً عن الإيرادات والاعتراضات، ويظهرونها في الكتب السرّية لأمنهم عن افتضاح الأمر وسلامتهم عن المطاعن.

فينخدع كثير من الناس الذين لا يعرفون هذا السر.

ثم وإن الدكتور محمد كامل حسين وأمثاله لم يعرفوا بأن هناك كتاباً مخصوصين كانت صلتهم ،أيام الحكم الاسماعيلي البلادالسنيّة،بالشعب السني وطيدة ومباشرة بحكم المنصب والوظيفة، أو دعاة كانوا يعيشون في البيئة السنيّة بعيدين عن البلاد التي يحكمها الاسماعيليون.

اتسمت كتاباتهم بالتحفظ والاحتياط والاتزان نوعاً ما بحكم البيئة وحكم الوظيفة فإنهم ليسوا بعمدة في بيان المعتقدات الاسماعيلية، ولو أنهم أيضاً أظهروا أشياء مكنونة كثيرة أثناء الكتابات بدون الشعور والإدراك، أو أظهروا خباياهم في كتاباتهم السريّة التي كتبوها لخاصتهم مثل النعمان بن محمد المغربي، والمؤيد الشيرازي، وحميد الدين الكرماني وغيرهم الذين بكلامهم يستدل ويستند هؤلاء المنخدعون للرد على من ينتقدهم بالغلو والخروج عن المعتقدات الاسماعيلية.

فإن هؤلاء كثيراً ما حاولوا نفي كلام المعترضين على الاسماعيلية بأن أئمتهم كانوا يدّعون علم الغيب، ويؤمنون بتأثير الكواكب، ويقولون بالتناسخ والحلول، أو يعتقدون بعقائد منافية للشريعة الإسلامية الغراء، من ألوهية الأئمة، واتصافهم بأوصاف الربّ تبارك وتعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

فلا يلتجىء هؤلاء للرد على هذه الاعتراضات إلا إلى كتابات النعمان ابن محمد وغيره، فمثلاً يقول محمد كامل حسين:

---

(٢١) - «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب».

«بالرغم من أن الدولة الفاطمية قامت على أساس ديني، واتخذ الأئمة من نسبهم إلى الرسول صلوات الله عليه قوة يؤيدون بها دولتهم وينشرون بها سلطانهم ودعوتهم الدينيّة، فإن خصوم الفاطميين أخذوا يحاربونهم بنفس سلاحهم فطوراً ينفون نسبهم إلى الرسول، وطوراً آخر يصفون الأئمة الفاطميين بأنهم يؤلهون أنفسهم ويقولون بالحلول والتناسخ وعلم الغيب، وأنهم يذهبون في عقيدتهم مذهباً هو أقرب إلى المذاهب الإباحية، فلم يجد خصوم الفاطميين موبقة إلا رموا بها الفاطميين، نرى ذلك كله في كل كتاب من كتب التاريخ وغير التاريخ من الكتب التي عرضت للدولة الفاطميّة والعقائد الفاطميّة، ولكننا إذا قرأنا كتب الفاطميين السريّة التي استطعنا الحصول عليها، والتي نعمل على نشرها في «سلسلة مخطوطات الفاطميين» نرى عكس ما كتبه المؤرخون»[٢٢].

ويقول أيضاً:

«فالفاطميون إذن لم يعملوا على طرح الأديان وإبطال العبادة كما وهم الكتاب والمؤرخون الذين تحدثوا عن الفاطميين. . . وشاركوا غيرهم من المسلمين في هذه العبادة الظاهرة، ودعوا إليها دعواتهم إلى عبادتهم الباطنة. وإذا قرأنا كتب الفقه الاسماعيلي مثل كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان ابن محمد وكتاب المجالس المستنصريّة، للداعي ثقة الإمام علم الإسلام وجدنا أن الفقه الاسماعيلي لا يكاد يختلف عن فقه أهل السنة وفقه مالك على وجه خاص، مع أن الاسماعيلية لا يأخذون في أحكامهم الشرعيّة بالرأي ولا بالقياس، إنما يأخذون بالأحكام التي يشرعها الإمام، ومع ذلك لم يختلفوا عن مذهب أهل السنة إلا في بعض مسائل فرعيّة»[٢٣].

---

(٢٢) - أنظر ما كتبه الدكتور محمد كامل حسين في مقدمة «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان بن محمد المغربي ص ٢٠ ط دار الفكر العربي.

(٢٣) - «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين، الباب الأول (عقائد الفاطميين) ص ٣٠.

وقال أيضاً:

وخلاصة القول في العقائد الفاطمية أن الولاية هي محور هذه العقائد، وأن فلسفتهم كلها تدور حول الإمام وتمجيده أكثر من أي شيء آخر. وهم يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشر وثواب وعقاب.

ويقومون بفرائض الدين ويحرمون ما حرمه الله ولا يقولون بالتعطيل أو الإباحة. ولم يعتنقوا التناسخ أو الحلول أو التلاشي»(٢٤).

وأكثر من ذلك عدّهم أنصف الشيعة وأكثرهم اعتدالاً(٢٥).

ثم التجأ للاستناد إلى النعمان وأمثاله مع أن الدكتور لم ينف شيئاً من عقائدهم، ولا دافع عن معتقد من معتقداتهم إلاّ وقد أثبتنا وجوده في كتب القوم أنفسهم كما سيجد القارىء في «باب المعتقدات» و«نسخ الشريعة» و«التأويل الباطني».

ومن الطرائف أن النعمان بن محمد مع كونه قاضي قضاة المعز الإمام الاسماعيلي الرابع في دور الظهور لم يكن يعرف كثيراً عما كتب في كتب الباطن كما ذكرناه آنفاً من كتب القوم فضلاً عن أن يعرفه أحد من غير الاسماعيلية.

وعلى كلٍّ فإننا صابرنا طويلاً على جمع الكتب أولاً، كتب الظاهر وكتب الباطن، والكتب التي كتبت عنهم من المسلمين، العرب والعجم، والمستشرقين، ثم قرأتها قراءة تفصيليّة دقيقة عميقة واستخراج ما فيها، وجمعها وترتيبها، تنظيمها وتنسيقها في قالب لعله يسرّ الناظرين.

وإننا على منهجنا لم نعط الاهتمام الأكبر إلاّ للجانب العقائدي، كما لم نهمل الجانب التاريخي أيضاً لعرض الموضوع في صورة واضحة، ولربطه

---

(٢٤) - أيضاً ص ٣٦، ٣٧.

(٢٥) - أنظر مقدمة «كتاب الهمة» ص ٢٤، ٢٥.

بالتسلسل التاريخي والزمني، ولو أن الكتاب يغلبه الجانب الاعتقادي أيضاً لأنه هو مطلبنا وغايتنا، ولم يلتفت إليه إلا القليلون بل الأقل من القليل.

فقسمنا الكتاب إلى قسمين: القسم التاريخي ويشتمل على أبواب أربعة.

الباب الأول: نشأة الاسماعيلية ومنشؤها، بحثنا فيه التطورات التي مرّ بها التشيع والمساهمين في هذه التطورات الغلاة الذين استغلوها لأغراضهم وأهدافهم، ثم تجمعهم حول اسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن اسماعيل، ودور ميمون القداح وأولاده في تكوين الاسماعيلية وتخليقها وكذلك أئمة دور الستر.

والباب الثاني: الأئمة الاسماعيلية في دور الظهور، ذكرنا واحداً واحداً من المهدي إلى الآمر بميزات عصره وجدّه وجهده في ترويج العقائد الاسماعيلية ومعتقداتها والوسائل والذرائع التي اتخذها لهذا الغرض، ثم الحالة الاعتقادية في زمنه وأيامه.

والباب الثالث: بحثنا فيه نسب الأئمة الاسماعيلية بالتفصيل، وحاولنا الالمام بجميع جوانب هذا البحث، والإحاطة بكل ما قيل في هذا الموضوع من الأطراف المختلفة، وسردنا الشواهد الثابتة والأدلة القاطعة في حسم الموضوع.

ثم الباب التاسع الأخير: زعماء الاسماعيلية وفرقها، ذكرنا فيه أهم زعماء هذه الطائفة والفرق التي تفرعت منها.

فهذا هو القسم التاريخي، ولكنه كما يلاحظ مصبغ بصبغة اعتقادية أيضاً، ومعطى له العناية الخاصة.

وأما القسم العقائدي فهو القسم الأكبر ركزنا فيه جهودنا، وكرّسنا فيه عملنا، وأتعبنا فيه قوانا وأضنينا فيه مطايانا، وأجرينا فيه أشهب قلمنا وهو يشتمل على أبواب خمسة:

الباب الرابع: الاسماعيلية ومعتقداتها، فقد بحثنا فيه أهم المعتقدات الاسماعيلية من الالهيات، والنبوءات، والوصاية، والولاية، والإمامة، والمبدأ، والمعاد، والحلول، والتناسخ والقيامة، والجنة والنار، والثواب، والعقاب، كما فصلنا فيه فصلاً خاصاً لبيان بعض العقائد الشيعيّة التي يشترك فيها جميع الطوائف الغالية والمتطرفة، من الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم، وسباب الصحابة، والتقية وتكفير المسلمين.

قلما وجد بهذا التفصيل وهذا الشمول في كتاب بلغة من لغات العالم ونقل العبارات من كتب القوم أنفسهم بذكر المصادر والمراجع، وهو أكبر باب في الكتاب، وسيجد الباحث والقارىء فيه تفنيداً مدللاً لكتابات مرتزقة الاسماعيلية والمخدوعين بهم.

والباب الخامس: الاسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الباب مبتكر في موضوعه، لم يسبقني إلى الاكتشافات التي اكتشفتها في هذا الباب إلاّ باحث اسماعيلي هندي كبير شرح الله صدره للإسلام، وهو الدكتور زاهد علي، وكان من كبار رجالات الاسماعيلية فكتب كتباً عديدة منها (تبيين المعاني لشرح ديوان ابن هاني) و (تاريخ فاطميين مصر) باللغة الأردية، ولكن كتابه الذي أكسبه الشهرة هو ما كتبه بعنوان (همار، اسماعيلي مذاهب) أي مذاهبنا الاسماعيلية، باللغة الأردية، وكان قصده من كتابة هذا الكتاب إرشاد الاسماعيلية إلى طريق الحق والصواب وإرجاعهم إلى حظيرة الإسلام ولكن كان ردهم عليه قاسياً حيث أرادوا قتله واحراق بيته، لما فيه من كشف لأسرار مذهبهم، التي طالما حاولوا إخفاءها بالتحذيرات والتشديدات والتهديدات، وفعلاً إنه لمحاولة أوليّة لم يسبق إليها أحد من أبناء الاسماعيلية في شبه القارة الهندية الباكستانية، ويا ليتها تلتها المحاولات الأخرى لكنه لم يتجرأ عليها أحد بعده.

ورجوعاً إلى الموضوع أن الدكتور زاهد علي رحمه الله أتى في هذا الكتاب بأشياء لم تكن معلومة عند الكثيرين من الناس، فمنها اعتقاد الاسماعيلية بجميع طوائفها أن شريعة محمد قد نسخت، نسخها محمد بن

إسماعيل، فلقد استفدنا في هذا المبحث منه كثيراً، وحمداً لله قد أضفنا إليها أشياء وزدنا عليها مصادر ومراجع لم تكن مذكورة في كتابه، فهذا باب طريف وغريب.

والباب السادس: الاسماعيلية والتأويل الباطني وفيه اهتدينا إلى طرائف وغرائب، وأثبتنا فيه أن الاسماعيلية يجعلون الشريعة وأحكامها أضحوكة وألعوبة بالتأويل الباطني وكيف يصرفون الأحكام إلى الإهمال، والعمل إلى التعطيل، ثم أوردنا فيه تعارضات وتناقضات الأئمة الاسماعيلية وأبوابهم المعصومين ما بينهم في تأويل شيء واحد مع ادعاء كل واحد منهم العصمة.

والباب السابع: ما هية الدعوة ونظامها، ذكرنا فيه من كتب القوم الدعوة وحدودها (أي أعضاءها) وأركانها، ودعائمها والأسس التي قامت عليها، ثم شكلها وماهيتها وأهدافها والمجالس التي قررت للدعوة، ودور الحكمة التي فتحت وغيرها من خواص المذهب الاسماعيلي ومميزاته.

والباب الثامن: الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات:

خصصنا هذا الباب كما هو مفهوم من العنوان لبيان أن الاسماعيلية ليست لها عقائد ثابتة، وقواعد راسخة، وأسس متينة، وأصول رزينة فإنها مجموعة تعارضات وتناقضات تقوّل بها غلاة الشيعة والمتطرفون من الناس فإنه لا يوجد مسألة من مسائلهم وقضيّة من القضايا إلاّ ويختلف فيها القوم مع ادعائهم أن مذهبهم مأخوذ من المعصومين الذين لا ينطقون عن الهوى.

وذكرنا فيه كثرة التعارض والتناقض الذي قلّما يوجد عند مذهب من المذاهب.

فهذا هو القسم الثاني، وهو الذي أخذ الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الكتاب، وهذه هي صورة موجزة عنه، أرجو الله أن ينفع به الخاص والعام، ويستفيد منه الأقارب والأباعد كغيره من مؤلفاتي حيث أن مدار الاستشهاد والاستدلال ليس إلاّ على كتب القوم أنفسهم بالأمانة العلميّة،

ونقل العبارات الكاملة بدون تحريف وتبديل وتغيير ـ التي به امتازت كتبنا ومؤلفاتنا بفضل من الله وتوفيقه.

وبقي هنالك أمور لا بد من الالتفات إليها.

أولاً: إن هذا الكتاب يشتمل على ذكر اسماعيلية الدور الأول وعقائدهم ومعتقداتهم وتاريخهم وأخبارهم، وأقصد بذلك اسماعيلية دور التكوين والنشأة إلى آخر دور الظهور الذي ينتهي بقتل الآمر بن المستعلي بن المستنصر، سنة ٥٢٤هـ الذين يعبر عنهم بالاسماعيلية القدامى أو الاسماعيلية المتقدمين، وهذا هو الدور الذي لم يفترق فيه الاسماعيلية إلى الطوائف والفرق المختلفة، وفعلاً هو ينتهي إلى موت المستنصر سنة ٤٨٧هـ وتوليه المستعلي الخلافة الاسماعيلية ولكننا مدّيناه إلى الآمر مع ذكر الافتراق الذي وقع في الاسماعيلية بدون التطرق إلى تفاصيلها لانتهاء دور الظهور عند جميع الأطراف الاسماعيلية، ولم يشمل الكتاب اسماعيلية الدور الجديد الذي يبدأ بالحسن الصباح في فارس وقلعة الموت وغيرها من القلاع الجبلية، وبالدعوة الطيبة تحت رعاية الصليحيين في اليمن، والعقائد التي تجاهر بها كل من الطائفتين أولاً، ثم الطوائف الأخرى المتفرعة منهما ثانياً، لأن هذا كله يحتاج إلى كتاب مستقل، والذي قررنا إصداره في الفرصة المواتية الآتية القريبة إن شاء الله بعد هذا الكتاب، فيصير هذا الكتاب كالجزء الأول، والآتي كالجزء الثاني، ونرجو أن يكون مبتكراً في موضوعه حيث حصلنا على وثائق ومستندات لم تقع في حوزة المسلمين أبداً.

كما لم نبحث في هذا الكتاب عن القرامطة، ولا عن حركة الهلال الخصيب وعن معتقداتهم مع اتفاقهم مع الاسماعيلية في إمامة محمد بن إسماعيل مع ذكرهم استطراداً أثناء الكلام عن الاسماعيلية، لا استقلالاً، لأن الكلام عنهم يطول ويحتاج إلى البحث المستقل والكتاب الخاص بهؤلاء الناس.

ثانياً: زاد حجم الكتاب عن المألوف ولم نكن نريد أن يزيد ولكننا لم نرد أن نبخل بمعلومات لعلها تكون جديدة لكثير من الناس، وخاصة في

المكتبة العربية في مجموعة واحدة كهذا الكتاب ولو أننا أسقطنا أشياء كثيرة كنا نريد إدراجها فيه تجنباً عن ضخامته الزائدة مثل مبحث إخوان الصفاء هل هم رجال عديدون مختلفو الأماكن، متفقو الأهواء أم شخص واحد من الأئمة الإسماعيلية المعصومين يظهر بمظر المتعدد كما يصرح به إسماعيلية الدور الجديد، غير أولئك مع عدم ارتباكنا بأنه ليس كما يزعمه هؤلاء ولكنهم إسماعيلية الرأي والفكر بلا ريب، وكذلك مبحث تعاليم الاسماعيلية ومواضيع أخرى لعل الله يهيىء لإبرازها أسباباً ومحركات فتظهر في وقتها وأوانها.

ثالثاً: لا نقصد فيما نكتب، ولا نهدف فيما نؤلف إلاّ تمييز الباطل من الحق، والكذب عن الصدق، والخطأ عن الصحيح؛ والزيغ والضلال عن الرشد والصواب، والكفر عن الاسلام، الاسلام الذي ليس إلاّ عبارة عن كتاب ربّ العالمين وسنة سيد المرسلين بدون زيادة ولا نقصان، وإبعاد الناس عن الطريق المعوّج الملتوي وتنفيرهم عن آراء الرجال الذين لم ينزل الله بهم من سلطان، وارشادهم إلى المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل سالكها ولا يهتدي تاركها، وإلى الوحي المتلو وغير المتلو ليعتصم الناس بحبل الله ويتمسكوا بهدى الرسول، ويتركوا حبل الشيطان وهدى الناس، فإننا لسنا من المحايدين بين الكفر والإسلام، بل نحن من المنحازين إلى الإسلام ومتجاهرين بهذا الانحياز وغير آبهين ومكترثين بما يلومنا اللائمون ويعذلنا العاذلون:

عذل العواذل حول قلبي التائه ... وهوى الأحبة منه في سودائه

أأحبه وأحب فيه ملامة ... إن الملامة فيه من أعدائه

فإننا لا نكتب ما نكتب قاصدين هذا أو ذاك خدمة وحتى للعلم وغير العلم، وإرضاء لفلان، وإغضاباً لفلان - ولا جعلنا الله منهم - بل نكتب ما نكتب خدمةً للإسلام، وذوداً عن حرماته ومقدساته، نافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين - وجعلنا الله منهم - عصبية له

وغيرة عليه، رادّين على من يريد تشويه صورته النقيّة الصافية وتبشيع وجهه المضيء المنير بخرافاته وترّهاته، وببدعه وشركياته.

فهـذا هو الهـدف، وهذه هي الحقيقـة من البحث والكتابـة في الفرق الضالة، المنحرفة، والطوائف الباغيـة الخارجـة على الإسـلام ممن كتبنا عنهم حتى اليوم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ومـا علينـا إلا البـلاغ المبـين، والله ولي التـوفيق فهـو حسبي ونعم الوكيل.

إحسان الهي ظهير
لاهور، باكستان
١٢ / شوال ١٤٠٥هـ، ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م
في المنتصف من الليل

الباب الأول

الاسماعيلية نشأتها ومنشؤها

إن التشيع بدأ حينما بدأ بعد استشهاد عثمان رضى الله تعالى عنه وأيام التنازع على خلافة النبي وزعامة المسلمين وإما متهم بين على ومعاوية رضى الله عنهما والتشيع، بمفهومه الأصلي : المطاوعة والمتابعة، المجردة عن أي اختلاف عقائدي وفكرى أصيل، اللهم إلا مايراه المتشيعون لعلى وعلى نفسه أحقيته بالخلافة من معاوية رضى الله عنهما، لا بالتنصيب والتعيين بل لإختيار الأمة وانتخابها إياه، وإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار على مبايعته إماما للمسلمين وحاكما لهم كما انتخبوا أبابكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، غير مفرقين بين على ومعاوية من حيث النظريات والمعتقدات، وغير مميزين بينهما بالإيمان وغير الإيمان، متفقين مع أنصار معاوية في الآراء الدينية والأفكار الإسلامية إتفاقا تاما، ومتحدين معهم في الايمانيات إتحاداً كاملاً، اللهم إلا ماحدث بينهم من مشايعة هؤلاء عليا ومناصرة أولئك معاوية، وهذا كله بشهادة على رضى الله تعالى عنه نفسه، وفي كتاب شيعي مشهور حيث يقول مستدلا على أحقيته بالخلافة دون معاوية، وبيان سبب الأحقية والترجيح عليه :

« انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى

للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ماخرج منه، فان أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى »[1].

ويقول أيضاً معلنا على رءوس الأشهاد عدم الاختلاف في العقائد الإسلامية والقواعد الشرعية بينه وشيعته، وبين معاوية وأنصاره، مبيناً وموضحاً سبب الخلاف وعلته في كتاب له كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين :

« وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة. ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء ! »[2].

وقد أراد أن يؤكد على معاوية وأنصاره الذين لم يختلفوا معه ومع شيعته منازعين الخلافة والإمامة، منكرين مبدأ الشورى، أللهم إلا لدم عثمان، وقد راح هدرا وجبارا، أراد أن يؤكد عليهم عدم علاقته فيه، قريبة أم بعيدة، وتبرؤه الكامل منه، بقوله :

« ولعمرى يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنى كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى[3] فتجنّ ما بدا لك والسلام »[4].

فهذه العبارات الثلاث، وكلها من « نهج البلاغة » صريحة في معناها بأن الخلاف بين على ومعاوية، وبين شيعتهما، لم يكن إختلاف الدين

---

(١) « نهج البلاغة » كتاب على إلى معاوية، الكتاب السادس من قسم رسائل أمير المؤمنين ص ٣٦٦، ٣٦٧ ط دار الكتاب اللبناني، بيروت بعناية الدكتور صبحى صالح ١٩٨٠ م.

(٢) أيضاً، كتاب رقم ٥٨ ص ٤٤٨.

(٣) أي تدعى الجناية على من يفعلها.

(٤) « نهج البلاغة » ص ٣٦٧.

والعقيدة، ولا حتى المبادىء والأسس[٥]، وما كان معاوية يرى نفسه أجدر من علي بالخلافة وأليق منه، بل كل ما كان في الأمر كان دم عثمان، مع إقراره بأن عليا لم يشارك فيه ولم يحرض عليه، ولذلك كان رده عليه بقوله :

« كيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟

ونحن لا نرد ذلك عليه، ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلة عثمان فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة »[٦].

ومرة أخرى قال لأبي الدرداء وأبي أمامة اللذين أرسلهما علي رضي الله تعالى عنه إليه ليدعواه إلى الإعتراف بخلافته وإمامته، قال لهما : إذهبا إليه فقولا له :

« فليقدنا من قلتة عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام »[٧].

وعلى كل فإننا لسنا الآن في صدد بيان الإختلاف الواقع بين علي ومعاوية والحروب الدائرة بينهم، بل كل ما نريد أن نبينه ههنا هو أن التشيع في بدئه لم يكن يقصد منه إلا التحزب السياسي لعلي رضي الله تعالى عنه والمشايعة له دون معاوية رضي الله تعالى عنه ومتابعته إياه، دون التطرق إلى العقائد والمعتقدات، ولم يكن هناك فوارق دينية ومعارضات مذهبية بين الأحزاب المتعارضة المتناطحة على الحكم والسلطة والإختيار، كما لم يكن هناك قضية وراثة الإمامة وإختصاصها ببيت دون بيت، كما ذكر ذلك أيضاً فلهوزن المستشرق الألماني :-

---

(٥) التي إخترعت فيما بعد، وبنى عليها علم الكلام الشيعي، على أن الامامة حق وراثي يتوارثها أولاد علي من فاطمة رضي الله عنها، أو مفوضة إلى المسلمين يختارون من يريدونه صالحا لهم ومتأهلاً لتيسير أمورهم.

(٦) « البداية والنهاية » لابن كثير ج ٧ ص ٢٥٧ ط بيروت، « الكامل » لابن الأثير ج ٣ ص . ٢٩٠ ط : دار الكتاب العربي. « كتاب الطبرى » ج ٥ ص ٦ ط مكتبة خياط بيروت.

(٧) « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٢٥٩ .

« كان القدماء من أنصار علي يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين فكان يسلك مع أبي بكر وعمر وكذلك مع عثمان ـ طالما كان عادلا في خلافته ـ في سلك واحد، وكان يوضع في مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمرارا للخلافة الشرعية وحقه في الخلافة ناشيء عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه في القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق ـ أو على الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول »[٨].

ثم تطور التشيع وحصل فيه التغييرات الكثيرة[٩]، ونهض رجال طامعون طامحون لأغراض وأهداف مختلفة، وجعلوا التشيع قناعا وتسترا على ما يريدونه ويبتغونه، ويتمنونه ويهوونه من تسلط على الحكم، ووصول إلى العروش، وإبتغاء اللذات وهتكٍ للأعراض، وسلبٍ للأموال، وسفك للدماء، وهدم للدين، وسخرية بالعقائد، وإستهزاء بالقيم، وإباحة للمحظورات، وتحليل للمحرمات، وإقامة للفوضى، وعبث لفساد في الأرض وغير ذلك من الأغراض المشئومة والأهداف المشبوهة من نشر الزندقة والإلحادبين المسلمين، وجرهم بالتشكيك والتشوية على المزالق والمهالك.

والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة وحقد، وكل من استهدف إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزاردشتية وهندية، وكل من كان يقصد إستقلال بلاده والخروج على مملكته. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءته أهواؤهم »[١٠].

---

(٨) « الخوارج والشيعة » ص ١٧١ ط وكالة المطبوعات، الكويت. ترجمة عن الالمانية الدكتور عبد الرحمن بدوى.

(٩) من أراد الاطلاع على تلك التطورات التي حصلت في التشيع والشيعة على مر الأيام فليرجع إلى كتابنا المختص بهذا الموضوع « الشيعة والتشيع، وفرق وتاريخ » نشر ادارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.

(١٠) انظر « فجر الاسلام » لأحمد أمين ص ٢٧٦ ط مكتبة النهضة القاهرة ـ الطبعة الثامنة ١٩٦١ م

وكان من بين هؤلاء المتقنعين بالتشيع والمتسترين وراءه أبناء اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر، والنصارنية المهزومة في تبوك إبتداء والروم انتهاء، وأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس، وأولاد المتعصبين الذين والوا المتنبئين الكذابين كالأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وطليحة الأسدى، وسجاح وغيرهم، الذين لم يؤمنوا بهم، ولم يقاتلوا تحت لوائهم إيماناً بهم وتصديقاً بما يقولون، بل عصبية ليمنيتهم ومضريتهم، كما شاركهم للأسف الشذاذ من الطالبيين أيضا مؤثرين الحياة الدنيا وحطامها على الآخرة ونعيمها، كعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[11] رغبة في الملك وجمع الأوباش والسفلة حولهم ولكن أكثر الطالبيين والطيبين من أولاد على قاوموه بكل شدة، وعارضوه بكل قوة، وتبرأوا من كل متشيع يفارق الجماعة، ويترك الشريعة والعقيدة الصحيحة المبنية على كتاب الرب جل وعلا وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتجنبوا كل من أراد تفريق المسلمين، وتمزيق جمعهم، وتشتيت شملهم، وهدم أركان الإسلام، واعتناق العقائد التى لا تمت إلى الإسلام بصلة، من الرجعة والغيبة والحلول، والتناسخ واجراء النبوة، ونزول الوحى، ومعرفة علم الغيب وامتلاك من القدرة والاختيار غير ما يمتلكه الآخرون، وأيضاً التكلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سلف هذه الأمة، وخيارها المبشرين بالجنة وغيرهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج النبى أمهات المؤمنين، وحتى ابتعد على بن الحسين الملقب بزين العابدين ومن خلفه بعده عن التطلع إلى الحكم والسلطة وصاروا منشغلين بالوعظ والنصيحة والدرس والتدريس والرشد والهداية كما ثبت في الكتب الشيعية نفسها بأن كل من طلب منهم البروز إلى ساحة القتال ومنازعة الحكم عارضوه مسفهين رأيه، طارحين قوله، متبرئين منه ومما يقوله، متجنبين

(١١) انظر «فرق الشيعة» للنوبختي الشيعى ص ٣٢ وما بعد ط المطبعة الحيدرية ـ نجف ١٩٣٦ م. وكتاب «المقالات والفرق» لسعيد بن عبد الله القمى الشيعي المتوفى سنة ٣٠١ هـ ص ٣٩ ومابعد ط مطبعة حيدرى طهران ـ ١٩٦٣ م.

مصاحبته ومجالسته، حتى هجروا الأحباء والأقرباء[١٢] المتطلعين إلى الحكم والسلطنة إلى أن بلغ الأمر إلى جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق، فجلس مجلس أبيه سنة أربع عشرة ومائة ولم يكن موقفه مختلفا عن موقف أبيه محمد الباقر، وعلى زين العابدين، فحصر نفسه في المجالات العلمية، واقتصر على المجالس الدينية مقتفيا آثار آبائه، مقتنعا بآرائهم وأفكارهم، متفقا مع الجماعة، محبا لأصحاب جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتوليا أبا بكر وعمر كما روى السيد مرتضى في كتابه « الشافي » وابن أبي الحديد في شرحه للنهج، الشيعيان، عن جعفر بن محمد : « أنه كان يتولاهما ويأتي القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله صلى الله عليه وآله »[١٣].

ولم يكن يتولاهما فحسب، بل كان يأمر أتباعه بولايتهما أيضاً كما روى الكليني في كافيه عن أبي بصير أنه قال :

« كنت جالسا عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : أيسرك أن تسمع كلامها ؟ قال : فقلت : نعم، قال فأذن لها، قال : وأجلسني معه على الطنفسة قال : ثم دخلت فتكلمت فإذا إمرأة بليغة فسألته عنهما، فقال لها : توليهما ؟ قالت : فأقول لربي إذا لقيته : إنك أمرتني بولايتهما، قال : نعم »[١٤]

وذلك مع ابتعاده الكلي عن حلبة السياسة ومعاركها الطاحنة، واجتنابه المطلق عن التطلع إلى الحكم والإختيار، وتباعده عن كل من يطلبه ويتطلع

---

(١٢) انظر لذلك « الارشاد » للمفيد، اعلام الورى « للطبرسى »، و« مقاتل الطالبيين » للأصفهاني، وقد جمعنا مثل هذه الحوادث والروايات في كتابنا « الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ » فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى ذلك.

(١٣) كتاب « الشافي » للمرتضى ص ٢٣٨، و« شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٤٠ ط بيروت.

(١٤) كتاب « الروضة من الكافى » للكليني ج ٨ ص ١٠١ ط ايران.

إليـه، واغضابـه الكثيرين من أسرتـه وأهل بيتـه على ذلـك كزيـد بن عـلى، وعبد الله بن الحسن وغيرهما.[١٥].

كما أنكر صراحة بأنه إمام مفترض الطاعة كما روى ذلـك كل من المفيـد والطبرسي وغيرهما عن سعيد السمان أنه قال :

« كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا : أفيكم إمام مفترض الطاعة » ؟

قال : فقال : لا، فقالا : قد أخبرنا عنك الثقاة أنك تقول به ؟ وسموا قوما، فغضب عليه السلام وقال : ما أمرتهم بهذا »[١٦].

ونفى عنه وعن آبائه الصفات التي تجعلهم فوق البشرية، ومنها معرفـة علم الغيب وما شابهها كما يروى الكليني في « كافيه » عن سديـر قال : كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال : يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجـل، لقد هممت بضرب جـاريتى فلانة، فهربت منى فما علمت في أي بيوت الدار هى »[١٧].

إلى غير ذلك من الأمور التي صارت من خـواص التشيع ولـوازم الشيعة بعد التفسير والتطوير ولكن الشيعـة في ذلك العصر النـاقمين عـلى الإسلام، والحاقدين عـلى الأمة الإسـلامية، والمفـارقين الجـماعة، والمغـيرّين دين الله، والمبدّلين للشريعة التى جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليـه لم ييأسـوا ولم يقنطوا من هذه المعارضات والتصريحات من أهل البيت العلوى، بل شمروا

---

(١٥) أنـظر « الارشـاد » للمفيـد الشيعي المتـوفي سنـة ٤١٣ هـ ص ٢٦٩، و٢٧٦ ط مكتبـة بصيرتى قم ـ ايران، أيضـاً « اعلام الـورى » للطبرسى الشيعي ص ٢٧٨ ط دار الكتب الاسلامية ايران.

(١٦) « اعـلام الورى » للطبرسى الشيعي ص ٢٨٥، « الإرشـاد » للمفيـد ص ٢٧٤، أيضـاً « كشف الغمة » للاربلى ج ٢ ص ٣٨٢ ط دار الكتاب الاسلامي، بيروت.

(١٧) كتاب « الحجة من الكافى » للكلينى الشيعى ج ١ ص ٢٥٧ ط طهران.

عن ساق جدهم، واشتغلوا بأكثر مما كانوا يشتغلون في السابق، وخاصة لما رأو الظروف ملائمة والأحوال السياسية المتوترة مواتية زمن سقوط خلافة بنى أمية وإنتقال الحكم منهم إلى بيت بنى العباس وإنشغالهم في تنظيم الأمور وتدبير الملك وتوطيد السلطان، والإقتصاد منهار بسبب زوال دولة وانتهائها وابتداء أمر دولة أخرى، وعدم وضوح الإتجاه السياسي، وخاصة في العراق، وبالأخص منها الكوفة موطن التشيع، ومعترك الأساطير، ومجمع الأخلاط من الناس، ومركز الفتن، ومنبع الثورات، فاشتغل المتشيعون للبيت العلوى ببث سموم الفتنة والفساد، ونشر الأفكار الأجنبية والإلحادية وترويجها بين الناس باسم الدين، وتنظيم الجمعيات السرية الفتاكة، وتكوين الجماعات الهدامة لتشكيك الناس في دينهم، وتشويه معتقداتهم، كما أرسلوا رجالات منهم إلى البارزين من البيت العلوى للتجمع حولهم كى يوهموا الناس أنهم يحملون هذه الآراء والنظريات من أولئك، ويبثونها حسب إرشادهم وتعليمهم.

وعلى ذلك نرى مثل أبي الخطاب، وميمون القداح، ومبارك، وبزيع بن موسى الحائك، ومعمر، والمغيرة بن سعيد، وأبي منصور العجلى، وبيّان النهدى وغيرهم، فهؤلاء كلهم التفّوا حول جعفر، وتجمعوا عنده، وادعوا التشيع، وأصبغوه صبغة تنافى كل الشرائع السماوية والنواميس الإلهية، وخرجوا على تعاليم كتاب الله وإرشادات رسول الله صلى الله عليه وسلم جهرا وعلنا ليمزقوا شمل الأمة، ويبعدوا الشيعة من المسلمين فادعى كل واحد منهم حبّ جعفر والبيت العلوى، وبدأ ينشر أفكارا على حسابه وهو منها برىء.

وكان على رأس هؤلاء كلهم أبو الخطاب الأسدى نسبة إلى مواليه.

حركة الشيعة

وقبل أن نذكر هؤلاء نريد أن نذكر قبلهم بعض الذين سبقوهم من الشيعة الذين لهم جهود معروفة في تأسيس هذه النظريات التي اقتبسها هؤلاء ثم زادوا عليها سوءا بعد سوء لأن حركتهم هى التي ولدّت الاسماعيلية، وعلى أفكارهم عمرت عمارتها، وبنى بناؤها وأسست قواعدها، ورتبت أصولها وبعض منهم ساهموا شخصياً في تكوينها ونشأتها وتخليقها وترقيها وإنتشارها بين الناس.

فالمؤسس الأول للتشيع الذي عرف فيما بعد هو عبد الله بن سبأ(١٨) الذى أرسله يهود صنعاء إلى المدينة متلبسا بلباس الإسلام، ومتبطنا الكفر أشد الكفر والنقمة على الإسلام والمسلمين، وهو أول من أسس التشيع الحالي التشيع الذي فرق بين المسلمين وجماعتهم بترويج العقائد التي تختلف تماماً عما يعتقده المسلمون مقتبساً عن كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله

---

(١٨) ولقد أنكر بعض المعاصرين وخاصة الشيعة منهم وجود عبد الله بن سبأ مكذبين الشواهد الواضحة، والبراهين الثابتة، والأدلة القاطعة في وجوده، ولقد فنّدنا مزاعمهم في كتابنا «الشيعة وأهل البيت» ومن أراد المعرفة فليرجع إليه، كما ذكرنا مساعيه في بث سموم الفتنة والفساد، ونشر أفكاره الغريبة على المجتمع الإسلامي في كتابنا «الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ».

عليه وسلم من وصاية على وإمامته وخلافته بعد النبى بلا فصل وغيبته ورجعته وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان. وإظهار البراءة من أصحاب النبي، والمجاهرة بسبهم وشتمهم.[١٩]

فحاربه على رضى الله تعالى عنه وأظهر البراءة منه ولعنه وأراد قتله ولكنه بطلب من أصحابه سيره إلى المدائن ونفاه هناك.[٢٠]

ثم خلفه في تشيعه وعقائده المختار بن أبي عبيد الثقفي، وزاد عليه بانه يوحى إليه، وأن جبريل وميكائيل ينزلان عليه بالوحى وأنه يعلم الغيب[٢١].

ثم نرى التشيع يتخمر في بيت هند بنت المتكلفة الناعتية، وليلى بنت قمامة المزنية اللتين قال فيهما الاعمش.

وكلهم شر على أن رأسهم حميدة والبلاء حاضنة الكسف

إلى أن وصل إلى المغيرة بن سعيد العجلى، وبيان بن سمعان، وأبي منصور العجلى الذين كانوا من أصحاب محمد الباقر ويظهرون تيشعهم له وهو منهم بريء. فزادوا في عقائد الشيعة أشياء كثيرة، منها إتصاف على وأولاده بأوصاف لا تليق بالأنبياء والرسل، وأحياناً أفرطوا القول فيه حتى وصفوهم بأوصاف الإله الواحد القهار، كما وصفوا أنفسهم بالإمامة وأحياناً بالرسالة وأباحوا المحرمات، وأتوا بالمنكرات، وأبطلوا الأعمال، وعطلوا

---

(١٩) انظر لذلك « رجال الكشى » ص ١٠١ ط مؤسسة الاعلمي بكربلاء، « فرق الشيعة » للنوبختى ص ٢١، ٢٢ المطبعة الحيدرية، نجف - العراق، كتاب « المقالات والفرق » لسعد القمى ص ٢٠، ٢١ ط مطبعة حيدرى طهران، وكتابنا « الشيعة والسنة » ص ٢١ ومابعد ط ادارة ترجمان السنة باكستان ١٩٨٣ م الطبعة الثالثة والعشرون. « تنقيح المقال » للمامقانى ج ٢ ص ١٨٤ ط المطبعة المرتضوية ١٣٥٠ .

(٢٠) انظر المراجع المذكورة.

(٢١) « فرق الشيعة » للنوبختى ص ٢٣، وكتاب « المقالات والفرق » لسعد القمى انظر « تاريخ الطبرى » ص ١٥٣ وكتاب « الحيوان » للجاحظ ج ٢ ص ٢٦٨ أيضاً « تاريخ الطبرى » ج ٧ ص ١٤٥ .

الشرائع، وقالوا بتناسخ الأرواح والحلول، وأن لا ثواب ولا عقاب، فتبرأ منهم أهل البيت العلوى وقادتهم وعلى رأسهم محمد الباقر وإبنه جعفر كما نقل الكشى أن جعفر بن الباقر ذكر عنده المغيرة بن سعيد وما كان يقول في حق آبائه فقال :

« لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبى فسلبه الله الإيمان، وإن قوما كذبوا على، مالهم، أذاقهم الله حر الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، إن عذبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءات وانا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم مالهم، لعنهم الله لقد آذوا الله وآذوا رسوله « ﷺ » في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على « رضى الله عنهم »[٢٢].

ويذكر عقائدهم سعد بن عبد الله القمى والنوبختي، والقول للأول :

« إنّ الأئمة آلهة وملائكته وأنبياء ورسل، وهم الذين تكلموا في الأظلة والتناسخ في الأرواح والدور والكور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب والجنة والنار، وزعموا أن لادار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرًا، مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها من كان منها معذباً، فالأبدان هى الجنات، وهى النيران منقولون في الأجسام الأنسية المنعمة في حياتهم، ومنقولون في الردية المشوّهة من كلاب، وقردة، وخنازير، وحيات، وعقارب وخنافس، وجعلان، وغير ذلك من الدواب والأنعام على قدر أعمالهم : محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا فهى جهنم ونارهم، وذلك على ما يكون منهم من عظيم الذنوب وكبائرها في إنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم، إنما يسقط الأبدان ويخرب، إذا هى مساكنهم فتتلاشى الأبدان وتفنى

---

(٢٢) انظر « رجال الكشى » ص ١٩٦ تحت عنوان المغيرة بن سعيد.

وترجع الروح في قالب آخر منعّم أو معذب، وهذا معنى الرجعة عندهم، وإنّما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التى يلبسها الناس فتبلى وتتمزق وتطرح ويلبس غيرها وبمنزلة البيوت يعمرها الناس فاذا تركوا وعمروا غيرها خربت والثواب والعقاب على الأرواح دون الأبدان وتأولوا في ذلك قول الله: «في أي صورة ما شاء ركبك». وقوله «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم» وقوله «وإن مِنَ أمة إلا خلا فيها نذير» فجميع الطير والدواب والسباع كانوا أمما وأناساً خلت فيهم نذر من الله، واتخذ عليهم بهم الحجة، من كان منهم صالحاً مقرّاً بما يدعوه من مذاهبهم جعل الله روحه بعد وفاته وخراب قالبه وهدم مسكنه في بدن صالح، فأكرمه ونعمه، ومن كان منهم كافرا عاصياً نقل روحه إلى بدن خبيث مشوّه يعذّبه في الدنيا وأهانه وجعله في أقبح صورة، ورزقه أنتن رزق وأقذره، وتأولوا في ذلك قول الله «فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّى أهانن»، فكذب الله هؤلاء وردّ عليهم قولهم لمعصيتهم إيّاه فقال: «كلا بل لا تكرمون اليتيم» وهو النبي صلى الله عليه وسلم «ولا تحاضّون على طعام المسكين» وهو الإمام الوصى «وتأكلون التراث أكلا لمّا» لا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجرى لكم.(٢٣).

إلى أن ظهر أبو الخطاب الذي صاحب جعفر بن الباقر مدة وتتلمذ عليه، وقبل أن نتكلم عنه نريد أن نذكر رجلاً آخر أثّر كثيراً في الشيعة وساهم في تطورهم إلى عقائد مخالفة للكتاب والسنة، ودعا الناس إلى الإباحية والإلحاد وهو من الطالبيين، وأقصد به عبد الله بن معاوية الذي أشرنا إليه فيما سبق لأنه عند البعض هو أول من تجاهر بألوهية البشر وأنه قد حلّ فيه، ثم أنه أطلق عنان متبعيه أن يعملوا ما يشاءون ويفعلوا ما

---

(٢٣) «كتاب المقالات والفرق» لسعد القمى ص ٤٤، ٤٥، والنوبختى ص ٣٦ ومابعد.

يشتهون، وقد استطاع أن يتغلب على فارس ويستولى عليها[٢٤] وضرب السكة باسمه ونفث نشوة جديدة في نفوس الشيعة وروحاً وثاباً في أجسادهم، المحبين للسلطة والإقتدار والراغبين للحكم والاختيار أن ينتهجوا منهجه ويسلكوا مسلكه فتأثر منه الكثيرون، ومنهم أبو الخطاب وتلميذه ميمون القداح وابنه عبد الله الذين هم مدار بحثنا ومركز كلامنا، وكان ظهوره أيضاً في أيام جعفر بن الباقر، ولقد ذكر ذلك كل من تطرق إلى بيان العقائد والأحداث من السنة والشيعة ولكننا نذكره من كتب الشيعة مشيرين إلى وجود ذكره في كتب السنة، فلقد ذكره القمي بقوله :

« وفرقة قالت : أوصى أبو هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، الخارج بالكوفة، وأمه أم عون بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وهو يومئذ غلام صغير، فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية، فدفعها إليه، فلما بلغ دفعها إليه، فهو الامام الوصيّ، وهو عالم بكل شيء، وغلوا فيه وقالوا : إن الله نور وهو في عبد الله بن معاوية ومالت فرقة من الحربية إليهم . . . يقولون من عرف الإمام فليصنع ماشاء . . . وكان سبب ادّعاء عبد الله بن معاوية الوصية والإمامة أن الحربية أصحاب عبد الله بن عمر بن الحرب افترقوا فيه لما ادّعى وصيّة أبي هاشم وأن روحه تحوّلت فيه، وأنّ الامامة تدور مع الوصية وتثبت بها، كما ثبتت إمامة على بن أبي طالب بوصية رسول الله إليه، فكان وصيا لذلك دون العباس بن عبد المطلب وسائر الناس من بنى هاشم، فصاروا فرقتين :

ـ فرقة، صدقته على ما ادّعى من وصية أبي هاشم وفرقة كذبته وذلك أنه يعلم ما فى الارحام ويعلم الغيب، ومواضع الكنوز وحدوث الدول، وأنه سيملك فبينا هو يوماً في منزل رجل بالمدائن وكبراء أصحابه معه إذدقّ جلواز الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجة ولم يعرف عبد الله بن عمرو

---

(٢٤) انظر الطبرى ج ٩ تحت حوادث سنة ١٢٩ ص ٩٣.

الأمر، فوثب فزعا وقال : دعيتم أنا كب الشيطان فخرجوا جميعاً وطفر هو إلى دار رجل فاندقت ساقه فخرج صاحب الرجل إلى الرجل، ثم خرج إليهم فقال : لا بأس، فرجع بعضهم وهرب الباقون فقيل لعبد الله : أنت كيف تكون إماما ؟ كيف تعلم الغيب وما في الأرحام وانّك ستملك مع هذه الغفلة، وهذا العقل ؟ فكذبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا إلى المدينة يلتمسون إماما من بني هاشم إذا كان لا بدلهم من إمام، فبيناهم بالمدينة متحيرين إذ أتى آت عبد الله بن معاوية فأخبره خبرهم فأرسل إليهم، فلمّا دخلوا عليه قربهم وانتسب لهم، وأخبرهم بصفتهم، وما قدموا له، ورغّبهم أن هذا أمر علمه بذاته وطبعه، فقبلوا قوله وصدقوه وادعوا إمامته، وانّه وصي أبي هاشم ثم ادعى أن روح الله تحولت في آدم كما قالت طائفة من النصارى في عيسى بن مريم، وأن تلك الروح لم تزل تتحول حتى صارت فيه وانّه يحيى الموتى، وانّما أطمعه في تصديقهم إياه ما وقف عليه من تصديقهم لإبن الحرب، وكان هو من أبين الناس وأفصحهم وأخطبهم وأشعرهم فقبلوه وجعلوه إماما، ودعوا إليه، فكان أول ما شرع لهم تحريم الختان، وقال إن المختن راغب عن خلق الله ولولا أن الشعر والظفر ميتان وعلى الحي مفارقة الميت ما قلمنا ظفرا ولا أخففنا شعرا، وزعم أن الناس لا يزالون يولدون ويموتون أبدا والآخرة هي السماء لمن صار إليها بالعمل الصالح، والأرض بطن الحوت لمن صار إليها بالعمل السيّء وزعموا أنه أحلّ لهم الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وتأولوا في ذلك قول الله « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات . . . . » وانّ هذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . . » ولكان ما حرم شيئاً من ذلك.

ـ وزعمت فرقة منهم أنهم لم يستحلوا ذلك من هذه الآية ولكنهم زعموا أن للفرض حدا والامتحان نهاية إذ بلغها العبد سقطت عنه المحنة وذلك أن العبد إذا صلح وطهر وخلص وفارق الادناس ولم يأخذ الأمور على الأهواء لم يجز امتحانه ولم يحسن في المحكمة اختباره، كما أن امتحان الذهب الابريز

المصفى بالخل والنار خطأ، فكذلك إمتحان الطاهر النظيف الخاص يكون خطأ، وإنما يجوز أن يكون العبد ممتحنا مادام عند ربه ملطخا ممزجاً فلذلك يختبر ويفتش فاما إذا نقى وهذب فكل حرام على غيره حلال له وهذا قول قد قال به نساك البصريين مثل همام وحرب النجار وعبد السلام السرّ وطى، وقد كان حيّا أبو الأسود قد قال به زمانا فلما رجع من سنجان إلى البصرة تركه.

ولقولهم بهذه المذاهب حديث يطول به الكتاب، ولهم في ذلك اعلال كثير، وقد قالوا في عبد الله بن معاوية وما ادّعاه من تناسخ الأرواح غير ذلك أشعاراً كثيرة قال بعض أصحابه :

يرى الله منك تلاقى العيون وعار ببدنك لم يخلق

يعنى ما لاقاه المبصر منك مخلوق والروح التي فيك غير مخلوقة. وقال :

وإن شئت انطقت صمّ الجبال بعزّ وإن شئت لم تنطق

وأصحاب عبد الله بن معاوية يتسمّون المعاوية ويزعمون أن الأرواح تتناسخ فإن روح الله جل وعزّ عن ذلك كانت في آدم على مقالة فرقة من النصارى، وزعمت أن الأنبياء كلها آلهة ينتقل الروح من واحد إلى واحد، حتى صارت في محمد صلى الله عليه وسلم، ثم في على ثم في محمد بن الحنفية، ثم في ابنه أبي هاشم، ثم فيه وزعموا أن الدينا لا تفنى أبدا واستحلّوا الزنا وإتيان الرجال في أدبارهم.

فلما قتل أبو مسلم عبد الله بن معاوية في حبسه افترق أصحابه فرقا : ففرقة منهم ثبتت على إمامة ابن الحرب والقول بالغلوّ والتناسخ والأظلة والدور وادعوا أن هذه المقالات كان يرويها جابر بن عبد الله الأنصارى وجابر بن يزيد الجعفى وأن مذهبها كان هذا، وأبطلوا جميع الفرائض والشرائع والسنن »[٢٥].

---

(٢٥) كتاب « المقالات والفرق » لسعد القمى الشيعي ص ٣٩ - إلى - ٤٣.

وأضاف النوبختي أن الذين زادوا قوته وشوكته كانوا أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقا من أهل المدائن[٢٦].

وقد ذكره من السنة غير الطبري البغدادى في (الفرق بين الفرق)[٢٧]

وأيضاً الرازى في « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين »[٢٨].

فهذا هو عبد الله بن معاوية. وهذه هى آراؤه وأفكاره إلى أن جاء أبو الخطاب.

أبو الخطاب

إن أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص[٢٩] الأجدع أو محمد بن أبي ثور[٣٠] وكان يكنى بأبي ظبيان وبأبي إسماعيل[٣١]، له صلة وثيقة بنشأة الإسماعيلية وتكوينها وايجاد عقائدها ومعتقداتها التى تبنتها فيما بعد حسب مايراه الكثيرون ممن اعتنوا بالفرق من المتقدمين ـ وأخص بالذكر الشيعة منهم ـ والمتأخرين ـ المستشرقين منهم بوجه أخص ـ، ولذلك نعطيه أهميه في تطوير التشيع ودوره الذي قام به في نشر أفكاره وآرائه، وما كان يتبنّاه من المذهب والمسلك.

فإنّ أوسع من كتب عنه وعن عقائده هو سعد بن عبد الله القمى الشيعي المتوفى سنة مابين ٢٩٩ هـ ـ ٣٠١ هـ ويليه في هذا الخصوص شيعى

---

(٢٦) انظر « فرق الشيعة » للنوبختي ص ٣٤.

(٢٧) انظر : « الفرق بين الفرق » للبغدادي ص ٢٥٦.

(٢٨) أنظر ص ٥٩ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ م.

(٢٩) حسب رواية الأكثر.

(٣٠) حسب رواية المقريزي.

(٣١) أنظر « فرق الشيعة » للنوبختى ص ٣٩، ٦٩.

آخـر كتب في الفرق وهـو معاصره أيضـاً النوبختي[٣٢] المتـوفى مـابـين سنـة ٣٠١ هـ ـ و ٣١٠ هـ، ولـذلك نبـدأ بما أورده القمي مـع ذكـر الاضـافـات والزيادات من الآخرين الذين تناولوا ذكره وأفكاره من الشيعة والسنة لإلقـاء الضوء على نشأة الإسماعيلية، والدور الـذي قام بـه أبو الخـطاب، ونظريـاته التي صارت أساسا للإسماعيلية وأتباعه الذين احتضنوها وربّوهـا في حجرهم وأولوها رعايتهم واهتمامهم.

إن سعد بن عبد الله القمي ذكر أبا الخطاب في موضعـين من كتابـه مثل النوبختي تماما[٣٣] أولاً عند ذكـر الغلاة من الشيعـة بعد الكيسـانية، كفـرقة مستقلة رقم ١٠١ بعنوان « أصحاب أبي الخطاب »[٣٤].

وفي الموضع الآخر عند ذكر الإسماعيليـة ضمن الفرق التي افـترقت بعد وفـاة أبي عبد الله جعفـر بن محمد البـاقر بـرقم ١٥٨ بعنـوان « الإسـماعيليـة الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب »[٣٥].

وبـذلك يـظهر لأول وهلة أن القمي والنـوبختي مـاكـانـا يفـرقـان بـين الاسماعيلية والخطابية فخلاصة ما أورده القمي في كتابـه أن أبا الخـطاب كان في أصحاب جعفر[٣٦] ورواته[٣٧]، وادعى أنه جعله قيّمه ووصيه من بعده،

---

(٣٢) لا كما زعمه برنارد لويس بأن النوبختي أكثر تفصيلاً في الكتابة عن أبي الخطاب وأعـماله، لأن القمي ذكـر أشياء والـروابط بينه وبـين الإسماعيليـة، التي لم يذكـرها النـوبختي ولا غيره، ويبدو أن برنارد لويس لم يكن عنده كتاب القمي هذا.

(٣٣) أنظر: « رجال الشيعة » ص ٢٤٦ ط كربلاء.

(٣٤) أنظر « كتاب المقالات والفرق » لسعد عبد الله القمي ص ٥٠ وما بعد.

(٣٥) أيضاً ص ٨١.

(٣٦) ولا أدرى من أين أخـذ المستشرق الانجليزي بـرنارد لـويس أن أبا الخـطاب كان داعيـة للباقر وابنه جعفر (انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس، الطبعة العربية بتحقيق خليل جلو وجاسم الرجب ص ٩٨ ط دار الكتاب العربي مصر).

(٣٧) ان أبا الخطاب كان من أصحاب الصادق مستقيماً في أول أمـره « تنقيح المقـال » للمامقاني ج ٣ ص ١٨٩، وأعتمدوا على مروياته حال استقـامته ولأجـل ذلك عملت الـطائفة بمـا رواه أبو الخطاب في حالة إستقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه. « نفس المصدر ».

وكانت الأفكار والعقائد التى روّجها بين أصحابه هي :-

أولاً : لابد في كل عصر من رسولين : ناطق، وصامت، فكان محمد صلى الله عليه وسلم ناطقاً، وعلى صامتا.

ثانياً : إن الامام يتصور في أيّ صورة شاء.

ثالثاً : من عرف الإمام وضع عنه الأعمال.

رابعاً : إنّ الله يحلّ في أبدان الرسل والأئمة، وقد حل هذا النور في عبد المطلب ثم صار في أبى طالب، ثم في محمد، ثم في علىّ، وأخيراً في جعفر، ثم في أبى الخطاب.

خامساً : إن الأرواح والأجسام لا تموت وتفنى ولكنها تتحول ملائكة.

سادساً : تحليل الشهوات ما حل منها وما حرم من الزنا والسرقة والخمر والربا والدم ولحم الخنزير ونكاح المحرمات ونكاح الرجال، وقالوا : إن كلّ شيء فرضه الله في القرآن وحرّمه وأحلّه فإنما هو أسماء الرجال ».

لذلك لا حاجة إلى الصلاة والصيام والحج وغيره.

سابعاً : إن الإسماعيلية هى مجموعة أفكار أبى الخطاب وأصحابه، كما أنها تجمّع وتحشد من الخطابيين المتشعبين بجماعات أربعة : البزيعية، والمعمرية، وأصحاب السّرى الأقصم، والعجلية.[٣٨].

فهذا ما قاله القمى، والنوبختى أيضاً.

ويزيد الرجالى الشيعي القديم عبد العزيز الكشى الأمر بياناً ووضوحاً حيث يورد في كتابه المشهور روايات عديدة حوله عن جعفر بن الباقر، منها ما رواها عن بشير الدهان أنه قال :

---

(٣٨) وهم أصحاب المفضل الصيرفى ذكرهم الشهرستانى في ملله (أنظر « الملل والنحل » للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم ص ١٧ ط مكتبة المثنى بغداد).

« كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب : بلغني أنك تـزعم أن الزنا رجل ، وأن الخمر رجل ، أن الصلاة رجل ، والصيام رجل ، والفواحش رجل ، وليس هو كما تقول ـ وفي رواية ـ فقال : ما قام الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعلمون »[٣٩] .

« وعن عنبسة بن مصعب قال : قـال لى أبو عبـد الله عليه السـلام أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول إنـك وضعت يدك عـلى صدره وقلت له : عه ولا تنس وأنك تعلم الغيب ، وانك قلت له : هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيـائنا وأمـواتنا . قـال : لا والله ما مس شيء من جسدى جسده إلا يده . وأما قـوله انى قلت « اعلم الغيب » فـوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ولا آجرني الله في أمـواتى ولابارك لى في أحيـائى إن كنت قلت له قال : وقدامه جويريه سوداء تدرج قال : لقـد كان منى إلى أم هذه ـ أو إلى هذه ـ بخطة القلم فأتنى هذه ، فلو كنت أعلم الغيب ماكانت تأتينى ، ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصـابنى الجبل ، فلو كنت أعلم الغيب لأصـابني السهـل والشرب وأصابه الجبل وأما قوله انى قلت « هـو عيبة علمنـا وموضـع سرنا أمـين على أحيائنا وأمـواتنا ، فـلا آجرنى الله في أمـواتى ولا بارك لى في أحيـائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط »[٤٠] .

وأيضاً عن مصادف أنه قال :

« لما لبى القوم الذين لبوا بالكوفة دخلت على أبي عبـد الله عليه السـلام فأخبرته بذلك فخر ساجدا ودق جؤجؤه بـالأرض وبكى وأقبل يلوذ بـأصبعه ويقول : بل عبد الله قن داخر ، مرارا كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيـل على لحيته ، فندمت عـلى إخبارى إيـاه فقلت : جعلت فداك ومـا عليك أنت من

---

(٣٩) « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين » المعـروف بـ «رجال الكشى » لأبى عمـرو بن عبد العزيز الكشى ص ٢٤٧ ط مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ كربلاء .
(٤٠) أيضاً ص ٢٤٨ تحت ذكر أبي الخطاب .

ذا، فقال : يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقا على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكتّ عما قال فيّ أبو الخطاب لكان حقا على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى »[٤١].

وأخيراً ما رواه بطريق على بن الحسان أن أبا عبد الله :

« ذكر عِندَه جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقيل : انه صار إلى يتردد وقال فيهم وهو الذي في السماء آله وفي الأرض إله قال هو الإمام فقال أبو عبد الله عليه السلام لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ماصغر عظمة الله تصغيرهم شيئاً قط، وان عزيرا جال في صدره ما قالت اليهود فمحى الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقرّبما قالت فيه النصارى لأورثه الله صمما إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيّ « أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شيء ولا نفع شيء »[٤٢].

ويتخلص منها غير ما مر ـ أن الأئمة يعلمون الغيب ـ وأنهم آلهة يلبى إليهم بالحج ـ وإله السماء هو الرب، وإله الأرض هو الإمام ـ وتبرؤ جعفر الصادق منه ومن تبعه تبرءا كاملا، والاعتراف بالعبودية المحضة وعدم معرفة الغيب، والإعلان بعدم الاختيار بنفع أحد أو ضرّه وحتى شخصه نفسه.

فهذا ملخص ما ذكره الشيعة من المتقدمين من أصحاب الفرق والرجال، وتبعهم آخرون من المتأخرين مثل المامقانى[٤٣] والاسترابادى[٤٤] والأردبيلى الحائرى[٤٥]، وزاد أنّ له رواية عن أبي عبد الله جعفر في (تهذيب الأحكام) للطوسى ـ إحدى الصحاح الأربعة الشيعية في باب فضل

---

(٤١) أيضاً ص ٢٥٣.
(٤٢) أيضاً ص ٢٥٤، ٢٥٥.
(٤٣) أنظر « تنقيح المقال » ج ٣ ص ١٨٩.
(٤٤) انظر « منهج المقال ».
(٤٥) انظر « جامع الرواة » ج ٢ ص ٣.

التجارة. وغيرهم[٤٦] أللهم إلا ماذكره الكاتب الوراق الشيعي المشهور إبن النديم في فهرسته نقلا عن أبي رزام ما هو هام وخطير بالنسبة للموضوع، وهو أن الميمونية ميمون القداح وابنه عبد الله وأصحابه المؤسسين الحقيقيين للإسماعيلية مباشرة كانوا من أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب[٤٧].

فان هذا النص له أهميته وخطورته في معرفة الاسماعيلية والعناصر التي تكونت منها مصرحاً، دون الإستنتاج ومقارنة الأفكار والآراء من هؤلاء وأولئك، ولو أن هذه العلاقة المباشرة بين المأمونية والخطابية موجودة في كتب أهل السنة من كتب منهم في الملل والنحل وفي التاريخ أيضاً، وكما أن العقائد التي اعتنقها الإسماعيلية وأظهرتها للناس هي عين تلك العقائد الخطابية كما سنبرهنها فيما بعد في محلها.

فان هذه الرواية ـ ولو أنها سنية المصدر ـ من كتاب شيعي تؤيدها رواية شيعية نصيرية بأن ميمون كان من اتباع أبي الخطاب[٤٨].

وذكر ما سنيون عن كتابات النصيرية في مقاله عن سلمان : عقائد وأفكار ميمون القداح شبيهة بآراء أبي الخطاب أيضاً[٤٩].

وأما كتب السنة فقد أفادت الباحث بأشياء زائدة على ذلك تمكنوا من استفادتها من كتب الشيعة، فإن من أهل السنة من ذكر أبا الخطاب وأصحابه وأفكاره كالأشعري[٥٠].

---

(٤٦) انظر كتب رجال الشيعة من النجاشي، والخلاصة للحليّ، والخوانساري، ومنتهى المقال وغيرها.

(٤٧) انظر « الفهرست » (لإبن النديم ص ٢٦٤ تحت عنوان « الكلام على الإسماعيلية » ط دار المعرفة، بيروت.

(٤٨) انظر مقال ماسنوين عن النصيرية في دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس ص ١٠٤.

(٤٩) انظر مقال ماسنيون سلمان الفارسي والبواكير الروحية للإسلام في إيران عن كتاب « شخصيات قلقة في الاسلام » ص ٤١ ومابعد ط مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٦ م.

(٥٠) انظر « مقالات الإسلاميين » ص ١٠ بتصحيح هلموت ريتر ط فرانز شتايز بقبادن.

والملطى[٥١]
والبغدادى[٥٢]
وابن حزم[٥٣]
والإسفرائينى[٥٤]
والشهراستانى[٥٥]
والرازى[٥٦]
وغيرهم من الذين كتبوا في الفرق.

ومن المؤرخين الجوينى[٥٧]
ورشيد الدين الهمدانى[٥٨]
والمقريزى[٥٩]
والنويرى[٦٠]

وابن الأثير، وغيرهم الكثيرون الكثيرون.

وملخص ما ورد في هذه الكتب زيادة على ما ذكر في كتب الشيعة أن أبا الخطاب وأصحابه كانوا يقولون : إن لكل ظاهر باطنا، وأن ظاهر القرآن

---

(٥١) انظر « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ص ١٥٤ ومابعد ط مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٤٩ م.
(٥٢) انظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٤٧ وما بعد.
(٥٣) انظر « الفصل في الملل والنحل » ج ٤ ص ١٨٧ ومابعد.
(٥٤) انظر « التبصير في الدين » ص ١٢٦، ١٢٧ عالم الكتب بيروت.
(٥٥) انظر « الملل والنحل » ج ٢ ص ١٥ على هامش الفصل.
(٥٦) انظر « اعقادات فرق المسلمين والمشركين » ص ٥٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٢ م.
(٥٧) انظر « تاريخ جهانكشاه » ترجمة عربية بقلم الدكتور محمد السعيد ص ١٥٧ ط مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٧١ م.
(٥٨) انظر « جامع التواريخ » فارسى ص ٩ ومابعد.
(٥٩) انظر « الخطط والآثار » ج ٢ ص ٣٥٢ ط دار صادر بيروت الطبعة الجديدة بالأوفست.
(٦٠) انظر « نهاية الارب في فنون الادب » قسم خاص، المدرج في « أخبار القرامطة » لسهيل زكار ص ٣٠٥ ومابعد.

يحتاج للفهم الصحيح إلى التأويل[٦١].

وقالوا بالتناسخ[٦٢]

وإن الائمة مفترض طاعتهم على جميع الخلق[٦٣].

وتكفير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة أبا بكر وعمر وعثمان، وتسميتهم بالخمر والميسر والجبت والطاغوت.[٦٤].

والتصريح بأن أبا الخطاب هو المؤسس الحقيقى للعقائد التي تبنتها الاسماعيلية فيما بعد. وأن ميمون القداح وابنه عبد الله كانا من دعاته وأكابر علماء طائفته[٦٥].

أو « إن أول من قام بالدعوة الاسماعيلية أبو شاكر ميمون كان ممن صحب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد فألقوا إلى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا، وأن الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة، ولا صوما ولا حجا، ولا حرم عليهم شيئاً من المحرمات، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات، وإنما هذه العبادات عذاب على العامة، وأهل الظاهر، وهى ساقطة عن الخاصة، يقولون ذلك لمن يثقون به ويسكنون إليه[٦٦].

وأيضاً « فلمّا يئس اعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه.

---

(٦١) انظر « الفصل » لابن حزم « والملل » للشهرستانى.

(٦٢) انظر « الخطط » للمقريزى.

(٦٣) انظر « مقالات الإسلاميين للاشعرى.

(٦٤) انظر « التنبيه والرد » للملطى ص ١٥٤ ط مكتبة الخانجى القاهرة.

(٦٥) انظر « جامع التواريخ » الجزء الخاص للإسماعيلية، فارسى من مقدمة الكتاب ص ٩ ط طهران ١٣٣٨ هـ بتحقيق محمد تقى دانش بزوره.

(٦٦) « نهاية الارب » للنويرى القسم الخاص بذكر الإسماعيلية ص ٣٠٥ وما بعد من كتاب « أخبار القرامطة ».

فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد. وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة. وغيرهما فالقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الائمة والابواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئاً، وأباحوا لهم نكاح الامهات. والاخوات وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة، وتفرق أصحابهم في البلاد واظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة. وكان أصحابه قالوا له: إنا نخاف الجند فقال لهم: إن اسلحتهم لا تعمل فيكم، فلما ابتدأوا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه: ألم تقل: إن سيوفهم لا تعمل فينا؟ فقال إذا كان قد أراد الله فما حيلتى؟ وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشعبذة، والنارنجيات، والزور. والنجوم. والكيميا فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم وعلى العامة بإظهار الزهد، ونشأ لابن ديصان ابن يقال له: عبد الله القداح علّمه الحيل واطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم »(٦٧).

وهذه كلها نصوص خطيرة تخبر وتنبىء عن علاقة الإسماعيلية بأبي الخطّاب بوساطة ميمون القداح وابنه عبد الله، كما تزيل اللثام عن العقائد التى بثّتها الخطابية بفروعها المختلفة، وهى عين العقائد التى اعتنقها الإسماعيلية وتولّت نشرها بين الناس كما سيلاحظ القارىء في معتقدات الإسماعيلية من هذا الكتاب.

وقبل أن نأتى إلى آخر الكلام في أبي الخطاب والخطابية نريد أن نثبت ههنا ما أورده كتاب إسماعيلى سرّى هام هو:

---

(٦٧) « الكامل » لابن الاثير ج ٦ ص ١٢٥، ١٢٦، ط دار الكتاب العربى لبنان ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

« ان المذهب الاسماعيلى هو ما أوجده ذرية أبى الخطاب بتفديتهم أنفسهم على أبناء جعفر الصادق وإسماعيل لكى يبقى مذهبهم ويدوم »(٦٨).

والجدير بالذكر أن الاسماعيلية لم يذكروا في كتبهم أبا الخطاب إلا قليلا مثل ما ذكره النعمان بن محمد المغربى قاضى قضاة الإسماعيلية في (دعائم الاسلام)(٦٩) أو إدريس عماد الدين الداعى المطلق في كتابه « عيون الاخبار »(٧٠).

ولكن الواضح بأن هذين الكتابين من كتب الظاهر، وليسا من الكتب السرية فلذلك لا يعتمد عليهما ولا على نقدهما وجرحهما إياه.

وعلى كلّ، إننى لأرى رأى ماسنيون وفريد ليندر من الباحثين المستشرقين بأن المؤسس الأول للإسماعيلية هو أبو الخطاب، كما أوافق القمى والنوبختى على أن الخطابية هم الإسماعيلية الخالصة.

ولا أرى ميمون القداح إلا أحد الخطابيين أو ممن هضم آراء الخطابية وتبناها كاملة مع دهائه ومكره، ويقظته وبعد نظره، ومحافظته على سرّه حيث استطاع أن يبقى نفسه في حاشية جعفر بن الباقر تلميذا مجتهدا وخادما مخلصاً، كما كان لأبيه محمد الباقر أيامه، حتى استطاع أن يكون هو وابنه كفلين لابن جعفر إسماعيل وابنه محمد بن إسماعيل، عكس أبى الخطاب فانه تجاهر بالقول حتى تبرأ منه جعفر ولعنه على رءوس الاشهاد.

---

(٦٨) « امّ الكتاب » المنشور في « إسماعيلية » لإيوانوف ص ٩٧ ليدن برل ١٩٣٦ م.
(٦٩) ج ١ ص ٤٩ ص ٥٠ ط دار المعارف مصر ١٣٨٣ هـ.
(٧٠) « عيون الأخبار » للداعى ادريس عماد الدين السبع الرابع ص ٣٨٧.

إسماعيل بن جعفر وميمون القداح وابناهما

فهذه علاقة ميمون القداح وابنه عبد الله مع أبي الخطاب والخطابية، وقبل أن نذكرهما وسيرتهما ومخططاتهما مع الجهود الجبارة التى بذلاها لنشر الإسماعيلية ودمج أفكار الخطابية فيها وبث سمومها، واستيلائهما على الدعوة كاملة والتخلص من محمد بن اسماعيل ثم اغتصاب عبد الله القداح الامامة وانتسابه إلى البيت العلوى.

نريد أن نذكر أن اسماعيل بن جعفر بن الباقر من جانب آخر كان أيضاً ممن استهوته الخطابية وأضلته، خدعته، وأغوته، وافترسته، وأوقعته في حبائلها وشراكها، وكان على اتصال وثيق مع أبي الخطاب نفسه، كما كان يعيش في كنف الخطابية وحجرهم، ينهج منهجهم، ويسلك مسلكهم، ويرى رأيهم، ويأتى أعمالهم وأفعالهم لذلك تبرّأ منه جعفر والده، كما تبرّأ من أبي الخطاب والخطابيين الآخرين.

ويشهد على اتصاله الوثيق وروابطه المتينة مع الخطابيين روايات عديدة منثورة في كتب الشيعة، منها ماروواه الكشى عن حماد بن عثمان قال :

« سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للفضل بن عمر الجعفى : ياكافر يا مشرك مالك ولإبنى، يعنى إسماعيل بن جعفر وكان منقطعا إليه يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده ». [٧١].

---

(٧١) « رجال الكشى » ص ٢٧٢.

وروى أيضاً عن اسماعيل بن جعفر أنه قال :

قال أبو عبد الله : إيت المفضل وقل له : يا كافر، يا مشرك ! ما تريد إلى ابني تريد أن تقتله ؟ »(٧٢).

وكان المفضل بن عمر هذا من المعتمدين لدى جعفر حتى أن الكشي قد ذكر عن ابن أبي عمير :

« ان الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما احدث خرجوا إلى أبي عبد الله عليه السلام فقالوا : أقم لنا رجلا نفزع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام. قال : لا تحتاجون إلى ذلك متى ما احتاج أحدكم عرج إلى وسمع مني وينصرف. فقالوا : لابد. فقال : قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا منه واقبلوا عنه، فانه لا يقول على الله وعليّ إلا الحق »(٧٣).

ولكنه لم يلبث إلا قليلا حتى اكتشف حقيقته كما ذكر ذلك الكشي أيضاً :

« فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا : « أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام ويقطعون الطريق، والمفضل يقرّبهم ويدينهم »(٧٤).

هذا ولقد ذكر الكشي أمره ببعض التفصيل حيث روى عن محمد بن سنان :

« عدة من أهل الكوفة كتبوا إلى الصادق عليه السلام فقالوا : إن المفضل يجالس الشطار وأصحاب الحمام وقوما يشربون الشراب ينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم. فكتب إلى المفضل كتابا وختمه ودفعه إليهم

---

(٧٢) أيضا ص ٢٧٤.
(٧٣) « رجال الكشي » ص ٢٧٧.
(٧٤) أيضاً رجال الكشي.

وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل فجاءوا بالكتاب إلى المفضل منهم زرارة وعبد الله بن بكير ومحمد بن مسلم وأبو بصير وحجر بن زائدة ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه فاذا : « بسم الله الرحمن الرحيم اشتر كذا وكذا واشتر كذا » ولم يذكر فيه قليلا ولا كثيرا مما قالوا فيه، فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة ودفع زرارة إلى محمد بن مسلم حتى دار الكتاب إلى الكل. فقال المفضل : ماذا تقولون ؟ قالوا : هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك ثم لم ندرك الا نزال بعد نظر في ذلك، وأرادوا الانصراف فقال المفضل : تغدوا عندى، فأجلسهم لغدائه ووجه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم، فجاءوا وقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام فرجعوا من عنده، وجلس هؤلاء ليتغدوا فرجع الفتيان وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفا وألفين وأقل وأكثر، فحضروا وأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء. فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلاتكم وصومكم»(٧٥).

وهناك رواية أخرى تنبىء بأن المفضل بن عمر كان من أحد المحرضين على أن يجعل إسماعيل في منصب أبيه بعده لما روى عن إسماعيل بن عامر قال :

« دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فوصفت إليه الائمة حتى انتهيت إليه فقلت : إسماعيل من بعدك. فقال : أماذا فلا فقال حماد فقلت لإسماعيل وما دعاك إلى أن تقول وإسماعيل من بعدك ؟ قال : أمرنى المفضل بن عمر »(٧٦).

وقد ذكر الكشى عقيدة المفضل بن عمر وغيره من الخطابيين بقوله :

---

(٧٥) أيضاً ص ٢٧٦، ٢٧٧.
(٧٦) أيضا ص٢٧٦.

« وإنهم يقولون إن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفى عن الصوم والصلاة وإله الأرض إمام »[٧٧].

كما ذكر عقيدة المفضل في أبي الخطاب بقوله :

« لقد قتل مع أبي اسماعيل - يعنى أبا الخطاب - سبعون نبيا كلهم رأى وهلك نبينا فيه، وان المفضل قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام ونحن إثنا عشر رجلا قال : فجعل أبو عبد الله يسلم على رجل رجل منا ويسمى كل رجل منا باسم نبي وقال لبعضنا: السلام عليك يا نوح، وقال لبعضنا : السلام عليك يا ابراهيم، وكان آخر من يسلم عليه وقال : السلام عليك يايونس، ثم قال لاتخاير بين الانبياء »[٧٨].

والجدير بالذكر أن المفضل بن عمر هذا هو العمدة لروايات إسماعيلة كثيرة يرويها الإسماعيلية في كتبهم، وقد روى عنه النعمان بن محمد المغربي قاضى قضاة الإسماعيلية روايات عديدة في كتبه المختلفة وخاصة في (دعائم الاسلام) أول كتاب فقهى إسماعيلى، وجعله ممن يرجع ويسكن إليه لأخذ علوم آل البيت العلوى حيث أن جعفرا جعله معتمده[٧٩].

هذا ونرجع إلى موضوعنا الذى كنا فيه ونقول : إن صدوق الشيعة إبن بابويه القمى أورد في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) روايات أخرى تصرح أيضاً على اعتناق إسماعيل المبادىء الخطابية، كما روى عن الحسن بن راشد أنه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : عاص، لا يشبهنى ولا يشبه أحدا من آبائى ».

وأيضاً عن عبيد بن زرارة قال : ذكرت إسماعيل عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : والله لا يشبهنى ولا يشبه أحدا من آبائى .

---

(٧٧) أيضا ص ٢٧٥ .

(٧٨) أيضا ص ٢٧٤، ٢٧٥ .

(٧٩) انظر « دعائم الاسلام » للنعمان بن محمد المغربى المكى بأبي حنيفة قاضى قضاة الاسماعيلية ص ٥١ ط دار المعارف مصر بتحقيق آصف على فيضى.

وأيضاً عن الوليد بن صبيح قال : جاءني رجل فقال لي : تعال حتى أريك إبن الرجل قال : فذهبت معه، قال : فجاء بي إلى قوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر، قال : فخرجت مغموماً فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت يبكى قد بلّ استار الكعبة بدموعه، قال فخرجت أشتدّ فإذا اسماعيل جالس مع القوم فرجعت فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه، قال : فذكرت ذلك لأبي عبد الله (عليه السلام) فقال : لقد ابتلى إبني بشيطان يتمثل في صورته(٨٠).

وقد أورد المامقاني رواية أخرى أن جعفر نهاه عن اعطاء ماله شارب الخمر فلم ينته(٨١).

ورواية أخرى في الكشي أيضاً تدل على شرب إسماعيل الخمر(٨٢).

وروى الكشي أيضاً عن عنبسة العابد أنه قال :

« كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة حين أتى ببسام وإسماعيل بن جعفر بن محمد فأدخلا على أبي جعفر. قال : فأخرج بسام مقتولا وأخرج إسماعيل بن جعفر بن محمد قال : فرفع جعفر رأسه إليه قال : أفعلتها يا فاسق ابشر بالنار »(٨٣).

وهناك روايتان آخريان في الكشي ولو أنهما لا تتعلقان بموضوعنا مباشرة، لكنهما تخبران عن شيء زائد عما ورد في هذه الروايات :

أولاً : عن جرأة إسماعيل وإقدامه.

ثانياً : عن عدم مبالاته واكتراثه بأبيه ومجاهرته بالخلاف معه.

---

(٨٠) كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي ج ١ ص ٧٠ ط دار الكتب الاسلامية طهران ١٣٩٥ هـ.

(٨١) « تنقيح المقال » للمقاماني ج ١ ص ١٨٠ ط طهران.

(٨٢) انظر « رجال الكشي » ص ٤٠١

(٨٣) انظر « رجال الكشي » ص ٢١١.

فالرواية الأولى ماوراه الكشي عن المسمعي قال :

« لما أخذ داود بن على المعلى بن خنيس حبسه وأراد قتله فقال له معلى بن خنيس : أخرجني إلى الناس فان لى دينا كثيراً ومالا حتى أشهد بذلك، فأخرج إلى السوق فلما اجتمع الناس قال : ياأيها الناس أنا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني، اشهدوا أن ما تركت من مال من عين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد عليه السلام قال : فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله. قال : فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتى دخل على داود بن على وإسماعيل إبنه خلفه فقال : يا داود قتلت مولائى وأخذت مالى. فقال : ما انا قتلت ولا أخذت مالك. فقال : والله لأدعون الله على من قتل مولائى وأخذ مالى. فقال : ماقتلته ولكن قتله صاحب شرطتي. فقال : بإذنك أو بغير إذنك ؟ فقال ؟ بغير إذنى. فقال : ياإسماعيل شأنك به. قال : فخرج إسماعيل والسيف معه حتى قتله في مجلسه »(٨٤).

والرواية الثَّانية ماروواه الكشي أيضاً عن الفيض بن المختار أنه قال :

قلت لأبي عبد الله : جعلت فداك ماتقول في الأرض أتقبلها من السلطان ثم أؤاجرها آخرين على أن ما أخرج الله منها من شيء كان من ذلك النصف أو الثلث أو أقل من ذلك أو أكثر ؟ قال : لا بأس. قال له إسماعيل إبنه : يا أبت لم تحفظ قال : فقال يابنى أو ليس كذلك أعامل اكرتى، إن كثيراً ما أقول ألزمنى فلا تفعل. فقام إسماعيل فخرج فقلت : جعلت فداك وما على إسماعيل ألا يلزمك إذا كنت أفضت إليه ألا يشك من بعدك كما أفضت إليك بعد أبيك. قال : فقال يافيض إن إسماعيل ليس كأنا من أبي. قلت : جعلت فداك فقد كنا لانشك أن الرحال ينحط إليه من بعدك وقد قلت فيه ما قلت فان كان ما يخاف وأسال الله العافية فإلى من ؟ فامسك عنى »(٨٥)

(٨٤) أيضاً ص ٣٢٣، ٣٢٤ تحت ترجمة معلى بن خنيس.

(٨٥) « رجال الكشي » ص ٣٠٢ تحت ترجمة الفيض المختار.

فهذا ما ورد في كتب الشيعة من روايات عن إسماعيل بن جعفر أنه كان معتنقا للعقائد الخطابية، مخالطا بالخطابيين، محببا مقربا إليهم، مخالفا لابيه، ولذلك تبرأ منه جعفر، كما تبرأ من المحيطين به والمجتمعين حوله يؤيد ذلك ما ذكره عطاء ملك الجويني ورشيد الدين الخواجه الهمداني في كتابيهما، فيقول الجويني عند ذكر نشأة الاسماعيلية : إن جعفر الصادق كان له أربعة أولاد أكبرهم إسماعيل الذي كان حفيدا للحسن من جهة أمه . . . . وقد نص على إبنه إسماعيل غير أن اسماعيل كان يعاقر الخمر فأنكر جعفر الصادق عليه، وقد روى عنه أنه قال : إن إسماعيل ليس إبني لكنه شيطان ظهر في صورته، ونقلوا عنه أيضاً أنه قال : يد الله في أمر إسماعيل . . . أما الطائفة المذكورة التي انتقلت من الكيسانية إلى الروافض فقد انضمت إلى إسماعيل وانفصلت عن الروافض وقالوا : الأصل هو النص الأول، ولا يجوز البداء على الله، وكل من يعرف باطن الشريعة لا يعاقب إذا ما أغفل الظاهر، وكل ما يأتيه الإمام من قول أو فعل فهو حق إذا لم يتطرق خلل أو نقصان إلى إسماعيل من جراء شرب الخمر »(٨٦) .

وبمثل ذلك قال الهمداني(٨٧) .

فهذا هو إسماعيل بن جعفر، وهذه أعماله وأفعاله، وعلاقته مع الشيعة الخطابية وأبي الخطاب أيضاً حيث كانا معاصرين، واستدل بعضهم على أن أبا الخطاب لم يكن يكنّى بأبي إسماعيل إلا لأنه كان مربيا لإسماعيل بن جعفر ومتبنيا له بالأبوة الروحانية » وقالوا : إن الاختيار الإلهي بالتبنى الروحي هو وحده المعتبر، وعلى هذا لقبوا سلمان . . كما لقبوا خليفته أبا الخطاب بلقب « أبو إسماعيل »(٨٨) .

---

(٨٦) « تاريخ جهانكشاه » ترجمة عربية للدكتور محمد السعيد ص ١٥٣ .

(٨٧) انظر « جامع التواريخ » لخواجه رشيد الدين الهمداني قسم خاص بالاسماعيلية ص ٩ .

(٨٨) انظر مقال ماسنيون عن سلمان ترجمة عربية للبدوى المدرج في كتاب « شخصيات قلقة في الاسلام » ص ١٩ ، أيضا « أصول الاسماعيلية » لبرنارد لويس ترجمة عربية ص ١١٠ .

وهـذه هى الأسباب التي جعلت جعفـر بن محمد البـاقر يتـبرأ منـه ومن أعوانه وأنصـاره وجماعتـه، من أبى الخطاب والمفضـل بن عمر وبنـان ومبارك وعمرو النبطى وغيرهم، ولعنهم إياه.

وأما قول الشيعة واختلافهم في سبب عـزل جعفر إسـماعيل عن منصب الإمامة بعده أو عدم عزله إياه أو انتقال الإمامة إليه لكونه إبَنِه البكـر الأكبر، ومنه إلى ولده محمد بن إسماعيل.

أو لعدم انتقالهـا إليه لمـوته في حيـاته وانتقـالها إلى مـوسى الابن الأصغر الآخر.

أو لعدم موت إسماعيل مع إظهار موته، وظهوره في البصرة بعدئذ.

أو لموته في حياة أبيه ولكن لعـدم رجوع الإمـامة إلى أخيـه دون إبنه لأن الإمامة لا ترجع القهقرى، ولا تكون في الأخوين بعد الحسنين.

فلقد وردت فيها روايات عديدة متضاربة، نورد زبدتها وعصارتها بايجاز واختصار.

فيذكر كـل من سعد بن عبـد الله القمى، وأبى محمد الحسن بن مـوسى النوبختى، وكذلك محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالمفيـد، وأبى على الطبرسى، وعلى بن موسى الأربلى وغيرهم من الشيعة الإثنى عشرية.

« كان إسماعيل أكبر الإخوة، وكان الشيعـة يظُنـون أنه القـائم بعد أبيـه والخليفة له من بعده لكنه مات في حياة أبيه بالعـريض فحمل إليـه بالمـدينة، فـأمر بـوضع سريـره على الأرض قبـل دفنه مـراراً كثيرة، وكـان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق وفاته عند الظانين بالخلافة له من بعـده، وإزالة الشبهة عنه في حياته فانتقلت الإمامة إلى موسى بن جعفر »[٨٩].

---

(٨٩) انـظر « كتاب المقـالات والفرق » لسعـد القمى ص ٨٨، ٨٩، أيضاً « فـرق الشيعـة » للنوبختى ص ٩٩، ١٠٠، أيضاً « الارشاد » للمفيد ص ٢٨٥، أيضاً « اعلام لاورى » للطبرسى ص ٢٩٢، أيضاً « كشف الغمة » للاربلى ج ٢ ص ٣٩٢.

فهذه رواية الشيعة الإثنى عشرية قاطبة الذين يعدون موسى بن جعفر وريث أبيه والحائز على الإمامة بعده.

ويوافقهم أهل السنة في مسألة موت إسماعيل في حياة أبيه جعفر بقطع النظر عن وريثه في الإمامة وبدون ذكر من يخلفه بعده(٩٠).

وأما الاسماعيلية فقد اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً.

فقال قوم منهم بهذه المقولة أي أن إسماعيل مات في حياة أبيه، منهم النعمان القاضي في كتابه « شرح الاخبار »(٩١).

وحاتم بن عمران بن زهرة في رسالته « الأصول والأحكام »(٩٢) وحاتم بن إبراهيم الحامدى في مجالسه(٩٣) وإدريس عماد الدين في كتابه « عيون الاخبار وفنون الآثار »(٩٤) والحسن بن نوح الهندى في كتابه « كتاب الازهار ومجمع الانوار »(٩٥).

وعبد الله المرتضى الإسماعيلي في كتابه « الفلك الدوار »(٩٦).

ولكنهم مع ذلك قالوا: إن جعفر نص عليه في حياته، فبقيت الإمامة في عقبه كما ذكر كل من النعمان القاضى، وإدريس عماد الدين الداعى، والحسن بن نوح الهندى وغيرهم أن إسماعيل بن جعفر توفى في حياة أبيه جعفر بعد أن قد نص عليه بالإمامة:

---

(٩٠) انظر « الملل والنحل » للشهرستانى و « ابن خلدون » و « المقريزى » غيرهم.

(٩١) نسخة خطية.

(٩٢) انظر رسالة « الأصول والأحكام » للداعى حاتم بن عمران ص ١٢١ من « خمس رسائل إسماعيلية ».

(٩٣) انظر مجالس سيدنا حاتم بن إبراهيم الحامدى ص ١٠٧ من « المنتخب » لايوانوف.

(٩٤) انظر « السبع الرابع » من « عيون الاخبار » للداعى ادريس عماد الدين ص ٣٣٤ ط دار الاندلس بيروت ١٩٧٣ م.

(٩٥) انظر ص ٢٣٤ من « منتخبات اسماعيلية، تحقيق الدكتور عادل العواء ط: مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٨ هـ.

(٩٦) انظر « الفلك الدوار » ص ١٢٥.

« ولم يفارق الدنيا ولم ينتقل عنها (عليه السلام) إلى دار الثواب التي هى خير وأبقى حتى نص على ولده جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وذلك بأمره وحضرته. وبذلك عرف الإمام جعفر (عليه السلام) خواص شعيته دون غيرهم سترا على ولى الزمان، وخيفة وتقية عليه، فلم يعرف الأمر في ذلك إلا القليل المخلصون المختصون من الشيعة، العارفون بسر الامامة الذين قد علموا أنها لا ترجع إلى الوراء، ولا تعود القهقرى، ولا تكون إلا في واحد بعد والده إلى ولد عن والد»(٩٧).

وزاد إدريس : وكان الإمام إسماعيل بن جعفر عليه السلام قد اختص عبد الله بن ميمون القداح وأقامه حجة له ولابنه محمد بن إسماعيل عليه السلام ودليلا عليهما، وهاديا إليهما، بأمر الصادق عليه السلام. فخرج عبد الله بن ميمون إلى مكة، وأظهر الدعوة إلى أهل البيت »(٩٨).

وكان محمد بن إسماعيل قد كبر آنذاك على رأى أكثر القائلين بهذا القول من الإسماعيلية « وكان الإمام محمد بن اسماعيل عليه السلام حين قبض أبوه ابن ست وعشرين سنة »(٩٩).

ولكن عبد الله المرتضى الإسماعيلى يقول : إنه لم يكن مولودا آنذاك بل كان في بطن أمه « فما لبث إسماعيل بعد النص عليه بالإمامة سوى زمن وجيز حتى توفى فترك زوجه حاملا (ب محمد الحبيب) ولقد القى على هذا الإمام المصون وهو لا يزال في (زجاجته الدرية) سر الإمامة الذقيق وفيضها العذب الأنيق أمام بضعة من الدعاة والحدود »(١٠٠).

---

(٩٧) « كتاب الازهار ومجمع الأنوار » ص ٢٣٥ من « منتخبات إسماعيلية » وكذلك « عيون الاخبار » للداعى إدريس ص ٣٣٤، ٣٣٥ وأيضاً « شرح الاخبار » للنعمان القاضي. نسخة خطية.

(٩٨) « عيون الاخبار » السبع الرابع للداعى ادريس ص ٣٣٥.

(٩٩) انظر « عيون الاخبار » السبع الرابع ص ٣٥١.

(١٠٠) الفلك الدوار ص ١٢٥.

وقال الآخرون : إن إسماعيل لم يمت إلا بعد موت إبيه، ولم يكن تظاهره بالموت إلا خوفا من سلطان بنى العباس وتسترا عليه عملا للدعوة في الاخفاء، ولذلك رئى إسماعيل بعد التظاهر بالموت بأيام في البصرة، كما ذكر كل من جعفر بن منصور اليمن(١٠١).

والداعى إدريس في كتابه « زهر المعانى »(١٠٢)

وإبراهيم بن الحسين الحامدى(١٠٣)

وصاحب كتاب « مسائل مجموعة من الحقائق العالية »(١٠٤).

والداعى الإسماعيلى محمد بن على الصورى(١٠٥)

والداعى إدريس عماد الدين(١٠٦).

وصاحب كتاب « دستور المنجمين »(١٠٧).

وغيرهم من الإسماعيلية النزارية المتأخرين(١٠٨).

« إن جميع المقامات من نبىّ أو وصىّ أو إمام صلوات الله عليهم جميعاً إذا طرقته مادّة العقل الأول بوساطة العاشر وسائر حدود عالم العقل قدر على

---

(١٠١) انظر « أسرار النطقاء » ص ٨١ من « المنتخب » لإيوانوف « فلما غيّب شخصه في حياة أبيه سرا من أعدائه ومحنة لأوليائه » (أسرار النطقاء « لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١ من » « المنتخب » لإيوانوف ط أجمل بريس بومبىء).

(١٠٢) انظر « زهر المعانى » ص ٤٧ ومابعد.

(١٠٣) انظر « كنزالولد » ص ١٩٢ ط دار الاندلس، بيروت.

(١٠٤) انظر ص ١٥، ١٦ من « أربعة كتب اسماعيلية » نشر شتروطمان ط غونتينغن.

(١٠٥) وكان سلطان بنى العباس في ذلك الوقت شديد البأس
وهو الذي أوجب خوف مقته غيبة اسماعيل قبل وقته

(القصيدة الصورية ص ٦٧ ط عارف تامر دمشق ١٩٥٧ م).

(١٠٦) « ولما ان لاسماعيل الأجل تلبيسا على الضد لشدة حسده وبغيه » (زهر المعانى » لإدريس عماد الدين، الباب السابع عشر ص ٤٧ من « المنتخب » لايوانوف.

(١٠٧) « دستور المنجمين » نقلا عن « أصول الاسماعيلية » لبرنارد لويس ص ١٠٢.

(١٠٨) انظر « أعلام الاسماعيلية » لمصطفى غالب ص ١٦٥ ط دار يقظة بيروت ١٩٦٤ م، و « نور مبين » تاريخ الإسماعيلية باللغة الأردية، لا . ج . جنارا الاسماعيلى ص ١٢٦. أيضاً « موسم بهار » تاريخ الإسماعيلية باللغة الكجراتية ص ١٩٥.

أن يفعل ما شاء من الأمور المعجزة التي لا يقدر عليها البشر فلما كان مولانا الصادق صلوات الله عليه في زمان ابي جعفر أبي الدوانيق وقد كان ملك الأرض كلها وقال لمولانا الصادق أنا أعلم إنك الإمام الحق وأريد أن تسلم إليّ الإمامة بعدك وإلا قتلتك وقتلت جميع أولادك وشيعتك فقال له : إذا حضرنى الموت فعلت لك ذلك وقد كان سلم الأمر إلى مولانا اسماعيل في سرّ وإنكتام ثم إن بعض المارقين اطّلع على ذلك وغدا إلى أبي الدوانيق لعنه الله فاعلمه فاغتاظ وأمر السيّاف أن يضرب عنق مولانا الصادق إذا أبعد القلنسوة من رأسه فلما وصل مولانا الصادق ودخل جعل أبو الدوانيق لعنه الله يصفرّ لونه ويرتعش وقال لمولانا : هل من حاجة ؟ قال : نعم لا تزيد تدعونى إليك حتى آتيك قال نعم وقد كان قبل ذلك لما أخبره المارق بالنص على مولانا اسماعيل قال لمولانا جعفر يعاتبه في ذلك فقال له من أخبرك قال فلان يعنى المارق فأحضره وقال له مولانا أحق ما قلت ؟ قال نعم فقال له وإلا خرج من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوتها فقال ثم قام فانقصف ظهره ومات من ساعته إلى لعنة الله وسئل أبو الدوانيق بعد خروج مولانا الصادق كيف لم تبعد القلسنوة حتى يقتله السيّاف فقال إنى رأيت تنينا عظيماً يقول إن فعلت ما هممت به بلعتك وقصرك . . والقصة طويلة فلم ير مولانا إلا أنه أمر مولانا اسماعيل بأن يظهر الموت وأقام مسجى ثلاثة أيام ومولانا الصادق يشهد عليه من حضره ثم أمر بدفنه في اليوم الرابع وكان بعد ذلك مرّ في البصرة برجل مقعد فقال له خذ بيدى يابن بنت رسول الله فأخذه فبرىء من ساعته فبلغ خبره إلى أبي الدوانيق فعاتب مولانا الصادق فقال له قد حضر موت اسماعيل عالم كثير فأحضر منهم شهوداً كثيراً فشهدوا بموته وقبره فغفل عن ذلك أبو الدوانيق إلى أن حضرت مولانا الصادق الوفاة فاستودع عند أبي الدوانيق لعنه الله حرمه وقصره وأولاده وأمواله وكان كل ذلك إظهارا للعجز والمعجز فالمعجز ما أبداه هو ومولانا اسماعيل من الافعال التي بهرت والقدرة التي ظهرت »(١٠٩).

---

(١٠٩) « مسائل مجموعة من الحقائق العالية » ص ١٥، ١٦ من « أربعة كتب اسماعيلية » تحقيق شتروطمان ط المجمع العلمى غونتينغن.

ونقل ذلك عن الإسماعيلية كل من عطاء ملك الجويني، والخواجه رشيد الدين الهمداني بقولهما :

« قال القوم الذين ينتسبون إلى إسماعيل إن إسماعيل لم يكن قد مات ولكنهم أعلنوا موته على سبيل التعمية على الناس حتى لا يقصد هو وأتباعه بالقتل. وقال باقي الشيعة لقد كان غرض جعفر هو إظهار بطلان مقالة تلك الطائفة التي انتسبت إلى إسماعيل »(١١٠).

فهذا هو موقف الإسماعيلية من إسماعيل وإمامته على اختلاف في موته قبل وفاة أبيه أو بعده.

ولقد ذكر هذا الخلاف بين الإسماعيلية أنفسهم كل من النوبختي والقمي من الشيعة ولتمام الفائدة ننقل ما قالاه، والعبارة للقمي بمفارقات يسيرة من النوبختي، مع الاتفاق في المعنى والمقصود :

« وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر إبنه إسماعيل بن جعفر، وانكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا : كان ذلك يلتبس على الناس لأنه خاف عليه نفسه عنهم وزعموا انّ إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالامامة بعده وقلدّهم ذلك له، وأخبرهم أنه صاحبهم، والإمام لا يقول إلا الحق، فلما أظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم لم يمت، وهذه الفرقة هم الإسماعيلية الخالصة، وأم إسماعيل وعبد الله إبني جعفر فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب، وامّها أسماء بنت عقيل بن أبي طالب.

وفرقة ثالثة زعمت أن الإمام بعد جعفر، محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأمه أم ولد وقالوا : إن الامر كان لإسماعيل في حياة أبيه، فلما توفى قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل وكان الحق له، ولا يجوز غير

---

(١١٠) « تاريخ جهانكشاه » للجويني، ترجمة عربية ص ١٥٤، و« جامع التواريخ » للهمداني ص ١٠ ط فارسي.

ذلـك لأنها لا تنتقـل من أخ إلى أخ بعـد حسن وحسـين، ولا يكــون إلا في الأعقاب، ولم يكن لإخوة إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق كما لم يكن لمحمد بن الحنفية فيها حق مع على بن الحسين وأصحاب هذه المقالة يسمـون المباركة برئيس لهم كان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر.

أما الإسماعيلية الخالصـة فهم الخطابيـة أصحاب أبي الخـطاب محمد بن أبي زينب الأسدى الأجدع لعنه الله، وقد دخلت منهم فرقة في فرقة محمد بن إسماعيل وأقروا بموت إسماعيل في حيـاة أبيه وكـانت الخطابيـة الرؤسـاء منهم قتلوا مع أبي الخطاب، وكانوا قد لزموا المسجد بالكوفة وأظهروا التعبـد ولزم كل رجل منهم إسطوانة، وكانوا يدعون النـاس إلى أمرهـم سرا فبلغ خـبرهم عيسى بن مـوسى بن على بن عبـد الله بن العباس وكـان عـامـلا لأبي جعفـر المنصور على الكوفة، وأنهم قد أظهروا الإبـاحات ودعـوا الناس إلى نبـوة أبي الخطاب، وأنهم مجتمعون في مسجد الكوفة قد لزموا الأساطين يروون الناس أنهم لـزموهـا للعبـادة، فبعث إليهم رجـلا من أصحـابـه في خيـل ورجـالـة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وحاربـوه، وكانـوا سبعين رجـلا، فقتلهم جميعاً ولم يفلت منهم أحد إلا رجل واحد أصابته جراحات فسقط بـين القتلى فعد فيهم، فلما جن الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبـو سلمة سـالم بن مكرم الجمال الملقب بابى خديجة، وذكر بعد ذلك أنه قد تاب ورجع وكان ممن يروى الحديث، وكانت بينهم حرب شديدة بـالقصب والحجارة والسكـاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرمـاح وقد كـان أبو الخـطاب قال لهم قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسـائر السـلاح ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لايضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك في أبدانكم، فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلا صاحوا إليـه ياسيدنا ما ترى ما يحل بنا من هؤلاء القوم ؟ ولا ترى قصبنـا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد يكسر كلّه ؟ وقد عمل فينا وقتل من برىء منّا. فذكر رواة العـامة أنه قال لهم يا قوم إن كـان بدا الله فيكم فـما ذنبى. وقال رواة الشيعـة : إنه قـال لهم ياقـوم قد بليتم وامتحنتم وأذن في قتلكم وشهـادتكم، فقاتلوا عـلى دينكم واحسـابكم ولا تعطوا بـأيدكم فتـذلّـوا، مـع أنّكم لا تتخلصـون من

القتل فموتوا كراما اعزاء واصبروا، فقد وعد الله الصابرين أجرا عظيماً. وأنتم الصابرون، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وأسر أبو الخطاب فأتي به إلى عيسى بن موسى فأمر بقتله فضربت عنقه في دار الرزق على شاطىء الفرات وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا ثم أمر بعد مدة بإحراقهم فاحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى المنصور فأمر بها فصلبت على مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم احرقت.

فلما فعل ذلك بهم قال بعض أصحابه: إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبّه عليهم لأنه وأصحابه إنما حاربونا من أبي عبد الله جعفر بن محمد، وإنهم خرجوا متفرقين من أبواب المسجد ولم يرهم أحد ولم يجرح منهم أحد وأقبل القوم على قتل بعضهم بعضاً على أنهم يقتلون أصحاب أبي الخطاب وهم يقتلون أنفسهم حتى جن عليهم الليل فلما أصبحوا نظروا في القتلى فوجدوهم كلهم منهم ولم يجدوا من أصحاب أبي الخطاب فيهم قتيلاً ولا جريحاً ولا وجدوا منهم أحداً.

وهذه الفرقة هي التي قالت: إن أبا الخطاب كان نبياً مرسلاً أرسله جعفر، ثم إنه صيره بعد حدوث هذا الأمر من الملائكة، ثم خرج بعد ذلك جماعة ممن قالت بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر فقالوا بإمامته وأقاموا عليها وهم صنوف من الغلاة.

وفرق كثيرة افترقوا بعد قتل أبي الخطاب على مقالات كثيرة واختلفوا في رئاسات أصحابهم ومذاهبهم، حتى تراقى بعضهم إلى القول بربوبيته وأن الروح التي صارت في آدم ومن بعده من أولي العزم من الرسل صارت فيه.

وقالت فرقة منهم إن روح جعفر بن محمد تحولت عن جعفر في أبي الخطاب ثم تحولت بعد غيبة أبي الخطاب ومصيره في الملائكة في محمد بن إسماعيل ثم ساقوا الإمامة على هذه الصفة في ولد محمد بن إسماعيل.

وتشعبت بعد ذلك فرقة منهم من المباركية ممن قال بإمامة محمد بن إسماعيل تسمى القرامطة سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من

الانباط كان يلقب بقرمطوية وكانوا في الأصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم وقالوا : لا يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم سبعة أئمة : على وهو إمام رسول والحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن على، وجعفر بن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الامام القائم المهدى وهو رسول، وهؤلاء رسل ائمة، وزعموا أن النبى (عليه السلام) انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب على بن أبي طالب للناس بغدير خم فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى أمير المؤمنين وفيه، واعتلوا في ذلك بخبر تأوّلوه وهو قول رسول الله « من كنت مولاه فعلى مولاه » وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة وتسليم منه ذلك لعلى بن أبي طالب بأمر الله(*) وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صار تابعا لعلى محجوبا به،

(*) ولقد قال بهذا القول الكثيرون من الإسماعيلية، منهم النعمان بن محمد المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ قاضي القضاة الإسماعيلى الأول في رسالته « المذهبة في الحكمة والتأويل » في جواب سائل سأله :

« وسألت عن السبب الذى أوجب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بداية أمره يتختم في يمينه فلما كان أوان نقلته حوّل خاتمه من يمينه إلى يساره ؟ فاعلم أيدك الله أن سبب تختمه في يمينه في بداية أمره إنما إشارة منه إلى نفسه باستلام منزلة النبوة والنطق وقيامه بتبليغ رسالة ربه كما جرى فيما تقدمه من النطقاء والمرسلين وأنه لم يزل متختما في يمينه أيام حياته دليل على العمل بشريعته وظاهر تنزيله واقامة دعوة الظاهر حتى نزل من الله تعالى إليه بنصب أساسه ووصيه فبلغ عن أمر ذلك ونصب وصيه يوم غدير خم وأقامه مقامه واستخلفه من بعده حتى حول خاتمه من يمينه إلى يساره وأمر وصيه على بن أبي طالب عليه السلام بأن يختتم باليمين ولا يحوله إلى الشمال فكان ذلك اشارة منه بتسليم المنزلة إلى وصيه فكان الوصى يختتم باليمين دليل على ما قد صار إليه وتختم الرسول بالشمال دليل على انقطاع المواد عنه بتسليم الأمر إلى وصيه » (« الرسالة المذهبة » للنعمان القاضى ص ٨٣ من « خمس رسائل إسماعيلية » ط عارف تامر، دار الانصاف دمشق ١٩٥٦ م).

[وقال داع اسماعيلى قديم آخر :

« إن جعفر الصادق (عليه السلام) قام بالامامة . . . وسلم إلى ولده إسماعيل . . . فقام إسماعيل بذلك ورتب الدعاة، ونصب الحجج وأمرهم بالدعاء له ورفع الأعمال والزكوات والفطر إليه، ففعل الدعاة والحجج ذلك، فانتشر خبره في جميع البلاد، وعلم بتسليم الأمر إليه عيون أبي جعفر الدوانيقي : فرفعوا اليه بأن الصادق (عليه السلام) سلم إلى ولده إسماعيل وأن الصادق قد صار صفرا من الامامة، وأن الدعوة وأمرها كلها إلى =

فلما مضى أمير المؤمنين صارت الامامة والرسالة في الحسن، ثم صارت من الحسن في الحسين، ثم صارت في على بن الحسن، ثم في محمد بن على ثم كانت في جعفر بن محمد ثم انقطعت عن جعفر في حياته فصارت في اسماعيل بن جعفر كما انقطعت الرسالة عن محمد في حياته، ثم أن الله بدا له في إمامة جعفر واسماعيل فصيرها عزّ وجل في محمد بن إسماعيل، واعتلوا في ذلك بخبر رووه عن جعفر بن محمد أنه قال « ما رأيت مثل بداء بدا لله في إسماعيل » وزعموا أن محمد بن إسماعيل حى لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم وأنه القائم المهدى، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد، وأن محمد بن إسماعيل من أولى العزم وأولو العزم عندهم سبعة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلى ومحمد بن إسماعيل، على معنى أن السموات سبع والأرضين سبع، وأن الإنسان بدنه سبع، يداه ورجلاه وبطنه وقلبه ورأسه وأن رأسه سبع عيناه وأذناه ومنخراه

إسماعيل » (« كتاب التراتيب » للداعى الإسماعيلى القديم المجهول ص ١٣٥، ١٣٦ من مجموعة « أخبار القرامطة »).
وبمثل ذلك جهر الداعى الإسماعيلى حسن بن نوح الهندى في كتابه حيث قال : « فلما أظهر النبى مرتبة الوصى عليه السلام بعد نزول » « وأنذر عشيرتك الاقربين » على ما قد ذكرت، انتبه بتلك الإشارة والرمز والتصريح على وصاية على وخلافته، من وفقه الله، واغتنم تمام النعمة واتصل بالوصى ودخل تحت طاعته، وتمسك بحبل ولايته واستفاد منه العلم والحكمة والأسرار الدقيقة وصار من المتهجدين بالحقيقة، وهم قليل، وأكثرهم في طغيانهم يعمهون، ولم يلتفتوا إلى ما بيّن لهم، ولا يسمعون، كما قال الله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » إلى الحق، وصراط أهل الصدق.
فسكت صلى الله عليه وسلم برهة من الزمان، إلى أن اتصل به الأمر من الملك المنان، إلى النبى المؤيد بالقرآن، بالإشارة إلى طاعة الوصى المبين، والترجمان، والآتى بفصل الخطاب، بأمره لكافة الأقارب والأصحاب أن يسدوا عن مسجده (عليه السلام) والمحراب، جميع ما قد فتحوه من الأبواب، وتركه باب على الفائق على جميع الأصحاب، بعلو المنزلة وسمو الجنان. وذكر ذلك واضح بين عند أولى الألباب، في كتب التواريخ والسير، في كتاب بعد كتاب (« كتاب الازهار ومجمع الأنوار » للداعى المذكور ص ٢٢٩ من « منتخبات اسماعيلية » تحقيق، الدكتور عادل العوّا. ط. مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥٨ م.

وفمه وفيه لسانه وفمه بمنزلة صدره الذي فيه قلبه، والائمة سبع كذلك وقلبهم محمد بن اسماعيل، وأولو العزم سبع، واعتلوا في نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتبديلها بأخبار رووها.

عن جعفر بن محمد أنه قال « لو قام قائمنا علمتم القرآن جديداً »، وأنه قال: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء » ونحو ذلك من أخبار القائم وزعموا: أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ومعناها عندهم الإباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا، وهو قول الله: «فكلا منها رغدا حيث شئتما » يعنى محمد بن إسماعيل وأباه إسماعيل « ولا تقربا هذه الشجرة » موسى بن جعفر بن محمد وولده من بعده من ادعى منهم الإمامة، وزعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، الذى حكاه الله في كتابه، وأن الدنيا إثنتا عشرة جزيرة في كل جزيرة حجة وأن الحجج إثنا عشر، ولكل داعية يد، يعنون بذلك أن اليد رجل له دلائل وبراهين يقيمها، كدلائل الرسل ويسمون الحجة الاب، والداعية الام، واليد الابن يضاهون قول النصارى في ثالث ثلاثة أنه الله والمسيح الابن وأمه مريم، فالحجة الأكبر هو الرب وهو الأب والداعية هو الأم، واليد هو الإبن، وزعموا أن جميع الاشياء التي فرضها الله على عباده وسنها نبيه صلى الله عليه وسلم فلها ظاهر وباطن وأن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة فأمثال مضروبة وتحتها معان هى بطونها وعليها العمل وفيها النجاة وأن ما ظهر منها فهى التي نهى عنها في استعمالها الهلاك وهى جوهر من العذاب الأدنى عذب الله به قوما وأخذهم به، ليشقوا بذلك إذا لم يعرفوا الحق، ولم يقولوا به، ولم يؤمنوا!.

وهذا مذهب عامة أصحاب أبي الخطاب واستحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف، وسفك دمائهم، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر والشرك على مذهب البيهسية والأزارقة في الخوارج، واعتلوا في ذلك بقول الله « واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقالوا: إن قتلهم يجب أن يكون بمنزلة نحر الهدى والشعائر وتعظيم شعائر الله وتأوّلوا في قول الله ذلك: «ومن

يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » ورأوا سبى النساء وقتل الأطفال واعتلوا في ذلك بقوله « لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » . وزعموا أنه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل من قال بإمامة موسى بن جعفر وولده، ثم قال بالإمامة ممن ليس على قولهم ومذهبهم، ولا يجب عندهم أن يبدأوا بأحد فيقتل إلا من قال بإمامة موسى بن جعفر بن محمد وولده من بعده، فتأوّلوا في ذلك قول الله : «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» فالواجب أن يبدأوا بهؤلاء الذين نصبوا إماما من ولد جعفر بن محمد غير إسماعيل وابنه محمد ثم بسائر الناس ممن نصب إماما من بني هاشم وغيرهم ثم بسائر الناس. وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة ولم يكن لهم شوكة ولا قوة وكان كلهم بسواد الكوفة وكثروا بعد ذلك باليمين ونواحي البحر واليمامة وما والاها، ودخل فيهم كثير من العرب فقوى بهم واظهروا أمرهم »(١١١) فهذا هو إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهذه هى الطوائف الإسماعيلية، وهذه هى آراؤها وأفكارها المختلفة المتضاربة المتناقضة فيهما وفى إمامتهما.

وأما الآخرون من الشيعة فلقد ذهبوا مذاهب شتى في خليفة جعفر بن محمد الباقر والامام بعده فقال قوم بإمامة إبنه الاكبر بعد إسماعيل، عبد الله الافطح، وهم الفطحية.

وقالت طائفة بإمامة ابنه محمد بن جعفر، وهذه الفرقة تسمى السمطية.

وقال قوم بإمامة موسى بن جعفر، ثم اختلف القائلون بإمامته إلى خمس فرق : القطعية، والواقفة، والممطورة، والبشرية، والإثنا عشرية(١١٢).

فهذه هى اختلافات الشيعة في مسألة الإمامة بعد جعفر الملقب بالصادق، وردّ كل واحد على الآخر بأدّلته وبراهينه التى يعدّها براهين

---

(١١١) « كتاب المقالات والفرق » لسعد بن عبد الله القمى ص ٨٠ - إلى - ٨٦ ومثله في « فرق الشيعة » للنوبختي ص ٤٢ .

(١١٢) انظر « فرق الشيعة » للنوبختي ص ٩٧ ومابعد، و « كتاب المقالات والفرق » لسعد القمى . ص ٨٤.

وأدلة، مع أن هذا الخلاف الواقع بينهم كله يدل على أن القضية كلها مختلقة مخترعة بنصب هذا أو ذاك، وأن القواعد والأسس والضوابط والأصول التي وضعوها للإمامة لم يضعوها، إلا من تلقاء أنفسهم، والقول بالنص والتعيين الذي تقولوه لم يخترعوه إلا من قبلهم هم، لم يصدر مثل هذه الأمور عن جعفر ولا عن محمد الباقر، ولا عمن فوقه من أهل بيت علي رضي الله عنه. كما رووا عن جعفر أنه قال :

« انا أهل بيت صادقون، لا نخلوا من كذاب يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا ثم ذكر المغيرة وبزيغ الحايك، والسرى، وأبا الخطاب، ومعمر وبشار الأشعرى، وحمزة اليزيدى، وصايد النهدى وغيرهم، فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مئونة كل كذاب »[١١٣].

وإن القصص التي رويت في كتب هؤلاء الفئات منسوبة إلى جعفر لم يتقول بها أبدا، بل إنها كلها حكايات واهية وأساطير باطلة موضوعة مصنوعة من قبل المتشيعين على اختلاف وجهاتهم وآرائهم عقلاً ونقلاً.

أولاً : لا يتصور عن جعفر - وهو الصادق - أن يقول لكل واحد حسب ما يهواه ويشتهيه معارضاً ومناقضاً لما يقوله للآخرين، فيقول للاسماعيلية : إن الامام بعدى إسماعيل ثم للآخرين منهم : انه محمد بن اسماعيل، لا إسماعيل، ويقول للفطحية : إنه عبد الله، ويقول للبشرية : إنه محمد، ويقول للموسوية : إنه موسى ويقول للآخرين ؛ لا أحد، بل أنا هو الأخير الذي سيغيب وبرجع في آخر الزمان.

وهذا ممتنع عقلاً أن تصدر مثل هذه الاقوال المتضاربة المتخالفة عن جعفر وأمثاله.

ثانياً : وأين تلك القواعد والضوابط التي سوّغوها لتوارث الإمامة، وقد تركت وخلّفت في كثير من المواقع، وكسرت وأهملت، مثل كون الإمام أكبر

---

(١١٣) « منهج المقال » للاسترابادى ص ٦٧.

الأولاد، ولقد احتج به الإسماعيلية على الإثنى عشرية حيث حوّلوا الإمامة عن الأكبر إلى الأصغر أي عن إسماعيل إلى موسى، ثم هم أنفسهم حوّلوها عن الأكبر، وجعلوها في الأصغر كما فعل ذلك الإمام الإسماعيلي المعز حيث حرم منها الأمير تميم ابنه البكر وجعلها في العزيز بالله ابنه الأصغر وكما فعل المستنصر في المستعلي بدل النزار، وأخيراً كما فعل آغا خان حيث جعل الامامة في حفيده كريم آغا خان الحالي بدل على ابنه البكر.

وليس هذا فحسب، بل محمد بن إسماعيل بن جعفر أيضاً، حيث حرم ابنيه الكبيرين من الإمامة وجعلها في الأصغر منهما:

« وقام محمد بن إسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الائمة . . . وكان بالمدينة . . . وكان في عصر الرشيد . . . وأمر بالقبض عليه . . . ولما هدأ الطلب صار الإمام في طلب دار هجرته وخلّف بالمدينة ولدين خاليين من الإمامة وهما إسماعيل وجعفر، وشخص إلى نيسابور بنفسه منكتما عن ضده وهو يدور ما بينها وبين الديلم وتزوج بنيسابور إمرأة فولدت له ولدا فسماه عبد الله وكنّاه الرضى وعرف عبد الله الإمام . . . ونصب له حججا »(١١٤).

وكذلك الإثنا عشرية ماذا يقولون في تحويل الإمامة عن عبد الله الافطح لو سلّم أن إسماعيل قد مات لأنه كان أكبر الموجودين من أبناء جعفر.

وكذلك لماذا احتاج زين العابدين على بن الحسين، ومحمد الباقر إبنه لثبات إمامتهما إلى المعجزات مقابل محمد الحنفية وزيد بن على حسب ما يزعمون دون الرجوع واللجوء إلى النص والتعيين.

وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أن هذه الاصول والأسس لا أساس لها في توارث الإمامة واستحقاقها، وقد اصطنعوها حسب الضرورة والمقام.

ثالثاً : وكذلك لم يكن هناك نص ولا تعيين لانه لو كان هذا لما كان هذا الخلاف الشديد الذي وقع، وما كانت هذه الفرقة الشديدة التى حصلت،

---

(١١٤) انظر « زهر المعاني » للداعى ادريس ص ٤٩ من « المنتخب » لايوانوف.

ولقد أقرّ بذلك الإمام الإسماعيلي في دور الظهور المعز لـدين الله بقولـه حيث ذكر أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فقال :

« لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العبـاد ما لم يكن مثله فيـما تقدمـه إذا وافقه ذلـك الـوقت وسـاعـده العصر، ثم كـان من أبي عبـد الله جعفر بن محمـد صلوات الله عليه بعـده من التضييق الإمساك أمـر عظيم بقدر ما تهيأ في زمانه واتجه في عصره وأوانه .

فقلت : لا جرم أن ذلك أوقـع الشيعة من بعـده في الاختلاف العـظيم واختلفوا في وليّ الامر من بعده إفتراقاً كثيراً .

فقال (عليه السلام) : في ذلك سعادة المحقّين وشقوة المبطلين .

قـالت : يامـولاي ، فلو كان أوضـح الأمر كـما أوضحه أبـوه فيه ، وأزال الشبهة عن أوليائه ، وأقام فيهم صاحب الأمر بعـده ونص عليه صراحـاً ، ألم يكن ذلك أذهب للشبهة وأقطع للاختلاف؟

قال : هيهات! « لم يكن ذلك زمان ذلك »(١١٥)

وبمثل ذلك قال قاضي القضاة الاسماعيلي في أرجوزته :

«واشـتـدت المحـنـة بـعـد جـعـفـر فـانصرف الأمـر إلى الـتـسـتـر
وكـان قـد أقـام بـعض ولـده مـقـامـه لمـا رأي مـن جـلده
فـجـعـل الأمـر لـه في سـتر فـلم يـكـن قـالـوا بـذاك يـدري»(١١٦)

رابعـاً : إن جعفر بن محمـد الباقـر نفسه لم يـدّع الامامـة لشخصـه حتى ينقلها إلى أعقابـه وأخلافـه ، بل أنكـر أشد الإنكـار على من زعمهـا فيه كـما ذكرناه سابقاً فيما مضى عن المفيد والطبرسي والأربلي وغيرهم من الشيعة .

---

(١١٥) «المجالس والمسايـرات» للنعمان بن محمـد القاضي ، الجـزء الرابـع ص ١٢٣ ، ١٢٤ ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨م .

(١١٦) «الأرجوزة المختارة» للنعمان القاضي ص١٩١ ط إسماعيل قربان بـونا وإلا ـ مـونتريـال كندا .

وعلى ذلك قال الجويني رداً على الاسماعيلية والإثنى عشرية بعد ما ذكر وجهة نظر كل واحد منهما بأن جعفر أعلن موت إسماعيل لبطلان مقالة الإسماعيلية، أو أعلنها تعمية على الناس، قال:

«وواقع الأمر أن هذين الرأيين باطلان كلاهما، فقد فسّر كل من الجماعتين هذا الفعل وفق هواه، ولقد كان هدف جعفر هو ابراء ساحته من حوالة دعوى الأمامة التي نسبوها إليه»(١١٧)

وكذلك لم يدّع واحد من آبائه هذه الدعوى ولكن الملتفين حولهم لأغراض وأهداف نسبوا مثل هذه الادعاءات إليهم كذباً ومينا.

نعم! كان هناك رجال من العلويين إدعوا مثل هذه الإدعاءات ولكنهم لم يكتموها عن الآخرين، بل تجاهروا بها وصارحوا الناس والحكام قاتلوا عليها وقتلوا وركبوا المشانق والاعواد ولكنهم لم يكتموها ولم يخفوها فعل الأبطال وصنع الشجعان والمؤمنين بمقولتهم والمقتنعين بفكرتهم، ومعتقدين بصحة ما يدعونها ويدعون إليها.

ولو لا خوف الخروج من المبحث، والإطالة بالموضوع لسردنا نصوصاً تشهد بما قلناه، وتؤيد ما رأيناه من كل من محمد الباقر، وعلي زين العابدين، والحسنين، وعلي بن أبي طالب قبل أن يبايع بالخلافة، من كتب القوم أنفسهم، ولكن من أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا «الشيعة وأهل البيت» فسيجد هناك بغيته.

والجدير بالذكر أن الدجالين الوضاعين لم يجعلوا أحداً هدفاً لكذبهم مثلما جعلوا جعفر بن محمد الباقر، لذلك ترى كل الفئات المنحرفة، والطوائف الضالة والفرق الباطلة والغلاة الملحدين من الشيعة والباطنية من الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز وغيرها كلهم ينتسبون إلى جعفر، ويسندون آراءهم وأفكارهم إليه ـ وهو منهم بريء ـ وبذلك قال الكشي نقلاً عن يحيى بن عبدالحميد أنه قال:

---

(١١٧) «تاريخ جهانكشاه» للجويني، ترجمة عربية ص١٥٤.

«قلت لشريك: إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث، فقال: أخبرك القصة كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة علي جعفر ليستأكلوا الناس بذلك ويأخذوا منهم الدراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكل منكر، وسمعت العوام بذلك منهم فمنهم من هلك ومنهم من أنكر، وهؤلاء مثل المفضل بن عمر وبنان وعمرو النبطي وغيرهم ذكروا أن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة، وحدثهم عن أبيه عن جده وأنه حدثهم قبل يوم القيامة، وان عليا عليه السلام في السحاب يطير مع الريح وأنه كان يتكلم بعد الموت، وأنه كان يتحرك على المغتسل، وأن إله السماء وإله الأرض الإمام، فجعلوا لله شريكاً جهال ضلال، والله ما قال جعفر شيئا من هذا قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك فسمع الناس ذلك فضعفوه، ولو رأيت جعفرا لعلمت أنه واحد الناس». (١١٨)

محمد بن إسماعيل وميمون القداح

وعلى كل فإننا نتكلم عندما نتكلم عن الإسماعيلية أو عن الشيعة تنازلاً على ما يقولونه ويذكرونه في كتبهم، وإلاّ فلنا رأي آخر في الموضوع الذي أشرنا إليه آنفاً، فنقول على مقولة القوم: إن إسماعيل بن جعفر نصب نفسه إماما بعد أبيه، ثم جعل الإمامة في ولده محمد بن اسماعيل، وكان هو أي محمد بن اسماعيل أول المستورين من الائمة الاسماعيلية على رأي الأكثر(١١٩) أو ثانياً بعد أبيه على رأي البعض. (١٢٠)

---

(١١٨) «رجال الكشي» ص٢٧٥ تحت ترجمة المفضل بن عمر.
(١١٩) الذين يقولون بموت أبيه في حياة جده جعفر.
(١٢٠) الذين يقولون بأن اسماعيل لم يمت بل استتر خوفاً من سلطان بني العباس.

ويقولون:

«قام إسماعيل بن جعفر صلوات الله عليه المبارك الميمون في كنف أبيه، وهو سادس الائمة... ولما آن لاسماعيل الأجل تلبيسا على الضد لشدة حسده وبغيه وحرصه في اطفاء نور الله والله متم نوره بما فعله إن شاء الله، وأوصى اسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً فأقام له يوشع بن نون سترا عليه وحجاباً له، فسلمه، أعني مولانا محمد بن إسماعيل، إلى ميمون بن غيلان ابن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي قدس الله روحه، قربّاه وأخفى شخصه ﷺ وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيل له ومستودع أمره، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد إسحاق ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والإبلاغ.

وكان إسماعيل في كنف أبيه كما كان محمد جده ﷺ في كنف صاحب الزمان أبي طالب صلوات الله عليه، فأظهر إسماعيل مرضا وصارت العواد من أهل الحضر والسفار يعودونه، وفي أثناء ذلك يستشهد أبوه من وصل إليه على ذلك ويكتب شهادتهم، فلما أظهر نقلته سجاه ثلاثة أيام وهو يأخذ على ذلك شهادة من وصل إليه يعزيه فيه من بني هاشم وغيرهم. فلما كان في اليوم الثالث أمر بحمله إلى القبر وكشف عن وجهه وقال لمن حضر أليس هذا ولدى إسماعيل فيقولون بلى، فجدد شهادتهم على ذلك، ثم دفنه وراح وكتب إلى أبي الدوانيق يعرّفه خبره ووصّل إليه أهل الأخبار بعلم ذلك فسره وقطع خاطره عما كان ينوبه ويضمره...

فلما كان بعد ذلك ظهر إسماعيل (عليه السلام) بالبصرة، وأقبل إليه الناس يهرعون وهم يقولون: هذا إسماعيل بن جعفر عاد حيّا، إلى أن مر بشيخ زمن على دكانه من الشيعة الموالين لابيه، فقال له يا بن بنت رسول الله خذ بيدي أخذ الله بيدك، فطلع إليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرؤ من علته وشاهد الخلق ذلك، وغاب عنهم.

فلما سمع بذلك أبو الدوانيق قال إن سحر آل بني أبي كبشة لعظيم، فأمر بجعفر (عليه السلام)، ولما وصل إليه عاتبه في ذلك فاظهر الصادق ما كتبه الشهود، وكان في المجلس كثير ممن شهد فشهدوا بذلك فسكن عنه غيظه وراح الصادق. . .

ثم إن الصادق (عليه السلام) أقام موسى بن جعفر حجابا على محمد بن إسماعيل وعلى من جعله له بابا الذي هو ميمون الستر عليه والكفيل، وكان موسى دارساً في التأويل والحقيقة واجتمع عليه كثير من الشيعة المخالفين للطريقة، فقصدوا الإسم دون المسمى وقنعوا باللفظ دون المعنى، وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون كفلاء وكتم أمر ذلك عن الخاص والعام إلا على المخلصين العارفين أوجب الله له الولاء وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولى الأمر يأويها ويقيم الحدود فيها والشيعة في اعتقادهم مختلفون، والفضلاء البالغون منهم لولى أمرهم عارفون أعلمهم ولي الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا وأمرهم أن يكتموا ذلك سترا لخوف الضد فكتموا. . . . . . وقام محمد بن اسماعيل صلوات الله عليه، وهو سابع الأئمة وقائمهم متقابل لجده على أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول ومنه ابتدأ الدور الثاني»[١٢١].

ولكن الداعي إدريس يذكر في كتابه «عيون الأخبار» بأن الذي جعله كفيلاً على ابنه هو عبدالله بن ميمون القداح، لا ميمون القداح كما يقول:

«وكان الإمام إسماعيل بن جعفر (عليه السلام) قد اختص عبدالله بن ميمون القداح وأقامه حجة له ولابنه محمد بن إسماعيل (عليه السلام) ودليلاً عليهما، وهادياً إليهما، بأمر الصادق (عليه السلام). فخرج عبدالله بن

(١٢١) أنظر «زهر المعاني» للداعي إدريس عماد الدين ص٤٧ إلى ٥٣ من «المنتخب» لا يوانوف، ومثل ذلك في «غاية المواليد الثلاثة» للداعي الحسين أبي الخطاب ص ٣٦ من «المنتخب» و«أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١ من «المنتخب» وغيرها من الكتب.

ميمون إلى مكة، وأظهر الدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) ولم يبن أمر ولي الله بل ستره واخفاه وكتمه تقية عليه من الاضداد، وخوفاً من أهل العناد»[١٢٢].

وأما صاحب «دستور المنجمين» فيضيف إلى ما قاله هؤلاء من أن مبارك وهو مولى لمحمد بن اسماعيل جعل مفوضا إليه أمر امامة محمد بن اسماعيل من قبل أبيه[١٢٣].

وبمثل ذلك ورد في «سياست نامه»[١٢٤].

واني لا أرى مانعاً بأن يكون هؤلاء كلهم من ميمون القداح، وعبدالله بن ميمون ومبارك ـ وهؤلاء كلهم من الخطابيين كما مر ـ مفوضين بأمر محمد بن اسماعيل من قبل أبيه حيث كان كل واحد منهم باتصال مباشر معه والمشاركين في أفعاله وآرائه والمساهمين بنشر الافكار الخطابية. وعلى ذلك لا يستبعد من اسماعيل بن جعفر أن يوصي شركاءه هؤلاء وأحباءه باحتضانهم ابنه ذاك وأن يجعلوه في أكنافهم. ولقد نقلنا عن الباحثين في الفرق من الشيعة ـ ويؤيدهم المشتغلون بالفرق من السنة أيضاً ـ أن الاسماعيلية لم تتكون إلا من الخطابية والمباركية، كما أن أهل السنة ذكروا صراحة علاقة الميمون وابنه باسماعيل وابنه محمد من جانب، وبابي الخطاب من جانب آخر، ولا شك في أن الرجاليين الشيعة قد ذكروا ميمون القداح من أصحاب محمد الباقر وابنه جعفر كما ذكروا ابنه عبدالله في أصحاب جعفر، ووثقوهما من هذه الناحية ظانين بأنهما من الشيعة الاثني عشرية[١٢٥].

---

(١٢٢) «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الرابع ص ٣٣٥.

(١٢٣) نقلاً عن «أصول الاسماعيلية» لبرنارد لويس ص ١١٥.

(١٢٤) أيضاً ص ١١٤.

(١٢٥) أنظر لذلك «رجال الكشي» ص ٢١٢ و ٢٣٢ و«رجال الطوسي» ص ١٣٥ و٢٢٥، و«جامع الرواة» للأردبيلي ج ٢ ص ٢٨٦ و ج ١ ص ٥١٣، و«تنقيح المقال» للمامقاني ج ٣ ص ٢٦٥ و ج ٢ ص ٢١٩ و «الكنى والألقاب» ج ٣ ص ٤٧.

ولكنهم غفلوا عن دورهما الكبير الذي لعباه في تكوين الاسماعيلية وترويج الأفكار الخطابية، وحملهما على أكتافهما المعارضة الشديدة للموسوية التي امتدت فيما بعد إلى الاثنى عشرية.

ولكن أهل السنة كانوا على علم ومعرفة من أمرهما منتبهين لما قاما به من مؤامرات ودسائس لهدم الكيان الاسلامي والعقائد الاسلامية والقضاء على الشريعة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه وخاصة المعنيين بالفرق منهم والتاريخ أيضاً والرجاليون عامة، ولذلك أكثروا نشر فضائحهما وما قاما به من المكايد والتدابير لهدم الإسلام والقضاء على الأمة الإسلامية المجيدة، وانشاء فرقة حاقدة حانقة على الإسلام والمسلمين كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً في الباب الثالث من هذا الكتاب عند ذكر نسب الائمة الاسماعيلية.

وأما الرجاليون فأيضاً لم يوثقوهما ولم يعتمدوا عليهما بما علموا من آرائهما وأفكارهما.

وأما قول المستشرق الانجليزي برنارد لويس «بأن الذهبي وثق عبدالله ابن ميمون القداح وجعله حجة» فمبنيٌّ على الخطأ والجهل تماماً لأن الذهبي وغير الذهبي لم يوثقه إطلاقاً، ولعلّه وهم في فهم كلام الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» حيث أن الذهبي بدأ كلامه عنه بقوله:

«عبدالله بن ميمون القداح... قال أبو حاتم: متروك، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج بما انفرد به» وأنهى كلامه فيه: «قال أبو زرعة: واهي الحديث»(١٢٦)

هذا ولقد ذكر الذهبي أيضاً في سيره أقوالاً عديدة في ذم عبدالله بن ميمون وزندقته(١٢٧).

---

(١٢٦) انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي ج٢ ص ٥١٢ ط باكستان أوفست.

(١٢٧) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٤١ وما بعد ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣م.

وكذلك ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه الرجالي الكبير «تهذيب التهذيب»، وأورد فيه آراء أكثر مما أوردها الذهبي متفقة في تضعيفه وعدم الاحتجاج بمروياته، فيقول في ترجمته:

«عبدالله بن ميمون القداح: قال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال ابن عدى: عامة ما يروي لا يتابع عليه..... وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث... وقال الحاكم: روى عن عبدالله بن عمر أحاديث موضوعة، وقال أبو نعيم الأصفهاني: روى المناكير»[١٢٨].

فهذا هو توثيق الرجل وحجيته عند أهل السنة؟

وأما أصحاب الفرق والتاريخ فقد فصّلوا فيه القول كما ذكر المقريزي عن أبي محسن:

«ميمون القداح، وإليه ينسب الميمونية. وكان له مذهب في الغلو. فولد لميمون هذا ابن يقال له: عبدالله كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل، فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفا عالما بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها، فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى معرى من جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل.

وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا ـ في الباطن ـ أن يجعل المخدوعين أمة له، يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة. وأما في الظاهر فإنه كان يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمع الناس بهذه الحيلة.

---

(١٢٨) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٤٩ ط حيدر آباد ١٣٢٦ هـ.

وكـان عبـدالله بن ميمـون هـذا أراد أن يتنبـأ فلم يتم لـه . وأصله من مـوضع بـالاهواز يعـرف «بقورج العبـاس» ثم نزل «عسكـر مكـرم» وسكن «ساباط أبي نوح» فنال بدعوته مالاً . وكان يتستر بـالتشيع والعلم، وصـار له دعاة، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحـة، والمكر والخـديعة فثـارت به الشيعة، والمعتزلـة وكبسوا داره، ففـر إلى البصرة، ومعه رجـل من أصحابـه يعرف «بالحسين الاهوازي»، فادعى أنه من ولـد عقيل بن أبي طـالب، وأنه يـدعو إلى محمـد بن اسماعيـل بن جعفر الصـادق، ثم اشتهر خـبره، فطلبه العسكـريون، فهـرب هو والحسـين الاهـوازي إلى سلميـة من أرض شـام، ليخفي أمره بها، فولد له بها ابن يقال له « أحمد »[١٢٩] .

هـذا ولقـد نبحث عن شخصيـة ميمـون وعقبـه في مـا يـأتي في البـاب المختص بنسب الائمة الاسماعيلية كما أشرنا اليه سابقاً .

دور الســـتر

ولقـد ذكـرنـا فيـما سبق أن اسـماعيـل بن جعفـر خلف بعـده محمـد بن اسماعيل إماماً للشيعـة، وجعل ميمـون القداح كفيـلاً له، وهنـاك عبارة من كتـاب اسماعيـلي هـام للداعي الاسـماعيـلي خـطاب بن الحسن المتوفى سنـة ٥٣٣هـ الـذي كان معـاصراً لـلإمام الإسـماعيلي المستعـلى والمستنصر أيضاً، يقول فيها :

«وذلـك ما روى عن الإمـام جعفر بـن محمـد الصادق (عليـه السـلام) المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده إسماعيل بن جعفر، وغيبة اسماعيـل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية ولم تكن الامامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره، فأودع حجته المنصوبة بين يدى ميمـون القداح مقـامه

---

(١٢٩) «الاتعاظ» للمقريزي ج ١ ص ٢٧، ٢٨، ٢٩ .

لولده وأقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه، فلما بلغ اشده تسلم وديعته»[١٣٠].

وهذه العبارة تنبيء عن أشياء:

أولاً: كان ميمون القداح لمحمد بن اسماعيل مقام الوالد.

ثانياً: كان هو المتغلب على أمره، ومستودعاً لامامته، وكفيلاً له.

ثالثاً: عند بلوغ محمدُ بنِ إسماعيل أشده استلم الإمامة عن ميمون واسترجعها منه.

ويقول الإسماعيلية: إن محمد بن إسماعيل المولود سنة ١٣٢هـ بقى مسترا طول حياته، متنقلاً من بلدة إلى بلدة[١٣١] متخفياً، خائفاً من سلطان بني العباس وبطشتهم. ولذلك لقب بمحمد المكتوم، وكان المجاهر بدعوته والقائم بأموره والمتكلم باسمه ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون[١٣٢].

ومات سنة ١٩٣هـ في فرغانة[١٣٣]

أو في تدمر[١٣٤] أو في محمود آباد[١٣٥]

بعد أن خلّف ولدا إماما للقوم.

---

(١٣٠) «غاية المواليد الثلاثة» الباب الرابع ص ٣٦ من «المنتخب» لا يوانوف.

(١٣١) «ولم يزل الإمام محمد بن إسماعيل مخفياً مستترا بنفسه ينتقل من بلد إلى بلد..... من المدينة إلى الري.... إلى نهاوند.... إلى كارزون..... إلى صابور.... إلى فرغانة» («عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٥١ وما بعد) أيضا «زهر المعاني» ص ٥٣ وما بعد من «المنتخب» لا يوانوف، أيضا «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٠٠ من «المنتخب».

(١٣٢) انظر «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» و«عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٣٥.

(١٣٣) انظر «عيون الأخبار» السبع الرابع ص ٣٥٦.

(١٣٤) «الفلك الدوار» ص ١٣١.

(١٣٥) «نور مبين» تاريخ الاسماعيلية في الاردية ص ١٣٥.

هذا ما قالته الاسماعيلية، وأما ما يقوله الشيعة فهو:

«كان موسى الكاظم (عليه السلام) يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل ويبره وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس.

وقال أبو نصر البخاري: كان محمد بن إسماعيل بن الصادق (عليه السلام) مع عمه موسى الكاظم (عليه السلام) يكتب له السر إلى شيعته في الآفاق، فلما ورد الرشيد الحجاز سعى محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد: فقال: أعلمت أن في الأرض خليفتين يجبى إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر. وأظهر أسراره فقبض الرشيد على موسى الكاظم (عليه السلام) وحبسه وكان سبب هلاكه، وحظى محمد بن إسماعيل عند الرشيد وخرج معه إلى العراق ومات ببغداد ودعا عليه موسى بن جعفر (عليه السلام) بدعاء استجابه الله تعالى فيه وفي أولاده، ولما ليم موسى بن جعفر (عليه السلام) في صلة محمد بن اسماعيل والإتصال مع سعيه به، قال: إني حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الرحم إذا قطعت فوصلت ثم قطعت فوصلت ثم قطعت فوصلت ثم قطعت قطعها الله تعالى وإنما أردت أن يقطع الله رحمه من رحمي»(١٣٦).

وأما المؤرخون الآخرون فيقولون: إن محمد بن إسماعيل مات في تنقله إلى البلاد المختلفة «وكان له أولاد تواروا في خراسان ثم توجهوا إلى كندهارا من أعمال ولاية السند واستوطنوها»(١٣٧).

فاستغل القداحيان ميمون وعبدالله هذه الفرصة واغتصبا الأمر،

---

(١٣٦) «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لجمال الدين بن عنبه الدودي الحسيني المتوفى سنة ٨٢٨هـ ص ٢٣٣، ٢٣٤ ط مطبعة امير قم، الطبعة الثانية ١٩٦١م.

(١٣٧) انظر «تاريخ جهانكشاه» لعطاء ملك الجويني ط فارسي ص ١٤٨، وترجمة عربية ص ١٥٦، وكذلك «جامع التواريخ» لخواجه رشيد الدين الهمداني، الجزء الخاص بالاسماعيلية فارسي ص ١١ وغيرها من كتب التاريخ.

وخاصة بعد ما كانا مستودعين «لانهما كانا مأمورين أن يأخذا العهود لنفسهما حجابا على إسماعيل ومحمد بن إسماعيل»[١٣٨].

وانتسب عبدالله بن ميمون إلى آل عقيل عند منازل بباهلة على موال لآل عقيل بن أبي طالب[١٣٩].

ثم ولده أحمد أو محمد على اختلاف في الأقوال ادعى أنه من ولد إسماعيل[١٤٠].

ونرجع مرة أخرى إلى رواية المقريزي، التي سردناها من قبل - والتي ذكرها جمع من المؤرخين - لذكر القصة كاملة وسرد أسماء من خلف على منصب الإمامة الإسماعيلية بعد محمد بن إسماعيل، فيقول المقريزي:

«ومات عبدالله بن ميمون - بعد ما ولد له إبن يقال له أحمد - فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة، وبعث بالحسين الاهوازي - داعيه - إلى العراق، فلقي حمدان ابن الأشعث المعروف بقرمط بسوار الكوفة. ودعاه إلى مذهبه فأجابه، وقام هناك بالأمر، وإلى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ولدان، هما: الحسين ومحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين في الدعوة.

فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر.

وكان قد بعث محمد هذا داعيين إلى المغرب، وهما: أبو عبدالله - الحسين بن أحمد بن محمد -، وأخوه أبو العباس - محمد بن أحمد بن محمد -،

---

(١٣٨) انظر كتاب «التراتيب» لداعية إسلامي قديم ص ١٣٨ من مجموعة «أخبار القرامطة» جمع وترتيب دكتور سهيل زكاء ص١٣٨ ط دار حسان دمشق ١٩٨٢م.

(١٣٩) انظر «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ٣٠٨ من مجموعة «أخبار القرامطة»، أيضا «الفهرست» لابن النديم ص ٢٦٥ ط دار المعرفة لبنان. أيضا «الفرق بين الفرق» للبغدادي ج١ ص٢٧٢ . ، أيضا «التبصير في الدين». للإسفرائيني. ص١٤١.

(١٤٠) انظر المراجع المذكورة.

فنزلا في قبيلتين من البربر، وأخذا على أهلها، وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية، وأيسروا، وصار لهم أملاك كثيرة، فبلغ خبرهم السلطان، فبعث في طلبهم، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى، فدخل سعيد على النوشري ونادمه، فبلغ السلطان خبره، وكان يتقصى عنه، فبعث إلى النوشري بالقبض عليه، فقريء الكتاب وفي المجلس ابن المدبر ـ وكان مؤاخيا لسعيد. فبعث إليه يحذره، فهرب سعيد، وكبس النوشري داره، فلم يوجد، وسار إلى الإسكندرية، فبعث النوشري إلى والي الإسكندرية بالقبض علي سعيد ـ وكان رجلاً ديلميا يقال له علي بن وهسودان ـ.

وكان سعيد خداعا، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال: «إني رجل من آل رسول الله»، فرقّ له، وأخذ بعض ما كان معه وخلاه، فسار حتى نزل سجلماسة ـ وهو في زيّ التجار ـ فتقرب إلى واليها، وخدمه، وأقام عنده مدة، فبلغ المعتضد خبره، فبعث في طلبه، فلم يقبض عليه وإلى سجلماسة، فورد عليه كتاب آخر، فقبض عليه وحبسه، وكان خبره قد اتصل بأبي عبدالله الداعي ـ الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر ـ فسار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيدا، وصار صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله، وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي، وصار اماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولم يلبث الأمير حتى قتل أبا عبدالله الداعي، وتملك البربر، وقلع بني الأغلب ولاة المغرب.

قال: «فعبيد الله ـ الملقب بالمهدي ـ هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس». (١٤١)

---

(١٤١) «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج ١ ص٣٠ إلى ٣٣، أيضا «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٣٤٨، مثله في «الفهرست» لابن النديم ص٣٦٤، ٣٦٥ و«نهاية الإرب» للنويري ص ٣٠٩، وكتب الفرق أيضا مثل «الفرق بين الفرق» للبغدادي و«التبصير في الدين» للاسفرائيني، و «كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك الحمادي ص١٩٩ الملحق بالتبصير في الدين ط مكتبة المثنى ببغداد وغيرها.

هـذا وسـوف نبحث قضيـة الائمـة المستـورين في بـاب نسب الائمـة الاسماعيلية، البـاب الثالث من هـذا الكتاب مفصـلاً، ولكن تجدر الاشـارة ههنا أن أحداً من الاسماعيلية القدامى من الدعاة والمؤرّخين لم يذكر أسماءهم ولا أحـوالهم ممـا يـدلّ عـلى أن الـذي ذهب إليـه المؤرخـون من اغتصـاب القداحيين الإمامة الإسماعيلية والتسلط عليها هو أمر صحيح.

وأما المتأخرون من الاسماعيلية فلقد اضطربت أقوالهم وآراؤهم في هـذا الخصوص حتى اضطر المؤرخ الاسماعيلي الكبـير وداعي الدعـاة ادريس عماد الدين أن يقول في كتابه السري عن هؤلاء الأئمة المستورين:

«ان الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الائمة بأسماء مختلفة مـا اتفق في ذلك منها اثنان»[١٤٢].

فهـذه شهـادة أهـل البيت، ومن الشخص الـذي يجمـع بـين الـدعـوة والتاريخ، وكتبـه من أهم المراجـع الاسماعيليـة التي يعتمد عليهـا الباحثـون والكتاب.

وتجنبـا للتكـرار لا نـريـد أن نتعمق في هـذا الخصـوص مـا دمنـا أردنـا التفصيل في محلّه.

فخـلاصة مـا ذكرنـاه هو أن الاسـماعيلية أسست وقـامت عـلى الأفكـار الخطابية، ساهم فيها كل بقدره من أبي الخطاب ومبارك واسماعيل بن جعفـر وأبي غقـير وجياد بن الخشعمي وأحمـد بن المـوصـلي وأبي محمـد الكـوفي وأبي الحسن الترمذي وأسرة القداح ـ وهم من الخطابية أيضاً ـ وغيرهم.

وأخـيرا هم الذين قـاموا بـزعامتهـا وامامتهـا، مـع الآخـرين من أبنـاء المجوس والفرس الحاقدين الحـانقين عـلى الإسلام، والمبغضـين للمسلمين،

---

(١٤٢) انـظر «زهـر المعـاني» للداعي إدريس البـاب السـابـع عشر ص ٥٤ من «المنتخب» لا يوانوف.

والمتآمرين على الشريعة الإسلامية، والمسترين بستار التشيع والحب لأهل البيت العلوي، وأسسوا لها عقائد ومعتقدات، ووضعوا لها قواعد وأسساً، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك إلا هدم الإسلام وتدمير المسلمين والقضاء على الشريعة الإسلامية الغراء. ولقد فصل القول في ذلك الأمير عبدالعزيز بن شداد، ونقل عنه الكثيرون من ابن الأثير وأبي المحاسن ونويري والمقريزي وغيرهم، وها نحن أولاء ننقل عن النويري قوله:

«وأوّل من قام منهم أبو شاكر[١٤٣] ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مولي بني أسد، فألقوا إلى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا، وان الله تعالي ما أوجب على أوليائه صلاة ولازكاة، ولا صوماً ولا حجاً، ولاحرم عليهم شيئا من المحرمات، وأباح لهم نكاح البنات والأخوات، وإنما هذه العبادات عذاب على الأمة، وأهل الظاهر، وهي ساقطة عن الخاصة يقولون ذلك لمن يثقون به ويسكنون إليه، ويقولون في آدم وجميع الأنبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة.

---

(١٤٣) ولقد استنكر المستشرق الروسي أيوانوف اسماعيلى النزعة، والذي اشتغل مدة طويلة لدى الطائفة الاسماعيلية في الهند، استنكر هذا اللقب لميمون القداح، ونسب إلى أهل السنة أنهم اختلقوه بمحاولة عقيمة زائفة وبمغالطة تاريخية ظاهرة ليربطوا بين ميمون القداح وولده وبين أبي شاكر الديصاني وولده (انظر The Alleged Founder of Ismailism / المؤسس المزعوم للاسماعيلية. انجليزي ص ٩٩ وما بعد)

وبذلك قال الاسماعيلي المعاصر: وتذكر بعض مصادر الأحاديث السنية أن شخصاً كافراً يدعى أبو شاكر الديصاني كان يتصل بالامام جعفر الصادق (تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٤٤).

مع أن حضرتها لم يدريا بأن ذكر أبي شاكر الديصاني لا يوجد في الأحاديث السنية، وأنه لم يكن محاولة عقيمة زائفة منهم، بل ورد ذكره في كتب الأحاديث الشيعية، لا السنة (انظر لذلك «الإرشاد» للمفيد ص ٢٨١ ط مكتبة بصيرتي قم، و «إعلام الورى» للطبرسي ص ٢٩١ ط دار الكتب الاسماعيلية طهران ١٩٧٠م، و «كشف الغمة» للاربلي ج٢ ص ٣٨٩ ط دار الكتاب الإسلامي بيروت) وغيرها من الكتب الشيعية وكل واحد منهم روى أحاديثه مع أبي عبدالله جعفر.

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام، يعرفون الناس بذلك، وهم على خلافه، ويذكرون أبا الخطاب إلى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب، أسقط العبادات وأحل المحارم، فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد، فصار قوم مما كان على مذهبه إلى نواحي خراسان، وقوم إلى الهند.

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع، ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبدالله القداح، علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة، فتحذق وتقدم، وكانوا يظهرون التشيع، والبكاء على أهل البيت، ويزيدون أكاذيب اخترعوها، يخدعون بها ضعفاء العقول، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختار، الملقب دندان، وهو بنواحي الكرخ والاصفهان له حال واسعة، وضياع عظيمة، وهو المتولى على تلك المواضع وكان يبغض العرب ويذمهم، ويجمع معايبهم، وكان كل من طمع في نواله تقرب إليه بذم العرب، فسمع به عبدالله بن ميمون القداح، وما ينتحله من بغض العرب، وصنعة النجوم، فسار إليه وكان عبدالله يتعاطى الطب وعلاج العين، ويقدح الماء النزل فيهبط، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حسبة وتقربا إلى الله عز وجل، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجيل، فأحضره دندان، وفاتحه الحديث، فوجده كما يحب ويهوى، وأظهر له عبدالله من مساويء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده، فاشتد إعجابه به، وقال له: مثلك لا ينبغي أن يطب، وان قدرك يرتفع ويجل عن ذلك، فقال: إنما جعلت هذا ذريعة لما وراءه مما ألقيه إلى الناس، وإلى من أسكن إليه على رفق ومهل من الطعن على الإسلام، وأنا أشير عليك أن لا تظهر ما في نفسك إلى العرب،

ومن يتعصب لهذا الدين، فإن هذا الدين قد غلب على الأديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس، والهند مع بأسهم ونجدتهم، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره، وانه لما أظهر ما في نفسه من بغض الإسلام، وترك السير بالتشيع والبكاء كما تقول أولاً، قلع أصله فالله الله أن تظهر ما في نفسك، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت، فإنك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين، ويقول: هذا هو الإسلام، وادع عليهما عداوة الرسول، وتغيير القرآن وتبديل الأحكام فإنك إذا سببتهما سببت صاحبهما، فإذا استولى لك الطعن عليهما، فقد اشتفيت من محمد، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لا يشعر، ويتم لك كما تريد.

فقال دندان: هذا هو الرأي، ثم قال له عبدالله القداح: إن لي أصحابا وأتباعا أبثهم في البلاد، فيظهرون التقشف والتصوف، والتشيع ويدعون إلى ما نريده بعد إحكام الأمر فاستصوب دندان ذلك وسر به وبذل لعبدالله القداح ألفي ألف دينار فقبل المال وفرقه في كور الأهواز والبصرة وسواد الكوفة، وبطالقان خراسان، وسلمية من أرض حمص، ثم مات دندان فخرج عبدالله القداح إلى البصرة، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الأمر(١٤٤).

دعاة هذا الدور

فهكذا كان الأمر، وهكذا كانت نشأة الاسماعيلية وتكوينها، ومن هؤلاء نمت وترعرعت، ثم وجد لها أنصار وأعوان، دعاة ومبشرون، نشروها في الآفاق، وغزوا بها البلاد، وتسلطوا عليها، وقد ذكرهم الأمير عبدالعزيز بن

---

(١٤٤) «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص ص ٣٠٥ إلى ٣٠٨ من «أخبار القرامطة»، أيضاً «الكامل» لابن الأثير تحت حوادث سنة ٢٩٦ ج ٦ ص ١٢٤، أيضا «الاتعاظ» للمقريزي ج ١ ص ٣٧.

شداد أيضاً وكيفية الوصول إليهم وإدخالهم في الاسماعيلية كما نقل عنه المؤرخون بقوله:

«مات عبدالله، وكان له جماعة من الولد، فخلفه منهم ابنه أحمد، فقام مقام أبيه، وجرى على قاعدته، وبث الدعاة واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن ابن فرح بن حوشب بن زاذان النجار، وكان هذا الرجل من الإمامية الذين يقولون بامامه موسى بن جعفر، فنقله إلى القول بامامه اسماعيل بن جعفر، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد، وينظرون إليهم، فمن كان فيه مطمع وجهالة استدعوه، ولا يستدعون إلا الجهال ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والأدباء والعقلاء. وكانوا يطلبون أطراف البلاد.

فقال لهم بعض من ورد عليهم: أن بجيشان والمذيجرة والجند من أرض اليمن رجلاً جد كثير المال والعشيرة يتشيع، وبهذه الناحية شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر، والمهاجرين والأنصار على مثل سبيل الحميري الشاعر، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الخير إلى علي بن الفضل من أهل جيشان من اليمن، ودخل إلى الحيرة فرأوه يبكي على الحسين بن علي. فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له: إني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ما كنت تصنع؟ قال: كنت أجاهد بين يديه، وأجعل خدي أرضاً يطأ عليها وأبذل مالي ودمي دونه، فقال له: أتظن أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر؟ قال: بلى ولكن لا أعرفه بعينه، قال: فتريده؟ قال: أي والله. فسكت عنه الداعي، فقال له علي بن الفضل ما قلت لي هذا القول إلا وأنت عارف به، فسكت الداعي فقوى ظن ابن الفضل أن هذا الرجل يعرف الإمام والحجة، فألحّ عليه، وقال: الله الله في أمري أجمع بيني وبينه، فاني خرجت إلى الحج وجئت إلى هذه الزيارة أريد الله تعالي، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل، فصار يتضرع إليه ويسأله ويقبل يده، فقال له الداعي: اصبر ولا تعجل وأقم فهذا الأمر لا يتم بسرعة ولا بدّله من صبر ومهلة، فقال ابن

الفضل لأصحابه، ومن كان معه من جيشان: انصرفوا فلي بـالكوفـة شغل، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي، فقال له: ما عملت في حـاجتي؟ فقال انتظرني حتى أعود إليـك، فانصرف عنـه ومضى إلى أحمد بن القـداح وعرفـه حال ابن الفضل وحـرصه عـلى لقاء الحجـة، وامام الـزمان، وبقى الـداعي يرمقه ويراه لا يكاد يـبرح من المسجد من غـير أن يعلم ابن الفضل بـه، فلما كـان بعد أربعـين يومـا أتاه إلى المسجـد، وهو جـالس، فقال لـه: أنت بعد ههنـا؟ فقال: نعم ولـو لم تجيء لأقمت في هـذا المسجـد إلى أن أمـوت فعلم الداعي أنه قد قصده، فأخذه وجمـع بينه وبـين أحمد بن عبـدالله بن ميمون. وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار: يا أبا القـاسم هل لـك في غربة في الله؟ فيقول: الأمر إليـك يا مـولاي، فلما اجتمع بـابن الفضل، قال له: قد جاء ما كنت تريد أبا القـاسم، هذا رجـل من أهل اليمن، وهـو عظيم الشأن، كثير المال، ومن الشيعـة قد أمكنـك ما تـريد. وثم خلق من الشيعة، فأخـرج وعرفهم أنـك رسول المهـدي، وأنه في هـذا الزمـان يظهـر الباطن، وقل لكل شيء باطن، وان ورد عليـك شيء لا تعلمه فقـل لهذا من يعلمه، وليس هذا وقت ذكره.

وجمع بينه وبين ابن الفضل، وخرجا جميعـا إلى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى، وخبرهم عنـد ابن ميمـون، فنزل ابن حـوشب بالقـرب منهم، وأخـذ في بيـع مـا معـه من القماش، ولزم الزهد والتقشف. فقصده بنو موسى، وقالـوا له: فيـما جئت؟ قال: للتجارة، قالوا: لست بتـاجر، وإنمـا أنت رسول المهـدي، وقد بلغنـا خبرك، وعرفوه بأنفسهم، فأظهر أمره عليهم، وسار إلى عـدن لاعة، وسـار ابن الفضل إلى بلده.

ولما وصل ابن حوشب إلى عدن لاعة قوى عـزائمهم وقرب أمـر المهدي عليهم، وأنه من عندهم يخرج، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح، ولم يـزل أمر ابن حـوشب يقوى واخبـاره ترد عـلى من بالكـوفـة من الإمـاميـة، وطبقات الشيعة، فيبادرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: دار الهجرة، فكـبر

عددهم واشتد بأسهم، وأغار على من جاوره، ونهب وسبى، وجبى الأموال وأنفذ إلى من بالكوفة من ولد عبدالله القداح أموالاً عظيمة، وهدايا وطرفا، وكذلك لابن الفضل.

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان، وتقدموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب، والبعد عن المدن والمنابر، وقالوا لهما: ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر، وقولا لكل شيء باطن، ونحن فقد قيل لنا: اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر، فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة مرجنة والآخر سوف جمار، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وصارا يحملان التحف التي تحمل إليهما إلى ابن القداح، ثم ماتا على قرب بينهما، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي - وكان قد هاجر إليه -: يا أبا عبدالله أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك، وبادر إليها فإنها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبدالله وأخرج ابن حوشب معه عبدالله بن أبي الملاحف، وأمده بمال، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال، وكان أبا عبدالله قد شاهد أفعال ابن حوشب، عرف تدبيره.....

وأما أحمد بن عبدالله بن ميمون، فإنه لما قوى أمره، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وهم مع هذا يسترون أمرهم، ويخفون أشخاصهم، ويغيرون أسماءهم، وأسماء دعوتهم، ويتنقلون في الأماكن(١٤٥).

وقد أورد الاسماعيلية عن هؤلاء الدعاة عين هذا الخبر حرفاً بحرف

---

(١٤٥) انظر «نهاية الأرب» للنويري الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٣٠٩ إلى ص ٣١٣ من مجموعة «أخبار القرامطة» «الكامل» لابن الأثير ج ٦ ص ١٢٥ وما بعد، وكذلك «الاتعاظ» للمقريزي ج ١ ص ٤٧ إلى ٥٥.

سوى ذكر القداحين وباختلاف يسير في الأسماء والألقاب.[١٤٦]

وفي هذا الدور «أرسل أحمد بن عبدالله بن ميمون، الحسين الاهوازي داعية إلى العراق. فلما انتهى إلى الكوفة لقى حمدان بن الاشعث وهو قرمط الذي إليه ينتسب القرامطة فصحبه، واتبعه قرمط، وتابعه كثير من الناس. فلما مات الاهوازي أسند الأمر من بعده إلى أشعث بن حمدان قرمط»[١٤٧].

وكان من كبار أصحابه زكرويه بن مهرويه[١٤٨] والداعي عبدان. ثم خلف هؤلاء أبو سعيد الجنابي وحسن بن زكرويه وأبو طاهر وغيرهم.

فكان على أيديهم فتح اليمن والمغرب وسواد الكوفة ثم البحرين، فتسلط على جزء من اليمن الحسن بن فرح بن حوشب[١٤٩] وعلى الجزء الأخر علي بن الفضل، كما تسلط أبو عبدالله الشيعي على المغرب العربي، وأسّس الدولة الاسماعيلية هناك، كما تسلط القرامطة على سواد الكوفة أولاً ثم على البحرين وما والاها من البلاد، ثم على البلدان الأخرى ولكن بعد قطعهم العلاقات عن الاسماعيلية نهائيا لاستكشافهم أن القداحيين هم الذين اغتصبوا الامامة من محمد بن اسماعيل، وانتسبوا إليه كذبا وزورا كما سيأتي ذكره في محله.

ولقد ذكر المؤرخون شنائع وفضائح كل واحد من هؤلاء وللمعتقدات الاسماعيلية الأصيلة التي ورثوها من الخطابية والمباركية.

---

(١٤٦) انظر لذلك «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان ص٣ وما بعد ط الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٥م، أيضا «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين ـ السبع الرابع ص ٣٩٦ وما بعد.

(١٤٧) «نهاية الأرب» الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٣١١ من «أخبار القرامطة»، أيضا «نهاية الأرب» خاص بالقرامطة ج ٢٥ ص ١٨٧، «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي و «الخطط» أيضا.
أيضا «القرامطة» لابن الجوزي.

(١٤٨) ومن الطرائف أن أولاده أيضا حاولوا محاكاة القداحين حيث ادّعوا نسبهم إلى محمد بن اسماعيل.

(١٤٩) الحسن بن فرح بن حوشب هو الذي عرف في تاريخ الاسماعيلية بمنصور اليمن.

أما القرامطة فأمرهم مشهور وهو موضوع مستقل خارج عن نطاق بحثنا الآن[150].

وكذلك الشيعى أبو عبدالله سيأتي ذكره في الباب التالي عند ذكر الاسماعيلية في دور الظهور.

ونريد أن نذكر بعض الحوادث والأخبار عن منصور اليمن وابن الفضل، فيقول الهمذاني عنهما:

«وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد، وتسمى الآخر بالولى. ومكثا مدة يتستران باقامة الشريعة، ثم ظهر منهما الاباحة، وليلة الافاضة، وأولاد الصفوة، ونكاح الأمهات والأخوات والبنات والمشاركة في الزوجات، وتعطيل الشرائع، وشتم الأنبياء عند التمكن والقدرة، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة وبريء كل واحد من صاحبه، ودعا كل واحد منهما إلى نفسه، بانه اله ورب، وغزا، وقصد العلويين بالمكاره والقتل وسبى الذرية»[151].

وذكر كل من محمد بن مالك اليماني وعلي بن الحسن الخزرجي عن علي ابن الفضل:

«فلما صار علي بن الفضل في صنعاء، أظهر مذهبه الخبيث، ودينه المشؤوم، وارتكبت محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: اشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لاصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات والاخوات، وسائر المحرمات، وأنشد:

خذي الدف يا هذي والعبي وغني هزاريك ثم اطربي
تولي نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه وهاتا شريعة هذا النبي

---

(١٥٠) ولعل الله ييسر الكتابة عن هؤلاء المارقين السفاهين في كتاب مستقل بمنّه وتوفيقه.

(١٥١) تثبيت دلائل النبوة «للهمداني ص ١٤٨ من مجموعة» أخبار القرامطة».

فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهض وان صوموا فكلي واشربي
ولا تمنعي نفسك المعرسين من الاقربين أو الاجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن ومجدب
وما الخمر إلا كماء السما حلال فقدست من مذهب»[١٥٢]

وكان يخاطب نوابه وأمراءه في كتبه بقوله: «من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل»[١٥٣].

ولقد أقر بذلك الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين حيث ذكر عن علي بن الفضل: «أنه إدعى النبوة.... فارتكب المحارم، وأتى بالعظائم، ومال إلى الإباحات وترك الأعمال..... مقتديا بالمغيرة وأبي الخطاب»[١٥٤].

فهؤلاء كانوا هم الدعاة الإسماعيلية في دور الستر، وأولئك كانوا الأئمة الإسماعيلية المستورين حسب زعم القوم الذين قال الله فيهم وفي أمثالهم:

«وأملى لهم إن كيدي متين».

ويسمى الإسماعيلية بأسماء مختلفة: الاسماعيلية، الباطنية، السبعية، التعليمية.

فأما الاسماعيلية فلقولهم بامامة اسماعيل بن جعفر.
وأما الباطنية فلقولهم ان لكل ظاهر باطنا.

---

(١٥٢) المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك «لعلى بن الحسن الخزرجي ٤٢١، ٤٢٢ من مجموعة أخبار القرامطة»، أيضا «كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك الحمادي اليماني ص ٢١٠ ملحق بالتبصير في الدين، «كتاب السلوك» للجندى ط كاي.
(١٥٣) «كتاب السلوك» للجندي ص١٤٨.
(١٥٤) «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٤٠ ط دار الأندلس، بيروت ١٩٧٥م.

وأما السبعية فلأنهم يعتقدون أن أدوار الامامة سبعة، وأن السابع يكون الناطق، وهو الذي ينقضي به دور الناطق الذي كان قبله، ولتمسكهم بهذا العدد بأن السماوات سبع والكواكب السيارة سبع، والأرضين سبع، والأيام سبع، وأعضاء الإنسان سبع وغير ذلك من الأقوال.

وأما التعليمية فلابطالهم النظر والاستدلال والرأي والقياس والاكتفاء على تعليم الامام المعصوم.(١٥٥).

---

(١٥٥) انظر «فضائح الباطنية» للغزالي بتحقيق البدوي ص١١ وما بعد. ط: الكويت، «بطلان مذهب الباطنية وبطلانه» ص ٢١ وما بعد. نشر شتروطهان الطبعة الثانية ط إدارة ترجمان السنة باكستان.

الباب الثاني

الائمة الاسماعيلية في دور الظهور

ولقد ذكرنا فيما مضى أن منصور اليمن أرسل داعية اسماعيليا إلى المغرب لينشر فيها المذهب الاسماعيلي والعقائد الاسماعيلية، وذلك سنة ٢٨٠هـ تقريباً[١] واستطاع هذا الداعي جلب كثير من الناس إلى دعوته وجمعهم حوله حتى طلب الحضور إلى المغرب ممن كان يزعمه إماما بسلمية فوصل إليه أول إمام إسماعيلي في دور الظهور، الذي يسمى نفسه بعبدالله المهدي، وكان وصوله إلى إفريقيا برقادة سنة سبع وتسعين ومائتين[٢].

«ولم يبق أحد من أهل إفريقية من العرب والعجم من وجوه الناس وغيرهم إلا استقبلوا المهدي يوم دخوله إفريقية»[٣].

وقبل ذلك لما أخرجه أبو عبدالله من سجن سجلماسة لم يكن قد رآه وعرفه من قبل، ولم يقع نظره عليه إلا نزل عن فرسه «ونزل الجيش كله وقبّل

(١) كتاب «افتتاح الدعوة» للنعمان القاضي ص٤٧ ط فرحات الدوشري الشركة التونسية للتوزيع، تونس. و«الكامل» لابن الأثير ج٦ ص١٣٣ و«اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج١ ص٣١، و«تاريخ ابن خلدون» ج٤ ص٣٦.

(٢) أنظر «فتتاح الدعوة» ص٢٩٩، أيضاً سيرة جعفر الحاجب» ص١٣١.

ط ايوانوف مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني ط مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة.

(٣) أيضا المرجع السابق.

أبو عبدالله الأرض، وقبّل الناس خلفه حتى انكبّ على فرس المهدي بالله صلوات الله عليه، ثم رفع رأسه فقبل ركاب المهدي (عليه السلام) وقد خنقته العبرة، فأخذ المهدي (عليه السلام) رأس أبي عبدالله وأقبل بوجهه إليه وقال له: أبشر بالخير يا حسين! فاندفع أبو عبدالله بالبكاء ولم يحر جوابا من شدة ما دخله من هيبة المهدي (عليه السلام) والسرور به[٤].

وبدأ «يمشي بين يدي الإمام ويقول: هذا مولائي ومولاكم أيها المؤمنون»[٥]

وسلّم إليه الأمر[٦].

ولكنه في نفس الوقت لاحظ فيه أشياء إستنكرها وقد تحطمت آماله التي كان يعلقها على المهدي، وتزعزعت عقيدته التي كان يؤمن بها فيه:

أولاً: ظلمه بني مدرار الذين أحسنوا إليه وأجاروه وأكرموا وفادته ونزله[٧]. وان واليها اليسع بن مدرار «كان يوجب حقه ويعظمه، وكان يقول: زعمتم أن هذا تاجر؟ والله ما هذا تاجر، لقد رأيت تجّار المشرق والمغرب ولكن هذا الرجل عظيم الشأن»[٨].

ومع معرفته به وبولده وتوجّه عساكر أبي عبدالله إلى بلدته لأجلهما، لم يقتلهما ولم يلحقهما بأي ضرر، ولكن المهدي الإسماعيلي ردّ عليه وعلى أهل بيته بما ذكره قاضي القضاة الإسماعيلي وحاجبه جعفر شاهدين لما فعله به بقولهما، واللفظ للأوّل:

---

(٤) «سيرة جعفر الحاجب» ص١٢٥، ١٢٦.
(٥) «فتتاح الدعوة للنعمان القاضي ص٢٧٩، ومثله في «الكامل» لابن الأثير ج٦ ص١٣٤ و «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج١ ص٩٠. و «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص٣٦.
(٦) أنظر «البيان المغرب» لابن عذاري المراكشي ص١٥٣ ط أوفست بتحقيق ج س كولون واي لي فوقاف بروفونسال. الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٣م.
(٧) انظر «افتتاح الدعوة» ص ١٦٥ و «عيون الأخبار» السبع الخامس ص٩٦، ٩٧.
(٨) «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الخامس ص٩٦.

«وأدركت العساكر اليسع بن مدرار ومن هرب معه من أهل بيته، أخذوهم وأتوا بهم إليه (صلى الله عليه وسلم). وأمر بضرب اليسع بن مدرار بالسوط فضرب أربعين سوطاً، وطيف به في العسكر وفي مدينة سجلماسة، واستصفى أمواله وأموال من أعان عليه وهرب معه من أهل بيته، وقتله بعد ذاك وقتلهم». [(٩)]

وزاد جعفر الحاجب أن أبا عبدالله الشيعي لما فتح مدينة سجلماسة التي كان فيها المهدي الإسماعيلي بدل أن يؤمّن أهل المدينة وهم مسلمون، وفوق ذلك محسنون عليه وعلى ولده، بدل ذلك:

«قال للناس: شأنكم بها، قال، فما تمّ الكلام حتى ركب الناس المدينة من كل الجهات وفتحوها من وقتهم ذلك ونهبت، فنهبوها ونهبنا مع من نهب...... قال: وقد نهب كتامة المدينة كلها ما خلا الدار التي كان فيها المهدي (عليه السلام) والدار التي كان فيها القائم (عليه السلام)...... وجلسنا في دهليز دار المهدي (عليه السلام) وقد آوى إلينا عالم من الناس من أهل سجلماسة من رجال ونساء وصبيان في خلق وحصير مجرحين وغير مجرحين، وهم يستجيرون بنا خوفا على أرواحهم»[(١٠)].

وبعد ما نهبوا سجلماسة أحرقوها[(١١)]

فكان هذا أول عمل قام به الإمام الإسماعيلي الأول لدور الظهور تجاه المسلمين في أول تسلطه على الحكم وأخذه زمام الأمور بيده.

---

(٩) «افتتاح الدعوة» للنعمان القاضي ص٢٨١، و«سيرة جعفر الحاجب» بتغيير يسير ص١٣١، ومثله في «تاريخ ابن خلدون» ج٤ ص٣٧، و«الاتعاظ» ج١ ص٩٢ و«الكامل» لابن الأثير ج٦ ص١٣٣.

(١٠) أنظر «سيرة جعفر الحاجب» برواية محمد بن محمد اليماني الإسماعيلي كاتب جعفر الحاجب ص١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

(١١) انظر «البيان المغرب» لابن عذاري ج١ ص١٥٢.

فارتبك أبو عبدالله الشيعي في أمره وتشكك في مهدويته وخاصة بعد قتله صبيا من صبيانهم، واستباحته أموالهم، وهتكه أعراض نسائهم، واغتصابه أبكار العذارى منهن بالحرام، أبو عبدالله الشيعي الذي عمل لتمهيد سلطته، وتوطيد أركان ملكه، وبناء صرح دولته طيلة سبعة عشر عاماً في المغرب وحدها، وقد نقل القاضي عبدالجبار الهمذاني المتوفى ٤١٥ هـ معاصر المعز الإسماعيلي حفيد المهدي الإسماعيلي، في كتابه ما قاله له:

«قال له أبو عبدالله: قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني المدار بكل خير وأنك ما نزلت بأكرم منهم، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلاً، حتى صبيا من صبيانهم واستبحت أموالهم ونساءهم فقال له: هو كما كتبت إليك، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة عسل إلا ومعها لعقة صبر، وأما هذا الصبيّ، فإنه جاءني برسالة من عمه، أحمد بن المدرار جافية ـ ثم قال الهمذاني ـ: فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل»(١٢).

ثانياً: إن أبا عبدالله والمغاربة الذين أتوا معه من القيروان وأفريقيا من أرض المغرب لما دخلوا عليه ورأوه:

«فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخسيان رومة وآثار الأنبذة أنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر»(١٣).

«ودخل مدينة رقادة وعليه ثوب خزّ أدكن وعمامة مثله، وتحته فرس ورد، وأبو القاسم ابنه خلفه عليه ثوب خز خلوقي وعمامة مثله، وتحته فرس أشقر»(١٤).

ثالثاً: استصفى أموال الناس واغتصبها جبرا وقهرا وعنوة وحتى من خاصته ودعاة الإسماعيلية ومشائخها الذين على أكتافهم قامت دولته وسلطنته

---

(١٢) «تثبيت دلائل النبوة» ج٢ ص٥٩٨ بتحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان ط: دار العربية، بيروت.
(١٣) نفس المصدر.
(١٤) انظر «البيان المغرب» لابن عذاري ج١ ص١٥٨.

كما يقرّ به القاضي الإسماعيلي، والداعي إدريس عماد الدين:

«وأقبل المهديّ (عليه السلام). فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى ايكجان. وأمر باحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة والمشائخ - وكانوا قد دفنوها هناك - فأحضروها إليه. وأمر بقبضها منهم وشدها أحمالاً، وقدم بها. فكان ذلك من أوّل ما أحال القلوب الفاسدة، وتوهّموا أنّهم يكونون كما عوّدهم أبو عبد الله يأمرون وينهون ويقبضون ويبسطون»[١٥].

وكان يستعمل في الحصول على الأموال فنونا وألوانا لكي يتجمع عنده قدر ما يستطيع أن يجمعها، وقد بلغ شرهه وحرصه إلى أن أحد قواده حباسة ابن يوسف لم يكن يفتح مدينة إلا وكان يقتل أهلها ويأخذ أموالهم ويعبث فيهم حتى لما فتح مدينة برقة أعلن فيها:

«من أراد العطاء والرزق الواسع، فليأت! فاكتتب عنده جماعة، وأمر العرفاء من كتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من أولئك المكتتبين عنده، ثم أمرهم أن يحضروا بالغداة لأخذ الأرزاق. فلما حضروا، قتل جميعهم، وكانوا نحوا من ألف رجل، فأمر بجمع جثثهم، ووضع عليها كرسياً، وجلس فوقه، ثم أدخل وجوه أهل البلد، فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى، ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب. فلما مثل أهل البلد بين يديه، سبّهم، وقال: إن لم تحضروني غدا مائة ألف مثقال، قتلتكم أجمعين! «فأحضروها له»......... ثم قتل الآخرين وباع نساءهم وأخذ جميع أموالهم»[١٦].

رابعاً: أنه أسر أهل زيادة الله - حاكم المغرب من قبل العباسيين - وأسرته، وسب نساءه - وكلهن مسلمات مؤمنات.

---

(١٥) «افتتاح الدعوة» ص٢٨٨، ٢٨٩ وكذلك ٣٠٩، «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين السبع الخامس ص١٠٦، ومثله في «الكامل» لابن الاثير ج٦ ص١٣٣، و «تاريخ ابن خلدون» ج٤ ص٣٦. و «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج١ ص٩١. و «تثبيت دلائل النبوة» للهمذاني ج١ ص٥٩٩. و «سيرة جعفر الحاجب» ص١٣١.

(١٦) «البيان المغرب» ج١ ص١٧٠.

«لما هرب زيادة الله نصب ديوانا لأموال الهاربين معه، واستصفى أموالهم، وترك ما كان لنسائهم لهن، وأمر بسترهن وحفظهن. . . . . وأمر بطلب نهب رقادة فاسترجع كثير منه من أيدي الناس، وطلبوا فيه، واجتمعت منهم أموال كثيرة»(١٧).

«ولما عرض عليه أولئك الجواري اصطفى بعضهم وأعطى القائم (عليه السلام) منهم، وفرّق أكثرهم على وجوه أهل كتامة»(١٨).

فهذه الأعمال وأفعاله القبيحة الأخرى جعلت أبا عبدالله يرتبك فيه ويشك في مهدويته وكونه من أهل البيت العلوي، وبدأ يقول: «إن أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه، وأخشى أن أكون قد غلطت فيه، وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل - (عليه السلام) - إذ جنّ عليه الليل فرآى كوكباً فقال: هذا ربّي»(١٩).

وصار الأخرون يشاركونه في شكوكه وشبهاته ممن حوله من القادة والزعماء وشيوخ الإسماعيلية ودعاتها إلى أن اجتمعوا في رقادة بعد دخوله فيها، وتناقشوا قضيته وتباحثوا أمره، ثم قدّموا شيخ المشائخ هارون بن يوسف ليفاتحه في الموضوع ويظهر إليه ما يختلج في صدورهم تجاهه من الشكوك والشبهات في إمامته ومهدويته. ولقد ذكر الإسماعيليون وعلى رأسهم النعمان بن محمد الذي خدم المهدي الإسماعيلي في آخر حياته أن أبا العباس شقيق أبي عبدالله الشيعي الأكبر:

«زاد في فساده، وأصغى هو إليه وعمل سحره فيه ثم داخل الدعاة والمشايخ وكانوا يعظمونه لما رأوه من تعظيم أبي عبدالله له، وسمعوه من بلاغته وعلمه وتفنّنه، فأخلد كثير منهم إليه وجعل يرمز لهم بعد الرمز إلى أن

---

(١٧) «افتتاح الدعوة» ص٣٠٣ و «عيون الأخبار» السبع الخامس ص١١٤.

(١٨) «افتتاح الدعوة» ص٣٠٢.

(١٩) «البيان المغرب» ج١ ص١٦١، ومثله «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي ج١٥ ص١٤٥، ١٤٦.

صرّح لمن رأى أن كلامه وقع فيه موقعاً، فطعن لهم في الإمامة وأدخل فيها الشبهة وجاءهم من موضع محبوبهم ودخل إليهم من جهة مرادهم بأن الذي كان يجب لهم ويستحقونه وينبغي أن يسمع لهم أضعاف ما صنع بهم، وذكرهم انتزاع الأموال من أيديهم، وإدخال من أدخل من جملة الرجال معهم من العبيد ومن أهل أفريقية، وغيرهم، وجاءهم من ذلك بضروب يطول ذكرها ومعان يقصر الكتاب عن نهايتها.

وكل ذلك يتصل بالمهدي (عليه السلام)، وهو يعرض عنه، وأبو عبدالله مع ذلك متمائل لم يبلغ الجحود ولا صار إلى حد النفاق إلى أن فشا أن أمير المؤمنين قد انتهى ذلك إليه. فقصد أبو العباس إلى أبي عبدالله وإلى من استفسده من أصحابه من طريق التحذير والتخويف على أنفسهم وأنهم إن لم يبادروا لأمر بودر إليهم. فاستحكم ذلك من قلوبهم. وزاد في سوء اعتقادهم، وكل ذلك يؤكد مراءه ويشدّ أمره بضروب من الحيل ووجوه من الكيد إلى أن حمل من استفزّه من الدعاة على المباينة بالنفاق والاعلان بالشقاق.

فاستخف هارون بن يوسف الذي كان يقال له: شيخ المشائخ الأربابي إلى أن واجه المهدي بالقول الذي زيّنه له واستفسده من أجله، فقال للمهدي مواجهة إنّا قد شككنا في أمرك، فأتنا بآية إن كنت المهدي كما قلت. فتعاظم (عليه السلام) ما أتاه من ذلك. فأوقفه على فساد قوله من كتاب الله (عز وجل) وما أتى فيه من ذمّ الأمم عند سؤالهم أنبياءهم الآيات، وقال له في ذلك من القول ما يطول ذكره»[٢٠].

وقد ذكر الإمام الذهبي عن علي بن يوسف القفطي الوزير الإيرادات التي أوردوها بقوله:

---

(٢٠) «فتتاح الدعوة» ص٣٠٨ إلى ٣١٠، ومثله في «عيون الأخبار» السبع الخامس ص١١٨، ١١٩.

«حكى الوزير القفطي في سيرة بني عبيد، قال: كان أبو عبدالله الشيعي أحد الدواهي، وذلك أنه جمع مشايخ كتامة ليشككهم في الإمام، فقال: إن الإمام كان بسلمية قد نزل عند يهودي عطار يعرف بعبيد، فقام به وكتم أمره، ثم مات عبيد عن ولدين فأسلماهما وأمهما على يد الإمام، وتزوج بها، وبقي مختفياً. وبقي الإخوان في دكان العطر. فولدت للإمام ابنين، فعند اجتماعى به سألته أيّ الاثنين إمامي بعدك؟ فقال: من أتاك منهما فهو إمامك. فسيرت أخي لاحضارهما، فوجد أباهما قد مات هو وابنه الواحد. فأتى بهذا. وقد خفت أن يكون أحد ولدي عبيد. فقالوا: وما أنكرت منه؟ قال: إن الإمام يعلم الكائنات قبل وقوعها. وهذا قد دخل معه بولدين. ونص الأمر في الصغير بعده، ومات بعد عشرين يوما، يعني: الولد. ولو كان إماما لعلم بموته. قالوا: ثم ماذا؟ قال: والإمام لا يلبس الحرير والذهب. وهذا قد لبسها. وليس له أن يطأ إلا ما تحقق أمره. وهذا قد وطيء نساء زيادة الله، يعني: متولي المغرب. قال: فشككت كتامة في أمره، وقالوا: فماترى؟ قال: قبضه ثم نسير من يكشف لنا عن أولاد الإمام على الحقيقة. فاجمعوا أمرهم. وخفّ كبير كتامة فواجه المهدي، وقال: قد شككنا فيك، فائت بآية. فأجابه بأجوبة، قبلها عقله. وقال: إنكم تيقنتم، واليقين لا يزول إلا بيقين لا بشك. وأن الطفل لم يمت، وأنه إمامك، وإنما الأئمة ينتقلون، وقد انتقل لاصلاح جهة أخرى. قال: آمنت، فما لبسك الحرير؟ قال: أنا نائب الشرع أحلّل لنفسي ما أريد، وكلّ الأموال لي، وزيادة الله كان عاصياً»[٢١]

وهذه هي عين تلك الأشياء التي نحن ذكرناها آنفا فيما مرّ.

وأما القاضي عبدالجبار الهمذاني فلقد ذكر أن شيخ المشائخ أبا موسى هارون قال للمهدي الإسماعيلي في وجهه: ويلك! أنت الغاوي، لا المهدي، تزني، وتلوط، وتشرب الخمر، وتكذب، وتغدر، وتسفك الدم،

---

(٢١) «سير اعلام النبلاء» للذهبي ج١٥ ص١٤٥، ١٤٦.

ويلك، أي شيء أنت، وابن من أنت؟ قال: قد قال لكم أبو عبدالله الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي الداعية أني أنا المهدي، فجاؤوا بأبي عبدالله، فقالوا له: هذا هو المهدي؟ فقال: لا، فقال له سعيد[22] (أي المهدي): ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة: هذا هو المهدي الذي كنت أدعو إليه، فأقبل أبو عبدالله على أبي موسى والجماعة فقال: يا هؤلاء غلطت كما يغلط الناس، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة، وكنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر وولده، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري، ووقع علينا من دعانا إلى إمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر، ولقيت الإمام من قبل محمد ابن اسماعيل بالكوفة، وودعته وخرجت إلى ابن حوشب باليمن، وبين يدى الإمام بالكوفة غلامان، فقال لي حين ودّعته: يا أبا عبدالله، هذان إماماك، فمن دعاك منهما فأجبه، فخرجت إلى اليمن، ومنها إلى مكة، ومنها إليكم إلى المغرب.

وبلغنا أن الإمام قد مات وخلفه ولده، وكانت الكتب تأتيني من هذين، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الإمام، فظننته المهدي وماهو بالمهدي، ولكنه رجل سوء كذاب شرير، عدو الله، وعدو رسوله، وعدو أهل بيته، وعدو الشيعة، وعدو المهدي، فوافق سعيد أبا عبدالله على غدراته وأكاذيبه وكان له في كتامة، وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الأموال، وأعمل الحيلة»[23].

وهناك نص في غاية الخطورة في كتاب إسماعيلي قديم ملخصه أن أبا العباس كان يعرف المهدي شخصياً وقد رآه في سلمية، ولما رأى أن المتنقل من سجلماسة مع القائم الذي قد شاهده ورآه من قبل «أنكر أبو العباس أخو أبي عبدالله الشيعي إمامة المهدي الظاهر من سجلماسة، لأنه عارف بالمهدي

(٢٢) وكان يسمى سعيد قبل مجيئه إلى المغرب، ولم يتسم بعبدالله أو عبيدالله. إلا بعد وصوله إليها. وسنذكر هذا الموضوع في الباب الثالث مفصلاً إن شاء الله.

(٢٣) «تثبيت دلائل النبوة» الجزء الخاص للقاضي عبدالجبار الهمذاني ص١٦١، ١٦٢، ١٦٣ من أخبار القرامطة».

أبي القائم[٢٤]، فلما رأى الأمر وسوس لأخيه أبي عبدالله الشيعي، وقال: إن هذا الذي يدعى بأنه الإمام، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك إليه، وقلت إنه المهدي المنتظر، ما هو كما قلت ولا الأمر كما توهمت، ولا هو صاحب الأمر، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه، وأولى بالنيابة»[٢٥].

فلما رأي الإمام الإسماعيلي في دور الظهور عبدالله الإسماعيلي أن أمره قد اكتشف، وسحره قد انتهى ولم يبق أن ينطلي عليهم، قرّر التخلص منهم، من ذلك الرجل الجليل الذي حرث له أرض المغرب وزرعها ليجتني ثمارها، هو ومن ساعده في ذلك «وأخرج من وجهوهم إلى نواحي من البلدان ليفرق جمعهم: فأخرج فيمن أخرج أبازاكي إلى طرابلس - وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها. فلما وصل إليه كتب إليه بقتله. فقتله أبو يوسف عمه صبرا. وبعث برأسه إلى المهديّ. وقتل جماعة منهم كذلك بالبلدان وبرقادة بصنوف من القتل، وهرب ابن القديم واستخفى. فظهر عليه، وقتل. وخرج أبو عبدالله وأبو العباس يوما يريدان قصر المهديّ على عادتهما. فحمل غزوية ابن يوسف على أبي عبدالله، وجبر بن تماشت على أبي العباس برمح في يد كل واحد منهما فقتل غزوية أبا عبدالله، وحبرٌ أبا العباس فيما بين القصر. وكان قتلهما يوم الإثنين صاحية النهار يوم النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين. واتفق أن كان قتل أبي زاكي في ذلك اليوم. وأمر المهديّ (عليه السلام) بدفنهما في الجبان»[٢٦].

وكان هذا أيضا مما يعدّ في أعمال المهدي الإسماعيلي الشنيعة التي ارتكبها بعد وصوله إلى الحكم.

---

(٢٤) وسوف نبحث هذه القضية في الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٢٥) انظر «كتاب التراتيب» لداعي إسماعيلي قديم ص١٤٠، ١٤١ من «أخبار القرامطة» للزكار.

(٢٦) «افتتاح الدعوة» للنعمان المغربي ص٣١٥، ٣١٦ واللفظ له، أيضا «عيون الأخبار» ص١٢١، ومثله في «الكامل» لابن الأثير ج٦ ص١٣٤ وتاريخ ابن خلدون ج٤ ص٦. و«الاتعاظ» ج١ ص٩٣ و«البيان المغرب» ج١ ص١٦٤ وغيرها.

ثم عمل بهذه السنة السيئة، ولم يسلم منه أحد ساهم في توطيد ملكه، وتمهيد سلطانه، وبناء مجده، ونشر ديانته فسلكوا نفس المصير الذي صار فيه أبو عبدالله الشيعي، وأخوه العباس، وأبوزاكي، وشيخ المشائخ والآخرون.

«ثم عمل على قتل جماعة منهم فقتلهم بأصناف من القتل»(٢٧).

ومن جانب آخر ما أن نزل رقادة إلا وأراد ترويج العقائد الإسماعيلية الأصلية المقتبسة من الخطابية.

«سبّ أصحاب النبي وأزواجه حاشا على بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفارى، وزعموا أن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدّوا بعده»(٢٨).

«ومدحت الشعراء عبيدالله بالكفر، فاستجازه وكان فيما مدح به شعر لمحمد البديل، كاتب أبي قضاعة، وفيه.

حلّ برقّادة المسيح حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها أحمد المصفّى حلّ بها الكبش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي وكلّ شيء سواه ريح

لعنه الله، وغضب عليه، وأخزى القائل والمقول فيه ـ وكانت ايمان كتامة أول دخولهم افريقية »وحقّ عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة»(٢٩).

وأيضا:

«ليهنك أيها الملك الهمام قدوم فيه للدهر ابتسام
حططت الرحل في بلد كريم رعته لك الملائكة الكرام

---

(٢٧) «البيان المغرب» ص١٦٥.

(٢٨) «البيان المغرب» ج١ ص١٥٩، وغير ذلك.

(٢٩) أيضا ص١٦٠.

لئـن عـظم الحـرام ومـا يـليـه ... كـما عـظمـت مـشـاهـدة الـعـظام
لـقـد عـظمـت بـأرض الـغـرب دار ... بهـا الـصـلوات تـقـبـل والـصـيـام
هـي المـهـديـة الحـرم المـوفّى ... كـما بـتـهـامـة الـبلـد الحـرام
كـان مـقـام إبـراهـيـم فـيـه ... ثـرى قـدمـيـك إن عـدم المـقـام
وان لـثـم الحـجـيـج الـركـن أضـحـى ... لـنـا بـعـراض قصركـم إلـتـثـام
لئـن شـاب الـزمـان وشـاب مـلك ... دعـائـمـه إذا عـجـمـت حـطام
لمـلكـك أيهـا المـهـديّ مـلك ... غـلام والـزمـان بـه غـلام
لـك الـدنيـا ونسلك حيـث كـنـتـم ... فـكـلكـم لهـا أبـدا إمـام»[٣٠]

وبثّ الدعاة:

«وأحضروا النـاس بالعنف والشـدة ودعوهم إلى مـذهبهم فمن أجـاب أحسن إليه، ومن أبي حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس، وهم فليل، وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم»[٣١].

«وقتل عروس المؤذّن بمسجد ابن عياش الفقيـه بعد أن ضرب بـالسياط وقطع لسانه إذ شهد عليه قوم من المشـارقة بـأنه أذن ولم يقـل «حي على خـير العمـل» وكـان من المتزهـدين يـطحن بيـده ويعمـل الحلفـاء ويتعيش من ذلك»[٣٢].

وزاد أبو زيد الدباغ أنه عمل بين عينيه وطيف به القيروان[٣٣]

كما «أمر بقتل أبي علي الحسن بن المفـرج ومحمد الشـذنّي الزاهـد إذ رفع عليهما إليه بتفضيل بعض الصحابة على عليّ»[٣٤].

---

(٣٠) إيضا ص ١٨٤.

(٣١) «الاتعاظ» للمقريـزي ج١ ص٩٢، و«العبر» لابن خلدون ج٤ ص٣٦ و«الكـامل» لابن الأثير ج٦ ص١٣٣.

(٣٢) «البيان المغرب» ج١ ص١٨٢، ١٨٣.

(٣٣) «معالم الايمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد عبدالـرحمن بن محمد الأنصـاري الدبّـاغ المتوفي سنة ٦٩٦ ج٣ ص٥ ط محمد معذور المكتبة العتيقة بتونس.

(٣٤) نفس المصدر ص١٨٧.

«ضرب محمد بن العباس الهذّاء الفقيه بالدرة في الجامع عريانا، وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرّح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك»[٣٥].

كما ضرب وحبس أبو جعفر أحمد بن نصر إمام فقهاء المغرب وتلميذ محمد بن سحنون لافتائه بمذهب مالك، وجعل القيد في رجليه وعنقه[٣٦].

وكذلك أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن برذان وبابن هذيل» وكانا من العلماء الخاشعين لله. فلما وصلا إليه، وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبدالله الشيعي الذي ولاه الملك وسلّم له فيه، وعن يساره أبو العباس أخوه. فقال لهما أبو عبدالله وأخوه: «اشهدا أن هذا رسول الله!» فقالا جميعاً بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلا هو! لو جاءنا هذا، والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره، وينطقان. فيقولان إنه رسول الله، ما قلنا إنه هو! فأمر عبيدالله - لعنه الله! - عند ذلك بذبحهما وربطهما في أذناب الخيل، وأن يشق بهما سماط القيروان، ففعل ذلك بهما - رحمة الله عليهما»[٣٧].

وذكر ابن سعدون:

«وخرج في دولة عبيدالله شيخ للسفر، ومعه خيل، فباتوا في مسجد بخيولهم فقيل لهم: «كيف تدخلون خيولكم المسجد؟» فقال لهم الشيخ وأصحابه: «إن أرواثها وأبوالها طاهرة، لأنها خيل المهدي» فقال القيّم بالمسجد: «إن الذي يخرج من المهدي نجس فكيف الذي يخرج من خيله؟» فقالوا له «طعنت على المهدي!» وأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشية جمعة، فقتله»[٣٨].

---

(٣٥) «البيان» ج١ ص١٨٨.

(٣٦) «معالم الإيمان» ج٣ ص٨.

(٣٧) «تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الزمان» لأبي عبدالله محمد بن سعدون نقلاً عن «البيان المغرب» لابن عذاري المراكشي ج١ ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣٨) أيضا ص٢٨٤ ج١.

فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفى أمواله ويهدم حصونه وقلاعه ـ ويسبى نساءه وذريته . ـ[٣٩]

«ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الأحوال والأموال، ويسلطهم على أهل الفضل، ويضع المكوس والضرائب، ويتوصل إلى إزالة النعم، والضيق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه.

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم. وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين»[٤٠].

ونقل الإمام الذهبي عن أبي الحسن القابسى ـ علي بن محمد خلف القيرواني المتوفي سنة ٤٠٣ هـ ـ صاحب «الملخص» ـ ملخص الموطّأ للإمام مالك:

«إن الذين قتلهم عبيدالله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردّهم عن الترضى عن الصحابة فاختاروا الموت، فقال سهل الشاعر:

وأحلّ دار النحر في أغلاله ... من كان ذا تقوى وذا صلوات

ودفن سائرهم بالمنستير، وهو بلسان الفرنج المعبد الكبير»[٤١].

وذكر أيضا أن عبيد الله تملك المغرب فلم يكن يفصح بهذا المذهب إلا للخواص فلما تمكن أكثر القتل جدا وسبى الحريم[٤٢].

وذكر المؤرخون أنه ما سبى أحد من الجبابرة نساء المسلمين، وأسر ذراريهم مثل ما سبى وأسر المهدى الإسماعيلي بالمغرب والإمام الأول

---

(٣٩) «البيان» في مواضع متفرقة.

(٤٠) «تثبيت دلائل النبوة «للهمذاني ج٢ ص٥٩٩.

(٤١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي المتوفى ٤٨٨ ج١٥ ص١٤٥، أيضا «معالم الإيمان» ج٣ ص٣٤.

(٤٢) «سير أعلام النبلاء» ص١٥١.

الإسماعيلي في دور الظهور، كما لم يأت بأعمال الوحشية واللاَّ إنسانية في القتلى مثل ما سان يأتي بها، فكان يكثر قطع رءوس القتلي ويكتب أسماءهم في بطائق ويعلقها في أذانهم، ثم يرميها في الطرق، وكان يأمر بتطويف الأسرى، فيضربون بالمطارق ثم يقطّعون اربا اربا(٤٣).

و «كان يوجّه الدعاة إلى عدة أطراف ويأمرهم بإظهار التشريق - أي مذهب الإسماعيلية بإتيان المنكرات وتحليل المحرمات - فإن وجد الناس محتملين له ومغضين عليه نشروا عنده الأمر وأظهروه، ومرة أرسل منيب بن سليمان المكناس الداعي التشريق بجانب تيهرت، فلما كشف منيب بجبل ونشريش ما أمره عبيدالله به، وكان الرجل يدخل إلى حليلة جاره، فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه، ثم يخرج، فيبصق في وجهه، ويصفع قفاه، ويقول له: «تصبّر» فإذا صبر، عدّ كامل الإيمان، وسمّى من الصابرة. فقام عليهم الناس، وقتلوا بعضهم، فكفّوا»(٤٤).

ولما رأى تصلب الشعب المغربي في التدين والتمسك بمسلك أهل السنة، والتنفر والإحتقار للديانة الإسماعيلية، والتبعد عن المنكرات والفواحش، وإنكار الخضوع لعبودية المهدي الإسماعيلي والاستسلام للملذات والشهوات، واستباحة المحرمات، والحفاظ على التقاليد الإسلامية والقيم الأخلاقية والثبات عليها بالعزيمة والاستقامة حتى الموت فتراجع عن التجاهر بغيّه وغلوائه، وكفّ عن ترويج أفكاره وعقائده علنا، وجلاء خوفاً أن يثور عليه الناس فأمر بحبس نحو مائتي رجل أظهروا التشريق(٤٥).

---

(٤٣) أنظر «البيان المغرب» ص١٨٢ وفي مواضع متفرقة غير ذلك.

(٤٤) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ج١ ص١٨٥.

(٤٥) أي مذهب أهل الشرق الذي وصل في المغرب بوساطة الشرقيين أبي عبدالله وأبي العباس وعبدالله المهدي الاسماعيلي بالقيروان وباجة وتونس وجاهروا بتحليل المحرم، وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر في رمضان جهارا. وعلم بذلك الخاص والعام حتى عيّر به أبو القاسم أيام كونه بالفيوم، وكثر القول من الناس في هذا، فكتب عبيدالله إلى عمّاله بهذه المواضع بأن يرفعوهم إليه مقيدين، ثم حبسوا، فمات أكثرهم بالسجن، وكلهم مشهور بافريقية: منهم أحمد البلوى النخاس بالرقيق، كان يصلي إلى رقادة أيام كون عبيدالله =

كما كان يأمر دعاته خارج المغرب في بلاد العراق وفارس ببثّ هذه الأفكار والمعتقدات بين الناس، وقد ذكر المؤرخون وأصحاب الفرق نص إحدى رسائله التي أرسلها إلى داعية في البحرين، الاحساء والقطيف وما جاورها، ونائبه في هذه البلاد أبي طاهر سليمان بن الحسن القائل:

أنا الداعي للمهدي لاشك غيره   وأنا الصارم الضرغام والفارس الذكر[٤٦]

والذي لم يعقد إمارته إلا بأمر من المهدي الإسماعيلي.

«كان أبو سعيد الجنابي عهد لابنه الأكبر سعيد، وسار به أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان فقتله وقام بأمرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيدالله المهدي بالولاية»[٤٧].

وقال المستشرق دوزى: إن أبا طاهر كان يدفع الخمس إلى المهدى الإسماعيلي معترفا بإمامته وزعامته ولم يكن يعصيه أمرا[٤٨] وكان يتجاهر بولائه له حيث كتب كتاباً إلى الخليفة العباسي المقتدر صرح فيه بتدعيته

= بها، وهي منه في المغرب، فلما انتقل عبيدالله إلى المهدية، وهي منه في المشرق، صلى إليها. وكان يقول: «لست ممن يعبد من لا يرى» وكان يتصدى لعبيدالله، ويقول له: «أرق إلى السماء! كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق! وكان يقول لأهل القيروان في عبيدالله: «إنه يعلم سركم ونجواكم» فتقرب إليه رجل يوما، وهو يقول ذاك، فأخذ أذنه، ونطق فيها: «عبيدالله الذي تقول زان، ابن الزانية! فإن كان يعلم ما قلت لك، فليتصبر!» فصاح صيحة عظيمة، وقال: «يا مسكين! أنه حَلِيم لا يعجل!» ومنهم إبراهيم بن غازي، وكان يأكل في شهر رمضان جهارا، ويركب الكبائر (البيان المغرب ج١ ص١٨٦).

(٤٦) «النجوم الزاهرة» للتغرى البردي ج٣ ص٣١٧ ط وزارة الثقافة المصرية.

(٤٧) «تاريخ ابن خلدون» ج٤ ص٨٨ تحت عنوان «قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي منها» ط بيروت.

(٤٨) نقلاً عن «عبيدالله المهدي» للدكتور حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ص٢١٨ ط مكتبة النهضة، القاهرة.

للمهدي الإسماعيلي وأنه من دعاته ونوابه، كما أقرّ فيه من قتال الحجيج واحراق المساجد.(٤٩).

فيقول المهدي الإسماعيلي في رسالته التي أرسلها إلى داعيه أبي طاهر سليمان هذا:

«إنّي أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم. . . . . . . ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: «الروح من أمر ربي» لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحقق في زمانه عنده برهانا قال: (لئن اتخذت إلهاً غيري) وقال لقومه «أنا ربكم الأعلى» لأنه كان صاحب الزمان في وقته. . . . . وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات، وخوفهم بغائب لا يعقل، وهو الاله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار، حتى استعبدهم بذلك عاجلاً، وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا، واستباح بذلك أموالهم بقوله: «لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» فكان أمره معهم نقداً، وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعميها؟ وهل النار

---

(٤٩) انظر «كشف أسرار الباطنية» ص٢١٢، ٢١٣ الملحق «بالتبصير في الدين» تحقيق الكوثري ط مكتبة الخانجي، وانظر «عبيدالله المهدي» ص٢١٤ وما بعد.

وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج؟

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة: وأنت وأخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس، فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة عن أمرهم»(٥٠).

ولم يكن قتل أبي طاهر الحجيج، ونهبه إياهم، وسلبه أموالهم ونساءهم وذراريهم والعبث في داخل الحرم المكي الشريف يوم التروية، والظلم والقسوة والوحشية، واقتلاع الحجر الأسود وباب الكعبة ونزع كسوتها وشقها ونهبها إلا نتيجة لهذه الدعوة الخبيثة وإيعاز منه»(٥١).

«وفي أيام المهدي عاثت القرامطة بالبحرين وأخذوا الجميع، وقتلوا وسبوا، واستباحوا ما حرم الله، وقلعوا الحجر الأسود، وكان عبيدالله يقاتلهم ويحرضهم قاتله الله»(٥٢).

ثم لم يردّوه بعد اثنتين وعشرين سنة إلا بأمر من حفيده المنصور، وقالوا:

«أخذناه بأمر، وأعدناه بأمر»(٥٣).

---

(٥٠) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩ ص٢٩٦، ٢٩٧ ط مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.

(٥١) انظر «البداية والنهاية» ج١١ ص١٦١ و «تاريخ أخبار القرامطة» لثابت بن سنان الصابي ص٥٤ من مجموعة «أخبار القرامطة» للدكتور زكار ط دمشق ١٩٨٢م و «الكامل لابن الأثير ج٦ ص٢٠٤ «تاريخ ابن خلدون» ٣١ ص٣٧٩، «النجوم الزاهرة» للتغرى البردي ج٣ ص٢٢٥.

(٥٢) «سير أعلام النبلا» ج١٥ ص١٤٧.

(٥٣) «الكامل» لابن الأثير ج٦ ص٣٣٥، «البداية والنهاية» ج١١ ص٢٢٣، «تاريخ ابن خلدون» ج٣ ص٣٧٩.

فهذا هو الإمام الإسماعيلي الأول في دور الظهور، والمهدي الإسماعيلي، ومؤسس الدولة الإسماعيلية، وهذه هي سيرته وأفعاله وعقائده التي حفظ لنا التاريخ شيئاً منها، ومن الكثير الكثير، وقد يشهد أعمال دعاته في اليمن والبحرين وفارس أيضا من علي بن الفضل، والجنابيين وأبي حاتم الرازي وغيرهم على صدق المرويات التي تنبيء وتخبر عن شنائعه وقبائحه وسوء معتقداته.

والجدير بالذكر أن معتقدات الإسماعيلية هذه كانت مشهورة منتشرة بين الناس آنذاك، ولقد أقرّ النعمان بن محمد المغربي الداعي الإسماعيلي الجليل وقاضي قضاة الإسماعيلية أن زيادة الله المتولى على المغرب عندما تنبّه لخطر دعاة الإسماعيلية وتوغلهم في المغرب ثم الحروب التي شنّها أبو عبدالله الشيعي لتوطيد ملك الإسماعيلية، نادى في الناس:

«وقد انتهى معشر المسلمين عن هذا الكافر الصنعاني المبدّل لدين الله المحرّف لكتابه، المستحلّ دماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج بخلاف حلّها، مرتكبا للمحارم فيها، الأكل أموالهم مستلبا لها، قد عرفتموه فيما انتهى إليكم عنه. فإنه آوى إلى كتامة برابر أغتام، وجهال طغام، فأستزلّهم. واستهواهم، واستغواهم: فدعاهم إلى تبديل دين الله، فأجابوه، وتحريف سنة رسوله (صلى الله عليه وآله) فأطاعوه لجهلهم بالدين والسنة، وما أراده الله (عز وجل) بهم من الشقوة والمحنة ولأنهم بمنزلة الحمر النافرة، والأنعام السائمة فما زخرف لهم قبلوه، وما زينه لهم اتبعوه، وكل من كانت لهم منهم مسكة أو علم شيئا من الكتاب والسنة لم يجد غير الهرب إلينا منه بدينه والمقام على حربه، منتجزا وعد الله في هلاكه وقطع شأفته كعادته في أمثاله.

ومن أيسر ما ظهر من كفره وانتشر من قبيح انتحاله وأمره وفشاعنه، وعرف وأطبق عليه من اتبعه إظهار لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصهريه وخليفتيه وضجيعيه وعثمان ذي النورين، زوج ابنتيه، وطلحة والزبير حوارييّه وجماعة من أخيار صحابته (رحمة الله

عليهم). ويزعم أن عليا (رحمة الله عليه) كان يرى ذلك فيهم، ويذهب إليه من أمرهم. وقد برّأه الله من ذلك بحسن الصحابة لهم وجميل العشرة أيّام حياته وحياتهم، واتفاقه معهم على ما أرضى الله عنهم. ثم زعم الفاسق أن من لم يدن بذلك ويره ويقله ويعتقده ويتبرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين فهو خارج من جملة المسلمين، حلال دمه وماله وسبى ذراريه.

ثم شرّع شريعة غير شريعة الإسلام وأسنّ سنة غير سنة محمد (صلى الله عليه وآله) كتمها، وأسرّ أمرها. وأخذ العهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها وترك التفوه بها. وما يدل عليها لئلا تظهر إلى المسلمين فيستحلوا جهادهم عليها - وافترض الله علي كل امريء دخل في أمره دينارا سمّاه دينار الهجرة ودرهما زعم أنه درهم الفطرة، وجعل لنفسه حقا واجبا في أموال الأمة، وهدم المساجد وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين وبان من جماعة المسلمين». (٥٤)

وعلى ذلك قال القاضي عياض:

«أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة»(٥٥)

ونقل عن أبي محمد الكستراتي أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟

فقال: يختار القتل ولا يعذر، ويجب الفرار لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع، لا يجوز»(٥٦).

ومات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة بعد أن خلّف ولده في الحكم القائم بأمر الله(٥٧).

---

(٥٤) كتاب «افتتاح الدعوة» للنعمان ص١٨٦ إلى ١٨٩.
(٥٥) «ترتيب المدارك» ج٤ ص٧٢٠، أيضا «سير أعلام النبلاء» ص١٥١.
(٥٦) أيضا.
(٥٧) انظر «افتتاح الدعوة» ص٣٢٩، أيضا «عيون الأخبار» السبع الخامس ص١٥٥.

ولم يصل عليه أحد:

«وكتم أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه خبر وفاته مائتي يوم ثم أظهر نعيه»[٥٨].

ولم يشارك في دفنه غير القائم وواحد من عبيد الصقالبة اسمه جوذر «وذلك لما أراد (القائم) دفن المهدي بالله سلام الله عليه أحضرني دون جميع العالم، وقال لي: وليس إلا أنا وهو على حافة القبر»[٥٩].

«وكانت مدة ظهور إمامته منذ وصل إلى رقادة إلى اليوم الذي نعى فيه أربعا وعشرين سنة وعشرين يوما»[٦٠].

القائم: الإمام الإسماعيلي الثاني

«وقام القائم بأمر الله مقام المهدي بعده: واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه»[٦١] وعمره يومئذ سبع وأربعون سنة[٦٢].

«فكان أصل النور، وثاني أئمة الظهور مقابلا لأمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام)..... فلم يعرفه بحقيقة غير الامام المهدي بالله

---

(٥٨) «عيون الأخبار» السبع الخامس ص١٥٥.

(٥٩) «سيرة الاستاذ جوذر «لابي علي المنصور العزيزى الجوذرى ط دكتور محمد كامل حسين ودكتور محمد عبدالهادي شعيرة ص٣٩ ط دار الفكر العربي - القاهرة، أيضا «زهر المعاني» للداعي إدريس عماد الدين الباب السابع عشر ص٧٢ من «المنتخب لايوانوف بومبي.

(٦٠) «افتتاح الدعوة» ص٣٣٠.

(٦١) «افتتاح الدعوة» ص٣٣١، و «عيون الأخبار» ص١٥٨.

(٦٢) انظر «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» للداعي حسن بن نوح الهندي ص٢٣٧.

والأئمة من ذريته، كما أنه لم يعرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب غير رسول الله والأئمة من ذريته»[٦٣].

وقال القاضي عبدالجبار الهمذاني:

«وزاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة، وجاهر بشتم الأنبياء، فكان ينادي في أسواق إفريقية والمهدية، وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها، فكان يقال: العنوا عائشة وبعلها، العنوا الغار ومن حوى، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولي عليه أبوه، فإن بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك، وكان يقول في هذا: إنه هو الذي يظهر ويملك الأرض، وأنه هو الحجة والمهدي، وكتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ السابع، والناموس الأعظم، وهو سر الدعوة وحقيقتها، وحثه على قتل المسلمين، واحراق المساجد والمصاحف، وكان قد كتب هذا الكتاب في حياة أبيه، وكان أبوه في أول أمره يقول: إن هذا يتيم في حجري وهو علوى من ولد إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك، فلما تمكن وفعل هذا قال: هذا ابني وهو علوى، وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول، وهو أكثر مما أتى أبوه»[٦٤].

ونقل عنه مثله الإمام الذهبي[٦٥].

وذكر الهمذاني في موضع آخر:

ولما قام القائم « رجع عنه خاصته وقالوا : هذا أكفر من أبيه . . . ولعن جميع الأنبياء وأظهر الباطن كله، وبعث الدعاة فدعوا إلى سعيد (المهدي) أنه إله حق، وأنه خالق رازق، وأنه هو الذي فتق ورتق، وهو الذي أحيا

---

(٦٣) «زهر المعاني» ص٧٣ من «المنتخب» لإيوانوف.

(٦٤) «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبدالجبار الهمذاني، الجزء الخامس المستخرج منه والمستدرج في «أخبار القرامطة» للدكتور سهيل الزكار ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٦٥) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج١٥ ص١٥٢ .

وأمات، ونكح البنات حتى كان مثل أبي الأسود وأبي طلحة من الدعاة قد نكحوا بناتهم »[٦٦].

« فمن تكلم عذّب وقتل، واشتد الأمر على المسلمين »[٦٧].

فتأهبوا للقتال ضده، وفي تلك الأيام خرج مخلد بن كيداد « وكان في ابتداء أمره يتردد في البلدان ويحض من آنس به على القيام على السلطان، وكان بربرياً من زناته من مدينة توذر، وذلك سنة ٣٢٣ ».

« وكان مخلد أبو يزيد أحد أئمة الاباضية بالمغرب، وقرأ على عمار الأعمى، وكان يركب الحمار[٦٩] . . . . وقام المسلمون معه وخرج الفقهاء والعباد مع أبي يزيد لحربه - القائم - . . . . فركبوا معه ونهضوا إلى القيروان، فدخلها في صفر العام، وأظهر لأهلها خيرا وترحم على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ودعا الناس إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مذهب مالك. فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي - ﷺ - وعلى أصحابه، وأزواجه، حتى ركزوا بنودهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم البنود والطبول، منها بندان أصفران، مكتوب في أحدهما البسملة و« محمد رسول الله » وفي الآخر « نصر من الله وفتح قريب، على يدى الشيخ أبي يزيد ! اللهم. انصر وليك على من سبّ أولياءك» وبند آخر مكتوب عليه : « قاتلوا أئمة الكفر » الآية. وبند آخر فيه مكتوب : قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم » وبند آخر مكتوب فيه بعد

---

(٦٦) « تثبيت دلائل النبوة » ص ١٦٣ من « أخبار القرامطة ».

(٦٧) « البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب » لأبن عذارى المراكشي ج ١ ص ٢١٦.

(٦٨) « عيون الأخبار وفنون الآثار » للداعى ادريس السبع الخامس، ص ١٧٣ ومثله في « تثبيت دلائل النبوة » للمهذاني و « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٣.

(٦٩) وقد بين القاضي عبد الجبار سبب ركوبه الحمار أنه كان شيخاً كبيراً لا يمكن لكبره وعجزه أن يركب فرسه (انظر « تثبيت دلائل النبوة » ص ١٦٤ من مجموعة « أخبار القرامطة »).

البسملة أيضاً » : « محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق » وبند آخر ، وهو السابع ، فيه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » . فلما اجتمع الناس ، وحضر الإمام ، وطلع على المنبر خطب خطبة أبلغ فيها ، وحرض الناس على جهاد الشيعة ، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله الشيعى وابنه ، ثم نزل ، فخرج ، وخرج الناس معه لقتال الشيعة الفجّار . فلم يزل قاهراً لهم ، غالباً عليهم ، قاتلاً لجنودهم ، حتي لم يبق لهم من بلاد افريقية إلا اليسير »[٧٠] .

وقد ذكر هذه الخطبة التي خطب بها إمام قيروان يوم ذلك ـ وهو أحمد بن محمد بن الوليد ـ كل من أبى زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الدباغ والإمام الذهبي وغيرهما :

« فلما اجتمع الناس وحضرت صلاة الجمعة طلع الإمام على المنبر ـ وهو أحمد بن محمد بن أبى الوليد وكان أبو الفضل الممسى هو الذي أشار به ـ وخطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب وتلا هذه الآية (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) الآية وقال : يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله وغيّر أحكام الله عز وجل وسبّ نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه : فبكا الناس بكاء شديداً وقال في خطبته : أللهم إن هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعى الربوبية من دون الله جاحداً لنعمتك كافرا بربو بيتك طاعنا على أنبيائك ، ورسلك مكذباً محمدا نبيك وخيرتك من خلقك ساباً لأصحاب نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين سافكاً لدماء أمته منتهكاً لمحارم أهل ملته افتراء عليك واغترارا بحلمك اللهم فالعنه لعنا وبيلا وأخزه خزياً طويلاً واغضب عليه بكرة وأصيلاً وأصله جهنم وساءت مصيراً بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين وأحاديث الغابرين

(٧٠) « البيان المغرب » لابن عذارى المراكشي ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ،

وأهلك اللهم متّبعه وشتت كلمته وفرق جماعته واكسر شوكتـه واشف صدور قوم مؤمنين منه ونزل »(٧١).

وكان سبب خروج فقهاء المسلمين وعلماء أهل السنة وزهادهم لمحاربـة القائم الإمام الإسماعيلي أنه كان يأمر دعـاته بتجـاهر السبـاب والشتائم عـلى الأنبياء وأصحاب رسول الله خاصة، مع العقائد الخطابية الكفـرية الأخـرى التي ورثهـا من أبيـه كـما يـذكـر المؤرخـون أنـه قـام المكـوكب ـ أحـد دعـاة الإسـماعيلية الأولى ـ بقذف الصحابـة وبـطعن النبي صـلى الله عليـه وسلم وعلقت عِظَام رءوس أكباش وحمـير وغيرهـا على أبـوب الحوانيت والـدروب عليهـا قراطيس معلقـة فيها أسـماء يعنون بهـا رءوس الصحابـة رضـوان الله عليهم(٧٢).

وعوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي فقال واحد منهم وهو أبو بكر المالكي : إن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرض لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويرثـون ويورثـون وبنو عبيد ليسـو كذلـك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمـين فلا يتـوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم، قال : فمات بالوادي المالح قرب المهدية ولم تـوجد لـه جثة ولا بغلة حمـاه الله منهم حياً وميتـاً، وروى أن بعض أقاربـه وجده في القتلى ـ وبه رمق ـ فقال يا بنى حول وجهى إلى المهديـة لئلا أمـوت وأنا مـولّ ظهرى إلى هؤلاء القوم، فلما مات هدم عليـه جرف فـأخفاه عنهم وكـانوا في غاية الطلب لرأسه »(٧٣).

وقال الآخر. وهو ربيع القـطان : « وكيـف لا أفعل وقـد سمعت الكفر بأذنيّ ؟ فمن ذلك انى حضرت إشهاداً وكان فيه جمع كثير أهل سنة ومشارقـة

---

(٧١) انـظر « معالم الإيمـان في معرفـة أهل القـيروان » ج ٣ ص ٣٣ و « سير أعـلام النبـلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٥.
(٧٢) أنظر « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٢ و « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٤.
(٧٣) «معالم الإيمان » ج ٣ ص ٢٩.

وكان بالقرب مني أبو قضاعة الداعى، فأتى رجل مشرقي من أهل الشرق ومن أعظم المشارقة فقام إليه رجل مشرقي وقال إلى هاهنا ياسيدي إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أبا قضاعة الداعي ويشير بيده إليه - فما أنكر أحد شيئاً من ذلك ! فكيف ينبغي أن أترك القيام عليهم ؟ »(٧٤).

وزاد الدباغ : وركب سعيد القطان فرسه وعليه آلة الحرب وفي عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من أهل القيروان متأهبون معتدون لجهاد أعداء الله عليهم آلة الحرب، فنظر إليهم ربيع القطان فسرّ بهم، وقال : الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك واعداء نبيك يارب بأي عمل بأي شيء وصلت إلى هذا، ثم أخذ في البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم قال : والله لو رآكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً لسرّبكم، قال : وكان ممن خرج على بني عبيد فقتل بقرب المهدية بالوادي المالح وقطع رأسه وأتى به إلى أبي القاسم بن عبيد الله في طست فلما كشف عنه فتح الرأس عينيه وفمه فقال أبو القاسم بعّدُوه عني . . . . فكان غرض المجوس بني عبيد أخذ ربيع حيا ليتشفى منه قال الشيخ أبو الحسن القابسى : فلما تلاقوا للقتال أقبل ربيع وهو يطعن فيهم ويضرب وهم يتوقفون عن طعنه طمعا أن يأخذوه حيا، فلما أثخنهم بالضرب والطعن عمد إليه جماعة منهم فقتلوه وما تولوا دفنه رحمة الله عليه واستشهد معه أئمِة وعباد وصالحون وذلك خمسة وثمانون رجلاً »(٧٥).

وقال أبو إسحاق الفقيه : هم أهل القبلة - يعني الأباضيين - وأولئك ليسوا أهل القبلة وهم عدو الله، فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد »(٧٦).

وقال أبو ميسرة فقيه عصره في زمانه، وقد ذهب بصره بعد ما أخرج ابنه محمد مع من خرجوا مع أبي يزيد :

---

(٧٤) انظر « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٤، و « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٢.
(٧٥) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٤.
(٧٦) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٥.

أدخلني الله في شفاعة أسود رمى على هؤلاء القوم صخرا »[77]

وقد ذكر الإمام الذهبي :

« أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة يصدق بعضها بعضاً، وقال أحد الشعراء فيه :

الماكر الغادر الغاوى لشيعته شرّ الزنادق من صحب وتبّاع
العابدين إذن عجلاً يخاطبهم بسحر هاروت من كفر وابداع
لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا أو لليهود لسدّو ضمغ أسماع »[78]

وكاد أن يقضي على دولة الإسماعيلية حيث هزموا في جميع المدن والبلاد وأخرجوا منها بما فيها من رقادة وقيروان وغيرها من بلاد المغرب وافريقيا إلى أن انحصر القائم ومن معه بالمهدية « وظهر مخلد على أكثر المغرب ولم يبق لبنى عبيد سوى المهدية »[79] .

« وقد سار إليه بعسكر ثم حل على المهدية، وانتهى إلى بابها ووقف ساعة وقد يغلق الباب دونه »[80] .

لو لا تحركت نفسه الخارجية وأراد القضاء على الذين صاحبوه وقاتلوا من ورائه أهل السنة .

ومات القائم محصوراً بعد ما وسوس واختلط وزال عقله[81] « ممّا نزل به من الذل وقتل الرجال وزوال الملك وجوع من بقى معه بالمهدية في

---

(77) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٣٧ .
(78) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٦ .
(79) « وفيات الاعيان » لابن خلكان ج ١ ص ١٣٥ و « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٦
(80) « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٢، ٣٣٣، أيضاً « المجالس والمسايرات » للنعمان بن محمد القاضي الجزء الثامن العشرون ص ٥٤٢ ط تونس ١٩٧٨ م .
(81) « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٥٢ .

الحصار »[٨٢] سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة[٨٣].

ولم يصل عليه، ولم يعلم بموته إلا بعد مدة خوفاً من أبي يزيد مخلد بن كيداد[٨٤] « فكتم المنصور بالله صلوات الله عليه وفاة القائم بأمر الله عليهما السلام عن القريب والبعيد والعدو والمباين والودود ودفنه سراً »[٨٥].

وذكر المؤرخون أن المهدي الإسماعيلي أراد تنحيته عن الولاية بعده وإمامة الإسماعيلية وجعلها في ابنه على أحمد ابن المهدي :

« نكب أبو القاسم إلى مدينة طبنة، وانصرف إلى المهدية دون أن يلقى ابن خزر. وقيل إن سبب انصرافه إنما كان لكتاب ورده من قبل ابنِه قاسم، يعلمه أن الناس تحدّثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بأبي على، وأنه صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى فأقلقه ذلك، وقدم المهدية »[٨٦].

إسماعيل المنصور : الإمام الإسماعيلي الثالث

فخلفه من بعده في الزعامة الإسماعيلية ابنه إسماعيل الملقب بالمنصور بعد ما مات ابنه البكر القاسم الذي كان قد نص عليه القائم باستخلافه على الناس لكنه مات في حياة أبيه « فكان يقال بالقيروان : ما أكثر كذب هؤلاء المشارقة »[٨٧].

---

(٨٢) « تثبيت دلائل النبوة » للهمذاني ج ٢ ص ٦٠٢ ط دكتور عبد الكريم عثمان، بيروت.

(٨٣) « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٤، « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٢٣٠، و « كتاب الازهار ومجمع الأنوار » ص ٢٣٧ من « منتخبات إسماعيلية »، « الفلك الدوار » لعبد الله المرتضى الإسماعيلي ص ١٤٩.

(٨٤) انظر « سيرة الاستاذ جوذر » ص ٤٤.

(٨٥) « عيون الأخبار » السبع الخامس ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٨٦) « البيان المغرب » ج ١ ص ١٩٣، أيضاً « المجالس والمسايرات » للنعمان بن محمد الإسماعيلي ج ٢ ورقة ٦٢ نقلاً عن الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى عن تعليقة رقم ٦٩ ص ١٧١ من « سيرة الاستاذ جوذر ».

(٨٧) « تثبيت دلائل النبوة » ج ٢ ص ٦٠١

ويؤيد ذلك أن القائم لم يكن يريد جعل الإمامة في المنصور وكان ينقم عليه روايات أوردها النعمان بن محمد المغربي في كتابه (المجالس والمسايرات) منها إرادة القائم جعل الإمامة في المعز لو لا صغر سنة، وقوله للمعزّ :

« اسمع ما أقول لك : إن أخوف ما أتخوفه عليك من أبيك، ما علمه من إيثارى إياك وإيثارك أمرى على أمره، وميلك إلىّ دونه، وما أعلمه من ميله إلى أمهات إخوتك فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم، وكلا لا يفعل الله ذلك إن شاء الله ! ولكن متى رأيت منه أثرة عنيك أو ميلا عنك فاصبر من أحله الله محلك وأقامه مقامك. فأنت والله صاحبها، ولو لا صغر سنك اليوم ما عَدَتْك »[٨٨].

فقام إسماعيل المنصور سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان من مواليد سنة ثلاث وثلاثمائة أو اثنتين وثلاثمائة على اختلاف الأقوال.

« وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده، وأنه لا يتعرض لدياناتهم وحلف على ذلك وأكد وأشهد . . . . وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم فحلق لحاهم ونفاهم، وقال لأهل قيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه فانى معكم ومن ورائكم وأطلق المحدثين في الحديث والناس في إقامة التراويح »[٨٩].

فانكشف الناس عن أبي يزيد لإظهاره أباضيته، وأمنوا جانب المنصور، فحاربه المنصور حتى غلبه وقتله سنة ٣٣٦ هـ فسلخ وحشى قطنا وصلب[٩٠].

---

(٨٨) « المجالس والمسايرات » للنعمان القاضي الجزء الثاني والعشرون ص ٤٦٩ « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٧٢٢٩ ومثله في « سيرة الاستاذ جوذر ».
(٨٩) « تثبيت دلائل النبوة » ج ٢ ص ٦٠٢.
(٩٠) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢١٨، « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٥٧.

ولما ظفر بأبي يزيد وتغلب عليه أظهر شيئاً مما كان يكتمه « فدخل القيروان وقتل منها خلقا وعذّب الآخرين، ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك »(٩١).

واستعمل وحشية آبائه وعنجهيتهم حيث قتل المخالفين بأنواع من العذاب « وأحرقهم بعد القتل بالنار »(٩٢).

كما عذب قاضي برقة أبا عبد الله محمد بن إسحاق الفقيه المشهور والصالح المعروف لمخالفته المذهب الاسماعيلي في هلال رمضان، وقد نقل القصة صاحب المعالم « أن أبا عبد الله محمد بن إسحاق ولي قضاء برقة لإسماعيل (المنصور) وكان ابن الكافي عاملاً عليها فأتى إليه ابن الكافي فقال له : إن غدا العيد فقال القاضي : إن رئى الهلال الليلة كان ماقلت وإلا فلا، فلا يمكنني أن آمر الناس بالفطر في يوم رمضان واتقلد ذنوبهم، فقال له بهذا وصل إلى كتاب مولاى ـ يعني إسماعيل ـ فالتمس الناس الهلال فلم يروه، فأصبح العامل إلى القاضي بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضي : والله لا أخرج ولا أصلي ولا أفطر في يوم من أيام رمضان ولو علقت بيدى ! فمضى العامل فجعل من خطب وصلى وكتب بما جرى الى مولاه، فلما وصل إليه الخبر أمر برفع القاضي فلما وصل إلى القيروان قال له : إما أن تتصل بنا ونعفو عنك أو نفعل بك ما قلت : فامتنع من الدخول في دعوته، وقال : افعل ماشئت، فنصب له صاريا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب الهذلي وعلق بيده إليه في الشمس فأقام كذلك ضاحيا في شدة الحر يومه وليلته، فلما كان بالغد مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد فلما مات أخذوه وصلبوه بباب أبي الربيع وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة رحمة الله عليه ورضي عنه »(٩٣).

---

(٩١) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٢٠.
(٩٢) « المجالس والمسايرات » للنعمان المغربي ص ٢٧٧ وأيضاً الجزء العاشر ص ٢٣٢.
(٩٣) « معالم الإيمان » ج ٣ ص ٤٩.

ومات المنصور فى آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائه[٩٤].

وأيام إمامته سبع سنين وشهر واحد وواحد وعشرون يوماً[٩٥].

معد بن إسماعيل المعز الإمام الإسماعيلى الرابع

ولى بعد المنصور الزعامة الإسماعيلية وبلاد المغرب ابنه معد المكنى بأبى تميم الملقب بالمعز لدين الله سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة[٩٦].

وكان عمره آنذاك أربعا وعشرين سنة[٩٧].

أو اثنتين وعشرين[٩٨].

وأرسل العساكر وسيّر الجيوش لفتح مصر إلى أن فتحها قائده جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[٩٩].

وخرج إليها سنة إحدى وستين وثلاثمائة[١٠٠].

ودخلها سنة اثنتين وستين وثلاثمائة[١٠١].

---

(٩٤) « افتتاح الدعوة » ص ٣٣٥، و « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٣٤٧.

(٩٥) « كتاب الأزهار » ص ٢٣٧ من « منتخباب إسماعيلية ».

(٩٦) أنظر « إفتتاح الدعوة » ص ٣٣٥

(٩٧) « إتعاظ الحنفاء » للمقريزى ج ص ١٣٤ و « الكامل » لإبن الأثير، وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٤٦.

(٩٨) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٢١.

(٩٩) « الاتعاظ » ج ١ ص ١٣٩، « الكامل » ج ٧ ص ٣٥٢، « البيان المغرب » ج ١ ص ٧١٤٤ « الخطط » ج ١ ص ٣٥٢.

(١٠٠) « الاتعاظ » ج ١ ص ١٤٤، « الخطط » ج ١ ص ٣٥٢، « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٢٨.

(١٠١) المراجع المذكورة.

ولم يدخل المعز مصر إلا وقد كثرت الأسئلة حول نسبه، وشك الكثيرون في دعواه بأنه ينتسب إلى البيت العلوى[١٠٢].

فـما أن دخل مصر إلا وأمـر بزيـادة « حى على خـير العمـل » في الأذان « وأمر بالكتاب على المشائخ في سائر مدينة مصر : « خـير الناس بعـد رسول الله أمـير المؤمنين عـلى بن أبي طالب » وأثبت اسم المعـز لدين الله واسـم ابنـه عبد الله الأمير »[١٠٣].

وكـان يكتم مذهبـه إلا عن خاصتـه مداراة للشعب الـذي تسلط عليـه ومداهنة لهـم[١٠٤].

وإلّا فكان يعتقد نفس المعتقدات التى كان يعتقدها آباؤه وتوارثـوها من الخطابية والمباركية المندمجة في الاسماعيلية، كما يدعى بأنه أفضل من جميع من سبقه من الائمة الإسماعيلية وحتى على بن أبي طالب ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ عياذا بالله ـ كما ذكر القاضي الإسماعيلي النعمان عنه أنـه سمعه يوماً يقول :

« لو وجدت عشرة على ما أحب، لبلغت بهم ما أريد.

فقلت : أفلم يعلم أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) أن ذلـك لم يكمـل لرسول الله (ﷺ) ولا لوصيه على (عليه السلام) ولا وجداه ؟

فقال : هو كـذلك، ولكنى رجـوت أن أبلغ من ذلك مـالم يبلغاه وأجـد مـالم يجداه، لأن الله عـزّ وجل بحمـده قـد مكننى وجمـع عنـدى من الـدنيـا والآخرة ما لم يجمعه لمن تقدم من سلفى »[١٠٥].

---

(١٠٢) وسنفصل القول في ذلك في الباب الثالث عند ذكر نسب الائمة الاسماعيية.

(١٠٣) « الاتعاظ » ج ١ ص ١٨٨، الخطط، ج ١ ص ٣٥٢.

(١٠٤) « الكامل » لابن الأثيرج ٧ ص ٧٤.

(١٠٥) « المجـالس والمسـايـرات » الجـزء الثـالث ص ١٠٦، ١٠٧ ومثله في الجـزء الـرابـع ص ١٢٦.

وكان مغالياً في إسماعيليته المتضمنة للعقائد الخطابية بعينها، وقد جهر بهذه العقائد لخاصته وأصحابه ودعاته وشيعته باحتياط حيث لم يفش بها أمام الآخرين، ولم يستطع أحد من آبائه أن يراعى هذه المراعاة أمام شعبه الرافضين لديانتهم، والمبغضين لمذهبهم، والمعرضين عن عقائدهم ومعتقداتهم، والمحتقرين لآرائهم وأفكارهم، والكارهين لأسسهم وقواعدهم إلى حد تركوا إتيان المساجد تنفرا من أن يسمعوا خطبهم وكلماتهم فرجحوا أن يتركوا المساجد وبدل أن يرتادوها ويستمعوا فيها أقوالهم الفاسدة وآراءهم السيئة وشتائمهم وسبابهم رسول الله وأزواجه أمهات المؤمنين والكفر الصراح والزندقة البواحة كما ذكر المؤرخون(١٠٦).

هذا وسوف نذكر مقولات المعز ومعتقداته في الباب الرابع عند الحديث عن المعتقدات بالتفصيل نعرض عن إيرادها ههنا تجنبا للتكرار. وإننا سوف نثبت هناك بأن المعز لم يكن يختلف عن آبائه قيد شبر عن معتقداته وعقائده، أللهم إلا في الحزم والإحتياط والمداراة والدهاء، لما لاحظ من ثورات أهل المغرب المتالية ضد آبائه لعدم انقيادهم وخضوعهم مذهبياً مع انقيادهم واستسلامهم سياسياً.

وبناء على ذلك نرى أن كثيراً من الناس خدعوا قديماً وحديثاً بسياسة المعز ومكره وتحفظاته حيث ظنوه مختلفاً عمن ورثهم وخلفهم، حتى الدكتور محمد كامل حسين الذي اعتنى عناية خاصة بدراسته الإسماعيلية لم ينتبه لهذا، ووقع في شراكهم وحبائلهم حيث قال:

« ونحن نعلم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، بل هى عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، لكل بيئة عقائدها، وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الزمن، فاختلفت العقائد الإسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الإسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد

---

(١٠٦) انظر « معالم الايمان » للدباغ و « ترتيب المدارك » للقاضي عياض.

الإسماعيلية طوال تاريخها، فمن واجبنا إذن أن نطبق منهج التطور التاريخي في دراسة العقائد والفرق بعامة والإسماعيلية على نحو خاص »[١٠٧].

ثم فرق بين عقائد دور الستر والدور الذي يليه، أي دور الظهور في المغرب، وبين عقائد دور الظهور في مصر وغيرها من البلاد الشرقية الأخرى، الذي يبدأ بالمعز مع أننا بعد تمعننا وتعمقنا في العقائد الإسماعيلية لم نجد أي فرق فيها في جميع الأدوار من حيث الأسس والأصول والقواعد والمبادىء، اللهم إلا التعارض والتناقض الذي هو من لوازم الإختلاق والإختراع والإيجاد والاصطناع، وأيضاً عدم التطبيق، والتكاسر والتخاذل عن العمل بها والخضوع لها ومخالفتها في الواقع والعمل.

وسيلاحظ القارىء صدق ما قلناه في باب العقائد حيث لم نسرد عقيدة واحدة إلا من كتب الإسماعيلية أنفسهم من أولهم إلى آخرهم.

وخير دليل على ذلك ما ظهر أيضاً في أيام الحاكم بأمر الله من تأليهه، والعقائد الإسماعيلية الخطابية الأخرى جهاراً نتيجة لرسوخها وتمكنها في قلوب الإسماعيلية وأذهانهم، والحاكم لم يظهر إلا فى بيئة مصرية، كما أنه من المتأخرين، وكذلك آغاخانية اليوم فإنها معتنقة بنفس العقائد التي توارثها آباؤهم من قبل.

والجدير بالذكر أن المعز المماليّ والمداهن أيضاً لم يقصر عن بثّ سمومه في الشعب المصري والشعوب الأخرى التي تسلط عليها وإكراههم وإجبارهم على اعتناق عقائده ومعتقداته غلظة وعنوة، ولكنه لم يتمكن من ذلك لم يمهله أجله، وخير شاهد على هذا ما أورده قاضي قضاته والداعية الإسماعيلى الكبير النعمان الذى جاء به من المغرب إلى مصر معه، في كتابه:

« وذكرت له (المعز) (عليه السلام) يوماً شيئاً: بلغنا عن المهدى بالله صلوات الله عليه: أن رافعاً رفع إلي نصيحة - فيما زعم - فيها أن العامة

---

(١٠٧) انظر « سيرة الاستاذ جوذر » ص ١٧.

لـوطـولبـوا بمـذاهبهم وأجـرى الحكم بهـا عليهم في تـركهم تـوريث ذوى الأرحام، وردّهم كثيراً من ذلك، في قول كثير منهم إلى بيت المال، لكـان في ذلك توفير للمال من حيث لا ينكرونه ولا يدفعونه، وأن المهـدى صلوات الله عليه أنكر ذلك من قوله واستشاط غضباً عليه، وأمر بطلبـه، وقال : مـا أراه أراد هذا بما قال إلا الطعن علينا وأن نحكم بخلاف ما أنزل الله تعالى، وإنما أقامنا الله جل ذكره لنقيم دينه لعباده لا أن نتكثر من دنياهم بمـا يأتي من غـير حلّه !

فقـال المعز لـدين الله : صدق المهـدى (ﷺ) ونضّر الله وجهـه ورفـع درجته ! لا والله ما نحكم في عباد الله إلا بما نزله الله أحبوا ذلك أم كـرهوا، رضوا أو سخطوا. ولا ندعهم أن يخالفـوا حكم الله لأن الله تعبدنـا بذلـك، ومـا نقموا علينـا إلا ذلك. ولـو تركنـاهم وانتحالهم واختيـارهم كما تـركهم المتغلبون الذين لم يكن قصدهم إلا نيل دنياهم فلم يلتفتوا إلى شيء من إقامة الدين، وتركوا الأئمة مختلفين فيه، لأحبـونا وسلّمـوا لنا كـما سلّموا لأولئـك ولكن أبى الله عز وجل لنا ذلك بما افترضه علينا من إقامة دينـه وتقويم عبـاده على نهجه ومنعهم من الحكم وإظهار العمل بخلافه »[١٠٨].

وقد ذكر الحـافظ ابن كثير أن أبـا بكر النـابلسى « الزاهـد العابـد الورع الناسك التقى أحضر بين يدي المعزّ فقال لـه : بلغنى عنك أنـك قلت لو أن معى عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال ما قلت هـذا، فظن أنـه رجع عن قـوله فقـال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغى أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر. قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيّرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين واطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم فأمر بـاشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمـر بسلخه في اليـوم الثـالث، فجيء بيهـودى فجعـل يسلخـه وهـو يقـرأ القـرآن قـال اليهودي : فأخذتني رقة عليـه، فلما بلغت تلقاء قلبـه طعنته بـالسكين فـمات

(١٠٨) « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان المغربي المتوفى ٣٦٣، الجزء الثالث ص ٩٧.

رحمه الله . فكان يقال له الشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلي اليوم، ولم تزل فيهم بقايا خير »[١٠٩].

كما ذكر المؤرخون أنه أراد ادعاء النبوة لنفسه ولكنه خاف من رعيته في المغرب فتراجع وأذن مؤذنه فوق صومعة جامع القروان : أشهد أن معدا رسول الله فارتج البلد لذلك[١١٠].

هذا وكاد أن يخرج البلاد الشرقية من يده بما فيها من مصر عند ما اختلف مع القرامطة، وترفع وتكبر عليهم، فأخذوا منه بلدة بلدة حتى حصروه في القاهرة فتنازل من عليائه « وأرضى القرمطية بمال وخدعهم »[١١١].

وإقرّ بالأتاوة السنوية للقرامطة.

ثم نقل إمامة الإسماعيلية وخلافتهم إلى ابنه الثالث نزار الملقب بالعزيز بالله.

العزيز بالله نزار

وخلف من بعده ابنه الثالث بعد تميم وعبد الله سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب سنة أربع وأربعين أو سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة[١١٢].

---

(١٠٩) « البداية والنهاية » ج ١١ ص ٢٨٤ ط بيروت.

(١١٠) أنظر « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٢.

(١١١) « النجوم الزاهرة » لأبي المحاسن ج ٤ ص ٧٥.

(١١٢) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١١٢، أيضاً « تاريخ ابن اياس » الجزء الأول القسم الأول ص ١٩٢، « الفلك الدوار » ص ١٥٧، و « كتاب الأزهار » ص ٢٣٩ من « المنتخبات الإسماعيلية »، « البيان المغرب » ص ٢٢٩.

ومات سنة ستّ وثمانين وثلاثمائه بمدينة بلبيس[113].

وذكر الإمام الذهبى « وفي أيامه أظهر سبّ الصحابة جهاراً ».

وبمثل ذلك نقل ابن عذارى عن ابن سعدون[114].

وكان قد استوزر في أيامه اليهود والنصارى، وسلّطهم على رقاب المسلمين فوقع منهم الأذى البالغ في حقهم[115] فأنكر الناس عليه ذلك حتى أن امرأة كتبت إليه :

« بالذى أعز اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك إن لانظرت في أمرى »[116].

وكان متسريا جارية رومية نصرانية من طائفة ملكية، وكان لها نفوذ عظيم في الدولة[117].

كان منها بنته ستّ الملك، والتي كانت تكبر أخاها الحاكم بخمسة عشر عاماً، واختلف المؤرخون في أمّ الحاكم ولده فقال قائل منهم : إنها كانت هى النصرانية أو الأخرى غيرها.

والجدير بالذكر أنه ولد للعزيز قبل الحاكم ولد ومنحه ولاية العهد ولكنه توفى في حياته »[118].

واتهمه عبد الجبار القاضى وغيره بأنه أذن للناس بيع الخمور وإقامة دور

---

(١١٣) أيضاً المصادر المذكورة.
(١١٤) انظر « البيان المغرب » ص ٢٨٥.
(١١٥) انظر « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ١٩٠.
(١١٦) انظر « الكامل » لأبن الاثيرج ٧ ص ١٧٦، و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى البردى ص ١١٦، « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٦٨، « المنتظم » لابن الجوزى ج ٧ ص ١٩٠، « تاريخ ابن اياس » الجزء الأول القسم الأول ص ١٩٦.
(١١٧) « سير البيئة المقدسة » نقلا عن « الحاكم بأمر الله » لمحمد عبد الله عنان ص ٨٧.
(١١٨) انظر « نهاية الأرب » الجزء الخاص بالاسماعيلية نقلا عن « الحاكم بأمر الله » ص ٨٨.

الــزوانى والقــوادين ونكــاح الــذكــران وغـير ذلــك من القبــائــح . والله أعلم . [119].

أبو على المنصور الحاكم بأمر الله

وخلفه بعده ابنه الوحيد أبو على المنصور البالغ من العمر الحادية عشرة سنة، الذي ذكره الذهبي بقوله :

« الإسماعيلي الزنديق المدعى الربوبية »[120].

فلقد سلك مسلك آبائه من القتل والفتك بالنـاس، وبالنهب والسلب، وزاد عليهم بأنه أظهر ما كانوا يخفونه، وتجاهر بما كانوا يكتمونـه من العقائـد والمعتقـدات والآراء والأفكـار ممـالاة للرعيـة ومـداراة بهم، وأذاق الشعب المصرى الأمـرّين، وأذلهم، واحتقرهم، وصغّـرهم، وأهـانهم، وأقـام فيهم مـذابح، وقتّلهم، وشرّدهم ولم يفعـل أحـد مثـل مـا فعـل بهم هـذا الإمـام الإسماعيلى السادس في أيام الظّهور.

فـأمر بسبّ الصحـابة وعـلى رأسهـم أبو بكـر الصـديق وعمـر الفـاروق وأمهـات المؤمنين، وخـاصـة الصـديقـة بنت الصـديق رضـوان الله عليهم أجمعين، ولم يكتف بذلك، بل أمـر بكتابـة الشتائم عـلى هؤلاء الأكارم عـلى محاريب المساجد ومنار الجوامع « وكتب على المساجد والجوامـع سبّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبـير ومعاويـة وعمرو بن العـاص رضى الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة »[121].

---

(١١٩) انظر « تثبيت دلائل النبوة » ج ٢ ص ٦١٢.

(١٢٠) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٣.

(١٢١) « النجـوم الـزاهـرة » ج ٤ ص ١٧٦، ١٧٧، « البيـان المغـرب » ج ١ ص ٢٨٦، « الكامل » لإبن الأثير ج ٧ ص ٣٠٥، « تاريخ ابن اياس » الجـزء الأول القسم الأول ص ٢٠٠.

وكتب الإمام الذهبي : « وكان شيطاناً مريداً، جباراً، عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر . . . كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها، أمر بسبّ الصحابه رضى الله عنهم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسبّ »(١٢٢).

ولقد أقرّ بذلك المقريزى المتعاطف مع هؤلاء، والمدافع عنهم كثيراً في مواضع من كتبه، والذي يسميهم الأئمة الفاطميين الخلفاء . . أقرّ بذلك، وزاد :

« وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سبّ السلف ولعنهم، وأكره الناس على نقش ذلك وكتابته بالأصباغ في سائر المواضع »(١٢٣).

وبلغ بغضه إلى حد أنه منع من أكل الملوخية المحببة لمعاوية بن أبي سفيان، والباقلة المسماة بالجرجير المنسوبة إلى عائشة رضى الله عنها »(١٢٤).

ومنع الناس عن صلاة التراويح « فاجتمع الناس بالجامع العتيق وصلى بهم إمام جميع رمضان فأخذه وقتله، ولم يصل أحد التراويح بعد ذلك إلى عشر سنوات »(١٢٥).

وقتل الخلائق صبرا وأحرقهم بالنار بداية من برجو ان الذي جعله أبوه وصيه ومدبرّ دولته، والحسن بن عمار أمين الدولة، ومؤدبه أبي سعيد تميم الفارقى، ونهاية إلى أبناء النعمان بن محمد المغربى قاضى القضاة الأول

---

(١٢٢) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٤ .

(١٢٣) « الخطط » للمقريزى ج ٢ ص ٢٨٦، ومثل ذلك في « اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء » ج ٢ ص ٥٤ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ١٩٧١ م .

(١٢٤) « اتعاظ الحنفاء » ج ٢ ص ٥٣ .

(١٢٥) « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٥ « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٧٧ . « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠١ « اتعاظ الحنفاء » ج ٢ ص ٨٦ .

للإسماعيلية، الحسين، وعبد العزيز، وإلى الوزراء والأمراء والقضاة إلى أنه يبلغ عدد ضحاياه ثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات(١٢٦).

وقد ذكر المؤرخون أنه كثيراً ما كان يأمر بقطع الألسنة والأيدي قبل القتل كما كان يأمر باحراق الجثث بعد القتل، وقد جاوز ظلمه ووحشيته وقسوته جميع الحدود والأعراف إلى أنه كان يتلذذ بسفك الدماء وقتل الأبرياء، ولا اخال أن حاكماً في التاريخ وسلطاناً في العالم قاربه أوضاهاه في الظلم والعنجهية، ولقد ذكر المقريزى أنه « أمر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة جماعة من الأحداث أن يتقافزوا من موضع عال في القصر، ورسم لكل منهم بصلة فحضر جماعة وتقافزوا فمات منهم نحو ثلاثين إنسَاناً من أجل سقوطهم خارجاً عن الماء على صخر هناك، ووضع لمن قفز ماله »(١٢٧).

كما نقل عن ابن سعيد ما نصّه :

« وقتل الحاكم ركابياً له بحربة في يده على باب جامع عمرو بن العاص وشق بطنه بيده، وعم بالقتل بين وزير وكتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوى ومغن ومختار وصاحب ستر وحمامى وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودي ونصرانى، وقطع حتى أيدى الجوارى في قصره، وكان في مدته القتل والغيلة حتى على الوزراء، وأعيان الدولة يخرج عليهم من يقتلهم ويجرحهم، وخطفت العمائم جهاراً بالنهار، وكان لعبيد الشراء في مدته مصائب وخطوب في الناس، وكان المقتول ربما جر في الأسواق، فأوقع ذلك فتنة عظيمة .... وواصل الحاكم في ركوبه الوقوف على المعروف بابن الأرزق الشواء ومحادثته بدار فرح، وخلع عليه وأجازه. وفي يوم استدعى الحاكم أحد الركابية السودان المصطنعة ليحضر إلى حانوت ابن الأزرق الشواء، فوقفه بين اثنين ورماه برمح، ثم أضجعه، واستدعى سكيناً فذبحه بيده، ثم استدعى شاطوراً ففرق بين رأسه وجسده، ثم استدعى ماء فغسل

(١٢٦) سيرة البيئة المقدسة « نقلا عن » الحاكم بأمر الله « لمحمد عبد الله عنان » ص ١١٧ .

يـده بـأشنـان ثم ركب، وحمـل المقتـول إلى الشرطـة فـأقـام ثم دفن بالصحراء »(١٢٨).

وفي سنـة اربعمائـة أمر بعـمارة دار العلم وفـرشهـا، ونقـل إليهـا الكتب العـظيمـة وأسكنهـا من شيـوخ السنـة شيخـين يعـرف أحـدهمـا بـأبي بكـر الأنطاكى، خلع عليهما وقـربهما، ورسم لهـما بحضور مجلسـة وملازمتـه وجمع الفقهـاء والمحدثـين إليها . . . . ثم بـدا له بعـد ذلك فقتـل الفقيه أبـا بكـر الانطاكي والشيخ الآخـر وخلقا كثيـراً آخر من أهـل السنة، لا لأمـر يقتضى ذلك، وفعل ذلك كله في يوم واحد، ومنع من جميـع ما كـان فعله، وعاد إلى ما كان عليه أولاً من قتل الفقهاء والعلماء وأزيد »(١٢٩).

« ومن شنائعه أنه كان لـه عبد أسـود طويـل عريض، يمشى في ركـابه، يقال له « مسعود » فإن وجـد أحدا من السـوقة غش في بضـاعته، أمـر ذلك العبد مسعود بأن يفعل به الفاحشـة العظمى، وهى اللواط، فيفعـل به عـلى دكـانه والنـاس ينـظرون إليـه، حتى يفـرغ من ذلـك، والحـاكم واقف عـلى رأسه »(١٣٠).

وأمر مرة باستباحة مصر وإحراقها وقتل الرجال وسبى النساء، وقد ذكر هـذه الواقعـة كثير من المؤرخـين ونحن نثبتها عن أبي المحـاسن نقلا عن ابن الصابىء :

« كان الحاكم يـواصل الـركوب ليـلا ونهاراً، ويتصدى لـه الناس عـلى طبقـاتهم، فيقف عليهم ويسمع منهم، فمن أراد قضـاء حاجتـه قضـاهـا في وقته، ومن منعه سقطت المراجعة في أمره، وكـان المصريون مـوتورين منـه،

---

(١٢٧) « الاتعاظ » للمقريزى ج ٢ ص ٥٥.

(١٢٨) « اتعاظ الحنفاء » للمقريزى ج ٢ ص ١٢٠، ١٢١.

(١٢٩) « النجـوم الزاهـرة » لأبي المحـاسن ص ٢٢٢، ٢٢٣، « سـير أعـلام النبـلاء » ج ١٥ ص ١٧٥، ١٧٦ « العبر » ج ٣ ص ١٠٥، ١٠٦.

(١٣٠) « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠١، « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٦.

فكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه، والوقوع فيه وفي حرمه، حتى انتهى فعلهم إلى أن عملوا تمثال أمرأة من قراطيس بخف وازار، ونصبوها في بعض الطرق وتركوا في يدها رقعة كأنها ظلامة، فتقدم الحاكم وأخذها من يدها، فلما فتحها رأى في أولها ما استعظمة، فقال : انظروا هذه المرأة من هى ؟ فقيل له : إنها معمولة من قراطيس، فعلم أنهم قد سخروا منه وكان في الرقعة كل قبيح، فعاد من وقته إلى القاهرة، ونزل في قصره واستدعى القواد والعرفاء، وأمرهم بالمسير إلى مصر وضربها بالنار ونهبها، وقتل من ظفروا به من أهلها، فتوجه إليها العبيد والروم والمغاربة وجميع العساكر. وعلم أهل مصر بذلك فاجتمعوا وقاتلوا عن نفوسهم، وأوقعوا النار في أطراف البلد، فاستمرت الحرب بين العبيد والعامة والرعية ثلاثة أيام، والحاكم يركب في كل يوم إلى القرافة، ويطلع إلى الجبل ويشاهد النار ويسمع الصياح ويسأل عن ذلك، فيقال له : العبيد يحرقون مصر وينهبونها، فيظهر التوجع، ويقول : لعنهم الله ! من أمرهم بهذا، فلما كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجوامع ورفعوا المصاحف وضجوا بالبكاء وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فرحمهم الأتراك ورقوا لهم وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم، وكان أكثرهم مخالطاً لهم ومداخلا ومصاهرا، وانفرد العبيد وصار القتال معهم، وعظمت القصة وزادت الفتنة، واستظهرت كتامة والأتراك عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا : نحن عبيد ومماليك وهذا البلد بلدك وفيه حرمنا وأموالنا وأولادنا وعقارنا، وما علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة ! فان كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، وانتظرنا حتى نخرج بعيالنا وأموالنا منه، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيك فأطلقنا في معاملتهم بما يعامل به المفسدون والمخالفون. فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولعن الفاعل له والآمر به، وقال : أنتم على الصواب في الذب عن المصريين، وقد أذنت لكم في نصرتهم، والإيقاع بمن تعرض لهم. وأرسل إلى العبيد سرا يقول : كونوا على أمركم، وحمل إليهم سلاحاً قواهم به. وكان غرضه في هذا أن يطرح بعضهم على بعض، وينتقم من فريق بفريق، وعلم القوم بما يفعل،

فراسلته كتامة والأتراك : قد عرفنا غرضك، وهذا هلاك هـذه البلدة وأهلها وهلاكنا معهم، وما يجوز أن نسلم نفوسنا والمسلمين لفتك الحريم وذهاب المهج. ولئن لم تكفهم لنحرقن القاهرة، ونستنفرن العرب وغيرهم ؟ فلما سمع الرسالة. وكانوا قد استظهروا على العبيد، ركب حماره ووقف بين الصفين وأومأ للعبيد بالإنصراف فانصرفوا، واستدعى كتامة والأترك ووجوه المصريين، واعتذر إليهم، وحلف أنه بريء مما فعله العبيد وكذب في يمينه، فقبلوا الأرض بين يديه وشكروه، وسألوه الامان لأهل مصر، فكتب لهم، وقرىء الأمان على المنابر، وسكنت الفتنة وفتح الناس أسواقهم وراجعوا معايشهم. واحترق من مصر مقدار ثلثها، ونهب نصفها، وتتبع المصريون من أخذ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم، وابتاعوهن من العبيد بعد أن فضحوهن، وقتل بعضهن نفوسهن خوفاً من العار. واستغاث قوم من العلويين الأشراف إلى الحاكم، وذكروا أن بعض بناتهم في أيدى العبيد على أسوأ حال، وسألوه أن يستخلصهن، فقال الحاكم : انظروا ما يطالبونكم به عنهن لاطلقه لكم، فقال له بعضهم : أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا، فقد أطرحت الديانة والمروءة بأن رضيت لبنات عمّك بمثل هذه الفضيحة، ولم يلحقك منهن امتعاض ولا غيرة. فحلم عنه الحاكم وقال له : أنت أيها الشريف محرج ونحن حقيقون باحتمالك وإلا غضبنا عليك وزاد الأمر على الناس فيما يفجؤهم به حالا بعد حال من كل ما تنخرق به العادات وتفسد الطاعات »(١٣١).

وزاد عليه الذهبي :

« ولما أمر بحريق مصر واستباحها بعث خادمه ليشاهد الحال فلما رجع قال : كيف رأيت ؟

---

(١٣١) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٨٠ إلى ١٨٣، « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠٨ وما بعد، « الكامل » لابن الاثيرج ٧ ص ٣٠٥ « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ٩.

قال : لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت[١٣٢] فضرب عنقه »[١٣٣] .

هذا وانني لأرى بأنه لم يذهب هذا المذهب، ولم يرتكب هذه المظالم إلا لغرض معين وهدف مقصود، وهو التمهيد والتوطئة لإظهار ما كان يريده من مذهبه المتوارث وعقائده الموروثة القديمة التى أراد إظهارها أبو الخطاب والمبارك والقداحيون وجده المهدى الإسماعيلى وآباؤه من بعدهم ولكنهم لم يتمكنوا لمخالفة الأوساط التي كانوا يعيشونها، والشعوب التي سلطوا عليها وقهروها، فأراد من البداية اذلال الشعب المصري وتوهين قواهم لكى لا يقفوا في سبيل دعوته، ويتنكروا عليه مذهبه وديانته كما فعل به أسلافهم والآخرون ضد آبائه وأجداده.

وعلى ذلك لما رأى أنه قضى على غيرتهم وحميتهم وقد قصرت بهم همتهم

---

(١٣٢) ولا أدرى كيف يستبيح بعض المؤرخين لأنفسهم أن يبرروا طغيان هذا الإمام الإسماعيلى وغدره ودمويته، ويخترعوا لها المعاذير، وخاصة المصريين منهم بعد هذه الشنائع والفظائع، وبعد هذا التنكيل والتذليل والجرائم البشعة والعظائم الفظيعة الشنيعة ؟
وكيف يفتخر المؤرخون المصريون على سلطان هؤلاء وملكهم ؟ وكيف يعدون دورهم من أمثل الادوار وأفضلها بمصر ومن فيها ؟
وكيف يجوز لهم أن يطلبوا بمصرية هؤلاء الطغام وإسلامية هؤلاء الأشرار ولم ير التاريخ وجهاً أسود لمصر وللبلدان الإسلامية من وجه هؤلاء القتلة المردة والتاريخ على ذلك خير شهيد.
وإنني لا أرى منصفا أنصفهم وأعدل القول من المؤرخين المصريين الجدد غير البحاثة الأستاذ محمد عبد الله عنان، فقد أدى للعمل حقه، وأظهر تعمقه وتبحره وانصافه في كتابه (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) وإلاّ فأكثر الكتاب الذين كتبوا في هذا المجال لم يكتبوا إلا لمعاذير اختلقوها، وتعاليل اخترعوها من عند أنفسيهم بدون دليل وبرهان.
ولا أدرى لماذا؟
والله يعلم وهو بكل شيء عليم.
(١٣٣) « سير أعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٧٧ .

أن يقفوا في سبيل طغيانه وقسوته ودمويته ووحشيته إلى أن انتهك أعراضهم، وسلب أموالهم وأراق دماءهم، وقتل أبناءهم، سبى ذراريهم ونساءهم وأذاقهم كل أنواع الخسف والظلم والضيم والإحتقار والإهانة أيقن أنه آن الأوان لإظهار ماكتم طويلاً، وإعلان ما يخفى دهرا، والجهر بمذهبه وديانته، فأطلق العنان لدعاته أن يعلنوا على الملأ في المساجد والجوامع وفي المحاريب وعلى المنابر أنه هو الرب والإله.

وقد ذكر هذا كله المؤرخون، ونحن ننقل عن أبي المحاسن نقلا عن ابن الصابىء أنه قال:

«ثم عنّ له أن يدّعى الربوبية، وقرّب رجلا يعرف بالأخرم ساعده على ذلك، وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة، فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابته، ومعه أصحابه على دوابهم وقاضي القضاة ابن أبي العوام جالس فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلموا للقاضي رقعة فيها فتوى، وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم.

فلما قرأها القاضي رفع صوته منكرا، واسترجع وثار الناس بالاخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه الربوبية، وتقرب إليه جماعة من الجهال، فكانوا إذا لقوه قالوا: السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيى يا مميت، وصار له دعاة يدعون أوباش الناس، ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك، فمال إليه خلق كثير طمعاً في الدنيا والتقرب إليه. وكان اليهودي والنصراني إذا لقيه يقول: إلهى قد رغبت في شريعتى الأولى، فيقول الحاكم: إفعل ما بدا لك، فيرتد عن الإسلام. وزاد هذا الأمر بالناس»[١٣٤].

---

(١٣٤) «النجوم الزاهرة» لأبي المحاسن ج ٤ ص ١٨٣.

ونقل عن شمس الدين في تاريخه (مرآة الزمان) أنه قال : رأيت في بعض التواريخ بمصر أن رجلاً يعرف بالدرزى قدم مصر. وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم (عليه السلام) انتقلت إلى على بن أبي طالب، وأن روح على انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انْتَقَلَت إلى الحاكم. فنفق على الحاكم وقربه وفوض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده. وكان قصد الحاكم الإنقياد إلى الدرزى المذكور فيطيعونه، فأظهر الدرزى الكتاب الذى فعله وقرأه بجامع القاهرة، فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعث إليه في السر مالا، وقال : أخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الإنقياد. فخرج إلى الشام، واستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرر في نفوسهم الدرزى التناسخ، وأباح لهم شرب الخمر والزناء، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه، وأقامه عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى »[١٣٥].

وقد ذكر ابن خلكان :

« إن الحاكم كان جالساً في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته، فقرأ بعض الحاضرين (فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مّما قضيت ويسلّموا تسليماً) والقارىء في أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم. فلما فرغ من القراءة قرأ شخص يعرف بابن المشجّر (والمشجّر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشدّدة وبعدها راء مهملة) وكان ابن المشجّر رجلاً صالحاً فقرأ : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له

(١٣٥) أيضاً ص ١٨٤، ومثله في « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٠٧، « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ١٠ « سير أعلام النبلاء » للذهبى ج ١٥ ص ١٨١، « اتعاظ الحنفاء » ج ٢ ص ١١٣.

وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حقّ قدره إن الله لقويّ عزيز). فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار، ولم يطلق للآخر شيئاً. ثم أن بعض أصحاب ابن المشجّر، قال له: أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما تأمن أن يحقد عليك (وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت) ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندى أن تغيب عنه، فتجهّز ابن المشجّر إلى الحج وركب في البحر وغرق، فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال: ما قصّر الرّبان معنا، أرسى بنا على باب الجنّة»[١٣٦].

ولقد ذكر ابن عذارى المراكشي عن ابن سعدون بعض العقائد التي أظهرها.

« ثم ولي بعده (أي العزيز) الحاكم، فأظهر مذهبهم، فكان مما أحدث أنه بنى دارا، وجعل لها أبواباً وطباقاً، وجعل فيها قيوداً وأغلالاً، وسماها جهنّم، فمن جنى جناية عنده، قال: «أدخلوه جهنم» وأمر أن يكتب في الشوارع والجوامع بسب الصحابة - رضى الله عنهم - أجمعين. ثم أرسل داعياً إلى مكة، فلما طلع المنبر، وذكر ما ذكر، اقتحم عليه بنو هذيل، فقطع قطعة قطعة، وكسر المنبر، وفنى حتى لم يجتمع من شيء. ثم أرسل رجلا خراسانياً من بني عمّه، فضرب الحجر الأسود بدبّوس، فقتل من حينه، وأخذه الناس قطعة قطعة، وأحرق بالنار. وأرسل - لعنه الله - إلى مدينة الرسول - ﷺ - من ينبش القبر المعظّم، فسمع الناس صائحاً يقول: «القبر ينبش» ففتّشه الناس، فوجدوه وأصحابه فقتلوهم، ثم أنه أدعى الربوبية من دون الله، وجعل داعياً يدعو الناس إلى عبادته، وسماه المهدىّ، فكتب داعيه الكتاب، وكان اسمه حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقرىء المبطلين علوّا كبيراً! - «الحمد لمولاى الحاكم وحده! باسمك اللهم الحاكم بالحق!» ثم

---

(١٣٦) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ص ٢٩٥ ط دار صادر بيروت بتحقيق الدكتور احسان عباس.

تمادى، فقال : « توكلت على إلاهى أمير المؤمنين ـ جل ذكره ! وبه نستعين في جميع الأمور ! » ثم طول في الكتاب بالتخليط : فمرة يجعله أمير المؤمنين، ومرة يجعله الإلّه، وقال فيه : « وأمرنى باسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة » وذكر أشياء يطول ذكرها. وكانت له راية حمراء تحت قصره، فاجتمع إليه خلق نحو خمسة عشر ألف رجل فيما قيل »(١٣٧).

هذا ولقد صرح البحاثة المؤرخ المصري الأستاذ محمد عبد الله عنان أن الحاكم كان وراء هذه الحركة الإلحادية والدعوة إلى ألوهيته وربوبيته، وكان يشجع الدعاة ويشد ازرهم ويمدهم بالمال والنصح ويسهر على حمايتهم من الكافة، وكان يشرف على توجيه الدعوة ويشترك في تنظيمها وتغذيتها بطريقة فعلية »(١٣٨).

وقبل ذلك نقل المقريزي عن ابن أبى طى مثل هذا :

« وكان له سعى في إظهار كلمته، فبعث دعاته إلى خراسان وأقام فيها مذهب الشيعة واستجاب له عالم عظيم، فبعث إلى البلاد بالأموال في استمالة الرجال إلى ما يريد.

وكان أبو عبد الله أبو شتكين النجارى الدرزى أول رجل تكلم بدعوته، وأمر برفع ماجاء به الشرع، وسيّر مذهبه إلى بلاد الشام والساحل، ولهم مذهب في كتمان السرّ لا يطلعون عليه من ليس منهم. وكان الدرزى يبيح البنات والأمهات والأخوات. فقام الناس عليه بمصر وقتلوه فقتل الحاكم به سبعين رجلاً. وأنفذ الدرزى إلى الحجر الأسود برجل ضربه وكسره

وادعى الربوبية. وقدم رجل يقال له يحيى اللباد، ويعرف بالزورنى الاخرم، فساعده على ذلك، ونشط جماعة على الخروج عن الشريعة.

---

(١٣٧) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٦.

(١٣٨) انظر « الحاكم بأمر الله » لمحمد عبد الله عنان ص ٣٠٦ ط مكتبة الخانجى ـ القاهرة.

وركب يوماً من القاهرة في خمسين رجلاً من أصحابه إلى مصر، ودخل الجامع بدابته، وأصحابه كذلك، فسلم إلى القاضى رقعة فيها : باسم الحاكم الرحمن الرحيم، فأنكر القاضي ذلك، وثار الناس بهم وقتلوهم، وشاع هذا في الناس فلعنوه. ويقال إنه خرج يوماً وعليه قباء اطلس وفي وسطه سيف، فخلع القباء وقال : هذا الظاهر قد خلعته، ثم جرّد السيف وقال : هذا الباطن قد سللته.

قال : وفي السنة التي أشاع فيها الحاكم أنه يريد أن ينزل في أول رمضان إلى الجامع ومعه الطعام، فمن أبى الأكل قتله، وكان دعاته إذا ركب يقولون : السلام عليك يا واحد يا أحد - ويغلون فيه الغلوّ المفرط. وادعى أنه حصل له كتاب الجفر »(١٣٩).

وقتل في شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة شر قتله دبّرته اخته ست الملك(١٤٠) وكانت عمره يوم ذاك ستا وثلاثين سنة في جبل المقطم.(١٤١).

وقيل : إنه قتل لتطاوله على المعتقدات الإسلامية، وتظاهره بالكفريات، وادعائه ما رسم له مؤسسو الإسماعيلية وبناتها لأنه قبض على شخص وعنده قطعة من جلد رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه، وأقر بأنه قتل الحاكم في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد.

فقيل له : لم قتلته ؟

فقال : غيرة لِلّه وللإسلام(١٤٢).

---

(١٣٩) « اتعاظ الحنفاء » ج ٢ ص ١١٧، ١١٨.

(١٤٠) « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ١٠٥، « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ١٠ « الخطط » للمقريزى ج ٢ ص ٢٨٩، « اتعاظ الحنفاء » للمقريزى ج ٢ ص ١١٧ « تاريخ ابن خلدون » ج ٤ ص ٦١، « اخبار الدول » للقرمانى ص ١٩٢ ط مكتبة المتنبى القاهرة، أيضاً « سير اعلام النبلاء » للذهبى ج ١٥ ص ١٨٣، « وفيات الاعيان » ج ٢ ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(١٤١) انظر « المراجع المذكورة ».

(١٤٢) انظر « الخطط » للمقريزى ج ٢ ص ٢٩١.

بعد أن جعل ولاية عهده والزعامة الإسماعيلية وإمامتهم في عبد الرحيم بن الياس بن المهدى، أحد أبناء عمومته(١٤٣).

وحرم أبنه الوحيد عليا الملقب بالظاهر.

قتل الحاكم ولم يعثر على جثته.

الظاهر بن الحاكم

قامت أخت الحاكم ستّ الملك بأمور البلاد، وعزلت عبد الرحيم بن الياس من ولاية العهد، وأقامت ابنه البالغ من العمر ست عشرة سنة عليّا مقامه، ولقبته بالظاهر وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة واربعمائة وعمره ست عشرة سنة(١٤٤).

وكان يشرب الخمر ورخص فيه للناس وفي سماع الغنى وشرب الفقاع . . . . . فأقبل الناس على اللهو(١٤٥).

وأيضاً سنة ثماني عشرة شرب الظاهر الخمر وترخص فيه للناس والغني واللهو فأقبل الناس على اللهو(١٤٦).

وبلغ المجون في عصره إلى حد اضطر المقريزى المتعاطف مع الإسماعيلية إلى أن يقول :

---

(١٤٣) انظر « الخطط » للمقريزى ج ٢ ص ٢٨٨، « الاتعاظ » ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١. « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ١٩٣.

(١٤٤) انظر « الخطط للمقريزي » ج ١ ص ٧٣٥٤ « الاتعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ١٢٤ ومثل ذلك في « وفيات الاعيان » لابن خلكان ص ٤٦٣، ٤٦٤ و« النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ٢٤٧، « البداية والنهاية » لابن كثير ج ١٢ ص ١٠ « الكامل » لابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٥.

(١٤٥) « الخطط » للمقريزي ج ١ ص ٣٥٤.

(١٤٦) « الاتعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ١٢٩.

« ولخمس بقين من محرم كان ثالث فصح النصارى، فاجتمع بقنطرة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير طول نهارهم في لهو وتهتك قبيح، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر، حتى حملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديداً في هذا اليوم.

وركب الظاهر في موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوطة بسواد، وثوب دبيقى مدير بسواد، فدار هناك طويلاً وعاد »[١٤٧].

وذكر ابن عذارى المراكشى عن ابن سعدون أنه « كان مشتغلاً في الشرب، منهمكا فيه، يلبس لباس النساء، حتى يظنه الناس إذا مشى معهن امرأة »[١٤٨].

وذكر النويري مثل ذلك انهماكه في الملذات وانغماسه فيها[١٤٩].

وكان وحشياً مثل آبائه، ولقد ذكر المؤرخون أن القحط بلغ ذراه في عهده ومات الخلق جوعاً في مصر والشام، وقد كثرت الفتن والقلاقل والنهب والسرقة والسلب لأجل ذاك، وأيام ماكان الناس يموتون جوعاً كان الظاهر يخرج في موكبه بالرقاصين والمغنين، ولقد صور المقريزي هذا القحط وعدم مبالاته به والناس، بقوله:

« واشتد الغلاء والقحط بمصر، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم، والحملة الدقيق بأربعة دنانير وثلثين، والتلّيس القمح بثلاثة دنانير، واللحم أربع أواق بدرهم وعظم الموت سيما في الفقراء، وبلغ بالناس الجهد حتى أن جزارا طرح عظماً لكلب فطرد رجل الكلب وأخد العظم منه وابتلعه نيئاً، وأكل المساكين الصماليخ من القنبيط واقتاتوا باليسير من كسب الرز وكسب

---

(١٤٧) « الاتعاظ » للمقريزي ج ٢ ص ١٣٧.
(١٤٨) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٧.
(١٤٩) انظر « نهاية الارب » الجزء الخاص بأخبار القرامطة.

السمسم، وغلت عامة الحبوب، وغلا الماء لتعذر علف الدواب وعدم من يستقى عليها، وبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم، ورواية البغل بدرهمين واشتدت المسغبة، وقدم الخبر بشدة الموت بدمشق، فمات من أهلها ألوف.

وفي نصفه ركب الظاهر وشق مدينة مصر، وخلفه المقوّدون والمصطنعة، وبين يديه الرقاصون، فاستغاث الناس بضجة واحدة: الجوع يا أمير المؤمنين، الجوع، لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدّك، فالله الله في أمرنا. فارتجت البلد بالضجيج حتى نزل إلى قصر العزيز على البحر، فحضر أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتامى وقد أختل عقله وحاله، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم، وبالغ فيما شتم به، فضربه الرقاصون حتى سقط، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله »[150].

ونقل عن ابن الرقيق أنه قال:

« وكان بمصر من الغلاء والشدة وعدم الاقوات مالم ير مثله من زمن بعيد، بلغ الخبز، إذا وجد، رطلاه بدرهم، واللحم أربع أواق بدرهم، والرمانة الواحدة بدينار، وكان الناس في كل ناحية يصيحون بالجوع حتى يموتوا، ويكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزاً فلا يجده، هذا مع الموت الذريع والوباء الفظيع، وورد كتاب بعض ثقات التجار يصف أنه أحصى من مات ممن عرف وكفن ودفن من آخر شهر رمضان إلى بعض ذي القعدة فكانوا مائة ألف وسبعين ألف نفس. وأما الغريب ومن لا يعرف ومن يلقى في النيل ولا يجد من يقبره فأكثر من هذه العدة أضعافاً لا تحصى »[151].

وكان مع هذا المجون والفسوق وعدم المبالاة بها للشعب يرى رأى آبائه

---

(١٥٠) « الاتعاظ » ج ٢ ص ١٦٤، ١٦٥.
(١٥١) أيضاً ص ١٦٤، ١٦٥.

في العصبية المذهبية إلى أن ذكر المقريزى في حوادث سنة ست عشرة وأربعمائة :

« فيها أمر الظاهر بنفى من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم. وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب « دعائم الإسلام » وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت وفرض الظاهر لمن يحفظ ذلك مالا. وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة »(١٥٢).

ومات سنة سبع وعشرين وأربعمائة « عن استسقاء طال به من نيف وعشرين سنة، وكانت مدته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً . . . . وهو مشغول بملاذه ونزهه وسماع المغنى « وأمور الدولة بيد عمته أولا، ثم وزيره ثانياً وأخيراً »(١٥٣).

وذكر في خططه : « وكان مشغوفاً باللهو، فتأنق الناس في أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً »(١٥٤).

مات عن ولد له معدّ المكنى بأبي تميم الملقب بالمستنصر، وعمره يومئذ سبع سنين. وكان عمره يوم وفاته اثنتين وثلاثين سنة إلّا أياماً.

المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر

وولى أبو تميم معد المتلقب بالمستنصر سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين وأمه أم ولد كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له أبو سعد سهل بن هارون التسترى، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر، فلما افضت الخلافة إليه استندت أمه أبا سعد ورقته درجة عليا(١٥٥).

(١٥٢) أيضاً ص ١٧٥.
(١٥٣) « اتعاظ الحنفاء » ج ٢ ص ١٨٢، ١٨٣.
(١٥٤) « الخطط » ج ١ ص ٢٥٥.
(١٥٥) « الخطط » للمقريزي ص ٣٥٥.

وقضى الامام الاسماعيلى الثامن في دور الظهور كل حياته محجوراً عليه ليس له أمر ولا كلمة[١٥٦].

وقاسى محناً عظيمة[١٥٧].

وكان مستهتراً بالعقائد الإسلامية والمعتقدات الدينية » وكان من عادته من كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة وهو موضع نزهة. فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة ومعه الخمر في الروايا عوضاً عن الماء يسقيه الناس، كما يفعل بالماء في طريق مكة »[١٥٨].

«أو كأنه ماء زمزم »[١٥٩].

وزاد المقريزى :

« وقد أنشد الشريف أبو الحسين على بن الحسين بن حيدرة العقيلى المستنصر في ذلك صبيحة يوم عرفة.

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضح ضَحى إلا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى، فصفّهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً ... فطف بها حول ركن العود والناء »[١٦٠]

وقد ذكر ابن عذارى عن ابن سعودن أنه أرسل من كتب السب في أستار الكعبة في ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسب الصحابة رضى الله عنهم[١٦١].

---

(١٥٦) انظر « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢٣.
(١٥٧) « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٩.
(١٥٨) انظر « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧، ١٨.
(١٥٩) « الاتعاظ » ج ٢ ص ٢٦٥.
(١٦٠) أيضاً.
(١٦١) « البيان المغرب » ج ١ ص ٢٨٧.

وقال الامام الذهبي :

« وكان سبّ الصحابة فاشيا في أيامه والسنة غريبة مكتومة حتى أنهم منعوا الحافظ ابن اسحاق الحبال من رواية الحديث وهددوه فامتنع »[١٦٢].

فسلط الله عليه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف. وقد ذكره المؤرخون بتفاصيله، ونورد ههنا ما ذكره مؤرخ مصر أبو المحاسن ومثله في (الاتعاظ) و (تاريخ ابن اياس) وغيرها، فيقول أبو المحاسن :

هذا والغلاء بمصر يتزايد، حتى أنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحد، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، فانه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضهم بعضاً. وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها، وأكلت الدواب بأسرها، فلم يبق لصاحب مصر - أعني المستنصر - سوى ثلاثة افراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة. وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير، ونزل الوزير أبو المكارم وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلاّ غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البلغة منه، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا، فأصبح الناس فلم يروا إلاّ عظامهم، أكل الناس في تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحمام فقال له الحمامي : من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عز الدولة أو فخر الدولة ؟ فقال له الرجل : أتهزأ بي ؟ فقال : لا والله، أنظر اليهم، فنظر فاذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجودهم في الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة.

وأعظم من هذا أن المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميع موجوده

(١٦٢) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٩٦ ..

وجميع ماكان في قصره حتى أخرج ثياباً كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسى، لما نهب بهاء الدولة دار الخليفة في احدى وثمانين وثلثمائة، وأشياء آخر أخذت في نوبة البساسيرى، وكانت هذه الثياب التى لخلفاء بنى العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبنى العباس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبنى العباس.

فلما ضاق الامر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدة الحاجة. وأخرج المستنصر أيضاً طستا وابريقاً بلوراً يسع الابريق رطلين ماء، والطست أربعة أرطال، وأظنه بالبغدادى، فبيعا باثنى عشر درهما فلوساً، ثم باع المستنصر من هذا البلور ثمانين ألف قطعة.

وأما ما باع من الجواهر واليواقيت والخسروانى فشىء لا يحصى. وأُحصى من الثياب التي بيعت فى هذا الغلاء من قصر الخليفة ألف ثوب، وعشرون ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى، وباع المستنصر حتى ثياب جواريه وتخوت المهود، وكان الجند يأخذون ذلك باقل ثمن، وباع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق. وبيعت البيضة بدينار، والإردبّ القمح بمائة دينار في الأول. ثم عدم وجود القمح أصلا. وكان السودان يقفون في الازقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها، واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر وكانت سمينة، فعلقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة، وقعدوا ياكلونها وغفلوا عنها، فخرجت من الدار واستغاثت، فجاء الوالى وكبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى، وقتل السودان، واحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى أنه أرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد ابراهيم الخليل (عليه السلام).

وخرجت امرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها مد جوهر، فقالت: من يأخذ هذا ويعطيني عوضه دقيقاً أو قمحاً، فلم يلتفت إليها أحد، فألقته في الطريق وقالت: هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم،

فلم يلتفت إليه أحد وهو مبدد في الطريق »[١٦٣].

وزاد المقريزى :

« وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نخ أو حصير، وتعطلت دواوينه وذهب وقاره، وخرج نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن : الجوع الجوع، وهن يردن المسير إلى العراق، فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهرة، ومتن جوعاً، جاء الوزير يوماً على بغلة فاكلها العامة، فامر بهم فشنقوا، فاجتمع الناس على المشنوقين وأكلوهم. وعدم المستنصر القوت جملة حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ماكان لها من البر والصدقات في سنى هذا الغلاء، حتى انفقت مالها كله، وكان يجل عن الاحصاء، في سبيل البر، فلم يكن للمستنصر قوت سوى ماكانت تبعث به اليه، وهو مرة واحدة في اليوم لا يجد غيره، وبعث بأولاده إلى الاطراف لعدم القوت، فسير الأمير عبد الله إلى عكا فنزل عند أمير الجيوش، وأرسل الأمير أبا على معه وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان، سيره أولاً إلى دمياط، ولم يترك عنده سوى ابنه أبي القاسم أحمد ». [١٦٤].

ونزحت أم المستنصر وبناته إلى بغداد خوفاً من أن يمتن جوعاً »[١٦٥].

ويقولون : إنه مات في هذا الغلاء والقحط أكثر أهل الاقليم[١٦٦].

وثلث أهل مصر عند ابن اياس[١٦٧].

أو النصف[١٦٨].

---

(١٦٣) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٥، ١٦، ١٧ « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٦ مابعد « الاتعاظ » ج ٢ ص ٢٧٩ ومابعد.

(١٦٤) انظر « الاتعاظ » ج ٢ ص ٢٩٨.

(١٦٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢.

(١٦٦) « الاتعاظ » ج ٢ ص ٣٠٠.

(١٦٧) انظر : « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢١٨.

(١٦٨) المرجع السابق أيضاً.

هذا وفي أيامه قطعت الدعوة الاسماعيلية من المغرب، وكذلك من مكة والمدينة والبلاد الأخرى الكثيرة، وأقيم فيها الدعوة للخليفة العباسي ببغداد.

ومات سنة سبع وثمانين وأربعمائة بعد أن ترك الأولاد الأربعة أكبرهم نزار، واصغرهم أحمد.

أبو القاسم أحمد بن المستنصر المتلقب بالمستعلى

لما مات المستنصر بادر الأفضل قام الوزير أفضل شاهنشاه، وأجلس ابنه الاصغر أحمد على عرش البلاد ولقبه بالمستعلى، وأحضر إليه نزارا وعبد لله واسماعيل أولاد المستنصر، فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم، قد جلس على تخت الخلافة أنفوا من ذلك. فأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض وقال لهم: تقدموا وقبّلوا الأرض لله تعالى ولمولانا المستعلى بالله وبايعوه، فهو الذي نص عليه الامام المستنصر، قبل وفاته، للخلافة بعده، فامتنعوا من ذلك، وقال كل منهم: إن والده وعده بالخلافة، وقال نزار: أن قطعت ما بايعت من هو أصغر سنا مني، وخطّ والدي عندي بأني ولي عهده وأنا أحضره، وخرج مسرعاً ليحضر الخط، فمضى من حيث لا يشعر به أحد وتوجه في خفية إلى الاسكندرية. فلما أبطأ أرسل الافضل من يستعجله بالحضور، فلم يوجد، وفتش عليه في القصر فلم يوقف له على خبر ولا عرف كيف توجه فاضطرب الافضل لذلك وانزعج انزعاجاً شديداً.

وقوم يذكرون أن المستنصر كان قد أجلس ابنه أبا المنصور نزاراً، لأنه أكبر أولاده، وجعل إليه ولاية العهد من بعده، فلما قربت وفاته أراد أن يأخذ له البيعة على رجال الدولة، فتقاعد له الأفضل ودافع حتى مات، وذلك أنه كانت بينه وبين نزار مباينة وكان في نفس كل منهما مباينة من الآخر لأمور، منها أن نزارا خرج ذات يوم من بعض أماكن القصر فوجد الأفضل قد دخل

أبواب القصر وهو راكب، فصاح به : « انـزل يا ارمنى يـا نجس » فحقدهـا الأفضل عليه وظهرت كراهة أحدهما للآخر »[١٦٩].

وكان عمره آنذاك عشرين سنة.

وفي أيامه انقسمت الاسـماعيلية إلى قسمـين : اتباع أخيـه الأكبر وعـلى رأسهم الحسن بن صبـاح وغيره، والمستعليـة الذين تبعـوه واعترفـوا بامـامته وزعامته[١٧٠].

وحارب الأفضل نزارا ومن يواليه وقبض على افتكـين ونزار، وأرسلهـما إلى المستعلى فقتل المستعلى افتكين بيده وبنى على أخيه نزار حائطاً، وهـو تحته إلى الآن[١٧١].

وقال المقريزي :

« وفي أيـامه اختلت دولتهم وضعف أمـرهم، وانقطعت من أكـثر مـدن الشام دعوتهم وانقسمت البـلاد الشاميـة بين الأتـراك الواصلين من العـراق وبين الفرنج، فإنهم، خذلهم الله، دخلوا بلاد الشام، ونزلوا على انطاكية في ذى القعدة سنة تسعين واربعمائة وتسلموها في سادس عشر رجب سنة احدى وتسعين، وأخذوا معـرّة النعمان في سنـة اثنتين وتسعـين، وأخذوا الـرملة ثم بيت المقـدس في شعبان، ثم استـولوا عـلى كثير من بـلاد الساحـل، فملكوا قيسارية في سنة أربع وتسعين وأربعمائة » بعد ما ملكوا عدة بلاد.

وفي أيامه أيضـاً افترقت الاسـماعيلية فصـاروا فرقتـين : نزاريـة، تعتقد امامة نزار وتطعن في امامة المستعلى، وترى أن ولـد نزار هم الائمـة من بعده يتوارثونها بالنص والفرقة المستعلوية، ويـرون صحة امـامة المستعـلى ومن قام

---

(١٦٩) « اتعاظ الحنفاء » ج ٣ ص ١١، ١٢ « النجوم الزاهـرة » ج ٥ ص ١٤٢ « تاريـخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٢٠ ومابعد « الكامل » لابن الاثير ج ٨ ص ١٧٣.

(١٧٠) وسوف نفصل القول في هذا الباب الأخير « الاسماعيلية : زعماؤها وفرقها ».

(١٧١) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٤٤.

بعده من الخلفاء بمصر. وبسبب ذلك حدثت فتن وقتل الافضل فيما يقال وقتل الآمر، كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولم يكن للمستعلى سيرة فتذكر، فان الافضل كان يدبر أمر الدولة تدبير سلطنة وملك لا تدبير وزارة »[١٧٢].

وأقام المسيحيون مذابح في المسلمين بالقدس فذبحوا خلقاً وأسروا خلقاً، وسبوا الذرارى والنساء وقال الشعراء في هذه الوقعة قصائد كثيرة، منها ما نقله أبو المحاسن :

« احل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم امسى سليباً ... ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديراً ... على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق ... وتحريق المصاحف فيه طيب
أمور لو تأملهن طفل ... لطفل في عوارضه المشيب
اتسبى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلبين اذا يطيب
أما لله والإسلام حق ... يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا ... أجيبوا الله ويحكم اجيبوا »[١٧٣]

ومات المستعلى سنة خمس وتسعين وأربعمائة وعمره سبع وعشرون سنة، وخلف من الأولاد ثلاثة أبو على المنصور، جعفر وعبد الصمد، وقيل : مات مسموماً، وقيل : بل قتل سراً[١٧٤]

---

(١٧٢) « الاتعاظ » ج ٣ ص ٢٧، ومثل ذلك في النجوم « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٤٥.
(١٧٣) أيضاً ص ١٥١، ١٥٢.
(١٧٤) انظر « الاتعاظ » ج ٣ ص ٢٧، ٢٨ « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٩٧.

وقال أبو المحاسن :

« إنه (أي المستعلى)كان مع تقاعده عن الجهاد وتهاونه في أخذ البلاد متغالياً في الرفض والتشيع ، كان يقع منه الأمور الشنيعة في مأتم عاشوراء ، ويبالغ في النوح والمأتم ويأمر الناس بلبس المسوح وغلق الحوانيت واللطم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه ، مع أن الجميع رافضة ، ولكن التفاوت نوع آخر »(١٧٥)

أبو على المنصور المتلقب بالآمر

ولى بعد المستعلى امامة الاسماعيلية وزعامتها أبو على المنصور يوم مات أبوه سنة خمس وتسعين واربعمائه ، وهو طفل ، له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام ، في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة احضره الافضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان ابيه ونعته بالآمر باحكام الله وركب الافضل فرساً وجعل في السرج شيئاً واركبه عليه لينمو شخص الآمر وصار ظهره في حجر الافضل »(١٧٦) .

وكان متظاهراً بالمكر واللهو الجبروت(١٧٧) .

ونقل أبو المحاسن عن الذهبي أنه قال :

كان رافضياً كآبائه فاسقاً ، ظالماً ، جباراً ، متظاهراً بالمنكر واللهو ذا كبرٍ وجبروت(١٧٨) .

---

(١٧٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٥٣ .
(١٧٦) « الخطط » للمقريزي ج ٢ ص ٢٩٠ .
(١٧٧) « وفيات الاعيان » ج ٥ ص ٣٠٠ .
(١٧٨) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧٠ .

وقال ابن اياس بترجمته :

« وكان صغير السن، طائش العقل، تجاهر بالمنكرات، واشتغل بسماع الزمور، وشرب الخمور، وأنشأ له قصراً بالروضة، على شاطىء النيل، وسمّاه : الهودج، وأنشأ حوله بستاناً، وسماه : المختار، وصار ينزل إلى ذلك القصر، واشتغل به عن أحوال المملكة، وصار الناس مثل الغنم بلا راع، فعند ذلك اضطربت أحوال مصر »[179].

وبذلك قال المقريزي أيضاً :

« وكان جريئاً على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح »[180] وقال الذهبي في سيره : كان خبيث المعتقد، سفاكاً للدماء، متمرداً، سفاحاً، جباراً، فاحشاً، فاسقاً، صادر الخلق[181].

وقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة، قتله النزاريون على الجسر إلى الجزيرة[182].

وقال المقريزي :-

« وكان الآمر كثير الفرج محبا للهو، فركب في يوم الثلاثاء الرابع من ذي القعدة يريد أن يجيء إلى الهودج الذي بناه بجزيرة مصر لمحبوبته البدرية، ومن العادة في الركوب أن يشاع في ارباب الخدم بالموكب جهة قصد الخليفة حتى لا يتفرقوا عنه، فعلم النزارية اين يقصد فجاءوا إلى الجزيرة المذكورة ودخلوا فُرناً قبالة الطالع من الجسر إلى البرّ، ودفعوا إلى الفرّان دراهم ليعمل لهم فطيراً بسمن وعسل، فبينما هم في أكله وإذا بالخليفة الآمر قد عبر من

---

(١٧٩) « تاريخ ابن اياس » ج ١ ص ٢٢١ .

(١٨٠) « الخطط » للمقريزي ج ٢ ص ٢٩١ .

(١٨١) « سير اعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٩٩ .

(١٨٢) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٧٢ « الكامل » لابن الاثير ج ٨ ص ٣٣٢ « سير اعلام النبلاء » ج ١٥ ص ١٩٩ .

كرسي الجسر بمصر وجاز عليه وقد تفرق عنه الركابية ومن يصونه بسبب ضيق الجسر. فلما طلع من الجسر يريد العبور إلى الجزيرة وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين، وواحد منهم صار خلفه على كفل الدابة وضربه عدة ضربات. فادركهم الناس وقتلوهم، وكانوا تسعة، وحمل الأمر في عشارى إلى اللؤلؤة، وكانت أيام النيل، فمات من يومه، وحمل من اللؤلؤة وهو ميت إلى القصر.

وكان عمره يوم قتل أربعاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، ومدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً »[١٨٣]. بدون أن يترك خلفاً له وبدون عقب على قول أكثر المؤرخين مثل ابن الاثير[١٨٤] وابى المحاسن[١٨٥] وابن خلكان[١٨٦] والذهبي[١٨٧] وابن اياس[١٨٨] وغيرهم.

وترك ولدا ولكن قتله عبد المجيد المتولى بعده على رأى البعض.[١٨٩].

ولكن الاسماعيلية الطيبة أو البهرة أو المستعلية ينكرون هذا، ويقولون: إنه ولد له ولد وسماه الطيب وكنّاه بأبى القاسم وجعل الامامة فيه وأخبر بذلك السيدة حرة الملكة الصليحية ملكة اليمن والراعى ذؤيب.

« وعاد الامام (عليه السلام) إلى قصره ودخل القصر متكئا على ابن عمه عبد المجيد بن محمد المستنصر بالله ﷺ وأمر عند دخوله القصر باحضار حججه وابوابه والخلصاء من دعاته وأوليائه واصحابه فجدد النص على ولده الامام الطيب ابى القاسم أمير المؤمنين ﷺ وأخذ البيعة له بعد أن كان نص

---

(١٨٣) « الاتعاظ » للمقريزي ج ٣ ص ١٣٠، ١٣١.
(١٨٤) « الكامل » ج ٨ ص ٢٣٢.
(١٨٥) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢٣٧.
(١٨٦) « وفيات الاعيان » ج ٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧.
(١٨٧) « سير اعلام النبلا » ج ١٥ ص ٢٠١.
(١٨٨) « تاريخ ابن اياس » ج ٢ ص ٢٢٤.
(١٨٩) انظر « الاتعاظ » للمقريزي ج ٣ ص ١٢٨، ١٤٦.

عليه يوم ولادته في السجل الشريف المصدور إلى الحرة الملكة السيدة الطاهرة الرضية الزكية واحدة الزمن. سيدة ملوك اليمن، عمدة الاسلام، خالصة الامام ذخيرة الدين، عدة المؤمنين، كهف المستجيبين، وولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين السيدة بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى، قدس الله روحها، ورزقنا شفاعتها، وأودع ابن عمه عبد المجيد قصره وظاهر ملكه بعد أن أخذ البيعة عليه وتأكيدها أنه حافظ لما في يديه للامام الطيب ابي القاسم أمير المؤمنين، وسلم إليه جميع ما أمر بأن يؤديه اداء الثقة الأمين. واحضر ابن مدين وكان لديه صلوات الله صاحب المنزلة العلية، والقائم بالرتبة العظيمة البابية، الأمين. واستودعه الأمر لولده الامام الطيب ابن القاسم أمير المؤمنين. وأعلم انه مقتول بعده، وأمره أن يستودع صهره أبا على القائم بعده بالرتبة البابية، والخالف له في منزلتها السنية، وأن يكون ذلك الأمر لديه وديعة لولده الامام الطيب ﷺ وأن يستر بستره ولا يخالف شريف أمره »(١٩٠).

ولكنهم لم يستطيعوا إثبات وجوده ولا أين كان مكوثه وقيامه بعدئذ ومتى وأين كان وفاته اللهم إلّا الخزعبلات والترهات واللجوء إلى الأدلة التي هى أوهى من بيت العنكبوت وإن أوهى البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

فعلى الأمر كان نهاية الامامة الاسماعيلية عند طائفة لانه لم يتولّ بعده إلا الكفلاء الأربعة، الحافظ عبد المجيد والظافر اسماعيل بن الحافظ والفائز عيسى بن الظافر والعاضد عبد الله بن الحافظ.

فان هؤلاء لا يعدون من الائمة الاسماعيلية على رأى جميع طوائف الاسماعيلية ويعد دورهم دور الكفلاء، لا دور الائمة. وعلى ذلك كان آخر الائمة في دور الظهور هو الآمر بن المستعلى، وبه انتهى ذلك الدور ثم بدأ

---

(١٩٠) « كتاب الازهار » للداعى نوح بن حسن الهندى ص ٢٤٣، ٢٤٤ ومثله في « عيون الاخبار » للداعى ادريس عماد الدين، السبع السابع ص ٣٤٨، نسخة خطية.

دور الستر مرة ثانية عند من يعتقد بولد الآمر الطيب ابي القاسم وهؤلاء يسمون الطيبية.

وأما النزارية الطائفة الاسماعيلية الأخرى فانهم يعدّون المستنصر آخر الائمة في دور الظهور ولا يؤمنون بامامة المستعلى ولا الآمر ابنه(١٩١).

وهكذا انتهى دور ظهور الائمة الاسماعيلية الذي بدأ سنة سبع وتسعين ومائتين يوم تسلط المهدى الاسماعيلى على المغرب وانتهى سنة أربع وعشرين وخمسمائة يوم قتل الآمر بدون عقب أو عقب مستتر.

---

(١٩١) ولقد نذكر بعض هذه الخلافات في الباب الآخر من هذا الكتاب كما سنذكر التفاصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب فانه مخصص لذكرها وبيانها، إن شاء الله.

الباب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب الأئمة الاسماعيليين

لا يمكن لأحد من الباحثين الذين يبحثون في الاسماعيلية ويكتبون عنها أن يتجنب مسألة النسب للأئمة الاسماعيلية فى دور الكشف والظهور لما لها من أهمية بالغة، حيث أنها أساس هذا المذهب وهذه الديانة، لأننا كما ذكرنا سابقاً أن عامة الشيعة بجميع طوائفها لا يرون الامامة إلا في أولاد على رضى الله عنه وأعقابه وأنها منحصرة فيهم إلى يوم القيامة.

« فاختصهم بالفضل والكرامة وجعل الحجة والامامة
فيهم فلم تزل عليهم تقتصر[1].

وكل شخص آخر مهما كثرت فضائله، وجلت محاسنه ومناقبه، وعلت حسناته ومآثره ومفاخره لا يستحق الامامة ولا يتأهل لها. وكل من ينتصب أو يتصدى لها أو يدعيها لا يكون إلا مبطلاً ظالماً غاصباً لأنها حق لأسرة مقدسة وبيت مقدس. من بيت على وفاطمة المعنىّ والمعبر عنها بأهل البيت كما نقلوا عن جعفر بن محمد أنه قال :

---

(١) « الارجوزة المختارة » للقاضي نعمان ص ٣٠ تحقيق اسماعيل قربان ط مونتريال كندا ١٩٧٠،

« أشرك من تراس علينا أن الرياسة لا تكون الالنا »[٢].

ومن كان خارج هذا البيت وهذه الأسرة لا يلتفت إلى أية صفات يتحلى بها وأية مؤهلات يحملها من العلم، والمروءة، والشجاعة، والتقوى، والطهارة وغيرها من مزايا الشرف وخصال الفضيلة، ولا ضير إن عدمت هذه الأوصاف، بعضها أو كلها فيمن ينتسب إلى تلك الأسرة لأنها تنعم عليه بالعصمة، لا بمعنى أن لا يذنب، ولا يقترف الجريمة، بل المقترفات والسيئات لا تكسبه الأثم ولا تحط عليه وزرا، فالمعصوم من يكون محفوظاً، لا عن المعاصي والمآثم والجرائم، بل المحفوظ من الاعتراض في الدنيا والعقاب في الآخرة، فله أن يفعل ما يشاء ويعمل ما يريد. وخاصة عند الاسماعيلية كما صرح بذلك قاضي قضاة الاسماعيلية الأول نعمان بن محمد المغربي في كتابه (كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة) في فصل خاص عنونه بعنوان : ذكر النهي عن انكار أفعال الأئمة :

« أدّبوا أنفسكم أيها المؤمنون، وانهوها عما تنكره من أفعال الأئمة . . . . وسلموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم، وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم، واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم »[٢].

وذكر قبل ذلك أيضاً بالتفصيل والتمثيل :

« فالحذر عباد الله الحذر من انكار ما ترونه وتشاهدونه من أمرهم وفعلهم، واغضائهم، وانكارهم وتصرف الأحوال بهم، وعن أمرهم بألسنتكم أو بقلوبكم أو بخواطر أنفسكم، وعليكم ما حملتم، وسلموا لهم ما حملوا تغبطوا وتسعدوا وتسلموا . . . . فمن أنكر هذا على أولياء الله فانما أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى في ذلك قد خولف، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من أمره، ونهيهم من نهيه. ومما ينكره من أمور الأئمة من لا دين له يرجع إليه، ولا تمييز له يقتصر عليه، ولا عقل له من ذلك

(٢) كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ص ١٣١ نشر وتحقيق د ـ محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي ـ القاهرة.

يـردعه لـو ذكرنـاه لطال بنـا الشرح، وخرج عن مقـدار هذا الكتـاب وحدّه والوصايا فيه والتحذير منـه، وقد جـاء عن بعض الدعـاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم قول يعبر عن جميع ذلك ويأتي على جملته، وذلك أن بعض الأولياء من خراسان سأل داعيه الاذن له في المصير إلى بعض الأئمـة صلى الله عليهم وسلم فلم يأذن له في ذلك فألح عليه فقال له : ويحـك مقامـك هاهنـا أسلم لك وأعفى . قال : وكيف ذلك ؟

قال : أنت هاهنـا على يقـين ومعرفـة بامـامك والأئمـة صلى الله عليهم وسلم لما ظهروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم إلا بمعاملة أهل الدنيا بـالدنيـا وأخشى عليـك إن أنت صرت إلى دار الامـام أن تـرى بعض ذلـك فتنكــره بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك، قال : ماكنت بالذي أنكر شيئاً من ذلك ماكان . فألح عليه في الأذن فقال : إن لم يكن في ذلك بد فآخـذ عليك العهد كما أخذته أولاً أنك إن رأيت الامام بعينيك يزنى ويشرب الخمـر ويأتى الفـواحش ـ وقد أعـاذ الله الأئمة من ذلـك ـ أنك لا تنكـر ذلك بقلبـك ولا بلسانك، ولا يخالجك الشك فيه أنـه صواب وحق، قـال : نعم فخذ عـليّ، فأخذ في ذلك عليه، قال الرجل : فوالله لولا ما كان منه إليّ في ذلـك لهلكت كما قال، ولكن إذا رأيت أمرا أنكره ذكرت ماكان منه »[٣] .

وعـلى ذلك للنسب أهميتـه الكبرى في اثبـات الامامـة وعدمهـا، وقـطع النظر عن المسببات والمتطلبات .

وزيادة على ذلك حينما يكون الامام مهدياً أيضاً أو مدعياً المهدية بالذات تـزداد أهمية هـذه المسألـة أكثر من ذلـك بكثـير، حيث أن المهـدى لا يكـون مستنده الأول القطعي، ودليله القاطع البـدهى إلا كونـه من أهل البيت كـما يسردون في ذلك أحاديث كثيرة كثيرة، وقد خصصت لها مؤلفـات ومصنفات وكتب ورسائل . وسنذكر نبذة من هذه الروايات في محلها من هذا البـاب إن شاء الله .

---

(٣) « كتاب الهمة » للقاضي النعمان ص ١٣٠ ، ١٣١ . ويـأتي تفصيل هـذه المسألـة في محله إن شاء الله .

فالأرومة هذه هى محك الصدق والكذب، وسند الاعتبار وعدمه، والفرقان بين الحق والباطل. وبين المحق والمبطل.

وبناء على ذلك نعير الاهتمام الخاص لمسألة النسب. وقبل أن نسرد الآراء المتعارضة والنصوص المتضاربة في هذا الخصوص نودّ أن نثبت أولا ما قاله أئمة الأنساب وعارفو الأحساب، وذكره حفظتها من جهابذة هذا الفن ومهرته في أولاد وأعقاب محمد بن أسماعيل بن جعفر الصادق إمام الاسماعيلية الأول المستور الذي إليه أدعى انتسابه، وبطريقه إلى الحسين وفاطمة بنت الرسول صلوات الله وسلامه عليه، المهدى عبيد الله أو عبد الله إمام الاسماعيلية الأول لدور الكشف والظهور، ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ثم من بعثه في مصر، وبذلك ينجلى كثير من الخفاء والغموض الذي أحاط بهذه المسألة ويسهل الاهتداء إلى الحقيقة والصواب لمن أراد التبصر والهداية.

فيقول النسابة الشهير على بن حزم الظاهرى - وهو معاصر للأئمة الاسماعيلية في دور ظهورهم - تحت ذكر ولد اسماعيل بن جعفر الملقب بالصادق ابن محمد الباقر:

« وولد اسماعيل بن جعفر: على، ومحمد فقط، وامامة هذا تدعى القرامطة والغلاة بعد أبيه اسماعيل، وكانت أم محمد هذا أم ولد، وأم على هذا أم ابراهيم بنت ابراهيم بن هشام ... فولد محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد: جعفر واسماعيل لأم ولد، منهم بنو الحسين البغيض بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد (الباقر) بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب »(٤).

وبمثل ذلك ذكر النسابة الشيعي المعروف جمال الدين أحمد بن عنبه الحسيني في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب) تحت عنوان:

---

(٤) « جمهرة أنساب العرب » للحافظ ابن حزم المولد ٣٨٤ المتوفي ٤٥٦ ص ٦٠ ط دار الكتب العلمية اللبنانية الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

عقب محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق : فقال :

« وأعقب محمد بن اسماعيل بن جعفر رجلين : اسماعيل الثاني، وجعفر الشاعر. أما جعفر الشاعر ابن محمد بن اسماعيل فمن ولده بنو البغيض وهو جعفر بن الحسن بن محمد (الملقب بالحبيب) بن جعفر (أي الشاعر) بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) وابنه الملقب بنعيش، وهم عدد كثير بمصر، قال الشيخ أبو الحسن العمرى : ومنهم من هو بالمغرب، وربما كانوا قد أولدوا، ومن ثم يجب أن لا يكذب من ينسب إليه، بل يطالبه بصحة دعواه، وهم ثلاثة نفر : أحمد أبو الشلعلع، وجعفر، واسماعيل بنو محمد (أي الحبيب) بن جعفر (أي الشاعر) بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق »(٥).

وبذلك قال الكاتب والمؤرخ والنسابة المصري المشهور أبو العباس أحمد بن على القلقشندي في كتابه (نهاية الارب في معرفة أنساب العرب) عند ذكر نسب المهدي الاسماعيلي أنه :

« ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه »(٦).

وبمثل ذلك ذكر أكثر أهل العلم والمعرفة بالأنساب في الكتب التى تبحث عن الأنساب والأحساب.

فهذا هو العقب الذي أعقبه اسماعيل بن جعفر الصادق ومحمد بن اسماعيل الامامان الاسماعيليان السادس والسابع، وفي ضوء ذلك نعرض مقولات الاسماعيلية وغير الاسماعيلية الذين حاولوا اثبات نسب المهدي

---

(٥) « عمده الطالب في « أنساب آل ابى طالب » لابن عنبه المتوفي سنة ٨٢٨ هـ ص ٢٣٤ ط دار الطبعة الحيدرية. نجف.

(٦) « نهاية الأرب للقلقشندي » ص ١٣٧ . ١٣٨ ط مطبعة النجا بغداد ١٩٥٨ م.

الاسماعيلي إلى محمد بن اسماعيل الامام الاسماعيلي المستور الأول، ومنه إلى الحسين بن علي رضى الله عنهم، ونحلل آراءهم، ونضعها في ميزان النقد والدراسة العقلي والنقلي. مع بيان أن الأكثرية الغالبة من أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، والشيعة، وجماعة كبيرة من المستشرقين ينكرون دعوى المهدي وجماعته بأنه من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة رضى الله عنهما، ويرون أنه دعيّ ليس له أية صلة بعلي ولا بأولاده، بل هو من أبناء عبد الله بن ميمون القداح الذي مر ذكره مفصلاً في الباب الأولى من هذا الكتاب، أو لرجل آخر كما سيأتي مفصلاً.

ونحن أولاً نذكر آراء هذا الفريق من الناس كي « تبدو » وتنجلى خفايا هذا المبحث وحقائقه، فيقول أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الكوفي المعاصر للامام الاسماعيلي الخامس في دور الكشف والظهور المتوفي سنة ٣٨٦ هـ في كتابه الذي ردّ فيه على الاسماعيلية وكشف مذاهبهم كما نقل عنه ابن النديم الوراق الشيعي المعتزلي في كتابه (الفهرست) :

« إن عبد الله بن ميمون، ويعرف ميمون بالقداح، وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الاهواز وأبوه ميمون الذي ينسب إليه الفرقة المعروفة بالميمونية التى أظهرت اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا إلى إلآهية علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان ميمون وابنه دَيْصانيين، وادعى عبد الله أنه نبي مدة طويلة، وكان يظهر الشعابيذ، ويذكر أن الأرض تطوى له فيمضي إلى أين أحب في أقرب مدة، وكان يخبر بالاحداث الكائنات في البلدان الشاسعة، وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونونه على نواميسه، ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة إلى الموضع الذي فيه بيت عبد الله فيخبر من حضر بما يكون فَيَتَمَوّه ذلك عليهم وكان انتقل فنزل عسكر مكرم فكبس بها فهرب منها فنُقِضت له داران في موضع يعرف بساباط أبي نوح فبنيت احداهما مسجداً والأخرى خراب إلى الآن، وصار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب فكبس هناك فهرب إلى سلمية بقرب حمص واشترى هناك ضياعا وبث الدعاة إلى

سواد الكوفة فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان ابن الأشمث ويلقب بقرمط لقصر كان في متنه وساقه، وكان قرمط هذا أكّارا بقاراً في القرية المعروفة بقس بهرام ورأس قرمط وكان داهيا، ونصب لدعوته عبدان صاحب الكتب المصنفة، وأكثرها منحول إليه، وفرق عبدان الدعاة في سواد الكوفة، وأقام قرمط بكلواذى ونصب له عبد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاتبه من الطالقان، وذلك في سنة احدى وستين ومائتين. ثم مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله. ثم مات محمد فاختلفت دعاتهم وأهل مجلتهم فزعم بعضهم أن أخاه أحمد بن الله خلفه، وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضاً، ويلقب بأبي الشلعلع. ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون، وكان الحسين مات في حياة أبيه، ومن قبل سعيد انتشرت الدعوة في بني العليص الكلبيين، ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون أنهم من ولد عقيل وكانوا قد احكموا النسب بالبصرة، فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض وقدم الدعاة إلى الري وطبرستان وخراسان واليمن والاحساء والقطيف وقدس. ثم خرج سعيد إلى مصر فادعى انه علوى فاطمي وتسمى بعبيد الله وعاشر هناك النوشرى ووجوه أصحاب السلطان وتَخَوّق فى الأموال وبلغ خبره المعتضد فكتب في القبض عليه فهرب إلى المغرب وقد كان دعاته هناك قد غلبت على طائفتين من البربر وكانت له أحاديث معروفة، ووطأ لنفسه ذلك البلد. ثم نظر ان ما ادعاه من نسبه لا يقبل منه، فاظهر غلاماً حدثاً وزعم أنه من ولد محمد ابن اسماعيل، وهو الحسن أبو القاسم وهو القيم بالأمر بعد عبيد الله. وفي أيامه ظهر في كثير من اتباعه الاستخفاف بالشريعة والوضع من النبوة فخرج عليه رجل يعرف بابي يزيد المحتسب واسمه مخلد بن كيداد البربرى الزناتي من بني يفرن الأباضى النكارى ويعرف بصاحب الحمار فكثر اتباعه ومعاونوه فحاربه وحصره في المهدية إلى أن مات الحسن في الحصار فقام بعده ابنه اسماعيل.

وبكنى أبا طاهر فأظهر تعظيم الشريعة وأظهر أبو يزيد مذهب الاباضية فأقفل عنه الناس فقتل وصُلب، وذلك في سنة ست وثلاثين وثلثمائة. فلما

كان في سنة أربعين ظهر في البلد قريب مما كان ظهر في أيام الحسن من الاستخفاف بالشرع فعاجل الله اسماعيل بالمنية وقام بالأمر بعده ابنه معدّ أبو تميم ثم توفى معدّ بمدينة مصر. وقام بالأمر مكانه ابنه نزار بن معد ويكنى أبا منصور »[٧].

وهناك رواية أخرى عن أخي محسن النسابة العلوى المشهور تشبه هذه الرواية تماماً، والذي عاش في نفس الزمان الذي عاش فيه ابن رزام هذا، وقد ذكره القريزي وروايته في كتابه بقوله :

« قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسن » - والجدير بالذكر أن أخا محسن هذا فاطمي من سلالة محمد بن اسماعيل الذي ينتسب إليه المهدي الاسماعيلي كما سرد نسبه المقريزي نفسه قائلاً :

« هو محمد بن على الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ويكنى بأبي الحسين، وهو كتاب مفيد - ثم ذكر روايته وهى عين رواية ابن رزام كما صرح بذلك المقريزي، وزاد عليه أنه قال :-

« ولم يدَّع سعيد - المسمى عبيد الله - نسباً إلى على ابن أبي طالب إلا من بعد هربه من سليمة، وآباؤه - مِنْ قَبْله - لم يدْعوا هذا النسب ؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه حيٌ لم يمت.

وهذا القول باطل، وباطنهم غير ظاهرهم ؛ وليس يعُرف هذا القول إلا لهم ؛ وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنما جعلوا علقهم بآل رسول الله باباً للخديعة والمكر.

---

(٧) « الفهرست » لابن النعيم ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ط دار المعرفة لبنان، وص ١٨٦ ، ١٨٧ ط المستشرق غوستاف فلوجل.

ولم يتم لسعيد أمره بالمغرب إلا أنه قال : « أنا من آل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمي من ولد اسماعيل بن جعفر فاستعبدهم بهذا القول وخفى أمر مذهبه عليهم، إلا من كشف له من خاصته ودعاته في تعطيل البارىء، والطعن على جميع الأنبياء، وإباحة أنفس أممهم وأموالهم وحريمهم، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر، ولا في مجمع بين الناس، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله بغير نسب ينتسبونه تمويهاً على العامة »(٨).

وبمثل ذلك كتب القاضي أبو بكر الباقلاني رئيس المتكلمين، والناقد البصير، والمؤرخ الكبير، والأصولى الفقيه، في كتابه (كشف الأسرار وهتك الأستار) المتوفي سنة ٤٠٣ هـ، والمعاصر للامام الاسماعيلي السادس الحاكم بأمر الله :

« القداح جد عبيد الله كان مجوسياً، ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الاسلام، أعدم الفقه والعلم ليتمكن من اغراء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه وأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض، وبنوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام، كالنصيرية والدروزية. وكان القداح كاذباً مخترقاً، وهو أصل دعاة القرامطة »(٩).

وفي أيام الحاكم بأمر الله ـ الامام الاسماعيلي السادس ـ سنة أربعمائة واثنين صدر محضر من بغداد بتوقيعات كثير من الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمحدثين بما فيهم فقهاء الشيعة والعلويين، ينكر جليّا دعوى الاسماعيلية

---

(٨) « اتعاظ الحنفاء » للمقريزى ج ١ ص ٣٤. ٣٥ بتحقيق جمال الدين الشيال ط دار الفكر العربي ١٣٦٧ هـ القاهرة.

(٩) « النجوم الزاهرة » ج ٤ ص ٧٥ لابن تغرى بردى الاتابكى ط وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرى.

بـأن المهدى وأولاده من العلويـين الفاطميـين، وقد أورد هـذا المحضر جـل المؤرخـين إن لم نقـل كلهم في كتبهم، وننقله ههنـا عن الحـافظ ابن كثـير، الامـام المحدث المؤرخ، كـما ذكره تحت حـوادث سنة اثنتين وأربعمائـة تحت عنـوان : ذكر الـطعن من أئمة بغـداد وعلمائهم وغيرهـم من البـلاد في نسب الفاطميين وأنهم أدعياء كذبة :

« وفي ربيـع الآخـر منهـا كتب هؤلاء ببغـداد محـاضر تتضمن الـطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنمـا نسبْهم إلى عبيد بن سعد الجرمى، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضـاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعاً أن الحـاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزى والدمـار، ابن معد بن اسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فأنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدى، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خـوارج، لا نسب لهم في ولد عـلى بن أبي طالب، ولا يتعلقـون بسبب وأنـه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات على بن أبي طالب توقف عن إطـلاق القول في أنهم خـوارج كذبة، وقد كان هـذا الانكار لبـاطلهم شائعـاً في الحرمـين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمـرهم على أحـد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحـاكم بمصر هو وسلفـه كفار فسـاق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللاسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقـدون، قد عـطلوا الحـدود وأبـاحـوا الفـروج، وأحلوا الخمـر وسفكـوا الـدماء، وسبُّـوا الأنبياء، ولعنـوا السلف، وادعوا الـربوبيـة، وكتب في سنة اثنتـين وأربعمائـة، وقد كتب خـطه في المحضر خلق كثير، فمن العلويـين : المـرتضى والـرضى وابن الأزرق المـوسـوى، وأبــو طـاهــر بن أبي الـطيب، ومحمد بن محمد بن عمـرو بن أبي يعلى. ومن القضـاة أبو محمـد بن الاكفانى وأبـوالقاسم الجـزرى، وأبو العبـاس بن الشيوري. ومن الفقهـاء أبو حـامد الاسفـراييني وأبو محمـد بن الكفلى، وأبـو الحسن القـدروى، وأبـو عبـد الله

الصيمرى، وأبو عبد الله البيضاوى، وأبو على بن حكمان. ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير منهم، وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة أبي الفرج ابن الجوزى - ثم علق عليه الحافظ ابن كثير فقال :

ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى على بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول ابن عمر للحسين بن على حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر : لا تذهب إليهم فاني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خيّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهلِ بيتك، فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدى الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم، رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدنسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نص عليه سادة الفقهاء. وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه « كشف الأسرار وهتك الاستار » بين فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد، ووضوح أمرهم ينبىء عن مطاوى أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، والله سبحانه أعلم »[١٠].

وقبل ذلك أيام جد الحاكم بأمر الله، المعز لدين الله - الامام الاسماعيلي الرابع - حدث حادث يشبه ذلك ويؤيد ماذهب إليه المنكرون للنسب الفاطمي للأئمة الاسماعيلية - كما ذكره ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان). وهذه هى القصة التى ذكرها ابن خلكان نقلا عن كتاب (الدول المنقطعة) تحت ترجمة ابن طباطبا :

---

(١٠) « البداية والنهاية » لابن كثير ج ١١ ص ٣٤٥، ٣٤٦، « وسير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٣٢، ١٣٣، وص ١٧٧، ١٧٨ الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة لبنان.

« ولمامات كافور وملك المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي الديار المصرية على يد القائد جوهر المتقدم ذكره في حرف الجيم، وجاء المعز بعد ذلك من افريقية وكان يطعن نسبه، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقائه، اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له من بينهم ابن طباطبا المذكور : إلى من ينتسب مولانا ؟

فقال له المعز : سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال : هل بقى من رؤسائكم أحد ؟

فقالوا : لم يبق معتبر، فسلّ نصل سيفه وقال : هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبى، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا »(١١).

وبعد القاضي أبي بكر الباقلاني يأتي أسم قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني البصرى المتوفى سنة ٤١٥ هـ، والمعاصر للحاكم وابنه الظاهر، ويصرح بأن المهدى ابن يهودي حداد وأن اسمه سعيد، كما يفصل القول في أعماله وأفعاله، ويبين أخلاقه وصفاته، فيقول :

« سعيد الذي زعم أنه ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح . . . . . أن سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين وإنما هو ابن امرأة الحسين هذا، وأبوه يهوديّ حدّاد من أهل سليمة من أرض الشام، وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده، فأحب ولدها سعيداً هذا، وإنما رغب فيها لفرط جمالها وكمالها.

وكان سعيد ابنها يشبهها في الجمال، وكان له ذكاء وفطنة، فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه وتخرجه على ما يحب ويختار، فقبل منه وأخذ عنه، فعرف حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها، وأين هم وكم هم، وكيف كان أولها وابتداؤها، وزوجة الحسين زوج أمه بنت أبي الشلعلع، وأبو

---

(١١) « وفيات الأعيان » لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين جـ ٢ ص ٢٦٩ ط مكتبة النهضة ـ القاهرة.

الشلعلع هذا من ولد عبد الله بن ميمون، وكان ذلك، فولدت لسعيد ابناً فسماه عبد الرحمن.

ثم صار سعيد إلى سجلماسه / من أرض المغرب، وتسمى بعبيد الله واكتنى بأبي محمد، وادّعى أنه من نواحي الأهواز ومن بناتها ورؤسائها وأنه هرب هو وأبوه من جور عمرو بن الليث، وأن ضياعهم بكور الاهواز كثيرة، ولهم بها وأن المواد تأتيه منها، وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في ابنه عبد الرحمن أنه يتيم في حجره، وأنه وصيّ أبيه، وأن أباه من أهل البيت، وكان يحتال على اليسع ابن المدرار أمير سجلماسة وعلى أهل بيته بالدعاوى.

فلما تمكن وأمكنته الحيلة بأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي الداعية غدر ببني المدرار، وقد كانوا أجاروه وأحسنوا إليه فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش، فقال له أبو عبد الله : قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني المدرار بكل خير وأنك ما نزلت بأكرم منهم، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلاً، حتى قتلت صبياً من صبيانهم واستبحت أموالهم ونساءهم فقال له : هو كما كتبت إليك، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة عسل إلا ومعها لعقة صبر، وأما هذا الصبيّ، فإنه جاءني برسالة من عمه، أحمد بن المدرار جافية، فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل.

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن، ثم لما تمكن وملك قال هو ابنى، وسماه محمداً، وكناه بأبي القاسم.

ولما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان وأفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رجله، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبذة، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك، وإنما أنكروا ذلك لأن أبا عبد الله هذا كان مقيماً سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى المهدي الذي هو حجة الله ويزعم أنه صاحبه، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ويأكل الخشب. ويعدهم عن المهدي بمثل ذلك، فلهذا

أنكروا وسألوا، فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه وكـان معه أتباع كثير.

ثم إن أبا عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يـونس شيخ المشـايخ، وأبي عبد الله الحسن بن أحمد بن زكريا الداعية، وأخيه أبي العباس محمـد بن أحمد بن زكريا، وأبي زاكى تمام بن معارك وكان من كبـار الشيعة، بعـد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغـرب، استصفى أهل الـثروة وأخذ أمـوالهم كلها، وأرسـل ابنه وجعله وليّ العهد بعده والخليفة، وسماه القائم، فكان ينزل في العسـاكر على بلد بلد فيستصفي أمواله، ويهدم حصـونه وقـلاعه، ويـأخذ مـا فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤسـاء والوجـوه والفقهاء وأصحـاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الاحوال والأموال، ويسلطهم على أهـل الفضل، ويضـع المكـوس والضرائب، ويتـوصـل إلى ازالـة النعم، والتضييق عـلى المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه.

وكـان يرسـل على الفقهـاء والعلماء فيذبحـون في فـرشهم. وأرسـل إلى الروم وسلطهم على المسلمين. وكان الشيعة ببغداد، مثـل بني بسطام، وبني أبي البغل، وآل الفرات، يرجفون أن المهدى قد ظهـر بالمغـرب، وهو هنـاك يحيى الموتى ويقف على المقبرة فينادي المـوتى فيقومـون من قبورهم، وكـان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفى صاحبهم بخراسان، فذكر لنصر بن أحمد مثـل ذلك، وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالريّ لأسفار بن شيرويه.

وكـثرت الروايـات عن رسول الله ﷺ وأهـل بيته في أن المهـدي يـظهـر بالمغرب ويملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها، وينفذ أمره فيهـا وأحكامـه على أهلها في سنـة ثلثمائـة للهجرة، وهـو معنى ما جـاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى أمـير المؤمنين بـأن ولده المهدي يـظهر من المغـرب ويملك الأرض في سنة ثلثـمائة للهجـرة، وأن هذا موجود في الملاحم»[١٣].

---

(١٢) «تثبيت دلائـل النبـوة» للقـاضي عبـد الجبـار الهمـذاني تحقيق د ـ عبـد الكـريم عثمان ص ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩ ط دار العربية بيروت.

وأما الامام الاصولى الماهر أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فانه يصرح بكونه من أصل مجوسى ومن أولاد القداح عبد الله بن ميمون كما ذكر بعد ذكر الباطنية ومؤسسها، وبعد ذكر ميمون القداح وجهده لترويج دين المجوسية تحت ستار التشيع وحب آل البيت :

« ثم لما تمادت الأيام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، فغيّر أسم نفسه ونسبه، وقال لأتباعه : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم ظهرت فتنته بالمغرب وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر »[١٣].

وذكر مثل ذلك في كتابه (أصول الدين)[١٤].

وهناك شخص آخر عاصر المستنصر بن الظاهر الاسماعيلي، وهو من اليمن واقصد به محمد بن مالك الحمادى اليماني الفقيه فانه أيضاً قال بمقولة هؤلاء الأعلام ولكنه أضاف إلى ما قالوه من أن المهدى وأولاده من سلالة يهودية حجتين عقليتين وشواهد خارجية تثبت ذلك، فيقول :

« وكان أول أولاد عبيد وهو المهدى ثم (محمد)، وهو القائم ثم (الظاهر) اسماعيل المنصور ثم (المعز) ثم (العزيز) ثم (الحاكم) ثم (الظاهر) ثم (معد المستنصر) هؤلاء الذين ينسبون إليه إلي عصرنا هذا فانتسبوا إلى ولد الحسين بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشرف ينكرون ذلك، فانهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبا مشهوراً، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق، وحاش

---

(١٣) « الفرق بين الفرق » ص ٢٨٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط مكتبة محمد على صبيح ـ القاهرة.
(١٤) أصول الدين ص ٣٢٩ ط باكستان.

لله ماكان لمحمد اسماعيل من ولد، ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم (كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار).

الدليل على ذلك وبطلان ماذكروه أنهم يقولون معد المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد بن ميمون ثم يقولون : ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق، فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتباب. وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولاذكرهم لأحد، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه.

والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة، وتفويضهم اليهم تدبير السياسة مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم. وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد ». (١٥).

وأما النسابة والمؤرخ والمحقق والفقيه ابن حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦ هـ. فقد بحث مسألة نسبهم في مواضع عديدة من كتابه (الفصل) وكتابه (جمهرة أنساب العرب). نحن ننقل أولا ماذكره في كتابه في الأنساب لأنه ذكر هذه القضية حيث البحث الفني المحض دون الالتفات إلى شيء آخر، فيقول بعد ذكر أولاد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق :

« ادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن البغيض هذا، وشهد له بذلك رجل من بنى البغيض، وشهد له أيضاً بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن على بن محمد الشاعر بن على بن اسماعيل بن جعفر، ومرة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر : وكل هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن اسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه

---

(١٥) « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ص ١٨، ١٩، ٢٠ بتعليقات الكوثرى ط مطبعة الأنوار ١٩٣٩ م.

الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأن هذا النسب لا يخفي عل من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل؛[(١٦)].

وأما الأسفرائيني المتوفى سنة ٤٧١ هـ، وهو أيضاً من معاصرى الاسماعيلية في دور ظهورهم، فيقول ما قاله الآخرون ولكنه يخبرنا بشيء جديد في عقب محمد بن اسماعيل بن جعفر، وهذا رأى جدير بالعناية والاهتمام، ووافقه في رأيه كثير ممن له معرفة بالأنساب، فيقول وهو يذكر تكوين الباطنية ونشأتها :

« الباطنية وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال، فان فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوماً، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهى قائمة بعد، وإنما ظهرت فتنتهم عن تدبير جماعة وهم عبد الله بن ميمون القداح وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ومحمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يدعون (الجهار بجه) الذين كانوا مع الملقب بدندان ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا في سجن العراق ووضعوا مذهب الباطنية. فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم وأول من قام بها محمد بن الحسين الملقب بدندان ابتدأ الدعوة في اكراد جبال توز حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بدين، ثم ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب إلي عقيل ابن أبي طالب فلما أجابته جماعة ادعى أنه من أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة، ثم ظهر في أتباعه رجل اسمه حمدان قرمط فدعا أهل البحرين وكان أبو سعيد الجنابي الذي تغلب على أهل البحرين من اتباعه وأجابه جماعة، ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح إلى المغرب وغير اسمه ونسبه فقال : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وأجابه جماعة من أهل المغرب، ثم خرج منهم رجل كان يدعي أبا حاتم إلى

(١٦) « جمهرة أنساب العرب » ص ٦٠، ٦١.

أرض الديلم فاجابته منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن على المروزى في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروروذ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفى المعروف بالبزدوى. وأبو يعقوب السجزى أقام دعوته بناحية سجستان. وهذا البرذوى صنف لم كتباً سمى واحداً منها كتاب « المحصول » وآخر كتاب « أساس الدعوة » وآخر كتاب « كشف الأسرار » وآخر كتاب « تأويل الشريعة » وذكر أهل التاريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في أيام المأمون وانتشرت في أيام المعتصم، ودخل في دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين وكان بسببه يداهن بابك الخرمى حتى هزم عدداً من عساكر المسلمين حتى أجتمع أبو دلف العجلى وقواد عبد الله بن ظاهر وهزموا بابك الخرمى وأسروه، وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين، فوضعوا قواعد على موافقة أساس وضعوه حتى تغتر به الأغمار[17].

هذه هى آراء المعاصرين للمهدى الاسماعيلي وأولاده، الذين أنكروا نسبهم إلى محمد بن اسماعيل ومنه إلى على وفاطمة رضى الله عنهما، وبمقولاتهم قال وتمسك أكثر المؤرخين من السنة وغيرهم مثل ابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ في كتابه (وفيات الأعيان)[18]، وابن واصل المتوفي ٦٩٧ هـ. والذهبي المتوفي سنة ٤٧٨ هـ في كتابه (سير أعلام النبلاء)[19] وابن كثير في كتابه البداية والنهاية[20] وابن تغرى بردى المتوفي ٨٧٤ هـ في

---

(١٧) « التبصير في الدين » لأبى المظفر الاسفرائني بتعلقات الكوثرى ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥ ط مطبعة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥ م.

(١٨) انظر ٢١ ص ٣٠٢.

(١٩) انظر جـ ١٥، ١٤١ ط مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢٠) انظر ج ١١ ص ٣٤٥.

كتـابه (النجـوم الزاهـرة)[٢١] والنـويـرى في كتـابـه (نهايـة الأرب)[٢٢]. والقلقشندي في كتابه نهاية الأرب[٢٣] وابن الجوزى في كتابـه (القرامـطة). والسخاوى في كتابـه (الضوء الـلامع)، وابن حجـر في كتابـه (رفع الاصر عن قضـاة مصر) والأمير عـز الـدين بن بـاديس صـاحب تـاريـخ افـريقيـا والمغرب، وابن عذارى المراكشى في كتابه (البيان في أخبار المغرب).

ورأى هذا الرأى جماعة من المستشرقين أي أن المهدى الاسماعيلي لم يكن لـه أية صلة قـريبة ولا بعيـدة من النسب الفـاطمي، منهم دى غـويـه (DE GOEJE) في كـتـابـه MEMOIRES SUR LES CARMATHS DU BAHRAIM,[٢٤] ونبكلسـون (NICHOLSON) في كتابـه Religion et Philosophie dans j' Asie[٢٥] ودوزى (DOZY) في كتـابه HISTIRE DES MUSLMANS D' ESPAGNE[٢٦] وبراؤن (BROWNE) في كتابـه Literary History og Persia وغيرهـم الكثيرون الكثيرون.

وبعد سرد هذه الروايات كلها يتطلب منـا المقام أن نـذكر الفئـة القليلة من أهل السنة، الذين ذهبوا إلى إثبـات نسب المهدي وأولاده إلى بنى فـاطمة بنت محمـد صلى الله عليـه وسلم، وخلال ذلـك نذكـر اعتراضـات المؤيدين لنسب الفاطميين للأئمة الاسماعيلية على الروايات التي أثبتناها من قبل نقـلاً عن المنكرين للنسب واعتراضات المعترضين عليها، كما سنحاول تبين حقيقة هـذه الايرادات والاعـتراضات، وحقيقـة النقـد الـذي وجهـوه إلى منكـرى النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيل.

---

(٢١) انظرج ٤ ص ٧٥.

(٢٢) جـ ٣٥ ص ١٣٠، ١٣١.

(٢٣) في مواضع متفرقة.

(٢٤) ص ١.

(٢٥) انظر ص ٢٧٥.

(٢٦) انظرج ١ ص ٨.

(٢٧) انظرج ١ ص ١٣٠.

مؤيدو النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيلي من السنة

فأول من أيد نسب المهدي الاسماعيلي وأولاده إلى محمد بن اسماعيل هو المؤرخ البحاثة الفلسفي الكبير ابن خلدون المغربي المتوفي سنة ٨٠٨ هـ، والثاني تقى الدين أحمد بن على المقريزي وإليه مال قبل ذلك ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ، ولكن لم يتحمس للدفاع عن نسب المهدي أحد مثل تحمس المقريزي فانه أورد روايات كثيرة عن الذين أنكروا صحة نسبة المهدي إلى محمد بن اسماعيل، وفنّدها حسب زعمه، وردّها واخدة تلو الأخرى، كما أنه اعتمد كثيراً في تصديقه نسب المهدي وتوثيقه على كلام استاذه ابن خلدون، فعلى ذلك نذكر أولا ما أورده المؤرخ الفلسفي ابن خلدون في هذا الموضوع، فيقول :

« ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم إلي إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ونفننا في الشمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فإنهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولةٍ الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما

دعا بكتامة للرضى من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشياً على أنفسهما فهرباً من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وأنهما خرجا من الاسكندرية في زي التجار ونمى خبرهما إلى عيسى النوشرى عامل مصر والاسكندرية فسرح في طلبهما الخيالة حتى إذا أدركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى فأفتلوا إلى المغرب وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء أفريقيا بالقيروان وبنى مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق عليهما وإذكاء العيون في طلبهما فعثر اليشع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وأفريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الإسلام شق الأبلمة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم وخطب لهم على منابرها حولاً كاملاً ومازال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى في النسب يكذب في انتحال الأمر وأعتبر حال القرمطي إذ كان دعياً في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سريعاً خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين بذلك لعرف ولو بعد مهلة .

ومهما يكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام إبراهيم (عليه السلام) ومصلاه وموطن الرسول ﷺ ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى

تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجيب من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين كيف يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس إثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح (عليه السلام) في شأن ابنه إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال ﷺ لفاطمة يعظها يا فاطمة آعملي فلن أغنى عنك من الله شيئاً ومتى عرف امرؤ قضية أو استيقن أمراً وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل.

فلو تسأل الأيام ما سمِىَ ما درت وأين مكاني ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمي محمد بن إسماعيل الإمام جد عبيدالله المهدي بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من إخفائه حذراً من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة ابن العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل للمستضفين من خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتامين شيعة العبيديين وأهل دعوتهم حتى لقد أسْجَل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضي وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفراييني والقدوري والصيمري وابن الأكفاني والأبيوردي وأبو عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الأمة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر

وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هـذا النسب فنقله الأخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه[٢٨].

هذا ولقد ذكر ابن خلدون المهدي الاسماعيلي، ونسبه في تاريخـه المسمى بكتاب (العبر) تحت عنوان: الاسماعيلية: فقال:

«(واما الاسماعيلية) فزعموا ان الامام بعد جعفر الصادق ابنه اسماعيل وتـوفى قبل أبيه وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد له عامل المدينة بأنه مات وفـائدة النص عندهم على اسماعيل وان كان مات قبل أبيه بقاء الامامـة في ولده كـما نص مـوسى على هـارون صلوات الله عليهما ومـات قبله، والنص عندهم لا مرجع وراءه لأن البداء على الله محال، ويقولون في ابنه محمد انه السابع التام من الأئمـة الظاهـرين وهو أول الأئمـة المستورين عنـدهم الـذين يستـترون ويظهرون الدعاة وعددهم ثلاثة ولن تخلو الارض منهم عن امام: إما ظاهـر بذاته أو مستور فلابد من ظهور حجته ودعاته، والأئمة يدور عددهـا عندهـا إلى سبعة عـدد الاسبوع والسمـوات والكواكب والنقبـاء تدور عنـدهم على اثنى عشر وهم يغلطون الأئمة حيث جعلوا عدد النقبـاء للأئمـة واوّل الأئمة المستورين عندهم محمد بن اسماعيل وهو محمد المكتوم ثم ابنه جعفر المصدق ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبدالله المهدي صاحب الدولة بافريقية والمغرب التي قام بها أبو عبدالله الشيعي بكتامة وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامـطة واستقرّت لهم دولة بالبحرين في أبي سعيـد الجنابي وبنيـه أبي القاسم الحسـين ابن فـروخ بن حوشب الكـوفي داعى اليمن لمحمـد الحبيب ثم ابنـه عبـد الله ويسمى المنصور وكان من الاثنى عشرية أولا فلما أبطل ما في أيديهم رجع إلى رأي الاسماعيلية وبعث محمد الحبيب أبو عبدالله إلى اليمن داعية لـه فلما بلغه عن محمـد بن يعفر ملك صنعـاء أنه أظهـر التوبـه والنسك وتخـلى عن الملك فقدم اليمن ووجد بها شيعة يعرفون ببني موسى في عدن لاعـة وكان عـلى بن الفضل من أهل اليمن ومن كبار الشيعة وطاهر بن حـوشب على أمـره وكتب له الامام محمد بالعهد لعبدالله ابنه وأذن له في الحرب فقال بـدعوتـه وبثها في

(٢٨) « مقدمة ابن خلدون ص ٢١، ٢٢، ٢٣ »

اليمن وجيش الجيوش وفتح المدائن وملك صنعاء وأخرج منها بني يبعن وفرق الدعاة في اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب وكان يظهر الدعوة للرضا من آل محمد ويبطن محمداً الحبيب تسترا إلى ان استولى على اليمن وكان من دعاته أبو عبدالله الشيعي صاحب كتامة ومن عنده سار إلى افريقية فوجد في كتامة من الباطنية خلقا كثيرا وكان هذا المذهب هنالك من لدن الدعاة الذين بعثهم جعفر الصادق إلى المغرب أقاموا بافريقية وبثوا فيها الدعوة وتناقله من البرابرة أمم وكان أكثرهم من كتامة فلما جاء أبو عبدالله الشيعي داعية المهدي ووجد هذا المذهب في كتامة فقام على تعليمه وبثه واحيائه حتى تم الامر وبويع لعبدالله كما نذكر الان في أخبارهم.

وأولهم عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم وشهد فيه أعلام الأئمة وقد مر ذكرهم فان كتاب المعتضد إلى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي مسجل بذلك والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع وهي ما علمت وقد كان نسبهم ببغداد منكرا عند أعدائهم شيعة بنى العباس منذ مائة سنة فتلوّن الناس بمذهب أهل الدولة وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي مع أن طبيعة الوجود في الانقياد اليهم وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدل شيء على صحة نسبهم وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية لميمون القدح وغيره فكفا ذلك اثما وسفسفة وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وافريقية»[٢٩].

هذا ما كتبه ابن خلدون ويشتمل بحثه على بعض الايرادات على من أنكر نسب المهدي إلى بني فاطمة وعلى بعض الاستدلالات على صحة

---

(٢٩) «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» المشهور «بتاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٠، ٣١.

نسبه، كما يشتمل البحث على ذكر نسب المهدي إلى محمد بن اسماعيل وقبل أن نلقى نظرة على ما قاله ابن خلدون وعلى تدليلاته نريد أن نسرد كلام المقريزي أيضاً حول هذا حيث أنه هو الآخر الذي تحمس للدفاع عن نسب المهدي الاسماعيلي وساق الأدلة على بطلان من يقول بعكس ذلك فانه كتب في اتعاظه بعد ذكر كلام ابن خلدون:

«وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل، مع ظهور التلفيق في الأخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه: فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سبباً لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه. قال تعالي - عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين**﴾. وقال تعالى - في الدلالة على صدقه - : ﴿**أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، أفهم الغالبون**﴾. وقد علم أن الكذب على الله تعالى، والافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة، والإمامة لهم شرعاً، بكونه من ذرية رسول الله - ﷺ و[على] آل بيته -، من أعظم الجنايات، وأكثر الكبائر، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاطى ذلك واجترأ عليه، ثم يمده في ظهوره بمعونته، ويؤيده بنصره، حتى يملك أكثر مدائن الإسلام، ويورثها بنيه من بعده، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه ويفتن بمخرقته على العباد، ويحدث بباطله الفتن العظيمة والحروب المبيدة في البلاد، ثم يخليه - تعالى - وما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين، ويحل به ما من عادته تعالى أن يحل بالمفسدين، فيدمره وقومه أجمعين.

كما لا يليق بحكمته تعالى أن يخذل من دعا إلى دينه وحمل الكافة على عبادته، ولا يؤيده على إعلاء كلمته، بل يسلمه في أيدى أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم حتى يزيدهم ذلك كفراً إلى كفرهم، وضلالاً إلى ضلالهم، فإن فعله هذا بالصادق في دعائه إليه تعالي كتأييده الكاذب فيها سواء؛ بل الحكمة الإلهية، والعادة الربانية وسنة الله التي قد خلت في عباده،

اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التنمس بالباطل، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب، ويخليها بالزور في ادعائه نسباً إلى رسول الله - ﷺ - غير صحيح، وصرفه الناس عن طاعة بني العباس - الثابتة أنسابهم، المرضية سيرتهم، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم - أن يحول بينه وبين همه بذلك، ويسلبه الأسباب التي يتمكن بها من الاحتراز، ويعرضه لما يوقعه في المهالك، ويسلك به سبيل أهل البغي والفساد. خراسان، ونصرهم على عدوهم أي نصر تبين أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - ﷺ - صحيحة؛ وهذا دليل يجب التسليم له، «والله يقول الحق وهو يهدى السبيل».

وقد روى موسى بن عقبة أن هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن رسول الله - ﷺ - كان مما قاله: «أتراه كاذبا أو صادقاً؟» قال أبو سفيان: «بل هو كاذب»، قال هرقل: «لا تقولوا ذلك، فإن الكذب لا يظهر به أحد».

وقد نقل عن أئمة آل البيت عليهم السلام الإشارة إلى أمر عبيدالله المهدي، فمن ذلك أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن: ظهور القائم: متى يكون؟ فقال: «أن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الإرض، رأسه بالمغرب، وأسفله بالمشرق». وكذلك كان بداية أمر المهدى عبيدالله، فإنه ابتدأ في المغرب، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق. فإنه ظهر بسجلماسة - ذو الحجة ٢٩٠ - وهي أقصى مسكون المغرب، ودعى للمستنصر - ببغداد - في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

وكان علي بن محمد بن على بن موسى الكاظم يقول: «في سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة، ويزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين». يشير بذلك [إلى] أن البداية من تاريخ وقته، فيكون المراد سنة ٢٩٦ وفى ذي الحجة منها كان ظهور الإمام المهدي بالله - رحمة الله عليه»(٣٠).

---

(٣٠) اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج ١ ص ٧٠ إلى ٧٣.

وقبل ذلك ذكر أولاد اسماعيل بن جعفر وعقبه لبيان نسب المهدي الاسماعيلي وأسماء آبائه إلى محمد بن اسماعيل، فقال بعد ذكر أولاد علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق:

«فولد جعفر بن محمد الصادق اسماعيل... وحيث انتهينا إلى ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه الغرض، وإليه ينتسب الخلفاء الفاطميون بناة القاهرة، فنقول:

إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات في حياة أبيه جعفر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة، وخلف من الأولاد: محمداً، وعلياً، وفاطمة.

فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى؛ وكان له من الولد: جعفر، وإسماعيل فقط ـ أمهما أم ولد ـ:

فولد جعفر بن محمد بن إسماعيل محمداً، وأحمد؛ أما أحمد فلا عقب له.

وأما محمد فولد جعفراً، وإسماعيل، والحسن.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: «وولدُ إسماعيل ابن جعفر عليٌّ، ومحمدٌ فقط؛ وإمامةَ محمدٍ هذا تدّعي القرامطة والغلاة بعد أبيه إسماعيل. فولدُ محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد جعفرٌ وإسماعيل، منهم بنو جعفر البغيض بن الحسن بن محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن ابن محمد.

هذا، وشهد له بذلك رجل من بني البغيض، وشهد له أيضاً بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن علي بن محمد الشاعر بن علي بن إسماعيل بن جعفر، ومرةً ادعى أنه ولدُ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ وكل هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولدٌ اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل».

قلتُ: ما ذكره أبو محمد [بن حزم] من انتسابهم إلى الحسين ابن محمد بن إسماعيل قولٌ افتعله معاديهم، فقد كان أبو محمد بقرطبة، وملوكها بنو أميّة، وهم أعدى أعادي القوم، فنقل ما أشاعه هناك ملوك بلده حتى اشتهر، كما هي عادة الأعداء.

والذي يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وأن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر [هو] ابنه محمد، ويلقبونه «بالمكتوم»، وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل، ويلقبون جعفراً هذا «بالمصدق»، وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق.

قالوا: فولد محمدُ الحبيب عبيدَ الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل، وعبيدُ الله هذا هو القائم بالغرب، الملقب بالمهدي، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالغرب وبمصر. هذا هو الثابت عندهم في درج نسبهم ثم ذكر أقوال النسابين في ذلك فقال:

وقال الشريف محمد بن أسعد بن علي الحسيني الجواني النقيب: «وأما إسماعيل بن جعفر ـ يعني الصادق ـ فَعَقِبُه من ابنيْه: محمد وعلي؛ فأما علي فمن ولده أبو الجن بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر، وهم بدمشق، ويقال لهم: «بنو أبي الجن» ـ بجيم ونون ـ وأما محمد ابن إسماعيل فيُنسب إليه الذين تغلبوا على أفريقية الغرب، ثم تغلبوا على مصر والشام.

ففي النسّابين من أثبتهم، وفيهم من نفاهم، وفيهم من أمسك؛ سألت الشريف النسابة جمال الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم الإدريسي الحسني بمدينة القاهرة عن هؤلاء، فقال: «المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة [هم] شيخ الشرف العبيدلي، وابن ملقطة العمري، وأبو عبد الله البخاري؛ والنافون لأنسابهم [هم] الشريف ابن العابد، وابن

وكيع ـ من أصحاب سحنون ـ وابن حزم الأندلسي ـ صاحب كتاب الجماهير في أنساب المشاهير ـ ؛ والمتوقفون في أنسابهم [هم] محمدُ المبرقع، وأخوه الحسن الزيديان في جماعة كثيرة من النسابين كابن خداع، وشبل بن تكين، وغيرهم[٣١].

ومثل هذا ذكر في كتابه (الخطط والآثار).

فهذا كل ما في جعبته مع تحمسه الشديد للأئمة الاسماعيلية واندفاعه إليهم، والجدير بالذكر أن المقريزى وحيد من بين المصريين تقريباً، الذي أيد النسب الفاطمي للمهدي الاسماعيلي وإلا فإن المؤرخين المصريين عامة، المتقدمين منهم والمتأخرين إما أنكروا صحة نسب المهدي أو تجنبوا ذكره، وأطرف من ذلك أن من بين المتأخرين ممن اعتنوا بالعصر الاسماعيلي المصري من علماء مصر وأعلامها انتهجوا نفس ذلك المنهج، وحتى أن الدكتور حسن إبراهيم حسن الذي ألف عديداً من الكتب عن ذلك العصر، وبعضاً منها مع زميله طه أحمد شرف أثبت صحة نسبة المهدي إلى إسماعيل بن جعفر في كتاب له (الفاطميون في مصر) وأيد من ذهب إلى ذلك[٣٢].

ولكنه هو نفسه أنكر نسبه إلى علي وفاطمة في كتابه الذي كتبه خصيصاً لبيان سيرة المهدي، أعماله وأفعاله، مع زميله طه أحمد شرف بإسم (عبيد الله المهدي)، ونسبه إلى عبد الله بن ميمون القداح مع ذكر طريقة أخرى وهي: أن المهدي الاسماعيلي هو من أبناء عبد الله بن ميمون القداح ولكن القائم هو من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق، (وسوف نتكلم عنها فيما بعد عند محلها من هذا الباب إن شاء الله)[٣٣].

---

(٣١) «اتعاظ الحنفاء» ج ١ ص ١٥ إلى ١٩.

(٣٢) أنظر لذلك «الفاطميون في مصر» ص ٦٣ وما بعد.

(٣٣) أنظر كتاب «عبيد الله المهدي» إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب تأليف حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ص ١٦٩ ط مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

هـذا ولقـد سبق المقـريـزي وابن خلدون في هـذا القـول ابن الأثـير، وإكمالاً للبحث لا يسعنا إلا أن نذكر ما قاله هو في كـامله تحت عنوان (ذكـر إبتداء الدولة العلوية بإفريقية):

«هذه دولة اتسعت أكنـاف مملكتها وطـالت مدتهـا فإنها ملكت أفـريقية هـذه السنة وانقـرضت دولتهم بمصر سنة سبـع وستين وخمسـمائة فنحتـاج أن نستقصي ذكـرها فنقـول: أول من ولى منهم أبو محمـد عبيد الله، فقيـل: هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب رضي الله عنهم، ومن ينسب هـذا النسب يجعله عبـد الله بن ميمون القـداح الذي ينسب إليـه القداحيـة، وقيل: هـو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد اختلف العلماء في صحة نسبه فقال هو وأصحـابه القـائلون بإمـامته: إن نسبـه صحيح عـلى ما ذكـرناه ولم يـرتابـوا فيه، وذهب كثـير من العلويين العـالمين بـالانسـاب إلى موافقتهم أيضاً، ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي:

مـا مـقـامـي عـلى الهـوان وعـنـدي	مـقـول صـارم وانـف حمـى
ألـبس الـذل في بـلاد الأعـادي	وبمصر الخـليـفـة الـعـلوي
مـن أبـوه أبي ومـولاه مـولا	ي إذا ضـامـني الـبـعـيـد الـقصي
لـف عـرقـي بـعـرقـه سـيـد الـنـ	اس جمـيـعـاً محـمـد وعـلي
إن ذلي بـذلـك الجـد عـز	وأوامـي بـذلـك الـربـع ري

وإنمـا لم يودعهـا في بعض ديوانـه خوفـاً، ولا حجة بمـا كتبـه في المحضر المتضمن القدح في أنسابهم فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا، عـلى أنه قـد ورد ما يصدق مـا ذكرتـه، وهو أن القـادر بالله لما بلغته هـذه الأبيات أحضر القـاضي أبا بكـر بن الباقـلاني فأرسله إلى الشريف أبي أحمـد الموسـوي والـد الشريف الـرضي يقول لـه: قد عـرفت منـزلتـك منـا ومـالا نـزال عليـه من الاعتـداد بك بصـدق الموالاة منـك ومـا تقـدم لـك في الـدولـة من مـواقف

محمـودة، ولا يجوز أن تكـون أنت على خليفـة ترضـاه ويكون ولـدك على مـا يضادها، وقد بلغنا أنه قال شعراً وهو كذا وكذا فيا ليت شعري على أي مقام ذل أقام؛ وهو ناظر في النقابة والحـج وهما من أشرف الأعـمال ولو كـان بمصر لكـان كبعض الرعـايا، وأطـال القول فحلف أبـو أحمد أنـه ما علم بـذلـك وأحضر ولـده وقال لـه في المعنى فأنكـر الشعـر فقـال لـه: أكتب خـطك إلى الخليفـة بالاعتـذار واذكر فيـه أن نسب المصري مدخـول وأنه مـدع في نسبه فقال: لا أفعل فقال أبوه: تكذبني في قولي؟ فقال: ما أكذبك ولكني أخـاف من الديلم وأخاف من المصري من الـدعاة في البـلاد فقال أبـوه: أتخاف ممن هو بعيد عنك وتراقبـه وتسخط من هو قـريب وأنت بمرأى منـه ومسمع وهـو قادر عليك وعلى أهل بيتك، وتردّد القول بينهما ولم يكتب الرضي خطه فجرد عليـه أبوه وغضب وحلف أنـه لا يقيم معه في بلد، فـآل الأمـر إلى أن حلف الرضي أنه ما قال هذا الشعر واندرجت القصة عـلى هذا ففي امتنـاع الرضي من الاعتذار ومن أن يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف دليل قوي عـلى صحة نسبهم، وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبه فلم يرتابوا في صحته، وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح، وعدا طـائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً(٣٤).

هـذا وخلاصـة مـا ذكـره هؤلاء الثـلاثـة، ابن الأثـير والمقـريـزي وابن خلدون:

أولاً: نسب المهـدي الاسـاعيـلي عبـد الله أو عبيـد الله صحيـح إلى اسماعيل، ومنه إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما.

ثانياً: هـذه هي الأسماء التي تـربطه مـع اسماعيـل بن جعفر الصـادق، محمـد الحبيب والد عبيـد الله المهدي، جعفـر المصدق والـد محمـد الحبيب،

(٣٤) «الكـامل» لابن الأثـير ج ٦ ص ١٢٤، ١٢٥ ط دار الكتـاب العـربي بـيروت ـ لبنـان الطبعة الثانية ١٩٦٧م تحت ذكر حوادث سنة ٢٩٦هـ.

محمد المكتوم والد جعفر المصدق، ثم اسماعيل بن جعفر الصادق كما قال ابن خلدون:

أول الأئمة المستورين عندهم محمد بن اسماعيل وهو محمد المكتوم، ثم ابنه جعفر المصدق، ثم ابنه محمد الحبيب، ثم ابنه عبد الله المهدي صاحب الدولة بأفريقية والمغرب[٣٥].

وهو عين ما ذكره المقريزي بقوله:

«والذي يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه أن الإمام من ولد جعفر هو - الخ - وذكر نفس الأسماء التي ذكرها ابن خلدون»[٣٦].

ثالثاً: الرد على من أنكر صحة نسبه بدليل أن المهدي لو لم يكن صادقاً في دعوى انتسابه إلى رسول الله لم يمكن له في الأرض، ولم نقم له دولة، ولم يؤيد بنصر الله وتأييده على أعدائه ومناوئيه.

رابعاً: تصحيح نسبه من النبوءات التي سبقت ظهوره وتحققت فيه.

خامساً: إن الطاعنين في النسب لم يؤسسوا دعواهم إلا على السماع، وخاصة بعد ما اشتهر بين الناس المحضر الذي كتب ببغداد بطلب من الخليفة العباسي، فإن الناس تأثروا بذلك المحضر وتناقلوا روايته فيما بينهم بدون البحث والتحقيق.

سادساً: إن الطاعنين في النسب سردوا أسماء في ذكر آباء المهدي لم يذكرها هو نفسه وأهله وذووه.

سابعاً: أمر المعتضد أمراء أفريقية بأسر المهدي أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبه.

ثامناً: ميول بعض الأمراء إلى المهدي مثل نصر بن أحمد الساماني أمير

(٣٥) «تاريخ ابن خلدون» ج ٤ ص ٣٠.
(٣٦) أنظر «اتعاظ الحنفاء» ص ١٧، ١٨.

خراسان، ومرداويج بن ذيار الديلمي، ويوسف بن أبي ساج أمير الري يدل أيضاً على صحة نسبه ـ كما ذكر ذلك الدكتور حسن ابراهيم(٣٧).

تاسعاً: لو كان المهدي دعياً كاذباً في نسبته إلى اسماعيل بن جعفر الصادق لردّ عليه الناس في حينه، وفضحوه في دعواه، وعرف كذبه ولو بعد حين.

عاشراً: إن شعر الشريف الرضي في ذكره وذكر ولاة مصر واتفاقه معهم في النسب العلوي أيضاً دلالة قوية على صحة نسب أبيهم المهدي.

فهذا هو ملخص ما قاله ابن خلدون والمقريزي دفاعاً عن صحة النسب، وردّوا به على منكريه، فنحن نذكر هذه النقاط واحدة بعد الأخرى. فنقول:

أولاً: إن ابن خلدون والمقريزي لم يصححا نسب المهدي إلى بني فاطمة، ولم يثبتاه إلا لأن ابن خلدون أراد من وراء ذلك الطعن والتشنيع في آل علي وأولاده كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ونقل عنه الحافظ السخاوي:

كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر، وشهروا بالفاطميين إلى علي رضي الله عنه ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي.

قال شيخنا: ابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي رضي الله عنه يثبت نسبة الفاطميين إليهم، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الألوهية كالحاكم، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة، وكان يصرح بسب

(٣٧) عبيد الله المهدي نقلاً عن «المقفى الكبير» للمقريزي ص ١٤٥ ط مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

الصحابة في جوامعهم ومجامعهم، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي على حقيقة، التصق بآل علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة منهم[٣٨].

وأما المقريزي فلقد أيّد نسب المهدي وصححه لأنه كان ينتمي إليهم كما صرح بذلك الإمام السخاوى[٣٩].

وأما ابن الأثير فلم يبن حكمه إلا على قصيدة منسوبة إلى الشريف الرضي ونحن سنبين حقيقة نسبتها إليه ورأينا فيها.

ثانياً: الأسماء التي أوردها كل من ابن خلدون والمقريزي في ذكر سلسلة نسب المهدي تختلف تماماً عن الأسماء التي يذكرها ابن الأثير كما ذكرناه من قبل.
فهم إذاً فيما بينهم مختلفون.

ب ـ إن هؤلاء الثلاثة الذين دافعوا عن نسب المهدي الاسماعيلي وحكموا بصحة نسبه سردوا أسماء في ذكر آباء المهدي لم يذكرها الاسماعيلية أنفسهم، فهم يذكرون أسماء بينه وبين محمد بن اسماعيل بن جعفر الملقب عندهم بالإمام المستور الأول، والمعروف بمحمد المكتوم تخالف تماماً الأسماء التي أوردها هؤلاء كما أنهم يخالفونهم في ذكر عدد الأجيال بينهما (مع اختلافهم فيما بينهم كما سنذكره فيما بعد)، فإن عامة الاسماعيلية يذكرون الأسماء كما يلي:

عبد الله المهدي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر كما وردت في (استتار الإمام)[٤٠] وفي (عيون الأخبار)[٤١] وغيرها من الكتب.

---

(٣٨) «الاعلان بالتوبيخ» للسخاوى المتوفي ٩٠٣هـ تحقيق فرانزدوزنشال ط مطبعة العاني.
(٣٩) أنظر «الضوء اللامع» ج ٤ ص ١٤٧، ١٤٨.
(٤٠) أنظر ص ٩٥ نشر ايوانوف.
(٤١) أنظر ص ٨٩ ط دار الأندلس بيروت.

وهذه غير ما ذكره ابن الأثير وابن خلدون والمقريزي الذي يدعي بأنه يذكر الأسماء كما يذكرها أهل البيت.

ولا أدري من هم أهل البيت عنده، كما أن هناك فرقاً بين عدد الأجيال لأن الثلاثة المذكورين من أهل السنة يذكرون جيلين اثنين بين المهدي الاسماعيلي وبين محمد المكتوم حيث أن عامة الاسماعيليين يذكرون أجيالاً ثلاثة ما بينهما.

ج : إن المهدي لم يذكر أبداً في حياته، ولا واحد من أولاده بعده سلسلة نسبهم وأسماء تربط بينهم وبين محمد المكتوم، ولم يرد ذكرهم في كتاب ما، اسماعيلي وغير اسماعيلي ولا واحد من الاسماعيلية القدامى الذين عاصروا المهدي وعايشوه اطلاقاً.

ثالثاً: إن تدليل ابن خلدون والمقريزي على صحة نسبهم بقيام دولتهم وتمكنهم في الأرض وتغلبهم على المخالفين تدليل واه وسقيم وهو افلاس وفقر وتعر عن الدليل للأسباب التالية:

أ ـ : لأن التمكن في الأرض والتغلب على الأعداء قد يحصل لصادق وقد يحصل لكاذب، وقد يحصل لظالم ولا يحصل لغيره، وقد أقر بذلك أول قاض اسماعيلي عاصر المهدي وثلاثة من أولاده القائم والمنصور والمعز، نعمان بن محمد المغربي المتوفى سنة ٣٦٣هـ حيث ذكر في كتابه (المجالس والمسايرات) ناقلاً عن المعز لدين الله الإمام الاسماعيلي المشهور أنه قال:

«إن غلبة السيوف ينالها المحق والمبطل ولكن غلبة الحجة لا تكون إلا لأهله»[٤٢].

وإلا ليحكم على كثير من أنبياء الله الصادقين أنهم لم يكونوا على حق ـ عياذاً بالله ـ حيث لم تقم لهم دولة ولم يتمكنوا في الأرض ولم يتغلبوا على

(٤٢) «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن محمد المغربي ص ١٣٩ ط المطبعة الرسمية ـ تونس.

الأعداء، بل إن كثيراً منهم قهروا وطردوا من أراضيهم وفريقاً منهم قتلوا بصريح القرآن «ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون»[٤٣].

وعكس ذلك أن التتار وغيرهم من الوحوش الذين أفنوا العباد، ودمروا البلاد، وسعوا في الأرض فساداً، كانوا على حق لتمكنهم في الأرض وغلبتهم على الأعداء؟

ما أتفه هذا القول، وما أفسد هذا الرأي.

ب - : لو كان تمكنهم في الأرض وتغلبهم على البلاد والعباد دليلاً على صحة نسبهم لكان زوال دولتهم وهزيمة عساكرهم وإزالة ملكهم بيد صلاح الدين وعمه شيركوه، وهزائمهم النكراء المتتالية من أعدائهم. وتذلل بعضهم أمام وزرائهم دليلاً على كذب دعواهم وبطلان نسبهم.

ج - : إن المقريزي الذي بلغ الذروة في تحمسه بتدليله هذا، لا يُعرف لماذا لم يصرح بعد ذلك بصدق مقولتهم ومذهبهم أيضاً حيث الدليل هو الدليل؟

ولو جعل هذا الدليل معياراً للصحة والصدق لانقلبت الموازين وانعكست المفاهيم.

رابعاً: إن النبوءات التي ذكرها المقريزي وأشار إليها ابن خلدون وجعلاها دليلاً آخر على صحة نسب المهدي لأوهى من بيت العنكبوت.

فمتى كانت النبوءات ومن رجال غير معصومين لا ينطقون بالوحي دليلاً على صحة الدعاوى وصدقها؟

وأغرب من ذلك أن تكون النبوءة صادرة من رجل منافس لإمام الاسماعيلية السادس اسماعيل بن جعفر ومغتصب حقه وحق ابنه محمد المكتوم، والذي قالت الاسماعيلية فيه:

---

(٤٣) سورة البقرة الآية ٨٧.

«ادعى موسى الإمامة لنفسه، وقد قيل فيه كما قيل في زيد بن علي بن الحسين... من ادعى الإمامة وليس من أهلها فقد ظلم نفسه وتعدى طوره، وتعاطى ما ليس بأهله، فهو كإبن آدم الذي قتل أخاه، وكإبن نوح الذي أبعده الله منه ونفاه، وإن كان ينسب إلى ذرية النبوة وعقب الإمامة»(٤٤).

ألا يعذر من يرمي المقريزي بسوء المعتقد بعد استدلاله هذا من نبوءة موسى بن جعفر على صحة دعوى المهدية من قبل عبد الله الاسماعيلي.

خامساً: إن الطاعنين في النسب لم يؤسسوا دعواهم على السماع مما اشتهر بين الناس لأجل المحضر الذي كتب ببغداد:

أ ـ : لأن كثيراً منهم حكموا ببطلان نسبة المهدي إلى اسماعيل بن جعفر ومنه إلى علي وفاطمة قبل أن يصدر هذا المحضر ببغداد. منهم ابن رزام وهو مات قبل صدوره بست عشرة سنة، وكذلك أخو محسن العلوي، وكذلك القاضي أبو بكر الباقلاني وغيرهم الكثيرون.

ب ـ : وإن الطاعنين في النسب قد بنوا حكمهم على المحكمات واليقينيات، وعلى قواعد معروفة ثابتة في الأنساب، وأصول مشهورة بينة في الأنساب.

ثم لا يعرف نسب أحد إلا بعد ما يذكر اسم أبيه وجده إلى آخره ولكن المهدي الاسماعيلي لم يجرؤ أبداً أن يذكر أسماءهم، ولا أحد من أتباعه في عصره، بل يثبت عكس ذلك أنه نسب نفسه إلى قبائل عديدة في مختلف الأوقات والظروف، وقد بدر منه أشياء كثيرة جعلت أقرب المقربين إليه يشك في كنهه وحقيقته، وبدأ أبو عبد الله الشيعي وهو الذي فتح بلاد المغرب يتنكر عليه وينكر مهديته(٤٥).

---

(٤٤) «عيون الأخبار وفنون الآثار» ـ السبع الرابع ص ٣٣٥، ٣٣٦ تحقيق مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٣م.

(٤٥) «عيون الأخبار» ـ السبع الخامس ص ١٢٠ وما بعد.

سادساً: اتهام الطاعنين بأنهم بنوا الحكم على أسماء ذكروها لآباء المهدي ما لم يذكرها هو نفسه؟ فهل الأسماء التي ذكرها المؤيدون هي عين تلك الأسماء التي ذكرها المهدي وأهله وذووه، أو الاسماعيلية؟

وقد ذكرنا هذا مفصلاً فيما سبق.

سابعاً: أمر المعتضد أمراء أفريقية بأخذ الآفاق على المهدي الاسماعيلي وإذكاء العيون في طلبه لا ينهض دليلاً على كونه من بني فاطمة أيضاً لأن الذي يخاف مناوئة الحكم، ومعاداة الحكام، وقلب الأنظمة، وإثارة الفتن والقلاقل والاضطرابات يترصد له، ويراقب حركاته وسكناته، ويأمر بأخذ الآفاق عليه وإذكاء العيون وأسره وسجنه سواء انتسب إلى بني فاطمة أو لم ينتسب، ولم يكن محاربة بني العباس العلويين وحدهم، بل أنهم حاربوا كل من وقف في سبيلهم، وقتلوا كل من رأوا منه خطراً على ملكهم وإلا لكان العلويون كلهم أسارى ومسجونين، ولم يكن الأمر كذلك.

وكذلك وقع الأسر على المهدي قبل أن يتحرك بما تحرك، ويعمل بما عمل.

وأما جعل ابن خلدون هذا دليلاً على صحة نسب المهدي إلى بني فاطمة فإنه من الغرائب والعجائب، ولا ندري كيف يقع في مثل هذا مؤرخ فيلسوف كإبن خلدون مع قيام أبي عبد الله الشيعي بالهجمات المتتالية والحملات المسلسلة، كأن ابن خلدون نسي أنه لم يصدر مثل هذه الأوامر من الخليفة العباسي في حق أحد غيره من الثائرين والمحاولين التغلب على إقليم وبلدة من أقاليم الدولة العباسية وبلادها، وحقيقة أن هذا التدليل من الدلائل الواهية التي أتى بها لإثبات ما يريد أن يثبته مع علو شأنه ورسوخ قدمه في ميدان التاريخ. ولا عصمة إلا لأنبياء الله ورسله الناطقين بالوحي، فإن لكل عالم زلة، كما أن لكل فارس كبوة، إلا من رحم ربك.

ثامناً: اتجاه ميول بعض أمراء العباسيين إلى المهدي الاسماعيلي أيضاً لا دليل فيه على صحة نسب المهدي كما أراد الاستدلال بذلك المفريزي لأن

كثيراً من الناقمين على الحكم يجدون التسلية فيمن يقوم ضده ويثور على أصحابه، والتاريخ مليء من أمثلة ذلك حتى تاريخ الاسماعيلية أنفسهم. ففي أيام القائم والمنصور حينما قام أبو يزيد مخلد بن كيداد بالثورة ضدهم، وشنّ عليهم الغارات التجأ إليه كثير من أمراء بني عبيد وأنصار الاسماعيلية وأتباعهم كما أقر بذلك المعز لدين الله حفيد المهدي والقاضي النعمان بن محمد المغربي[٤٦].

تاسعاً: وأما تدليل ابن خلدون بأن المهدي وأولاده من بعده لو كانوا كاذبين في نسبتهم إلى بني فاطمة لعرف أمرهم في حينهم أو بعد مدة فتدليل واه أيضاً حيث يعلم من له معرفة بالتاريخ أن الناس ردّوا دعوى المهدي في نسبته إلى اسماعيل بن جعفر في بدء أمره، وكان أول الرادين عليه أبو العباس الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي، وأبو عبد الله الشيعي نفسه مؤسس الدولة الاسماعيلية في المغرب وباني صرحها، وكذلك القرمطي الحسن الأعصم كما سيأتي ذكر هذا كله بعد قليل.

وأما المسلمون السنة فردّوا عليه دعواه في حينه كما ردّ خلفهم على خلفه، وقتل هو وبنوه على ذلك خلقاً كثيراً كما ذكرناه من قبل، والوقائع في ذلك معروفة مشهورة.

والجدير بالذكر أن مسألة نسب الأئمة الاسماعيلية لم تستحدث بعد زمان طويل كما أراد المؤيدون للنسب إيهام الناس، بل أثيرت هذه المسألة في حينها، فالحسن الأعصم القرمطي أعلن من فوق منبر دمشق بأن المعز لدين الله ليس من سلالة اسماعيل بن جعفر، بل هو من أولاد ميمون القداح كما سنذكره بعد قليل مفصلاً إن شاء الله.

وكذلك ذكر المؤرخون أن المعز بن المنصور لما دخل الديار المصريّة

---

(٤٦) أنظر «المجالس والمسايرات» الجزء الثاني تحت عنوان: اغتر كثير من أنصار الأئمة بأبي يزيد ص ٧٢.

اجتمع به جماعة من الأشراف، وكان من بينهم ابن طباطبا، فأنكروا عليه نسبه(٤٧).

وكان الانكار عليهم ذائعاً شائعاً حتى أن العزيز بن المعز صعد المنبر أحد أيام الجمعة في أول خلافته فرأى ورقة على المنبر فيها هذه الأبيات:

انا سمعنا نسباً منكراً — يتلي على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقاً — فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته — فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة — وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم — يقصر عنها طمع الطامع(٤٨)

وفي أيامه سأل عضد الدولة البويهي الديلمي الشيعي الأشراف ببغداد عن نسب العبيديين كما ذكره المقريزي في اتعاظه أن الملك فناخسرو (عضد الدولة) جمع العلويين ببغداد وقال لهم:

«هذا الذي بمصر يقول: إنه علوي منكم، فقالوا: ليس هو منا، فقال لهم: ضعوا خطوطكم، فوضعوا خطوطهم بأنه ليس بعلوي، ولا من ولد أبي طالب. ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولاً يقول له: نريد أن نعرف ممن أنت؟ فعظم ذلك عليه، فذكر أن قاضيه ابن النعمان ساس الأمر لأنه كان يلي أمر الدعوة والمكاتبة في أمرها، فنسب نزاراً إلى آبائه، وكتب نسبه، وأمر به أن يقرأ على المنابر، فقرىء على منبر جامع دمشق صدر الكتاب، ثم قال: نزار العزيز بالله بن معد بن المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي بالله بن الأئمة المتحنين - أو قال: المستضعفين - وقطع»(٤٩).

(٤٧) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ٢٦٩.
(٤٨) إيضاح ٢.
(٤٩) «الاتعاظ» ج ١ ص ٣٥، ٣٦.

هذا، ومن ناحية أخرى يذكر المؤرخون أن كل ما جرى بين عبد الرحمن الثالث الأموي أمير الأندلس وبين عزيز بن المعز الخليفة الاسماعيلي في مصر، فأرسل إليه العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجوه فأجابه عبد الرحمن الأموي بكتاب كتبه إليه:

«أما بعد فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك»[50].

ومثل هذا حدث كثيراً في أدوار مختلفة.

كما أنكر عليهم نسبهم كثير من العلويين أنفسهم، ومن أولاد اسماعيل ابن جعفر، منهم الشريف أخو محسن النسابة المشهور وغيره.

عاشراً: تدليل ابن خلدون والمقريزي بشعر الشريف الرضي ومن قبلهما ابن الأثير الجزري الذي بني كل عمارة تصحيح نسب القوم على شعره ليس بأقوى من تدليلاتهم الأخرى التي بيّنا حقيقتها آنفاً، وقبل أن نتكلم في الموضوع نستحسن أن نذكر في اتعاظه، وأشار إليه ابن خلدون في تاريخه:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمى
ألبس الذل في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصى
لف عرقي بعرقه سيد النـ ... اس جميعاً محمد وعلي
إن ذلي بذلك الجد عز ... وأوامى بذلك الربع رى[51]

فهذه هي الأبيات التي أسس عليها ابن الأثير بناءه لتصحيح نسب القوم مع أنها لا تصلح للتدليل والاحتجاج كما يلي:

أولاً: إن هذه الأبيات مكذوبة على الشريف الرضي من قبل الاسماعيلية، ولأجل ذلك لم يدرجها في ديوانه، ولم يروها الرواة عنه، وهذا من أقوى البراهين بأنه لم يقلها اطلاقاً.

(٥٠) «يتيمة الدهر» للثعالبي ج ١ ص ٢٢٤.
(٥١) «ابن الأثير» ج ٦ ص ١٢٤.

ثانياً: وأكثر من ذلك أنه لما علم بهذه الأبيات أنكرها هو وأبوه، وحلف عليه الأيمان المغلظة كما ذكر ابن كثير:

لما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوي يعاتبه، فأرسل إلى ابنه رضي فأنكر أن يكون قالها بالمرة... وتعددت الرسائل من الخليفة إليهم في ذلك وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ أبا أحمد الأسفرائيني والقاضي أبا بكر إليهما فحلف لهم بالأيمان المؤكدة أنه ما قالها(٥٢).

وأقر بذلك كما ذكر ابن الأثير ولم يودعها في ديوانه(٥٣).

وأكثر من ذلك أن أباه النقيب أبا أحمد نسب هذه الأبيات إلى أعدائه كما أكد إيمانه بقوله:

«أما هذا الشعر فما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه إليه»(٥٤).

ثالثاً: إن الشريف الرضي هو من ضمن الأشخاص الذين كتبوا المحضر الذي يتضمن القدح في نسب المهدي الاسماعيلي، ونسب أولاده. ثم وقع عليه بخط يده كما ذكره جمع من المؤرخين، منهم ابن كثير وابن الأثير، وابن تغرى بردى الأتابكي، وابن الجوزي، والذهبي، وغيرهم كثيرون.

فكيف يعتمد على مجهول النسبة والمنكر والمرفوض من قبل من ينسب إليه، ويترك المعلوم المقرر، والموثق بخط اليد والتوقيع؟.

فالقصيدة أنكرها الشريف الرضي حالفاً بالله بأنها لم تكن من نظمه، والمحضر أثبته وأقره بتوقيعه.

---

(٥٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ج ١٢ ص ٤ ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٧٨م.

(٥٣) أنظر «ابن الأثير» ج ٦ ص ١٢٥.

(٥٤) «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي تحقيق جمال الدين شيال ج ١ ص ٤٠ ط دار الفكر العربي ١٩٤٨م.

فالغريب من ابن الأثير أن يتمسك بتلك ويعرض عن هذا.

رابعاً: إن كان الشريف الرضي هذا الرجل في نظر ابن الأثير الذي ينكر صحة نسب المهدي وأولاده إلى بني فاطمة إرضاء للخليفة العباسي ويثبت نسبهم ارضاء للخليفة الاسماعيلي:

كما ينكر نسبة القصيدة إليه خوفاً من خليفة بغداد. فمن كان هذا شأنه وديدنه هل يعتمد على قوله ويصغي إلى كلامه، وهل يصلح للاحتجاج والتدليل.

خامساً: لو سلمت صحة نسبة هذا الشعر إلى الشريف الرضى لا يصلح للتدليل أيضاً لوجهين:

أولاً: إن قوله هذا ليس بكاف لإثبات نسبهم إلى بني فاطمة حيث أن أباه أبا أحمد وهو نقيب العلويين، وأخاه الشريف مرتضى الملقب بعلم الهدى أنكرا نسبهم مع من أنكر من العلويين الآخرين مثل الشريف أخي محسن، والشريف ابن طباطبا وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

ثم وقول الشريف الرضى لإثبات نسبهم لا يستند إلى دليل وبرهان.

ثانياً: لا يستبعد ـ على شرط صحة نسبة القصيدة إليه ـ أن يكون قالها الشريف اغضاباً للخليفة العباسي لحادث حدث أو ملمة ألمت. ففي مثل تلك الأحوال والظروف يقول الإنسان أحياناً ما لايكون في قلبه، مع أن المعروف أن الشريف الرضى كان يخالف المذهب الاسماعيلي ويناوئهم في معتقداتهم وآرائهم لكونه من الاثنى عشرية الأعداء الحقيقيين للاسماعيليين حيث أن إمامهم السابع هو الذي غصب حق إمامة امامهم السادس اسماعيل ومن بعده الإمام السابع محمد بن اسماعيل. وهذا مع الاحتمال البعيد أن يكون قائل هذه الأبيات الشريف الرضى مع أنه لم يقلها ولم يقرّ بها.

فهذه هي خلاصة ما قاله ابن خلدون والمقريزي وابن الأثير مؤيدو النسب الفاطمي للمهدي وأولاده قد بيّنا حقيقتها ببعض التفصيل.

وأما ما قاله المنكرون عليهم نسبهم الفاطمي من أهل السنة وهم الكثيرون الكثيرون فقد أوردنا كلامهم مقدماً.

ويجدر بنا أن نشير ههنا إلى أن المحضر الذي صدر من بغداد في الطعن على نسب حكام مصر من أولاد المهدي سنة ٤٠٢ هـ، الذي ورد ذكره في كلام ابن كثير، والذي تكرر صدوره مرة أخرى سنة ٤٤٤هـ لم يتصدّ الأئمة الاسماعيلية له بالرد والانكار، ومحاولة إثبات نسبهم وذكر أسماء آباء المهدي. فافهم فإنه مهم جداً في هذا الموضوع.

والآن ننتقل إلى ما قاله الاسماعيلية أنفسهم في هذا الموضوع.

آراء الاسماعيلية في نسب المهدي

قبل أن نذكر آراء الاسماعيلية في نسب المهدي نريد أن نذكر ههنا أنهم مع ادعائهم مشايعة المهدي واتباعه، وأنهم من ذويه وأهله يترددون في اسمه. فبعض منهم يسميه بعبيد الله(٥٥)، وهو الأشهر، وعلى ذلك سميت دولتهم دولة العبيديين، وبه قال المقريزي وابن خلدون وابن الأثير، المؤيدون لصحة نسبه من أهل السنة.

والكثير من الاسماعيلية يسميه عبدالله(٥٦).

والبعض يسميه بسعيد الخير(٥٧).

وبعض المتأخرين منهم يسمونه بمحمد(٥٨).

---

(٥٥) انظر مقدمة «راحة العقل» ص ٢٧.

(٥٦) «كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي من منتخبات اسماعيليه للدكتور عادل العوا، افتتاح الدعوة ص ٢٤٩، «زهر المعاني» ص ٦٦ من المنتخب لا يوانوف، «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٨٩، نورمبين وغيرها من الكتب.

(٥٧) «غاية المواليد» ص ٣٧ من المنتخب لايوانوف.

(٥٨) انظر «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص ١٠١ دمشق، أيضاً «الفلك الدوار» العبدالله بن المرتضى الاسماعيلي ص ١٤٠.

فهذا هو المهدي الذي يريدون اثبات نسبه إلى اسماعيل بن جعفر، ومنه إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما ولكن الآراء المتعارضة، والأقوال المتضاربة المختلفة تزيد الغموض وتكثر الارتياب في صحة نسبه بدل أن تصحح نسبته إلى بني فاطمة، وتؤيد ما يذهب إليه الاسماعيلية، واليكم التفصيل:

يقول خطاب بن الحسن المتوفي سنة ٥٣٣هـ، وهو من كبار الدعاة الاسماعيلية، في كتابه وهو يذكر بدء الامامة من الحسن بن علي ثم استقرارها في جعفر بن محمد، فيقول:
«جعفر بن محمد الصادق (ع) المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده اسماعيل بن جعفر وغيبة اسماعيل، وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية ولم تكن ترجع الامامة قهقرى كما لم ترجع من غيره، فأودع حجته المنسوبة بين يديه مقامه لولده، وأقامه ستراً عليه، وقدمه بين يديه واستكفله اياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه، فلما بلغ أشده تسلم وديعته، ثم جرى الأمر في عقبه خلفا عن سلف حتى انتهى الأمر به إلى علي بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين.

فكان من أمره ما كان من ارسال دعاته الحسين بن فرح بن حوشب المعروف بالمنصور، وانما لقب بذلك لما افتتح له من النصر باليمن، فدخل اليمن وكان من أمره ما ضمنته سيرته، وكان بمثابة الفجر المتنفس، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة وأنار حنادس الظلمة قدس الله روحه ورزقنا شفاعته، ثم اتصل أبو عبدالله صاحب الدعوة بالمغرب عن أمر امامه علي بن الحسين، فأقام عنده في اليمن وشهد معه وقائع كثيرة وجاهد بين يديه، ثم بعثه من أرض اليمن إلى أرض المغرب، فشخص إليها وكان من خبره في طريقه ما ضمنه كتاب (افتتاح الدعوة) بالمغرب، وأظهر الله به دعوة الحق وكان على يديه طلوع الشمس.

وذلك أنه لما أظهر النور باليمن وبلاد المغرب سار ولي الله في أرضه علي ابن الحسين صلوات الله عليه يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه أظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الملقب بالمهدي سلام الله عليه فثبت

قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جري، و وقي الله وليه سلام الله عليه من سجنه.

فلما حضرت المهدي النقلة سلّم الوديعة إلى مستقرها، وتسلّمها محمد ابن على القائم بأمر الله تعالى، وجرت الامامة في عقبه سلام الله عليه حتى انتهت الامامة إلى مستقرها ومعدنها، واطمأنت بموضعها من الامام المنصور أبي علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بالنص عليه كما قدّمنا في هذا الباب»(٥٩).

وهذه العبارة واضحة جلية في منطوقها، لاغموض فيها.

وعندما نضيف إلى هذه العبارة عبارة أخرى وردت في كتاب اسماعيلي قديم للقاضي النعمان الذي عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز، وبرواية المعز نفسه ـ الامام الاسماعيلي الرابع في دور الكشف والظهور ـ يتضح المعنى أكثر وأكثر، فيقول القاضي الاسماعيلي النعمان بن محمد المغربي: إن المعز ذكر حديثا كنا نسمعه أيضاً يؤثر عن المهدي في كاشف محنة مخلد بن كيداد الذي خرج على الاسماعيلية، وضاقوا به ذرعا، قال: ان المهدي ذكر نار الفتنة في بعض أيامه فقال:

«صاحب هذا الأمر في هذا الوقت حمل في بطن أمه، وعن قريب يولد. وكان المنصور (عليه السلام) حَمْلا في ذلك الوقت. وكان عند المهدي (عليه السلام) حَمْل فوُلِدَ المنصور (عليه السلام) وولد / أبو الحسن للمهدي. وكانت أمّه قد قالت ـ وهي حامل به ـ للمهديّ: إنّي رأيت كأنّ القمر في حجري وأنا أرضعُه. فلمّا ولد المنصور وأتِي به المهديّ ليباركَ عليه، دعا بأمّ ولده أبي الحسن وقد ولدَتْه فدفع المنصور إليها. وقال لها: أرضعيه مع ابنك. ففعلت مسرورة بذلك فرحة به. فلمّا أرضعنه، قال لها المهديّ (عليه السلام): أتذكرين الرؤيا التي رأيتِ أنّك تُرضِعينَ القمر وهو في حجرك؟

قالت: نعم يا أمير المؤمنين (عليه السلام).

(فـ) قال لها المهديّ (عليه السلام): فهذا تأويل رؤياك. ثمّ لم يلبث ابنها أبو

---

(٥٩) «غاية المواليد الثلاثة» ص ٣٦، ٣٧ من المنتخب لايوانوف.

الحسن أن جَدِرَ فذهب بصره، فأيقنت أنّ رؤياها كانت للمنصور (عليه السلام) مع تأويل / المهديّ (عليه السلام) لها ذلك.

قال المعزّ (عليه السلام): فكانت بعد ذلك من اليقين والوَلاية لنا في غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص، وكَبُرَتْ وأسنَّتْ وهي على ذلك. وكانت تقول لولَد المهديّ ونسائه بعد وفاته: والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - تعني قصر المهديّ بالله (ﷺ) - فلا يعود إليه أبداً. وصار إلى ذلك القصر - تعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذرّيّة صاحبه ما بقيتِ الدنيا. وإذا رَأتْ الواحدة من نسائنا، قالت: هذه السيدة، لمن كانت منهن قد ولدت إماماً. فيقول لها بناتها: لقد كبرت وخلّطت. فتقول: أما الكَبَرة فنعم، وأمّا التخليط فلا، والله ما أنا / بمخلّطة ولكن سمعتُ ذلك من علم الأئمة.

ولم تزل على ذلك حتى ماتت.

قلت: رحمها الله (تع).

قال: نعم، ونفعها اعتقادها»(٦٠).

وهذه العبارة نص في المسألة بأن المهدي لم يكن من بني فاطمة، كما أنه لم يكن ابن امام اسماعيلي من الأئمة المستورين، وكانت أولاده ونساؤه على معرفة بذلك، وأيضاً لم يكن القائم من ذريته، ولذلك فرق المعز بين ولد المهدي ونسائه، وبين ذرية القائم ونساء بيته بقوله: «ولد المهدي ونسائه» و «من نسائنا»، وهذا واضح وجلي.

ويصرح بذلك الداعي المطلق ادريس عماد الدين في كتابه (زهر المعاني):

«وكان المهدي بالله رابع الخلفاء وممثول المضغة في الدور. . . فكان شمس الله الطالعة، وآيته الساطعة، والحجاب الأعظم، والباب الأشرف الأكرم،

(٦٠) «كتاب المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن محمد المتوفي سنة ٣٦٣هـ الجزء الثامن والعشرون ص ٥٤٢، ٥٤٣. ط المطبعة الرسمية - تونس ١٩٧٨م.

حامل أمانة الله ووديعته، ومسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المنتسب إليه بتعليمه وافادته، وهو خليفته القائم منه». [٦١].

وأيضاً «وقام المهدي بدعوته أحسن قيام، وأمدّ دعاته في سائر البلدان فأشرقت الأرض بنور ربها، وظهرت أنوار الله من حجبها، وأشار المهدي بالله إلى محمد القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ونشر لأهل دعوته فضله المبين، وأدى إليه أمانته، وسلّم إليه رتبته، وأعطاه وديعته التي استودعها الله اياه لـه يجعل لسائر أولاده فيها نصيبا بل أقر الحق في مقره، وجعله في مستقره توحيد الولي الله وتعريف الشريف مقامه، واقتدى بجدّه محمد المصطفى في نصه على وصية على بن أبي طالب يوم الغدير، ولما نعيت إليه نفسه، وآن قرب حمامه، وكان القائم بأمر الله نور الله الذي تجلّى من أعظم الحجب وبرهانه الذي الإعراب بفضله ندب، فدانت لـه حدود الدعوة وعرفت أن المهدي بالله لهم إليه أفضل قدوة صلوات الله عليهما وعلى أبنائهما والخير من أوليائهما».

وأيضاً ـ «ولما توطدت قوانين الدعوة الهادية، سلام الله على وليها، بالمهدية وظهر أهل الكهف من كهف التقية، وآن الأجل وانقضى المهل سلّم الامام المهدي بالله إلى ولده القائم رتبته، وأدّى إليه وديعته وأمانته، وأظهر الغيبة وانتقل بجوار ربه والقدوم عليه» [٦٢].

وذكر أيضاً أن المهدي سعيد الخير لم يتسم بالامامة الاسترا على ولي الله القائم بأمر الله وكان هذا معروفاً لدي دعاة الاسماعيلية والخلصاء الأبرار، والمصطفين الأخيار، والعارفين لسر الله كما صرح بذلك في كتابه هذا:

«ثم ان الامام صاحب الزمام تقدم للهجرة إلى المغرب والمهدي في كنفه فأظهر النقلة في سفره وأوصى إلى أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده وكفله سعيد الخير، وتسمى بالامامة بأمر الناص عليه سترا على ولي الله

---

(٦١) «زهر المعاني» للداعي ادريس ص ٦٧ من المنتخب لأيوانوف.

(٦٢) «زهر المعاني» ص ٧١.

واخفاء لمقامه عن أهل دعوته حتى يكون أوان ظهوره وطلوع نوره، وأمر الحدود بذلك وأن يكنوه بالشمس الطالعة سترا على ولي الله ولده القائم من بعده، فلم يطلع أحد عليه ولا وقف على سر الله فيه الا الخلصاء الأبرار المصطفون الأخيار العارفون لسر الله في أوليائه، المطلعون على معرفة ما أظهر لهم من أصفيائه حتى اذا آن الميقات و وطدت الدعوة الدعاة، وأشاروا إلى ولي أمرهم الذي أمروا بالاشارة إليه، وأوضحوا فضله لمتبعيهم، ودلّوا عليه، وبشروا بظهور الشمس من غربها، ووعدوا بدنو الميقات لظهورها من استتار حجبها. فقال المهدي صلوات الله عليه وقد انتشرت دعوته في الآفاق، واستدل بواضح براهينه أهل الخلاف فرجعوا إلى الوفاق، فظهر من سجلماسة على يد داعيه أبي عبدالله صاحب الدعوة بالمغرب قدس الله روحه، ومعه الامام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله المستحق بعده للخلافة، والذي إليه دعوة الأولياء كافة، والمهدي بالله كافل له في كفالته ومشير بعالي مقامه إلى دعوته[٦٣].

وهناك نص هام آخر يشعر بأن المهدي أراد أن يجعل الامام في عقبه ويحرم القائم بأمر الله ولكنه كلما هم باغتصاب الأمر وجعله في بنيه مات ابنه كما ذكره النعمان القاضي عن المعز، قال فيه:

«انه أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله (عز وجل) له فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة اذلم يجد غيره، فقال: الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت، فتمثل له بقول الشاعر (رجز):

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك، ويأبى الله الا سوقها إليك، حتى طوّقوك طوقها

فردّها الله (عز وجل) إلى صاحبها المستقرة فيه وأخرجها من يدى من كانت

---

(٦٣) أيضاً ص ٦٦.

مستودعة عنده بعد أن جهد في صرفها إلى من قرب منه جهده. فليس المستقر كالمستودع ولا الوكيل كالموكل ولا الوصى كالموصى عليه، ولا له أن يملك شيئاً مماله في يديه ولا أن يعدل بذلك إلى غيره عنه. هي أمانة الله التي قد استحفظها و وديعته التي أودعها. قال الله جل من قائل: ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل». (٦٤).

ويؤيد ذلك ما ذكره في (المجالس) ورواه ابن عذارى أيضاً أن القائم علم من ابنه القائم أن الناس يتحدثون بأن المهدي نص بولاية العهد لابنه أبي علي أحمد بن المهدي فقلق القائم لذلك(٦٥).

وعلى ذلك ذهب من ذهب كل من المستشرق الانجليزى المشهور برنارد لويس في كتابه (اصول الاسماعيلية)، والمؤرخ المصري السيد حسن ابراهيم حسن في كتابه (عبيد الله المهدي) إلى أن القائم بأمر الله لم يكن ابنا جسمانيا للمهدي، بل كان ابنا روحياله، وكان المهدي من نسل ميمون القداح(٦٦).

فهذه حصيلة الروايات من جانب:

أولا: ان اسماعيل بن جعفر جعل الامامة في محمد ابنه، ومحمد في عبدالله ابنه، وعبدالله في أحمد ابنه، وأحمد في الحسين ابنه، والحسين في علي ابنه.

ثانياً: وعلي بن الحسين هذا هو الذي أرسل دعاته إلى اليمن وغيرها، وبأمره ارسل أبو عبدالله الشيعي إلى المغرب.

---

(٦٤) «المجالس والمسايرات» الجزء التاسع عشر ص ٤١٠، ٤١١.

(٦٥) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذارى المراكشي ج ١ ط دار الثقافة بيروت.

(٦٦) انظر كتاب «أصول الاسماعيلية» لبرناردلويس الطبعة العربية ترجمة خليل أحمد جلو، وجاسم محمد الرجب ص ١٢٧ وما بعد ط دار الكتاب العربي مصر، وكتاب «عبيد الله المهدي» لحسن ابراهيم حسن مع طه احمد شرف ص ١٥٦ وما بعد.

ثالثاً: وعلى بن الحسين هو الذي تحرك من الشام إلى المغرب على دعوة أبي عبدالله ولكنه قبل وصوله اليهامات في الطريق، وكان معه ابن له محمد ابن علي الملقب بالقائم بأمر الله، وكان صغيراً فاستكفل عليه حجته سعيد الملقب بالمهدي، وجعله مستودعاً عليه.

رابعاً: ان المهدي لم يكن اسمه الحقيقي عبدالله أو عبيدالله، بل كان اسمه سعيداً، فاذن سعيد الخبر والمهدي شخص واحد، لاشخصان مختلفان.

خامساً: ان سعيد الملقب بالمهدي ثبّت قواعد الدعوة، وحفظ الامام الحقيقي المستقر محمد بن علي القائم بأمر الله، وزحف إلى بلاد المغرب ففعل ما فعل نيابة و وكالة، لا اصالة واستقلالا واستقرارا.

سادساً: سلم المهدي لدى احتضاره الأمانة التي استؤمن عليها، والوديعة التي استودعت عنده إلى صاحبها ومستقرها محمد بن علي، ثم جرت الامامة في عقبه، لا في عقب المهدي.

سابعاً: ولم يكن القائم الامام المستقر من ولده هو، بل كان من بيت آخر بتصريح احدى نسائه، وبتصريح المعز لدين الله، وباقرار الداعي المطلق ادريس.

ثامناً: حاول المهدي جعل الامامة في أولاده وحرمان القائم منها.

تاسعاً: ان المهدي كان من أولاد ميمون القداح.

عاشراً: وكان الدعاة الاسماعيلية والخلصاء الأبرار، والمصطفون الأخيار على معرفة بذلك كله.

فتلك عشرة كاملة.

هذه هي ثمرة النصوص الاسماعيلية وخلاصتها من أهم كتب القوم أنفسهم من جانب.

ومن جانب آخر يقولون غير ما قاله هؤلاء الأعلام والأعيان، وربما شخص واحد خالف مقولته وناقض كلامه في كتابين مختلفين له، وربما في كتاب واحد.

ومثال ذلك أن ما قاله الداعي المطلق ادريس عماد الدين في كتابه (عيون الأخبار) لمعارض تماماً ما أثبته في كتابه (زهر المعاني) حول المهدي، ومنه نبدأ فنقول:

يذكر الداعي ادريس تحت عنوان (ذكر نبذ مما كان من أمر مولانا الامام المهدي بالله صلوات الله عليه وعلى الأئمة الطاهرين من آبائه وأبنائه وسيرته، وماله من الامتحان والتنقل من مكان إلى مكان حتى قضى الله تعالي بظهوره وعلو دعوته وأخبار ما كان في أيامه إلى انتهاء عمره وتمامه):
«كان مولد أمير المؤمنين الامام المهدي بالله أبو محمد عبدالله بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق سلام الله عليهم، في سنة ستين ومائتين، في الليلة المصبحة من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر شوال، وقيل: بل كان مولده في سنة تسع وخمسين ومائتين، و ولد (عليه السلام) بمدينة عسكر مكرم خورستان، ثم ان والده عليهما السلام انتقل به إلى سلمية، وفيها كان منشأه، واستكفل له أبوه عليهما السلام، عمه أبا علي الحكيم، وهو محمد بن أحمد المكني بسعيد الخير علي ما قدمنا ذكره، وكان عم الامام (عليه السلام) هو الذي أنفذ الداعي المنصور أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة والد المهدي بالله صلوات الله عليهما، وعلى أوليائه الطاهرين»[٦٧].

وفصل القول فيه في السبع الرابع كما أشار بقوله (ما قدمنا ذكره) فلنلق نظرة على ما قدم ذكره، فيقول:
«ولما آنت نقلة الامام الحسين بن أحمد صلوات الله عليه ورضوانه، أقام أخاه محمد بن أحمد الملقب سعيد الخير رضي الله عنه وصياً على ابنه الامام المهدي

---

(٦٧) «عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الاطهار» - السبع الخامس ص ٨٨، ٨٩ بتحقيق مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت.

بـالله (عليه السـلام) كما نص عـلى ذلك مـولانا الامـام المستنصر بـالله عليـه الصـلاة والسلام في مجـالس البيان حيث قـال: وان موسى بن عمـران (عليه السلام) امر نقباءه باقامة يوشع بن نون وصيا عـلى ولده هـرون؛ لان هرون مات في حياة موسى (عليه السـلام)، وكان وصيـه والامامـة في ولده وكـان ولـده طفلاً، فـاحتاج إلى أن اقـام وصياً عليـه إلى حين بلوغـه، فسلم الامر إليه.

وجرى مثل ذلك في أيام الامام المهدي بـالله صلوات الله عليه، وذلـك أن أباه سلمه إلى وصي اقامه له، وأراد الوصي ان يجعل الامامة في ولد نفسـه ويزويها عن الامام المهدي بـالله صلوات الله عليه، وكـان كل من اشـار إليه من ولد نفسه بالامامة يموت، حتى لم يبق لهذا الوصي ولد.

وفتح الله اليمن بالحسن بن فرج بن حوشب الداعي، وعمل ثياباً كتب عليها اسم الامام المهدي بالله صلوات الله عليه فأنشده متمثلاً:

الله أعـطاك الـتي لا فـوقـهـا فـكـم أرادوا صرفـهـا وعـوقـهـا
عـنـك ويـأبي الله الا سـوقـهـا إلـيـك حـتى طـوقـوك طـوقـهـا

فهـذا الذي قصـه الامـام المستنصر من أمـر جـده المهـدي بـالله (عليـه السلام) هو الحق اليقين، وكانت العاقبة للمتقـين، فسلم سعيد الخـير الأمر إليه واعترف بفضله، وتنصل مما كان أضمره، من اقامة ولده»[٦٨].

فهذا ما قاله ادريس عماد الدين الداعي المطلق الذي يعد كالمعصوم، في كتابه (عيون الأخبار)، ومثله ورد في كتاب (استتار الامام)[٦٩].

وهذا نقيض ما قيل سابقاً من أوله إلى آخره أن هذا العبارة تنص على:

---

(٦٨) «عيون الأخبار» ـ السبع الرابع ص ٤٠٢، ٤٠٣.

(٦٩) «استتار الامام» لأحمد بن ابراهيم النيسابوري ص ٩٥ و ٩٦ نشر ايوانوف تـرجمة دكتـور محمد كامل حسين ـ مستخرج من مجلة كلية الآداب، العدد الرابع الجزء الثاني ط مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة.

أولا: ان المهدي لم يكن حجة علي بن الحسين، ولا الحسين نفسه، بل كان ابنا له.

ثانياً: ان الحجة والكفيل كان ابن عم المهدي من قبل أبيه عليه، وهو الذي كان لقبه سعيد الخير، ولم يكن ذلك لقبا للمهدي.

ثالثاً: فسعيد الخير هو الذي أرسل الدعاة إلى اليمن، ومن اليمن ارسل أبو عبدالله الشيعي بأمر منه، لا المهدي ولا أبوه كما ذكر ذلك ادريس. ولا على بن الحسين كما نص على ذلك الخطاب بن الحسين.

رابعاً: قدمات والد المهدي يوم كان عمره ثماني سنين.

خامساً: فعم المهدي أبو علي الحكيم محمد بن أحمد المكني بسعيد الخير هو الذي أراد صرف الامامة عنه فلم يقدر لموت أولاده العشر.

سادساً: ان المهدي تزوج من ابنه عمه هذا، و ولدله منها القائم بأمر الله محمد.

سابعاً: فالقائم بأمر الله اذن ليس بولد لعلي بن الحسين، بل هو ولد المهدي الحقيقي، لاابنه الروحي بالتعليم والافادة كما صرح بذلك من قبل.

ثامناً: ان المهدي هو الذي ارتحل إلى بلاد المغرب، وفعل بها ما فعل اصالة واستقلالا، لانيابة و وكالة.

تاسعاً: كان المهدي والقائم من بيت واحد، وكان كل واحد منهما اماما مستقراً، ولم تخرج الامامة من بيت المهدي بل بقيت واستقرت في بيته سواء كان هذا البيت بيتا قداحيا أو بيتا علوياً.

التعارض والتناقض

فانقلبت الأمور، وانعكست الأحوال، وتغير الخبر تغيرا كاملا، وأغرب من ذلك أن شخصا واحدا هو المصدر للخبرين المتعارضين المتناقضين.

وزيادة على ذلك هناك نص آخر في كتاب اسماعيلي قديم يخبر عكس ما أوردنا سابقاً: «ثم زوج الامام (عليه السلام) قبل وفاته المهدي (عليه السلام) بابنة عمه ام القائم (عليه السلام)»[٧٠].

ومعناه أن والد المهدي لم يمت الا بعد زواج المهدي بأم القائم، أي بعد بلوغه سنّ الرشد حيث لم يكن الاحتياج إلى المستودع والكفيل.

وحصيلة النص أن المهدي لم يكن كفيلا للقائم واماما مستودعا له، بل كان والده الحقيقي حيث ولد من زوجته، كما أن المهدي لم يحتج إلى كفيل حيث لم يمت أبوه الا بعد بلوغه سنّ الرشد، فلمن كانت الكفالة اذن؟ التي حصلت ولا شك أنه ورد ذكرها في جميع الكتب الاسماعيلية، القديمة والحديثة تقريباً، حتى المعز ذكر ذلك كما تقدم ذكره.

هذا، ومن الغرائب أن النعمان المغربي القاضي الاسماعيلي الذي أورد في كتابه (المجالس والمسايرات) نصاً خطيراً عن المعز يدل صراحة على أن القائم

(٧٠) انظر «سيرة جعفر الحاجب» ص ١٠٨ نشر ايوانوف.

ليس من ولد المهدي الحقيقي، النص الذي ذكرناه فيما سبق، يورد نفسه في ذلك الكتاب أيضاً نصاً آخر، وعن المعز نفسه يعارض ذلك النص حيث يقول:

«سمعت المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول: سمعت المنصور صلوات الله عليه يقول: حضرت مائدة المهدي (عليه السلام) ومعي من ولده، و ولد ولده من ولده القائم أبي، صبيان جماعة»[٧١].

هذا وفي كتاب آخر صرح النعمان ببنوة القائم للمهدي حيث قال:

«ان المهدي خرج بنفسه وبالامام ابنه القائم من بعده معه وهو يومئذ غلام حدث السن حتى انتهى إلى مصر»[٧٢].

ويوجد مثل هذا التصريح في كتاب آخر قديم أن المنصور بالله ابن القائم ألقى خطبة أظهر فيها موت أبيه القائم فقال فيها ما قال:

«سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته عليكما ياأمير المؤمنين، يا ابني الهداة المهديين، ياأبتاه ياجداه، ياابني محمد رسول الله، سلام مسلّم لله فيما قضاه على من فقدكما، صابر على ما امتحنني من بعدكما»[٧٣].

فانظر التناقض البيّن والتعارض الصريح، والتخليط والتخبيط، ربما في كتاب واحد، وفي الكتب المختلفة المتعددة.

وهناك رواية أخرى تختلف عن جميع الروايات المتقدمة التي أوردها الداعي جعفر بن منصور اليمن المتوفي سنة ٣٦٥هـ في كتابه (الفرائض وحدود الدين) ويقول: «انه تلقاها من المهدي الاسماعيلي نفسه في كتاب أرسله إليه في اليمن ذكر فيه أسماء الأئمة المستورين ونسبه، ولقد نشر هذا

---

(٧١) «المجالس والمسايرات» ص ١٠٧.

(٧٢) «افتتاح الدعوة» ص ١٤٩.

(٧٣) «سيرة الاستاذ جوذر» لأبي علي منصور العزيزي الجوذري بتقديم وتحقيق دكتور محمد كامل حسين ودكتور محمد عبدالهادي شعيره ص ٥٧ ط دار الفكر العربي مصر.

الكتاب الهمداني باسم (في نسب الخلفاء الفاطميين)، وخلاصة ما جاء فيه أن المهدي لم يكن اماما ولا ابن امام، بل كان الامام الحقيقي محمد القائم ابن علي بن محمد، وكان سعيد وآباؤه حججا للأئمة الذين تسموا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن في هذه الأسماء»[٧٤].

فهذه الرواية من أقدم الروايات الاسماعيلية في هذا الموضوع، وهي تختلف في مغزاها ومفهومها عن الروايات الكثيرة التي أوردناها في هذا الموضوع حتى الآن مع مشابهتها برواية الخطاب في (غاية المواليد) في بعض الأمور.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى هناك اختلاف كثير في أسماء آباء المهدي، التي تربطه إلى اسماعيل بن جعفر حسب زعمهم، وكل هذا في كتب الاسماعيلية أنفسهم حيث أن أقدم الدعاة جعفر بن منصور اليمن الذي له مكانته وشأنه كما نقل الداعي المطلق ادريس عماد الدين:

«إن أبا حنيفة النعمان المغربي، قاضي قضاة الامام المعز لدين الله (عليه السلام)، مرض وهو بمصر، فزاره كثير من علية القوم، ومنهم جعفر، باب أبواب الامام المعز (عليه السلام). ولما أبل أبو حنيفة النعمان من مرضه، سأله الامام المعز عمن زاروه، فذكر أسماءهم جميعاً سوى باب أبواب الامام المعز (عليه السلام)، فأخذ الامام يطرى جعفر، ثم قدّم إلى النعمان رسالة، وطلب منه قراءتها، وسأله عن مؤلفها. وقد نالت هذه الرسالة إعجاب القاضي النعمان، حتي إنه قال للامام: إنها من تأليف مولانا، فأجابه الامام بأنها من وضع مولاه الرئيس جعفر بن منصور، فنزل النعمان وذهب إلى دار جعفر بن منصور اليمن وعبر له عن احترامه وتقديره»[٧٥].

---

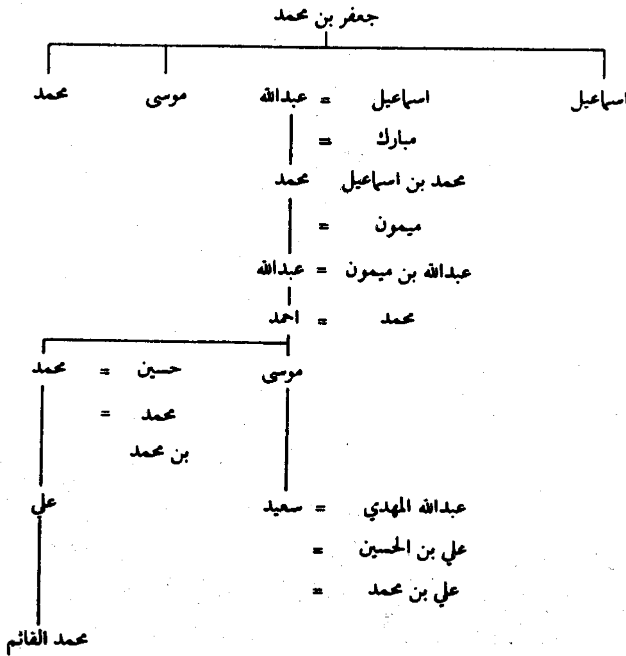
(٧٤) انظر لذلك كتاب «في نسب الخلفاء الفاطميين» بتقديم حسين بن ينفى الله حميداني بتصدير بائر ودورج ط مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة ـ معهد الدراسات الشرقية ١٩٥٨م.

(٧٥) «عيون الأخبار للداعي» ادريس عماد الدين السبع السادس ص ٤٦، ٤٧ نسخة خطية.

وكتبه تعدّ من الكتب السرية للدعوة الاسماعيلية، أو من كتب الباطن التي لا تكتب الا للخاصة وخاصة الخاصة، ولا يطلع عليها العامة، فيذكر هذا الداعي في كتابه (الفرائض) أسماء الأئمة المستورين نقلا عن المهدي نفسه حسب دعواه هكذا:

«جعفر الصادق ابنه اسماعيل، ولم يكن اسماعيل اسمه الحقيقي، بل كان اسمه الحقيقي عبدالله، وكان يلقب أيضاً المبارك. وابنه محمد وكان يلقب بمحمد بن اسماعيل وبالميمون أيضاً. ثم ابنه عبدالله، وكان يلقب أيضاً بعبدالله بن ميمون. ثم ابنه أحمد، وكان يلقب أيضاً بمحمد. ثم ابن أحمد محمد، ومحمد هذا كان يلقب بالحسين وبمحمد بن محمد. ثم ابنه علي. ثم ابنه محمد القائم. وكان المهدي حجة لمحمد القائم هذا»[٧٦].

ونثبت ههنا الجدول الذي أثبته الفيضي في اللغة الانجليزية لشرح هوامش الرواية التي سردها الداعي جعفر بن منصور اليمن:



(٧٦) انظر «في نسب الخلفاء الفاطمين» ص ٢٢ وما بعد.

وأما الداعي خطاب بن الحسن فيذكر في كتابه بأن المهدي لم يكن من سلالة الأئمة المستورين، ثم يذكر الأئمة المستورين:

اسماعيل بن جعفر
|
محمد
|
عبدالله
|
أحمد
|
الحسين
|
علي ــــ المهدي كان حجة لعلي بن الحسين هذا
|
محمد القائم[77].

وأما أحمد بن ابراهيم النيسابوري، والداعي ادريس في كتابه (العيون)، وحميد الدين الكرماني وغيرهم فيذكرون الاسماء كما تلي:

اسماعيل بن جعفر
|
محمد
|
عبدالله
|
أحمد
|
الحسين
|
المهدي[78].

---

(٧٧) انظر «غاية المواليد» ص ٣٦، ٣٧ من المنتخب.

(٧٨) «استتار الامام» ص ٩٥، «عيون الأخبار» السبع الخامس ص ٨٩، «موسم بهار» تاريخ الاسماعيلية في اللغة الكجراتية للاسماعيلية مبان محمد علي ص ٣٠٢ وما بعد، «تنبيه الهادي والمستهدى لاحمد حميد الدين الكرماني «شرح القصيدة الشافية» لداع مجهول ص ٩٤ تحقيق عارف تامر ط دار المشرق - بيروت، «نورمبين» في الاردودية وغيرها من الكتب.

وأمـا الحسن بن نوح الهنـدي فقد ذكـر أسماء في كتـابـه (الأزهـار) (٧٩) هكذا:

اسمـاعيـل بن جعفـر
محمـد
عبـدالله
محمـد
أحمـد
الحسيـن
المهـدي(٨٠).

وأمـا عبدالله المـرتضي الاسـماعيـلي، ومصـطفى غـالب، وغـيرهمـا من الاسماعيلية الجدد فيذكرون الأسماء كما تلي:

اسمـاعيـل بن جعفـر
محمـد
أحمـد
محمـد
عبـدالله
محمـد المهـدي(٨١).

---

(٧٩) والغريب أن الدكتور عادل العوا الذي نشر هذا الكتاب في مجموعة الكتب الاسـماعيلية الأخرى باسم (منتخبات اسماعيلية) غيّر محمدا بأحمد، كما غيّر أحمد بالحسين اجتهادا منه «انـظر كتـاب الأزهـار» ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ من (منتخبـات اسـماعيليـة) ط دمشق مـع أن ايـوانوف صرح بـأن حسين بن نـوح لعله وجد الأسـماء هكذا في كتـاب (تنبيـه الهـادي والمستهدى) في النسخة العتيقة التي كانت عنده، ولعل هذه الأسماء استبـدلت في النسخ الجديدة بالأسماء الموجودة الآن (انـظر كتاب «THERISEOF THE FATIMIDS BY IVA-NOW» P.46 & 47).

(٨٠) انظر «همارت اسماعيلي مذاهب» باللغة الأردية للدكتور زاهد على ص ١٦٩ .

(٨١) «الفلك الدوار» ص ١٤٣ ، تاريخ الدعوة الاسماعيليـة لمصطفى غـالب ص ١٣ الطبعـة الأولى دمشق.

وقبل أن ننتهي من سرد الأسماء هذه نريد أن نثبت ههنا أن الاسماعيلية يعدّون المهدي الخامس من ولد اسماعيل، ولكن الداعي أحمد حميد الدين الكرماني المتوفي سنة ٤١١هـ يصرح في أحد كتبه بأنه كان الرابع من ولد اسماعيل وسلالته وصفوته(٨٢).

فهذه هي الآراء المتضاربة المتناقضة، المتعارضة بعضها مع بعض حول المهدي الاسماعيلي ونسبه وأسماء آبائه، وعدد الأجيال التي تفصل بينه وبين اسماعيل بن جعفر على زعم من يظنه من أولاد اسماعيل من الاسماعيلية أنفسهم.

وان دل هذا التناقض والتعارض الشديد على شيء دلّ على ثغرات لا يمكنت ملؤها، وخلل لا يمكن جبره مهما حاول المحاولون، ودبّر المدبرون، ومكر الماكرون.

النقد والتحليل

لم تضطرب آراء الاسماعيلية في ذلك، وتختلف اقوالهم الا لمحاولتهم جعل المهدي من البيت العلوي، واعطائهم ظهوره صبغة التقديس حسب نبوءات الرسول ﷺ والأئمة من أهل بيته، وتقريب الفكرة إلى أذهان المسلمين، وترسيخ محبتهم في قلوبهم، واثارة حفيظة نفوسهم للوقوف حوله، والتضحية في سبيله، ولبناء صرح دولته وتوطيد دعائم مملكته والحفاظ عليها، والتصدى لمن يناوىء المهدي، ويعارض سلطانه، ويخالف حكمه، ويعادي حكومته. وهذا مع معرفتهم أصل نسبه وحقيقته بأنه لا ينحدر الا من سلالة ميمون القداح كما ذكر ذلك المؤرخون الكثيرون، وكما ذكر علوي

(٨٢) «المصابيح في اثبات الامامة» لأحمد حميد الدين الكرماني ص ١٣٩ الطبعة الأولى ط منشورات حمد ١٩٦٩م.

من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر، النسابة المشهور أخو محسن، ونقل عنه المقريزي بقوله:

«قد وقفت علي مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسن (الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع، وكان معاصرا للمعز لدين الله) وهو محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ويكنى بأبي الحسين، وهو كتاب مفيد»(٨٣).

قال بعد ذكر ميمون القداح:

«فولد لميمون هذا ابن يقال له: عبدالله، كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل؛ فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها؛ فرتّب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى معرى من جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل.

وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا - في الباطن - أن يجعل المخدوعين أمةً له، يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة. وأما في الظاهر فإنه [كان] يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمع الناس بهذه الحيلة.

وكان عبدالله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له. وأصله من موضع بالأهواز يُعرف «بقورج العباس»، ثم نزل «عسكر مُكْرَم»، وسكن « ساباط أبي نوح»، فنال بدعوته مالاً. وكان يتستر بالتشيع والعلم، وصار له دعاة، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة، والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة، والمعتزلة، وكبسوا داره، ففر إلى البصرة، ومعه رجل من أصحابه

---

(٨٣) «الاتعاظ للمقريزي» ص ٢٥.

يُعرف «بالحسين الأهوازي»، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ ثم اشتهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب هو والحسين الأهوازى إلى سليمة [من أرض الشام]، ليخفى أمره بها، فولد له بها ابن يقال له: «أحمد».

ومات عبدالله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة وبعث بالحسين الأهوازي - داعيه - إلى العراق، فلقى حمدان ابن الأشعث [المعروف بـ] قرمط بسواد الكوفة. [ودعاه إلى مذهبه فأجابه، وقام هناك بالأمر، وإلى قرمط هذا تُنسب القرامطة] ووُلد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ولدان، هما: الحسين، ومحمد - المعروف بأبي الشلعلع -، ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين في الدعوة.

فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بأبي الشلعلع -؛ وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر.

وكان محمد هذا قد بعث داعيين إلي المغرب، هما: أبو عبدالله - الحسين ابن أحمد بن محمد -، وأخوه أبو العباس - محمد بن أحمد بن محمد -، فنزلا في قبيلتين من البربر، وأخذا علي أهلها، وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية، وأيسروا، وصار لهم أملاك كثيرة، فبلغ خبرهم السلطان، فبعث في طلبهم، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى، فدخل سعيد علي النوشري ونادمه، فبلغ السلطان خبره، وكان يتقصى عنه، فبعث إلى النوشرى بالقبض عليه، فقرىء الكتاب وفي المجلس ابن المدبِّر - وكان مؤاخيا لسعيد. فبعث إليه يحذره، فهرب سعيد، وكبس النوشرى داره، فلم يوجد، وسار إلى الإسكندرية، فبعث النوشرى إلى والي الإسكندرية بالقبض على سعيد - وكان رجلا ديلميا يقال له علي بن وهسودان -.

وكان سعيد خداعا، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال: «إني رجل من آل رسول الله»، فرقّ له، وأخذ بعض ما كان معه وخلّاه، فسار حتى نزل

سجلماسة ـ وهو في زيّ التجار ـ فتقرب إلي واليها، وخدمه، وأقام عنده مدة، فبلغ المعتضد خبره، فبعث في طلبه، فلم يقبض عليه وإلى سجلماسة؛ فورد عليه كتاب آخر، فقبض عليه وحبسه، وكان خبره قد اتصل بأبي عبدالله الداعي ـ الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخواه إلى البربر ـ فسار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيد، وصار صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله وتكنى بأبي محمد، وتلقب، بالمهدي، وصار إماما علوياً من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ولم يلبث الأمر حتى قتل أبا عبدالله الداعي، وتملك البربر، وقلع بني الأغلب ولاة المغرب.

قال: «فعبيد الله ـ الملقب بالمهدي... هو [سعيد] بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوى الأهوازي؛ وأصلهم من المجوس».

قال: «وأما سعيد هذا الذي استولي على المغرب، وتسمى بعبيد الله فإنه كان بعد أبيه يتيما في حِجْر عمه ـ الملقب بأبي الشلعلع ـ، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه ترتب أمرها لسعيد، فلما هلك، وكبر سعيد، وصار علي الدعوة وترتيب الدعاة والرياسة، ظهر أمره، وطلبه المعتضد فهرب إلى المغرب ـ من سلمية ـ»

ويقال إنه ترسم بالتعليم كي يخفى أمره، وكان يقول عن محمد إنه ربيب في حجره، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، وذلك لضعف أمره في مبدئه، ولذلك يقال عن محمد بن عبيدالله: «يتيم المعلم».

وزعم آخر أن عبيدالله كان ربيبا في حجر بعض الأشراف، وكان يطلب الإمامة، فلما مات ادعى عبيدالله أنه ابنه؛ وقيل بل كان عبيدالله من أبناء السوقة، صاحب علم». انتهى ما ذكره الشريف».[٨٤]

---

(٨٤) انظر الاتعاظ للمقريزي» ص ٢٧ إلى ٣٤.

فهذا كان أصلهم المعروف المشهور ولكنهم ادعوا النسب العلوي لخداع الناس وايقاعهم في حبائلهم كما نقل ذلك المقريزي أيضاً :

« ولم يدّع سعيد هذا ـ المسمى عبد الله ـ نسبا إلى على بن أبى طالب إلا من بعد هربه من سلمية ـ وآباؤه ـ من قبله لم يدّعوا هذا النسب، وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الامام محمد بن إسماعيل بن جعفر وأنه حيّ لم يمت.

وهذا القول باطل، وباطنهم غير ظاهرهم، وليس يعرف هذا القول الالهم، وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنما جعلوا علقهم بآل رسول الله بابا للخديعة والمكر.

ولم يتم لسعيد أمره بالمغرب إلا أن قال : أنا من آل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمي من ولد اسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول »[٨٥].

وبمثل هذا ذكر الغزالي في كتابه الذي رتّبه على الاسماعيلية (فضائح الباطنية) في الفصل الثاني تحت عنوان (بيان السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة وافاضة هذه البدعة) :

« مما تطابق عليه نَقَلة المقالات أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملّة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوّة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين. ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأى في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفّس عنهم كرْبة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله في آخر الأمر، وزعموا أنّا بعد عرفنا أن

---

(٨٥) « الاتعاظ » ص ٣٤، ٣٥.

الأنبياء كلهم مُمَخْرقون ومنمسون : فإنهم يستعبدون الخلق بما يخيلونه إليهم من فنون الشعبذة والزرق ـ وقد تفاقم أمر محمد، واستطارات في الأقطار دعوته، واتسعت ولايته، واتسقت أسبابه وشوكته حتى استولوا على ملك أسلافنا، وانهمكوا في التنعم في الولايات مستحقرين عقولنا ؛ وقد طبقوا وجه الأرض ذات الطول والعرض، ولا مطمع في مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنزالهم عما أصروا عليه إلا بمكر واحتيال. ولو شافهناهم بالدعاء إلى مذهبنا لتنمروا علينا، وامتنعوا من الإصغاء إلينا. فسبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركّهم عقولاً وأسخفهم رأياً وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض. ونتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، نتودد إليهم بما يلائم طبعهم : من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ! ـ ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسْوتهم وقدوتهم. حتى إذا قبّحنا أحوالهم في أعينهم وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم ـ اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين وإن بقى عندهم معصتم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أوهمنا عندهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن أمارة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن. ثم إذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء والتظاهر بنصرهم.

ثم قالوا : طريقنا أن نختار رجلاً ممن يساعدنا على المذهب، ونزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كافة الخلق مبايعته وتتعين عليهم طاعته، فإنه خليفة رسول الله، ومعصوم عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى.

ثم لا نُظْهر هذه الدعوة على القرب من جوار الخليفة الذي وسمناه بالعصمة، فإن قرب الدار ربما يهتك هذه الأستار ؛ وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب إل الدعوة أن يفتش عن حاله، وأن

يطّلع على حقيقة أمره ؟ ! ومقصدهم بذلك كله الملك والاستيلاء والتبسط في أموال المسلمين وحريمهم، والانتقام منهم فيما اعتقدوه فيهم وعاجلوهم به من النهب والسفك، وأفاضوا عليهم من فنون البلاء.

فهذه غاية مقصدهم، ومبدأ أمرهم[٨٦].

ويؤيد ما قلناه بأن القوم لم يقصدوا من وراء نسبة المهدى إلى البيت العلوى إلا إسباغ الاجلال والاحترام عليه، وجلب عواطف الناس وايقاعهم في خداعهم ومكرهم وضع الكتب العديدة لسرد روايات المهدى واطباقها على المهدى، وجعله مصداقها كمحاولة النعمان المغربي وغيره من الكتّاب الاسماعيلية القدامى ودعاتها.

فان القاضي الاسماعيلي النعمان وضع كتاباً مستقلاً باسم (شرح الأخبار) لرواية مثل هذه الروايات، وتغلبه على البلاد وتمكنه في الأرض هو تحقق تلك النبوءات.

فمن الأخبار التي أوردها النعمان وغيره من الاسماعيلية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لابد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب يقتل الزنادق، ويملك الترك والخزر والديلم والحبش، ويؤتي بملوك الروم مصفدين بالحديد، ولا يقوم راية إلا راية الايمان »[٨٧].

وأيضاً ماروى أن رسول الله قال :

« المهدى رجل من ولدى، أرى وجهه كالكوكب الدرّى، اللون لون عربي، والجسم جسم اسرائيلي »[٨٨].

---

(٨٦) « فضائح اباطنية » للغزالى ص ١٨، ١٩، ٢٠ تحقيق عبد الرحمن بدوى ط مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت.

(٨٧) « شرح الأخبار » للقاضي النعمان المغربي الجزء الخامس عشر ص ٦ من المنتخب لايوانوف.

(٨٨) « شرح الأخبار » ص ٧ من المنتخب لايوانوف.

ويكتب النعمان تحته :

« وكذلك كان المهدى ﷺ وسيما من أجمل الرجال وجهاً كأن وجهه كوكب درّىّ كما قال رسول الله في صفته ، الكوكب الدرّى هو المضيء من الكواكب وجمعها درارى ، وكذلك كان وجه المهدى ﷺ مشرقاً مضيئاً كأنما هو نور يلوح منه لمن نظر إليه ، قوله : اللون لون عربي ، وكذلك كان لونه كلون رسول الله سيد العرب أبلج الوجه يشوبه حُمْرة ، وهو الذي يقول له أهل المعرفة بالحلى من العرب الرفق والسعرة ، ولا يقولون : أبيض في ألوان الناس ، وهذا اللون أفضل ألوان الناس عند العرب وهو أكثر ألوان أشرافهم وقوله : الجسم جسم اسرائيلي(٨٩) ، وأجسام بنى اسرائيل أجسام جسيمة ، وهم في الأكثر والأغلب أجسم من العرب ، وكذلك كان المهدى جسيما وسيما بساطا لا يكاد أحد يماشيه إلا قصر عنه وصغر إلى جانبه(٩٠) .

---

(٨٩) ألا يؤيد هذا من قال بأن المهدى كان ابن حداد يهودي تبناه الحسين كما ذكر ذلك الأمير عبد العزيز صاحب (تاريخ افريقيا والمغرب) :

لما توفى عبد الله ميمون القداح ادعى ولده أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب وهم مع هذا يسترون ويسرون أمرهم ويخفون أشخاصهم ، وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم فتوفي وخلف ولده محمدا هذا ، وكان هو الذي يكاتبه الدعاة في البلاد ، وتوفي محمد وخلف أحمد ، والحسين ، فسار الحسين إلى سليمة من أرض حمص ، وله بها ودائع ، وأموال من ودائع جده عبد الله بن ميمون القداح ووكلاء وغلمان ، وبقى ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وكان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر ، والدعاة بالمغرب يكاتبونه ويراسلونه .

واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها ـ وهى في غاية الحسن ـ فتزوجها ـ ولها ولد من الحداد يماثلها في الجمال ، فأحبها وحسن موقعها معه ، وأحب ولدها وأدّبه وعلّمه فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة .

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول : ان الامام الذي كان بسلمية ـ وهو الحسين ـ مات ولم يكن ولد ، فعهد إلى ابن حداد يهودي ـ وهو عبيد الله ـ وعرّفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأين الدعاة ، وأعطاه الأموال والعلامات ، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته وأنه الامام والوصى ، وزوّجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوى وغيره (الكامل لابن الأثير ص ١٢٨ ، ١٢٩ الجزء السادس ط دار الكتاب العربي ـ بيروت) .

(٩٠) « شرح الأخبار » ص ٧ من المنتخب لايوانوف .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« يعطي المهدى قوة عشرة »[٩١] .

ورواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

المهدى أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً.

ورواية أخرى :

« عن أبي جعفر محمد بن على أنه قال : يقوم المهدي (عليه السلام) وليس في رأسه ولا لحيته طاقة بيضاء[٩٢] .

ولا بأس أن نذكر ههنا رواية أخرى أوردها الداعى ادريس كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجرتي » . وهذا حديث مأثور مشهور، ولم تطلع من مغربها في هذا الوقت ولا قبله ولا بعده، وإنما عنى بذلك قيام المهدي من ذريته فوعد (ﷺ) بظهوره من المغرب، وعلو دولته، وقد سمى الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سراجاً، فقال تعالى : « انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً » . وسمى الله عز وجل الشمس سراجاً فقال تعالى : « وجعلنا سراجاً وهاجاً » . وقد تسمى العرب الرجل الفاضل شمساً . قال الشاعر شعراً :

فانك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

---

(٩١) أيضا ص ٩ .

(٩٢) أيضاً . وقد أورد هذه الرواية الداعى ادريس في كتابه (العيون) السبع الخامس ص ١٣ .

وكـان المهدي بـالله هو الشمس التي ذكـر رسول الله صـلى الله عليه انها تـطلع من المغرب عـلى رأس الثلاثـمائة من هجـرتـه صـلى الله عليـه وسلم، وكذلك طلع (عليه السلام) في سنة سبع وتسعـين ومائتـين واستقر قـراره في دار ملك المغرب على رأس الثلاثمائة.

ومن قول النبي صلى الله عليه واله وسلم هكذا قال الفهـري في قصيدة له يبشر بظهور المهدي (عليه السلام) ودنو أو انه حيث يقول شعرا :

فـعـنـد الـسـت والـتـسـعـين قـطع الـقـول والـعـذر
لامـر مـا يـقـول الـنـاس بـيـع الـدر بـالـبـعـر
وصـار الجـوهـر المـكـنـون عـلقـا غـير ذي قـدر
يـتـيـه كـان خـلف الـبـاب فـانـقض عـلى الـوكـر

ففي سنة ست وتسعين غلب الحسين بن زكريا ابو عبـد الله الداعي إلى المهـدي بالله سـلام الله عليه بـالمغـرب بني الاغلب، وشردهم عن ملكهم، وملك أفريقية، واقام بها دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه »(٩٣).

فرووا هذه الروايات ومثيلاتها لاثبات أن مهديهم هو المهدى الـذي بشر الرسول عليه الصلاة والسلام بظهوره وغلبته على البلاد وتسلطه على العباد، كـما أنهم حـاولـوا اثبـات نسبـه إلى البيت العلوى لأن المهـدى المبشر بـه في الروايات لا يكون إلا من ولد فـاطمة، تغـطية للحقـائق وتعمية لـلأبصار، وحينما اعترض عليهم بأن الروايـات التي تخبر عن المهـدي ورد فيها صراحـة عن رسول الله أنه قال :

أم أنه لا يذهب الأيام والليالي حتى يتـولاها رجـل من ولدى من عـترتى يـواطيء اسمـه اسمى، وأسم أبيـه اسم أبى، أشبـه النـاس بخُلقي خُلُقَـاً وبخَلِقْي خَلْقـاً. وقد أقـرّ بهذه الـرواية الاسـماعيلية أنفسهم، وعـلى رأسهم

(٩٣) « عيون الاخبار » السبع الخامس ص ٢٧.

النعمان بن محمد المغربي القاضي(٩٤). وأيضاً ادريس الداعى(٩٥) وأيضاً جعفر بن منصور اليمن(٩٦).

وهذا ليس اسمه محمد، ولا أسم أبيه عبد الله، بل اسمه سعيد أو عبد الله قطع النظر عن النسب فاضطربوا في الجواب، وتاهوا في تيه الحيرة والضلال، فقال قائل منهم :

« نعم، كان اسمه محمد كما كان اسم أبيه عبد الله ».

وقال قائل منهم :

لا ، بل كان اسمه عبد الله وابنه محمد وهو المهدى، والقائل المضطرب هذا ليس برجل هيّن، بل هو النعمان نفسه أول شخص اسماعيلي عين للقضاء في زمن تغلب الاسماعيلية على البلاد، والذي يعاصر أربعة من الأئمة الاسماعيلية : المهدى والقائم والمنصور والمعز، فيكتب في أرجوزته تحت عنوان (ذكر قيام أمير المؤمنين أبى القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه)

بعد ماذكر عبد الله أو عبيد الله وموته بقوله :

« واختار رب الناس للامام ما عنده في جنة المقام
فمات صلى الله والملائكة عليه في عترته المباركة

ثم كتب :

« وقام بالأمر على تصعب من بعده من لم يزل يقوم به
ذاك أبو القاسم مهدي البشر محمد أفضل كل من غبر
صلى عليه وعلى آبائه والقائم المهدي من أبنائه

(٩٤) انظر كتاب « شرح الأخبار » ص ١٦ من المنتخب لأيوانوف.
(٩٥) « عيون الأخبار » ص ٢٩.
(٩٦) « أسرارا النطقاء » ص ٩٥ من المنتخب لأيوانوف.

فنحن أن قال الناس أنكرا بمثل ما صدقتمو ماذكرا
من أنه كما ادعى المهدي قلنا بما قد صدّق النبي
لأنه قد جاء بالتنزيل وجاء هذا بعد بالتأويل »[97].

ولما اعترض عليهم بالروايات الأخرى التي سردوها وطبقوها على المهدي عبيد الله مثل ما مرّ ذكرها سابقاً التجؤا إلى تأويلات كاسدة باردة.

أما عندما اعترض على نسبه وحسبه ولكونه معروفاً من أسرة القداح، وبدليل أن الأسماء التي يسردونها لآبائه هى الأسماء المعروفة لأبناء البيت القداحى. اعنى : عبد الله والحسين وأحمد وسعيد بتصريح المخالفين كما ورد ذكرها في رواية أخي محسن وابن رزام وغيرهما من القدامى الذين يطعنون في نسبهم وأنهم متفقون مع الاسماعيلية في ذكر هذه الأسماء لآباء المهدي فعندئذ اضطر القوم إلى أن يخترعوا أسماء أخرى لآباء المهدي هرباً من بطشة الحق، وفرارا من دليل الصدق.

وهذا مع اعترافهم أنفسهم بأن جعفر الصادق جعل ابن القداح وهو عبد الله كفيلاً وحجة لحفيده محمد بن اسماعيل كما سنذكره قريباً بالتفصيل إن شاء الله.

وأطرف من ذلك أن الاسماعيلية اخترعوا لأجل ذلك اسطورة أخرى تخلصاً من المأزق الذي لانجاة منه مادامـوا يريدون اثبات نسب الأئمة الاسماعيلية في دور ظهورهم إلى البيت العلوى وضعوا اسطورة أن المهدي كان كما قيل حقيقة من بيت قداحي ولكن القائم بأمر الله محمدا لم يكن من تلك الأسرة، بل كان هو من البيت العلوى، ثم يسردون لاثبات نسبه عين تلك الأسماء التي يسردونها للمهدي، ثم يقولون : إن هذا الأمر من الأسرار التي لا يعرفها الا الخلصاء الأبرار، المصطفون الأخيار، العارفون لسر الله في أوليائه.

---

(97) « الأرجوزة المختارة » للقاضي النعمان تحقيق اسماعيل قربان بوناوالا ص ١٩٤ معهد الدراسات الاسلامية بجيل - مونتريال، كندا.

ثم لتقوية هذه الأسطورة وتأكيدها ينسجون حولها الأباطيل، ويركبون العبارات وينثرونها هنا وهناك في كتب الظاهر أي الكتب التي تكتب لعامة الناس للتدليل والاستناد والاستشهاد، مثل مقولة احدى نساء المهدي في (المجالس) وغيرها من العبارات الأخرى التي تعارض هذه وتناقضها، وليس القصد من وراء ذلك إلا تضليل الباحث والقاصد لتحرى الحقيقة والمعترض أيضاً، حيث يجرى الواحد خلف الأوهام ويذهب الأخر وراء الخيال ثم لا يصل إلى نتيجة.

وخير مثال لهذا ماحصل للباحثين الجدد من المسلمين والمستشرقين والمؤرخين الآخرين من الاسماعيلية وغيرهم مثل حسن ابراهيم حسن الذي أفرغ كل ما كان في جعبته في كتابه الأول (الفاطميون في مصر) الذي حصل به على شهادة الدكتوراه بجامعة لندن.

لاثبات نسب المهدي إلى البيت العلوى ولكنه هو نفسه انقلب على عقبيه في كتابه (عبيد الله المهدى)، ولم يقصر فيه لاثبات أن المهدى من أبناء القداح ولكن محمد القائم بأمر الله ـ ابنه ـ ينتمى إلى البيت العلوى.

وكذلك ما حصل للمستشرق برنارد لويس في كتابه (أصول الاسماعيلية) الذي هو الآخر أخذ عليه شهادة الدكتواره من جامعة لندن حيث صرف جهوده الجبارة لتغليط نسب المهدي وتصحيح نسب القائم بفكرة التبنى الروحي معرضاً عن حشد الروايات والحوادث التاريخية التي تخالف ذلك.

ومن المحاولات الفاشلة أيضاً والسفر الطويل الشاق العريض في متاهات هذا التيه الذي لم يزد في طوله وعرضه إلا عن قصد من دهاة الإسماعيلية محاولة « برنس مامور » الذي سوّد أكثر من مائتين وخمسين صفحة لاثبات ما لا يثبت ـ ودونه خرط القتاد ـ جعل القداح واسماعيل شخصية واحدة متشبثا ببعض العبارات التي لم تدوّن في الكتب الاسماعيلية إلا لهذا الهدف والغرض، والتي سنذكر بعضها أيضاً في آخر المبحث.

وكـذلك تـدليـلات أيـوانـوف المتحمس شـديـد التحمس للدفـاع عن الاسماعيلية ونسبهم والمعيّن لمثل هـذا الغرض والمـطلب لم يأت بشيء جـديد فاصل يفصل بين الحق والباطل.

فهذه هي بعض الثمرات لتلك البذور التي بذرت من قبـل الاسماعيليـة أنفسهم للتضليل والتمويه والتزوير.

وهذا مع معرفة الاسماعيلية القدامى وكبار دعاتها وزعـمائها وقـادتها حق المعرفة بأن المهدي وورثته من بعده لم يكـونوا من البيت العلوى، بـل عكس ذلك كانوا أبناء القداح، اضافـة إلى ذلك بـأنه لم يكن هنـاك أي تفريق بـين نسب المهـدي ونسب القائم بـأمر الله حيث أن الـواحـد منهـما كـان من بيت والآخر من بيت آخر.

ولذلك لا نجد أحدا من المتقدمين من أهـل السنة وغـيرهم من مؤيدي النسب العلوى لهؤلاء ومنكريه من يفـرق بين هـذا وذاك، بل الـذين أنكروا صحة نسبهم إلى بني فاطمة انكروا المهـدى وأولاده من القائم إلى آخـر من ورث منهم الحكم مثـل ابن رزام وأخي محسن، والبـاقـلاني، والهمـداني، والبغـدادي، وابن كثـير، والـذهبي، وابن حجـر، والسخـاوى وغيـرهم الكثيرون.

وأمـا الـذين أيـدوا نسبهم إلى البيت العلوى من ابن الأثـير، وابـن خلدون، والمقريزي كذلك لم يفرقوا بين نسب المهدي ونسب غيره من أبنائـه وأحفاده،

ثم لو كان هناك شيء من ذاك لصرح بذلك واحد من الاسماعيلية الذين تصـدوا للرد على الـطاعنين في النسب بـأن مـطاعنكم لا تـرد إلا في المهـدي وحده، وأما البقية من القائم إلى آخر من تولى الحكم فلا ترد فيه.

وأكثر من ذلك وأطرف أن مسألة الطعن في النسب لم يشتـدّ وطيسها إلا أيام المعزو العزيز والحاكم، كما لم يكن هدفها إلا هؤلاء، لا المهدي.

ثم هؤلاء في الرد عليهم لم يكونوا يسردون نسبهم إلى القائم فحسب، بل كانوا يسردونه إلى المهدى، ولم يكن يحصل السكوت والاعراض عن ذكر الأسماء إلا بعد المهدي، لا قبل المهدى.

وإن الحسن الأعصم القرمطي لم يتهم المهدى وحده بأنه من أولاد القداح، بل اتهم المعز بأنه هو من أبناء القداح، لا من أبناء اسماعيل بن جعفر.

كما كان اعتراض حمدان القرمطي على المهدي نفسه.

وقصدنا من ذلك أن هذه المسألة لم تكن خلافية بين الناس في العصر الذي تغلبّ المهدي فيه على المغرب، وأيام تملك الاسماعيلية مصر وغيرها من البلاد بأن هناك أدنى شبهة، وأضعف شك بأن القائم ليس من أبناء المهدي أو هو من أسرة، وهؤلاء من أسرة أخرى.

وكذلك مسألة التبنى الروحي، فان المستشرق برنارد لويس لم يفهم المطلوب والمفهوم منه(٩٨).

كما لم يفهم قبله ماسنيون(٩٩).

لأن معنى (سلمان منا أهل البيت) لا يقصد منه أنه ينسب حيث الحسب والنسب إلى محمد الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ولم يفهم أحد هذا ممن سمعه من النبى ولا من خلف بعدهم من العرب وحتى اليوم.

فالكل يعلم أن سلمان فارسى، وله حسبه ونسبه، وإلى آبائه ينسب، وأسماؤهم تذكر عند الحاجة والبيان، وأن القصد منه فقط التشريف والتكريم، أي ألحق بآل البيت حيث الاحترام والاجلال،

وكذلك التلميذ حينما يذكر نسبه لا ينسب إلى المعلم والمرشد والاستاذ، بل كل ينسبه إلى من ولد في فراشه. ولا يوجد من بين العرب شخص، ولا

---

(٩٨) انظر كتابه «أصول الاسماعيلية» ص ١١٧ ومابعد ـ ترجمة عربية.

(٩٩) انظر كتابه «سلمان پاك» ص ١٦ ومابعد.

في اللغة العربية مثال بين واحدا من الناس نسب إلى معلمه واستاذه ومرشده عند بيان النسب والحسب.

وأكثر من ذلك أن الله منع في كلامه عن نسبه المتبني لمن يتبناه عند ذكر النسب، مع أن التبنى الجسماني أحق وأجدر أن لا يذكر فيه الأب الحقيقي.

وعلى ذلك كان المسلمون عندما يذكرون زيداً كانوا يذكرونه زيد بن حارثة، وعندما كانوا يريدون نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: حبّ النبى.

فعلى ذلك نسبة التشريف غير نسبة الحسب والنسب فاذن استنتاج لويس، وقبله ماسنيون ليس باستنتاج مبنى على العمق في الموضوع ومعرفة أسلوب العرب.

وأعرب من ذلك تدليل حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف على التبنى الروحي من رشيد الدين فيما نقله في كتابه (جامع التواريخ) عن انتساب عبد الله القداح إلى محمد بن اسماعيل حيث ادعى ميمون أنه ابن روحاني للامام محمد هذا، وأنه الوارث الحقيقي لمحمد بن اسماعيل في امامته، وأن الاسماعيلية لم يعارضوه في دعواه هذا(١٠٠).

مع أن الاستاذين يعرفان بأن لا علاقة له بالموضوع حيث أن هناك فرقاً كبيراً أن يقال في شخص بأن فلان ابن فلان ابن روحاني لفلان. و(بين أن فلان بن فلان).

ولا أدرى ما الذي حرض الاستاذ حسن ابراهيم حسن، والاستاذ طه أحمد شرف ـ وهماهما ـ أن يأتيا بهذا الدليل الذي هو مناقض لتدليلهم. ومخالف لاستدلالهم حيث أن رشيد الدين يصرح بأن عبد الله الابن الروحاني لمحمد بن اسماعيل هو الابن الحقيقي لميمون القداح

---

(١٠٠) انظر كتاب « عبد الله المهدى » ص ٨٠ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

ثم زيادة صفة الروحاني ألا تدل على أن الزيادة لها مفهوم غير المفهوم الحقيقي الأصلي. لعله من حرصهما على أن يضيفا شيئاً آخر إلى ما قاله برنارد لويس، وقبله ماسنيون، وقد قيل قديماً : بناء الفاسد على الفاسد فاسد.

وأما قول مامور فلا عبرة به حيث جانب الصواب، . وابتعد عنه كل البعد، فانه تورط فيها تورط من بعض العبارات الاسماعيلية مثل ما نقل النعمان عن المعز في مجالسه أنه أرسل اليه كتاب ذكر أنه الامامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح فقال : « نعم، إن صاحب الحق لهو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحكمة وموري نور الحكمة »(١٠١).

وغيرها من عبارات نرى أنها لم تركب، ولم تختر، ولم تنشر في الكتب، ودوّنت فيها إلا عن عمد وقصد لتضليل الناس والضحك على عقولهم.

وإلا فمحاولة مامور ليست إلا محاولة فاشلة في جعل الميمون ومحمد بن اسماعيل شخصية واحدة(١٠٢).

حيث أن ميمونا قد ثبت وجوده تاريخياً في المصادر السنية والشيعية، حتى الاسماعيلية منها أيضاً، وقبل أن نبدى رأينا الأخير في هذا الموضوع الخطير الذي له أهميته الكبرى في مبحثنا هذا وخاصة في كتابنا الذي لم نكتبه إلا لبيان عقائد القوم أكثر من بيان تاريخهم، ولو أنه قد طال الكلام في هذا نريد أن نذكر ما قاله المستشرقون في هذا الخصوص.

---

(١٠١) « المجالس والمسايرات » للنعمان القاضي ص ٤١٠، ٤١١،
(١٠٢) أنظر (OLEMICS,78)

آراء المستشرقين

مع أننا تطرفنا إلى ذكر البعض وآرائهم تطرقاً طفيفاً نسرد هنا ما قاله هؤلاء في هذا الموضوع مع التنبيه ولفت أنظار القراء والباحثين أننا لا نعطي أهمية كبيرة لما يقوله المستشرقون في مثل هذه المباحث عربية المصادر اسلامية المواضيع حيث أننا نعدّه سلعة المفلس والفقير، وأسلحة المدلس والضعيف، مع الاعتراف لجهودهم المبذولة في طبع ونشر كتب التراث القديمة، وخاصة كتب التاريخ والفرق منها، أما استنتاج الآراء واستنباط الأحكام في مسائل شتّى من كتب تراثنا الموجودة فلا نرى الاعتماد عليها كثير أو جعلها دليلاً للصدق ومعياراً للحق في وقت كثرفيه التأثر والانفعال، وزاد فيه الانقياد والتسليم لكل ما يأتي من الغرب بين الشرقيين، مع فشل الغرب والغربيين، وظهور افلاسهم، وغروب بريقهم المزوّر ولمعانهم المزيّف، وعلى ذلك يرى قارىء كتبنا أننا نادراً ما نذكر كلام أحد المستشرقين للاستناد والاستشهاد أو نبنى الحكم على آرائهم ومقولاتهم.

وبعد هذا التنبيه الجدير بأن ينتبه إليه الباحثون، نقول : إن الأكثرية الساحقة من المستشرقين الذين تناولوا موضوع الاسماعيلية أو القرامطة أو الدروز بالبحث والكتابة أنكروا نسب الأئمة الاسماعيلية إلى البيت العلوى، وصرح كثير منهم بأنهم لا ينتسبون إلا إلى القداح وأولاده، بيد أن هناك

البعض منهم عارضوا هذا الرأى. وصححوا نسبهم إلى بنى فاطمة وردّوا على من ينكر ذلك.

وعلى رأسهم المستشرق الروسي ايوانوف(١٠٣) الذي وقف حياته كلها لنشر الكتب الاسماعيلية والبحث عنها وللدفاع عن الاسماعيلية، والرد على التهم التي يوجهها اليهم الآخرون من المسلمين أو المستشرقين، والذي اشتغل مدة طويلة وخاصة أواخر أيامه في الجميعة الاسماعيلية ببومبى بالهند، فان ايوانوف هذا خصص كتابين مستقلين للبحث والمناقشة في مسألة نسب الفاطيميين أولها (RISE OF THE FATIMIDSI وثانيها THE ALLEGED FOUNDEROF ISMAILISM).

وخلاصة ما جاء فيهما :-

أولاً : أن نسب المهدي الاسماعيلي إلى بنى فاطمة نسب صحيح.

ثانياً : وأن ميمون القداح وولده عبد لله لم يكونا زنديقين، بل كانا من فقهاء الشيعة الورعين، ومن تلامذة محمد الباقر وابنه جعفر الصادق، وقد أطال الكلام في اثبات هذا في كتابه (THE ALLEGED FOUNDER OF ISMAILISM).

رابعاً : كان من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقيبة، ولذلك حصل الاشتباه بينه وبين عبد الله بن ميمون القداح.

خامساً : انه لم يكن أحد من أبناء القداح مستودعاً للامام لأن مثل ذلك النظام لم يكن موجوداً في وقتها.

سادساً : أن الأئمة الاسماعيلية كتموا نسبهم خوفاً من أعدائهم، وحتى أيام تسلطهم على بلاد المغرب ومصر والبلاد الشرقية أيضاً، وأنه كان هذا الاخفاء لأمرين : .

---

(١٠٣) المستشرق الروسي الكبير (W. IVANOW)، له مؤلفات كثيرة حول الاسماعيلية سواء ألفها هو أم حقق كتب الاسماعليين، ومن أشهر مؤلفاته ,(IBN AL QADDAH)
(RISE OF THE FATIMEDS) TE ALLEGED FOUNDER OF ISMAILISM).

أ ـ أن عهد الستر في رأي الاسماعيلية هو أمر مقرر من الله فلا ينبغي كشف هذا العهد.

ب ـ انهم كانوا يخافون من البلدان المجاورة المعادية لهم لكى لا يلحق الضرر بأقاربهم وذويهم.

فهذه هى خلاصة ما قاله ايوانوف المدافع الكبير والمحامي المتحمس للاسماعيلية ولكنه كما يظهر أن هذه التدليلات كلها تدليلات واهية سخيفة، لا تنهض لاثبات نسب المهدي الاسماعيلي وأولاده إلى بنى فاطمة.

ثم فيها من التعارض ما لا يخفي على باحث متبصر ومحقق بصير حيث أن ايوانوف ينفي نسبهم إلى البيت القداحى، ثم يبرىء ساحة القداحيين من الالحاد والزندقة، وهذا في نفسه يدل أن في الأمر شيئاً لأنه لو لم يكن هذا لما احتاج إلى اثبات اسلامهم وورعهم وتقواهم. وتتلمذهم على الباقر وجعفر بن الباقر.

ثانياً : أن تدليل ايوانوف بأن من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقيبة، واسناده إلى الداعى الاسماعيلي ادريس عماد الدين ليس إلا تدليلاً ضعيفاً أيضاً حيث أنه لم يثبت هذا في كتاب اسماعيلي آخر بأنه كان من ألقاب عبد الله بن محمد بن اسماعيل الميمون النقيبة.

وأكثر من ذلك أن وجود عبد الله من أبناء عبد الله بن محمد بن اسماعيل أيضاً أمر مشتبه ومشكوك فيه كما ذكرنا سابقاً بأنه لم يكن من أبناء محمد بن اسماعيل أحد سمى بهذا الأسم.

ومن الغرائب أن ايوانوف يعتمد على الداعي ادريس في اثبات لقب الميمون لعبد الله بن محمد بن اسماعيل، ولا يعتمد عليه في مسألة المستودع والمستقر، كما أنه لا يلتفت إلى ما ذكره هذا الداعى في كتابه (زهر المعاني) مما يؤيد كون المهدي الاسماعيلي غير الفاطمي.

ثالثاً : ومن الغرائب أيضاً أن ايوانوف ينكر مبدأ استيداع الامامة واستقرارها بحجة أنه لم يكن هذا النظام موجوداً في ذلك الوقت مع أنه مع

كثرة اعتنائه بالكتب الاسماعيلية لم يعرف بأن هذه النظرية ثابتة موجودة في الكتب الاسماعيلية القديمة منها والحديثة، ولقد أقرّ بذلك الاسماعيليون وأئمتهم، وحتى دريس عماد الدين ذكر ذلك أيضاً، كما ذكره الكثيرون الآخرون كما ذكرناه فيما مرّ.

ومن أهم من أقر بهذا المبدأ هو الامام الاسماعيلي المعز لدين الله نفسه كما نقل عنه النعمان القاضي في رواية طويلة ورد فيها :

« زعم أن الامامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح، وإلى فلان وإلى فلان ـ لقوم ذكرهم من أفناء الناس ـ ثم جعل (ﷺ) يتعجب من هذا القول وقال : فاذا كان ذلك كذلك فقدا نقطع السبب . . . من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قبل غيرنا وصاروا أحق به منا، ولن يجعل الله (عز وجل) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتصلة إلا مستودعا عندهم غير مستقر فيهم إلى أن يستحق ذلك مستحقه فيأخذه من أيديهم »[١٠٤].

وقد أوردنا هذه الرواية كاملة فيما سبق ونعرض عن ايرادها مرّة أخرى تجنّبا للتكرار.

رابعاً : وأخيراً، إن تدليل ايوانوف على كتمان نسب الاسماعيلية أيام تسلطّهم على البلدان الاسماعيلية لأمرين لتدليل أضعف وأوهى من بيت العنكبوت، وإن أوهى البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

١ ـ وأيّ أمر هذا، ومن قال به، وأين نقل ؟

وفي مثل هذا يقال : إن الشاهد أحرص على الدعوى من المدعى وألسن منه.

ب ـ وأيّ ضرر كان يخافه الاسماعيلية من البلدان المجاورة المعادية لهم بعد افصاحهم عن حقيقة نسبهم ؟.

---

(١٠٤) « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان ص ٤١٠.

وأي خوف كان منهم على أقاربهم وذويهم ؟

وهذا مع ادعائهم المجاهر بأنهم من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر مع معرفة أن كثيراً من العلويين كانوا يعيشون في البلدان التابعة للخلافة العباسية كما أن العديد من أبناء محمد بن اسماعيل كانوا يعيشون تحت كنف ورعاية الدولة العباسية ولم يتعرض لهم أحد بسوء، بل عكس ذلك أنهم هم الذين ردّوا على اسماعيلية المغرب ومصر ادعاءهم بأنهم من البيت الفاطمي من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر، وممن أنكروا عليهم نسبهم من أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر أخو محسن، وابن طباطبا أيضاً وغيرهما.

وبهذا كله يثبت بأن تحمس ايوانوف وتدليلاته لاثبات نسب الاسماعيلية إلى البيت الفاطمي العلوى لم يكن لها أصل ولا أساس حيث أن المستشرقين الآخرين الكثيرين مثل دى خويه، وفان هامر، ودوزى، وغيرهم قد جعلوا أكبر دليل على كون المهدى وأبنائه من البيت القداحى سكوتهم وصمتهم عن ذكر الأئمة المستورين من آبائهم الذين يربطونهم مع محمد بن اسماعيل.

هذا بالنسبة للمستشرق ايوانوف.

ويقول البروفسور نيكلسن : إن الدولة الفاطمية كانت نتيجة المؤامرة القداحية ضد الإسلام والمسلمين وأبناء القداح هم الذين أقاموا صرح هذه الدولة(١٠٥).

وبمثل ذلك قال دوزى بأن الأئمة الاسماعيلية لا يثبت نسبهم إلا إلى عبد الله بن ميمون القداح (١٠٦).

ورأى وستنفلد لايختلف عن رأيهما (١٠٧).

وكذلك عند ماسنيون الخلفاء من نسل ميمون القداح(١٠٨).

---

(١٠٥) NICHOLSIN : LITERARY HISTORY OF THE ARABS, P. 271-272.

(١٠٦) DOZY : HISTOIRE DES MVSULMANS D'ESPAGNE, VOL. 1. P.8.

(١٠٧) Geschichte der Fatimiden. P.14,15.

(١٠٨) انظر مقدمة أصول الاسماعيلية ص ٨٠.

ويقول جويدى : إن الخلفاء الفاطميين هم أحفاد عبد الله بن ميمون[١٠٩].

وكذلك كاتر ميرو، وكويارد ينكرون نسبة الاسماعيلية إلى الفاطميين[١١٠].

فهذه هي آراء بعض المستشرقين في الموضوع غير من ذكرناهم سابقاً.

---

(١٠٩) أيضاً ص ٨١.
(١١٠) أيضاً ص ٧٩.

الرأى الأخير

نحن نعتقد أن مامرّ فيه الكافية للوصول إلى الحكم في هذا الموضوع ولكن زيادة للايضاح، وبيانا للحكم الفاصل القاطع نبدى فيه رأينا الأخير.

أولاً : إن نسب المهدي إلى بنى فاطمة ليس بصحيح، وأنه ينتمى إلى البيت القداحى بدون أدنى شك ولا ارتياب.

ثانياً : إن القائم بأمر الله ابنه الحقيقي، ومن خلفه بعده هم كلهم من أولاد المهدي، ومن ثم أولاد القداح،

ثالثاً : إن ذكر البيت العلوي ونسبتهم إلى بني فاطمة لم يكن إلا لكسب عواطف الناس أيام المهدي لنجاح ثورته، وأيام أولاده بعده لاخماد الثورات التي تقوم هنا وهناك، ولاقناع الشعوب المسلمة بأن الامامة والخلافة حق متوارث لهم لكونهم ذرية النبي وعليّ.

رابعاً : إن الشعب المسلم المغلوب على أمره في المغرب العربي، ومن بعده في مصر وبلاد الشرق كانوا يعرفون ـ وبتعبير صحيح المثقفون منهم والعلماء ـ بأن نسبتهم إلي اسماعيل بن جعفر، ومنه إلى فاطمة وعليّ نسبة غير صحيحة، كما أن قادة الاسماعيلية وزعماءها، ودعاتها وأقطابها، ومفكريها كانوا يعرفون هذا الشيء حق المعرفة، وخاصة المتقدمين منهم، كما أنه الأئمة الاسماعيلية أنفسهم كانوا على علم بذلك.

وكـذلك الشعـوب المسلمة الأخـرى في البلاد غـير المغلوبة من قبلهم، وقادتهم، وحكامهم كانوا يعرفون ذلك أيضاً.

زيادة على ذلك القرامـطة اخوانهم في المـذهـب والرأى القائلون بامـامة محمد بن اسماعيل بن جعفر، والمتعاونون معهم باديء ذي بدء كانوا أكثر علما بذلك :-

بوجوه وأدلة وبراهين وحجج، منها :-

أولاً : أن الحسب والنسب لا يثبت إلا بـذكـر الآبـاء والأجـداد وذكـر أسـمائهم وبيأن إرتبـاطهم وعلاقتهم بـالـذين يـريـدون ارتبـاطهم بهم. وان المهـدى في حياتـه قبل تغلّب أبي عبـد الله عـلى المغـرب وبعـد تغلّبـه عليهـا واستـلامه الحكم لم يـذكرهم اطـلاقاً، اللهم إلا الادعـاء المحض، والنسبـة الصرفة، وايهام الناس ذلك.

ثانياً : أن واحداً من الدعاة الاسماعيليـة القدامى لم يـذكر أسـماء آبائـه بالترتيب، وبذكر الأجيـال التي تربط بينـه وبين اسـماعيل بن جعفـر حتى أبي عبد الله الشيعي الذي أقام أول دولة اسماعيلية، وتحمـل المشاق والمتـاعب، وعانى المعاناة الشديدة، وذلل الصعـاب في سبيله، بل عكس ذلـك ثبت عنه أنه أنكر على المهدي كونه من سلالة عليّ والنبى بعد مارآه وشاهد منه الأعمال غـير الجائـزة شرعياً، وغـير اللائقـة خلقاً من اتيـانه المنكـرات ولبسه الحـرير والذهب، واستباحته الحرام كما نقل الـذهبي عن الوزيـر القفطي في (سـيرة بني عبيد) أنه قال : إن أبا عبد الله الشيعي جمع مشائخ كتامة وقـال لهم فيها قال :

« والامام لا يلبس الحرير والذهب وهذا لبسهما، وليس له أنْ يطأ ألا ما تحقق أمره، وهذا قد وطيء نساء زيـادة الله، يعني : متولي المغـرب، قال : فشكت كتامة في أمره »(١١١).

---

(١١١) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ج ١٥ ص ١٤٦.

ثالثاً : ولقد ثبت في التاريخ أن أبا عبد الله الشيعي ماكان يدعو إلى الاسماعيلي في بلاد المغرب، كما أنه لم يؤسس الدولة التي أسسها باسمه، بل كانت دعوته للرضا من آل محمد، كما كانت دعوة منصور اليمن في اليمن(١١٢).

رابعاً : أن المهدي لم ينسب نفسه إلى البيت العلوى قبل وصوله إلى المغرب ولم يجسر على ذلك إلا لعلمه بعد الشقة والمسافة بينه وبين بلاده الأصلية ومقر الخلافة العباسية، وأهل تلك البلاد كانوا على معرفة تامة بالنسب العلوى وفروعه وشعوبه ومواليد هذا البيت وأولاده، أما بلاد المغرب النائية البعيدة فلم يكن فيها أحد يعرف أنساب ذلك البيت وأحسابه لعدم امكانات الاتصال وسهولة الرسل والوسائل، وخير دليل علي ذلك من الكتب الاسماعيلية أنفسها ماذكروا أن جد المهدى عبد الله بن محمد استطاع أن ينزل في سلمية بين العباسيين منتمياً إليهم، ومكث مدة طويلة لم يعرف أحد أنه ليس منهم كما ينص على ذلك الداعى الإسماعيلي ادريس عماد الدين في ترجمته بعد ذكر الحوادث والوقائع التي حصلت له ولاخوته.

ولما سمع الامام عبد الله بن محمد سلام الله عليه ماجرى على اخوته وولده، خرج من الاهواز ومعه ولده أحمد بن عبد الله الذي أهله لخلافته إلى سامرّاء، وأقام بها مدة وكتب إلى دعاته يخبرهم بسلامته، ثم أنه قصد من سامراء إلى الشام في زي التجار فنزل سلمية، وابتنى بها داراً سكنها وهو في زى التجار. وكان فيها قوم هاشميون من بنى العباس وغيرهم فانتسب اليهم، وكان فيهم وفضله بيِّن وهو بزينة التقوى متزين، تدل عليه فضائله وتظهر براهينه ودلائله، وأخفى الامام (عليه السلام) اسمه واسم ولده، ولم يعلم الدعاة في أي جهة هو، فاجتمعوا وافترقوا في طلبه(١١٣).

ومثل ذلك ذكروا عن المهدى نفسه أيضاً كما نص محمد بن محمد اليمانى : « وكان (المهدي) يعاشر قوما من أهل سلمية هاشميين من ولد

---

(١١٢) انظر « مقدمة ابن خلدون » ص ٢١ ، « وتاريخ ابن خلدون » ج ٤ ص ٣٣.

(١١٣) « عيون الأخبار » السبع الرابع ص ٣٦٥.

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان يظهر لهم أنه عباسى، قال : وكانت الأموال والذخائر تجلب من كل بلد من قبل الدعاة اليه إلى سلمية، قال : وكان الامام قد حفر سردابا فى الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية طوله اثنا عشر ميلا، وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل، وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى توضع في داخل الدار وتخرج في الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدرى به أحد. قال : وكانت الأموال عظيمة حتى يقال انه ماكسب المهدى قدس الله روحه بعد أن فتح الله له إلا نحوا مما خلف بسلمية »(١١٤).

وفي هاتين الروايتين دلالة واضحة على أن المهدي وآباءه كانوا متقلبين في الأنساب، وفي تلك الأيام لم يكن من السهل معرفة الصدق والكذب ممن ينتسب إلى قبيلة أو عشيرة وحتى أهل القبيلة أنفسهم لم يكن بوسعهم معرفة حقيقة من ينتمى اليهم، وينزل فيهم من البلدان البعيدة.

فكيف من ينزل في المغرب الذي لم يكن فيه أحد من بنى فاطمة من أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق، يتبين الكذب من الصدق ويسأل ممن ينتمى إلى بيته وعشيرته، فكان كذلك من أن وصلت الأخبار إلى البلاد التي فرّ المهدى منها إلا وعرفه الناس وعرّفوا الآخرين حقيقته وحقيقة انتسابه إلى البيت العلوى.

خامساً : وأغرب من ذلك كله أن في نسب المهدي انقطاعا حسب تصريحات الاسماعيلية أنفسهم حيث أنهم يذكرون أن أحد آباء المهدى اختفى من دعاته وحججه، وفقد من بين أشياعه وأتباعه فلم يعرفه أحد، ولم يهتد إليه أحد، وتفرق الدعاة في طلبه فوجده أحدهم بعد مدة طويلة وتفقد شديد ولم يكن قد رآه من قبل فأخبربه أصحابه، وقد مرّ ذكر هذا فيما سبق(١١٥).

---

(١١٤) « سيرة الحاجب جعفر » ص ١٠٨.
(١١٥) انظر كتاب « استتار الامام » ص ٩٤.

ومن يدري أنه كان هو المفقود أو أحداً غيره ؟

سادساً : إن أقدم المؤرخين الاسماعيليين، الذي عاصر المهدي وعاشره، وثلاثة من أولاده الحكام بعده النعمان بن محمد المغربي القاضي، الذي كتب كتبا كثيرة لبيان الوقائع والأحداث التي حصلت للمهدي في سبيل التغلب على بلاد المغرب وانتشار دعوته في الآفاق، مثل (افتتاح الدعوة) و(شرح الأخبار) غير ماكتبه في العقائد الاسماعيلية والفقه الاسماعيلي لم يذكر صراحة ولا كناية آباء المهدي وأسماءهم ولا عدد الأجيال التي تفصل بينه وبين اسماعيل بن جعفر مع الحاجة الماسة والاحتياج الشديد إلى ذكر ذلك لأنه قد حصل ما حصل من شك في نسب المهدي وكونه من البيت العلوي لابداء الريب والشك من قبل أبي عبد الله الشيعي وأخيه الأكبر أبي العباس الذي هو أخلص المخلصين للمهدي، والمنقذين اياه من الهلاك وموصليه إلى سدّة الحكم والملك، واظهار بعض مشائخ كتامة ماخامر قلوبهم أيام القائم بأمر الله في قضية الامامة والخلافة ولاثبات موقف الاسماعيلية في أحقية الامامة للفاطميين، ونقض موقف أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الأخرى، المعتزلة والخوارج والمرجئة وطوائف الشيعة الأخرى غير الاسماعيلية، ذكر في هذه الأرجوزة أئمة الاسماعيلية بعد على رضى الله عنه واجدا واحدا إلى جعفر الصادق بالترتيب كما ذكر المهدي الاسماعيلي وابن المهدى محمد القائم بأمر الله لكنه لم يستطع أن يذكر فيها بعد جعفر الصادق آباء المهدي وأسماءهم، الذين يربطون المهدي بجعفر وليس هذا فحسب، بل صرح واعترف بعدم استطاعته ذكرهم (كي لا يكشف الأمر الذي كان مكشوفاً) فقال تحت عنوان (ذكر استتار الأئمة بعد جعفر بن محمد صلوات الله عليه) :

« واشتدت المحنة بعد جعفر	فانصرف الأمر إلى التستر
وكان قد أقام بعض ولده	مقامه لما رأى من جلده
فجعل له الأمر في ستر	فلم يكن قالوا بذاك يدرى
لخوفه عليه من أعدائه	إلا ثقات محض أوليائه

وأهله الذين قد كانوا معه ... فقام بالأمر، وقاموا أربعة
لما مضى كلهم لصلبه ... مسترين بعده بحسبه
قد دخلوا في جملة الرعية ... لشدة المحنة والرزية
وكلهم له دعاة تسرى ... ودعوة في الناس كانت تجرى
يعرفهم في كل عصر وزمن ... وكل حين وأوان، كل من
والاهم، وكل أوليائهم ... يعلم ماعلّم من أسمائهم »(١١٦)

ولسائل أن يسأل : مادام أولياء الأئمة وأتباعهم كانوا يعرفونهم في كل عصر وزمان، وفي كل حين وأوان أما كانوا يعلمون أسماءهم أيام المحنة والشدة وأيام الخوف من الأعداء، مع أننا لا نقر أن خوف الأعداء كان يجبرهم على التخفي والتستر إلى هذا الحد لأن هناك كثيراً من العلويين كانوا يعيشون في الدولة العباسية ظاهرين، مجاهرين لنسبتهم إلى البيت العلوى حتى أئمة الاثنى عشرية لم يكونوا يخفون أسماءهم ونسبهم وسكناهم، وتنقلهم في البلاد، واتصالهم بأتباعهم وأشياعهم، والقاءهم الدروس والتعاليم لتلاميذهم، وارشادهم لمريديهم إلى مايرونه صحيحاً وصالحاً حسب روايات الشيعة.

وكذلك الأئمة الاسماعيلية أنفسهم كانوا على اتصال دائم مع دعاتهم ومتبعيهم، وكان يجلب اليهم الأموال من الصدقات والزكاة ومن الهدايا والنذور كما مرّ ذلك بالتفصيل فيما سبق من الباب الأول في هذا الكتاب.

فمع أن هؤلاء كلهم كانوا يعرفون أسماء هؤلاء الأئمة مع مسمياتهم فلماذا لا يذكر النعمان القاضي أسماءهم.

أخوفا من الفضيحة والاكتشاف ؟ لقرب العهد ومعرفة الجميع أولاد جعفر بن محمد بن اسماعيل حفيده، وأسماءهم وفروعهم وبطونهم.

(١١٦) « الأرجوزة المختارة » لنعمان بن محمد المغربي القاضي ص ١٩١.

أو لعلمهم أسماء آباء المهدي الحقيقيين وشخصياتهم، وبيتهم الذي ينتسبون إليه وولدوا فيه ؟

أما ماذا ؟

ثم ما معنى قول النعمان بعد ذكر هذا كله متصلا :

« ولم يكن يمنعني من ذكرهم إلا احتفاظي بمصون سرهم
وليس لي بأن أقول جهرا ماكان قد أدى إلى سرا
وهم على الجملة كانوا استتروا ولم يكونوا اذ تولوا ظهروا
بل دخلوا في جملة السواد لخوفهم من سطوة الأعادى
حتى اذا انتهى الكتاب أجله وصار أمر الله فيمن جعله
بمنّة مفتاح قفل الدين أيّده بالنصر والتمكين
فقام عبد الله وهو الصادق مهدينا صلى عليه الخالق
... فدان أهل الغرب بالطاعات له، وبالمشرق في الجهات ....
ولم يزل مظفرا مؤيداً بالعز منصورا على من اعتدى
حتى أداخ كل غاو ناصب وافتتح الشرق مع المغارب »[117].

فأىّ سر يمنعه من ذكرهم بعد انتهاء أجل الكتاب، وبعد النصر والتمكين وظهور المهدي وتملكه بلاد المغرب وبلاد المشرق، وبعد قتله وفتكه بأعدائه من أهل السنة (المعبر بهم بالناصب) وغيرهم من المخالفين ؟

ثم الزمان زمان القائم، أي الزمن الذي رسخت فيه قواعد الحكم الاسماعيلي واستقلت دولتهم بعيدة عن تناول العباسيين من جانب، ومن الأمويين من جانب آخر.

فأىّ سرفى سرّية أسماء آباء المهدي غير الخوف من افتضاح الأمر واكتشاف الحقيقة ؟

---

(١١٧) « الأرجوزة المختارة » ص ١٩٢ ومابعد.

ثم أكثر من ذلك أن النعمان القاضي الذي عاش بعد هذا مدة طويلة وشاهد انتصار الاسماعيلية على مخالفيهم ومناوئيهم، وتغلّبهم على البلاد الشرقية، ودخول المعز مصر مظفراً منصوراً وهو في رفقته، وتوسع سلطانه إلى البلدان الأخرى، لم يذكر في كتاب مامن كتبه الكثيرة التي كتبها بعد (الأرجوزة) و (افتتاح الدعوة) و (شرح الأخبار) وغيرها من الكتب آباء المهدي ولا أسماءهم مع تكرار ذكره في الكتب التي كتبها أيام المعز أبا المعز وجدّه وأبا جدّه وأسماءهم إلى المهدي مع ضرورة ذكر آباء المهدي آنذاك حيث أن الناس وخاصة الأشراف منهم بنو اسماعيل بن جعفر كانوا قد بدأوا يتطاولون على نسب المعز الخليفة والامام الاسماعيلي وآبائه.

وهذا أكبر دليل على أن الأمر فيه ما فيه.

ولا يخدعن أحد بقول من يقول: إن هذا الأمر كان فيه الأسرار الاسماعيلية التي لا يجوز أن يعرفها أحد وفقاً لحكمة آلهية لا يجوز خرقها(١١٨).

لو كان الأمر كذلك فكيف جاز بوحها وخرقها للآخرين من بعد النعمان؟

ولا يخفي على أحد ما فيه من ركاكة التعليل وضعفه.

سابعاً: إن انتقاض حمدان قرمط على المهدي وقطع علاقته معه وانفصاله عن الاسماعيلية، ثم اعتراف المهدي أمام مرسوله عبدان من كونه قداحياً لخير دليل على أنه لم يكن منْ العلويين، وقد أورد هذه القصة بكاملها النويرى في كتابه (نهاية الأرب) حيث يقول:

« وكان قرمط، يكاتب من بسلَمْيَة من الطواغيت فلما توفّي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قُرْمُط كتابا، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه، وتبيّن فيه ومنه ألفاظا قد تغيّرت، وشيئاً ليس هو على

(١١٨) انظر كتاب ايوانوف Rise of the Fatimids P.128

النظام الأوَل، فاستراب به وفطن أنَ حادثة حدثت، فـأمر قـرمط ابن مليح - وكان داعيا من دعاته - أنَ يخرج فيتعرف الخبر، فامتنع عليه واعتـذر، فأنفـذ من أحضر عبدان الداعية من عمله، فلما حضر أنفذه ليتعـرف ما حـدث من هذا الأمر، ويكشف عن سبب تغيّره، فسار عبدان لذلك، فلما وصل عُـرّف بموت الطاغية الذي كانوا يكـاتبونـه، فاجتمـع بابنـه وسألـه عن الحجّة ومَنْ الامـام بعده الـذى يدعـو إليه، فقـال الابن : ومَنْ الإمام ؟ قـال عبـدان : محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو إليه، وكان حجّته، فأنكـر ذلك عليـه وقال : محمـد بن إسماعيـل لا أصل لـه، ولم يكن الإمـام غير أبي وهـو من ولد ميمـون بن ديصان، وأنـا أقوم مقـامه، فعـرف عبدان القصة واستقصى الخـبر وعلم أنَ محمد بن إسـماعيل ليس لـه في الأمر حقيقة، وانما هو شيء يحتالون به على الناس وأنـه ليس من ولد عقيـل بن أبي طالب، فرجع عبدان إلى قـرمط فعرّفـه الخبر، فـأمر قـرمط أن يجمع الـدعاة ويعـرّفهم صورة الأمـر وماتبـين منه، ويقـطع الدعـوة، ففعل عبـدان ذلـك وقطعت الدعوة من ديارهم، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم، لأنها كـانت قد امتدّت في سائر الأقطار وامتدّ شرها، وقطعت الـدعاة مكـاتبة أصحـابهم الذين بسلَمْيَةَ

وكان رجل من أولاد القدّاح قد نفـذ إلى الطالقـان يبث الدعـاة، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره إلى الطالقان، وكان الـدعاة يكـاتبونـه، فلما انقـطعت المكـاتبـة عن جميـع أولاد القـدّاح قـطعت عن هــذا الـذي بـالطالقـان، فطال انتـظاره، فشخص عن الطالقـان ليقصد قـرمط، وكـان قرمط، قد سار إلى كَلوْاذَى، فلما وصل إلى كلواذى سأل عن قرمط، فعـرف أنّه انتقل فلا يُدري أين مضى ومـا عرف لقـرمط بعد ذلـك خبر، ولا عُلمت وفاته ولا ما اتفق له، فقصد ابن القدّاح سـواد الكوفـة، فنزل عـلى عبدان، فعتب عليـه وعلى جميـع الدعـاة في انقطاع كتبهم عنـه، فعرّفـه عبـدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لا يعودون فيها وأن أباه كان قـد غرّهم وادعى نسبـه من عقيل بن أبي طالب كذباً ودعا إلى المهدي، فكنّا نعمل عـلى ذلك، فلما تبينـا

أنّه لا أَصْل لذلك، وعرفا أن أَبـاك من ولد ميمـون بن ديصان وأنّـه صاحب الأمر، تُبْنا إلى الله تعالى مما تحمَّلناه، وحسبنا مـا كفرنـا أبوك فـتريد أن تـردّنا كفارًا ؟ ! انصرف عنا إلى موضعك »[119].

هذا وقد تكرر هذا الحادث في خلف حمدان قـرمط وهو الحسن الأعصم لخلف المهدي المعز لدين الله حيث لعن المعز على منبر دمشق وأباه، وقال:

هؤلاء من ولـد القداح، كـذابون، مخـترقون، أعـداء الإسلام، ونحن أعلم بهم، ومن عندنا خرج جدهم القداح.

ثامناً: احتراز المعز لدين الله عن بيان نسبه وذكر آبائه، ولجوؤه إلى سيفه وذهبه حين دخوله مصر وسؤال ابن طباطبا الشريف العلوي يؤيد عجزه عن اثبات نسبته هو وآباؤه من قبل إلى بني فاطمة.

هـذا ولا أدري كيف جاز للدكتـور حسن إبراهيم حسن أن يـردّد رواية ابن خلكان هذه بقوله:

«وقد أنكر دي سلان (De Slane) بالدليل صحة هذه الرواية لأن المعز لما وصـل إلى مصر سنـة ٣٦٢هـ (١٩٧٢م) كـان ابن طبـاطبـا قـد مـات سنـة ٣٤٨هـ (٩٥٩م) أي قبل أربع عشرة سنة»[120].

مع أن ابن خلكان نفسه قد ذكر ذلك ثم بـيَن بأن صـاحب الواقعـة مع المعز كان ولد ابن طباطبا.

وصرح أيضا أن صاحب هذه الواقعـة هو الشريف أبـو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني، أو الشريف أبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني[121].

---

(١١٩) «نهاية الأرب للنويري» جـ ٢٥ ص ٢٣٠ ومابعـد، ط الهيئة المصريـة العامة للكتاب ١٤٠٤ هـ.

(١٢٠) انظر «الفاطميون في مصر» و «تاريخ الدولة الفاطمية» ص٦٣.

(١٢١) انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ص٣٧٠.

يعني أن الواقعة قد حصلت لاشك في حصولها ولكن الشك في صاحب الواقعة أهو فلان أم فلان.

تاسعاً: أن كون المعز وآبائه من أولاد القداح كان فاشيا منتشرا بين الناس حتى الدعاة الاسماعيلية أنفسهم كما ذكر النعمان في مجالسه أن أحد الدعاة أرسل كتاباً إلى المعز:

«وكان فيما رأيت في هذا الكتاب أن زعم له فيه أن الإمامة انتقلت عن بعض الأئمة إلى ميمون القداح وإلى فلان وإلى فلان ـ لقوم ذكرهم من أفناء الناس ـ ثم جعل (ﷺ) يتعجب من هذا القول وقال: فإذا كان ذلك كذلك فقد انقطع السبب ـ ونعوذ بالله ـ من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قبل غيرنا وصاروا أحق به منا. . . ثم قال: نعم، إن صاحب الحق هو الميمون المبارك سعيد قادح زناد الحكمة موري نور الحكمة، فإن ذهب من ذهب إلى هذا فنعم»[١٢٢].

وهذه العبارة واضحة في معناها، جلية في مفهومها، وحجة قوية على المعز، لم يستطع نفي من نسبه إلى ميمون القداح إلا بتأويل لا ينهض دليلاً لدحض الشبهة وردّ الاعتراض.

عاشراً: ان جعفر بن منصور اليمن وهو من هو عند الاسماعيلية، وداعي الدعاة للمعز، وسيده القاضي النعمان ومولاه بتصريح من المعز ـ أقرّ في كتابه (الفرائض وحدود الدين) بأنه لم يحفظ أسماء آباء المهدي من كتاب كتب إليه على انتظام وترتيب[١٢٣].

ثم ذكر فيه الأسماء التي تجعل الشك في صحة نسب المهدي مستيقنا بأن نسبه غير صحيح لما في ذكرهم من تعقيد وتحوير، ومخالفة البعض الآخرين من الاسماعيلية في الأسماء.

---

(١٢٢) «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان ص٤٠٩، ٤١٠.

(١٢٣) انظر «في نسب الخلفاء الفاطميين» تقديم الهمذاني ص١١ المنتخب من كتاب «الفرائض وحدود الدين» لجعفر بن منصور اليمن.

إن هذا إلا دليل آخر على ما ذهبنا إليه.

حادي عشر: ويؤيد هذا التغيير والتزوير والتعقيد في الجواب واختلاف الأسماء ما ذكره النعمان أيضا في مجالسه عن رسل أحد دعاة المشرق إلى المعز فسأل أحدهم المعز عن أسماء آبائه فأخبره المعز:

«فإذا هو عنده على خلاف ذلك فيما عرفه.

فقال: نعم، هذا مما قيل لنا أن الإمام له سبعة أسماء:

اسم جسماني، واسم نفساني، واسم روحاني، واسم طبيعي، واسم حقيقي، واسم ظاهر، واسم باطن

ثم جعل (ﷺ) يتعجّب لقوله»(١٢٤).

إلى غير ذلك من الروايات العديدة المتعارضة المتناقضة في هذا الخصوص كما مرّ سابقاً.

ثاني عشر: إن العزيز بالله بن المعز لدين الله لما جعل هدفا للطعن في نسبه لم يسعه إلا السكوت(١٢٥)، ولما سئل عن أسماء آبائه لم يستطع ذكرها بعد المهدي إلا أن يقول: أبن الأئمة الممتحنين، وقد مر ذكره(١٢٦).

ثالث عشر: لما صدر المحضر المتضمن للطعن في نسبهم أيام الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٢هـ، والمحضر الثاني الذي كتب ببغداد أيضا أيام المستنصر بالله سنة ٤٤٤هـ لم يصدر جوابها في المرتين من مصر من قبل أئمة الاسماعيلية، لا من قبل الحاكم، ولا من قبل المستنصر بالردّ الشافي، واقامة الحجة والبرهام على كذب ما ورد فيها بذكر النسب وشجرته المشتملة على أسماء سلسلة الآباء التي تربط بينهم وبين جعفر الصادق أو ابنه اسماعيل أو

---

(١٢٤) «المجالس والمسايرات» ص٤٠٩.

(١٢٥) انظر «يتيمة الدهر» للثعالبي ج١ ص٢٥٥، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ج١٥ ص١٦٨.

(١٢٦) «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ص٣٥.

ابنه محمد، بل السكوت التام والصمت العميق والوجوم المطلق أثبت لدى من لم يكن عنده ثابتا بأن القوم لا يستطيعون مقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل في اثبات نسبهم إلى بني فاطمة وعليّ رضي الله عنهما.

رابع عشر: وأهم من هذا كله أن الأسماء التي ذكرت لآباء المهدي في الكتب الإسماعيلية لم تذكر إلا بعد مدة طويلة، وفي كتب المتأخرين غير المصريين الذين عاشوا بعيدين عن موطن الاختلاف الإسماعيلي الأصلي، من سوريا والمغرب ومصر، وكتب أكثرها بعد انقراض الدولة الإسماعيلية واختفاء وجودها وانطماس آثارها في اليمن والهند وإيران. كما قال المؤرخ المصري المعاصر المشهور الأستاذ محمد عبدالله عنان:

«ومما يلفت النظر، أن فيما خلا رواية أو اثنتين، ترجع إحداهما إلى أوائل القرن الرابع الهجري، وهي رواية الداعي جعفر بن منصور اليمن، عن نسبة المهدي، وترجع الثانية إلى أوائل القرن الخامس، وهي رواية الداعي عميد الدين الكرماني عن نسبة الحاكم بأمر الله؛ فيما خلا هاتين الروايتين الموجزتين، اللتين وردتا عرضا في كتابات هذين الداعيين، فإن معظم الروايات الإسماعيلية المفصلة عن الأئمة المستورين، وعن نسبة الخلفاء الفاطميين ترجع إلى عصور متأخرة؛ من ذلك رواية الخطاب المتوفى سنة ٥٣٣هـ (١١٣٨م)، ورواية عماد الدين إدريس المتوفي سنة ٨٧٢هـ (١٤٨٦م)، ورواية الحسن بن نوح المتوفى سنة ٩٣٩هـ (١٥٣٣م)، وقد صدرت معظم هذه الروايات المزكية لنسب الفاطميين عن الدعاة الإسماعيلية في الهند وفارس واليمن، وصدر معظمها حسبما هو ظاهر، بعد ذهاب الدولة الفاطمية بعصور طويلة؛ ولم تصدر بمصر، لا عن الدعاة الفاطميين أنفسهم، ولا عن المؤرخين المصريين أية رواية تؤيد نسبة الفاطميين لآل البيت بطريق القطع والوضوح. أضف إلى ذلك كله، أن هذه المؤلفات الإسماعيلية، يرجع معظمها إلى مخطوطات حديثة، نسخت في

كتاب (الحاكم بأمر الله) لمحمد عبدالله عنان ص٧٣، ٧٤ ط مطبعة لجنة التأليف - القاهرة.

الهند واليمن، في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر من الهجرة، وهذه النقطة في حد ذاتها مما يلفت النظر.

وإنه ليسوغ لنا أن نتساءل بعد ذلك، عما يحملنا على الشك في أقوال الروايات التاريخية المتوالية التي تأبي نسبة الفاطميين إلى آل البيت؛ وقد أوردنا من هذه الروايات عدة لطائفة متعاقبة من المؤرخين والنسابين، ومنهم أقطاب لا يشك في نزاهتهم، ولا صدق روايتهم، ولم تكن لديهم أية أسباب مذهبية أو سياسية خاصة تحملهم على الطعن في نسب الفاطميين وفي إمامتهم، ومنهم كثيرون لم يكونوا من صنائع بني العباس، ولم يعيشوا في كنفهم، بل ومنهم من أثر عنه الميل إلى الفاطميين والتشيع لهم، ولم يسعه إلا أن ينقل ما كتبه المتقدمون في إنكار نسبتهم. وما الذي يحملنا على الشك مثلاً فيما كتبه رجال أمثال القاضي الباقلاني، وعبد القاهر البغدادي، وابن شداد، وابن خلكان، والنويري، وابن حجر، وابن حزم؟ ويلاحظ أن النظرية الغالبة في التواريخ المصرية، هي الريب في نسب الفاطميين؛ والمؤرخون المصريون، هم بمصريتهم وقربهم من العصر الفاطمي وكونهم أقدر من غيرهم على تحرى مصادر العصر الفاطمي وتراثه، هم أصحاب الرواية الراجحة، والقول المفضل في تلك المسألة الجدلية.

ومن ثم فإنا على ضوء هذه الروايات التاريخية كلها، نشعر بالميل إلى الأخذ برواية المنكرين، ولا نجد في تدليل المؤيدين وشروحهم ما يلقي ضوءاً كافياً أو مقنعاً.

وكيف يُطلب إلينا أن نعدل عن الإصغاء إلى تلك الروايات التاريخية المعقولة الراجحة، لنصغى إلى أقوال طائفة من الدعاة الإسماعيلية المتأخرين، من رواة القرن التاسع والعاشر الهجريين، وقد كتب معظمهم في الهند واليمن، بعيداً عن موطن المصادر والوثائق، واتسمت رواياتهم بطابع الإغراق والأسطورة، فضلاً عن النزعة المذهبية الخاصة؟ وأولئك هم عماد البحوث المستفيضة، التي يحاول بها الأستاذ إيفانوف أن يؤيد نسب الفاطميين

لآل البيت، وأن يدحض أقوال المنكرين، وقصة القداح»[١٢٧].

خامس عشر: ومن الطرائف أن الأسماء المذكورة في الكتب الاسماعيلية مع اختلافها وتضاربها لايوجد لها ذكر ولا رسم في كتب الأنساب حيث أن كتب الأنساب تصرح بأنه لم يكن لمحمد بن اسماعيل بن جعفر ولد اسمه عبدالله الذي تذكره كتب الاسماعيلية قاطبة، بل كان له ابنان فقط: جعفر واسماعيل، لا غير كما ذكرناه في بداية هذا الباب.

ولا ندري من أين أتوا بعبد الله بن محمد بن اسماعيل أول الأباء للمهدي الاسماعيلي حسب زعمهم بعد محمد بن اسماعيل، ثم أحمد، ثم الحسين حيث لا يوجد لهم ذكر اطلاقاً في كتب الأنساب.

وهذا وحده في نفسه كاف لدحض ما أدعوه كذباً وزوراً، كما أنه أهم نقطة لحسم النزاع، وقطع الخلاف، وفصل الخطاب في الموضوع.

سادس عشر: أن الأسماء التي سردها الاسماعيليون لأباء المهدي هي عين تلك الأسماء التي يذكرها المؤرخون لأولاد القداح.

وفي هذا دليل قوي على أن المهدي وأولاده من أسرة القداح لا غير.

سابع عشر: أن سب وشتم الأئمة الاسماعيلية خلفاء رسول الله الثلاثة، أرحامه وأصهاره، وإغراقهم وغلوهم في ذلك، وأمرهم الناس به، وقهرهم وجبرهم عليه أيضا من الأدلة القاطعة بأن نسبهم إلى على وفاطمة غير صحيح لأنهم لو كانوا من أولاد علي لراعوا حق قرابتهم من رسول الله وعلي بن أبي طالب أيضاً، وحب على بن أبي طالب اياهم وتسميته أبناءه بأسمائهم، وتزويجه بناته من البعض وأبناء بعض الآخرين.

ولم يثبت من واحد ممن صح نسبه إلى على بن طالب أنه جعل سبابهم وشتمهم ديدنه كما أثبتنا كل ذلك في كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

---

(١٢٧) «الحاكم بأمر الله» ص٧٣، ٧٤.

وأخيراً قد حصـل مثل مـا حصل للمهـدي في نسبته إلى البيت العلوي بـدون أن يثبت ذلك، حصـل للحسن بن « كيا أميـد » الذي أراد أن ينسب نفسـه إلى الأئمة الاسـماعيلية حكـام مصر دون أن ينسب نفسه إلى أبيـه كيـا بزرك أميد كما سنذكره في محله في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .

وبناء على ما مر من الأدلـة الواضحـة والحجج السـاطعة التي ذكـرناهـا وغيرها مما ذكرت خلال الكلام عند الآخرين في هذا الباب نجـزم بأن نسب المهـدي وأولاده إلى البيت العلوي ليس بثابت، ومن أراد ذلـك فلم يـرد إلا تحكما وتجبرا لأن الروايات الاسماعيلية وغيرها من روايات المؤرخين المسلمـين وغير المسلمين تؤكد ما قلناه .

الباب الرابع

عقائد الاسماعيلية

إن للاسماعيلية عقائد خاصة يعتقدونها في الله، وفي بدء الخليقة، وفي النبوة، والوصاية، والإمامة، وفي القرآن، وأصحاب النبي، وفي الثواب والعقاب، والقيامة والمعاد، وفي الحلول والتناسخ، أخذوا بعضها من الفلاسفة الملحدين، والبعض منها من القدرية والجبرية والمعتزلة والمعطلة، الفرق التي زاغت عن الجادة المستقيمة، وجانبت منهج السلف الصالح، وتأثروا من الفيثاغورية الحديثة، والأفلاطونية الجديدة، ثم زادوا في المغالاة والتوسع على أولئك في هذه المباحث، وابتعدوا أكثر منهم عن الصواب ومسلك السلف، بل جانبوا القرآن والسنة، وبدل أن يعرضوا الآراء الفلسفية والأفكار الفيثاغورية على كتاب الله وإرشادات الرسول صلى الله عليه وسلم جعلوا هذه الأفكار والآراء معياراً للحق ومحقا للصدق، فأوّلوا كل آية تعارض هذه الأفكار، وتخالف هذه الآراء ولو كانت صريحة في معناها لا تحتمل التأويل. وكذلك أحاديث رسول الله العظيم صلوات الله وسلامه عليه، الثابتة عنه. فنبذوا القرآن والسنة وراء ظهورهم، وكوّنوا فكرا باطنيا جديدا مبنيا على التأويل المحض الصرف لا علاقة له بالمنطوق واللغة، وأسلوب البيان وسياق الكلام، محاولين إبعاد الناس عن القرآن الذي يسّره الله للمذكرين كي يتذكروا فيه، وعن سنة رسول الله العظيم عليه الصلاة والسلام، التي جعلت بيانا لهذا القرآن، وتشريحا وتوضيحاً له.

نعم، محاولين ذلك، وقاصدين أن يغيروا دين الله الذي جاء به الرسل وأكمل بمحمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ليحل محله دين أرسطو وأفلاطون وفيثاغورث وفلاسفة الالحاد الآخرين الذين فشلوا في حياتهم أن يجدوا لدينهم رواجاً.

هذا من جانب، ومن جانب آخر دين المجوس والثنوية والصابئين والوثنيين الذين أفلت نجومهم بعد طلوع شمس الإسلام المشرق المنير، أرادوا ذلك وما الله بغافل عما يعمل الظالمون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقبل أن ندخل في صميم الموضوع نريد أن نذكر ههنا بأن للاسماعيلية كتبا تنقسم إلى قسمين: كتب الظاهر. وكتب الباطن. أما كتب الظاهر فإنها لم تكتب إلا للناس عامة سواء كانوا اسماعيليين أو غيرهم كي لا يطلع أحد على حقيقة المذهب وأفكاره وتعاليمه.

وأما كتب الباطن والعقيدة التي يدينون بها، ولا يطلع عليها إلا الخاصة الذين جاوزوا المراحل التي وضعت لمعرفة داخل المعتنقين والمعتقدين، ولا يسمح لغير الخاصة أو غير المتعمقين والمختبرين والمجربين أن يطلعوا عليها، أو يلقوا النظرة فيها. وحتى هم أنفسهم لم يكن يسمح لهم باقتناء مثل تلك الكتب وقراءتها إلا بعد أخذ العهود والمواثيق على ألا يعطوا أحداً هذا الكتاب ولا يخبروا بما فيها. كما ذكر ذلك حسين بن علي بن الوليد الداعي الاسماعيلي في بداية كتابه (المبدأ والمعاد) الذي أرسله إلى أحد إخوانه في المذهب والعقيدة والمتعلقين به على طلب منه:

«اعلم أيها الأخ السعيد الموفق الرشيد ـ أنار الله بصيرتك، وأخلص في موالاة مواليك سريرتك ـ أنه وصل كتابك، اتصلت في المعاد أسبابك، تسأل الإفادة بما تنال به منقلبك والزلفي والسعادة. فاسعفت سؤالك لما أعلمه من استحقاقك لالتزامك بحبل الولاية للأئمّة الراشدين، واعتلاقك وقيامك بالواجبات عليك من شرائط الدين، وانتظامك في سلك العالمين

بالأوامر الشرعيّة المجتهدين. والذي أشرحه لك في كتابي، هو من سرّ الملكوت الروحانيّ المتّصل وحيًا بكلّ مقام نورانيّ، ومنه إلى حدوده المخلصين الموكّلين باستنقاذ الخلائق من طوفان الضلالة. وهو اكسير النفوس التي يصبغها صبغة الله الحسنة الزكية، ويصيرها بعد أن كانت حسّيّة بهيميّة ناطقة ملكيّة. فصنْه عن كلّ أحد الاّ من ذكرتُه لك، يصنك الله؛ واحفظْه، يحفظك الله. وأنا آخذ عليك - وعلى كلّ من أذنت لك بايقافه عليه - عهد الله المسئول المؤكد، وميثاقه المغلظ المشدد الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وأئمة دينه الهادين وحدودهم الراشدين - صلوات الله عليهم أجمعين، - والاّ فأنت ومن وقف عليه براء منهم أجمعين، ألا نسخت منه حرفا ولا أقل ولا أكثر، ولا وقف عليه الا أنت أو من أذنت له بالوقوف عليه، وأنك تعيد الى هذه النسخة بعد أن تفرغ من قراءتها. والله على ما نقول وكيل». (١).

وورد مثل ذلك في كتاب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية) للداعي الإسماعيلي حيث كتب على غلاف الكتاب: (لا يجوز الاطلاع عليها الاباذن من له العقد والحل)، ثم كتب في مقدمة الرسالة الأولى بعنوان (مسائل في الحقائق وجواباتها الثلاثة عشر) بعد البسملة والحمدلة:

«أيها الأخ أعلى الله في رتب الصالحين درجتك ونور بنور الصافين المسبحين صورتك فقد وقفت على مسائلك التي دلت على تألق جذوة ذكائك وعلوك في منازل العلم وارتقائك وسألت الاجابة عنها وهي أيها الأخ تقتضي جوابا من زبد الحقائق المصونة وسرائر الحكم المكنونة ولب الفوائد المخزونة وانا اتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك إلا أنه مما لا يودع بطون الأوراق ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية

---

(١) «رسالة المبدأ والمعاد» لابن الوليد طبع ونشر المستشرق الفرنساوي هنري كربين في مجموعة الرسائل الثلاثة الاسماعيلية في إيران واليمن ص١٠٠، ١٠١ ط انستيوت ايران وفرنسا - ايران - ١٩٦١م.

بالاحداق صيانة له عن ابدائه وبذله وخوفا عليه ان يقع إلى غير أهله بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها العالية لكنّي لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة في إنارة صورتك كتبت لك ذلك في هذه الأوراق وأنا آخذ عليك عهد الله تعالي وعظيم الميثاق الذي أخذه على ملائكته المقربين وانبيائه المنتجبين وائمة دينه الهادين وحدودهم الميامين وإلا فأنت بريء منهم أجمعين لاوقف على ذلك إلا أنت أو أولادك، لاغيرهم، ثم يرد إلى هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها، وان أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ فيها ثم أعدتها إلى، والله على ما نقول وكيل»[٢].

وهذا موجود تقريباً في كل كتاب سرى وباطني.

وعلى ذلك لازال الاسماعيليون يكتمون هذه الكتب، ولا يظهرونها لأحد كما ذكرنا هذا مفصلاً في مقدمة الكتاب.

فلنرجع إلى موضوعنا فنقول: إن الاسماعيلية لهم كتب ظاهرية، وكتب سرّية. فالكتب السرّية هي التي تبحث عن عقائد الاسماعيلية الخالصة الصحيحة التي يدينون بها ويحملونها لأنها لم تكتب على المداراة والمماشاة والنفاق الذي طالما يسمونه باسم التقية، خلاف الكتب الظاهرية.

فلأجل ذلك لا اعتماد لبيان العقائد إلا على كتب الباطن أو الحقائق كما يسمونها أيضا، ولقد ضل كثير من المسلمين السذّج الذين كتبوا في عقائد القوم ولم تصل أيديهم إلى هذه الكتب، مكتفين بكتب الظاهر، حيث ظنوا فيهم خيراً، وذهبوا إلى أنه لافرق بينهم وبين المسلمين السنة إلا يسيرا، قد أدّاهم اجتهادهم إليه مع أن الأمر ليس كذلك.

ولقد ضربنا الأمثلة الكثيرة لمثل هذه فيما مرّ في المقدمة.

---

(٢) ص٥، ٦ من «أربعة كتب اسماعيلية» بتحقيق المستشرق الالماني شترووطهان ط المجمع العلمي ١٩٤٣م.

وبناء على ذلك نقول : إن جل اعتمادنا في هذا الباب هو على كتب الباطن أو الحقائق، على الكتب السرية، ولا عبرة بما ورد مناقضا لها في كتب الظاهر فنبدأ أولاً ببيان معتقدات الاسماعيلية في الله جل جلاله وعمّ نواله .

الفصـــل الأول

عقيدتهم في الله

ان الاسماعيلية يعتقدون بأن الله لا يوصف بوصف، ولايسمى باسم، مخالفين صريح القرآن والسنـة، ومؤولين بتـأويلات فـاسدة بـاردة كاسـدة، بعيدة كل البعد عن منطوقها ومفهومها، سالكـين مسلك الثنويـين والوثنيـين والمجوس، وجاعلين الاله الواحد آلهة متعددة، والرب الواحد أربابا متفرقين متعددين، قائلين بالواحد الممتنع وجوده، مكابـرين مجادلـين آيات القـرآن، الناطق بأسماء الله وصفاته وأحاديث الرسول المعصوم المدعم بالوحي، المثبتة لله أسماؤه الحسنى وصفاته التي تليق بشأنه وجلاله كما يقـول الله عز وجـل في محكم كتابه:

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»(٣).

وقـال: «هو الله الـذي لا إله إلا هـو عالم الغيب والشهـادة هو الـرحمن الرحيم. هو الله الـذي لا إله إلا هـو الملك القدوس السـلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور لـه الأسماء الحسنى يسبـح لـه مـا في السموات والأرض وهـو العـزيـز الحكيم»(٤).

---

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

(٤) سورة الحشر الآية ٢٢، ٢٣، ٢٤.

و«أياما تدعو فله الأسماء الحسنى»[٥].

و«الله لا إله الا هو له الأسماء الحسنى»[٦].

وذكر أسماءه وصفاته جل جلاله، وتبارك وتعالى شأنه أيضاً في قرآنه المجيد وفرقانه الحميد:

«الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من عمله الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم[٧].

و «قل هو الله أحد. الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»[٨].

و «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»[٩].

و «إن الله عليم بذات الصدور»[١٠].

و «بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون»[١١].

و «تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا»[١٢].

و «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل».[١٣]

---

(٥) سورة الاسراء الآية ١١٠.
(٦) سورة طه الآية ٨.
(٧) سورة البقرة الآية ٥٥.
(٨) سورة الاخلاص.
(٩) سورة الذاريات الآية ٥٨.
(١٠) سورة آل عمران الآية ١١٩.
(١١) سورة البقرة الآية ١١٧.
(١٢) سورة الفرقان الآية ١.
(١٣) سورة الزمر الآية ٦٢.

و «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى علي العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير»[١٥].

و «يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلّة على المؤمنين أعزة علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»[١٦].

و «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا»[١٧].

و «رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه»[١٨].

و « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما»[١٩].

و «إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون»[٢٠].

و «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور»[٢١].

و «وكلم الله موسى تكليما»[٢٢].

---

(١٤) سورة البروج ١٦.
(١٥) سورة الحديد الآية ٣، ٤.
(١٦) سورة المائدة الآية ٥٤.
(١٧) سورة الفتح الآية ١٨.
(١٨) سورة البينة الآية ٨.
(١٩) سورة النساء الآية ٩٣.
(٢٠) سورة غافر الآية ١٠
(٢١) سورة البقرة الآية ٢١٠.
(٢٢) سورة النساء الآية ١٦٤.

و «جاء ربك والملك صفا صفا»[٢٣].

و «الله يتوفى الأنفس حين موتها»[٢٤].

و «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب»[٢٥].

و «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»[٢٦].

و «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٢٧].

و «إن الله كان غفوراً رحيما»[٢٨].

و «إن الله كان سميعاً بصيرا»[٢٩].

و «إن الله بالناس لرءوف رحيم»[٣٠].

و «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم»[٣١].

و «إن الله كان عليما حكيما»[٣٢].

و «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم والله غفور رحيم»[٣٣].

---

(٢٣) سورة الفجر الآية ٢٢.
(٢٤) سورة الزمر الآية ٤٢.
(٢٥) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٢٦) سورة الصف الآية ٨.
(٢٧) سورة يس الآية ٨٢.
(٢٨) سورة النساء الآية ٢٣.
(٢٩) سورة النساء الآية ٥٨.
(٣٠) سورة البقرة الآية ١٤٣.
(٣١) سورة محمد الآية ٢٨.
(٣٢) سورة النساء الآية ١١.
(٣٣) سورة آل عمران الآية ٣١.

و «الرحمن على العرش استوى»[٣٤].

و «بل رفعه الله إليه»[٣٥].

و «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٣٦].

و «وكفى بربك هاديا ونصيرا»[٣٧].

و «ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا»[٣٨].

وكما ورد في الأحاديث الثابتة عن رسول الله أن كان يناجي ربّه ويناديه بأسمائه وصفاته كما ذكر مسلم في صحيحه «عن عائشة رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول: اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[٣٩].

ولكن الاسماعيلية يقولون عكس ذلك معرضين عن هذا كله بأن التوحيد هو تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات، وأن أسماءه لاتطلق في العالم العلوي الا علي العقل الأول، والمبدع الأول، أو السابق، وفي العالم السفلى على الناطق والأساس والامام، وأن الله عز وجل ليس بموجود ولا معدوم:

وبذلك صرح المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى داعي الدعاة الاسماعيلي للامام الاسماعيلي المستنصر في كتابه الباطني (المجالس المؤيدية) ونقل عنه ابراهيم بن الحسين الحامدى في كتابه الباطني المشهور الذي يعدّ

---

(٣٤) سورة طه الآية ٥.

(٣٥) سورة النساء الآية ١٥٨.

(٣٦) سورة الشورى الآية ١١.

(٣٧) سورة الفرقان الآية ٣١.

(٣٨) سورة الفرقان الآية ١٩.

(٣٩) صحيح مسلم.

من أهم الكتب بعد (راحة العقل) للكرماني: «الحمد لله لا يدركه من لا تدركه الأبصار، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار، الذي دون تناوله للأفكار أستار، أو لاقدام الأوهام زلل وعثار، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يومأ إليه بالاشارة مكيفة، ولا يقال عليه حيا، ولا قادرا، ولا عالما، ولا عاقلا، ولا كاملا، ولا تاما، ولا فاعلا، لأنه مبدع الحي، القادر، العالم، العاقل، التام، الكامل، الفاعل، ولا يقال له ذات، لأن كل ذات حاملة للصفات، كالجسم وأعراضه التسعة، والنفس وصفاتها، ولا يقال انه جوهر، لأن الجوهر ينقسم إلى الجسم، وإلى غير الجسم، ولا يقال عرض لأن العرض محمولا مقبولا، ملازما وزائلا. ولا يقال انه علة، لأن في المعلول بعض آثار العلة، ولا يقال انه قديم، لأن القديم شاهد على هويته بالحديث»[٤٠].

وبذلك قال الكرماني أحمد حميد الدين الملقب بحجة العراقيين وكبير الدعاة للامام الاسماعيلي الحاكم بأمر الله في كتابه (راحة العقل) الذي قلما أذن لشخص الاطلاع عليه الا للخاصة وخاصة الخاصة، قال فيه:

«هو الذي لا اله الا هو محال ليسيته[٤١] باطل لاهويته اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا، فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة»[٤٢].

أي أن الله ليس بمعدوم لأنه لو كان معدوما لكانت الموجودات معدومة، وما دامت هي موجودة فكون الله معدوما باطل. ولكن هل هو موجود؟ ينكر الاسماعيلية ذلك أيضاً كما قال الكرماني في المشرع الثاني:

---

(٤٠) «كنز الولد» ص ١٣، ١٤ ط دار الاندلس بيروت ١٩٧٩م.

(٤١) الليس للدلالة على العدم والمعدوم، والأيس للدلالة على الوجود والموجود، لفظتان فلسفيتان تستعملان في كتب الكلام والعقائد.

(٤٢) «راحة العقل» للكرماني السور الثاني المشرع الأول ص ١٣٠.

«لما كان الأيس في كونه أيسا محتاجا إلى ما يستند إليه في الوجود على ما سبق الكلام عليه، وكان هو ـ عز كبرياؤه ـ متعاليا عن الحاجة فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو، كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون أيسا لتعلق كون الأيس أيسا بالذي يتأول عليه الذي جعله أيسا، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيسا، ولا هو يحتاج فيما هو هو إلى غير به هو هو فيستند إليه، تكبر عن ذلك وتعزز وتعالى علوا كبيرا»[٤٣].

ويقول أيضاً: «انه تعالى لا ينال بصفة من الصفات، وأنه لا بجسم ولافي جسم»[٤٤].

وأيضاً قال:

«واذا كانت الأسماء والصفات والألفاظ مشاكلة لما تدل عليه، وكانت الأسماء والألفاظ مؤلفة من الحروف البسيطة التي تبني سائر اللغات منها، والحروف محدثة، كان ما تدل عليه وتوجبه في مثل حالها محدثا، واذا كان ما تدل عليه الحروف المركبة في اللغات كلها محدثا مثلها على ما بيناها، وهو تعالي كبرباؤه ليس بمحدث، فقد استبان امتناع الحروف المركبة الحادثة عنها اللغات عن أن يكون لها سلوك في الدلالة على ما يليق بكبريائه»[٤٥].

وأخيراً قال تحت عنوان:

«في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتحميدو والاثبات ما يكون من قبل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى»:

«نقول: لما كانت العقول مشتاقة إلى توحيد الله تعالى وتقديسه وتحميده وتمجيده بما هو أهله، وكان لذلك طريقان: طريق من جهة إلحاق الصفات التي لا يكون أشرف منها وإثباتها له. وطريق من جهة نفي الصفات وسلبها

---

(٤٣) أيضاً المشرع الثاني ص ١٣١.

(٤٤) «راحة العقل» للكرماني المشرع الثالث من السور الثاني ص ١٣٥.

(٤٥) إيضاً المشرع السادس ص ١٤٥.

عنه، وكان طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له مؤدياً إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب ما لا يليق به إليه وإجرائه مجرى ما دونه من مخترعاته، كان أصدق ما يعتمد عليه في التوحيد والتمجيد ضد إثبات الصفات وهو نفيها عنه، فأخذنا معاشر الدعاة الموحدين المتبعين للأئمة الطاهرين في التوحيد والتسبيح طريق نفي الصفات بكونه حقاً وصدقاً: وذلك أنه لما كان الصدق هو إثبات شيء لما هو موجود له، ونفي شيء عما هو ليس موجود له، رأينا أننا إن أثبتناطه تعالى صفة، وكانت الصفة لا له بل لغيره بكونها مختصة بالموجودات عنه التي هي غيره تعالى الله، كنا فيه كاذبين. إذ الكذب هو إثبات شيء لما هو ليس له أو نفي شيء عما هو له، وإننا إن نفينا عنه صفة وكانت تلك الصفة ليست له بل لغيره كنا في ذلك صادقين، فلزمنا هذه الطريقة على ما رسمت الأدلة المنصوبون للهداية إلى طريق الحق في التوحيد صلوات الله عليهم، اذ نحن بذلك اذا فعلناه مثبتون مسبحون مقدسون ممجدون حامدون، بقولنا الصدق وإثباتنا إياه تعالى بلا قصد لصفة، ولا تناول منا إياه بتشبيه أو تمثيل أو تحديد: وذلك أن في فحوى الكلام ثابتاً معلوماً عند ذوي الذكاء، ومن هو أخونا حقاً، إننا إذا قلنا عند الإثبات من طريق النفي هو لا هذا ولا هذا ولا هذا ولا هذا، وكان كل هذا الذي نفيناه مما هو موجود في الخلقة، فقد ثبت به ما لم تأت الصفة عليه، وباين جميع الموجودات بما نفينا أن يكون هو تعالى»[٤٦].

ونقل ابراهيم الحامدي في كتابه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعدما قال في مقدمة الكتاب:

«من لا تجاسره الخواطر، ولا تحويه المشاعر، ولا تدركه البصائر، المنزه عن الأسماء والصفات، والبرىء عن الأشباه في جميع المجالات، والمتعالى عن مشاكلة أهل الأرضين والسموات»[٤٧].

(٤٦) أيضاً المشرع السابع ص ١٤٧، ١٤٨.

(٤٧) «كنز الولد» ص ١.

ونقل عن علي رضى الله عنه:

«ان أول الديانة لله تعالى معرفته، وكمال معرفته توحيده، ونظام توحيده نفى الصفات عنه، واقامة حدوده بشهادة العقول ان كل صفة وموصوف مخلوق وبشهادة الصفة والموصوف جميعا، ان الحدث الممتنع من الأزل منفي عنه سبحانه. وقال: الكلام فيها لا تدركه جهل، والمناظرة فيها لا يبلغه العقل خطأ»[٤٨].

وقال السجستاني الداعية الاسماعيلي الكبير، وأستاذ الكرماني، في كتابه (إثبات النبوءات):

«فسبحان المتعالي عن إدراك الصفات وإحاطة تصريف اللغات»[٤٩].

وبمثل ذلك قال أيضاً الحسين بن علي الوليد الداعي المطلق في رسالته (المبدأ والمعاد):

«أعلم أن غيب الغيوب الذي لا تجاسر نحوه الخواطر، ولا يدرك بعقد ضمير، ولا باحاطة تفكير، ولا يقع عليه اسم ولا صفة»[٥٠].

وقال الداعي الاسماعيلي السليماني ضياء الدين في تفسيره (مزاج التسنيم):

«الحمدلله المتعالى عن السماء والأسماء، والمتقدس أن يكون له تعالى حد أو رسم»[٥١].

وهذه عقيدة متفقة بينهم حتى إن النعمان الذي ألف أكثر كتبه في الظاهر ذكر هذه العقيدة في أرجوزته حيث قال عن الله:

---

(٤٨) أيضاً ص ١٢

(٤٩) «اثبات النبوءات للسجستاني ص ١٦.

(٥٠) «رسالة المبدأ والمعاد»، المقدمة من مجموعة (رسالة اسماعيلي درايران ويمن ص ١٠١، أيضاً (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) لداع مجهول ص ٣٠٥ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٥١) انظر (مزاج التسنيم) الجزء الأول من القسم الثالث ص ٥، باعتناء وتصحيح المستشرق شترو وطهان ط المجمع العلمي غوتينغن المانيا.

«جل عن التشبيه والتمثيل وعن حدود النعت والصفات والظن والوهم من الجهات»[٥٢].

وعلى ذلك ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية وعقيدتهم هذه عديدا من المرات في فتاواه، وردّ عليهم عقلا ونقلا فقال:
«وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع اثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد: لافى أسمائه وآياته، كما قال تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقال** تعالى: **(ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النارخير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم﴾** الآية.

فطريقتهم تتضمن اثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات: اثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

ففي قوله (ليس كمثله شيء) ردّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: **﴿وهو السميع البصير)**: ردّ للالحاد والتعطيل»[٥٣].

ثم بعد ذكر الآيات الكثيرة قال:
«فان في ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، واثبات وحدانيته بنفى التمثيل، ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم، من الكفار والمشركين، والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة، والجهمية والقرامطة

---

(٥٢) انظر (الأرجوزة المختارة) للنعمان القاضي الاسماعيلي ص ٢٩.
(٥٣) «فتاوى شيخ الإسلام» ج ٣ ص ٣ و ٤.

والباطنية ونحوهم: فانهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون الا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وانما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان.

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل؛ فانهم يمثلونه بالممتنعات، والمعدومات، والجمادات؛ ويعطلون الأسماء والصفات، تعطيلا يستلزم نفي الذات.

فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لانهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات، واذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول، وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب، وما جاء به الرسول، فوقعوا في شرّ مما فرّوا منه، فانهم شبهوه بالممتنعات. إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات.

وقد علم بالاضطرار أن الوجود لا بدّ له من موجد، واجب بذاته، غني عما سواه، قديم أزلي، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، فوصفوه بما يمتنع وجوده، فضلا عن الوجوب أو الوجود أو القدم»(٥٤).

ومثل ذلك ذكر في مقام آخر حيث قال:
«ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تمثيل.

فلا يجوز نفي صفات الله تعالي التي وصف بها نفسه؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

---

(٥٤) أيضاً ص ٧ و ٨.

وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر. ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً.

ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات؛ فقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل. وقوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾ ـ رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى: الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدما.

وقد اتفق جميع أهل الاثبات على ان الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة؛ حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا: ان الله متكلم حقيقة؛ كما قالوا ـ مع سائر المسلمين ـ إن الله عليم حقيقة، قدير حقيقة؛ بل ذهب طائفة منهم كأبي العباس الناشي إلى أن هذه الأسماء حقيقة لله مجاز للخلق.

وأما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية ـ من الأشعرية الكلابية، والكرامية، والسالمية، وأتباع الأئمة الأربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية. وأهل الحديث، والصوفية ـ فانهم يقولون: ان هذه الأسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى: وان كانت تطلق على خلقه حقيقة ايضاً. ويقولون: ان له علماً حقيقة، وقدرة حقيقة، وسمعاً حقيقة، وبصراً حقيقة.

وانما ينكرون ان تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الاسماعيلية الباطنية، ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا موجود، ولا معدوم؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون ان تكون له حقيقة! ثم يقول بعضهم: ان هذه الأسماء لبعض المخلوقات، وانها ليست له حقيقة ولا مجازاً.

وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة؛ لأنهم الحدوا في اسماء الله وآياته وقد قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾، وقال تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾، وهؤلاء شر من المشركين الذين اخبر الله عنهم بقوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن؟ انسجد لما تأمرنا؟ وزادهم نفوراً﴾ وقال تعالى: ﴿كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن؛ قل هو ربي لا إله الا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾.

فان أولئك المشركين انما انكروا اسم الرحمن فقط، وهم لا ينكرون اسماء الله وصفاته؛ ولهذا كانوا عند المسلمين اكفر من اليهود والنصاري»[٥٥].

ثم إن الاسماعيلية بعد نفي الأسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى مع كونه لا موجودا ولا معدوماً، احتاجوا إلى أن يخترعوا أو يختلقوا آلهة أخرى لاطلاق الأسماء والصفات التي ورد ذكرها في القرآن والسنة عليهم، فقالوا:

«إن جميع صفات الشرف والجلالة، وما يعبر به في جميع اللغات من الاشارات بنعوت الالهية فإنها واقعة على العقل الأول»[٥٦].

وقال الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصوري تحت عنوان (القول في التوحيد):

«فكل ما يجري على اللسان من سائر الأفكار والأديان
وسائر الأسماء والصفات للمبدع الأول، لا للذات»[٥٧]

وبمثل ذلك قال الداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني المتوفى سنة ٥٨٤هـ، ونقل كذلك عن الكرماني:

---

(٥٥) أيضاً ص ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧.

(٥٦) «رسالة المبدأ والمعاد» ص١٠١ من (رساله اسماعيلي).

(٥٧) «القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصوري ص٢٤ ط دمشق ١٩٥٥م.

«وكان متسبحاً متعاليا أن يقع عليه إشارة مشير، أو يتجاسر نحوه خاطر بتوهم أو تفكير، وكان الاعراب عنه بالله تعالى وبالمبدع وبالهوية المتعالية غير واقعين عليه، هذان الاسمان والصفة، إذ الأسماء والصفات لا تقع إلا على مثلها كما قال أمير المؤمنين: الأسماء والصفات على مثالها تدل، وفي شكلها تحل، وهذه الأسماء والصفات محدثة، والمحدث لا يقع إلا على محدث مثله، كما قال سيدنا حميد الدين: ولما كانت حروف المعجم محدثة، لم تكن تدل إلا على محدث مثلها، وإذا كان القول كذلك كانت هذه الأسماء والصفات منفية عنه تعالى وتكبر، وكانت واقعة على ابداعه الذي هو العقل الأول، والموجود الأول، والسابق، وهو سبحانه متنزه متعال عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيراً»(٥٨).

وأكثر من ذلك قال الكرماني كما نقل عنه:

«ان اسم الآلهية لا يقع إلا على المبدع الأول»(٥٩).

والعقل الأول يقال له: العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدع الأول، والسابق، والقلم، والكلمة وغيرها(٦٠).

والعقل الثاني يطلق عليه النفس الكلية، واللوح، والمبدع الثاني، والتالي. وغيرها إلى آخر ذلك من العقول العشرة التي سوف نبين فلسفتها إن شاء الله في محله من هذا الكتاب.

وكي لا نبتعد عن موضوعنا نختصر القول ونقول: إن الاسماعيلية يقولون بأن العقل الكلي، أو الموجود الأول، أو السابق، يماثله في العالم

---

(٥٨) «الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد» للداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني ص٧٩ ، ٨٠ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

(٥٩) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص١٨٠ ، وذكر الكرماني هذا أيضا في كتابه (راحة العقل المشرع السادس من السور الثالث ص ١٩٥ .

(٦٠) انظر لذلك (راحة العقل) للكرماني. و(المجالس المؤيدية) للشيرازي، و(كنز الولد) وغيرها.

السفلي الناطق، كما يماثل العقل الثاني أو التالي الأساس[٦١]. وقد قال الكرماني في كتابه: «الناطق والأساس مثلان[٦٢] للسابق والتالي[٦٣].

وبمثل ذلك قال النعمان بن محمد المغربي القاضي الاسماعيلي في كتابه الباطني (أساس التأويل):

فكان الناطق مثلاً على العقل الكلي في عالم الترتيب والأساس مثلاً على النفس الكلية»[٦٤]. وبه قال الحامدي في كتابه الباطني المشهور (كنز الولد)[٦٥].

وأيضاً «سيدنا محمد القائم في دار الطبيعة مقام الابداع الأول في عالمه، ووصيه الحال منه محل لوح الله المحفوظ من قلمه»[٦٦].

وقال السجستاني:

«منزلة الرسول في العالم الجسماني كمنزلة السابق في العالم الروحاني»[٦٧].

وبناء على ذلك كل الأسماء والصفات التي أطلقت على الموجود الأول، أو العقل الكلي، أو السابق، أو التالي، وكذلك على العقل العاشر عند البعض حيث أنه هو المدبر للكون في العالم العلوي[٦٨] هي للناطق والأساس ومن قام مقامهما من الأئمة في العالم السفلي، وحتى اسم الجلالة يقع عليه لأن كل خصائص العقل الأول جعلت للامام[٦٩].

---

(٦١) انظر «راحة العقل» للكرماني ص٣٥٦.
(٦٢) هناك لنظرية المثل والممثول عند الفاطميين سوف نتكلم عنها في محلّها.
(٦٣) «كتاب الرياض» ص١٦٨.
(٦٤) «أساس التأويل» للنعمان ص٣٦٢ ط دار الثقافة بيروت.
(٦٥) انظر «كنز الولد» من ٦٧ وما بعد.
(٦٦) «مجموعة مسائل» ص٣١ من أربعة كتب اسماعيلية تحقيق شترووطمان.
(٦٧) «اثبات النبوءات» ص٥٧.
(٦٨) انظر «مسائل مجموعة» ص٦ من أربعة كتب اسماعيلية.
(٦٩) مقدمة «راحة العقل» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص٤٠.

وعلى ذلك نقلوا عن محمد الباقر أنه قال:

«ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا»(٧٠).

وأكثر من ذلك وأصرح ما قاله الداعي جعفر بن منصور اليمن في كتابه:

«فكل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر كما قال الله عز وجل: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»(٧١).

وبذلك قال المفسر الاسماعيلي ضياء الدين في تفسيره:

«الحمد لله الذي أجرى جميع أموره الجزئية والكلية... وصلى الله على رسوله سيدنا محمد من خرق رتب الحجابية... وعلى إمام العصر الواقع عليه في عصره اسم الالهية»(٧٢).

كما أن العقل الأول يستحق أن يقع عليه اسم الالهية(٧٣) ولماذا يطلق عليه اسم الالهية؟

يجيب عليه الكرماني بقوله: «لأن كلا منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو قائم مقام الله»(٧٤).

فالعقل الأول، أو المبدع الأول، أو الموجود الأول، أو السابق، أو القلم هو إله، ومتصف بصفات الخالق، والرزاق، والمصور، والباري وغيرها من الصفات، لا الله تبارك وتعالى، وكذلك العقل الثاني، أو الموجود الثاني، أو التالي، أو اللوح، والعقل العاشر.

وكذلك النبي المعبر عنه بالناطق. والوصي، الأساس. والامام.

---

(٧٠) «كنز الولد» للحامدي ص ١٩٥.

(٧١) «كتاب الكشف» ص١٠٩.

(٧٢) «مزاج التسنيم» تفسير سورة النمل الجزء الخامس من القسم الرابع ص٣٣٧.

(٧٣) «المبدأ والمعاد» ص١٠٣ من (رساله اسماعيلي) تحقيق المستشرق هنري كربين.

(٧٤) «راحة العقل» ص٥٧٧، أيضا «مسائل مجموعة» ص١١٣ من أربعة كتب اسماعيلية.

فهؤلاء آلهة الاسماعيلية، لا الله الواحد القهار، وهؤلاء الذين عبّر عنهم بالله والخالق، والباريء، والمصور، والرزاق، والسميع، والعليم في القرآن المجيد والفرقان الحميد.

وأما الله «فهو غيب الغيوب، ليس هو موجود فيوصف، ولا غائب فينعت»[٧٥].

فالتوحيد عند الاسماعيلبة هو اتصاف الخلق بأوصاف الله، وتسمية المخلوق بأسمائه الحسنى ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً ـ.

وبذلك صرح الداعي الاسماعيلي ابن الوليد:

«وأعلم أن التوحيد هو معرفة الحدود العالية والدانية، والاعتراف بأن كل حد منهم واحد في مرتبته لا يشاركه فيها سواه»[٧٦].

وبذلك قال الكرماني كما نقل عنه طاهر بن إبراهيم الحارثي[٧٧].

وبمثل ذلك ذكره الحامدي أيضا نقلاً عن على بن أبي طالب رضي الله عنه[٧٨].

والشرك عندهم هو الدعوة إلى غير الامام، لا إلى غير الله[٧٩].

وإليكم النصوص والتصريحات من قبل القوم أنفسهم:

يقول الداعى ابن الوليد أن الله في قوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم:

---

(٧٥) «الكافية» للداعي الاسماعيلي محمد بن سعد بن داود الرفنة ص٢٥ من (ثلاث رسائل اسماعيلية) تقديم عارف تامر ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٣م.

(٧٦) «رسالة المبدأ والمعاد» ص١٠١.

(٧٧) انظر ص٨٠ من (مجموعة الحقائق الخفية) جمع وترتيب محمد حسن الأعظمي ط الهيئة المصرية العامة للطبع والتأليف والنشر القاهرة.

(٧٨) انظر «كنز الولد» ص١٢.

(٧٩) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص١٦٦.

«فكـان اسم الله واقعا عـلى العقـل الأول، السـابق في عـالم الابـداع، والملائكة تلك العقول المجردة البادرة إلى الاجابة لدعوته، الشاهدة بمـا شهد به، وقال: أولوا العلم، هو هذا الشخص الفاضل صاحب الجثة الابداعيـة (أي آدم) وحدوده السبعة والعشرون المجيبون لدعوته، الشاهدون بمـا شهد به»[٨٠].

وبه قال الحامدي[٨١].

وذكر ذلك أيضا ضمن ذكره شهادة آدم:

«شهد الله أنه لا إله إلا هو، فهذه شهادة المبدع الأول الواقـع عليه اسم الالهيـة، ثم قال: والمـلائكة، الـذين شهـدوا بمثـل ذلـك، المنبعث الأول، والعقول الانبعاثية، والعاشر، ثم قال: وأولوا العلم قـائما بـالقسط لا إله إلا هـو العزيـز الحكيم، الآية، وهـذه الشهادة الثـالثـة لأهـل المغـارات الـذين وسمهم بالعلم»[٨٢].

ويقولون أيضا: ان سورة الإخلاص لم تنزل إلا لبيان أوصاف الله الذي هو العقل الأول والموجود الأول ـ عيـاذا بالله ـ لا الله الأحـد الصمد. يقـول الداعي الاسماعيلي في جواب سؤال ورد إليه في سورة الاخلاص:

«الجواب في ذلك بعون الله سبحانه ومادّتـه ومنّه وليّـه في أرضه صلوات الله عليه وعلى آله وافادته أنه قد سبق القول في الاجوبة المقـدّمة أنـه لمّا كـان من لا تجاسر نحوه الخواطر في حجاب من الجلالة والعظمة ممتنعا أن يعبر عنه بلفظ قول أو عقد ضمير كانت الصفات المتعالية والسمات المتناهية في الشرف واقعة على اشرف مبدعاته وافضل مخـترعاتـه فلذلك أوحى إلى نبيّـه صلى الله عليه وعلى آلـه بقولـه «قل» يـا محمد «هـو الله أحد» عنى بـه الاقرار للمبـدع

---

(٨٠) انظر «رسالة المبدأ والمعاد» ص١١٣ من (رسالة اسماعيلي).

(٨١) انـظر «رسالـة زهر بـذر الحقـائق» ص١٦١، ١٦٢ من (منتخبـات اسماعيليـة) بتحقيق الدكتور عادل العوّا ط مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٨م.

(٨٢) «كنز الولد» ص١٥٧.

الأوّل برتبة الوحدة التي امتاز بها عمن سواه وتفرّد بها عن جميع من تلاه ثم قال «الله الصمد» في اللغة هو السيّد المصمود إليه في قضاء الحوائج فامره بالاعتراف بكون الابداع مقصد أهل العوالم واليه تمتدّ رغباتهم ومنه تطلب حاجاتهم وهو الغنيّ عنهم وهم الفقراء إليه ثم قال «لم يلد ولم يولد» تعليما لنبيّه صلى الله عليه وعلى آله وآمرا له بتنزيه هذا الحدّ الشريف وتجريده عن أن يكون له سبب أو علّة من جنسه بها وُجد كما يكون الوالد علّة لولده أو ان يكون هو علّة لظهور مولد عنه اضطر إلى ايجاده لغرض يدعوه اليه فيقوم مشابها له كما يكون الولد من عالم الطبيعة مشابها لوالده وحائزا لمرتبته من بعده إذ ليس أحد من العقول ينال مرتبته وذلك كما قال الحكيم في مقامات النور لم يلدوا فتناسلوا ولم يولدوا فتناسبوا وقوله «ولم يكن له كفوا أحد» إخبار ان هذا المقام العظيم في حجاب من الجلالة أيست العقول عن رفعته فليس له منها «كفؤ ولا نظير»[٨٣].

وكذلك الله، والخالق، والبارىء، والمصور، المذكور في القرآن، لا يراد من هذه الأسماء، ولا يقصد من هذه النعوت إلا العقل الأول والموجود الأول لأنه علة العلل، وموجد الوجود. كما ذكر ذلك الكرماني[٨٤]:

«فجمع المراتب الثلاث في آية واحدة، ونسبها إلى الأول، فقال: هو الله الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنى، أي له المراتب التي دون ذلك»[٨٥].

وقال الداعى قيس بن منصور:

« اسمان لطيفان وخاصان، وهى (الله)، و(اله) . . . دليلان على

(٨٣) «كنز الولد» الباب التاسع في القول على ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال ص ١٥٧.

(٨٣) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص٣٩ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٨٤) الملقب بحجة العراقين، المؤلّف الاسماعيلي الكبير، له اسلوب عويص خاص به.

(٨٥) « راحة العقل » للكرمانى ص ٢٥٤.

العقل والنفس، اذهما أصل العالم العلوى والسفلى ومن فيهما »[٨٦].

وكذلك ماذكره الداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبو فراس بأن (الله) و(الاله) اسمان لطيفان دليلان على النفس والعقل البسيطين اللذين هما أصل العالم السفلى والعلوى ومن فيهما[٨٧].

ولماذا يدل (الاله) و(الله) على العقل والنفس ؟

يجيب عليه الداعى الاسماعيلي أبو فراس أيضاً في رسالة أخرى له في مبحث (حدوث العالم ومبتدأ العوالم) بعد بيان أنه محدث، يقول :

« وان موجده اوجده ابداعاً لا من شيء، وأنه سبحانه وتعالى قال له كن فكان ـ فيضاً واحداً ـ فهو العقل الفعَّال الأول، والموجود الأكمل. والحجاب المفضَّل. وظهر عنه التالي مخترعاً من نوره، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما، فالفيض الأول هو أصل الايجاد، وهو المبدأ وإليه المعاد، وهو السابق صاحب التمام والكمال، وأشعته جواهر أفراد إبداعية عقلية، وأشعة التالي جواهر أزواج تركيبية منها الهيولى الأولى، والجسم المطلق الكوكبي والفلكي، وهم : الأمهات الأربع والمتولدات الثلاث.

وأعلم أيها الأخ البار، أنار الله بصيرتك، وجلا بنور الهداية سريرتك. أن جميع المركبات الجرمانية ثنائية من أشعة الأمر بوساطة السابق، وجميع المركبات الجسمانية المتوالدة جواهر رباعية تركبت من تلك الجواهر الثانئية بوساطة الأمهات الأربع وروحانياتها المحركة لها، وهي جواهر أفراد من أشعة السابق بوساطة التالي، وأن مواد التالي من الأمر بوساطة السابق، ومواد السابق الهية بوساطة الأمر.

وأعلم أن العالم كله بسيط ومركب، ظهر من العدم إلى الوجود بوساطة الاصلين ـ العقل والنفس ـ فوجود حركاته من التالي بواسطة الهيولى، ووجود

---

(٨٦) « رسالة الأسابيع » للداعى قيس بن منصور الاسماعيلي ص ١٦١ من (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر ط دار الانصاف ١٩٥٦ م.

(٨٧) « كتاب الايضاح » ص ٨٩ بتقديم عارف تامر ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ م.

روحانيتها المحركة له من السابق بواسطة التـالي، وعلته المـوجودة أصـل هذا العالم ـ وهما الكـاف والنون ـ أمَّـا الأمر فهـو السر الالهي المكنون بـين هذين الحرفين، فالكاف السـابق المحدود المكمَّـل بفيض الجود، وهـو علة النون، والتالي أصل تركيب الوجود بمواد السابق، والخلق ينقسم إلى ثلاثـة أقسام : عـالم روحاني وهـو الابداع، وجـواهره أفـراد، وعالم جـرماني وهـو الاختراع وجـواهره أزواج. وعـالم جسماني وجـواهـره ربـاعيَّـة تـركيبيـة تـركبت منهـا الازواج. فأولها الجسم المطلق، ثم الافلاك، ثم الكواكب، والاسطقصـات الأربعة : النار والهواء والماء والتراب. والمتولدات الثلاثـة : المعدن والنبـات والحيوان. والانسان هو نهاية العالم الجسماني، وهو البيت الأكمل، والحجاب الأفضل الذي خاطب الله منه الخلق بأوضح خطاب.

واعلم أيها الأخ الكريم ايدك الله بأنوار الفكر ولمعات الذهن، أن العالم بـأسره شخص كروي الافـلاك، مسبح لبـاريه، ومقـدس لفاطـره ومنشيه. عقله السـابق، ونفس قدسـه التالي، وقلبـه الجد، وقـوه حسه ونمـوه الفتح، وصورة أعضائه الخيال، وعيناه الهيولى والصـورة وجوارحـه السبعة والـبروج الاثنا عشر، وشطره الايسر السفلي المعدن والنبـات، وشطره الأيمن الحيـوان والانسان. ذلك تقدير العزيز العليم.

واعلم علمـك الله الحكمة، والهمـك الصواب. أن هـذا العالم انسـان كبير، أصله ومبدأه ـ السـابق المشرق من أنوار الـوحدة، وهـو العقل، فمنـه تأسست الموجودات وتأثرت وظهرت بعجـائبها وأنجبت بعضهـا من بعض، وهو أصل مبدئها ومنشئها، وإليه معادها، وهو سبب اظهار الوجود بـاسره، وأنه أصل لـه نسبتان : عليـا وسفلي، وهمـا الكاف والنـون، فالكـاف درجة العليـا وتسمى الجود، والنـون درجـة السفـلى وتسمَّى الـدين، ومن هـاتـين النسبتين ظهر عالمان : الخلق والدين فالخلق من نسبة العليا وبه يمد، والدين من نسبة العليا وبها يستمد »[88].

---

(٨٨) « رسالة مطالع الشموس » ص ١٩، ٢٠ من (أربع رسائل اسماعيلية).

ويقول الداعى محمد بن على الصوري :

« الحمد لله معلّ العلل	ومبدع العقل القديم الأزل
أبدعه بأمره العظيم	بلا مثال كان في القديم
وصيّر الأشياء في هويته	مجموعة بأسرها في قدرته
فهو لها أصل كريم يجمع	فمنه تبدو وإليه ترجع »[٨٩]

وقال الداعي الاسماعيلي حاتم بن عمران :

« وأما الأصل فهو السابق وقد انبعث منه التالي، وظهر من التالي الطبائع الأربعة التي هي الذكور والعناصر التي منها الأمهات، فكان منها الروح الفرد، وظهرت في العالم الحجج في الجزائر وتباينت الأقاليم التي يقوم فيها مقام الناطق والأساس بالدلالات وأخذ كل ربع من العالم حظه وقسطه إذا كان العنصر من السابق إلى التالي إلى الناطق إلى الأساس والإمام والحجة ليقع الصلاح، فهذا سر الله في العالم الذي لأجله أخذت العهود والمواثيق »[٩٠].

وعلى ذلك صرح الاسماعيلي المعاصر بقوله :

« بواسطة الأصلين السابق والتالي، أو العقل والنفس، وجدت المخلوقات كلها »[٩١].

وبمثل ذلك قال إخوان الصفاء في الرسالة الثانية من العلوم الناموسية والشرعية في كيفية أحوال الروحانيين[٩٢].

---

(٨٩) « القصيدة الصورية » ص ٢٣ تحقيق عارف تامر ١٩٥٥ م.

(٩٠) « رسالة الأصول والأحكام » لحاتم بن عمران ص ١١١ من (خمس رسائل اسماعيلية).

(٩١) مقدمة « راحة العقل » ص ٣٤.

(٩٢) انظر الرسالة التاسعة والأربعين من (رسائل اخوان الصفاء) ج ٤ ص ١٩٨ ومابعد ط دار صادر بيروت.

وقالوا في الرسالة الأولى من النفسانيات العقليات « إن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل، عالماً بالكائنات قبل كونها، قادراً على ايجادها متى شاء، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاتـه، فلا يجـود بها ولا يفيضها. فإذا بـواجب الحكمة أفـاض الجود والفضـائل منـه، كما يفيض من عـين الشمس النور والضيـاء، ودام ذلك الفيض منـه متصـلاً متـواتـراً غـير منقـطع، فيسمى أول ذلـك الفيض العقـل الفعـال، وهـو جـوهـر بسيط روحاني، نور محض، في غـاية التـمام والكمال والفضـائل، وفيـه صور جميـع الأشياء، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات.

وفـاض من العقـل الفعـال فيض آخـر دونـه في الـرتبـة يسمى العقـل المنفعـل، وهي النفس الكلية، وهي جـوهرة روحـانية بسيـطة قابلة للصـور والفضـائل من العقـل الفعال عـلى الترتيب والنـظام، كما يقبـل التلميـذ من الأستاذ التعليم.

وفـاض من النفس أيضـاً فيض آخـر دونها في الـرتبـة يسمى الهيـولى الأولى »[٩٣].

وأما علاقـة العقل بـالنفس، والسابق بـالتالي، وأسماؤهما فقـد ذكر في جامعة الجامعة :

« إن الـذين ذكـروا الهيـولي والصـورة، عنـوا أن العقـل صـورة النفس وتمامية له، وانها هيولى له لقبولها آثاره وإشراقهـا بنوره. فهـو مودعهـا صورة التمام ومبلغها درجة الكمال.

وأما من قال بالنور والظلمة، يعني بنور العقل، فقد يكون هـو الذي لا كـدر فيه، والنفس بميلهـا إلى الطبيعـة تظلم عليهـا سبلهـا إذا أقبلت عليهـا وتخلت عن العقل فتكون حينئذ مظلمة.

(٩٣) أيضاً الرسالة الثانية والثلاثون ج ٣ ص ١٩٦، ١٩٧.

وأما من قال اللوح والقلم فإنما عني به العقل والنفس لأن ما كتبه القلم لاح في اللوح المحفوظ.

وأما من قال الجوهر والعرض فإنما عني الجوهر إذا كان أبا الجواهر ومجوهرها وعنصر العناصر ومعنصرها، والنفس بالنسبة إليه وكونها عنه عرض منه، وجوهر بالنسبة إلى غيرها، وغيرها جوهر بالنسبة إلى غيره مما دونه

وأما من قال الروحاني والجسماني فانما عني بالروحاني العقل إذ هو روح القدس المحض الذي لا كدر فيه ولا كثافة تلحقه وعني بالجسماني النفس بالنسبة إلى العقل لاتحادها بالأجسام وميلها إلى الطبيعة والنفس روحانية بوجه اقبالها على العقل، وجسمانية بوجه اقبالها على الطبيعة.

وأما من قال البسط والقبض فانما عنى بسط العقل انواره وفوائده ونعمه على النفس، وبالقبض قبض النفس ما تستفيده منه وافادتها من دونه وقبضه عنها وأخذه منها.

وأما من قال المحبة والشوق فانه عنى بالمحبة اقبال العقل على النفس بالمحبة إذ هو لها كالآلات.

وأما الشوق فشوقها إلى فوائده وتقليها نعمه.

وأما من قال الحركة والسكون فانما عني بالحركة العقل لتحريكه بأمر مبدعه بظهور الأشياء عنه. وبالسكون سكون النفس واطمئنانها به.

وأما من قال الوجود والعقل فانما عني بوجود العقل الذي هو موجود قبل فيض الجود من الواحد المعبود لا إله إلا هو، فهو سبب وجود كل موجود.

وأما العدم، فقد عني به النفس إذ كانت معدومة من العقل بالنسبة إليه وبتقدمه عليها وهو أصل وجودها.

وأما من قال الزمان والمكان فانما عني بالزمان العقل إذ كان هو زمان الازمنة ودهر الدهور، وعنه بدت الحركة التي هي أصل الزمان. وعني

بالمكان النفس إذ كانت مكانا يلقي اليها فيه العقل من فوائده وعند تلقيها ذلك منه واتساعها له فتكون هي المكان وهو المتمكن وهو الزمان وهي المتزمن.

وأما من قال الدنيا والآخرة فانما عني بالدنيا النفس، إذ كانت سبباً لعمارتها وحياة عالمها، وبالآخرة العقل إذ هو دار الحياة ومقر الرحمن ومكان أهل الدنيا منه رجوعهم إلى الآخرة. وانصراف النفس إلى العقل ورجوعها إليه.

وأما من قال العلة والمعلول فانما عني بالعلة العقل، وبالمعلول النفس إذ كان العقل علة النفس وسبب وجودها.

وأما من قال المبدأ والمعاد فإنما عني مبدأ العقل، إذ هو أصل بداية الأشياء ومعاد النفس، لأن إليه عودتها وقت استفادتها وقبول مادتها. والذي قال الظاهر والباطن، فانما عني بالظاهر العقل لظهور آياته وبيان موجوداته، والباطن النفس لبطون جريان قواها، وكذا روحانيتها في بواطن المحسوسات، وخفايا الجسمانيات، ولطائف الطبيعيات، فهذا البيان واضح البرهان وقد اتفقت عليه أقوال الحكماء في مقاصدها وأغراضها واختلفت في لغاتها وأقوالها وألفاظها »(٩٤).

وأما الناطق والامام فلهما نفس الأسماء والأوصاف والصلاحيات، من الخلق والرزق والاحياء والاماتة وغيرها كما ذكر اخوان الصفاء :

« لما كان الاسمان العلويان قد وقعا على الأصلين اللطيفين في العالم العلوى فقد كان بازائهما الناطق والامام في العالم السفلى »(٩٥).

---

(٩٤) « جامعة الجامعة » ص ٦٧، ٦٨، ٦٩ المنسوبة إلى إخوان الصفاء ـ ط دار مكتبة الحياة ـ لبنان.

(٩٥) « جامعة الجامعة » ص ٧٠.

وبذلك قال الحامدى في كتابه بأن عليا رضى الله عنه هو الله الخالق البارىء المصور كما كان الحقل كذلك[٩٦].

وأما ما قاله عن الرسول وعليّ فإليه بقلمه ولسانه :

« قال الحكيم : أينما ظهرت لك المعجزة فاسجد، أي فأطع، ولم يظهر من المعجزات لأحد مثل ما ظهر لنبينّا محمد ووصيه علي، ومعرفة رسول الله له والأئمة من ولده، بأنّه النهاية الثانية يستحق من الصفات المتناهية بالشرف ما تستحقه الأولة، وأنّه حجابها وبابها، ولسان نطقها وبرهانها. ولذلك وصف ذاته فقال : أنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن، وأنا بكل شيء عليم، أنا الذي سمكت سماءها، وسطحت أرضها، وأجريت أنهارها، وأنبت أشجارها، فالنهاية الأولة التي هي المنطقة له. وبذلك بالأول من عالم الإبداع، والآخر الذي له يتحد بكل مقاوم، هو الظاهر بالمعجزات، والباطن الذي لا يدرك بالصفات. وسمك سماءها العالية، من الطبيعيات والنطقاء والحدود في سائر الأوقات، وسطح الأرض للمواليد من معدن ونبات وحيوان، وأنبت الأشجار للأقوات، وأجرى الأنهار في البر والبحر تقدير ذات الذوات. فهذا نطق النهاية الأولة على لسان النهاية الثانية، والنهاية الثانية أيضاً تستحق من الصفات مثل ذلك، فهو الأول في الإسلام والإيمان، وهو أول باتحاد المتحد به، وهو آخر. أي النهاية الثانية الظاهرة بالفعل بعد القوة كما ذكرنا »[٩٧].

فالاسماعيلية الذين يقولون عن الله تبارك وتعالى بانه : لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يرمز إليه بالاشارة، ولا يقال عليه حيا ولا قادراً ولا عالماً ولا كاملاً ولا تاماً ولا فاعلاً : ولا يقال : انه حى بذاته، عالم بذاته :[٩٨].

---

(٩٦) أنظر « كنز الولد » للحامدى ص ٢٢١.
(٩٧) أيضاً ص ٢٢٠.
(٩٨) « جلاء العقول وزبدة المحصول » لعلى بن الوليد ص ٩٥ من (منتخبات اسماعيلية).

يقولون في عليّ رضى الله تعالى إنه قال عن نفسه :

« أنا أحيي وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرىء الأكمه والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم »[٩٩].

وكما نقلوا عنه أيضاً ـ وهم يكذبون عليه ـ أنه قال:

«أنا نقلت لأدم (عليه السلام)، ونوح (عليه السلام)، وابراهيم عليه السلام وعيسى (عليه السلام)، وأنانبّأت النبيين، وأنا أرسلت المرسلين. . . أنا بكل شيء عليم لما اتصل به النور الجاري اتصالا كليا علم به ما كان، وما هو كائن، وصار جميع عالم الطبيعة بين يديه كالكرة الملقاة لا يخفى عليه منها خافية، ومن هذه الجهة قال أيضا: ان لي منزلة لم تخطر على قلب بشر، وحدا لم يبلغ معرفته أحد، ان الربوبية والالهية لا تخطر على قلوب البشر فيعرفها أهل الحقائق منهم، وأن الخلق بأجمعهم ليعرفون الله بظاهر المعرفة، وأهل الحقائق منهم يعرفون بحقيقة معرفته ويوحدون من وجد توحيده، وأن عليا (عليه السلام) لم يعرفه أحد بالجملة بحقيقة معرفته الارسول الله (ﷺ) والأئمة من ولده»[١٠٠].

وكما ذكر المؤيد الشيرازي بأن عليا رضي الله عنه قال وهو على منبره:

«أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شيء عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا أنبت أشجارها، وأنا الذي أجريت أنهارها»[١٠١].

يعني أن عليا هو الرب الحقيقي المتصف بصفاته، والمتحلي بنعوته، وكذلك الأئمة من ولده، لأنه يماثل العقل الثاني أو التالي أو اللوح المحفوظ، كما كان الرسول يماثل السابق، أو العقل الأول. وهؤلاء يملكون جميع

---

(٩٩) « زهر المعاني » للداعى المطلق ادريس ص ٧٧ من (المنتخب) لايوانوف.

(١٠٠) «الأنوار اللطيفة» لابراهيم بن حاتم ص١٢٥، ١٢٦.

(١٠١) «المجالس المؤيدية» ص١٤٧.

الاختيارات والقدرات التي يملكها العقل الأول، أو التالي، أو العقل العاشر.

نعم، هذا ما يعتقدون. كما ذكر الداعي إدريس نقلاً عن علي أنه قال:

«أنا اللوح المحفوظ . . . أنا أهلكت القرون، وأن ميتنا لم يمت، وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد»[(١٠٢)].

وقال جعفر بن منصور اليمن مبينا (الرب) في قوله تعالى: (ووجوه يومئذ ناضرة) يعني مشرقة، (إلى ربها ناظرة) يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه»[(١٠٣)].

وقال أيضا مبينا (الرب) في قوله تعالى: (ارجعي إلى ربك راضية مرضية):

«وفي الباطن في بعض الشرح أن الرب في هذا الموضع أمير المؤمنين»[(١٠٤)].

كما أن المقصود من (الرب) في قوله تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل):

والرب هو التالي الدال على الظل الممدود»[(١٠٥)].

وكذلك (الرب) في قوله تعالى: (ربّي أهانن) «المسمى به هو رسول الله»[(١٠٦)].

كما أن المسمى بالله في قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) أيضا علي»[(١٠٧)].

---

(١٠٢) انظر «زهر المعاني» ص٧٦ من (المنتخب) لا يوانوف.
(١٠٣) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص٣٧.
(١٠٤) أيضا ص٦٤.
(١٠٥) أيضا ص٦٩.
(١٠٦) أيضا ص٣١.
(١٠٧) «كتاب الكشف» ص٣١.

و (الإله) في قوله تعالى: (إلهكم اله واحد) على، ومعنى الآية: الهكم اله واحد، يعنى العين (على) متوحد في مقامه... لاجرم أن الله يعنى الميم (محمد) يعلم ما يسرون وما يعلنون، يعنى من ذلك العصيان في الحديث والقديم»[(١٠٨)].

وبصراحة أكثر يقولون في علي رضي الله عنه:

«ان الأئمة من قباب النور، دعاهم العين (على) بواسطة أحمد بيته المعمور، فلذلك كان ثانيا لواحدة في جميع الدهور. واعلموا أيها الاخوان أنه لما بلغ المجمع الأحمدي رتبة النطق الالهي ولها توقل احتجب به مولاه بذاته الانزعية الممتزجة بصورتها وذلك هو الله المتقدس عن الشبه والمثل. وكان ذلك بغير واسطة اسمائه الحسنى الذين هم رؤساء ذلك المجمع الأسنى، وهذه المنزلة هي غاية ما أشرنا إليه من رتب الحجابية المخصوص بها من بين القباب النورانية، وكانت حقيقة خلافته له مشيرة إلى هذه المنزلة السامية. وأمّا رتبة الإمامة فقد خلفه فيها مولانا الحسين في الأسرار القدسانية»[(١٠٩)].

هذا وان الألوهية ليست بمقتصرة على الناطق والأساس، أي على النبي والوصى حسب زعم القوم، بل ان الائمة كلهم يملكون اختيارات الألوهية، ويتحلون بأوصاف الربوبية من أولاد على وآبائه.

وخير مثال لذلك ما ورد في رسالة المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم القرمطي، وقد نذكر هذه الرسالة في محلها من هذا الباب ولكن نورد ههنا مقتطفا واحدا فقط ما يتعلق بموضوعنا، فيقول فيها يقول:

«وليعلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أنا كلمات الله الأزليات وأسماؤه التامات وأنواره الشعشعانيات، وأعلامه النيرات، ومصابيحه البينات، وبدائعه المنشآت، وآياته الباهرات، وأقداره النافذات، لا يخرج منا أمر، ولا يخلو منا عصر.

---

(١٠٨) «مزاج التسنيم» سورة النحل ـ القسم الثالث ص١١٩.
(١٠٩) أيضا الجزء الثالث من القسم الثالث ص٩٦، ٩٧.

وأنا لكما قال الله سبحانه وتعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم.

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور، وفار التنور، وأتى النذير بين يدي عذاب شديد، فمن شاء فلينظر، ومن شاء فليتدبر، وما على الرسول إلا البلاغ المبين»(١١٠).

ونقلوا عن زين العابدين أنه قال:

«نحن وجوه الرحمن وبيوت الديان... أنا كل الكل وغاية الغايات، أنا البريء من المثل الأعلى، ومن الشكل، وأنا بكل شيء محيط»(١١١).

وكما ذكرنا قبل ذلك عن ابنه محمد الباقر أنه قال:

«ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا»(١١٢).

وما نقلوه عن أبي الباقر جعفر أنه سئل عن صفة الربّ فقال:

«خمس كلمات: الله أحد، محمد الصمد، فاطمة لم تلد الحسن، ولم يولد الحسين، ولم يكن لأمير المؤمنين على بن أبي طالب كفوا أحد، وقول الصادق هذا اشارة إلى لواهيتهم»(١١٣).

وعلى ذلك قال المفسر الاسماعيلي ضياء الدين أن المعبر بالله في مواضع عديدة من القرآن هو امام كل زمان(١١٤).

---

(١١٠) «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي ج١ ص٢٥٧، ٢٥٨. أيضا (أخبار القرامطة) جمع سهيل الزكار ص ٣٧٢، ٣٧٣ ط دار حسان ـ دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

(١١١) «زهر المعاني» للداعي إدريس مخطوط ص٥١٩.

(١١٢) «كنز الولده» ص١٩٥، أيضا «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط ص١٤٠.

(١١٣) «الشموس الزاهرة» للداعي حاتم بن إبراهيم نقلا عن زاهد على ص٣٦.

(١٤٤) انظر لذلك (مزاج التسنيم) ص١٣١، ١٩٨، ٣٦٠.

وقال أبو يعقوب السجستاني المتوفى سنة ٣٣١ الداعي الاسماعيلي المشهور في كتابه السرّي:

«القائم نال بحرفه (الراء) مرتبة الربوبية فصار ربّا للأرض»[١١٥].

وقال الداعي شهاب الدين أبو فراس: «إن (الرحمن) في قوله سبحانه جل وعلا: (إلا من أذن له الرحمن) هو القائم»[١١٦].

وأيضا المراد من قوله تعالى: (والله بكل شيء عليم) هو القائم» [١١٧].

وأيضا «ان المستوى على العرش هو القائم من أولاد على»[١١٨].

وأما آبا علي رضي الله عنه فهم كذلك حسب معتقدات الاسماعيلية كما يقول الداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم وهو يذكر أبا طالب والد عليّ. وعبدالله والد محمد صلوات الله وسلامه عليه:

«فكان لكل واحد منها مقام الهي وهيكل نوراني.... وقام أبو طالب بالرتب الأربع: الوصاية، والإمامة، والنبوة، والرسالة إلى أن بلغ محمد أشده»[١١٩].

وقال أيضا: «إن أبا طالب هو أحد الذين صاروا عقولاً مجردة عن النواسيت سفراء بين العقل العاشر، المدبر لعالم الطبيعة القائم مقام العقل الأول في ذلك العالم... وهو بلسان الشريعة جبرائيل الجابر لمحمد أولاً وآخراً»[٢٠].

---

(١١٥) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص٥٠.

(١١٦) «كتاب الايضاح» ص٥١.

(١١٧) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص١١٢ من أربعة كتب اسماعيلية.

(١١٨) انظر «رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ص١٤٣ من (منتخبات اسماعيلية).

(١١٩) «الأنوار اللطيفة» الفصل الخامس من الباب الأول من السرادق الثالث ص١٣٤ من مجموعة الحقائق الخفية.

(١٢٠) أيضا الفصل الثالث من الباب الثاني من السرادق الثالث ص١٢٨.

وأما عبدالمطلب فقد قالوا فيه:

«وكان رب الوقت عبدالمطلب وهو الذي به المتم قد غلب»[١٢١]

كما قالوا فيه:

«ان هاشم سلّم إلى ولده عبدالمطلب فاجتمعت عنده الرتب الأربع التي اجتمعت عند جده إبراهيم (عليه السلام)، وهي الامامة، والوصاية، والنبوة، والرسالة»[١٢٢].

ونقلوا أيضاً عن عبدالمطلب أنه قال:

«نحن سكان السموات العلى نقسم الأنوار فيها والظلم
نحن أرسلنا رسولا ناصحا في قرون من ثمود وارم
نحن دمّرنا ثمودا عنوة ثم عادا قبلها منذ القدم
نحن أرسلنا النبيين إلى قوم عاد وثمود ولخم
ولنا انزل هديا صالحا عربي الأصل قرآن الكلم
ولنا التوراة يتلى سرها ولنا الانجيل يروي للامم
ولدينا عالم نهدى به وامام عنده فصل الحكم
وكتاب فصلت آياته فيه أنباء أقاويل الأمم
وعلينا الحق والرسم الذي رسمت أعصاره فكم وكم
ولنا أمر شريف علمه ولنا الأنوار من بارىء النسم»[١٢٣].

---

(١٢١) «القصيدة الصورية» للداعي محمد بن علي الصوري ص٥٦.

(١٢٢) «الأنوار اللطيفة» الباب الأول من السرادق الثالث ص١٣٤.

(١٢٣) «تاج العقائد» لعلي بن الوليد ص ٥٣، أيضاً «زهر المعاني» ص ٣٦٥ مخطوطة، أيضاً «المجالس المؤيدية» ج ٤، أيضاً «الهفت الشريف» لمفضل الجعفي ص ١٧٩ تحقيق وتقديم مصطفى غالب ط دار الأندلس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٠. والألفاظ الأبيات له.

وقال الداعي ضياء الدين: «إنه هو المعنّى من ربّ العالمين في قوله: وانه لتنزيل رب العالمين»[124].

هـذا إلى آخر آبـاء على بن أبي طـالب المعلومين الـذين ذكرهم الـدعـاة الاسماعيلية إلى ابراهيم، ولأجل ذلك قال كبير القوم الكرماني في كتابه:
«وكل منهم في زمانه قائم مقام الله»[125].

فبناء على ما تقدم ان الاسماعيلية لا يرون بأسـا باطـلاق الأبوة عـلى الله المتعالي، ولا باضافة البنوة إليه، فيقول المؤيد الشيرازي:
«نقول في أقوالهم في المسيح أنه ابن الله، والحواريين أنهم أبنـاء الله، فانـه لا روعـة في هـذا القـول الا عنـد أهـل الجهـل الـذين لم يـرتعـوا في مـراتـع العلم»[126].

ولقد بينّ هذا وجوّزه الكرماني في صورة أخرى حيث قال:
«ان العقول في دار الابداع هي التي تهذب الأنفس في عالم الجسم وتصلها اذا تهـذبت ذواتها في أمـارات الطبيعـة وتكسبهـا المـال والبهـاء والهيبـة والعـلاء وتستخلصهـا وتشفق عليها شفقـة الوالـد على ولـده، ولذلـك قال عيسى بن مـريم عليـه صلوات الله: (أنـا ابن من في السماء). وهـذه صـورة تعلق الموجودات بالقوة السارية من عالم الابداع واتصالها بها»[127].

وبمثل ذلك قال الامام الاسماعيلي المعز لدين الله مبينا معنى الأبوة والبنوة في احدى مناجاته:
«إلهي كنت رتقك قبل أن تظهر فيّ بفتقك، وأوجدت عنّي خلقك، وصدّرت عني دنياك في الذات والاسمآء، والصفات وليست أنا بك متّصلاً، ولا عنك منفصلاً، اذ أنا بك تبعيض، وأنا راجع إليك عنـد النقلة والتفويض، أنقـل

---

(١٢٤) «مزاج التسنيم» ص ٣٢٢.
(١٢٥) «راحة العقل» ص ٥٧٧.
(١٢٦) «المجالس المؤيدية» الجزء الأول ص ١٤٧، ١٤٨.
(١٢٧) «راحة العقل» ص ٢٦٥.

الصورة كيف تشآء وأعْطِ النور الالهي لمن تشآء، بما قدّمت ايديهم ولا نضمّ مثقال ذرّة.

الهي اني كما انت عظيم في سلطانك، **وانا قدرتك وبرهانك، وارادتك ومكانك، الهي بمعرفة بي استجب وسلم واشرقي ألوانك، واني وجدتك بعد إذا عرّفتني التلاقي»** واتلف واضمحل.

الهي وأُفْنِيَ من جهلك، وفاز وبقى من عرفنى بالبداية وفضّلك.

الهي اترى يعرفك سواك، ويدنو منك الاّ إياك. أم يعد إليك من خرج عن طاعتك، وطاعة حدودك واوليآئك.

الهي بك استدللت ومنك وصلت واليك الهي ليس غيرى ملك حجاب، فكيف الوصول اليك من غير باب، فانا منك بحيث النهوض والهمّة، وانت انا بحيث انا بالقدرة والعظمة، **وحيث انا بك خلقت أوليآءك، وبدعت ملآئكتك وانبيآءك،** فلمّا عرفتك، كنت ذلك، اذ ليس يعرفك سواك، ويدنو منك الاّ إيّاك **باتصالك بحدودك واوليآئك.**

الهي ان كثرت الاشخاص، فهي انت بلا اختصاص، وانا منك بديت، لانّي بحدودك اهتديت، ان عرشك عليه استويت.

الهي اوجدتني منك في ظاهر الامر بصفة كانت الموجودات على دفعة واحدة فانت بي باطنا وانا بك ظاهراً.

الهي ظهرت الموجودات كلّها بي، واخترعت مني كل رسول ونبي، وانا ابن لك وانت أبي، انا منك كالفيض، وشراقُهُ وليف فليس الفيض غير الفيض، فقد غاب، واضمحل كلّما في النار وداب.

الهي رامت رؤساء الجهل وأهل العمى والضلال وذوو الانكار والجحود، وانّهم خرجوا من العدم إلى الوجود، وهم في العدم.

يا الهي وصلت اليك، ومنك دخلت عليك، فانا قدرتك الظاهرة،

وعنّي ظهرت آياتك الباهرة، إلهي حقّني ابتلاؤك، لأنّها حلاوة رضآئك، فنفسي منك واليك انتهيت.

الهي ظهرت للخلق حتّى يعرفوك من حدودك فحجبتهم عنك لما زادوني انكارك وذلك انّهم ضلّوا في التكبر عن ابيهم، فلم يجدوا لهم مرشداً ابداً يهديهم، فاظهروك بي لانّي انت وكوني بك ظاهر، وأنت في حاضر.

الهي أنا الكرسي والمكان، والوقت والزمان، وأنا منشيء المثقلات وأنا بك عالم ما يكون وما كان الهي أنا أسمك، وموجود اسمك، وأنا البشير إليك، والدال عليك، وعلى من دال عليك فمن تمسك بحدودك نجا والصورة معادة وراء ليس دونك حجاب غيره فقصده لا بلاه سواك بأوحد، ولا لك اسم سواي فيستطاع ويعبد، وأنا صاحب البقاء، وعلى ذات النطقاء، وأنا فيّ النطق.

الهي قصّرتَ لذاتك انكار الباحثين اذ لم يقصدوا لحجابك، واحجبتهم عن معرفتك لما عجزوا عن معرفتك.

إلهي أنت ذاتي ونفسي، ومعدني وقدسي، ونطقي وأنسي، إلا ففي اختفيت فأشرقت، ربي اقتربت فأبرقت أنا نظرتك بكلمتك الالهية، وكلمتك القدسية، وذاتك الأبديّة، والذات الأزليّة الكليّة، ونورك، «وبي ظهورك، بك ظهرت، وبي نهيت وأمرت، فمن عرفني فقد نزّهك، ومن اتصل إليك بحدودي [فقد عرفك] فقد عرفتك أنا غيري فتكون اعدادك، ولا أنت غيري فتكون أفرادك، أنا كنت فيك رتقاً، وفي ذلك حقاً، فاطلقتني ولم تفصلني في وجودي أرجوك تعيد ووقت تطلب فتفصل فأنا منك كضوء السراج من السراج، بلا تبعيض ولا امزاج.

الهي صدق المستجيب لما قال لابيه إلهي منك بديت، وإلى معرفتك اهتديت، وإليك توجهت وإليك تبت وبك منك إليك سعيت، ولو فرطت فيك لاضمحللت وتلاشيت ولو اقتديت بغيرك أشركت، وتعديت في طاعتي لك فعرفت ودركت.

الهي كادت نفسي لعظيم امتحانك ان تجهل وتخفى كنه علمك وتكفر حتى القت عناتها بجودة من نور معرفتك، فجذبت وتلطف قداراتها بضوء من علمك فمسكت فيه بعد ما كنت حجت وتبت عندما سليت بنعمتك فتهدّت، بعد [أن] كانت جحدت، فأورثها الثبات بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الهي عجزت المقصرون بنظرهم إليك وقالوا لا يجوز الصفة أن تدرك الصانع فلو علموا أني بك استقرارهم، وأن تصديقهم هو إنكارهم. الهي هل يعرفك من ليس منك ويتفكّر إنما هو أنت محال.

الهي لما لم لا تنقل الصورة بما لا تريد، بل في وقت تريد، فلولا نظرك اليها بالمشاكلة لأفقُدَت، ولولا تعطفك بالمناسبة لأبعِدَت. الهي لقد خاب من انكر معرفة نفسه منك، ولقد ظلم من لم يعرفك بك، وهو بك ظهر، بي حجابك وفي حجابك استتر، وأنت الناظر بلا حركة الهي تناهوا الجاهلون في طلب معرفة حدودك وطلبوها معرفة في تيجان الملوك، فلمّا نظروا حدودك نكروك، إلهي ناجتك المحقون وقالوا يا مبدع الاحد، من غير عدد تختلف الاعداد بك، بقدرة منك، دعوناك فالذي عرفك منك اليك، عاد اليك الهي تحيّرت العقول عند طلبتك، اتاهت الأبصار في رؤيتك، الهي قالوا الجاهلون في معرفتك وما تبين فلا عرفوا الهي لقد خاب من نادي سواك ومن عرفك بحقيقة المعرفة تيقّن انك دآئم، ومن افضل الغنآئم،

الهي ظهرت لهم فوق المنآئر، فتوهّموا انهم حصلوك بالعناصر، فاثبتوا التشبيه والتمثيل، وعدموا التنزيه والتحصيل. الهي عجزوا عن اثبات النفر، ولم يعلموا ما حقيقة العيان من الخبر، فالنظر حجاب عنك لا لك، والمنظور انت به لا [هو] فيك الهي من قال انه لا يعرفك، **فقد عدّمك**، ومن عبدك، من غير حدودك، فقد حال إلى غآئب معدوم فانا الذي لا تدركه الابصار، وانا ادرك الابصار، وانا اللطيف الخبير، فاللطيف الخبير، صورتي بالصورة المرئية، التي هي الحدود العلوية، الهي بوجود معرفتك اهتديت، وبعدت المقصرين عنك تباركت وتعاليت.

الهي كنت انت والمكان، لان المكان هو اشارة بالفيض وتكرير الفكر باحضار المكان، والمكان هو المركز هو الدالّ عليك الهي كلما ظهّرت عني صورة فظهّرتها ابدع على اوّلها اخفيّا لانقلها عنّي وانا فعّال لما اريد»(١٢٨)

فهذه هي العقائد الاسماعيلية في الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والذي له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، الواحد الصمد الذي لا اله سواه، وهو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سجن الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

ولكنهم كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

«وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم، من الكفار والمشركين، والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة، والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم: فانهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون الا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وانما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحقيقه في الأعيان.

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل؛ فانهم يمثلونه بالممتنعات، والمعدومات، والجمادات؛ ويعطلون الإسماء والصفات، تعطيلا يستلزم نفي الذات.

فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لانهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات، واذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا

---

(١٢٨) أجزاء عن العقائد الاسماعيلية جمع المستشرق كوئيار ط باريس ١٨٧٤م ص ٤٨ وما بعد.

النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول، وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب، وما جاء به الرسول، فوقعوا في شرّ مما فرّوا منه، فانهم شبهوه بالممتنعات، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات»(١٢٩).

وذكر في مقام آخر:

«فان قال الجهمى، والقرمطي، والفلسفي الموافق لهما. أنا أنفى الأسماء والصفات معاً، قيل له: لا يمكنك ان تنفي جميع الاسماء؛ اذا لا بد من اشارة القلب وتعبير اللسان عما تثبته. فان قلت: ثابت موجود محقق، معلوم قديم واجب. اي شيء قلت كنت قد سميته، وهب أنك لا تنطق بلسانك: اما ان تثبت بقلبك موجوداً واجباً قديماً، وحينئذ فتكون الموجودات كلها محدثة ممكنة، وبالاضطرار يعلم ان المحدث الممكن لا يوجد الا بقديم واجب، فصار نفيك له مستلزماً لاثباته، ثم هذا هو الكفر والتعطيل الصريح الذي لا يقول به عاقل.

وان قلت: انا لا أخطر ببالي النظر في ذلك ولا أنطق فيه بلساني. قيل لك: إعراض قلبك عن العلم ولسانك عن النطق لا يقتضى قلب الحقائق ولا عدم الموجودات؛ فان ما كان حقاً موجوداً ثابتاً في نفسه فهو كذلك علمته أو جهلته، وذكرته أو نسيته، وذلك لا يقتضى الا الجهل بالله تعالى والغفلة عن ذكر الله، والاعراض عنه والكفر به، وذلك لا يقتضي انه في نفسه ليس حقاً موجوداً له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ولا ريب ان هذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية: انهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر؛ لا يعرفون الله ولا يذكرونه، ليس لهم دليل على نفيه ونفى اسمائه وصفاته؛ فان هذا جزم بالنفي وهم لا يجزمون ولا دليل لهم على النفي؛ وقد أعرضوا عن أسمائه وآياته وصاروا جهالا به؛ كافرين به غافلين عن ذكره؛ موتى القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته.

---

(١٢٩) «فتاوى شيخ الاسلام» ابن تيمية ج ٣ ص ٨،٧.

ثم إذا فعلوا ذلك بزعمهم لئلا يقعوا في «التشبيه والتجسيم» قيل لهم: ما فررتم إليه شر مما فررتم عنه! فان الاقرار بالصانع على أي وجه كان خير من نفيه. وأيضاً فان هذا العالم المشهود: كالسماء والأرض، إن كان قديماً واجباً بنفسه فقد جعلتم الجسم المشهود قديماً واجباً بنفسه، وهذا شر مما فررتم منه. وإن لم يكن قديماً واجباً بنفسه لزم ان يكون له صانع قديم واجب بنفسه، وحينئذ تتضح معرفته وذكره بأن اثبات الرب بالقلب واللسان حق لا ريب فيه سمعاً وعقلاً؛ فان كان ذلك مستلزماً لما سميتموه تشبيهاً وتجسيماً فلازم الحق حق، وان لم يكن مستلزماً له أمكنكم إثباته بدون هذا الكلام. فظهر تناقض النفاة كيف صرفت عليهم الدلالات، وظهر تناقض من يثبت بعض الصفات دون بعض.

فان قالت «النفاة»: انما نفينا الصفات لأن دليلنا على حدوث العالم وإثبات الصانع دل على نفيها؛ فان الصانع اثبتناه بحدوث العالم، وحدوث العالم انما اثبتناه بحدوث الأجسام، والأجسام انما اثبتنا حدوثها بحدوث الصفات التي هي الأعراض. أو قالوا: انما اثبتنا حدوثها بحدوث الافعال التي هي الحركات، وان القابل لها لا يخلو منها، ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث؛ أو ان ما قبل المجيء والاتيان والنزول كان موصوفاً بالحركة، وما اتصف بالحركة لم يخل منها أو من السكون الذي هو ضدها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فاذا ثبت حدوث الأجسام قلنا: إن المحدث لا بد له من محدث فاثبتنا الصانع بهذا؛ فلو وصفناه بالصفات أو بالأفعال القائمة به لجاز ان تقوم الافعال والصفات بالقديم وحينئذ فلا يكون دليلاً على حدوث الاجسام، فيبطل دليل اثبات الصانع.

فيقال لهم: الجواب من وجوه:

(احدها): ان بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الادلة، واثبات الصانع له طرق كثيرة لا يمكن ضبط تفاصيلها وإن امكن ضبط جملها.

(الثاني): ان هذا الدليل لم يستدل به احد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب عز وجل والايمان به موقوفة عليه للزم انهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من اعظم الكفر باتفاق المسلمين.

(الثالث): ان الانبياء والمرسلين لم يأمروا احداً بسلوك هذا السبيل، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكن واجباً، وان كانت مستحبة كان مستحباً، ولو كان واجباً أو مستحباً لشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان مشروعاً لنقلته الصحابة(١٣٠).

ولو أضفنا إلى ما قاله شيخ الاسلام كلام الغزالي والديلمي لزادت المسألة بيانا و وضوحاً. فيقول الغزالي:

«إن مذهب الاسماعيلية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات ويتطرق إلى النظار من الاختلافات، وإيجاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم، وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع: يهدى إلى الحق ويكشف عن المشكلات؛ وأن كل زمان فلابُدّ فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين.

هذا مبدأ. دعوتهم ثم إنهم بالآخرة يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه غاية مقصدهم، لأن سبيل دعوتهم ليس بمتعين في فن واحد، بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالاة لإمامهم: فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرون معتقدهم في الالهيات وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أوّل لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علّة لوجود الثاني؛ واسم العلة: السابق، واسم المعلول: التالي؛ وأن السابق خلق العالم

(١٣٠) فتاوى شيخ الاسلام ج ٦ ص ٤٧ إلى ٥٠.

بواسطة التالي، لا بنفسه. وقد يسمى الأول: عقلا، والثاني نفساً. ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل، والثاني بالإضافة إليه ناقص، لأنه معلوله. وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه، كقوله تعالى «إناً نحن نزلنا . . » و« نحن قسمنا . . » وزعموا أن هذه إشارة إلى جمع لا يصدر عن واحد، ولذلك قال: «سبح اسم ربك الأعلى» إشارة إلى السابق من الإلهين، فإنه الأعلى، ولولا أن معه إلهاً آخر له العلوّ أيضاً لما انتظم إطلاق الأعلى. وربما قالوا: الشرع سماهما باسم القلم واللوح. والأول هو القلم، فإن القلم مفيد واللوح مستفيد متأثر، والمفيد فوق المستفيد. وربما قالوا: اسم «التالي»: قدر في لسان الشرع، وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال: «إنا كل شيء خلقناه بقدر».

ثم قالوا: السابق لا يوصف بوجود ولا عدم، فإن العدم نفي والوجود سببه، فلا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف. وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع؛ فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم، بل منعوا الناس من تسميته موجوداً، وهو عين النفي مع تغيير العبارة؛ لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيهاً، وسموا مناقضه تشبيهاً حتى تميل القلوب إلى قبوله»(١٣١).

وقال الديلمي:

«واعلم أن مذهبهم الردىء قولهم بالهين هما السابق والتالي، ويقولون: انهما المراد بقوله الرحمن الرحيم، والعلي العظيم والقلم واللوح فالقلم السابق لانه يفيد واللوح التالي لانه يستفيد بل قالوا بآلهة عدة وهي العقول العشرة على ما تقدم وانِ كل واحد منها يعلم ما كان وما سيكون وهذه صفة الاله وكذلك فإن عندهم أن آدم عند وفاته ارتفع وبقى في رتبة العاشر وهو المبدىء لعالم الكون والفساد وان العاشر ارتفعت رتبته عن ذلك المقام الأول وان الامام الذي تلاه لما توفى ارتفع إلى رتبة العاشر التي نقل إليها آدم وارتفع ادم إلى

---

(١٣١) «فضائح الباطنية» للغزالي ص ٣٧، ٣٨، ٣٩.

رتبة ارفع من تلك الرتبة فانه كلّما مضت سبعة أئمة كان السابع منهم يرتفع إلى مقام العاشر ويرتفع العاشر إلى رتبة ارفع من تلك حتى تناهي الامر إلى علي بن ابي طالب فارتفع فكان مقام العاشر وصار مدبر عالم الكون والفساد وكذلك اذا قلنا ان عليّا يحيى ويميت ويغني ويفقر كنا صادقين وان بعد علي السابع اسماعيل بن جعفر وانه ارتفع حتى صار العاشر يدبر عالم الكون والفساد وعلى هذا القياس يقولون في الأئمة وهذه النكتة حكاها أيضاً الشريف المتقدم ذكره والذي يدل على ابطال ما قالوه أن القول باثبات قد يمين قادرين يقتضي صحة التمايع بينهما وأعجب من ذلك قولهم ان عليا يحيى ويميت وهذه لا تشتبه على جاهل فكيف على عاقل لان عليّا عليه السلام في حال حياته ما كان يقدر على هذا فكيف بعد مماته ؟ ! وأيضاً ثبت ان الاعداء كانوا ينالون منه في حال الحرب المنال الكبير حتى قتله عدو الله ولا ينال عدوه منه مناله»(١٣٢).

فهذه هي الحقيقة التى ذكرها الديلمي بأن الاسماعيلية لا يعتقدون بالـه الحق، بل يؤمنون بآلهة عديدة من العقول العشرة إلى علي واولاده وآبائه أيضاً كما ذكرناه، وأنهم لازالوا على هذا المعتقد بكلا الطائفين : الآغاخانية والبهرة كما سنبين ذلك بالشواهد والأدلة في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقبل أن نأتي إلى آخر الكلام في هذا الموضوع نريد أن نثبت ههنا ماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه من بيان اعتقادات أهل السنة والجماعة حول أسماء الله وصفاته.

فقال شيخ الإسلام في بيان عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات :

« فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة ـ وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر : خيره وشره.

---

(١٣٢) «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» ص ٣٤، ٣٥ ط ادارة ترجمان السنة ـ لاهور باكستان الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

ومن الايمان بالله : الايمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمى له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه - سبحانه وتعالى - فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه،

ثم رسله صادقون مصدوقون ؛ بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال سبحانه وتعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون* وسلام على المرسلين* والحمد لله رب العالمين) فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والأثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون ؛ فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم : من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين.

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول : (قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد).

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم ؛ لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ؛ ولا يحطيون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض، ولا

يئوده حفظهما ـ أي لا يكرثه ولا يثقله ـ وهو العلى العظيم) ؛ ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح . وقوله سبحانه : (وتوكل على الحى الذي لا يموت) .

وقوله سبحانه : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن . وهو بكل شيء عليم) وقوله : (وهو العليم الخبير) (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقوله : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وقوله : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) .

وقوله : (إن الله هو الرزاق ذو القو المتين) وقوله : (ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير) وقوله : (ان الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) .

وقوله : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله : (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد) وقوله : (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد) وقوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) .

وقوله : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقوله : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقوله : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقوله : (إن

الله يحب الـذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيـان مرصـوص). وقولـه : (وهو الغفور الودود) . . .

فـالسنة تفسر القـرآن وتبينـه، وتـدل عليـه، وتعـبر عنـه ؛ ومـا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بـه ربه عـز وجل من الأحـاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا إلى سماء الـدنيا كـل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعوني فأستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لله أشـد فرحـاً بتوبـة عبده من أحـدكم براحلته » الحديث متفق عليه.

وقـوله صـلى الله عليه وسلم : « يضحـك الله إلى رجلين يقتل أحـدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة » متفق عليه.

وقوله : « عجب ربنـا من قنوط عبـاده وقرب غـيره، ينظر اليكم أزلـين قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب » حديث حسن.

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول : هل من مـزيد ؟ حتى يضـع رب العزة فيـه رجله - وفي روايـة : عليهـا قـدمـه - فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول : قط قط، متفق عليه.

وقوله صـلى الله عليه وسلم : « يقـول الله تعالى : « يـا آدم ! فيقول : لبيك وسعديك. فينادي بصـوت : إن الله يأمـرك أن تخرج من ذريتـك بعثاً إلى النار » متفق عليه وقوله : « ما منكم من أحد إلا سيكلمـه ربه ليس بينـه وبينه ترجمان ».

وقـولـه صـلى الله عليـه وسلم في رقيـة المـريض : « ربنـا الله الـذي في

السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض. اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنـزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع : فيـبرأ » حديث حسن. رواه أبو داود وغيره.

وقوله : « ألا تأمنون وأنا أمين من في السماء » حديث صحيح. وقوله : « والعـرش فوق المـاء والله فوق العـرش، وهو يعلم مـا أنتم عليه » حـديث حسن رواه أبـو داود وغيره. وقـوله صـلى الله عليه وسلم للجـاريـة : « أين الله ؟ قـالت : في السماء. قـال : من أنا ؟ قـالت أنت رسـول الله. قـال : أعتقها فأنها مؤمنة رواه مسلم . . . .

فإن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز، من غـير تحريف ولا تعـطيل، ومن غـير تكييف ولا تمثيل ؛ بل هم الوسط في فرق الامة، كما أن الامة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في (بـاب صفات الله) سبحـانه وتعـالى بين أهـل التعطيـل الجهمية ؛ وأهل التمثيل المشبهة.

وهم وسط في (باب أفعال الله تعالى) بين القدرية والجبرية.

وفي باب (وعيد الله) بين المرجئة والوعيدية : من القدرية وغيرهم.

وفي (باب أسماء الإيمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة، وبين المـرجئة والجمهية.

(وفي أصحـاب رسول الله) صـلى الله عليه وسلم : بـين الـروافض، الخوارج)[١٣٣].

---

(١٣٣) « فتاوى شيخ الإسلام » ابن تيمية ج ٣ ص ١٢٩. وما بعد.

فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما نقلناه عن شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه ولكن ليس معناه أن الخلاف بين أهل السنة والاسماعيلية في باب الالهيات يقتصر على نفي الأسماء والصفات واثباتها ولكن الخلاف الحقيقي بين المسلمين السنة وبين الاسماعيلية في نفي الذات واثباته أي ذات الله تبارك وتعالى، وهل هو اله واحد قادر مختار يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. ويتصرف فيهما كما أراد، وكيفما شاء. فعال لما يريد. لا يُسأل عما يفعل وهم يسئلون، أم هناك آلهة كثيرون، في السماء آلهة. وفي الأرض آلهة يساعد بعضهم بعضاً كما ذكرناه مفصلاً من كتب القوم أنفسهم بفضل الله وتوفيقه وهو وليّ التوفيق.

الفصل الثاني

معتقدهم في النبوة والنبي

ولقد ذكرنا فيما سبق أن العقل الأول، أو المبدع الأول، أو الموجود الأول، أو القلم، والمبدع الثاني، أو الموجود الثاني، أو النفس، أو الكلمة، أو اللوح يماثلهما في العالم السفلي الناطق والأساس. وهما النبي والوصي.

فالنبي عندهم شخص يتحلّى بالخصال الاثنتي عشرة:

أولاً: أن يكون تام الأعضاء.
ثانياً: أن يكون جيد الفهم.
ثالثاً: أن يكون جيد اللفظ.
رابعاً: أن يكون فطناً ذكياً.
خامساً: أن يكون حسن العبارة.
سادساً: أن يكون محباً للعلم والإفادة.
سابعاً: أن يكون محباً للصدق.
ثامناً: أن يكون غيرَ شرهٍ في الأكل والشرب والنكاح.
تاسعاً: أن يكون كبير النفس.
عاشراً: أن يكون زاهداً في الدنيا.
حادي عشر: أن يكون محباً للعدل.

ثاني عشر: أن يكون قوي العزيمة(١٣٤).

وقالوا:

«إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر، في دور من أدوار القرانات في وقت من الزمان. فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حياً. فإذا بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، ودوّن التنزيل، ولوّح التأويل، وأحكم الشريعة، وأوضح المنهاج، وأقام السنة، وألّف شمل الأمة، ثم توفي ومضى إلى سبيله، بقيت تلك الخصال في أمته وِرَاثَة منه. وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته، أو جلّها، فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته»(١٣٥).

فإذن النبوة مكتسبة، وبذلك صرحوا حيث قالوا:

«إن العلماء ذكروا أن العلوم ثلاث مراتب: أولها الرياضيات وبعدها الطبيعيات وبعدها الإلهيات. فمن ابتدأ أولاً بتعلم الرياضيات وأحكمَهَا كما ينبغي، سَهُل عليه تعلّم الطبيعيات، ومن أُحكم الطبيعيات كما ينبغي، سَهُل عليه تعلم الإلهيات. فهكذا نقول من يريد أن يهذّب نفسه ويهيئها لقبول إلهام الملائكة إذا ابتدأ أولاً فأصلح أخلاقه الرديئة التي نشأ عليها منذ الصبا، ثم سار سيرةً عادلة في مُتصرفاته كما رُسِم له في الشريعة، ثم نظر في العلوم الحِسِّيَّة فأحكمها كما يجب، مثل ما ذكرنا في رسالة الحاسّ والمحسوس، ثم نظر في الأمور العقلية فأحكمها كما يجب ليحل بها عن ضميره، والآراء الفاسدة التي اعتقدها قبل البحث عن حقائق الأشياء، كما بيَّنا في رسالة العقل والمعقول. فأقول: إنَّ نفسه عند ذلك متهيئةٌ لقَبول إلهام الملائكة. وكلما زاد في المعارف استبصاراً، صارت نفسهُ لقَبول إلهام الملائكة

---

(١٣٤) أنظر «رسائل إخوان الصفاء» ج ٤ الرسالة السابعة والأربعون، الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية في ما هية الناموس الاهي وشرائط النبوة ص ١٢٩، ١٣٠.

(١٣٥) أيضاً ص ١٣٥.

أسهلَ طبعاً، ولطاعة العقل أشدَّ تشبُّهاً، وإلى السمائية أقرب قربة. . . وأعلم أن الحيوانات متفاوتة في شعورها ومعارفها: وذلك أن منها ما له حاسة واحدة، ومنها ما له حاستان، ومنها ما له ثلاث حواس، ومنها ما له أربع حواس، ومنها ما له خمس حواس، كما بينّا في رسالة الحيوانات.

وهكذا أيضاً الناس متفاوتون في معارفهم وعلومهم: وذلك أن من الناس عقلاء وبلهاء، ومن العقلاء علماء وجهلاء. والعلماء متفاوتون في درجات العلوم: وذلك أن منهم من يُحسن عدة علوم، ومنهم من هو أكثر منه، ومنهم دون ذلك. وأن المفيدين في العلوم يتفاوتون في درجاتهم: وذلك أن منهم من تكون معلوماته كلها جسمانية، ومنهم من تكون معلوماته روحانية.

وأعلم أن كل عالِم تكون أكثر معلوماته روحانية فهو إلى الملائكة أقربُ نسبةً. ومن أجل هذا جعل الله طائفة من بني آدم واسطةً بين الناس وبين الملائكة، لأن الواسطة هي التي تُناسب أحدَ الطرَفين من جهة، والطرف الآخر من جهة: وذلك أن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا يناسبون الملائكة بنفوسهم وصفاء جوهرها، ومن جهة أخرى كانوا يناسبون الناس بغِلَظِ أجسامهم.

واعلم يا أخي أن كلام الملائكة إنما هو إشارات وإيماء، وكلام الناس عبارات وألفاظ. وأما المعاني فهي مشتركة بين الجميع. وكانت الأنبياء تأخذ الوحي والأنباء عن الملائكة إيماء وإشارات، وذلك بلطافة ذكاء نفوسهم وصَفاء جوهرها. وكانتْ تعبّر عن تلك المعاني للناس باللسان الذي هو عضو من الجسد لكل أمة بلغتها وبالألفاظ المعروفة بينها.

واعلم يا أخي أن نفسك ملك بالقوة، ويمكن أن تصير ملكاً بالفعل إن أنت سلكت مسلك الأنبياء وأصحاب النواميس الإلهية، وعملت بوصاياهم المذكورة في كتبهم، المفروضة في سنن شرائعهم. وإن نفسك أيضاً شيطان

بالقوة يمكن أن تصير يوماً شيطاناً بالفعل إن أنت سلكت مسلك الأشرار والكفار(١٣٦).

وأيضاً: «إن كل إنسان تكون نفسه أصفى جوهراً، وأذكى فهماً كما بيّنا في رسالة كيفية الطريق إلى الله تعالى، فكانت أخلاقهُ وسجاياهُ لأخلاق الكرام أقربَ وأشبه، كما بيّنا في رسالة الأخلاق، وكان مذهبه واعتقاده باعتقاد الأنبياء ومذهب الحكماء أشدَّ تحقيقاً، كما بيّنا في رسالة الناموس، وكانت أعماله وسيرته بأفعال الملائكة وسيرتها أشدَّ تشبُّهاً، كما بيّنا في رسائل إخوان الصفاء. فأقول إن قَبول نفسه إلهامَ الملائكة والوحي والأنباء أمكنُ. . .

والدليل على صحة ما قلنا وصايا الأنبياء والحكماء بهذا الأمر: وذلك أن موسى، (عليه السلام)، أوصى أولاد هارون أن يلزموا، بعد قيامهم بشريعة التوراة، خدمة الهيكل المسمّى الزمان، ويتعبدوا فيها، ويتركوا لذات نعيم الدنيا واتّباع شهوات النفوس، ويقتصروا على ما لا بد منه من القوت، وما يستُر العَورة من اللباس، ويتركوا ما سوى ذلك من الفضول، كل ذلك كيما تصفو نفوسهم، وتتهذب أخلاقهم، وتصير نفوسهم متهيئةً لقَبول الوحي والإلهام. وقال لهم: من تَعبَّد منكم على ما رَسمتُ له في هذا الهيكل أربعين سنة مُخلصاً جاءه الوحي من الله، عز وجلّ، ونزلت عليه الملائكة بالروح(١٣٧).

وأما الشريعة فقالوا:

«إن الشريعة الإلهية هي جبِلّة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية بإذن الله تعالى في دروس الأدوار، وقرآن من القرانات، وفي وقت من الأوقات»(١٣٨).

---

(١٣٦) «رسائل إخوان الصفاء» ج ٤ ص ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.

(١٣٧) أيضاً الرسالة الخامسة من العلوم الناموسية ـ الرسالة السادسة والأربعون ص ١١٦، ١١٧.

(١٣٨) أيضاً ص ١٢٩.

ويوضح السجستاني أبو يعقوب اسحاق الداعي الاسماعيلي أيام المعزّ لدين الله :

«إن النبوة لا تحدث بغتة في قلب النبي ، بل جزء ، وعمل بعد عمل ، وزيادة بعد نقصان ، ونقصان بعد زيادة إلى أن يكمل كونها فتظهر مصورة مجلاة فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ منتهاه في الرفعة»(١٣٩) .

وأخطر من ذلك ما صرح به السجستاني أيضاً تحت عنوان (كيفية قبول الرسالة من المرسل) . فيقول :

«إن القبول قبولان : قبول سمع ، وقبول وَهْم ، فالقبول السمعي يكون بالكلام ، والقبول الوَهْمي يكون بالخطرات ، والكلام يكون من المتكلم فيه آلات الكلام . والخطرات من متفكر فيه خزائن العقل . . . فصح من هذه الجهة أن قبول الرسل قبول وهمي يخطر في أفئدتهم ما أرسلوا به ، ثم يؤدون إلى الأمم بلسانهم ولغتهم»(١٤٠) .

ثم أجاب عن قول الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم) :

«يعني ما كان للناطق أن يصل إليه خطر من كلمة الله تعالى إلا وحياً ، يعني الا ما يؤيده من جهة السابق أو من وراء حجاب يعني أو ما يؤيده به من جهة السابق من وراء التالي ، فالتالي حجاب بين الطبيعة والعقل إذ هو المتوسط بينهما أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما شاء يعني أن الناطق إذ رقى إلى حد الناطقية فقد فُرض عليه أن يغير بلسانه كما قَذَفَ في قلبه الروح الأمين من صناعة الأشياء ليبلغ بذلك إلى الأمة ، فنظرنا في الكلام فوجدنا صوت الموضوع بالاتفاق والاصطلاح دالاً على الزمان ، وإذا فرقت أجزاؤه لم تدل على شيء من الكلام»(١٤١) .

---

(١٣٩) «كتاب اثبات النبوءات» للسجستاني ، الفصل التاسع من المقالة السادسة ص ١١١ ط بيروت ـ لبنان .

(١٤٠) «اثبات النبوءات» للسجستاني الفصل الثاني من المقالة الخامسة ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(١٤١) أيضاً الفصل الثالث من المقالة الخامسة في كيفية كلام الله ص ١٤٩ .

وقال أيضاً في كتابه الآخر:

«هـذا وَهْم من العوام أن الـرسالـة إنما هي إرادة الله تعـالى أن يـرسـل رسولاً إلى خلقه فيرسل إليه ملكاً من الملائكة»[١٤٢].

وأما ما يقـال بأن النبي صـلى الله عليه وسلم كـان يُوحى إليـه بواسـطة جبرائيل، وجبرائيل هو من الملائكة فليس الأمر كـذلك، لأن جـبرائيل عنـد الاسماعيلية ليس بملك من ملائكة الرحمن، الذي خُصص بسفـارة الرب إلى أنبيائه، ونزول كلامه إلى رسله، بل هو إما عبارة عن أحد العقول العشرة أو عن الخيال، أو البشر الذي يـزعم الاسماعيليـة أنه كـان يعلّم الرسـول عليه الصلاة والسلام ـ عياذاً بالله ـ من اتهام الكفرة المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، المعادين له ولدعـوته التي كـان يدعـو بها بـأمر من الله ووحيـه، الذين أخبر عنهم الرب تبارك وتعالى بقوله:

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر)[١٤٣]، وإنهم: (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون)[١٤٤].

فيقولون:

«إن الإمام نفس، وجبرائيل عقل المكنى عنه بالخيال»[١٤٥].

وأما السجستاني فيقول:

«إن جبرائيل كناية عن ثقة الله الذي لا يجاوزه ولا يعدوه»[١٤٦].

وأما كون جبرائيل بشراً فصرح به الداعي الاسماعيلي طاهـر بن ابراهيم الحارثي اليماني:

---

(١٤٢) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٦١ ط بيروت لبنان.
(١٤٣) سورة النحل الآية ١٠٣.
(١٤٤) سورة التوبة الآية ٣٠.
(١٤٥) «كنز الولد» للحامدي ص ١٦٥.
(١٤٦) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٤٤.

«وكان العقل العاشر هو المحتجب لمحمد ﷺ المؤيد له الناظر إليه الممدّ له بوساطة الجَدِّ والفتح والخيال عند كماله وبلوغه رتبة الحجابية، لأن كل ناطق ووصي وإمام لا بد له من التعليم والترقي رتبة رتبة كما قال الله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)، فكان محمد ﷺ آخذاً من أبي بن كعب في حال تعليمه ابتداء، وهو المكنّى عنه بجبرائيل»[147].

ومعناه أن أبي بن كعب هو الذي كان يعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ـ عياذاً بالله ـ وليس هو فحسب.

بل يقولون بكلمة الكفر أكبر من ذلك وأعظم حيث يصرحون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلّمه ويربّيه ويوحي إليه خمسة، لا أُبيّ بن كعب وحده كما صرح بذلك الحامدي وغيره من الدعاة الاسماعيلية الكبار حيث كَذَبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

تسلّمت من خمسة، وهو علم ما تسلّمه من مراتب النطقاء الخمسة من قبله، فأول من وقع في يده أبي بن كعب، وربّاه بحقيقة الوصاية التي هي حظ آدم فَعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى زيد بن عمرو فربّاه بمعاني الطهارة التي هي حظ نوح فَعَلِمها وقام بها، ثم رفعه إلى عمرو بن نفيل فربّاه بمعاني الصلوات التي هي حظ ابراهيم فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه عمرو بن نفيل إلى زيد بن أسامة فرباه بمعاني الزكاة التي هي حظ موسى فَعَلِمها وقام بها، ثم رفعه إلى بحيرا الراهب فرباه بمعاني الصيام الذي هو حظ عيسى فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلى حجة صاحب الوقت التي هي خديجة بنت خويلد، وذلك بعد مزاوجته لها، وقد صار ماهراً في الشرائع ورموزها المراد بها، فرفعت خديجة منزلتَه، وعلت رتبتُه في معاني الحج وفرائضه وسننه الذي هو حظه وقِسْمُه من دعائم الدين.

ثم أمرها أمام الوقت بتسليم وديعته إليه، من الرسالة والنبوة، فهؤلاء

---

(١٤٧) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادبي الثالث ص ١٢٦، ١٢٧.

النطقاء الخمسة الذين تسلّم منهم، والخمسة التي هي بينه وبين ربّه. أي بينه وبين إمام زمانه مربيه وكفيله فهم: أبي بن كعب، وزيد بن عمرو، وعمر وبن نفيل، وزيد بن أسامة، وبحرا الراهب[148].

ونظم هذا الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصوري في قصيدته تحت عنوان (القول في محمد):

«ومات للحين أبوه وأمه وكان ذو الكفل الكريم* عمه
حتى إذا توّج بالجلال وصار في مرتبة الكمال
زوّجه خديجة المبجلة لأن منها فاطمة المفضّلة
من بعد ما صاحب حينا ميسرة وهو الذي أفاده وأبصره
ثم أتى زيد وعمرو بعده فاض عليه الفتح والجد ....»[149].

وأما الربّ وإمام الزمان، الذي يقول الاسماعيلية: إن الرسول صرح به في قوله: (أخذت من خمسة، وسلمت إلى خمسة، وبيني وبين ربى خمسة) كما روى ذلك الحارثي اليماني الداعي الاسماعيلي ابراهيم، وأشار إليه الحامدي أيضاً.

فالربّ في قوله عليه الصلاة والسلام أبو طالب لأنه هو الذي أرسله وأقامه، وهو كان امام الوقت الذي كانت خديجة حجته أيضاً كما ذكر ذلك الحارثي واضحاً وجليّا.

فقال:

« قول ناطق دورنا (ﷺ): أخذت من خمسة، وسلّمت إلى خمسة،

---

(١٤٨) «كنز الولد» للحامدي الباب الحادي عشر بعنوان (القول على الحدود العلوية والسفلية ومعرفتهم الذين هم أسماء الله الحسنى الذين إذا دعى بهم أجاب خيرته من خلقه) ص ٢١٠، أيضاً (المجالس المستنصرية) ص ٢٥ بتحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي، أيضاً «كتاب أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» للداعي ابراهيم ص ٧٢ ط باريس بتحقيق كويارد.

(١٤٩) رسالة اسماعيلية واحدة « القصيدة الصورية » ص ٥٧.

وبيني وبين ربي خمسة : فالخمسة الذين أخذ منهم هم الخمسة المتقدمون عليه الذين تعلّم كتبهم المنزلة عليهم، وشرائعهم التي شرعوها، وأوضاعهم التي وضعوها، وتحقق تأويلاتها ومعانيها وحقائقها، فالخمسة الذين بينه وبين ربه هم الحدود الدينية الذين أخذ منهم، وتعلّم في بدء أمره منهم، ورقوه في مراتب الدين شيئاً بعد شيء إلى أن بلغ ذروتها، وهم : أبيّ، وزيد بن عمرو، وعمرو بن نفيل، وميسرة، وخديجة بنت خويلد، وهم حدود صاحب الوقت المقيم له المعلى رتبته، المسلم له وهو عمه أبو طالب[١٥٠].

وخلاصة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقمه على منصب النبوة، ولم يبعثه رسولا إلا أبو طالب، كما أنه لم يوح إليه، ولم يعلّمه ولم يفده ويبصره إلا أبيّ، وميسرة وزيد بن حارثة، وعمرو بن نفيل، وبحيرة الراهب، مع حجة أبي طالب خديجة رضى الله عنها، فمحمد صلوات الله وسلامه عليه هو رسول الرب أي أبي طالب، وموحى إليه من قبل أُبيّ وغيره، ومُعَلَّم من قبل خديجة ـ عياذا بالله ـ.

وهذه نصوص زيادة على ما ذكرناه آنفا، فيقول الحامدي مفسرا وشارحاً كلام المؤيد الذي نقله في كتابه :

« وقوله (أي المؤيد الشيرازى) بأرباب أدوار تقدمت فيها الأنبياء، والأسباب يدل على أن هذه الأرباب المتقدمة على الأنبياء هم الذين أقاموهم مثل هنيد مقيم آدم. وهود مقيم لنوح، ومثل صالح لابراهيم، وآد لسوسي، وخزيعة لعيسى، ومثل أبي طالب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. فهذا معناه في أرباب النطقاء، والأسباب هم الأوصياء والأئمة القائمون مقامهم من بعدهم، وحدودهم بيان ذلك قوله : أربابُ أدوارٍ فيها تقدمت الأنبياء والأسباب »[١٥١].

---

(١٥٠) « الأنوار اللطيفة » الفصل الثاني من السرادق الثالث ص ١٦٠، ١٦١ .

(١٥١) « كنز الولد » للحامدي ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

وقال الحارثي اليماني ببيان أوضح من ذلك وأظهر :

« فقام أول نطقاء دور السّتْر وهو آدم (عليه السلام) بأمر ذلك الامام الذي هو صاحب الزمان . . . . ولا يزال ذلك كذلك إلى أن يقيم أساسا يخلفه في أمته، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى، وجرت الامامة متسلسلة من امام إلى امام إلى وفاء دوره، وقام بعده الناطق الثاني، وهو نوح (عليه السلام) وقيامه عن أمر إمام زمانه، وهو هود (عليه السلام) وضده عوج بن عنق، فقنن قوانين، وشرع شرعاً غير ذلك الأول، ودعا إلى عبادة ظاهرة، هي رموز واشارات إلى حدود الله، الروحانية والجسمانية، الدالة على توحيده وتنزيهه، إلى وفاء ما عليه من الخدمة، ثم أقام وصية « ساما » (عليه السلام) خلفاً في أمته، ومؤولا لباطن شريعته، ثم نص عليه، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى وجرت الامامة متسلسلة إلى تمام دوره، وقام ابراهيم (عليه السلام) عن أمر امام زمانه، الذي هو صالح (عليه السلام)، فكان ضده النمروذ بن كنعان، فقنن قوانين، وشرع شرعاً جعل فيه رموزاً واشارات، إلى معرفة حدود الله الروحانية والجسمانية الدالة على معرفة توحيد الله وتنزيهه، إلى وفاء ما عليه من الخدمة، وأقام وصيه اسماعيل (عليه السلام) وانتقل إلى دار كرامة الله، وجرت الامامة متسلسلة في عقبه إلى وفاء دوره، وقام موسى (عليه السلام) عن أمر امام زمانه الذي هو «أد» عليه السلام، وكان ابليسه فرعون، قائماً بازائه، ففعل كما فعل من كان قبله إلى وفاء دوره. وقام عيسى (عليه السلام) عن أمر إمام زمانه الذي هو حزيمة (عليه السلام). ففعل كفعل من كان قبله إلى وفاء دوره، وقام محمد (عليه السلام) عن أمر امام زمانه الذي هو أبو طالب وكان له ضدان أبو لهب وأبو جهل، إلى أن أوفي ما عليه من الخدمة، وأكمل قوانين شريعته التى هي رموز واشارات إلى حدود الله تعالى الروحانية والجسمانية الدالة على توحيد الله تعالى وتنزيهه، ثم أقام وصيه على بن أبي طالب (عليه السلام)، وانتقل إلى دار كرامة الله تعالى »(١٥٢).

(١٥٢) « الأنوار اللطيفه » ص ١٠٨، ١٠٩.

وذكر الحامدي أيضاً في كتابه مفصلاً ما أجمله في شرح وتفسير كلام المؤيد :

« وذلك أنّه لما ان قيام الناطق السادس الذي هو ممثول اللحم في الشرائع، وزوّجه صاحب الوقت بخديجة بنت خويلد (عليها السلام) وهي حجته فزاوجها على الظاهر والباطن كما زاوج إبراهيم سارة فرفعت (خديجة منزلته)، كما ذكرنا بأمر ولي الأمر، وسلمت إليه رتبة النبوة والرسالة، وهو ما روي أن خديجة أسلمت يوم الاثنين وقت الظهر، وهو اليوم الذي بُعث فيه، والوقت الذي قام به مرسلاً. وقولهم إن علياً أسلم يوم الثلاثاء وقت الظهر بعد مبعثه بيوم، فكان بين إسلام خديجة وإسلام علي خمس صلوات، في خمسة أوقات، والمعني في ذلك أنّه لمّا تسلم من خديجة رتبة النبوّة والرسالة في الظاهر المحض، الذي هو حظ النطقاء قبل إسلام علي، ومعنى إسلام علي يعني أن المقام الذي هو صاحب الوقت، لمّا كان في كهف التقية وحُجُب الاستتار من قريش وغيرهم، لحسدهم وتكبرهم، وانكتام الأمر من إسماعيل ابن ابراهيم (عليه السلام) تنبه فأمر حجته (بنت خويلد خديجة) بإحضارهما، والخمسة حدود الذين هم بينه وبين ربه - الذين تقدم ذكرهم - بأمر الله له ووحيه إليه، أن يستكفل محمداً لعلي رتبة الوصاية والإمامة ويستودعها فيهم له فشرحت خديجة عليه ما أمرت، وبيّنت له أنّه وصيه ووارث علمه، والذي تجتمع إليه المراتب، وهو مستقر الباطن ومركزه، وأساس الدين، وأخذت عليه عهد الكفالة والوفاء بالوديعة لوصيه من بعده لأنّه مقام النور والحجاب المشهور، والباب المستور، الذي اسمه في العصور والدهور، نهاية النهايات وغاية الغايات، صاحب الظهور اللطيف المتسلسل معناه من أول السلالة الشرعية إلى ظهوره مع الرتبة اللحمية، فبسط يده للعهد على ذلك، وأقر بما هنالك، فرضي على بكفالته ووديعته، وسلّم الأمر لصاحب الأمر، واستسلم بالدخول تحت طاعته وخدمته، إلى وفاء مدته، فذلك معنى إسلام علي : وهو الرضاء والتسليم بالحقيقة »(١٥٣).

---

(١٥٣) « كنز الولد » ص ٢١٦، ٢١٧.

وأما الداعَي الاسماعيلي على بن الوليد فقد ذكر في هذا المعني :

« كان رسول الله صلوات الله عليه مجمعاً لعلومه تلك الظاهرة، ونفخ فيه مقيمه ومؤيده الذي هو عمه الروح الحياة التي من نُفخت فيه فقد نال ثواب الدنيا وحسن ثواب الأخرة وأعْلى قدره على جميع العالمين، وجعله دون الناس مبلّغا، لما ينزل به الروح الأمين علي قلبه، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين فصار للكل مجمعاً، ولمتفرقات الفضائل محلا وموضعاً، صلى الله عليه وآله وسلّم »[١٥٤].

وبصراحة أكثر ماذكره المفسر الاسماعيلي ضياء الدين في سورة القصص تحت آية (إن الذي فرض عليك القرآن) ؛

« يعني المولى عِمْران[١٥٥] بدعائك إلى العين (علّي) (لرادّك إلى معاد) يعني لمرقيك بالانضمام إلى العين، وأيضاً أن الحجاب النبوي المقيم لحجابه الوصى رادّه العين ينضم إلى ذلك الحجاب الذي أقامه، وذلك كائن في كل دور لموجب الأسباب الأصلية[١٥٦].

وأيضاً ما ذكره تحت قول الله عز وجل : (إنما أُمرت أَن أَعبد ربّ هذه البلدة) قال : (انما أمرت) أي من عمران (أن اعبد رب هذه البلدة) يعني أن أتوجه بالدعاء إلى العين (يعني على) والبلدة هي دائرته الذي حرمها يعني دخولها على أهل البغي (وله كل شيء) يعني من التدبير والانشاء والتصوير »[١٥٧].

وعلى ذلك قال شهاب الدين أبو فراس :

« ولما كانت الأعداد مبدأها من الواحد، وعودتها إليه عند انحلالها،

---

(١٥٤) « الذخيرة في الحقيقة » لعلى بن الوليد بتحقيق الأعظمى الفصل الثامن عشر ص ١٠٨، ١٠٩ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١ م.

(١٥٥) عمران اسم لأبى طالب.

(١٥٦) تفسير « مزاج التسنيم » سورة القصص الجزء الثالث من القسم الرابع ص ٣٥٩.

(١٥٧) أيضاً ـ سورة النحل ص ٣٤٢.

كذلك الرسل مبدأهم من الامام القائم بدوره في الابتداء. ومنتهاهم إليه في الانتهاء في دور الكشف، فالامام عِلَّة المخترعات، وبه ترتب الخلق والدين. وعندما تنتهي مدته وتحين فترته، ينتقل الأمر إلى شخص آخر من دعوته وهو الذي ينص عليه ويشير إليه»[١٥٨].

والجدير بالذكر أن أبا طلب هو الثاني بعد نبي الله ابراهيم، الذي اجتمع فيه الرتب الأربع: الوصاية، والامامة، والنبوة، والرسالة:
«وقام أبو طالب بالرتب الأربع إلى أن بلغ محمد أشده»[١٥٩].

هذا وان الأنبياء لا تكون دعوتهم الا إلى عليّ، وخاصة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه لم تكن دعوته حسب زعم الاسماعيلية الا إليه.

وبذلك صرح جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للامام الاسماعيلي المعز لدين الله، في كتابه الباطني المشهور تحت قوله الله عز وجل: ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام والله لا يهدِي القوم الظالمين**﴾:
«معنى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي على الله سبحانه يتعبد الخلق بما يختارون لأنفسهم (وهو يدعى إلى الاسلام) يعنى رسول الله ﷺ يدعوه إلى اتباع علي، وهو أول من أسلم. فاسمه وطاعته الاسلام»[١٦٠].

وبمثل ذلك قال المفسر الاسماعيلي:
«قال تعالى للميم (لمحمد) فسبح بحمد ربك، يعني ادع إلى المقام العلوي حمد الراب لك وهو المقام العمراني قبل طلوع الشمس يعني قبل اتصال النص عليه من العاشر»[١٦١].

---

(١٥٨) «مطالع الشموس في معرفة النفوس» لشهاب الدين ص ٣٣ من أربع رسائل اسماعيلية.

(١٥٩) «الأنوار اللطيفة» الفصل الخامس من السرادق الثالث من الباب الأول ص ١٢٤.

(١٦٠) «كتاب الكشف» ص ١٥٨، ١٥٩.

(١٦١) «مزاج التسنيم» سورة طه ص ٢١٩.

وأيضاً: فانما يسرناه بلسانك يعني ايضاح مقام العين (على) في كـل دور لكونك الداعي إليه[١٦٢].

وأيضـاً «وما أرسلنـاك الارحمة للعـالمين، يعني بـايضـاح مقـام العـين، وكذلك الرحمة لمن اعترف بمقامه في القديم فجرى على ذلـك في الحديث. ثم قال تعالى للميم: قل انما يوحى إلى أنما الهكم، يعني العين (اله واحـد) يعني متوحد في مقام العظمة»[١٦٣].

ولو أنه قصر في الدعوة إليه لهبطت منزلته، وسلبتْ منه نبوته ورسالتـه. كما قال الصورى:

«فـأنـزل الله عـلى نـبـيـه أن يـظهـر الـنص عـلى وصـيـه
فـخـاف مـن أصـحـابـه لـعـلمـه بـكـيـدهـم ومـا نـووا مـن ظـلمـه
وقـيـل: لا تشرك فـان أشركـت لـيـحْـبـطن الله مـا عـمـلت
فـقـم وبـلّغ لا تخـف فـرحمـتي تنـالـك اليـوم وكـن في عصـمتي»[١٦٤].

وأما أنه إليه الدعوة في كل عصر وزمان فكما قاله صاحب (الكشف): «قال النبي (عليه السلام): (هذا ذكـر من معي وذكر من قبـلي) أراد بذلـك أن الذكر الذي معي هو الذكر الذي كان يدعو إليـه من كان قبـلي وهو العلم الذي قام به أمير المؤمنـين صلوات الله عليه الـذي إليه الـدعوة في كـل عصر وزمـان (بل أكـثرهـم لايعلمون الحق فهم معـرضون) أراد بـذلك أصحـاب العقبة لأنهم أعرضوا عن الحق وعن الاقرار به وهو الامـام صلوات الله عليه عنده علم ما يحتاج الناس إليه من جميع البـلايا والمنايا والـوصايـا والأسباب والأقسام والآجال»[١٦٥].

---

(١٦٢) أيضاً تفسير سورة مريم ص ١٩٩.
(١٦٣) أيضاً تفسير الأنبياء ص ٢٣٩.
(١٦٤) «القصيدة الصورية» ص ٦٠.
(١٦٥) «كتاب الكشف» ص ٨٤.

ونقل ابراهيم الحامدي أيضاً عن جعفر بن منصور اليمن أنه قال:
«ان الله لايقبل توبة نبى، ولا اصطفاء وصى ولا امامة ولي، ولا عمل طاعة من عامل ولو تقطع في العبادة واجتهد الا بولاية على بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله. فمن أتى بغير ولاية على بن أبي طالب صلوات الله عليه أسقطت نبوته ووصايته وولايته وصالح عمله، ولم يقبل الله منه، ولا زكى عمله، وعلى منه السلام من ولد اسماعيل بن ابراهيم، لامن ولد اسحاق صلى الله عليهم أجمعين، وأي فضل أعظم من هذا الذي ماله شريك فيه، بل هو مخصوص به وحده.

فكما أن الله واحد أحد فرد صمد، لا شريك معه في ملكه، ولا صاحبة ولا ولد، كذلك مولانا علي (عليه السلام) واحد في فضله، أحد فرد صمد لاشريك له فيه، ليس له كفوا أحد»[١٦٦].

وبمثل ذلك قال الحارثي اليماني [١٦٧].

ومعنى هذا كله أن الأصل هو علي، لا محمد.

لأن الرتب الأربع لم تجتمع في أحد بعد أبي طالب الا في علي ابنه:
«والذي تجتمع إليه المراتب الأربع، وهو مستقر الباطن ومركزه وأساس الدين... وانه مقام النور والحجاب المشهور، والباب المستور، الذي اسمه في العصور والدهور، نهاية النهايات وغاية الغايات»[١٦٨].

وقال الحارثى:
«ولما كان أمير المؤمنين بهذه الحالة التي لم يبلغها أحد غيره، اتصل به العقل العاشر اتصالا كليا، ولحظته القنول الابداعية لحظاً سرمديا، ورمته بأشعتها، واتصلت به المواد الالهية فوق ما اتصلت بكل مقام قبله»[١٦٩].

---

(١٦٦) «كنز الولد» للحامدي ص ٢١٨.
(١٦٧) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادق الثالث الباب الثالث ص ١٢٦.
(١٦٨) «كنز الولد» ص ٢١٦، أيضاً «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٥٨.
(١٦٩) «الأنوار اللطيفة» الفصل الأول من السرادق الثالث من الباب الثاني ص ١٢٥.

«وعلي هو الحائز لرتبة الظاهر والباطن»(١٧٠).

«ومعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يحز الارتبة الظاهر فقط. وأكثر من ذلك أن محمدا كان مؤيداً بعلي»(١٧١).

«ومنصوراً به»(١٧٢).

وبه عظم شأنه كما قال القاضي النعمان:

«وانما عظم فضله، وعلت منزلته بوصية على امام المتقين، صاحب التأويل، ومبيّن الشرائع للمرسلين»(١٧٣).

ولم لا يكون كذلك؟

لأنه هو الذي أنبأ النبيين، وأرسل المرسلين، وهو بكل شيء عليم - عياذا بالله - فما قالوا:

«وانه هو مجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه»(١٧٤).

و «هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الذي سمك السماء، وسطح الأرض، وأجرى الأنهار، وأنبت الأشجار، وبسببه دارت الأفلاك، وتناظرت الأملاك، وتمخدت الطبائع والأمهات، أُذن الله الراعية، ويده المبسوطة، المخرج لهم من الظلمات إلى النور»(١٧٥).

«وهو الذي كان ينزل على قلبه»(١٧٦).

---

(١٧٠) انظر (المسائل المجموعة) ص ١٣٠ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(١٧١) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ص ١٥٢.

(١٧٢) «أساس التأويل للنعمان القاضي ص ٣٥٧.

(١٧٣)«الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان ص ٨٦ من (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر.

(١٧٤) «الأنوار للطيفة» ص ١٢٥، ١٢٦.

(١٧٥) «كنز الولد» ص ٢١٧ و ٢١٩.

(١٧٦) «تأويل الزكاة» لمنصور اليمن ص ١٦ مخطوط.

وهو الذي قال عنه الرسول (عليه السلام)ـ كما يكذبون عليه:
«على أبو عترتي، وساتر عورتي، ومعرج كربتي، وغافر خطيئتي»(١٧٧).

« وأنه كان مولى رسول الله، ورسول الله عبده » أهـ، اللهم اني أعوذ بك من نقل هذه الكلمات الكفرية. كما ذكر ذلك الحارثي اليماني في كتابه بعد ذكر كلام جعفر بن منصور اليمن الذي ذكرناه سابقاً (أن عليا هو لمجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه) قال:

«ومن هذه الجهة والحالة صح قول الداعي عبدان، أن الجمعة على خدمة المولي لعبده في هذا الدور، لأن أصحاب الدعوة الظاهرة في الأدوار الماضية الذي هم أولاد اسحاق (عليه السلام) كانوا حججا ودعاة وخدما لأرباب الدعوات الباطنية الذين هم أولاد اسماعيل (عليه السلام)، واجتمعت أولاد اسحاق عند ناطق الدور (ﷺ) وجب في مزية عدل الله تعالى خدمة أمير المؤمنين لمحمد (ﷺ) قضاء بما سبق من خدمة أولاد اسحاق، ولأولاد اسماعيل ميزان العدل قائم، وهذا معني خدمة المولى لعبده، وقيامه معه بين يديه، وسعيه معه، ومحاربته لأضداده، وقتله لمن أنكر منزلته، وجانب عن طاعته، وجهاده لأهل الكفر المعاندين له، كما كان خادما له في دور ابراهيم وموسى وعيسى، حذوا بحذو، لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها»(١٧٨).

واليه أشار الصورى في قصيدته عند ذكر النبي ومحاولة الأعداء قتله:

«واقترن المبغض بالحسود ... به من الكفار واليهود
واجتهدوا في قتله واشتركوا ... ولو استطاعوا قتله لفتكوا
لكن حماه منهم مولاه ... فقام بالفدية واجتباه»(١٧٩).

---

(١٧٧) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٢٠٩ مخطوط.
(١٧٨) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادق الثالث من الباب الثاني ص ١٢٦.
(١٧٩) «القصيدة الصورية» ص ٥٧.

فهذه هي حقيقة المعتقدات الاسماعيلية في النبوة والأنبياء والرسل، وقد يأتي ذكر بعض الأشياء التي لم نذكرها ههنا، المتعلقة بالنبوة والأنبياء في مبحث آخر للاحتياج إليها، وعلاقة الموضوع بها.

ونلخص ما ذكرناه ههنا أنهم يعتقدون بـ:

أولا: ان النبوة مكتسبة، وأن الانسان يستطيع أن يصبح نبيا بعد التحلى بعد الارتياض والمجاهرة.

ثانياً: وهي فيض يفيض من أحد العقول العشرة.

ثالثاً: ان جبرئيل ليس من ملائك الرحمن.

رابعاً: الرسول تعلّم من بشر، وهو المعبر عنه بالوحى.

خامساً: وان القرآن ليس بكلام الرحمن الذي تكلم به الربّ جل وعلا، بل هو من كلام الرسول المركب من خطرات النفس.

سادساً: ان الرسول أقامه أبو طالب، وهو الذي جعله رسولا.

سابعاً: وأبو طالب هو إمام الزمان والربّ.

ثامناً: ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سبق من الأنبياء كانت إلى على.

تاسعاً: وعلى هو مرسل الرسل، باعث الأنبياء.

عاشراً: وكان يفضل محمداً ﷺ، بل كان مولى له، وهو عبده.

فهذه هي العقائد الاسماعيلية في النبوة والأنبياء، وفي رسول الله الصادق الأمين، المخالفة لنصوص القرآن وصريح السنة، والمبنية على الكفر المحض، حيث أن الله يقول:

«الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس»(١٨٠).

---

(١٨٠) سورة الحج الآية ٧٥.

و «الله اعلم حيث يجعل رسالته»(١٨١).

و«هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفي بالله شهيدا»(١٨٢).

و«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»١٨٣).

و«ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم»(١٨٤).

و«إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي»(١٨٥).

و«ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير»(١٨٦).

و«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض»(١٨٧).

و«يكون الرسول عليكم شهيدا»(١٨٨).

و«من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما»(١٨٩).

و«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا»(١٩٠).

و«كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا»(١٩١).

و«كلّم الله موسى تكليما»(١٩٢).

---

(١٨١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.
(١٨٢) سورة الفتح الآية ٢٨.
(١٨٣) سورة الحجر الآية ٩.
(١٨٤) سورة الجن الآية ٢٨.
(١٨٥) سورة الأعراف الآية ١٤٤.
(١٨٦) سورة الحشر الآية ٦.
(١٨٧) سورة البقرة الآية ٢٥٣.
(١٨٨) سورة البقرة ١٤٣.
(١٨٩) سورة الأجزاب الآية ٧١.
(١٩٠) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
(١٩١) سورة البقرة الآية ١٥١.
(١٩٢) سورة النساء الآية ٦٤.

و«اتبع ما يوحى إليك من ربّك»[١٩٣].

و«ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك»[١٩٤].

و«فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم»[١٩٥].

و«قل إنما يوحي إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون»[١٩].

و«واتبع ما يوحي إليك من ربّك إن الله كان بما تعملون خبيرا»[١٩٧].

و«ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه»[١٩٨].

و«وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون»[١٩٩].

و«وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»[٢٠٠].

و«وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين»[٢٠١].

و«وأرسلناك للناس رسولاً وكفي بالله شهيداً»[٢٠٢].

و«وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً»[٢٠٣].

و«ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون»[٢٠٤].

---

(١٩٣) سورة الأحزاب الآية ٢.

(١٩٤) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(١٩٥) سورة الزخرف الآية ٤٣.

(١٩٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٨.

(١٩٧) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(١٩٨) سورة طه الآية ١١٤.

(١٩٩) سورة الأعراف الآية ١١٧.

(٢٠٠) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

(٢٠١) سورة الأنعام الآية ٤٨.

(٢٠٢) سورة النساء الآية ٧٩.

(٢٠٣) سورة النساء الآية ٦١.

(٢٠٤) سورة المائدة الآية ٩٩.

و«وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله»[٢٠٥].

و«ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية»[٢٠٦].

و«ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين»[٢٠٨].

هذا وكم كان شيخ الاسلام صادقا حيث قال:

«وكثير من أهل الكلام والتصوف لا يكذب الرسل تكذيبا صريحاً، ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة، يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول: ان غيرهم أعلم منهم: أو أنهم لم يبينوا الحق أو لبسوه: أو أن النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس ما يراه النائم، ولا يقر بملائكة مفضلين ولا بالجن ونحو ذلك، فهؤلاء يقرون ببعض صفات الأنبياء دون بعض؛ وبما أوتوه دون بعض، ولا يقرون بجميع ما أوتيه الأنبياء، وهؤلاء قد يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الأنبياء؛ فإن الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الأنبياء أعظم وأكثر؛ إذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ويقرون بقيام القيامة، ويقرون بأنه تجب عبادته وحده لا شريك له، ويقرون بالشرائع المتفق عليها. وأولئك يكذبون بهذا، وإنما يقرون ببعض شرع محمد صلى الله عليه وسلم.

ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفراً من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم، لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر؛ إذ لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم، وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيراً، كما يوجد أيضاً في المنتسبين إلى الإسلام من هؤلاء وهؤلاء. إذ كانوا في دولة المسلمين»[٢٠٩].

---

(٢٠٥) سورة النساء الآية ٦٤.

(٢٠٦) سورة الرعد الآية ٣٨.

(٢٠٧) سورة المائدة الآية ٧٠.

(٢٠٨) سورة الحج الآية ١٠.

(٢٠٩) «مجموعة فتاوى شيخ الإسلام» إبن تيمية ج١٩ ص١٨٦، ١٨٧.

وقال أيضاً:

«ان متقدميهم لم يذكروا المقدمات المتلقاة من الأنبياء، ولكنْ المتأخرون رتبوه على ذلك: إما بطريق الصابئة الذين لبسوا الحنيفية بالصائبة: كابن سينا ونحوه، وإما بطريق المتكلمين الذين احسنوا الظن بما ذكره المنطقيون وقرروا إثبات العلم بموجب النبوات به.

أما الأول: فإنه جعل علوم الأنبياء من العلوم الحدسية لقوة صفاء تلك النفوس القدسية وطهارتها، وان قوى النفوس ني الحدس لا تقف عند حد. ولابد للعالم من نظام ينصبه حكيم، فيعطى النفوس المؤيدة من القوة ما تعلم به ما لا يعلمه غيرها بطريق الحدس، ويتمثل لها ما تسمعه وتراه في نفسها من الكلام ومن الملائكة ما لا يسمعه غيرها، ويكون لها من القوة العملية التي تطيعها بها هيولي العالم ما ليس لغيرها، فهذه الخوارق في قوى العلم مع السمع والبصر، وقوة العمل والقدرة: هي النبوة عندهم.

ومعلوم أن الحدس راجع إلى قياس التمثيل، كما تقدم. وأما ما يسمع ويرى في نفسه فهو من جنس الرؤيا، وهذا القدر يحصل مثله لكثير من عوام الناس، وكفارهم، فضلاً عن أولياء الله وأنبيائه. فكيف يجعل ذلك هو غاية النبوة؟ وان كان الذي يثبتونه للأنبياء أكمل وأشرف، فهو كملك أقوى من ملك. ولهذا صاروا يقولون: النبوة مكتسبة، ولم يثبتوا نزول ملائكة من عند الله إلى من يختاره ويصطفيه من عباده. ولا قصد إلى تكليم شخص معين من رسله؛ كما يذكر عن بعض قدمائهم أنه قال لموسى بن عمران: أنا أصدقك في كل شيء إلا في أن علة العلل كلمك، ما أقدر ان اصدقك في هذا!. ولهذا صار من ضل بمثل هذا الكلام يدعي مساواة الأنبياء والمرسلين أو التقدم عليهم؛ وهذا كثير في كثير من الناس الذين يعتقدون في أنفسهم أنهم أكمل النوع، وهم من أجهل الناس واظلمهم واكفرهم واعظمهم نفاقاً»(٢١٠).

---

(٢١٠) «فتاوى شيخ الإسلام» ج٩ ص١٤، ١٥.

وأخيراً:

فإن قول هؤلاء الزنادقة ـ وان كان فيه إيمان من وجه آخر ـ فهؤلاء موافقون في الحقيقة لمقدمهم الوحيد الذي قال: (ان هذا الا قول البشر) لكن ذاك كفر به كله ظاهر أو باطنا، وهؤلاء قد يؤمنون به ظاهرا، وقد يؤمنون باطنا ببعض صفاته: من أنه مطاع عظيم، وأنه رئيس النوع الإنساني، وأن هذا الكلام الذي جاء به كلام عظيم القدر، صادر عن نفس صافية كاملة العلم والعمل، لها ثلاث خصائص تنفرد بها عن غيرها.

خصيصة قوة الحدس والعلم، وخصيصة قوة التأثير في العالم السفلي بنفسه. وخصيصة قوة التخيل المطابق للحقائق بحيث يسمع في نفسه الأصوات، ويرى من الصور ما يكون خيالاً للحقائق، وانه يجوز إضافة كلامه إلى الله، وتسميته كلام الله حيث هو أمر به أمراً خيالياً. وفي الحقيقة عندهم ما يفيض على سائر النفوس الصافية من العلوم والتكلمات هي أيضاً كلام الله مثل ما أنه كلام الله؛ لكن هو أشرف وخطابه دل على أنه رسول الخلق تجب عليهم طاعته، التي أخبرت بها الرسل لكن يطلقون عليه أنه متكلم؛ ولهذا يقولون: إن «النبوة» مكتسبة فطمع غير واحد منهم أن يصير نبياً كما طمع السهروردي وابن سبعين وغيرهما من الملحدين.

وقد بينا أصول أقوالهم وفسادها في غير هذا الموضع مثل كلامنا على إبطال قولهم: ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية.

وأما «المعتزلة» ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم في الحقيقة التي يعلم الناس أن صاحبها يتكلم [بل كلامه] منفصل عنه، ويزعمون ان ذلك حقيقة، وليس كلامه عندهم إلا أنه خلق في الهواء أو غيره أصواتاً يسمعها من يشاء من ملائكته وأنبيائه من غير أن يقوم بنفسه كلام لا معنى ولا حروف، وهم يتنازعون في ذلك المخلوق هل هو جسم أو عرض أو لا يوصف بواحد منهما.

ولما ظهر هؤلاء تكلم السلف من التابعين وتابعيهم في تكفيرهم والرد عليهم بما هو مشهور عند السلف، واطلع الأئمة الحذاق من العلماء على أن

حقيقة قول هؤلاء هو التعطيل والزندقة، وان كان عوامهم لا يفهمون ذلك، كما اطلعوا على أن حقيقة قول القرامطة والاسماعيلية هو التعطيل والزندقة، وإن كان عوامهم إنما يدينون بالرفض، وجرت فتنة الجهمية، كما امتحنت الأئمة، وأقام «الامام أحمد» إمام السنة، وصديق الأمة في وقته، وخليفة المرسلين، ووارث النبيين. فثبت الله به الاسلام والقرآن، وحفظ به على الأمة العلم والايمان، ودفع به أهل الكفر والنفاق والطغيان الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض»(٢١١).

ولا بأس بذكر ما أورده يحيى بن حمزة العلوي من مذاهبهم، والردّ على أقوالهم في هذا الموضوع، فيقول:

«وقولهم في النبوة قريب من مذهب الفلاسفة ولكنهم ضعفوا عن معقول كلام الفلاسفة، فخبطوا فيه، وقالوا: إن النبي عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنقش عند الإتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجريان، كما يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام، حتى تشاهد (في) مجارى الأحوال في المستقبل. إما صريحاً بعينه، وإما مدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما، فيفتقر إلى التعبير والتفسير إلا أن هذا النبي هو المستقبل لذلك في اليقظة. فلذلك يدرك النبي الكليات عند صفاء القوة النبوية، كما سطع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة.

وهذا الكلام كله مسترق من كلام الفلاسفة، ولم ينقلوه على وجهه، وأعلم أن كلامهم في النبوة ربما يمكن تنزيل لفظه على وجه مقبول، وبعضه لا وجه له، ولا يعقل، بل يجب أن يكون مردوداً عليهم.

فإذا عرفت ذلك، فلنا: [لنا] معهم في الإفحام مقامات:

---

(٢١١) «فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية ج١٢ ص٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥.

المقام الأول:

أنا نطالبهم بمعقول حقيقة النبوة وتفسيرها وهم قد زعموا أنها قوة قدسية.

فيقال لهم: ما برهانكم على أن معنى النبوة ما ذكرتم؟ هل عرفتموه بالضرورة، أو بالنظر، أو بالتعليم؟ ولا سبيل [لكم] إلى شيء مما ذكرتموه من هذه الأمور الثلاثة، كما قررناه عليهم فيما سبق، فلا معنى لإعادته.

ثم يقال لهم: ما [ذا] تعنون بهذه القوة القدسية. أتريدون بها أن الله تعالى أظهر عليه المعجزة وخصه بما علمه، واصطفاه على كل الخليقة، وتسمون هذا الاختصاص والاصطفاء قوة قدسية، فهذا مسلم لا ننكره. لكن أخطأتم في تسمية هذا قوة قدسية. فإن هذا يوهم أنه لم يظهر عليه المعجز.

وإن أردتم: أنه لا معنى لنبوته إلا فيضان هذه القوة عليه من جهة السابق بواسطة التالي، من غير حاجة إلى ظهور المعجز، فهذا من خيال العقل وتيه الجهل، فنعوذ بالله من خبط العقل وفساده.

ثم يقال لهم: ولم زعمتم أن فيضان هذه القوة القدسية من جهة السابق بواسطة التالي، أو من النفس الكلية بغير واسطة؟ فإذا كان هذا محتملاً، لم يمكنكم القطع بإضافتها إلى السابق إلا بعد بطلان هذا الاحتمال بدليل. ولا سبيل إليه. وإن قالوا: وهذا لازم لكم، فمع ظهور المعجز عليه، ما يمنعه عن الكذب عندكم؟

قلنا: إن ظهور المعجز عليه قد دلنا على أنه لابد من تميزه بأمر المكانة لنقطع بصدقه، وهي العصمة. وأنتم لا تعتبرون ظهور المعجز في معنى النبوة. فلهذا كان الالزام متوجها عليكم.

ثم نقول: إذا زعمتم أن حقيقة النبوة: قوة قدسية حاصلة من جهة السابق بواسطة التالي. فبم تنفصلون عمن يقول من إخوانكم الفلاسفة: إنها هيئة راسخة نفسية مستمدة لإفاضة العلم من جهة العقل الفعال.

فإن قالوا: إن هذا الكلام وكلامنا الأول في ميزان واحد، لكن خولف في عبارته.

قلنا: فالآن برح الخفاء، وانكشف الغطاء، وظهر أنكم قد كرعتم في بحر ضلالهم، وارتويتم من أجن خبالهم، وحقيق على من أفضتْ به آراء الفلاسفة إلى الحيرة. وأورده إتباعهم موارد الهلكة، أن يقف مواقف العيّ، ويبوء بخسران الصفقة. زعموا أن الحق ما زينته كواذب الوهم والتخمين. وأن الباطل ما قامت عليه أدلة الحق والبراهين، استحسانا لمواقع أنظارهم الردية، وإعجابا بجُسر بصائرهم العمية.

تا لله: لقد أغرقوا في الجحد والعناد. وتاهوا في مواطن الحيرة والإلحاد «ولو شاء ربك ما فعلوه. فذرهم وما يفترون» فعونك اللهم وتيسيرك، فإنا لم نؤت في تفرقنا إلا من نفوسنا، ولك الحجة البالغة علينا ولو شئت لحملتنا على الهداية جبرا. وصرفتنا عن الانصياع في أودية الضلالة قسرا. لكنك أمرت تخييراً. ونهيت تحذيراً «لتجزي كل نفس بما تسعى» لتميز بين من أطاع وعصى «ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم».

المقام الثاني:

سلمنا لكم أن حقيقة النبوة ما ذكرتم من تهويسكم. فمن حقكم أن تقيموا الدلالة على حكمة الله تعالي. التي هي الأصل في سائر الأفعال الحكمية والاصطلاحات في التكاليف الشرعية والعقلية من الأفعال والتروك.

والعجب منكم، معاشر الجهال من التعليمية وطبقة أهل الضلال من الإسماعيلية. كيف تشرعون في الكلام في النبوة وأحكامها وتفسيرها، ووجوب الإمامة وغيرها من أنواع الحكم. وتغفلون عن تقرير هذا الأصل العظيم، وهو الحكمة، وتقريرها بأدلتها؟ وما نراكم عنه إلا في غطاء، وفي جميع ما تأتونه في زلل وخطأ. ألا ترى أنه لا يحسن إرسال الأنبياء إلا إذا علم

أن لنـا في ارسالهم مصلحـة في تعليم الشريعة، وابـلاغ التكليف، والارشاد إلى الـدين مما لم يعلم حكمتـه. فلا معنى لمـلاحظة المصـالح ورعـاية أحـوال الخلق، والتـوخي لمصالحهم في حق من ليس بحكيم. فهـذا جهـل منكم في الغفلة عن تقرير هـذا الأصل فـما دليلكم عليه؟ هـل عرفتمـوه بالضرورة أو بالنظر أو بالتعليم؟

ولا سبيل إلى معرفته بشيء من هذه الـطرق على مـذهبكم. فوضـح أنه لا طريق لكم إلى معرفة الحكمة على أصولكم [لأن فيها] إخلال عظيم وميل عن طريق الحق واضح.

المقام الثالث:

لو سلمنا لكم الحكمة. فلا يمكنكم معـرفة كـون النبي صادقـاً إلا بعد العلم بصدق الله، لأنكم إذا لم تعلموا صدقه، جاز أن يكون كاذباً في قوله: إن هذا النبي صادق في قوله. وجاز أيضاً أن نصـدق الكاذبـين في دعواهم. فما برهانكم على كونه تعالى صادقـا، وأن كل مـا آتاكم؛ فهـو حق وصدق. هـل عرفتمـوه بضرورة أو نـظر أو تعليم؟ ولا سبيـل إلى معـرفتـه بـالعقـل: ضرورة كـان أو نظراً، لأن العقـول عندكم لا معتمـد عليها. ولا سبيـل إلى معرفته بالتعليم، لأن التعليم إنما يكون حجة إذا ثبت كونه تعالى صادقـاً فيما يقـول، لا يجوز عليـه الكذب. رمهـما جوزنـا عليه الكـذب، لم نثق بصحـة التعليم، وجوزنا أن يكون التعليم خطأ وضـلالاً. ونحن الآن ما فـرغنا عن هذه القاعدة. فانهضوا الآن [لتقويم] التعليم، وهيهات!! أني يقوم المعوج، ومتى يصح السقيم»(٢١٢).

ومثل ذلك ذكره الغزالي والديلمي.

وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا المبحث.

---

(٢١٢) «الافحام لأفئدة الباطنية الطغام» ليحي بن حمزة العلوي ص٥٣ وما بعد.

الفصل الثالث

معتقدهم في الوصاية والوصي

يعتقد الاسماعيلية أن مرتبة الوصاية تلي مرتبة النبوة، وليس هناك فرق كبير بين المرتبتين، بل إن واحداً من كبار القوم[٢١٣] الذي كتب كتابين في تاريخ الاسماعيلية بمصر، وفي عقائد الاسماعيلية، أشار إلى أن المتقدمين كانوا يرون أن الوصي أفضل من النبي، والبعض الآخر كانوا يقولون بالمساواة بينهما بدون تفضيل واحد على آخر، ولقد شاهدنا هذا بأنفسنا بعد ما تعمقنا في البحث في أفكارهم ومعتقداتهم. ولقد وجدنا عبارات صريحة في هذا مما لم تصل إليه يداه، أو لم يرد أن يذكرها.

وقبل أن نوردها نريد أن نذكر أن الاسماعيلية القائلين (بأن لكل نبي وصياً) لا يعدّون الوصي إماماً، بل هو فوق الإمام. فالإمامة شيء، والوصاية شيء آخر.

وعلى ذلك التبس هذا الأمر على كثير من الذين اشتغلوا بالكتابة والبحث عن الاسماعيلية من المسلمين والمستشرقين، وحتى الاسماعيلية أنفسهم حيث أنهم يتحيرون عند ذكر الأئمة الاسماعيلية وعددهم، ويتخبطون.

---

(٢١٣) هو الدكتور زاهد علي مؤلف (تبيين المعاني لديوان ابن هاني) باللغة العربية، و(تاريخ فاطميين مصر) بالأردية. و(هماري اسماعيلي مذاهب) بالأردية.

فبعضهم يقول: إن الإمامة تبدأ من علي، ولكن الحسن لم يكن إماماً، وأن محمد بن اسماعيل الإمام السابع الذي إليه تنسب هذه الطائفة، ويقال لها السبعية.

وبعضهم يحذفون اسم اسماعيل بن جعفر، ولا يعدّونه إماماً.

والبعض الآخر يجعلون اسماعيل بن جعفر الإمام السابع، ومحمد بن اسماعيل هو الثامن، مع تصريح الاسماعيلية قاطبة أنه هو السابع، وأنهم لا يدرون أن علياً رضي الله تعالى عنه لم يذكر في الكتب الاسماعيلية، التاريخية منها والعقائدية إلا وصياً الذي يسمى بالأساس والصامت أيضاً، وهو غير الإمام، لأن مرتبة الإمامة عند الاسماعيلية دون مرتبة الوصاية، وليس الإمام كالأساس والصامت.

وهذه إحدى الأغلاط المشهورة التي وقع فيها المعتنون بالبحث والتحقيق عن الاسماعيلية. وسنذكر بعض النصوص في هذا الموضوع في باب مستقل، وهو نظام الدعوة عند الاسماعيلية.

ونرجع الآن إلى موضوعنا، وهو اعتقاد الاسماعيلية بأن لكل نبي وصياً، ووصي رسول الله عليّ، ولا فرق بينهما، وبين رتبتهما كما يقول الكرماني: «إن الوصي أول منصوص عليه من الحدود في الدورة والدعوة إلى التوحيد، فهو من حيث كونه كاملاً لا فرق بينه وبين الناطق»(٢١٤).

وقال أيضاً: «إن الوصي الذي أقامه (يعني المبدع الأول) مقامه (أي الناطق) وأخبر الله تعالى بأن نفسه كنفس محمد صلى الله عليه وسلم وآله في آية المباهلة، بكونه في الكمال والتمام كهو»(٢١٥).

وعلى ذلك قال علي بن أبي طالب ـ حسب ما يروونه عنه وهم يكذبون عليه:

---

(٢١٤) «راحة العقل» المشرع الثاني من السور الرابع» ص ٢١٦.
(٢١٥) نفس المصدر ص ٢١٣.

«أنا ومحمد من نـور واحد، من نـور الله تعالى، أمـر الله ذلك النـور أن ينشق إلى نصفـين، فقال للنصف الأول: كن محمـداً، وللنصف الثاني: كن علياً»[٢١٦].

ونسب علـي بن الوليـد هذا القـول إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم بالألفاظ المختلفة، وهذا نصه:

«قال النبي لعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما: لم أزل أنا وأنت يـا علي من نـور واحـد ننتقـل من الأصـلاب الـطاهـرة إلى أن اتصلنـا بصلب عبـد المطلب، وانقسم ذلـك النور نصفـين في عبد الله وأبي طـالب فقال الله تعالى: يا هذا كن محمداً، ويا هذا كن عليـاً، ثم ظهر محمـد صلى الله عليـه وعلى آله عن عبد الله كظهور عبد الله عن عبد المطلب، وظهر علي صـلى الله عليه وعلى آله عن أبي طالب كظهور أبي طالب عن عبد المطلب، وكانا ما فيه قسط من النـور الإلهي والسر المعنوي، ومـا يعقلهـا إلا العـالمـون، وجـرت الإمامة في ولـد علي وفـاطمة بنت محمد عن أمر محمـد وعلي لأمـر يقصر عنه الفهم، ولا يعلمـه إلا الراسخـون في العلم، فظهـر من بينهما الحسن (عليـه السلام)[٢١٧]».

ومثل هذا ذكـره الداعي الاسماعيلي حسن بن نـوح الهندي في (كتـاب الأزهار ومجمع الأنوار)[٢١٨].

وأورد القوم رواية أخرى في ذلك عن رسول الله أيضاً أنه قال:
«إن الله تعالى خلقني وعليًّ نوراً بين يدي العرش، نسبح الله، ونقدسـه قبـل أن يخلق آدم بألفي عـام، فلما خلق آدم أسكننا في صلبـه، ثم نقلنا من

(٢١٦) «الأنـوار اللطيفـة» للحـارثي الفصـل الثـالث من السرادق الثـالث من البـاب الثـاني ص ١٢٧.
(٢١٧) «رسـالة تحفـة المرتـاد وغصة الأضـداد» لعـلي بن الـوليـد ص ١٦٨ من (أربعـة كتب اسماعيلية) تصحيح ونشر شتروطمان ط المجمع العلمي غونتينغن.
(٢١٨) أنظر صفحة ٢٢٤ من كتاب (منتخبات اسماعيلية).

صلب طيب، إلى بطن طاهر، لا تختلك فينا عاهة، حتى أسكننا صلب ابراهيم، ثم نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة، لا يمسنا عار الجاهلية، حتى أسكننا صلب عبد المطلب، ثم افترق النور من عبد المطلب ثلاثاً، ثلثان في عبد الله، وثلث في أبي طالب، فخرجت من ظهر عبد الله، وخرج علي من ظهر أبي طالب، ثم اجتمع النور مني ومن علي في فاطمة (رضي الله عنها)، فخرج منها الحسن، والحسين رضي الله عنهما، فهما نوران من نور رب العالمين[٢١٩].

وهناك رواية أخرى في كتابٍ اسماعيلي سري لداعي الدعاة ادريس عماد الدين، لا تقل طرافة عن هذه الروايات، وأنها لتكشف عما يعتقده الاسماعيلية في عليّ بن أبي طالب، ومرتبته، وشأنه، مع مقارنته ومكانته وشأنه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، فيقول الداعي ادريس:

«وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم أوّل القائمين في المقام الأعظم في دَوْر محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الإمام القائم بأمر الله أول قائم قام بعد المهدي بالله صلوات الله عليه، فكان له الفضل العظيم والمقام الكريم فإنه لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يعرفني بحقيقة معرفتي بالنورانيّة فإذا عرفني بهذه الصفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره وصار عارفاً مستبشراً، ومن قصر عن ذلك فهو شاك مرتاب، يا سلمان قال لك جُنْدَب في هذه الساعة قُم بنا نسأله عن معرفته بالنورانيّة، فقال لبيّك كذا كان، فعرّفنا النورانيّة ومعرفة الله فقال صلى الله عليه وسلم وما أُمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا الله مخلصين له الدين حُنَفَاءَ ويقيموا الصَّلَوَة ويُؤْتُوا الزكوةَ وذلك دين القَيِّمَةِ، يقول وما أُمِرُوا إلا بتوحيد وهو إخلاص العبادة، وقوله حُنفَاءَ يعني الاقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الحنيفة، ويقيموا الصلوة هي ولايتي، من أقامها أقام الصلاة، لقوله واستَعِنُوا بالصَّبر والصَّلاةِ وإنها لكبيرة إلا على الخاشِعِين، ولم يَقُل الله تعالى

(٢١٩) «تاج العقائد ومعدن الفوائد» ص ٥٤ ط مؤسسة عز الدين بيروت.

وإنهما الكبيرتان لأن أكثر الناس مقرّون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من النـاس من يقرّ بـولايتي إلا مَن كان من الخـاشعين، وكـذلك قـال وَبِئْرٍ مُعطَّلةٍ وقصرٍ مُشيدٍ فالقصر هو رسول الله صلى الله عليـه وسلم، والبِئْرانـا، عطّلوا والله ولايتي، وقوله وَيُؤتُونَ الزَّكوةَ، فهي الاقـرار بالأئمـة من ذرّيتي، وهو الزكاة من استكمل ذلك فهو علي دين القَيِّمَة وسَـابين لكـما بعون الله يـا سلمان وجُنُدب.

أنا ومحمد نـورٌ واحدٌ من نـور الله، أمر الله ذلـك النورِ لينشقَّ نِصفَين، فقال للنصف الأول كُن محمَّداً، وللنصف الثاني كُن عليّاً، فلهذا قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم عليٌّ مِني وأنا مِنْه، ولا يؤدى عني إلاّ علي، يـا سلمان ويا جندب فصار محمد نبيّ الله المصـطفى وصِرْتُ أنـا وصيّ محمد المـرتضى، وصار محمد الناطق وصِرتُ الصـامت، وصار محمـد المنذر وصِـرتُ الهادي، وصار محمد صاحب الجنّة وصرت صاحب النار، أقول للنار لـك هذا وهـذا لي، وصـار محمد صـاحب الرحمـة وصِرتُ صـاحب الرجفـة، وصـار محمـد صـاحب الدلالات وصرت صـاحب الآيـات، وصـار محمد خـاتم النبيّـين وصِرْتُ خاتم الوصيّين، أنـا اهلكت القرون الأُولى وأنـا النبأ العـظيم الذي هم فيه مختلفون، وصار محمد صاحب الدعوة وصِرْتُ صاحب السيف، وأنا الأمر من الله يلقي الروح من أمره على من يشـاء من عباده، فـالأمر من روح الله، ولا يعطى ذلك إلا النبيّ والوصيّ، فمن أعطاه الله من روحه أبانـه من الناسُ ورفعه فوق الخلق وفوّض إليه القدرة، فأحيا وأمات وعلم ما كـان وما يكون بذلك الروح وعلم ما في السماء وعرج إلى السماء ونزل إلى الأرض، يا سلمان ويا مجندب وصار محمد الذكر وصِرْتُ أنا الكتـاب لقول الله عـزّ وجل قَد أَنْزَلَ الله إليكُم ذِكراً رَسولاً، وقال لَقد أَنْـزلنَا إِلَيكُم كِتـاباً فيـهِ ذِكْرُكُمْ، ومحمدَ حجة الله على الخلق وأنا حُجّته رفعني وأعطاني ما لم يعطِ أحداً كما أمر الله بقوله يا أيُّها الرسُولُ بَلِّغ مـا أُنْزِلَ إِلَيْـكَ مِن ربِّكَ وإنْ لَمْ تَفعـل فما بلغتَ رسالتهُ والله يعصمك من النّاس.

فعقد لي وأخذ بيعتي وأنا اللوح المحفوظ وأَلهَمني الله ما فيه، ياسلمان ويا

جُنْدَب محمد يس وأنا القرآن الحكيم، ومحمد نون وأنا القلم، ومحمد طه وأنا القرآن، ومحمد الياقوتة الصفراء وأنا الياقوتة الحمراء، وليس بيني وبين محمد فرق، أنا محمد ومحمد أنا، أنا منه وهو مني، بقوله: مَرَجَ البَحْرينِ يَلتَقِيانِ بَينَهُما بَرْزَخٌ لا يبغِيَان، ومحمد آلاءُ الله الأكبر وأنا آلاءُ الله الأكرم، لقوله: فَبِأَيِّ آلآءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ، ياسلمان ويا جندب إنّ ميّتنا لم يمُت وقتيلنا، لم يقتل، ولا نلد ولا نولد.

قال جابر فقبَّلتُ الأرض بين يديه إعظاماً له لما سمعتُ، وقلتُ يا مولاى قد اشتكل عليَّ مما سمعتك تكلم به قولك أنا أهلكتُ القرون الأولى وقولك في الباب الثاني أنَّ ميتنا لم يَمُت وقتيلنا لم يقتل، فقال يا جابر أنا الأمر من الله لأنه عزّ وجلّ يقول يُلقى الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ على مَن يشاءُ من عبادِهِ فلما أمرني الله بقوله فإذا جاء أمرنا وفار التنور، بنجاة نوح (عليه السلام) نجيته وقوله فلما جاءَ أمرنا جَعلنا عَالِيها سافِلَهَا، وأما قولي أنَّ ميتنا لم يمُت، لإنه من روح الله وقتيلنا لم يقتل، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ممّن مضى ومن بقي، يا سلمان ويا جُندَب، فلما أيِّدتُ بما أيِّدَت به الأنبياء من الروح نطقتُ على لسان عيسى ابن مريم في المهد، فآدم ويثيث ونوح وسام وإبراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد، وإنَّ كلنا واحد ومن رآني فقد رأى جميعهم، وأنا عبدٌ من عباد الله، فلا تُسمّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شِئْتُم لأنّا أبوابُ الله وحُجَجه وأمناؤه على خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ووجه الله وجنبه وأمر الله وصراطه، بنا يعذب وبنا يثيب، اخترنا من بين خلقه، وطهرنا واصطفانا، فلو قال في ذلك قائل لِمَ أو بِمَ أو عمَّ أو فيم لكفر لأنه لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْئَلُونَ، ياسلمان ويا جُنْدَب من أمن بما قلتُ وأوضحتُ وشرحتُ وفسرتُ فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وإذا ميّز ظاهر قولى وباطنه فهو عارف مستبصر بالغ كامل، ومن شكّ فيه وارتاب وجحد ووقف فهو ضالّ مقصر»(٢٢٠).

---

(٢٢٠) «زهر المعاني» للداعي ادريس ص ٧٣ وما بعد من (المنتخب) لايرانوف.

فهذا هو الوصي وعلاقته بالنبي ، ومقامه ومكانته وشأنه ومرتبته ، عند الاسماعيلية بأنه مثل النبي ، لا فرق بينهما ،

وكذلك الوصاية مثل النبوة ، لا فرق بينهما ،

وقد أوضح ذلك الداعي الاسماعيلي الحسين بن على بن الوليد في رسالته وصرح به حيث يقول :

« وكانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته ، ومرتبة أمير المؤمنين في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه . والنبي مثل الذَّكَر في الدين ، وأمير المؤمنين معه مثل الأنثى القابلة منه ، والنبي مثل السماء ، وأمير المؤمنين معه مثل الأرض . فلما انتقل النبي ﷺ صار أمير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول ، وحجته مقام المنبعث الأول .

فالذي يجب أن يعتقد أنه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة . « لا فضل لاحد منهما على الآخر ، بل قد تساويا كما قال النبي ﷺ : أنا وأنت يا على كهاتين ، وجمع بين أصبعيه المسبّحتين من يديه اليمنى واليسرى ، وقال : (لا أقول كهاتين) وجمع بين المسبّحة والوسطى سبقت احداهما الأخرى ، فمن اعتقد في أحدهما أنه أفضل من الآخر ، فقد غلا فيه وقصر في الثاني ، فلا تعتقد الا هذا ، فلعنه الله على من يعتقد خلافه »[٢٢١] .

وبمثل ذلك قال السجستاني أبو يعقوب :

« لما كان الناطق يأتي لينسخ شريعة ما قبله باظهار شريعة جديدة ، كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله ، وأنه لابد للناطق من صامت يكون قريباً منه وأساساً له . وقد جاء بالقرآن الكريم : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) فدلّت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه لابد لكل ناطق من صامت يحتاج إلى مشورته) في أمور

---

(٢٢١) « المبدأ والمعاد » ص ١٢٤ ، ١٢٥ من (رسالة اسماعيلي) تحقيق المستشرق هنرى كربين .

الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الالهية والعناية الربانية وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق علي جميع الأسرار النبوية ليمكنه مؤازرته ومعاونته ومعاضدته بتنفيذ أحكامها »[٢٢٢].

وبمثل ذلك قال الداعى حاتم بن عمران في رسالته مبيناً علاقة الصامت بالناطق ومعناها فيقول :

« أعلم أيها الأخ البار الرحيم أنه جاء بالقرآن الكريم : (لقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً)، فدلّت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه يكون لك ناطق صامت يحتاج إلى مشورته في أمور الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الالهية والعناية الربانية وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق على جميع الأسرار النبوية ليمكنه مؤازرته ومعاونته ومعاضدته بتنفيذ احكامها وكل العلماء اتفقوا على أن الله سبحانه وتعالى أنزل فرائضه في الشرائع مجملة وغير مفسرة ومقسمة ففسرها وقسمها الرسول ظاهرياً ووضع كل شيء منها في موضعه، ثم أنه عهد بتقسيمها وتفصيلها ـ باطنياً إلى وزير صامت يعرض عليه من التأليف ما يكون له القوة والفاعلية وقد لا يكمل الدور إلا باثنين صامت وناطق، ولقد وجدنا الخلق من الابداع قد استقر على اصلين احدهما ناطق وهو السابق والآخر صامت وهو التالي وكذلك الهيولى والصورة في الاشياء المركبة ناطق وصامت فالهيولي ناطق والصورة صامت وكذلك الافلاك صامت والكواكب ناطق، وكذلك البرد صامت والحر ناطق والليل صامت النهار ناطق وقد لا تخرج الاثمار من برد الرطوبة بل بالحر من اجتماع الاثنين وكذلك الذكر ناطق والانثى صامت وكذلك المركز صامت والخط المحيط ناطق وهذا لمثل النفي والاثبات في الشهادة فالنفي صامت والاثبات ناطق إذ انه ينطق عن اثبات الوحدانية وكذلك في الصلوات خفي وجهر فالخفي صامت والجهر ناطق وكذلك الايمان معرفة بالقلب وعمل بالجوارح فالمعرفة بالقلب صامت والعمل

---

(٢٢٢) « إثبات النبوءات » للداعي الاسماعيلي أبي يعقوب السجستانى الفصل العاشر.

بالجوارح ناطق لظهورها واعلانها وكذلك الآيات المحكمات في القرآن نـاطق والمتشابه صامت ؛ لأنه يحتاج إلى بيان ومرشد وقد قرن الله تعالى وصي الدور الناطق بالصامت فقال في قصة نوح « اصنع الفلك بأعيننا ووحينا » وقـال في قصة موسى « فارسله معي اني اخاف أن يكذبون » وقال : (وأرسلنا مـوسى واخـاه هرون) وقـال : (وجعلنا ابن مـريم وامه آيـة) وقال في قصـة محمد « أفمن كان على بينـة من ربه) يعني محمـد ويتلوه شاهـد يعني علياً ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة يعني دور موسى ومنـزلة هـرون دليل عـلى دور محمد ووصيه على عليهما السلام وقوله : فـلا تكن في مريـة منه إنـه الحق من ربك اي أنـه الـذي اقـامـه التـالي شريكـاً في اقـامـة الملة ولكن أكـثر النـاس لا يعلمون »(٢٢٣).

وعـلى ذلك روى النعـمان القاضي كـذباً عـلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مابعث الله نبياً قبلى إلا اخبره الله بى وبعلي وصي، وأمر أن يأخذ البيعة لى وله على أهل ملته والأئمة من ذريته، ويبشرهم بنا »(٢٢٤).

إن الكرماني له مكانته السامية عند الاسماعيلية، وكتابه (راحة العقل) من أهم الكتب في الحقائق التي لا يسمح لكل واحد أن يـطلع عليه إلا بعـد إذن خاص من الذي إليه الأمر من الامام أو داعى الدعـاة، فننقل منـه أيضاً ما قاله في هذا الموضوع فيقول الكرماني :

« ويوجب كون الناطق قائماً بتربية الوصى وتعليمه وتبليغه كما له في عـالم الـدين بأن العقـول المفارقـة معنية بـالأنفس في دار الطبيعـة وخاصـة النفس العاقلة، وكون الوصي لو لم يكن عاملاً بالشرع وأحكامـه ولا تابعـاً للأوامـر

---

(٢٢٣) « رسالة الأصول والأحكام » ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ . من (خمس رسائل اسماعلية) تحقيق عارف تامر.

(٢٢٤) « تـأويل الـدعائم » للنعـمان القاضي تحقيق الأعـظم ج ١ ص ٣٣٦ ط دار المعـارف - مصر.

الإلهية لما كانت نفسه تنال كمالها، بأن النفس الحسية إن لم تفعل في المحسوسات لا تتصور المعقولات التي فيها كمالها. وكون نفس الوصي أولاً لا كنفس النبي صلى الله عليه وعلى آله وبتعليمها وعملها صارت مشابهة له فكانتا شبيهين، ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وعلى آله نفسه بنفسه فقال عنه الله لما أمر بالمباهلة: « وأنفسنا وأنفسكم » بأن النفس الحسية لا تشبه المعقولات وعند تصورها بعلمها وعملها تصير مثلها فتكون شبهها. وكون الوصي عند كماله وقيامه برتبته قائماً بالفعل فلا يشتبه عليه شيء من الأمور الشرعية والسياسية والأحكام ظاهراً وباطناً ولا يحتاج فيها إلى غيره كما كان من قبل محتاجاً إلى النبي، بأن النفس الناطقة في بلوغها كمالها استغناؤها عن غيرها. وكون الوصي قائماً بذاته في مرتبته ثابتاً لا يسلبه أحد ما شرفه الله به »[225].

وأخيراً ننقل ما ذكره هبة الله الشيرازي في مجلس خاص عقده لبيان شأن الوصاية ومقام الوصي، فيقول:

« قوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور » .. إلى قوله تعالى « وموعظة للمتقين » عنى به ميثاق الوصاية للوصي كميثاق يوم الغدير حيث قال النبي (ﷺ) « ألست أولى بكم من أنفسكم » قالوا: اللهم بلى. قال: اللهم اشهد على إقرارهم. ثم قال: « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » فهذا هو الميثاق المأخوذ في دور موسى لوصيه أولا. وفي دور النبي (ﷺ) لوصيه آخراً، وقوله تعالى « ورفعنا فوقكم الطور » والطور جبل، والجبال أوتاد الأرض وممثولها في الباطن الحجج الذين هم أوتاد الدين. كالجبال للأرض. واشرف الحجج حجة الناطق (ﷺ) الذي هو أساسه، وهو الطور الذي أقسم الله عز وجل به، ولو لا كان الطور بهذه المثابة في الشرف لامتنع أن يقسم الله تعالى بجبل جماد، فليس للجمادات هذه القدرة. وسوى ذلك فان الطور هو الجبل الذي كان موضع مناجاة الله تعالى لموسى وحامل

---

(٢٢٥) « راحة العقل » للكرماني ص ٤٨٢، ٤٨٢.

جسمه، وهذا الشرط بوصي موسى في دوره، ولوصي محمد (ﷺ) في دوره أليق وأشبه منه من الجبل الذي يسمى الطور، فالوصاية حامل النبوة ومقر استقرار قدمها والاستقلال بأعبائها وأثقالها. ولا يصح المناجاة التي هي الاعتلاق بالحدود العلوية والارتباط بالأعيان الروحانية إلا من جهتها، وقوله سبحانه « ورفعنا فوقكم الطور » يعني أقمنا الوصي ليكون لكم ظلاً ومعقلاً وحرزاً ومثابة لعقولكم وأمناً. وقوله « خذوا ما آتينا كم بقوة » من جملة ما أنعم الله سبحانه على القوم مما يأكلون ويشربون. والشيء المشار إلى أخذه بالقوة ليس يكاد يعرف في متعارف القول وجهه، فاذا رجع به إلى بيان التأويل كانت العلوم الحقيقة الصادرة عن الوصي (ﷺ) يحتاج حملها إلى نفس قوية مهيأة لقبولها، موطأة لورودها عليها كما قال بعض الأئمة الصادقين « عِلْمُنا صَعب مستصعب، سر مستسر لا يحمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان وشرح به صدره ». فقد بان وجه قوله سبحانه « خذوا ما آتينا كم بقوة » ولو لا هذا الحكم لكان القول لا يأوى إلى علاقة ولا يتمسك من الصحة بوثاقة. وقوله تعالى « واذكروا مافيه لعلكم تتقون » المعني فيه أن الكلام التأويلي إنما هو موزانة الدين بالآفاق والأنفس. فمن اطلع عليه بحقيقته كان مطلعاً على الآفاق والأنفس كقول الله سبحانه « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفكسم أفلا تبصرون » فمن أجل ذلك قال تعالى « واذكروا مافيه لعلكم تتقون » وقوله سبحانه « ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » معناه أنكم بعد أخذ ميثاق الوصاية وعقد البيعة نكصتم على أعقابكم وارتددتم عن دينكم « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته » بأن جعل أسباب الامامة موصولة فيأوى إلى الاعتلاق بها من لاذ بالتوبة وندم على الخطيئة وانتبه من الرقدة « لكنتم من الخاسرين » الذين خسروا انفسهم وشوهوا صورهم واعتاضوا عن الملكوتية سيطنة »[٢٢٦].

---

(٢٢٦) « المجلس الحادى والسبعون من المائة الثانية من (المجالس المؤيدية)، المندرج في كتاب (المجالس المستنصرية) للداعى علم الاسلام ثقة الامام ص ٢٢٢، ٢٢٣ تحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي ـ مصر.

وهذا كله لدى من يعتقد أن النبي والوصي مستويان، . لا فرق بينهما، وأن النبوة والوصاية، لا مفاضلة بينهما.

ولكن هناك من يعتقد من الاسماعيلية، ومن الفرق الشيعية الأخرى عموماً، أن عليا أفضل من النبي لأنه هو مقصود الدعوة ومرادها، ولم تكن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إليه، كما لم يؤخذ الميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين إلا للاقرار به وبوصايته وولايته. كمامرّ ذلك فيما سبق، وان العبادة لا تقبل إلا باتباعه هو، وباقرار ولايته كما قال جعفر بن منصور اليمن :

« و (صدّوا عن السبيل) يعني صدّوا عن على، وهو سبيل الله الذي لا تقبل العبادة إلا باتباعه »[٢٢٧].

وكما ذكر الحسن بن نوح الهندي :

« لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا ... بورد كل نبي مرسل وولى
وصام ما صام صوام بلا ملل ... وقام ماقام قوام بلا كل
وعاش في الناس آلافا مؤلفة ... عار عن الذنب معصوما عن الزلل
ما كان ذلك يوم الحشر منتفعاً ... الا بحب أمير المؤمنين علي»[٢٢٨].

وبعبارة صريحة أكثر ما قاله صاحب (الكشف) :

«قال الله عز وجل: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) قال: السبيل الواسع هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهو الصراط المستقيم، فمن كفر بولايته ولقى الله بذلك أحبط الله عمله وأضل سعيه، وجعله هباء منثورا، وأكبّه على وجهه في النار، وانه ليوافي الرجل منهم يوم القيامة ولو أن له أعمالا كالجبال الرواسي ولم يلق الله بولاية أمير المؤمنين فلا

(٢٢٧) « كتاب الكشف » لجعفر منصور اليمن ص ١٧٥ .

(٢٢٨) «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» ص ٢٢٣ من (منتخبات اسماعيلية).

ينفعه عمله، وقال الله عز وجل: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا»[٢٢٩].

لأنه هو:

«النافخ روح التأويل في جسم الشريعة»[٢٣٠].

وهو: «المفرج كرب الرسول وهمه، سيف الله المسلول، وخيرته المقبول، المعجزة الباهرة، والقدرة القاهرة، لسان صدق جده ابراهيم صلى الله عليه وسلم. نبأ الله العظيم، والسهم الكريم، الذي تحركت المتحركات لظهوره، وسرت العناية الالهية لظهوره، ودارت لسببه الأفلاك، وسبحت الأملاك، صالح المؤمنين، وأمين المتقين، وقائد الغر المحجلين، حوض الكوثر، والقمر الأزهر، فلما ظهر بهر، وقام فقهر، وأعزّ الاسلام ونصر، وأمده الله بلواء حمده والظفر، فكمل به الدين، وأباد به الملحدين، وأيد به الموحدين، المثل المضروب للأولين والآخرين»[٢٣١].

وهو «كشاف الكرب عن وجه الرسول، وأمواج الردى المتلاطم»[٢٣٢]

وكيف لا يكون وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله»[٢٣٣].

ويقولون فيه أكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ كان يوماً جالساً بين أصحابه:

---

(٢٢٩) «كتاب الكشف ص ٢٠.

(٢٣٠) رسالة (الايضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين) لعلي بن الوليد من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٣١) «كنز الولد» للحامدي ص ٢.

(٢٣٢) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ج ١ ص ٢٥٨ المجلس الثاني والخمسون ط دار الأندلس.

(٢٣٣) انظر «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط، ومثله في كتاب (كنز الولد) للحامدي ص ٢٢٥.

«واذ بسائر يرون خياله، فقال لهم الرسول: من أحب منكم أن ينظر إلى آدم وعلمه، ونوح في فهمه، وابراهيم في حلمه، وموسى في مناجاته، وعيسى في معجزاته وسنته، وإلى محمد في تمامه وكماله وجماله فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، اذن هو، واذ هو، على صلوات الله عليه وآله»(٢٣٤).

هذا وأكثر من ذلك ما يروونه أن رسول الله ﷺ قد صدر عنه الذنوب بدليل قوله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، وأن عليا لم يصدر منه ذنب اطلاقا(٢٣٥).

ويروون كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«لما عرج بي إلى السماء أريت فيها شخصا على مثال أخي علي، فقلت: سبقني أخي علي؟ فقيل: لا، وانما الملائكة لما اشتاقت إلى رؤيته جعل الله ملكا يشبهه، فهي اذا اشتاقت إليه نظرت إلى هذا»(٢٣٦).

وجعفر بن منصور اليمن روى هذه الرواية كاملة في كتابه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لما عرج بي إلى السماء الرابعة رأيت عليا جالسا على كرسي الكرامة، والملائكة حافون به يعظمونه ويعبدونه ويسبحونه ويقدسونه، فقلت لحبيبي جبرئيل: سبقني أخي علي إلى هذا المقام؟

فقال لي: يا محمد، ان الملائكة شكت إلى الله شدة شوقها إلى علي لعلمها بعلوه ومنزلته، وسألت النظر إليه، فخلق الله هذا الملك على صورة علي وألزمهم طاعته. فكلما اشتاقوا إلى علي نظروا إلى هذا فيعبدونه ويسبحونه ويقدّسونه، وذلك قوله عز وجل: ﴿هو الذي في السماء اله وفي

---

(٢٣٤) انظر «كنز الولد» للحامدى ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢٣٥) انظر (تأويل الزكاة) لجعفر بن منصور اليمن ص ١٤٩ وما بعد ـ مخطوط.

(٢٣٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٨ من (أربعة كتب اسماعيلية).

الأرض اله وهو الحكيم العليم﴾، وقد قال رسول ﷺ : النظر إلى وجه علي عبادة»[٢٣٧].

وقد روى آخر هذه الرواية الحامدى، وقال في آخرها:

«ولاية على حسنة لا يضر معها سيئة»[٢٣٨].

وهناك رواية أخرى رواها الداعي (علم الاسلام وثقة الامام) في المجالس المستنصرية بقوله:

«عن رسول الله ﷺ أنه قال لا عرابي سأله عن ولاية أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ فذكر له مناقب كان منها أن قال له: اذا كان يوم القيامة يؤتي بمنبرى فينصب عن يمين العرش، ويؤتي بمنبر ابراهيم فينصب عن يمين العرش، يا أعرابي، والعرش له يمينان، فمنبرى عن يمين ومنبر ابراهيم (عليه السلام) عن يمين، ثم يؤتي بكرسى عالٍ معروف بكرسي الكرامة فينصب بين المنبرين، فأنا عن يمين العرش على منبري، وابراهيم عن يمين العرش على منبره، وعلي (ﷺ) على كرسى الكرامة، وأصحابي الذين لم يبدلوا حولى، وشيعة علي المحقون حوله، فما قولك في وصيّ بين حبيب وخليل، يا أعرابي، أحبّ عليا حق حبه فما هبط علي جبرئيل (عليه السلام) الا سألني عن علي وشيعته، ولا عرج من عندي الا قال: اقرأ عليا مني السلام»[٢٣٩].

وأما كون علي رضي الله عنه الخالق، والمحيى والمميت، ومرسل الرسل، ومجرى الأنهار المتصف بأوصاف غيرها لاتليق الابا لرب جل جلاله وعم نزاله، فقد مر ذكره فيما تقدم.

وننقل هنا روايات أخرى لم نوردها من قبل، منها ما رووا عن علي رضي الله عنه أنه قال:

---

(٢٣٧) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٢٧٢، ٢٨٣ ـ مخطوط.

(٢٣٨) «كنز الولد» للحامدي ص ٢٢١.

(٢٣٩) «المجالس المستنصرية» ص ٩٣.

«سلوني عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة»[٢٤٠].

وأيضاً « لا يشتبه على الوصي شيء من الأمور الشرعية والسياسية والأحكام »[٢٤١].

ويعتقدون في علي رضى الله عنه أنه يستطيع أن يتشخص كيف شاء، فيقول أحد دعاتهم في كتابه (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) جواباً عن سؤال من سأله في علي رضى الله عنه أنه كيف كان يقتل يمينه وشماله، وخلفه وقدامه وهو شخص واحد، فاذا كانت معجزة فكيف بيان هذه المعجزة؟.

يجيب عليه أحد دعاتهم بقوله:

«ان هذه منه صلوات الله عليه من جملة المعجزات التي تقدم ذكرها التي لا يقدر عليها الا الرسول الوصيّ والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، وفي ضمن كل واحد منهم صلوات الله عليهم من الصور ما لا يحصيه العدد، كل صورة منها قادرة على التشخص وعلى الانفراد أي وقت شاءت، وقد جاءت الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى آله أنه لما كان في يوم أحد، واشتد القتال خرجت من عند رسول الله ﷺ وعلى آله وهو واقف، ووصيه معه في بعض المواضع، فلما وصلت العسكر رأيت رسول الله ﷺ وعلى آله وعليا (عليه السلام) يحملان في عسكر المشركين فيلقيان الميمنة على الميسرة، والميسرة علي الميمنة، ثم عدت إلى حيث عهدتهما فوجدتهما قاعدين ما تغير منهما شيء.

فهذه الرواية تؤكد ما تقدم ذكره من التشخص بما شاءوا أى وقت شاءوا صلوات الله عليهم»[٢٤٢].

---

(٢٤٠) «المجالس المؤيدية» ص ٢٢٣ وايفا (الحقائق الخفية) ص ٢٤.

(٢٤١) «راحة العقل» للكرماني ص ٤٨٣.

(٢٤٢) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٢٣ من (أربعة كتب اسماعيلية).

كما إنهم يقولون:

«إن قسط الناطق تلاوة القرآن، وقسط الوصي شرح التأويل»[٢٤٣].

وقالوا:

«علي هو المبين مشكلات ما أتى به الرسول ﷺ»[٢٤٤].

وقال الشيرازي:

«لولا الوصي (عليه السلام) لما كان للمعارف الالهية وجود»[٢٤٥].

وأخيراً نذكر ما قالوا:

«قام النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين وهو الباطن»[٢٤٦].

وعلى ذلك يقولون:

«ان عليا (عليه الصلاة) لم يعرفه أحد بالجملة حقيقة معرفته الا رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢٤٧].

ورووا مثل ذلك عن علي نفسه أنه قال:

«ما عرف رتبتي الا رسول الله»[٢٤٨].

فهذا هو الوصي، وهذه هي الوصاية عند الاسماعيلية.

وقد أعرضنا عن ذكر روايات كثيرة جداً في هذا الموضوع تجنباً للإطالة.

---

(٢٤٣) أيضاً ص ٤٢.

(٢٤٤) «كتاب الأزهار» ص ١٨٥ من (منتخبات اسماعيلية).

(٢٤٥) «المجالس المؤيدية» ص ١٤٤.

(٢٤٦) المراجع السابقة.

(٢٤٧) المراجع السابقة.

(٢٤٨) المراجع السابقة.

الفصل الرابع

معتقدهم في الامامة والائمة

إن الامامة أصل من أصول الإسلام وقطب الدين وأساسه لدى الاسماعيلية، ودعامة من دعائمه(٢٤٩)، وهي:

«فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالايمان بالامام، والحجة، ويدل على فرض الامامة اجماع الامة على أن الدين والشريعة لا يقومان إلا بالامام، وهذا حق لأنه سبحانه وتعالى لا يترك الخلق سدى، ولا يمنعهم هذه الفريضة التي لا تسوغ الهداية إلا بها، وان الرسول نصّ على ذلك نصا تشهد به الأمة كافة»(٢٥٠).

ويروون روايات كثيرة لذكر أهميتها، وبيان حيثيتها. منها ما رواه النعمان بن محمد المغربي الفقيه الاسماعيلي عن محمد الباقر أنه قال:

«بني الإسلام على سبع دعائم: الولاية، وهي أفضلها، وبها وبالولي

---

(٢٤٩) «اثبات الامامة» لأحمد بن إبراهيم النيسابوري، المقدمة، أيضا (مطالع الشموس) لشهاب الدين أبي فراس ص١٥ من (أربع رسائل اسماعيلية) ط بيروت.

(٢٥٠) «تاج العقائد ومعدن الفوائد» للداعي الاسماعيلي علي بن محمد الوليد ص٦٥، ٦٦ ط مؤسسة عز الدين - بيروت - لبنان ١٩٨٢م.

يوصل إلى معرفتها. والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد»[٢٥١].

وقال شرف علي الاسماعيلي: «ان الولاية خاتمة دعائم الاسلام»[٢٥٢].

وكيف أنها خاتمة الفرائض؟ يبينها الكرماني بقوله:

«لما كان موجودا من حكمة الباري تعالى كبرياؤه أن كل ما خلقه غير عالم ولا قادر، قد وكل به عالما قادرا يحفظه ويرعاه على هيئة ولولاه لتعطل، وقرنهما مثل العالم الكبير الذي هو الدنيا بأفلاكها ونجومها وأركانها التي خلقها غير عالمة ولا قادرة، فوكل بها ملائكة مقربين يحفظون نظامها، وقرن بينهما، ولهم العلم والقدرة ولولاهم لتعطلت. ومثل العالم الصغير الذي هو شخص البشر بأيديه وأرجله، ورؤوسه، وأحشائه، الذي خلقه الله تعالى غير عالم ولا قادر، فجعل أمره إلى النفس تسوسه وتحفظ نظامه إلى الوقت المقدر له، وقرن بينهما.

وهي عالمة قادرة، ولولاها لتعطل كما يتعطل إذا فارقته، وكان ما جاء به سيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ عن الله تعالى من الشريعة عالما برأسه، وكان هذا العالم عالم الوضع بما يجمعه من الصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها. صورة أعمال، والأعمال أفعال، والأفعال غير عالمة بذاتها، وجب في الحكمة من حيث وجب حفظها، ولا تعطلت أن أمرها إلى من يحفظها ويرعاها كغيرها من العوالم.

ولذلك كانت ولاية الامام آخر الفرائض. فتم عالم الشرع به، وأخبر الله تعالى حين فرضها فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)[٢٥٣].

---

(٢٥١) «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان تحقيق آصف على أصغر فيضي ج١ ص٢ ط دار المعارف مصر ١٩٦٣م، أيضا «تأويل الدعائم» ج١ ص٥١ ط دار المعارف مصر.

(٢٥٢) «عيون المعارف» لشرف علي ط مطبعة محمدي بمبئى.

(٢٥٣) «المصابيح في اثبات الأمامة» لأحمد حميد الدين الكرماني المصباح الأول من المقالة الثانية ص٨٠ ط منشورات حمد ـ بيروت.

وقد ذكر المؤيد الشيرازي هذه الامامة التي يعبر عنها أحيانا بالولاية، وفرضيتها وأهميتها بتعبير آخر، فقال:

«فلو أن رجلاً عمل بفرائض الله تعالى والسنة التي جاء بها رسول الله ﷺ كلها، ثم لم يقرن بعمله اعتقاد ولاية الرسول [الأتي بها لم يغن عنه ما عمل فتيلاً، ولم يتبع غير سبيل أهل النار سبيلاً، إذ ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح وجودها إلاّ بوجوده، ولا تثبت صحتها إلاّ بصحته، وإذا كانت هذه نصبة الرسول في حياته كانت نصبة من يوليه أمر دينه مثلها في مماته؛ يدل عليه قول ﷺ للناس: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ وفحواه الاذكار بقول الله سبحانه: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

فحين قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد على اقرارهم. ثم قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. الخبر المعروف؛ وكمثل ذلك تنصيب من يليه ومن يلي من يليه، ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد، وورثها ولد عن والد، فقد دلت الآية والعقل على أن الولاية هي الأصل الذي عليه موضوع الفرائض.

وهنا قول آخر: أن قول الله سبحانه لرسوله ﷺ في هذا الشأن: «وان لم تفعل فما بلغت رسالته» موجب بالضرورة شرطياً وهو أن من لم يقبل من الرسول ﷺ فرض الولاية آخراً فكأنه لم يقبل منه فرائض الصلاة والزكاة وغيرها أولاً؛ ليقع الأمران سواء عند المقابلة، فالرسول إذا لم يبلغ الرسالة الآخرة فكأنه ما بلغ الأولى، والأمة أيضاً إذا لم يقبلوا منه الرسالة الآخرة فكأنما ما قبلوا الأولى في شأن الصلاة والزكاة وغيرهما مثلاً بمثل.

وقول آخر معلوم: أن الفرائض التي فرضها الله سبحانه في كتابه سوف يعرض لها من عوارض الأمور ما يعللها ويبطلها، ويدخل نقصاً عليها، كمثل الصلاة التي يستولي عليها النقص بالمريض، فيجعل قيامها قعوداً، أو

قعودها اضطجاعاً، وكمثل الزكاة التي يبطلها عدم المال، وكمثل الصوم الذي يبطل بعلة السفر، وحيض الحائض، وعلة العليل؛ وكمثل الحج الذي يبطله عدم الاستطاعة والولاية هي الفريضة الثابتة التي لا شيء يبطلها ولا علة بحال من الأحوال تعلها. فقد دل ذلك على كونها أصل الفرائض وقطبها وقوامها، والتي لا تمتد أيدي العلل نحوها، وقول آخر: أن الله تعالى قسم فرائض دينه أقساماً فجعل الصلاة والصوم من الإنسان تكليف جسده، والزكاة تكليف ماله، والحج والجهاد تكليف جسده وماله، وجعل الولاية من بين الجميع تكليف قلبه الذي هو أمير الجوارح كلها إخباراً عن كون الولاية أميرة الفرائض كلها، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».[٢٥٤]

وإنها: «أبلغ منّة من الله سبحانه على عباده وكرامة»[٢٥٥].

ولا تقبل العبادات إلا بالإقرار بها وبولاية أصحابها «الأئمة الطاهرين، سفن النجاة، وماء ينابيع الحياة، الذين بولايتهم تقبل الطهارات والصلاة والزكاة، وسائر الأعمال الصالحات المفروضات منها والمسنونات»[٢٥٦].

الأئمة الذين هم: «أعمدة الحق وأعضاؤه، وشموس الدين وأطواده الذين هدم الله بهم أركان الضلال، وبيّن من مكانهم الحرام والحلال، ولا يقبل الله عملاً من أعمال العباد»[٢٥٧].

وقال جعفر بن منصور اليمن:

«لا دين إلا بطاعة عليّ وولايته، ولانعمة تامة إلا مودته ومحبته، ولا قبل

---

(٢٥٤) «المجالس المؤيدية» لهبة الله الشيرازي ص٢٦، ٢٧ ط دار الأندلس ـ بيروت.

(٢٥٥) «تحفة المرتاد وغصة الأضداد» لعلي بن محمد بن الوليد ص١٦٠ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٥٦) «كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي الجزء الأول ص١٨٥ من (منتخبات اسماعيلية) بتحقيق الدكتور عادل العوّاط مطبعة الجامعة السورية ـ دمشق ١٩٥٨م.

(٢٥٧) «الرسالة الواعظة» للداعي حميد الدين الكرماني تحقيق دكتور محمد كامل حسين ص١٥ ط القاهرة.

للأمة فرض ولا سنة، ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول، وموالاته ومحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله»[٢٥٨].

وبمثل ذلك قال أول قاض اسماعيلي[٢٥٩].

وقال في كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة:

«ويلزم من أقرّ بالله ورسوله ولم يعترف بامامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبدالله على ذلك أيام حياته وطول مدته، لكان ممن قال الله جل ذكره: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)، وكذلك هو إن أطاع الله ورسوله بزعمه، وعصى إمامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده إمامه ومعصيته، إذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات، وافترضها ووصلها فلم يقطعها، وجمعها فلم يفرق بينها، فمن وفي الله بعهده ولرسوله وأوليائه فهو ممن قال الله تعالى: (فسيؤتيه أجراً عظيما)، فالأجر العظيم الجنة، ومن نقض عهد الله من ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه: (وهم الذين خسروا في الدنيا والآخرة)، خسروا رضاء الأئمة عنهم في الدنيا، ورضاء الله عنهم في الآخرة، وصاروا إلى عذابه لقطعهم هذه الطاعة التي أمر الله عز وجل بها أن توصل، فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الايمان، واستوجبوا ثواب ربهم الذي وعدهم إياه في كتابه»[٢٦٠].

وذكر كذلك أيضاً الداعي الاسماعيلي على بن الوليد في آخر قصيدته التي قالها في مدح أئمته:

« ياآل طه أنا العبد المقرّ بأن لا دين إلا لمن كنتم له أمرا
لأنكم فلك طوفان الضلال بكم نجاة شيعتكم منه بغير مرا

---

(٢٥٨) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن نقلاً من هامش الرسالة الواعظة ص١٥.
(٢٥٩) أنظر «تأويل الدعائم» ج١ ص٦٠، و«تأويل الدعائم» ج٣ ص ٨٧.
(٢٦٠) «كتاب الهمة» ص٤٧، ٤٨.

بحبكم تقبل الأعمال ان قبلت / ويغفر الذنب للعاصين إن غفرا
ومن قلاكم ولم يعلق بحبلكم / ففي غد سوف يصلي راغما سقرا
أنا المقصّر في علمي وفي عملي / أرجو بحبلكم تتميم ماقصرا
أسلمت نفسي اليكم وهي خائفة / عظيم ذنب لها عن ذاتها صدرا
لكنها وثقت منكم بكونكم / يوم الشفاعة في العقبى لها وزراً »[261].

فالامامة ركن أساسي من أركان الدين[262].

والامام مفروض الطاعة كما قال المعز:

« إن الله قد فضّلنا وشرّفنا، واختصنا، واصطفانا، واجتبانا، وافترض طاعتنا على جميع خلقه، وجعلنا أئمة لجميع عباده، وأسبابهم لديه، ووسائلهم إليه، والوسائط بينهم وبينه، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً »[263].

وقال أيضاً:

« يانعمان، نحن أبواب الله والوسائل اليه، فمن تقرب بنا قبل، ومن توسل بنا وصل »[264].

وبذلك قال النعمان في كتابه (الهمة في آداب اتباع الأئمة):

« فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قبل أوليائه إذ هم أبواب رحمته، وأسباب مغفرته لعباده، ومن استشفع بهم شفع، ومن استرحم بهم رحم، ومن توسل بهم وصل، والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعة الأئمة من أهل بيته، ولو لم يكن ذلك لا نقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت

---

(٢٦١) الرسائل الاسماعيلية المختصرة جمع شتر وطهان ص ١٦٢.
(٢٦٢) مصطفى غالب (تاريخ الدعوة الاسلامية) ص ٤٠.
(٢٦٣) كتاب « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان المغربي الجزء التاسع عشر ص ٤٢٠ ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨ م.
(٢٦٤) أيضاً الجزء الثاني ص ٧٢.

مغفرته لخلقه، وسدّت أبواب التوبة دونهم، وعدموا عفوه عنهم، كلا إن الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده، ومفزع وملاذ لخلقه، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته رأفة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير، ولم نجد لما جهلناه من عليم به ولا خبير، ولا مفزع نلجأ إليه في استغفار ذنوبنا »[٢٦٥].

ومن لم يعرف الامام فقد مات ميتة جاهلية كما نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية »[٢٦٦].

ورووا عن جعفر أنه قال :

« الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر، وجاهلية ضلال. أما جاهلية الكفر فما كان قبل مبعث النبي (ﷺ)، أما جاهلية الضلالة فهي من جهل أمام زمانه فضل عن معالم دينه وغرق في طوفان البدع والضلالات »[٢٦٧].

وذكر القاضي النعمان عن جعفر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات لا يعرف امام دهره مات ميتة جاهلية، فقال (عليه السلام): إماماً حياً؟

قيل له : لم نسمع حيا، قال قد قال والله ذلك، يعني رسول الله (ﷺ)[٢٦٨].

وبمثل ذلك نقلوا أيضاً عن زين العابدين أنه سئل عن معرفة الله فقال : « معرفة الله معرفة امام الزمان »[٢٦٩].

---

(٢٦٥) «كتاب الهمة » ص ٥٠، ٥١.

(٢٦٦) « المجالس المؤيدية » للشيرازي ص ١١٩ ط دار الاندلس بيروت، « رسالة الأسابيع » لقيس بن منصور ص ١٧٨ من (خمس رسائل الاسماعيلية).

(٢٦٧) « المجالس المؤيدية » ص ١١٩.

(٢٦٨) « دعائم الاسلام » للنعمان المغربي ص ٢٧ ط دار المعارف مصر ١٣٨٣ هـ.

(٢٦٩) « هفت باب ابو اسحاق » ط ايوانوف الباب الخامس ص ٣٧.

ولا تخلو الأرض من إمام أبداً، ظاهر أم مستور كما ذكر الداعى الاسماعيلي على بن محمد بن الوليد :

« ويعتقد أن الأرض لا تخلو من حجة لله فيها، من نبي، أو وصى، أو امام، يقوّم المسائل، ويقيم الحدود، ويحفظ المراسيم، ويمنع الفساد في الشرع، ويقبل الأعمال، ويزكى الأفعال، وتقام به الحجة على الطالب، ويزيل المشكلات إذا حلّت على المتعلمين، ويركز الأمة بعد غيبة نبيها، اذا كان شخصه غير مستقر البقاء في العالم محفوظ النسب، معروف الولادة، متبع دين آبائه، لا يرجع عن أقوامهم، ولا يقوم غيرهم، ولا يكون مأمون خلاف غيره، ولا مشير في الفضيلة إلى سواه، متبوع لا تابع، مقصود لا قاصد، مرغوب في حكمه، وصحة أفعاله، وتعاليمه، وهدايته »(٢٧٠).

وقال الداعي حسن بن نوح :

« ان الأرض لا تخلو طرفة عين من قائم لله بحق، لهداية عباد الله وخلقه اما ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مستوراً(٢٧١).

وقال الداعي المطلق حاتم بن ابراهيم : لا يخلو عصر من إمام الخلق يدعوهم إلى الالتزام من دينه »(٢٧٢).

وقالوا :

« إن نور الامامة غير منقطع وان توارى بالحجاب »(٢٧٣).

وقال السجستانى في شرح قوله تعالى : « يوم ندعو كل اناس بامامهم »

---

(٢٧٠) « تاج العقائد » لعلى بن محمد الوليد المتوفي ٦١٢ هـ ط مؤسسة عز الدين - بيروت،

(٢٧١) « كتاب الأزهار » لحسن بن نوح ص ١٨٩ من (منتخبات اسماعيلية) تحقيق دكتور عادل العوا.

(٢٧٢) « تحفة القلوب » لحاتم بن ابراهيم، نسخة خطية ص ٢ .

(٢٧٣) « رسالة الايضاح والتبيين » لعلى بن محمد بن الوليد ص ١٤٩ من (أربعة كتب اسماعيلية).

« وجب أن يكون الامام في كل زمان ظاهرا أو مستوراً »[٢٧٤].

ولا يكون أحد اماما إلا من أولاد علي، الحسن والحسين، ثم في أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد اسماعيل بن جعفر، لا في أولاد أحد غيره[٢٧٥].

ولا يكون الواحد منهم غير معصوم كما قال الكرماني :

« إن الحاجة إلى الامام إنما كانت لأن يكون قائماً مقام الرسول (ﷺ) فيما كان يتعلق به من أمر الدين، وحفظ نظامه.

ولما كانت الحاجة إلى القائم مقام الرسول (ﷺ) لذلك، وكان لو جاز أن يكون غير معصوم لا يقع من أن يسلك بالأمة غير سبيل النبي (ﷺ) في بعض أحكامه أو كلها وكان ذلك مؤدياً إلى الظلم، وحمل الناس على شق العصا ومفارقة الجماعة، وجب أن يكون معصوماً فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة »[٢٧٦].

وعلى ذلك قال المعز لدين الله الامام الاسماعيلي :

« فالحمد لله الذي منّ علينا بالعصمة، ولم يجعل لنا فيما حرّمه علينا من شهوة »[٢٧٧].

ويكون الامام عالما بما كان وما يكون كما قال القاضي النعمان :

---

(٢٧٤) « كتاب الافتخار » لأبي يعقوب السجستاني ص ٧٠ ط بيروت.

(٢٧٥) أنظر « دعائم الاسلام » - باب ايجاب الصلاة على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليهم اجمعين وأنهم أهل بيته وانتقال الامامة فيهم، ج ١ ص ٢٨ وما بعد، وكذلك (المصابيح في اثبات الامامة) المصباح الخامس من المقالة الثانية ص ١٠٩ ومابعد. « والأرجوزة المختارة » للقاضي النعمان ص ٣٠.

(٢٧٦) « المصابيح في اثبات الامامة » للكرماني المصباح الثاني من المقالة الثانية في اثبات عصمة الامام ووجوبها ص ٩٦، ٩٧.

(٢٧٧) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان الجزء التاسع عشر ص ٤١٨ ط تونس.

« وجـاء عن أوليـاء الله من الاخبـار عـما كـان ويكـون من أمـر العباد »[278].

وقال الكرماني في ذكر الحاكم بأمر الله :

« له معجزة بل معجزات، واخبار بالكائنات قبل كونها وظهـارا للعلوم المكنونة »[279].

وقال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي :

« الأئمـة يعلمـون من أمـر المبدأ والمعـاد مـاحجبـه الله عن كـافـة العباد »[280].

وروى النعمان القاضي عن المعز لدين الله أنه قال :

« لقد كان القائم بأمر الله قدس الله روحه ليأخذني وأنا في سنّ الأطفـال فيضمني إلى صدره ويقبل ما بين عينيّ ويقـول : أنت أبو تميم، ويحمـد الله، وماكنت أدرى يومئذ بذلك.

ثم قال : أفمن أودعه الله علم مـا يكون يجهـل فضله . . . فكيف ممن علّمه الله علم ما يكون مما لم يكن بعد »[281].

وقال النعمان أيضاً :

« وقول المعز (ﷺ) : ان عندنا علم ما يطلب، كقول جده علىّ (عليه السـلام) : سلونى قبل أن تفقـدوني، فو الـذي فلق الحبـة وبـرأ النسمـة لا تسألونني عن علم ماكان ومايكون، وعن علم ما لا تعلمون إلا أخبرتكم به،

---

(٢٧٨) « تأويل الدعائم » للقاضي النعمان ج ١ ص ١٤٥ .

(٢٧٩) « المصـابيح في اثبـات الامامـة » للكرمـاني بـاب في وجـوب امـامـة الحـاكم بـأمـر الله ص ١٤٠ .

(٢٨٠) « المجالس المؤيدية » لهبةالله الشيرازي ص ٤٤١ .

(٢٨١) « المجالس والمسايـرات » للقاضي النعـمان ص ٤٠٤ تحت عنوان (الأئمـة يعلمون مـا يكون قبل أن يكون) .

علّمنيه النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين، وكقول جده جعفر بن محمد (ﷺ) : أن العلم الذين نزل به آدم (عليه السلام) لم يرفع، وانه يتوارث وهو فينا نتوارثه »[٢٨٢].

ولا بأس أن نذكر هنا مارواه الداعي حاتم بن ابراهيم عن جعفر أنه قال : « إن الملائكة ينزلون علينا ويتكئون فرشناً »[٢٨٣].

وقال المؤيد في دين الله الشيرازى في ديوانه المستنصر بالله الامام الاسماعيلي : « له ملائكة السماء جمعياً »[٢٨٤].

ويجب أن يكون الامام منصوصاً عليه ومعيناً من قبل الله عز وجل، كما ذكر القاضي النعمان تحت عنوان (ليس للناس أن يقيموا لهم اماماً فتجب طاعته، بل الامامة نص وتعيين فلو كان للناس أن يقيموا لهم اماما فتجب طاعته باقامتهم اياه لوجب كذلك أن يقيموا نبياً والها . . . . تعالى الله عن قول المضلين الظالمين »[٢٨٥].

وقال الكرماني :

« لما كان اقامة الحدود على الأمة إلى الامام من دونها، وكان إذا كان اقامة الحدود التي هي بعض الرسوم الشرعية المبسوطة إلى الامام من دون الأمة، كانت اقامة الامام الذي به تتعلق كل أمور الشريعة، ومقامه مقام رب العالمين أولى أن لا يكون إلى الأمة، كان من ذلك الايجاب بأن الاختيار منها باطل، اذ اختيار الأمة امامها باطل »[٢٨٦].

---

(٢٨٢) « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان ص ٢٧٢ .
(٢٨٣) « تحفة القلوب » للداعي حاتم بن ابراهيم نسخة خطية ص ٩٦ .
(٢٨٤) انظر « ديوان المؤيد في دين الله » ص ٢٤٤ .
(٢٨٥) « المجالس والمسايرات » لقاضي النعمان الجزء السابع ص ١٨٣ .
(٢٨٦) « المصابيح في اثبات الامامة) للكرماني المقالة الثانية في بطلان اختيار الامة اماما ص ١٠٠ .

وقال النعمان :

« إن الامامة بالنص والتوقيف الذي لا تدخل على القائل به حجة ، ولا تلزمه معه لخصمه علة »(٢٨٧) .

وقال مؤلف (الهداية الآمرية) في شرح قول الله تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) :

« هذه الآية عند أهل التأويل هي بيان أمثال هؤلاء الذين يعملون في اختيار الأئمة على آرائهم جهلاً بحدود الله ، وافتراء على الله والكتاب الذي كتبوه بأيديهم مثل الامام الذي اختاروا برأيهم ورأي الماكرين من مقدميهم الخ »(٢٨٨) .

ويكون الإمام أفضل ممن سبقه كما قال أبو يعقوب السجتاني في كتابه :

«لما كانت الإمامة متولدة من النبوءة ثم وجدت الإمامة تزداد عند كل إمام شرفاً وفضلاً ويظهر ذلك عند بلوغ الإمامة إلى السابع من الأئمة فإنه يصير ناطقاً ، فلو لم يكن فيه من الفضل والشرف ما ليس في الأئمة الذين تقدموه لم يبلغ إلى مرتبته الناطقية ، وإذا كان للسابع من الأئمة الفضل والشرف على من تقدمه ظاهراً كان للسادس أيضاً الفضل على من تقدمه ، وللخامس كذلك الفضل على من تقدمه إلى أن ينتهي الأمر إلى أول الاتماء»(٢٨٩) .

وقال القاضي النعمان :

«لا يأتي إمام إلا أعطاه الله فضل الإمام الذي مضى قبله ، وعلمه ،

---

(٢٨٧) « دعائم الاسلام » للقاضي النعمان ج ١ ص ٤٢ ، تحقيق آصف على فيض ط دار المعارف ١٩٦٣ م .

(٢٨٨) « الهداية الآمرية » ص ٦ تحقيق آصف على فيضى ط الهند .

(٢٨٩) «كتاب إثبات النبوءات» للسجستاني ـ الفصل السابع من المقالة الخامسة ص١٦٦ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ـ لبنان .

وحكمته، وزاده مثل ستة أسباع ذلك»[٢٩٠].

ولا يعترض على الإمام كما مرّ بيانه في باب النسب من هـذا الكتاب عن النعمان القاضي أنه قال:

«أدّبوا أنفسكم أيها المؤمنـون، وانهوها عـما تنكره من أفعـال الأئمة... وسلّموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم، وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم، وأحذروا خلافهم والاعتراض عليهم»[٢٩١].

ولا يكون الإمام من لا عقب له كما قال الكرماني:

«إن الإمامة لما كانت في عقب جعفـر (عليه السـلام)، وكان الإمـام لا ينص على من يجعله إمامـاً إلا بعد أن يعلم أنـه يصلح لها، وكـان أول ما يستصلح لـلإمام في إمـامته أن يكـون لاعقيماً، ثم وجـود عقبه ونسله. إذ من كـان لا عقب له لا يستحق الإمامة»[٢٩٢].

وعلى ذلك قالوا: «إن الإمام يستخرج ولده وينصّ عليه»[٢٩٣].

ولا يكون أحد إماماً في الدنيا وأبوه حيّ كما ذكر ذلك القاضي النعمان في كتابه تأويل الدعائم[٢٩٤].

وأخيراً نذكر أنهم يعتقدون أن الإمام يستطيـع أن يتجسد في صـورة أيّ شخص شاء كما قالوا:

«إن الأئمة صلوات الله عليهم لهم من الفضل والشرف وعلوّ المنـزلة مـا يقدرون به على اظهار المعجزات الخارقة للعادات، ويتشخصون للبشر كيف شاءوا بأي شخص أرادوا على ما يقتضيـه الزمـان وتوجبـه سياستهم وظهـور

---

(٢٩٠) «المجالس والمسايرات».

(٢٩١) «كتـاب الهمة» بـاب ذكر النهى عن إنكـار أفعال الأئمـة ص١٣١ نشر وتحقيق كـامـل حسين ط دار الفكر العربي القاهرة.

(٢٩٢) «المصابيح في اثبات الإمامة» للكرماني ص١٣١.

(٢٩٣) أنظر (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) ص٧٥ من (أربعة كتب اسماعيلية).

(٢٩٤) انظر ج٢ ص ١٠٦.

مولانا اسماعيل بن جعفر صلوات الله عليهما معجزة أظهرها ليبينّ بها فضله وعالي مرتبته، وذلك مما أقدرهم عليه المحتجب بهم[٢٩٥].

فهذا هو الإمام عند الاسماعيلية، الذي قال عنه عبد الله المرتضى الاسماعيلي:

«أما الإمام فهو الإمام المعصوم، أو قطب دائرة الوجود، أو الألف المتحرك، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجموع المظاهر، أو النبأ العظيم، أو باب حطة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المستقيم، أو روح الوجود إنه لذو نعوت جمّة وصفات عديدة قلما يدركها إلا الحكيم الخبير»[٢٩٦].

وقال الداعي الاسماعيلي حاتم بن ابراهيم:

«الإمامة شامخة البيان، ناصبة الأركان كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ): إن لي منزلة ما عرفها إلا رسول الله والأئمة من ولده، ونحن نذكر طرفاً مما جاء عن أئمة الحق عليهم السلام نوضح به عالي منازلهم وسامي مراتبهم وما يجب لهم وأن نعتقد فيهم من ذلك ما قال مولانا المعز لدين الله (ﷺ): في خطبة له وهو:

الحمد لله موحد الآحاد، أدلة على وحدانيته، وممجد الأمجاد بمجد ربوبيته، مؤزل الأزل بأزل لاهوتيته... أحمده على ما به أفردنا وخصّنا وانتجنا بحرف اللام في الظلال، وأبرزنا في أشخاص بلا مثال، وجعلنا سبب العز سلطانه الكبير المتعال، فنحن أبوابه وخزانه ووجهه وجنبه ويداه المبسوطتان في عباده، نحن باب حطته الذي من دخله غفرت ذنوبه، وكشفت كروبه، ونحن باب إلى بيته المعمور، وسقفه المرفوع، والصراط المستقيم، والنبأ العظيم...

---

(٢٩٥) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص١٢٠ من (أربعة كتب اسماعيلة).

أيها الناس، قد بيّنا لكم ذكراً فاذكروا تمام النعمة عليكم بنا، وكمال الدين الذي رضي الله لكم ديناً، دين الإسلام... ونحن كماله وتمامه ومنتهاه، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. لم يزل يظهر الله بظهورنا في كل وقت وأوان سلطاناً ليظهر بنقصه فضلنا، وبفساده صلاحنا... اللهم أغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت، ويوم أبعث حياً في الكون بشراً شريفاً، وفي المعاد نوراً إلهياً لطيفاً، منه بدأ وإليه يعود»(٢٩٧).

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك حيث يقول المعز الاسماعيلي هذا:

«نحن النجباء الأبرار، المصطفون الأخيار، نجل محمد سيد النبيين وخاتم المرسلين، لا ينكر حقنا إلا معاند، ولا يدفعه إلا مكابر، ولا يجهله إلا جاهل، ولا يدّعيه إلا ظالم. خصصنا بولادة النبي والوصي، وأورثنا الإمامة، وأعطينا الكرامة، وفضلنا على العالمين. ولو شئنا أن نقول إنا كنا مع آدم لقلنا، لأن الله تعالى لما خلق آدم (عليه السلام) نظر فرأى في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعليّ وأورثته به. فقد ذكرنا الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم، فمن يدّعي هذا معنا، أو من يدّعي فيه فضلنا؟»(٢٩٨).

وعلى ذلك خاطبه الشاعر الاسماعيلي المغربي المشهور ابن هانىء في قصيدة قالها في مدحه بالقيروان:

«هذا ضمير النشأة الأولى التي ... بدأ الآلة وغيبها المكنون
من أجل هذا قدّر المقدور في ... أم الكتاب وكوّن التكوين

(٢٩٦) «الفلك الدوار» لعبدالله المرتضى ص٢٨.
(٢٩٧) «تحفة القلوب» ـ نسخة خطية ص٨٩، ٩٠، ٩١.
(٢٩٨) «المجالس والمسايرات» ص٢٠٩، ٢١٠.

وبــذا تــلقــى آدم مــن ربــه وفــاء لــيــونس الــيــقــطين»[299]

وقال أيضاً في قصيدته التي قالها في مدحه، ويهنئه بها بشهر رمضان:

«مــلك إذا نــطقــت عــلاه بمــدحــه خــرس الــوفــود وأفــحــم الخــطبــاء
هــو عــلة الــدنــيــا ومــن خــلقــت لــه ولــعــلة مــا كــانــت الأشــيــاء
مــن شــعــلة الــقــبس التي كــانــت عــلى مــوسى وقــد نــارت بــه الــظلماء
مــن مــعــدن الــتــقــديس وهــم ســلالــة من جــوهــر الملكــوت وهــو ضيــاء»[300]

وبمثل ذلك قال ابن المعز لدين الله الاسماعيلي الأمير تميم الـذي كان وليّ عهده ثم أبعده، قال هذا في أخيه العزيز بالله - الإمام الاسماعيلي:

«مــا أنــت دون مــلوك الــعــالمــين ســوى روح مــن الــقــدس في جــســم مــن الــبشر
نــور لــطيــف تــنــاهــي فــيــك جــوهــره تــنــاهــيــا جــاز حــدّ الــشــمس والــقــمــر
مــعــنى مــن الــعــلة الأولى الــتي ســبــقــت خــلق الهــيــولي وبــســط الأرض والمــدر
فــأنــت بــالله دون الخــلق مــتــصــل وأنــت لله فــيــهــم خــير مــؤتمــر»[301]

وليس ذلـك فحسب بل يقـول المعز نفسـه أيضاً كـما نقله عنـه الـداعي الإسماعلي في مناجاته التي نقلناها في الالهيات:

«إلٰهي كنت رتقـك قبل أن تـظهر فيّ بغتقـك، وأوجدت عني خلقـك، وصدرت عني دنياك في الـذات والأسماء والصفـات، ولست أنابـك متصلاً، ولا عنك منفصلاً، إذ أنابك تبعيض. . . وأنا قدرتك وبرهـانك، وارادتـك ومكانك»[302].

---

(٢٩٩) أنـظر «ديـوان ابن هــانيء» القصيـدة ٥٣ الأبيــات ٢٤، ٢٥، ٢٦ ص٧٣٣ بتحقيق وتشريح الدكتور زاهد على ط مطبعة المعارف ١٣٥٢هـ.

(٣٠٠) انظر «ديوان ابن هاني» الأبيات ٣٤ وما بعد ص١٥، ١٦.

(٣٠١) «ديـوان تميم بن المعـز لـدين الله» قـافيــة الـراء ص٢٢٤، ٢٢٥ تحقيق محمــد حسن الأعظمي ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٠م.

(٣٠٢) «أجزاء عن العقائـدات الاسماعيليـة» للداعي إبراهيم ص ٤٨ جمع وتحقيق المستشرق كوئيارد ط باريس.

يعني أن الإمـام هو الإلـه المتجسد في صـورتـه كـما ذكـر ذلـك وأقـرّبـه الحامدي، ونقل ذلك أيضـا عن إخوان الصفـاء، وجعفر بن منصـور اليمن حيث قال:

«ان اتصال الصورة الروحانية الظاهرة من الباب، وأفعالها بها، واتصال الإبداع بها، خصوصاً لها وبها لغيرها، وظهورها بـالحدود، واتصـال الإبداع بمبدعه سبحانه، وإنها سلسلة مرتبطة بعضها ببعض، أبداً سرمـداً، على مـا قال الحكيم: أعلم أن الغيب سبحانه متحد بإبداعه، ناطق به، محتجب به، وهو اسمه الأعظم، والمسمى الأعظم، والمسمي لجميع الموجودات، الداعي إلى ذاتـه بذاتـه، الأول قبل كـل شيء، والآخر بعـد كل شيء، النـاص من الإمام الماضي على الإمام الآتي في آخر دقيقة، والظاهر في الحال لكونه المسلم المتسلم، الذي لا يغيب طرفة عين، أبدي سرمدي، أزلي الغاية، يـظهر بمـا شاء كيف يشاء، بأجل هياكله النورانية وأدناها إليه بحدوده الروحانية.

فالمبدع إذا أراد إظهار المعجزة حرك تلك الصورة المجردة النورانيـة التي لا تحد ولا توصف ولا تـدرك، ولا تجري عليهـا عوارض الفنـاء الانبعاثيـة، الانبعاث الثاني الموجودة بالغلاف الذي هو الإمـام، والصورة هي الإمـامة، سـطع نورهـا وأشرق ظهورهـا، فحجبت الغلاف حتى لا يُـرى، ولا يعاين الأنوار، يخطف الأبصار، على سبيـل من يمد بنـظره إلى نور الشمس يكمـه، ويرتد طرفه خاسئاً، وهو حسير. والمثل بالمثل وذلك أيضاً بتأثـير نور الإبـداع فيه، تجلية به؛ فالإبـداع لا يجب أن يوصف بـالحلول والسكون بـل كما قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك: وأيم والله قلب أشرق لله، فأشرق الله منه.

وقـال جعفر بن منصـور اليمن في بعض أوضاعـه: الحمد لله ذي العلو والسلطان، والكـبرياء والـبرهان، كـل يوم هـو في شـأن لا يشغله شـأن عن شأن، ظاهره إمامـة، وباطنـه غيب، لا يدرك، وهـو آية الحـدود، السبعة، حتى يقال إمام مفترض الطاعـة، وهو البشريـة والإنسية، والجنيـة والملكية، والظاهر والباطن، والصفة.

ولما تمت هذه الحدود قيل له إنّه الإمام، كما قيل في التنزيل: ﴿وَكُلَّ شيء أَحْصَيْناهُ في إمامٍ مُبينٍ﴾. وتفسير ذلك أنّه علينا سلامة، ظهر في بشرية الخلق كما يشاء، بلا أعراض. وأمّا الإنسانية فيأنس إليه كل شيء بطاعته، والأشياء، هم النقباء، والنجباء، والموحدون. وأما الجنة فهي جن علمه كل شيء. ومعنى الجن فهو الإحاطة بالأشياء، وأما الظاهر فإظهاره على الأشياء بقدرته. وأمّا الباطن فهو حاضر في السرائر عالم في الضمائر. وأما الصفة فهو الموصوف بكل اللغات، حتى يعرف الطير في وكره، والوحش في غابته. والملكية، فملك كل شيء وعلا عليهم فلم يخرج أحد من تحت طاعتهم له، وتسليمهم إليه، من الجن والإنس، والطير والهوام. وكل ما خلق وذرأ وبرأ، فإنّه مالك الأشياء كلها منه بدأت وإليه تعود، سبحان لا هوته المحجوب عنا، وعن ناسوته المظهر لنا. ظهر لخلقه بخلقه، من حيث خلقه. فقد ظهر نفس المعنى أن لا هوته المحجوب هو الإبداع الذي هو المبدع. وناسوته المظهر لنا هو تلك الصورة المجردة، وظهوره لخلقه بخلقه يعني بالغلاف، لأنه في حد الخلق»(٣٠٣).

وعلى ذلك فالاسماعيلية كانوا يخاطبون أئمتهم مخاطبة العبدِ لربّه، ويصفونهم بأوصاف الاله القادر المختار، فأبيات ابن هانيء مشهورة معروفة التي قالها في المعز الاسماعيلي:

ماشئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد	وكأن أنصارك الأنصار
أنت الذي كنت تبشرنا به	في كتبها الأحبار والأخبار
هذا امام المتقين ومن به	قد دوّخ الطغيان والكفار
هذا الذي ترجى النجاة بحبّه	وبه يحط الاصر والأوزار
هذا الذى تجدى شفاعته غدا	حقا، وتخمد إن تراه النار»(٣٠٤).

(٣٠٣) «كنز الولد» للحامدي ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥ ط دار الأندلس.
(٣٠٤) «ديوان ابن هانيء» القصيدة الرابعة والعشرون ص ٣٦٥.

وكتب مصطفى غالب الاسماعيلي:

«الاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه وجه الله، ويد الله، وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، إلى غير ذلك من الصفات»(٣٠٥).

وبمثل ذلك نقلوا عن محمد الباقر أنه قال:

«نحن الأئمة أولياء الله، لا يفتر علينا من علمه شيء لافي الأرض، ولا في السماء، نحن يد الله وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأينما نظر المؤمن يرانا، ان شئنا شاء الله، ولا تلقه الا إلى أهله، والحمد لله الذي اصطفانا من جلته نور قدرته، ووهبنا سرّ علم مشيئته»(٣٠٦).

وبمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي المؤيد الشيرازي في المستنصر بن الظاهر بن الحاكم ـ الامام الاسماعيلي في دور الظهور:

«أمستنصر ايا ولي الاله ... به، ما جدا مالكا للرقاب
لأمرك وجهت وجهي حنيفا ... وأسلمت نفسي في كل باب
فوجهك وجه الاله المنير ... ونورك من نوره كالحجاب
يداك يد الله مبسوطتان ... وأنت له الجنب غير ارتياب
إليك المآب، عليك الحساب ... فطوبى لمن نال حسن المآب
وأنت المثيب لأهل الثواب ... وأنت المعاقب أهل العقاب
فداك ابن موسى الذي لم يزل ... إلى عز طاعتكم ذا انتساب
ومازال آباؤه في العبيد ... سراة العبيد وخير الصحاب
عليك السلام مدى الدهر ما ... بدا الروض من وابل ذى انسكاب»(٣٠٧).

---

(٣٠٥) «تاريخ الدعوة الاسماعيلي» ص ٤٠ ط بيروت.

(٣٠٦) «الهفت الشريف» تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلي ط دار الأندلس ـ بيروت لبنان ١٩٨٠م.

(٣٠٧) «ديوان المؤيد في الدين» داعي الدعاة القصيدة الحادية عشرة الأبيات ٣٤ إلى ٤٢ ص ٢٣١ تقديم محمد كامل حسين ط دار الكتاب المصري ـ القاهرة ١٩٤٩م.

وقال في المستنصر وآبائه أيضاً:

«من نور ربي خلقوا طابوا وطاب الخلق»[308].

وقال:

«بمولانا الامام ابي تميم هديت إلى صراط مستقيم
قسيم النار مولانا معد وجنات العلى وابن القسيم
وهو المستنصر المنصور مولى هو القسم العظيم من العظيم
ونجم السعد للتالين ذكرا وعراف المواقع للنجوم
نجوم في ظلام البر تهدي ولج البحر في الليل البهيم
نجوم يستضاء بهم رجوم لشيطان يعاديهم رجيم
هو الذكر الحكيم الحي قامت دلائله من الذكر الحكيم
هو (البلد الأمين) عليه دلت معاني (الركن) منه و(الحطيم)
ورحمة ربنا فينا تجلت وذاك الفضل من رب رحيم
وليس سواه يسأل عن نعيم اذا وقع السؤال عن النعيم»[309].

وقال المؤيد أيضاً في أمامه:

«له الحكم في جسمي الذي هو ربه ألا فلينل منه الذي هو نائل
ونفسي لها أعلى الذرى فمتى ابتغى تناولها بالخسف والحيل
فظل الامام الفاطمي يحوطها وتكنفها من أياد جزائل التناول
امام هو البحر المحيط وكل من سواه إليه بالقياس جداول
امام به لاذ البرية كلهم إذا نابهم هول من الدهر هائل
تخر لذكراه الملائك سجدا كما لاسمه في الأرض تعنو القبائل
هو السيد المستنصر الماجد الذي يحق به حق ويبطل باطل

---

(٣٠٨) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الخامسة والعشرون ص ٢٦٤.
(٣٠٩) أيضاً القصيدة الثانية والخمسون ص ٣٠٠.

هـو الـبـيـت بيـت لـلالـه مـقـدس		وسيـف لهـام الـكـفـر والشرك فـاصـل
هـو الـوجـه وجـه الله والجنب جنبـه		من الـوحي قد قـامت عليه الـدلائل»[٣١٠].

وقال ابن هاني في المعز:

«شـهـدت لأهـل البيت أن لا مـشـاعـر		اذا لم تـكـن مـنهـم وأن لا مـنـاسـك
ومـاكـنـه هـذا الـنـور نـور جـبـيـنـه		ولـكـن نـور الله فـيـه مـشـارك»[٣١١].

وقال الأمير تميم في الامام الاسماعيلي العزيز بالله ابن المعز أخيه:

«مـلك تـزيـد طـبـاعـه كـرمـا		عـلى خلق المـعـز وشـيـعـة المـنـصـور
أنـا عـبـدك المـخـلوق مـنـك		وانني لجميـل مـا أوليت ألف شكـور»[٣١٢]

وقال فيه أيضاً:

«هـذه فـضـائـلك الـتي قـد نـزلـت		بـالـنص في آي الـكـتـاب المـنـزل
عـجـبـا لأبـصـار تـراك ولـودرت		مقـدار فضلك كنّ عنـك بمعـزل»[٣١٣].

وبمثل ذلك قال المؤيد الشيرازي في الامام الاسماعيلي المعز أنه حجة الله، وكعبة الله، المقام المحمود، والحاضر الموجود ـ ثم قال:

«ولـه الـرتـبـة الـتي قـال فـيـهـا الله		لـلمـصـطفـى دنـا فـتـدلّى
ولـه الحـوض فـهـو يـسـقـى مـو		الـيـه رحـيـقـا، وضـده يـتـقـلّى
ولـه الـقـائـمـون لله بـالـقـسـ		ـط هـداة كـانـوا إلى الله سـبـلا
صـاحـب المـعـجـزات، والمـظـهـر الآ		يـات في العـالمـين قـولا وفعـلا»[٣١٤].

---

(٣١٠) «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة التاسعة والخمسون ص ٣١١، ٣١٢.
(٣١١) «ديوان ابن هانىء» القصيدة السابعة والثلاثون الأبيات ٢٢ و٢٩ ج ٢ ص ٥٠٩ و٥١١.
(٣١٢) «ديوان الأمير تميم بن المعز» قافية الراء ص ٢٠٩.
(٣١٣) أيضاً قافية اللام ص ٣١٤.
(٣١٤) «ديوان المؤيد في دين الله» القصيدة الحادية والعشرون الأبيات ١٢ إلى ١٥ ص ٣١٤.

وقال المؤيد أيضاً في المستنصر:

«له المقام والصفا والمشعر وسيفه بين الأعادى يشهر
تأملوا من هذه الأعلام توجد فيه فهو الامام
أجل هو المستنصر المنصور مولى به بيت الهدى معمور»(٣١٥).

وقال أيضاً في المستنصر:

«الامام المستنصر العائد، الذين بلقياه اخضرّ العود رطبا
وبه عالم الملائك أمسى مستقلا، وأمره مستتبًا
واستقامت أفلاكه دائرات بمعد اذ قام منهن قطبا
وبه الأرض أنبتت باهتزاز بعد فرط الهمود حبّا وأبّا
وبه ماء رحمة الله أمسى فائضاً في الأنام سكبا فسكبا
حبّذا مصر بالامام معد سيد العالمين عجما وعربا
يا مسيحا يكلّم الناس طفلا ضلّ في شأنه أخو اللبّ لبّا
لست دون المسيح، سمّاه ربّا أهل شرك، ولا نسمّيك ربّا
ترب نعليك ليته كحل عيني أم لنعليك ليتني كنت تربا»(٣١٦).

ونقلوا عن جعفر بن محمد أنه قال:

«ما عرّف الله أحدا غاية فضلنا إلا مقدار شعرة بيضاء في ثور أسود»(٣١٧).

ونقل مصطفى غالب الاسماعيلي أشعارا في مدح الآمر بأحكام الله من أحد الشعراء:

«بشر في العين الا أنه عن طريق العقل نور الهدى
جلّ أن تدركه أعيننا وتعالى أن نراه جسدا
تدرك الأفكار فيه بانيا كاد من اجلاله أن يعبدا»(٣١٨).

---

(٣١٥) أيضاً القصيدة الثانية ص ٢٠٦.

(٣١٦) القصيدة الخامسة عشرة الأبيات ٢٧ و٣١ إلى ٣٨ ص ٢٤١.

(٣١٧) «الهفت الشريف» بتحقيق مصطفى غالب ص ١٧٧.

(٣١٨) مرجع سابق.

وأما السجود بين أيديهم فقد ذكر القاضي الاسماعيلي النعمان المغربي أنه من لوازم الآداب للأئمة، فلقد ذكر في كتابه (الهمة في آداب اتباع الأئمة) تحت عنوان (ذكر الآداب في السلام على الأئمة صلوات الله عليهم والكلام بين أيديهم):

«تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل، إنه إن ما يراد من تعظيم طاعته، ويبتغى مرضاته لا شريك له، وقد رأينا أوصياءهم وولاة عهودهم يقبلون الأرض في سلامهم عليهم بين أيديهم إجلالا لهم وعلما بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم، فأتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم ويتقرب إلى الله بتعظيم أوليائه غير مستنكفين ولا مستكبرين عنه، والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه أولياءه عن افترائهم عليهم، وللسجود حقيقة هي غير تقبيل الأرض عند كل من نظرهم شيء من العلم من مؤالف أو مخالف، لا يرون من قبل الأرض في صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولى من أولياء الله إعظاما لله لم يكن ذلك بمنكر... فينبغي لمن واجه الإمام عليه السلام أن يبدأ بالسلام عليه، ثم يقبل الأرض بين يديه، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله عز وجل به ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه لتقبيل الأرض: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ويكون ذلك بحيث يراه الإمام وإن كان المسلم بحيث يسمع رد الإمام عليه السلام لم ينحط إلى الارض لتقبيلها إلا بعد فراغ رد الإمام عليه السلام، ثم إذا قبل الأرض قام فإن حضر لأمر يريد الكلام فيه مما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين يدي الأئمة تكلم وإلا استأذن في الكلام، فإن أذن له الامام تكلم، وإن لم يأذن له انصرف»[٣١٩].

---

(٣١٩) «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان القاضي ص ١٠٤ وما بعد ط دار الفكر العربي بتحقيق محمد كامل حسين.

وقال أيضاً:

«القيام بين يدى الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد إمامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيما لهم وإجلالا لمكانهم عبادة يتقرب بها إلى الله الذي أوجب تعظيمهم وإجلالهم، كما كان القيام في الصلاة لله تعالى تعظيما له. قال جل ثناؤه: «وقوموا لله قانتين» فينبغي لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله تعالى قربة يتقرب بها إليه وينوي ذلك ويعتقده بقلبه ويجل مقامهم في صدره، ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه إذ كان مما يتقرب به إلى ربه، ويرجو لديه ثوابه، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم، ولا أن ذلك أدنى إليهم، ولا أن أحداً يستحقه عندهم، فإذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمروه بالجلوس إكراما له أو لأمر ما رأوه فليجلس معترفاً في ذلك بفضل نعمتهم عليه، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فإنه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسما جاريا لا يزول عنه، ورتبة واجبة له، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا إن أنالوه معروفا صار له عليهم ضربة لازب، وإنما هم في الإنعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» فإذا أحبوا أنعموا وتطولوا، وإذا أمسكوا لم ينبغ أن يستعجزوا ولا يبخلوا. وكذلك ينبغي أن تراض النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء، وعند أحوال الشدة وفي حالات الرخاء. فإن صنعوا صنيع معروف إلى واحد وجب شكرهم عليه، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق إياه، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك إليه، فإن عادوا به عليه ضاعف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق، وإذا لم تكن لهم عودة إلى ذلك أدأب نفسه في شكر ما تقدم لهم عنده واعترف فيه بعجزه، ورأي أنه لو زيد من ذلك لكان أثقل لحمله وأحرى أن لا يقوم بأعباء ما يجب فيه عليه. فإذا قام القائم بين يدى الإمام فليقم قائما معتدلا كقيامه في الصلاة وليرم ببصره إلى الأرض إجلالا وهيبة له، ناظراً إلى الإمام من تحت طرفه، ويخفض جناحه، نظر من يرى أن نظره إليه عبادة، فقد جاء ذلك في الحديث

المؤثور، ولا يلتفت ببصره ولا يقلق في وقوفه ولا يعبث بيديه، ولكن يرسلها إرسالاً، أو يضع يمينه على شماله تحت صدره»[٣٢٠].

وبمثل ذلك ذكر النعمان أيضا في كتابه (المجالس والمسايرات) حيث قال:

«ولما استقضاني المنصور بالله (ﷺ) بالمنصورية وأقمت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبّلت الأرض بين يديه تعظيما له واجلالا لمكانه. فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعل مثل هذا يا نعمان، وأنا كلّ ذلك أفعله وأرى أن نهيه ذلك ليس بنهى كراهية إذ كان المعز صلوات الله عليه يومئذ يفعله ومن دونه من الخاصة وسائر الناس خلا من يجهل حقه من الرعاع الذين لا يعقلون. فكرهت الدخول في جملتهم والكون في ذلك معهم... ورأيت أن أمر المنصور (ﷺ) لي مع بيان المعزّ بترك تقبيل الأرض أمر اختبار وامتحان كأمر الله عزّ وجل إبراهيم صلى الله عليه وآله بذبح اسماعيل ابنه ليمتحن صبره ويختبر أمره. ولا جرم أنّي عدت إلى ذلك كما أمرني المعزّ (ﷺ) فما أنكره بعد ذلك عليّ أيام حياته صلوات الله عليه ورحمته وبركاته»[٣٢١].

هذا ومثل ذلك ذكر عن نفسه الداعي الاسماعيلي الكبير المؤيد الشيرازي وهو يذكر دخوله على المستنصر ـ الامام الاسماعيلي ـ بقوله:

«فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذي ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية....

فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة، وغلبتني العبرة، وتمثل في نفسي أنني بين رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما ماثل، وبوجهي إلى وجهيها مقابل، واجتهدت عند وقوعي إلى الأرض ساجدا لوليّ السجود

---

(٣٢٠) أيضا ص ١٠٩، ١١٠.

(٣٢١) «المجالس والمسايرات» ص٥٨، ٥٩.

ومستحقه، أن يشفعه لساني بشفاعة حسنة بنطقه، فوجدته بعجمة المهابة معقولاً، وعن مزية الخطابة معزولاً، ولما رفعت رأسي من السجود، وجمعت عليّ أثوابي للقعود، رأيت بنانا يشير إليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام، فقطب أمير المؤمنين ـ خلّد الله ملكه ـ وجهه عليه زجراً، على أنني ما رفعت به رأسا ولا جعلت له قدراً، ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لساني بنطق، ولا يهتدي لقول، وكلما استطرد الحاضرون مني كلاما ازددت اعجاما، ولعقبة العى اقتحاما وهو ـ خلد الله ملكه ـ يقول: دعوه حتى يهدأ ويستأنس»(٣٢٢).

هذا ومثل هذا كثير جداً.

وهذه العبارات الواضحة، والنصوص الصريحة ان دلّت على شيء دلّت على أن الإله لدى الاسماعيلية إمام، والامام اله، وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة من كتب القوم أنفسهم لبيان واثبات هذا في مبحث الالهيات.

واكتفاء بها وتجنبا للإطالة والملل نورد ههنا أخيراً ما ذكره الكرماني صاحب أكبر وأعمق كتاب سرّىّ اسماعيلي:

«وكلّ منهم «الأئمة» في زمانه مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو القائم مقام الله»(٣٢٣).

وعلى ذلك قال البدخشاني الاسماعيلي في كتابه الفارسي: «ان ما ورد في القرآن (كل شيء هالك إلا وجهه) المقصود منه وجه الامام»(٣٢٤).

---

(٣٢٢) «سيرة المؤيد في الدين» داعي الدعاة ترجمة حياته بتحقيق محمد كامل حسين ص٨٥ ط دار الكتاب المصري ١٩٤٩م.

(٣٢٣) «راحة العقل» للكرماني ص٥٧٧، أيضا مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص١١٢ من أربعة كتب اسماعيلية.

(٣٢٤) كتاب «سى وشش صحيفة» لسهراب ولي بدخشاني المؤلف سنة ٨٥٦هـ بتصحيح هو شنك آجاقى ط مطبعة كيهان ـ طهران ١٩٦١م.

وقال المفسر الاسماعيلي:

«إنما يبلوكم الله به، يعني امام الزمان بالاختبار والامتحان»[٣٢٥].

وقال في قوله تعالى: (ومن يهن الله) يعنى امام كل زمان بمعاندة حجبه (فما له من مكرم) يعني في معاده ـ ثم قال تعالى: (ان الله) يعنى صاحب كل عصر يفعل ما يشاء»[٣٢٦].

إلى آخره من الخرافات.

---

(٣٢٥) «مزاج التسنيم» لضياء الدين الاسماعيلي سورة النحل ص١٣١ ط غونتيغن ـ ألمانيا.
(٣٢٦) أيضا سورة الحج ص٢٤٦.

الفصل الخامس

المبدأ والمعاد

ان الـذين تكلمـوا من الاسـماعيليـة في المبـدأ والمعـاد هم قليلون جـدا بـالنسبة للمسـائل الأخـرى حيث أن هـذه المبـاحث تعـدّ من علم الحقـائق لا يطلع عليها إلا القليلون المعدودون الذين بلغوا الغايـة القصوى والمـراتب العليا، وتعمقوا في مذهب الباطن، وهم أيضا لم يتكلموا في هذه المباحث إلاّ في كتب سرية خالصة يعبر عنها بكتب الباطن أو بكتب الحقيقة، وأنها محرمـة إلا عـلى الذين سمـح لهم وأذن بالاطـلاع عليها من قبـل الأئمة أو الـدعـاة المطلقين للأئمة، ولا يحق لأحد مهما كان شأنه ومقامه أن يتناول هـذه الكتب ويمسها، وينظر فيها، ويطلع على مطالبها ومقاصـدها، كـما لا يحق لأحد من المـأذونـين أن ينـاول تلك الكتب أو واحـدا منهـا التي أذن لـه بـالنـظر فيهـا ومطالعتها أن يعطيها لأحد غيره، أو يخبره بما قرأ منها.

وأهم هـذه الكتب التي تعدّ من كتب الحقيقـة هي (كنز الـولد) للداعي إبراهيم بن حسينٌ الحامدي المتوفى ٦٦٧هـ.

و(الشموس الزاهرة) للداعي حاتم بن إبراهيم المتوفى ٥٩٦هـ.

و(الأنـوار اللطيفة) للداعي طـاهر بن إبـراهيم الحـارثي اليماني المتـوفى ٥٨٤هـ.

و(الذخيرة في الحقيقة) للداعي علي بن الوليد المتوفى ٦١٤هـ.

و(المبدأ والمعاد) للداعي حسين بن علي بن محمد بن الوليد المتوفي ٦٦٧هـ. وغيرهما من الكتب.

كما أنه ورد ذكر هذه المباحث في الكتاب الباطني الدقيق (راحة العقل) للداعي أحمد حميد الدين الكرماني المتوفي ٤٤١هـ.

وكذلك في كتاب (الافتخار) للداعي أبي يعقوب اسحاق السجستاني المتوفى ٣٣١هـ.

وكذلك في بعض كتب. جعفر بن منصور اليمن، والمؤيد الشيرازي المتوفى ٤٧٠هـ.

كما أن هناك رسالة مستقلة في النظم (سمط الحقائق) للداعي علي بن حنظلة المتوفى ٦٢٦هـ.

و(لب اللباب) لعبد على عماد الدين المتوفى في القرن الحادي عشر.

كما أن هناك بحوثا عديدة في هذه المسائل في (رسائل اخوان الصفاء) المنسوبة إلى الإمام الاسماعيلي أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل حسب دعوى الاسماعيلية، كما أن هناك كتبا فارسية عديدة للاسماعيلية تبحث في مثل هذه المباحث، وتعدّ من كتب الحقائق مثل (هفت باب أبو اسحاق).

و(سى وشش صحيفة) لسهراب ولي بدخشاني.

و(زاد المسافرين) لناصرى خسرو.

و(كلشن راز).

وغيرها من الكتب للدعاة الاسماعيلية الفرس.

ومن الطرائف أن الاسماعيلية لم يأتوا بشيء جديد في هذه المباحث الاّ ما التقطوه من موائد الأفلاطونية الحديثة، والفيثاغورية الجديدة، ومن الفلاسفة الذين لم يفوزوا بتصور الهي، ولم يهتدوا بهدي النبوة، ولم يتمسكوا بالوحي والكتب السماوية فضلّوا وأضلّوا.

فإن القوم مع ادعائهم الدعاوي الفارغة لم يتتلمذوا إلّا على الملاحدة والفلاسفة التائهين الهائمين على وجوههم في تيه الحيرة والضلالة، والبعيدين كل البعد عن نور الله ونور الايمان، ثم هم مع ذلك مختلفون ما بينهم في هذه المباحث باختلاف لا يغمض الطرف عنه، وسنذكره عند سرد العبارات وبيان المذهب.

ويجدر بنا أن تذكر ههنا أن كثيراً من المتقدمين الذين تكلموا في عقائد الاسماعيلية لم يتناولوا مبحث المبدأ في كتبهم مع أنهم تكلموا في عقيدتهم في المعاد وأمور الآخرة من البغدادي، والشهرستاني، وابن مالك اليماني، والغزالي، وابن حمزة العلوى وغيرهم، اللهم إلا الاشارات التي لا تشبع ولا تغنى من جوع، لعلها لعدم حصول المعلومات الكافية في هذا الباب لشدة محافظة القوم على الكتب التي تبحث في هذا المباحث وسترها واخفائها عن أعين الناس الأباعد والأقارب.

ثم إن الأسلوب الذي استعمله الاسماعيليون في مثل هذه الأبحاث أسلوب عويص وعقيم جدا. فالبعض منهم يحاول محاولة متعمدة محسوسة أن يأتي بعبارات غامضة، وتراكيب معقدة، وألفاظ متنافرة، واصطلاحات مشتركة المعاني كى لا يصل الباحث إلى نتيجة قطعية حتمية، وزيادة عليه مصطلحات فلسفية يونانية، فلذلك يصعب على الكاتب أن يقدّم إلى القراء أفكارهم وآراءهم في هذا الخصوص واضحة جلية يفهمها العامي وطالب العلم، اللهم إلاّ من تبصر و تعقل وأمعن النظر في فهمها.

ونحن نحاول أن نختار من الكتب المختلفة عبارات سهلة كي لا يشكل على القاري فهم الموضوع.

تعتقد الإسماعيلية:

«ان الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: عالم روحاني وهو الابداع، وجواهره أفراد. وعالم جرماني وهو الاختراع وجواهره أزواج. وعالم جسماني وجواهره رباعية تركيبية تركبت منها الأزواج. فأولها الجسم المطلق، ثم الأفلاك، ثم

الكواكب، والاسطقصات الأربعة: النار والهواء والماء والتراب. والمتولدات الثلاثة: المعدن والنبات والحيوان.

والإنسان هو نهاية العالم الجسماني، وهو البيت الأكمل، والحجاب الأفضل الذي خاطب الله منه الخلق بأوضح خطاب... وان العالم بأسره شخص كروي الأفلاك، مسبح لباريه، مقدس لفاطره ومنشيه، عقله السابق، ونفس قدسه التالي، وقلبه الجد، وقوة حسه ونموه الفتح، وصورة أعضائه الخيال، وعيناه الهيولي والصورة، وجوارحه السبعة والبروج الإثنا عشر، وشطره الأيسر السفلي المعدن والنبات، وشطره الأيمن الحيوان والإنسان. ذلك تقدير العزيز العليم»(٣٢٧).

ثم يقولون: أول موجود هو العقل.

«أول ما خلق الله تعالى العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا أجلّ منك، بك أثيب، وبك أعاقب»(٣٢٨).

ويقول اخوان الصفاء:

«العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عز وجل»(٣٢٩).

وأيضا «ان أول شيء اخترعه الله جل ثناؤه، وأوجد جوهره بسيط روحاني في غاية التمام والكمال والفضل، فيه صور جميع الأشياء يسمى العقل الفعال، وأن من ذلك الجوهز فاض جوهر آخر دونه في الرتبة يسمى النفس الكلية»(٣٣٠).

---

(٣٢٧) مطلع الشموس للداعي شهاب الدين أبي فراس ص ٢٠ من (أربع رسائل اسماعيلية) ط دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان.

(٣٢٨) «المجالس المؤيدية» للشيرازي المجلس الأول من المائة الأولى ص٦.

(٣٢٩) «رسائل إخوان الصفاء» الرسالة الأولى من القسم الثالث وهي الرسالة الثانية والثلاثون ج٣ ص١٨١.

(٣٣٠) أيضا ص١٨٧.

وبمثل ذلك قال السجستانى:

«العقل وهو أول خلق ظهر من أمر الله تعالى، وسمى العقل لأنه لما تجرّد المبدع عن سمات المربوبين، وتعرى عن صفات المخلوقين، وذلك أمجد تسبيح وأنزه معرفة وأقدس علم، ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلق غير العقل»(٣٣١).

وبذلك قال الآخرون ولكنهم اختلفوا فيها بعد حيث أن اخوان الصفاء يقولون: إن العقل وجد عن طريق الفيض، ولكن الكرماني في كتابه راحة العقل(٣٣٢).

والمؤيد الشيرازي في ديوانه(٣٣٣).

والحارثي اليماني في كتابه (الأنوار اللطيفة)(٣٣٤).

ومحمد بن علي الصوري في كتابه القصيدة الصورية(٣٣٥).

وشهاب الدين في كتابه كتاب الايضاح(٣٣٦).

وغيرهم يقولون: انه وجد ابداعا، لا فيضا كما يقوله فلاسفة الأفلاطونية الحديثون، واخوان الصفاء تبعا لهم.

وأما الكرماني فلم يكتف بهذا القول فحسب، بل ردّ على القائلين(٣٣٧) بالفيض، وناقش رأيهم في فصل مستقل من كتابه الباطني الكبير، فيقول في

---

(٣٣١) «رسالة تحفة المستجيبين» للداعي أبي يعقوب السجستاني ص ١٣ من (ثلاث رسائل اسماعيلية) ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٣م.

(٣٣٢) المشرع الثاني من السور الثالث ص١٧١.

(٣٣٣) أنظر «القصيدة الثاقبة» ص١٩٩.

(٣٣٤) أنظر الباب الأول ص٨٣

(٣٣٥) انظر ص٢٣.

(٣٣٦) انظر ص١٠٤.

(٣٣٧) ولا ندري كيف يقول الاسماعيلية إن كاتب رسائل اخوان المصفاء هو الإمام الاسماعيلي أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل، ثم يخالفونه في رأيه مع أن الإمام معصوم لا يخطيء عندهم، وليس لأحد مهما بلغ شأنه ومنزلته أن يخالف الإمام.
وهذا من أحد الأدلة أن الاسماعيلية لم يكونوا على هذا الرأي.

المشرع الثاني من السور الثالث تحت عنوان (في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا عن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة، بل عن طريق الابداع)، فيقول:

«إننا إن اعتقدنا أن وجود الموجودات هو عن المتعالي عن الصفات سبحانه على سبيل الفيض لا على سبيل الإبداع، كنا قد صورنا أنفسنا من وجوده بما لا يطابق ما عليه عينه وحقه لما يلزم ويجب به من وجود ما يعلل المتعالي عن الصفات سبحانه ما وجوده محال: وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركاً له ومناسباً، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض، إذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته، ولا فرقاً بينهما من هذه الجهة، كما أن الضوء الذي هو فيض من عين الشمس من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التي منها فاض الضوء بكونها كذات الفيض، إذ ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها، ولا فرقاً بينهما من هذه الجهة، فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه ثيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فتكون ذاته من شيئين: شيء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه، وشيء وقع به التباين بينهما، وحصلت الغيرة التي لولاها لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا، وهذا غير ذاك. والذي يكون متكثراً فتكثره لحاجة بعض تلك الأشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده إلى البعض الآخر، الذي لولاه لما وجدا جميعاً، وهما جميعاً في الوجود ووجودهما باستناد الواحد منهما إلى الآخر ووقوعهما تحت القدرة الجامعة لهما، ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه - إن كان ما وجد عنه فيضاً - متكثراً واقعاً تحت قدرة غيره في وجوده، وأن يتقدم عليه ما وجوده محال، وإذا كان المتعالي سبحانه هويته لا عن هوية هي غيرها، فقد تعالى عن أن يكون موصوفاً بقلة أو كثرة فقد بطل أن يكون من شيئين، وإذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضاً، فيكون موجباً لما فاض عنه كثرة عنها ذاته ثم أن من الأوائل في العقل وأحكامه أن الذي يكون أبسط، وأعرى من آيات الكثرة، وأقوم بذاته فهو أشرف من غيره، وعلى هذه القضية فالفيض أبسط من الذي فاض

منه بكونه شيئاً واحداً، وكون الذي فاض منه شيئين بأحدهما يشارك الفيض، وبالآخر يختص فيباينه ويلزم من ذلك أن يكون الفيض أولى بأن يكون متقدماً على الذي فاض منه لشرفه عليه بقلة الكثرة فيه ووجود الكثرة في ذلك، وإذا كان كونه فيضاً موجباً أن يكون هو أشرف من الذي فاض منه الذي هو المتعالي عن الصفات سبحانه، فأي مجال أعظم من اعتقاد شيء هو بالضد مما عليه أمره. ثم أن الفيض لا يكون إلا عن تمامية ذات ما يفيض منه، والمتعالي سبحانه قد تسبح عن أن يكون تماماً أو تاماً فيقع الاشتراك به بينه وبين غيره في معنى من المعاني. فيلزم من ذلك وجود ما عنه تكون هويته إذ التمام مشارك للتام، والتام مشارك للتمام ومناسب، والمشاركة والمناسبة بين شيئين يقتضيان ما يتقدم عليهما، ولو كان للمتعالي سبحانه مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء أو مناسبة لا قتضى ما يتقدم عليهما، ثم لو كان للمتقدم أيضاً مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء لا قتضى ما يتقدم عليهما، ويستندان في الوجود إليه كلاهما فتؤدي الحال في ذلك إلى أمر في نهايته يوجب أن لا توجد الموجودات. فلما كان هذا باطلاً محالاً بطل أن يكون الموجود عن المتعالي سبحانه فيضاً. ثم لو كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول فيضاً عن المتعالي سبحانه وعظم كبرياؤه لوجب أن تكون العقول الخارجة عنه من القوة إلى الفعل في دار لطبيعة التي هي عقول النطقاء والأسس والأئمة من جنس العقل الأول ومشاكله في قيامها بالفعل ونيلها التمامية، وكون العقل الأول فيضاً، وكون الفيض من جنس المتعالي عن الصفات سبحانه أن لا يعتاض عليها الوجه في تناول المتعالي سبحانه إنباء عنه بما يليق به من الصفات ولا بعجز عن ذلك، ولكانت العقول تستحق أن تسبح بالتسبيحات الموجهة نحوه تعالى كبرياؤه من حيث نفي الصفات بكونها مثله، ولما كانت للعقول في دار الطبيعة الخارجة - إلى الفعل التي هي عقول الأنبياء صلوات الله عليهم - لا تستحق أن يقال عليها بأنها متعالية عن الصفات والإضافات والموصوفات بكونها مما يوصف وينعت، وهي المقرة بالقصور عن الإنباء عن الله سبحانه بما يستحقه وهي المسبحة للمتعالي بنفي الصفات ونعت الموصوفات عنه، تعالى الله علواً كبيراً، كان من ذلك الحكم

بأن العقل الأول مثل هذه العقل في عجزها عن تناول المتعالي سبحانه بصفة موجودة في إبداعه، وتشكلها في تقديسها وتسبيحها إياه عن سمات اختراعه. وإذا كان العقل الأول بهذه الصفة وقد جمع ذاته عن ذلك لعجزه، تعالى الله وتكبر ولأسمائه العظمة والجلال والقدرة والسناء والرفعة والبهاء والنور والعلاء فقد بطل أن يكون ما وجد عن المتعالي سبحانه فيضاً، فلما بطل أن يكون «ما وجد عن المتعالي» فيضاً لم يبق إلا أن يكون إبداعاً»[٣٣٨].

هذا. ثم هناك اختلاف آخر في مبحث المبدأ حيث الأولية والأسبقية، وحيث أنه وجد عالم الإبداع دفعة واحدة أم بترتيب، وأيضا هل وجد العقل والزمان معا دفعة واحدة أم وجد العقل ولا زمان.

فيقول الحامدي، وعلى بن محمد بن محمد بن الوليد، والحارثي اليماني، والحسين بن علي بن محمد بن الوليد، وعلي بن حنظلة: ان عالم الابداع وجد دفعة واحدة. يقول الحامدي:

«إن الله تعالى أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان»[٣٣٩].

ويقول علي بن الوليد:

«ان الله تعالى أبدع عالم الأمر دفعة واحدة، في غاية التساوي في كمالهم، الأول، وابداعهم الأفضل، لم يجعل سبحانه لأحد شرفا على سواه، ولا اختص منهم في ذلك الوجود واحدا، بأن ميزهم على غيره، وأعلاه، بل جمعت الكل منهم سمة التساوى والتكافي، وعدم فيهم اسم التباين والتنافي، وكل ذلك غاية العدل من مبدعهم»[٣٤٠].

ويقول الحارثي اليماني:

«ان الله تعالى الذي لا تتجاسر نحوه الخواطر، ولا تسمو إليه الأوهام والضمائر أبدع عالم الابداع المكني عنه بعالم الأمر وعالم العقل وعالم القدس

---

(٣٣٨) «راحة العقل» للكرماني ص١٧١ إلى ١٧٤.

(٣٣٩) «زهر بذر الحقائق» ص١٦١ من (منتخبات اسماعيلية).

وعالم الصفاء وعالم اللطافة والعالم الروحاني جميعا معا دفعة واحدة من غير شيء تقدمهم فيكون لهم هيولى أولى، ولا مع شيء صحبهم، فيكون مماثلا لهم ومشاكلا، ولا على شيء أقلهم، فيكون لهم مكانا أول. . . أوجدهم أشباحا صورية محضة نورانية، ذوات قامات ألفية، كالقامات الانسانية البشرية، مباينة لأنفسها الهيولانية، وأجسامها اللحمية الدموية، اذ هي كثافة ظلمانيةوتلك لطائف روحانية قدسانية، فأوجد تلك الأشباح النورانية متساوية في الكمال الأول، الذي هو الوجود والحياة، والقوة والقدرة، لاتخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينها ولا تمايل، فيما دقّ وجل وكثر وقل، عدلا منه عز وجل، اذ العادل يتساوى عدله، والفاضل يعم فضله، كما أخبر الكتاب الكريم من قول العلى العظيم: (لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)»(٣٤١).

وقال الحسن بن على بن محمد بن الوليد:

«أعلم أن غيب الغيوب ـ جل وعلا ـ أبدع عالم الابداع دفعة واحدة بلا زمان ولا مكان صوراً نورانية كثيرة لا يحصيها العدد، متساوين في الكمال الأول والوجود الأول، الذي هو الحياة والقدرة والقوة. وكان ذلك بموجب عدله تعالى أن جعلهم سواء لافضل لأحد منهم على الآخر.

وكانوا في الكثرة على حال لا يحصى عددها دليلا على أن العقول لا تحيط بمبلغ فضله وجوده تعالى. فهم يسمون عالم الابداع، والعالم الروحاني، لكونهم أرواحا نورانية لاكثافة فيها ولا تجسيم، ولا يحويها مكان ولا احتاج مبدعها إلى زمان»(٣٤٢).

ونظم هذا الداعي على بن حنظلة في أبياته حيث قال:

«أبدع ما أبدع من غير سبب ولا لمسّ حاجة ولا أرب

---

(٣٤٠) «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد ص ٢٤.

(٣٤١) «الأنوار اللطيفة» ص ٨٣.

(٣٤٢) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٢ من (سه رسالة اسماعيلي).

من غير شيء لا ولا في شيء — ولا لشيء جال في الروىٰ
أشخاص نور كلهم في الذات — والعلم والقدرة والحياة
والفضل والعزة والسناء — في مبتدأ الابداع بالسواء
من غير تأخير ولا تقديم — وذاك فعل العادل الرحيم
أبدعهم على سبيل الدفعة — كما أبان الجلنار طلعة
أوكدخول الضوء بيتا مظلما — لا بمثال كان قد تقدما
ولا زمان كان ما كان ولا — أبدعهم في خلا ولا ملا
اذ هذه قضية الأجسام — لنقصها عن رتبة التمام»[343].

ومما يزيد الأمر خطورة أن الحامدى نسب هذا الرأي إلى الامام الاسماعيلي القائم بأمر الله، القائم مقام العقل في العالم السفلى، والمعصوم بعصمة ذاتية أنه قال:

«ان عالم الابداع الذي صوّرنا كون ظهوره معا دفعة واحدة لم يسبقه أوله آخره ولا آخره أوله، فكان وجوده معا مثل حب التين المجتمع في كل حبة منه ما لا يحصى»[344].

هذا من جهة، ومن طرف آخر يقول اخوان الصفاء، والمؤيد الشيرازي، والكرماني، والسجستاني وغيرهم: إن عالم الابداع ظهر بترتيب، فيقول اخوان الصفاء:

«كما أن من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايده، كذلك من فيض الباري وجوده نشأة الخلائق وتمامها وكمالها؛ وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد، كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عز وجل؛ وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين، كذلك النفس ترتبت بعد العقل؛ وكما أن الأربعة ترتبت بعد الثلاثة، كذلك الهيولى ترتبت بعد النفس؛ وكما

---

(٣٤٣) «سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة ص ٢٧.
(٣٤٤) «كنز الولد» للحامدى الباب الثاني في القول على الابداع الذي هو المبدع الأول.

أن الخمسة ترتبت بعد الأربعة، كذلك الطبيعة ترتبت بعد الهيولى؛ وكما أن الستة ترتبت بعد الخمسة، كذلك الجسم ترتب بعد الطبيعة؛ وكما أن السبعة ترتبت بعد الستة، كذلك الأفلاك ترتبت بعد وجود الجسم؛ وكما أن الثمانية ترتبت بعد السبعة، كذلك الأركان ترتبت بعد الفلك؛ وكما أن التسعة ترتبت بعد الثمانية، كذلك المولدات ترتبت بعد الأركان؛ وكما أن التسعة آخر مرتبة الآحاد، كذلك المولدات آخر مرتبة الموجودات الكليات وهي المعادن والنبات والحيوان. فالمعادن كالعشرات، والنبات كالمئين، والحيوان كالألوف، والمزاج كالواحد»(٣٤٥).

وقالوا أيضاً:

«اعلم أن علة وجود العقل هو وجود الباري، عز وجل، وفيضه الذي فاض منه. وعلة بقاء العقل هو إمداد الباري، عز وجل، له بالوجود والفيض الذي فاض أولاً. وعلة تمامية العقل هي قبول ذلك الفيض والفضائل واستمداده من الباري تعالى. وعلة كمال العقل هي إفاضة ذلك الفيض والفضائل على النفس بما استفاده من الباري عز وجل. فبقاء العقل إذاً علة لوجود النفس، وتمامية العقل علة لبقاء النفس، وكماله علة لتمامية النفس، وبقاء النفس علة لوجود الهيولى، وتمامية النفس علة لبقاء الهيولى. فمتى كملت النفس تمت الهيولى. وهذا هو الغرض الأقصى في رباط النفس بالهيولى، ومن أجل هذا دوران الفلك وتكوين الكائنات لتكمل النفس بإظهار فضائلها في الهيولى، وتتم الهيولى بقبول ذلك. ولو لم يكن هذا هكذا لكان دوران الفلك عبثاً.

واعلم يا أخي أن العقل إنما قبل فيض الباري تعالى وفضائله التي هي البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة ولا نصب لقربه من الباري، عز وجل، وشدة روحانيته. فأما النفس فإنه لما كان وجودها من

---

(٣٤٥) «رسالة إخوان الصفاء» ـ الرسالة الأولى من القسم الثالث ج ٣ ص ١٨١.

الباري، جل ثناؤه، بتوسط العقل، صارت رتبتها دون العقل، وصارت ناقصة في قبول الفضائل»[٣٤٦].

ويقول الكرماني:

«فالمبدع الأول (العقل الأول) علة لوجود الموجودات الكائنة كالواحد الذي هو أول الأعداد... كان المبدع الأول الذي هو الابداع علة لوجود الموجودات، ثم وجود الشيء عن الشيء لايكون الا بكون ذلك الشيء الذي وجد عنه هذا الشيء في غاية الكمال ونهاية التمام... ولما كان الابداع الذي هو المبدع الأول غاية الكمال ونهاية التمام والفناء والفضل كان علة لوجود ماسواه، ثم لما كان المبدع الأول هو الحي الأول، ولا يكون حيا ما لا يفعل كان المبدع الأول فاعلا، واذا كان فاعلا والفعل علة لوجود مفعوله فالمبدع الأول علة لوجود ما سواه، فهو المحرك الأول والعلة الأولى، ثم انه لايحتاج في اصدار الأفعال إلى غيره لكماله اذ فعله في ذاته، وذاته لذاته مادة فيها يفعل، وذاته في ذاته صورة بها يعمل، وما يكون وجوده هذا الوجود فلا يحتاج لغيره في الفعل»[٣٤٧].

ومثل ذلك قال:

«وليس في الموجودات ما هو غاية لكل غاية، ومتقدم على متقدم غير الابداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول فهو علة لوجود ما سواه، ثم ان الابداع الذي هو المبدع السابق في كل شيء لو لم يكن علة لوجود ماسواه لما كان للموجودات وجوده»[٣٤٨].

وهذا الموضوع منتشر في كتابه مثل ما ذكر في مقام آخر:

«ان العقل الأول الذي هو المبدع الأول لما كان وجوده عن المتعالى سبحانه ابداعا، وكان عقلا بابداع الله تعالى اياه كذلك، وكان في كونه عقلا

---

(٣٤٦) أيضاً ص ١٨٥.

(٣٤٧) «راحة العقل» المشرع السابع من السور الثالث ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٣٤٨) أيضاً.

ومعقولا له ذاته، لزمته بكونه عقلا نسبة، وبكونه معقولا نسبة أخرى، وكان من جهة كونه عقلا أشرف من جهة كونه معقولا بكونه من تلك الجهة ـ أعني كونه عقلا ـ فرداً منتسبا إلى المتعالى سبحانه، ومن هذه الجهة ـ أعنى كونه معقولا ـ زوجا منتسبا إلى ذاته، وكان علة لوجود الموجودات، وكان من الكمال والتمام على النهاية التي يستغنى بها عن الغير في اصدار الفعل إلى الوجود»[٣٤٩].

وبمثل ذلك قال في كتابه (الرياض في الحكم بين الصادين صاحب الاصلاح والنصرة)[٣٥٠].

وبذلك قال السجستاني أيضاً:

«العقل أول خلق ظهر من أمر الله... ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلق غير العقل... ويضاف إلى العقل اسم القلم... والعرش... والسابق... والقضاء... والهيولى... ثم النفس فانها الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول، ويقال للنفس اللوح... والملك... والثاني... والتالي... والقدر... والصورة... الخ.

وقال:

العقل لا يسبقه شيء من الموجود... فان العقل يشبه الواحد الذي هو يشبه الأعداد ولم يسبقه شيء من الأعداد لا من الأفراد ولا من الأزواج، بل الأعداد كلها إنما تنكسر بالواحد ومن الواحد»[٣٥١].

ويقول:

«كيف يتوهم قبل العقل شيئية، والعقل هو شيئية الأشياء كلها، وشيئية الأشياء كلها هو العقل؟ ولو جاز توهّم شيئية قبل العقل، والعقل شيئية

---

(٣٤٩) «راحة العقل» للكرماني ص ٢١٢.

(٣٥٠) انظر ص ٩٩.

(٣٥١) «كتاب الينابيع» للسجستاني ـ الينبوع الخامس ص ٢٣ من (سه رسالة اسماعيلي).

الأشياء كلها، كان العقل اذن قبل ذاته. والشيء لا يكون قبل ذاته، فاذن توهّم شيئية قبل العقل ممتنع»[٣٥٢].

وكذلك محمد بن على الصورى[٣٥٣].

«وأما كون العقل مقدما على الزمان فقد ذكر فيه الكرماني رأي الرازي ورأي السجستاني ثم رأيه فيه، فيقول في الفصل السابع والثلاثين من الباب الأول:

«قال صاحب الاصلاح (أي الداعي أبو حاتم الرازي):

ان الباري تعالي ابدع العقل والزمان معاً في دفعة واحدة. قال صاحب النصرة (أي السجستاني): من المعلوم ان الزمان هو مقدار الحركة، والحركة انما هي الأفلاك، فيجب من هذا القول ان تكون الافلاك والزمان المتولد من حركاتها قد كانت مع العقل في دفعة واحدة، وجاز ان نقول ان المتمكن والكائنات الفاسدة كانت مع العقل دفعة واحدة، وان جاز ان نقول ان العقل والزمان كانا معاً في دفعة واحدة، فيجب من هذا القياس ان يكون الزمان ينال من الفضائل والأنوار المفاضة على العقل مثل ما يناله العقل فيكون تاماً، وذلك محال، وان جاز القول ان العقل والزمان كانا معاً في دفعة واحدة فهما لا يخلوان من ان يكونا شيئين اثنين أو شيئاً واحداً، فان كانا شيئاً واحداً فلفظ الجمع يقع على الشيء الواحد من جهة الاسامي لأنه من المحال ان نقول ان الحجر كان مع الصخر، والمدية كانت مع السكين، وان كانا هما شيئين اثنين، فالعقل لما أبدع عقل ذاته بغير زمان أو بزمان، فاذا عقل ذاته بغير زمان فقد كان والزمان، وليس وان كان انما عقل ذاته بزمان، فالزمان متقدم عليه، وما يتقدم العقل فليس هو الزمان بل الأزل والأزلية:

---

(٣٥٢) أيضاً الينبوع السادس ص ٢٥.

(٣٥٣) انظر القصيدة الصورية ص ٢٤.

ونقول:

ان محصول قوله وان كان قاصراً في الادلاء والدلالة ان وجود الزمان مع العقل محال، وهو صحيح عندنا في المذهب وقد تقدم منَ القول في استحالة وجود شيء مع العقل الأول ما هو كاف في الدلالة على ان الأمر بخلاف ما ذكره صاحب الاصلاح في هذا الفصل، الا أن صاحب النصرة في قوله ان الذي يتقدم على العقل فليس هو الزمان بل الأزل والأزلية فقد اخطأ، فلا وجود لشيء متقدم على العقل الأول بما بيناه فيما تقدم من القول في كتابنا هذا وفي كتاب «راحة العقل» والذي يصح وعليه فان قانون الاعتقاد والمذهب لمن الأزل والازلية يلزم عالم الابداع على ما بيناه في الرسالة المعروفة (بالروضة)، وفيما أوردناه فيها غنى عن التطويل»[354].

فهذا هو الاختلاف الجوهري الثاني بين الدعاة الاسماعيلية وأئمتهم في بدء الخلق، وهناك اختلافات أخرى مثل هذه مع ادعاء القوم بأن علومهم مقتبسة من الأئمة المعصومين الذين لا يخطئون ولا يغلطون.

ومن الغرائب أن كل طرف من الأطراف المختلفة يدعم أقواله وآراءه بأقوال المعصومين وآرائهم ونحن أشرنا إلى ذلك، وسوف نذكر هذه الخلافات والتناقضات في باب مستقل ان شاء الله.

وصدق الرب جل وعلا، ومن أصدق من الله قيلا:

«ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافا كثيرا»[355].

ونرجع إلى الموضوع فنقول: ان الاسماعيلية يعتقدون أن الله أبدع أول ما أبدع العقل، أو فاض عنه العقل، ثم أنشئت صور نورانية كثيرة سواء من العقل أو من غيب الغيوب على اختلاف في الأقوال:

---

(٣٥٤) «كتاب الرياض» للكرماني ص ٩٧، ٩٨ ط دار الثقافة بيروت.
(٣٥٥) سورة النساء الآية ٨٢.

«ثم ان صورة من تلك الصور المبدعة نظر إلى ذاته إلى أبناء جنسه، وتفكر فيهم، فهجم بفكرته من ذاته بغير معلّم ولاملهم، وعلم أن له ولهم مبدعا هو بخلافهم يعجز عن ادراكه، فنفى الالهية عنه وعن أبناء جنسه، وشهد بها لمبدعه، واستحق بهذا الفعل أن يسمى (أولا) و(سابقا)، وهو المسمى بالعقل الأول، والمبدع الأول، والقلم»[٣٥٦].

ومثله في الأنوار اللطيفة[٣٥٧].

وفي (سمط الحقائق) و (القصيدة الصورية) وغيرها من الكتب.

وحصل له علم ما كان وما سيكون، ووقع عليه اسم الالهية:

«فهو الحق الحقيقة، وهو الوجود الأول، وهو الموجود الأول، وهو الوحدية والواحد، وهو الأزل، وهو الأزلية، وهو العلم وهو العالم الأول، وهو القدرة وهو القادر الأول، وهو الحياة وهو الحي الأول»[٣٥٨].

«ثم انه فطن لما فطن له العقل الأول صورتان من تلك الصور، فنظرا كنظره، ونفيا الالهية عن ذاتهما، واعترفا بهما لمبدعهما، واعترفا للسابق عليهما بالفضل وشرف السبق، وسميا بفعلهما ذلك منبعثين لأنهما انبعثا مقتدين بالأول وفعله.

«وكان أحدهما أسبق من الاخر إلى ذلك التسبيح والتقديس والتوحيد، واستحق لسبقه أن اتخذه العقل الأول السابق له باباً وحجاباً يخاطب منه من دونه، وأمده من المادة ـ التي طرقته من مبدعه ـ بما شرف به على المنبعث الثاني وعلى كافة أبناء جنسه، وعلم بذلك ما كان و(ما) سيكون، وهوالمسمى بـ «النفس الكلية» وبـ «الانبعاث الأول» وبـ «اللوح».

---

(٣٥٦) «رسالة المبدأ والمعاد» لحسين بن على بن محمد بن الوليد ص ١٠٣ من (سه رسالة اسماعيلي).

(٣٥٧) انظر ص ٨٣، ٨٤.

(٣٥٨) «راحة العقل» المشروع الخامس من السور الثالث ص ٨٩.

ولم يعترف المنبعث الثاني بفضل السبق للمنبعث الأول، وتوهم أنه مساو له. فكان ذلك التوهم خطأً أكسبه تأخراً عن مرتبته وانحطاطاً عن منزلته. ثم ان العقل الأول دعا جميع عالم الابداع إلى توحيد مبدعهم وتسبيحه. وكان دعاؤه لهم بالمنبعث الأول الذي قد صار حجاباً له وباباً. فأجابه من تلك الصور المبدعة سبعة عقول كلّ واحد منهم بعد الثاني، وفي ضمن كل عقل منهم من تلك الصور المبدعة عالم لا يحصيها العدد، هو لهم - ذلك العقل - كالرئيس والامام والقدوة لسبقه عليهم، وهم له كالاتباع والمقتدين به. فصارت مراتب عالم الابداع تسعة: العقل الأول والانبعاث الأول والسبعة العقول المجيبة للدعوة.

ثم ان المنبعث الثاني لما سقط عن مرتبته بما كان من توهمه وسبق العقل باجابتها واعتراف كل مسبق منهم بفضل سابقه، لاذ المنبعث الثاني بآخر تلك العقول - وهو التاسع - مستخبراً له عن حالته وما الذي حطه عن رتبته. فأعلمه أن الذي حطه عن رتبته هو توهمه المساواة لسابقه. فتشفع به إلى من هو فوقه، وشفع له من فوقه إلى من فوقه، حتى انتهت الشفاعة إلى العقل الثاني الذي هو المنبعث الأول.

فعلم أن المنبعث الثاني قد ندم على ما سبق منه، وإن لم يتعمد ذلك ولا أصر. فتاب عليه من زلته وغفر له خطيئته، وأمده من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه، التي أمد بها جميع تلك العقول عند اجابتها. فزالت به عن المنبعث الثاني تلك الظلمة الحادثة عن ذلك الوهم الفاسد وفارقته. وعلم بتلك المادة ما كان وما سيكون، وترتب في المرتبة العاشرة؛ فصار بعد أن كان ثانياً في الانبعاث ثالثاً في العدد، عاشراً في الرتبة. وحصل له بتلك المادة ولجميع العقول السابقة عليه الكمال الثاني والوجود الثاني الذي به تأزلوا وعصموا وأمنوا من الاستحالة والفناء.

وكان قد بقي من تلك الصور الابداعية عالم لا يحصيهم العدد تأخروا عن الاجابة للدعوة مع تلك العقول، وتخلفوا مقتدين في تخلفهم العاشر. فلما تاب واتصلت به المادة كما قلنا بشفاعة تلك العقول - وهي الكلمات التي

تلقاها آدم من ربه، لأنه آدم الروحاني الذي قال الله فيـه «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» ـ قيل له حينئذ «اقبل عـلى المقتدين بـك في التخلف، فادعهم وخلصهم عـما وقعوا فيـه، فانـه من كسر عـظما، فعليه جبره».

فعطف على أولئك المتخلفين وقـال لهم «انا قـد زللنا وأخـطأنا في تـركنا الاعتراف بفضل السابق علينا، وقد تبت عما سلف مني فتـوبوا انتم تسعـدوا وتفـوزوا». فقالـوا بأجمعهم «لا فضـل لهم علينا ولا لـك، لأننا كلنـا ابـداع المبدع تعالى أبدعنا سواء». فلما قالوا ذلك، أظلمت ذواتهم بعد انارتها. فلما نظروا إلى ما أصابهم من الظلمة، أنكروها واستوحشوا منها، والتـأم بعضهم إلى بعض، وهم المكنى عنهم بـ «الهيولي الأولى»(٣٥٩).

فهكذا خلق عالم الابداع.

ومثل ذلك في الأنوار اللطيفة(٣٦٠).

وغيرها من الكتب.

ثم قال:

«تحركت هذه الصور تحركا يريدون به التلافي مما وقعوا فيه. فحدث من حركتهم تلك في ذواتهم الطول الأول. فـأنكروه واستـوحشوا منـه أعظم ممـا سلف. فتحركوا حركة ثانية حدث منها العرض الأول. فأنكـروا ذلك أيضـاً وتحركوا (حركة) ثالثة حصل منها العمق الأول. فصاروا جسماً واحداً ممتزجـاً بعضه ببعض. فكانت تلك الحركات من حكمـة العاشر المتولى لتدبـيرهم، لأنه علم بما ظهر له منهم من العصيـان، أنه لا خـلاص لهم في عالم الصفـاء لأنـه عالم منـزه عن المخالفـة والعصيان. فحـركهم حتى صـاروا جسـماً كليـاً ليجعل منه لهم ادارات وآلات يستخلصهم (بهـا)، ودعوة يقيمهـا لنجاة من يقبل منهم أولا فأولا، كما سنبينه بعد ذلك ان شاء الله.

---

(٣٥٩) «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٣ وما بعد.

(٣٦٠) انظر ص ٨٦ وما بعد.

وذلك أنهم كانوا في عصيانهم للعاشر متفاوتين في الضمائر. فمنهم النادم المستغفر، ومنهم الشاك المتحير، ومنهم المصر المستكبر. فلمّا صار الكل جسما واحداً وهبط عن عالم الصفاء للكثافة التي أصابتـه ـ لأنه من شـأن كل كثيف الهبـوط ومن شأن اللطيف الصعـود والعلو، ـ فجعل الحكيم المـدبـر أصفى الهابط أفلاكا وكواكب وأوسطه أمهات، وأكثفـه صخرة تسمى المـركز، وهي بأسفل الأرض. وكـان ذلك من العـدل والحكمة أن جعـل كل فـريق حيث يستحقه لسابق نيته وضميره.

فلما هوت الكثافة ساقطة، وقد كـان حدث عنـد تلك الحركـات الأولى من المتحـرك أوتـاد الفلك وهي الـطالـع ـ وهـو الـبرج الـذي يكـون في أفق المشرق، ـ والغارب ـ وهو الـبرج الذي يكـون في أفق المغرب، ـ والعـاشر ـ وهو البرج الذي يكون في وسط السماء، ـ والرابع ـ وهو الـبرج الذي يكـون تحت الأرض ـ فلما هوت تلك الكثافـة، وتجذبتهـا تلك الأوتاد من جهـاتها، وقـطبـا الفلك من جهـة الشـمال والجنـوب، فـوقفت في وسط الفلك وصـار الفلك محيطاً بها من جميع جهاتها، والأرض وما عليهـا واقفة في وسـطه كمثل مح البيضة الأصفر الميحط به البياض والقشر من جميع جهاته»[٣٦١].

وبعد ذلك انفتق الجو وترتّبت الأفـلاك تسعة أفـلاك، كل فلك منهـا في ضمن الآخر. والفلك المحيط يحيط بالجميع (و) يحرّك جميع الأفلاك في كل يوم وليلة حركة كلّيّة الهيّة بقوّة المدبّر ومادتّه من المشرق إلى المغـرب. وترتّبت الأفـلاك السبعة السيّـارة كلّ كـوكب منها في فلك وصـارت جميع النجـوم في الفلك الثامن المسمّى « فلك البروج » مقسّمة اثنى عشر قسماً، كلّ قسم منها برج. وصار الفلك التاسع خالياً لا شيء فيـه من البروج والكـواكب للطافته وشرفه.

فلمّا تحرّك الفلك الحركة الأوّليّة، رمت الكواكب بأشعّتها نحو الأرض، وقـد كان بقى عـلى وجهها شيء من جنس الفلك، فجـذبتـه الكـواكب إلى

---

(٣٦١) «المبدأ والمعاد» ص ١٠٦ من (سه رسالة اسماعيلي).

ذواتها، وسيّرته لها أصدافاً مشرقة، وهو النور الذي يدركه البصر من النجوم، والاّ فهي كانت قبلُ وهميّة كالأفلاك لا تراها الأبصار. فجعل المدبّر تلك الأصداف بحكمته لانارة العالم الظلمانيّ الجسمانيّ، ولأن تدرك حواسّ البشر ذلك، فيحقّ عندهم قدرة المدبّر - تعالى مَن أقدره - وصحّة وجود العالم الفلكيّ.

ولّما تحرّك الفلك، صار ما يليه من الجوّ المنفتق - الذي في ضمن فلك القمر - في نهاية الحرارة واليبس، وذلك طبع النار، فسُمي الأثير، وهو احدى الأمّهات الأربع وأوّلها، وهو مركز النار ومعدنها، إلا أنّها فيه غير مرئيّة بالأبصار، ولو ظهر ضوءها، لمنع الأبصار عن إدراك عالم الأفلاك، فكان احتجاب ضوئها حكمة من المدبّر - تعالى من أقدره لذلك - ثم صار ما يلى الأثير من الجوّ حارًّا ربطاً لبعده عن الحركة الفلكيّة، فاعتدل، فسُمى الهواء الذي هو ثاني الأمّهات الأربع. ثم صار ما يلي ذلك من الجوّ بارداً رطباً سيّالاً، هو مركز الماء وهو ثالث الأمّهات الأربع، ثم كانت الأرض وما يليها من الجوّ في نهاية البرد واليبس لشدة بعدها عن الفلك، وهو رابع الأمّهات »(٣٦٣).

فهذه خلقة العالم الجرماني.

وأما العالم الجسماني فقال:

« فلما أراد المدبّر أن يجعل الأرض مقرّا لظهور ما يظهره من المواليد - التي هي المعدن والنبات والحيوان - وكانت ومايليها من الجوّ في نهاية الافراط في البرد واليبس، فحرّك الفلك، فرمت الكواكب بأشعتها نحو الأرض، وقد كانت صخرة صلدة لشدّة بردها ويبسها، فلم تجد الأشعة فيها منفذا لصلابتها، فرجعت منعكسة، فسخّنت وجه الأرض وما يليها من الهواء، وصيّرته معتدلاً بين الحرّ والبرد واليبوسة والرطوبة، وسُمى ذلك «كُرة

(٣٦٢) « المبدأ والمعاد » ص ١٠٨، ١٠٩.

النسيم » وهو بالحقيقة مركز الماء الذي عنه يحدث، كما سنذكره فيما بعد، ان شاء الله. وكا انعكاس الأشعة إلى حـدّ ما سخن (من) الهـواء، وبقي ذلك الهواء الذي لم تبلغه أشعّة الكواكب راجعةَ على طبعه الأوّل بارداً يابساً، وهو أعلى مركز النسيم، ويسمى « كرة الزمهرير ».

ثم إنّ المدبر ـ تعالى (من أقدره) ـ صرّف تدبير العالم إلى زحل بمادته في تحريكه للفلك، فدبّر العالم ألف سنة. فـامتزجت الـطبائـع المذكـورة بعضها ببعض، وحـدثت البخارات والضبـاب والامـطار المتـواتـرة غـير النـافعـة، وصارت الأرض بحراً موّاجا، وتخمّر في ذلك الألف ما يشاكل طبع زحل من الحـديد والأحجـار، وصارت الأرض مغمـورة بالميـاه، وميّز كـل جنس من الأشياء إلى جنسه، وخمر خمائر السودان والوزّاع وأهل الشقاء والنكال أجمع.

ثم إنّ المشتري رافد زحل في التدبـير ألف سنة ثـانية، فجفّف بحـرارته أكثر الرطوبات، وميّز ما يشاكل طبعـه من الأشياء المحمـودة عمّا مـازجها من المذموم، وخمر الخمائر التي تشاكل طبيعته الشريفة من أهل الـدين والعفاف؛ ونبت في دوره أوّل النبـات ؛ ودبّ الدبيب، وحـدث النمل والـوزغ وبنات وردان.

ثم إنّ المرّيخ رافد زحل في التدبير ألف سنـة ثالثـة. وهما نجـما الفلك ـ أعني زحل والمريخ ـ فجفّف المرّيخ بحرارتـه أكثر تلك الـرطوبـات ونشفها، وفتّت الجبـال المنعقدة في ألف زحـل وصيّرهـا رملاً ؛ وظهـر في وقته صغـار الحيـوانات الشريـرة كالفـار والسنانـير وما يشـاكل ذلـك من السباع والهـوّام وذوات السموم؛ وخمر خمائر القوّاد والأجناد والشجعان، ومن المعدن والنبات ما يشاكل طبعهما.

ثم إنّ الشمس رافدت زحل في التـدبير ألف سنـة رابعة. فـأزالت تلك الـظلم والضّبـاب من وجـه الأرض، وعـدلت الأمــطار بعض الاعتـدال، وخمرت خمائر العظماء وما يجانسها من الأشياء الشريفة كالياقوت والذهب وما يجانسها من الحيوانات، واعتدل الجوّ بعض الاعتدال.

ثم إنّ الزهرة رافدات زحل ألف سنة خامسة. فخمرت خمائر العرب والنساء وأهل اللهو والطرب : ونبعت العيون المعذبة ؛ فنزلت الأمطار معتدلة : وظهر في تدبيرها الأشجار المثمرة الطيبة الروايح، وظهرت الطير وانتشرت في الهواء، وتكونت الحيوانات المعتدلة النافعة، وكل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشريَ.

أما خلقة الانسان فنذكره أيضاً من رسالة (المبدأ والمعاد)، فيقول حسين بن الوليد في الفصل الثاني في الابتداء البشري :-

ثم إنّ المدبّر تعالى حرّك الفلك، فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان، فصارت غيوماً، ثمّ انهلّت على وجه الأرض أمطاراً صافيةً معتدلة، وخدّدت الأرض خدداً غير عميقة وقد صفا ذلك الماء في عمقها، ثم صعد بخاراً على أشرف وألطف وأصفى من الأول، فأنهلّ مطراً كثيراً نظير مني الرجل. فوقع في تلك المغارات والخدد التي شبيهة بأرحام النساء، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة، فصار شيئاً واحداً.

ثّم أسخنته حرارة الأرض، فصعد، هارباً من الحرّ، فلحقه برد النسيم من خارج الخدد، فهبط منه هارباً، ثّم لم يزل يهبط تارةَ ويصعد تارةً، وهو يقتصر ويتلطّف وينعقد ويتكوّن في مراتب الخلقة مدّة تسعة أشهر بتدبير المدبّر وتأثير قوى الكواكب والأفلاك فيه إلى أن كملت له المدّة. ثّم فتح عينيه وحواسّه، واستنشق النسيم، واتّصلت به الحياة المحيية الحسيّة بواسطة النسيم. فتمدد تارةً وقعد تارةً، وجعل يتمرَغ ببدنه في ذلك الماء الذي تكوّن منه، ويجتذبه بمسامّ بدنه وقد صار دهناً.

ثمّ طلب الغذاء من فمه، وقد كان أولاً يغتدى بسرته من صفو ذلك الدهن، فجعل يمتص أصبعه الإبهام، فأجرى الله له فيها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، فاغتذي به، فجعل ينام تارةَ ويقعد تارةً إلى أن كمل له سنة، ثم قام، وهو يومئذٍ في كبر جثّته كمثل ابن أربع سنين، وذلك لكبر الأبوَين

اللذين هما السماء والأرض. فمشي وتناول بما قرب منه من الغذاء من التين والعنب والفواكه التي قد كان قدّمها له المدبر سبحانه وكان هذا النشوء الحادث في جميع جزائر الأرض الأثنتا عشرة. وتكوّن من فضلات تلك المياه إناث، وكان النشوء الأوّل كلّهم ذكوراً.

وكان المدبّر تعالى قد ميّز من تلك المياه أصفاها وأشرفها وأفضلها، وساقه إلى أشرف البقاع في أوّل الكون، وهي جزيرة « سرنديب »، لأنها موضع الاعتدال من الأرض يومئذٍ. في تلك الخدد في تلك الجزيرة ثمانية وعشرون شخصاً هم في الشرف والفضل على سائر البشر بمنزلة الياقوت الأحمر في شرفه على الأحجار، وفيهم - أعني الثمانية وعشرين شخصاً - شخص واحد له عليهم من الشرف والفضل ما للياقوت الأحمر على الأحجار، وهو زبدة العالم وصفوته وخلاصه.

وهذا الشرف الحاصل لهذه الثمانية والعشرين شخصاً على سائر البشر وللواحد على السبعة والعشرين، وهو من أجل صفاء النيّة وكثرة الندم على الخطيئة عند دعوة العاشر لهم، فكان هذا الواحد هو صفوة العالم وزبدته وخلاصته وأشرفه، فلمّا ظهر من تلك الخدد كظهور أبناء جنسه، نظر من ذاته بذاته من غير معلّم ولا ملهم إلى العالم، فرأى سماءً مبنية وأرضاً مدحية وأصنافاً من الخلائق مختلفة.

فعلم بفكرته وهجم بذاته على الحقّ. فعلم أنّ له ولأبناء جنسه وللعالم كافّةَ مبدعاً هو بخلافهم، فنفى الألهيّة عنه وعنهم، وأقرّ بها لمبدعهم وشهد بها لخالقهم. فقام في العالم الداني مقام السابق الأوّل في العالم الروحاني. فاتّصل به قسطه من المادّة والتأييد عن السابق الأوّل بوساطة سائر العقول الابداعيّة وبواسطة حدّه الموجد له المستخرج له من عالم الطبيعة، الذي هو العاشر مدبّر عالم الطبيعة. فشرف بتلك المادّة التي واصلته على أبناء جنسه، وعلم بها ما كان وما سيكون »(٣٦٣).

---

(٣٦٣) أيضاً ص ١١٣.

« ثم انه ظهر في هذه المغارات الظاهرة منها تلك الأشخاص المذكرة، أشخاص اناث بعقبها على هيئتها لكنها أقلّ منها حرارة وأكثر برودة، وهيأت لها، ومثلث لها طلباً للمناكحة لظهور أمثالها من النشوء البشري الذي هو الغرض المقصود ».

فهذه هي خلقه العوالم الثلاث.

ومعلوم أن هذه الأفكار والآراء في خلقة الكون والبشر تخالف تماماً ما أخبر الله به في كلامه المحكم وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا نحتاج لاثبات ذلك إلى شواهد وبراهين من الكتاب فانها معلومة مشهورة لكل صغير وكبير، وجاهل ومتعلم.

المعـــاد

وامّا معتقدات الاسماعيلية في المعاد فلا تختلف عن عقائدهم في المبدأ وفي بُعْدها عن تعاليم الاسلام، المقتبسة من القرآن والسنة، بل اعتقاداتهم كلها مبنية على معتقدات الهندوس والمجوس واليهود والفلاسفة الملاحدة، والقائلين بالتناسخ والحلول، ونحن نحاول إثبات ذلك في هذا الفصل من كتب الحقائق للإسماعيلية ولو أنهم ينكرون هذه المعتقدات في كتب الظاهر ويردّون عليها، وننهج منهج الفصل السابق في هذا الفصل أي اختيار عبارات سهلة الفهم، غير معقدة ودقيقة كي لا يصعب على الباحث والقارىء إدراك الحقيقة التي هي مكتشفة ظاهرة، فنبدأ بالموت عند الاسماعيلية.

---

(٣٦٤) « الأنوار العظيمة » للحارثي اليماني ص ١٠١.

إلى اين يصير الانسان بعد الموت ؟

يعتقد الاسماعيلية أن الناس ينقسمون إلى قسمين : مؤمنين ومنحرفين، أو أولياء ومخالفين أو الأضداد، فالمؤمن والولي والصالح « من كان مقيماً على ولاية إمام الزمان، طائعاً للحدود، موحداً للمعبود، والمنحرف والمخالف والضد عن عاند حدود الدين، وأظهر المنافرة للحدود، وخرج عن ولاية إمام الزمان وطاعته، أو فارق حرم الدعوة الاسلامية وانعزل عنه وتشكك في الحق اليقين وخرج بعد دخوله فيه منه »[٣٦٥].

ثم كل واحد منهم على درجات في الموالاة والمعاندة.

فالمؤمنون على قسمين عند الحارثى اليماني تكون أحوالهم بعد الموت كما يبينه ويوضحه بقوله :

إن أهل الحق على ضربين، أحدهما : أهل المعارف الحقيقية، والعلوم الآلهية، والأعمال الصالحة، والموالاة لجميع الائمة من ناطق الدور ووصيه، إلى امام الزمان وحدوده، وهؤلاء هم الذين يكونون عند مفارقتهم لكثائفهم، الأعضاء الرئيسية من ذلك الهيكل النورانى الذي هو هيكل

---

(٣٦٥) « الذخيرة في الحقيقة » لعلى بن الوليد ـ الفصل السادس والعشرون ط دار الثقافة لبنان ١٩٧١ م.

الإمام (عليه السلام)، وعلى قدر مبلغ كل واحد منهم في العلم والمعرفة والولاء يكون علوه في ذلك الهيكل النوراني، ويتلوهم أهل الولاء المحض، والأعمال الصالحة في ذلك الهيكل، فيكون كل واحد منهم في موضعه الذي يستحقه هذه لطائفهم دون كثائفهم، فأما كثائفهم، فتكون محفوظة في أعز عز، وأحرز حرز، وذلك أنها تعود إلى السحيق، بعد مفارقة لطائفهم، ثم إلى المزاج والممتزج، ثم تعود إلى الأرض أمطاراً، ثم تلطف إلى أن تحلل بخاراً، ويصعد إلى فلك البروج في أماكنها، وينحدر ذلك من البروج إلى الأرض، ثم يصير تراباً سحيقاً، ثم ترتقى إلى أن تصير في القامة الألفية انساناً، وذلك الصاعد الكائن خلفاً للمنحدر، هو قسم اللحم والجلد والمخ والأعصاب والعروق، وأما قسم العظام فبقى في الأرض مدة طويلة بسبب صلابتها وشدتها، ثم ينحل شيئاً بعد شيء، ويصير بخاراً متلطفاً، ثم يصعد إلى المزاج والممتزج.

وينصب مطراً إلى البحار، والمغارات الطيبة من بقاع الأرض، فينعقد يواقيت ودررا ولؤلؤا، ويصير منقسماً إلى تيجان الملوك، وإلى خزانتهم وإلى أيدى الرجال وإلى نحور العذارى، وجميع ذلك بنظر من العناية الالهية، وتدبيرها وتركها كل شيء من ذلك في موضعه اللائق به. ولا يزال ذلك مصوناً معززا مكرماً محفوظاً محبوباً، عند الخلائق أجمع العالم منهم والجاهل والولى والمتكبر برهة من الدهر إلى أوان عودته، ثم يصير إلى السحيق، ويرتقى شيئاً بعد شيء إلى أن يظهر بالقامات الألفية شخوصاً انسانية، وقد تتخمر منها لها وانفعل بتدبير الكواكب ونظر من العناية الالهية نفوس كالأولة وقد تطلفت وانفعلت وهي أحد أعضاء تلك الأجسام عضو من أعضائه الشريفة، قد اذن له بالخلاص والصعود فيتلطف ويتخمر وينفعل ويقبل، فيكون نفسا لذلك الجسم تقديراً من حكيم جميل.

فعند كمال هذه الأشخاص وبلوغها الحلم تدعى فتجيب ويؤخذ عليها العهد الكريم، وترتقى في الرتب الدينية والمعارف الحقيقية شيئاً بعد شيء من غير أن يدخلها شك ولا يعرض لها شبهة بل تكون جارية في مضمار

الصعود، سالمة من العوائق والدواجن إلى أن يبلغ مالها أن تبلغه وهو مبلغها الذي بلغته في أول وهلة عند كونها وظهورها بالجثة الابداعية لا قصورها عن ذلك المبلغ، ولا نفوذ لها عنه بل لكل واحد بلوغ رتبته التي كانت، فالباب يعود بابا، والحجة يعود حجة، وداعى البلاغ يعود داعى البلاغ، والداعى المطلق يعود داعياً مطلقاً، والمحصور محصوراً والمأذون المطلق مأذوناً مطلقاً، والمحصور محصوراً والمؤمن البالغ مؤمناً بالغاً، والمستجيب مستجيباً وكل على حالته الأولى لا يعدوها وإن بلغ في العلم فوق ما كان مبلغه قادماً فلا صعود له عن تلك الرتبة أبداً، ولا يزالون كذلك كلما صفت نفس وصعدت إلى عالم الصفا، انبعث في جسمها المتخلف نفس أخرى بتدبير المدبرات ونظر من العناية الالهية، تلك النفس المنبعثة هي عضو من أعضاء ذلك الجسم، قد استحق الصعود، فنظر إليه وعنى فيه حتى استخرج نفسا لذلك الجسم، واتصل به من مركز الحس ما يلائمه عند الولادة الجسمانية، فيكونان ذاتاً واحدة على ما سبق به القول. وهؤلاء هم الذين أعرب عنهم الكتاب الكريم بقوله تعالى «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» ولما بلغوا هذه المبالغ الشريفة فلم يكن لهم أن يخالفوا شيئاً مما انتظمته هذه الآية، اذ هي سماتهم ظاهرها وباطنها لا سمات غيرهم، جعلنا الله ممن خص بهذه السمات، ولا عدل بنا عنهم، بحق محمد وآله الطاهرين.

أما الضرب الثاني فهم أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية، والحكم الالهية، التاركون للعبادة الظاهرة، الممتدة أيديهم إلى شيء مما حظرته الشريعة، فيكون ولاؤهم وما علموه من علم، غير ضائعين، إنما ارتكابهم لتلك المحظورات، وقطعهم للأعمال الموضوعات حجاب، قد حجب بين نفوسهم وبين أكثر المعارف الحقيقية، والأنوار الالهية، فلم يتصلوا منها إلا بأيسر شيء، فتجوهرت به نفوسهم، وفارقت موضوعاتها

عند نقلتها، فيكون من ذلك الهيكل النوراني، والمقام الألهي القدساني، منها ما هو بمنزلة الظفر من الجسم، ومنها ما هو بمنزلة الشعر، ومنها ما هو بمنزلة سفالة القدمين، وكل منهم على قدر ما يستحقه يكون موضعه من ذلك الهيكل الشريف، وعلى قدر الأعمال والعلوم. وصدق الولاء لناطق الدور ووصيه والأئمة من ولدهما، وامام الزمان خصوصاً، وحدود دينه ـ يكون التفاصيل عدلاً من الله تعالى، وكذلك يكون تفاضل نفوسهم الريحية، أعني الفريقين جميعاً في الناسوت الذي هو غلاف ذلك الهيكل النوراني حذوا بحَذو، ولا تغادر فيه صغيرة ولا كبيرة.

وأما أجسام هؤلاء، فلا بلوغ لها إلى مبالغ أجسام أهل الضرب الأول، بل تبقى مرتهنة بتلك الأفعال القبيحة التي تعدت إليها واقدمت عليها من غير حلها، فيقتص منه بجميع ما أسلفته وفعلته من قليل وكثير ويسلك بها في شيء من صرط العذاب، ومطامير العقاب الأدنى، وتعرق بالنار المصفية إلى أن يكمل ما عليها من المظالم، واستؤنف بها العمل والترقي إلى أن تظهر إلى القامة الألفية، من السحيق والمزاج والممتزج، ثم إلى الأغذية والنطف على ما سبق به القول، ثم تدعي فتجيب، وتتصل إلى حدها الذي بلغته أولاً »[٣٦٦].

هذا ومثل هذا في رسالة المبدأ والمعاد[٣٦٧].

وأيضاً في كتاب (الذخيرة في الحقيقة) لعلى بن محمد بن الوليد المتوفي ٦١٢ هـ[٣٦٨].

---

(٣٦٦) « الأنوار اللطيفة » للداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني المتوفي ٥٨٤ هـ ص ١٣١ إلى ١٣٣، الباب الثالث من السرادق الثالث الفصل الأول إلى الفصل الرابع ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م.

(٣٦٧) انظر ص ١١٦ ومابعد من (سه رسالة اسماعيلي) تصحيح المستشرق الفرنساوي هنري كربين.

(٣٦٨) انظر ص ١٢٥.

وذكر ذلك أيضاً الداعي الاسماعيلي على بن حنظلة المتوفي سنة ٦٢٦ هـ في كتابه (سمط الحقائق »[٣٦٩].

وأيضاً إبراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه (كنز الولد)[٣٧٠].

وأما معاد المخالفين أو المنحرفين أو الأضداد فيقولون:

«انّ المخالف للحقّ المعادي تحصل عنده من عداوة أهل الحقّ وأعمال أهل الشرّ صورة ظلمانيّة. فإذا كان عند موته تجرّدت له تلك الظلمة، فأفزعتْه وارعبتْه، واستوحش منها وارتاع بالترائي. وذلك أوّل عذابه، كما أنّ سرور المؤمن بترائي صورته واشراقها عند موته أوّل ثوابه. ثمّ أنّ تلك الصورة الظلمانيّة تفارق نفس الضدّ، وتجول في الأفق، تطلب الصعود، فلا يمكنها؛ وتطلب الرجوع إلى ذلك الجسم، فلا يمكنها. فتجول في الهواء. . . إلى أن يوافق من يستحقّ أو يحلّ فيه من امرأة جاهلة أو صبيّ أو من يشاكله؛ فيداخله ويصرعه ويصير ينطق على لسانه ويوسوس له ويأمر بالمعاصي، وربما زال عنه، وربّما لازمه إلى أن يموت ذلك المصروع.

وفارقه ذلك التصوّر، وصار يأوي مع أشكاله من الصور الخبيثة إلى البوادي والقفار وإلى المواضع الوسخة والبواليع والسواقي والشعاب، ويتراءى للناس في مناماتهم، ويحرّضهم على أفعال الخنى وعداوة الحقّ. وهذه الصور هم الجنّ المذمومون والشياطين والعفاريت المتمرّدون الضارّون للبشر المحدثون فيهم الأحداث والصرع، الذين تطردهم الرقي والعزائم وقراءة القرآن، فيهربون وينصرفون به.

ولا يزال كلّ صورة منهم تجول في الأماكن الموحشة ما شاء المدبّر. ثم تصعد بعد ذلك إلى ذنب التنّين، وهي ظلمة تسمّى الرأس، والذنب خارجة من نطاق الفلك، وأصلها من أخسّ تلك الظلمة الهابطة بالخطيئة

---

(٣٦٩) انظر ص ٤٧ ومابعد.

(٣٧٠) انظر الباب الثالث عشر من كتاب (كنز الولد) ص٢٩٤ وما بعد.

من عالم الابداع. وهذه الظلمة - التي هي الرأس - والذنب هي مغناطيس لهذه الصورة الشيطانيّة الخبيثة لما بينهم من المناسبة، وهي مركزها، فتقيم هنالك، ويكون فيها من الأفعال الضارّة بالعالم ما يطول شرحه.

ثمّ يصير بعد ذلك إلى برزخ العذاب الأدنى، ثمّ إلى العذاب الأكبر. فربّما أن يكون منهم من ذنوبه قليلة، فيجيب دعوة بعض الأنبياء - عليهم السلام - فيسلم ويقيم يخدم كما هو مجرّد في معونة الأولياء وتخليص من وقع في شدّة منهم. ثمّ إذا وفى واستحق المجازاة، لحق بالسحيق. ثمّ جاء في برازخ الصعود المحدودة من المعدن والنبات والحيوان إلى أن يحصل في الصور البشريّة. ثمّ يستجيب ويصعد. وهذه جملة القول في التصوّر». هذا معاد النفس، وأما معاد الجسم فيقول:

القول على معاد جسم الضد ونفسه. وذلك أنّه إذا فارقه التصوّر وقبر جسمه، بعد أن تشيع نفسه فيه ولا تفارقه، فإنّ نفسه تشيع في جسمه ولا يفارقه غير التصوّر، وباقي النسيم الذي كان يستنفسه - وهو يسمّى نفساً هوائيّة - تفارق أجسام الحيوان كلّها عند الموت، فإذا دفن وأنتن وتمزّق في التراب، لحق كلّ قسم منه بقسم من الأمّهات: بخار الصفراء بالنار، والدم بالهواء، والبلغم بالماء، والسوداء بالتراب... بقدرة المدبّر تعالى.

ثمّ يجتمع ما صعد منه، فيكون مطراً ويقع في جملة غيره، ويلحق ما ينحلّ منه إلى التراب الذي بقي منه. فيكون منه نبات يغتذى به بعض من يستحقّ أن يكون عنده ويعبّر منه من أجناس برازخ العذاب. فأوّلها مثل الزنج ومن يشاكلهم. فإذا اغتذى الذكر والأنثى بشيء منه، ظهر ذلك الغذاء خبيثاً مثل والديه ويقيم مدّة ما يستحقّ الاقامة. ثمّ يموت وتشيع نفسه في جسمه، وهي تعكس أوّلاً، وتصير عند العودة نفسه في جسمه قد تكثّفت بالمعاصي، فتصير جسماً له. ثمّ يموت وينحلّ مثل المرّة الأولى، ويصير نباتاً، ويغتذيه من يستحقّ الكون عنده مثل النسناس والعذار والدبّ.

ثمّ يموت بعد ذلك ويستحيل مثل المرّة الأولى، ويصير إلى أسفل من ذلك يغتذيه مثل القرد والكلب؛ وجملة القول أنّه يصير في سائر الصورة

المذمومة من الحيوان. ثمّ إذا استوفى <. . . > في برازخ العذاب في النبات، يصير نباتاً سمّاً قاتلاً مهلكا. فكلّما استحال وتهشّم، صار إلى أسفل من ذلك، إلى أن يستوفي برازخ النبات. ثمّ يرجع إلى المعادن المذمومة مثل الزاج والكبريت والحديد والرصاص وما يشاكل ذلك. ثمّ يستوفي ما يستحقّه في المعادن. . . وهذا يختص بالأضداد الكبار وأهل المعاصي الكبار والخبثاء الأشرار. فأمّا سائر الهمج والرعاع، فلا يصلون إلى ذلك لعدل الله سبحانه، لأنّه يجازي كلّ أحد بقدر فعله، بل إنّ الميت من الهمج والرعاع إذا مات، شاعت نفسه في جسمه ولم يفارقه إلّا الهوائيّة التي ذكرت. ثمّ يتحلّل ويصير من البرازخ المذكورة فيما يستحقّه منها على قدر عمله، ان استحقّ بعضها أو كلّها. ثمّ يرجع صاعداً بالاستحالة والولادة إلى الصور البشريّة، وتعرض عليه الدعوة. فإن استجاب، خلص؛ والّا، ردّ إلى ما يستحقّه باكتسابه في المرّة الثانية، لأنّ العدل لا يظلم العباد ولا يخلف الميعاد، والغرض كلّه في انشاء الخلقة استخلاصها ممّا وقعت فيه من الخطيئة والإنكار. فمن تخلّص صعد، ومن أبى وعاند الحدود، ارتكس وهبط»[371].

ومثل ذلك ورد في (الأنوار اللطيفة) لطاهر بن إبراهيم[372].

وأيضا في (الذخيرة في الحقيقة) لعلي بن الوليد[373].

وأيضا في (كنز الولد) لإبراهيم الحامدي[374].

وورد مثله كذلك في كتاب فارسي (هفت باب أبو اسحاق) للداعى أبو اسحاق قوهستاني[375].

---

(371) «رسالة المبدأ والمعاد» ص١٢٥ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي» الفصل الخامس.

(372) انظر الباب الرابع من السرادق الثالث ص١٣٥ وما بعد.

(373) انظر الفصل السابع والعشرين بعنوان (مصير المخالفين) ص١٢٦ وما بعد.

(374) انظر الباب الرابع عشر ص٢٩٤ وما بعد.

(375) انظر باب ششم بعنوان (در بعد عودن روحاني وجسماني ومبدأ ومعاد) ط مطبعة حيدري طهران ١٩٥٧م.

وأيضا في كتاب فارسي آخر (سي وشش صحيفة) للداعي سهراب ولي بدخشاني(٣٧٦).

وقد نظم هذا الاعتقاد الداعي علي بن حنظلة في كتابه سمط الحقائق(٣٧٧).

وانظر لذلك أيضا (مسائل مجموعة من الحقائق العالية)(٣٧٨).

الحلول والتناسخ

وهذه هي عين عقيدة التناسخ، وعين ما يعتقده الهندوس، ومعلوم أنه قل من يؤمن بعقيدة التناسخ ولا يؤمن بالحلول.

ولقد أقرّ بهذه العقائد وجاهر بها الأئمة الاسماعيلية المعصومون ـ حسب زعم القوم ـ ودعاتهم البارزون في كتب الحقائق، ولو أنهم ظاهروا مخالفة هذه العقائد وعدم الإيمان بها في كتب الظاهر، واتهموا مخالفيهم بأنهم هم الذين كذبوا عليهم، وألصقوا بهم التهم الكاذبة المختلقة باعتقادهم مثل هذه العقائد وأنهم منها براء، وقد انخدع بأقوالهم الظاهرة بعض من كتب عنهم من المسلمين والمستشرقين لعدم التعمق في كتبهم السرية أو كتب الباطن كما يسمونها.

وها نحن ننقل اثباتا لما قد ثبت فيما مرّ نصوصاً صريحة في معتقداتهم الحقيقية الأصلية التي طالما خفيت على الناس في هذا الخصوص زيادة على ما

(٣٧٦) انظر ص٥١ ط مطبعة قيهان طهران.
(٣٧٧) انظر ص٤٨ وما بعد تحت عنوان (القول على المعاد المذموم).
(٣٧٨) انظر ص٥٦ من أربعة كتب اسماعيلية.

أوردناها في معاد المؤمنين والمخالفين، فينقلون عن علي رضي الله عنه ـ وهو الأساس القائم مقام الله عند الاسماعيلية ـ[٣٧٨] أنه قال:

«أنا ومحمد نور واحد من نور الله... أنا صاحب الرجفة، صاحب الأيات... أنا أهلكت القرون الأولى، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون... أنا الكتاب... أنا اللوح المحفوظ... وأنا القرآن الحكيم... أنا محمد ومحمد أنا... ان ميتنا لم يمت وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد... وأنا الذي نجيت نوحا... ونطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم، وشيث، ونوح، وسام، وإبراهيم، واسماعيل، وموسى، ويوشع، وعيسى، وشمعون، ومحمد، وإنا كلنا واحد... أنا أحيي وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرىء الأكمه والأبرص... وكذلك الأئمة المحقون من ولدى، لأنا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان»[٣٨٠].

وكيف يمكن أن يكون الشخص الواحد متشخصا في أشخاص عديدين، ومتصورا هذه الصور الكثيرة؟ يجيبون عليه بقولهم:

إن الأئمة يتشخصون للبشر كيف شاءوا بأي شخص أرادوا على ما يقتضيه الزمان وتوجبه سياستهم. وظهور مولانا اسماعيل بن جعفر صلوات الله عليهما معجزة أظهرها ليبين بها فضله وعالى رتبته، وذلك مما أقدرهم عليه المحتجب بهم فاعلم ذلك»[٣٨١].

هذا ولقد أورد الاسماعيلي المعاصر مصطفى غالب في كتابه الدعائي (تاريخ الدعوة الاسماعيلية) خطبة كاملة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعدما قدمها بهذه العبارة:

---

(٣٧٩) انظر «راحة العقل» ص٥٧٧ وغيره من الكتب. كما بيّنا ذلك في باب الوصي والوصاية من هذا الكتاب.

(٣٨٠) «زهر المعاني» للداعي ادريس عماد الدين الباب السابع عشر ص ٧٤ وما بعد من (المنتخب من بعض الكتب الاسماعيلية) لأيوانوف ط اجمل بريس يومبيء.

(٣٨١) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٢٠ من أربعة كتب اسماعيلية.

«وقد تمكنت من الحصول على نسخة خطية من خطبة البيان المشهورة أقدمها للقراء نظراً لما لهذه الخطبة من مكانة سامية في القلوب»(٣٨٢).

وذكر أنه نقل هذه الخطبة من كتاب (رسالة مختصرة في تحقيق اعتقاد الاسماعيلية) للداعي الاسماعيلي سليمان درويش كما ذكر الناشر أنه يوجد لها مخطوطتان بباريس أرسل إليه صورة عنهما(٣٨٣).

وهذا نص الشاهد من هذه الخطبة الطويلة، نورده بتمامه لما له من أهمية، ولما للخطبة من مكانة سامية في قلوب الاسماعيلية، فينقلون عن على رضى الله عنه أنه قال بعد كلام طويل:

«أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، انا أنيس المسبحات، أنا خليل جبرائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا سائق الرعد، أنا شاهد العهد، أنا سرير الصراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الديجور أنا البيت المعمور، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب، أنا نور الغياهب، أنا شرف الدواثر، انا مؤثر المآثر، انا الميثاق، انا عصام الشواهد، انا سهام الفراقد، انا شعاع العساعس، انا جوف الشوامس، انا فلك اللجج، انا حجة الحجج، انا الأمم، انا فضيل الزمم، انا سبب الاسباب، انا امين السحاب، انا مسود الخلائق، انا محقق الحقائق، انا جوهر القدم، انا مرتب الحكم، انا منية الأمل، انا عالم العوالم، انا شريف الذات، انا محدث الشتات؟ انا الاول والآخر، انا الباطن والظاهر، انا البرق اللموع، انا السقف المرفوع، انا قمر السرطان، انا زحل الشواقب، انا غفير الشرطين، انا ميزان البطين، انا حمل الا كليل، انا عطارد التفصيل، انا قوس العراك، انا خرقد السماك، انا مريخ القرآن، انا عيوق الميزان، انا حارس الاستراق، انا جناح البراق، انا جامع الآيات، انا سرير الخفيات، انا ساجر البحر، انا قسطاس القطر، انا صاحب الحديد، انا امير

---

(٣٨٢) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٤٤ لمصطفى غالب ط دمشق سورية.
(٣٨٣) أيضاً ص ٢٢٩.

النيرين، انا محط القصاص، انا خلاصة الاخلاص، انا شملال الخيال، انا مقدم الآمال، انا مفجر الانهار، انـا معذب الثـمار، انا مفيض الفـرات، انا معرب التوراة، انا ملك ابن ملك، انا هدية الملك، انا مبين الصحف، انـا يافث الكثف، انا ذخيرة الشكور، انا مفصح الزبور انـا مؤول التأويـل، انا مفسر الانجيل، انا أم الكتاب، انا فصـل الخطاب، انـا صراط الحمد، انـا اساس المجد انا منجد البررة، انا فصول البقرة، انا مثقل الميزان، انا صفـوة آل عمـران، انا علم الأعـلام، انا جملة الانعـام، انـا تبيـان النسـاء، ألفـة الآلاف، انا رجل الاعراف، انا محجة القال، انا صاحب الانفال، انا مائدة الكشف، انـا توبـة الثقف، انا صـادق المثـل، انـا راسـخ الجبـل، انـا سر ابـراهيم، انا ثعبـان الكليم، انا عـلانية المعبـود، انا صف هـود، انـا نخلة الخليل، انا مبعوث بني إسرائيل، انـا مخاطب الكهف، انـا محبوب الصف، انا ولي الاولياء، انا ورثة الانبياء، انا حجة الحجج، انـا موصـوف المؤمنين. انا نور المسبحـين. انا الفـرقان، انـا البرهـان، انا عقـود الكرهن، انـا عماد المركن، انا امير الترك، انا شملاص الشرك، انـا جنبثا الـزنج، انـا جرجس الفرنج، انا عقد الايمان، انا زركم الفيلان، انا بـرستم الروس، انـا لولش الشـدوس، انا سلمـه المكا، انـا دودين الحكا، انـا بدر الـبروج، انا شنشـا الكـروج، انا حـاتم الأعاجم، انـا دوشان الـتراجم، انا أوربـا الزبـور، انا حجاب العقور، انـا إيليا الأنجيـل، انا جنـة الغزاة، انـا كاسي العـراة، انا مؤاخي يوشع وموسى، انا ميمون رضي عيسى، انا دمـلاخ الفرس، انـا عماد الانس، انا شديـد القوى، انـا حامـل اللواء، انا إمـام المحشر، انا سـاقي الكوثر، انا قسيم الجفان، انا مشاطـر النيران، انـا يعثوب الـدين، انا إمـام المتقين، انا وارث المختار، انا مبيد الكفرة، انا نور الائمـة البررة، انـا قالـع الباب، انا مفرق الأحزاب، انا صاحب البيعتين، انا رب بـدر وحنين، انـا حـافظ الكلمات، انـا مخـاطب الأمـوات، انـا مكلم الثعبـان، انـا رب آلاء الرحمن، انا الضارب بالسيفين، انا الطاعن بالرمحين، انـا ليث الزحـام، انا إنس الهوام، انا الجـوهرة الثمينـة، انا بـاب المدينـة، انا وارث العلوم، انـا هيولي النجوم، انا مفسر البينات، انا أمانـة ياسين، انا حـاء الحواميم، انـا

سابق الزمر، انا آية القمر، انا صاحب النجم، انا جانب الطور، انا باطن الصور، انا عتيد قاف، انا وازع الاحقاف، انا منازل الصافات، انا سهام الذاريات، انا فاطر النافعة، اتا متلو سبأ والواقعة، انا أمانة الأحزاب، انا مكنون الحجاب، انا وعد الوعيد، انا مثال الجديد، انا وفاق الأفاق، انا علامة الطلاق، انا النون والقلم، انا مصباح الظلم، انا سؤال متى، انا ممدوح هل أتى، انا النبأ العظيم، انا الصراط المستقيم، انا زمام الطول، انا محكم الفضل، انا عذوبة الفطر، انا هلال الشهر، انا لؤلؤ الاهداف، انا جبل قاف، انا سر الحروف، انا نور الظروف، انا الجبل الراسخ، انا العلم الشامخ، انا مفتاح الغيوب، انا مصباح القلوب، انا نور الارواح، انا روح الاشباح، انا الفارس الكرار، انا نصرة الأنصار، انا السيف المسلول، انا الشهيد المقتول، أنا جامع القرآن، أنا تبيان البيان، أنا شقيق الرسول، انا بعل البتول، انا عمود الإسلام، انا مكسر الاصنام، انا صاحب الاذن، أنا قاتل الجن، انا ساقي العطاش، انا نائم الفراش، انا شيث البراهمة، انا سعد اليعاقبة، انا ازوهن البطارق، انا كور المفارق، انا بطرس الروم، انا سيد الاشموم، انا حقيق الارمن، انا أمين المأمن. انا صالح المؤمنين، انا إمام المعلمين، انا غاب الكنور انا مشكاة النور، انا إمام الفتوة، انا كنز اسرار النبوة، انا المطلع على اخبار الاولين، انا صاحب الآية، انا قطب الاقطاب، انا حبيب الاحباب، انا مهدي الزمان، انا عيسى الاوان، انا والله وجه الله، انا اسد الله، انا سيد العرب، انا كاشف الكرب، انا الذي قيل في حقه، لافتى إلا علي، انا الذي قيل في شأنه انت مني بمنزلة هارون من موسى، انا ليث بني غالب، انا علي بن أبي طالب»[٣٨٤].

وهذه الخطبة ليست بغريبة بألفاظها ومدلولاتها على من تعمّق في العقائد الاسماعيلية وسبر غورها، وصابر على إكتشاف أسرارها من الكتب السرّيّة

---

(٣٨٤) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص ٤٤، ٤٥، ٤٦، وأيضاً ص ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، انظر كذلك «الانسان الكامل» للدكتور عبدالرحمن بدوي ص ١٣٩ وما بعد، الطبعة الثانية ط وكالة المطبوعات الكويت.

الباطنية التي لازالت محرّمة على عامة الاسماعيلية وخاصتها، اللهم الا من أذن له وصار من أخص الخواص، وأقرب المقربين إلى الدعاة المطلقين الذين لهم النيابة المطلقة للأئمة المعصومين ـ فضلا عن غير الاسماعيليين أو المخالفين والأضداد والمنحرفين حسب مصطلحات القوم.

فهاهي الشواهد لهذه الخطبة من الكتب الاسماعيلية الأخرى، والنصوص التي تثبت عقيدة القوم في التناسخ والحلول. يروى جعفر بن منصور اليمن عن جابر الجعفى أنه قال:

«سمعت سيدي ومولاي أبا جعفر الباقر محمد بن علي صلوات الله عليه يرفع هذا الخبر عن آبائه عن أمير المؤمنين أنه قام على منبر الكوفة فقال:

أيها الناس أنا المسيح الذي أبرىء الأكمه والأبرص، وأخلق الطير، وأذهب الغمام ـ ومعنى ذلك المسيح الثاني ـ أنا هو وهو أنا. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين التوراة أعجمية أم عربية؟.

فقال: بل أعجمية وتأويلها عربي، ان المسيح هو القائم بالحق، وهو ملك الدنيا والآخرة، ويصدّق ذلك قول الله عز وجل: ﴿**والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا**﴾، وعيسى بن مريم هو مني، وأنا منه، وهو كلمة الله الكبرى، وهو الشاهد وأنا المشهود على الغائبات»(٣٨٥).

وذكر أيضاً:

«وعاد وثمود، وقوم ابراهيم وقوم نوح، الأول منهم أبوبكر، الثاني منهم عمر، الثالث منهم عثمان، الرابع منهم طلحة، وأصحاب مدين وأصحاب الرس أصحاب الجمل والنهروان، وأصحاب فرعون موسى معاوية وأصحابه بنو أمية، والكور الثاني فرعون وهامان وقارون الأول أبوبكر، الثاني عمر، الثالث عثمان، وكذا في كل قرن، ألا ترى إلى قوله: (فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان نكير).

---

(٣٨٥) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن نشر شتروطمان ص ٨ ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٢م.

ومن ذلك أن رجلا من الشيعة قام إلى أمير المؤمنين وهو يخطب بالكوفة فقال: يا مير المؤمنين ما لقيت من هذه الأمة؟

فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الذي لقيت من الأمم السالفة أكثر مما لقيت من هذه الأمة، فوجب على قوله أنه هو الأول والآخر»(٣٨٦).

وقال المؤيد الشيرازي:

«ان عليا رضى الله عنه هو قسيم الجنة والنار، على الكرار، ليث يوم الهياج، وضوء صاحب المعراج، مبطل الأبطال، والقائل وهو أصدق من قال: انا الزلزال والخسوف، وأنا مروع الألوف، من ذا الذي يناطقني أو يفاخرني، أو يرد على قولي»(٣٨٧).

ومثل ذلك يروون عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«أنا من نور الله نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم وشيث ونوح وسام وابراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد كلّنا واحد، من رآنا فقد رآهم... أنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق، وأبرىء الأكمه والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم باذن ربي، وكذلك الأئمة المحقون من ولدى لأنا كلنا شيء واحد»(٣٨٨).

هذا ولقد نقلنا مناجاة المعز لدين الله من كتاب الداعي ابراهيم، وفيها يقول الامام الاسماعيلي المزعوم صراحة:

«إلهي كنت رتقك قبل أن تظهر في بفتقك، وأوجدت عنى خلقك، وصدّرت عني دنياك... ولست أنابك متصلا ولا عنك منفصلا... اني كما أنت عظيم في سلطانك، وأنا قدرتك وبرهانك وارادتك ومكانك، وأنت أنا

---

(٣٨٦) أيضاً ص ١٠، ١١.

(٣٨٧) «المجالس المؤيدية» للشيرازي المجلس السابع والثلاثون المائة الأولى ج ١ ص ١٨٥ ط بيروت.

(٣٨٨) «كتاب بيت الدعوة الإسلامية» نسخة خطية ص ١٠ نقلا عن «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٨١ و ٨٢ لمصطفى غالب.

بحيث أنا في القدرة والعظمة، وحيث أنا خلقت بقدرتك أولياءك، وبدعت أنبياءك... فأنت بي باطنا، وأنا بك ظاهراً... الهي، ظهرت الموجودات كلها بي، واخترعت مني كل رسول ونبي - إلى آخر الكلام»(٣٨٩).

ويقول في فصل من فصول هذا الكتاب نقلاً عن راشد الدين بن سنان السوري الداعي الاسماعيلي الكبير أنه قال:

« أيها الرفقاء غبنا عنكم غيبتين، غيبة تمكين، وغيبة تكوين، واحتجبنا عن أرض معرفكتم فضجّت الأرض وتقلقلت السموات وقالت يا بارى البرايا الغفور فظهرت بآدم، وكانت الدعوة حواه فحوينا على قلوب المؤمنين الذين ضجّت أرض قلوبهم شوقاً الينا، فنظرنا في سمآء نفوسهم رحمة منّا، فمضى دور آدم ودعوته ونفدت رحمةَ منّا في الخلائق حجته ثم ظهرتُ بدور نوح، فغرقت الخلائق في دعوتي فنجا برحمتي ولطفي من آمن بمعرفتي وهلك من الخلائق من انكر حجتى.

ثم ظهرت في دور ابراهيم على ثلاث مقالات كوكب وقمر وشمس خرقت السفينة وقتلت الغلام، واقمت للجدار جدار الدعوة فنجا بلطفى ورحمتى من آمن بدعوتي. وخاطبت موسى بخطاب ظاهر غير محجوب وانا باب للسائل هارون ثم ظهرت بالسيد المسيح فمسحت بيدي الكريمة عن اولادي الذنوب فأوّل تلميذ قام بين يَديَّ يوحنا المعموداني، وكنت بالظاهر شمعون ثم ظهرت بعليّ الزمان وسترت بمحمّد وكان المتكلّم عن معرفتي سلمان، ثم ذرّابو الذرّ الحقيقي في أولاد الدعوة القديمة بقيام قائم القيامة حاضراً موجوداً فما تمّ لكم الدين حتّى ظهرت عليكم براشد الدين فعرفني من عرفني وأنكرني من أنكرني فالحق جار والمحقون جارون، معهداً في كل دور وزمان.

---

(٣٨٩) «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية»، كتاب الداعي ابراهيم ص ٤٨ وما بعد تقديم المستشرق الفرنساوي كويئارد ط امبيريل نيشنل بريس - باريس ١٧٨٤م.

وأنا صاحب الكون ما خلت الدار من افراخ القدم انا الشاهد والناظر، وليّ الرحمة في الأوّل والآخر، فلا يغرّنّكم تقلّب الصور، تقولون فلان مضى وفلان اتى اقول لكم أن تجعلوا الوجوه كلّها وجهاً واحداً ما يكون في الوجود حاضراً موجوداً صاحب الوجود لا تخرجوا عن أمر وليّ عهدكم من عربها وعجمها وتركها وورومها فانا المدبّر وليّ الامر والارادة، فمن عرفني باطناً قد تمسّك بالحق ولا تكمل معرفتي بغير ما اقول عبدى أطِعني وأعرفني حقّ معرفتي اجعلك مثلى حياً لا تموت وغنياً لا تفتقر وعزيزاً لا تذّل اسمعوا وأدعوا تنتفعوا انا الحاضر وأنتم الحاضرون بحضرتى أنا القريب الذى لا أغيب فان عذبتكم فبعدلى، وان عفوت عنكم فبكرمى وبفضلي، أنا صاحب الرحمة ووليّ الغفر والحق المبين، والحمد لله ربّ العالمين »(٣٩٠).

ونقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من عرف نفسه عرف ربّه، وأيضاً عرفت ربي بربي، فقال : أشار لأنك لست أنت، إنما أنت بالهو أنت، لا هو داخل فيك، ولا هو خارج منك، ولا أنت خارج منه »(٣٩١).

وبمثل ذلك نقل القاضي النعمان في كتاب ظاهري بطريق غير مكشوف عن المعز لدين،أنه قال :

« نحن النجباء الأبرار المصطفون الأخيار . . . خصصنا بولادة النبي والوصي، وأورثنا الامامة، وأعطينا الكرامة، وفضلنا على العالمين، ولو شئنا أن نقول : كنا مع آدم لقلنا »(٣٩٢).

---

(٣٩٠) أيضاً ص ١٧ ومابعد.

(٣٩١) أيضاً ص ٦٦.

(٣٩٢) « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان المغربي المكنى بأبي حنيفة ص ٢٠٩، ٢١٠ ط تونس ١٩٧٨ م.

« وبمثل ذلك ذكر القلقشندي عن ابن المعز العزيز بالله :

« أنا ابن رسول الله غير مدافع   تنقلت في الأدوار من قبل آدم »(٣٩٣)

وهناك روايات أخرى كثيرة أوردها الداعي الاسماعيلي الأجل ابراهيم بن الحسين الحامدي، وغيره تدل دلالات واضحة على التناسخ والحلول، منها ما ذكرنا في مختلف الفصول، ومنا عبارات نوردها ههنا، يقول ابراهيم الحامدي :

« قال مولانا الصادق صلوات الله عليه : ظاهرنا امامة، وباطننا غيب لا يدرك. وقد روى أن مولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلّم ظهر لسلمان ولأبي ذر بالنورانية. وكذلك مولانا الحسين صلى الله عليه وسلّم، ظهر لجابر بن عبد الله. وكذلك الباقر صلى الله عليه وسلّم، سأله سائل عن ظهور موالينا الميم والعين. فأخبره وظهر له فيهم كظهورهم. وما ظهر أحد منهم بتلك الصورة الأولة إلا ويقول عند تمام فعله ؛ لا تدعونا آلهة، وقولوا في فضلنا ما شئتم أن تحتمل عقولكم ذلك، إن هذا إلا بعض آيات ربك، ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا.

وقد وصف ذلك صاحب الأبيات في كتاب الابتداء والانتهاء واصفاً للصورة الروحانية وللصورة الغلافية بصفات حقيقة خيث يقول شعراً :

باهر المعجزات لله والله   ـه لها فاعل وليس سواه
مثلوه بما يُرى فيه جهراً   ثم قاسوه بالذي قد نراه
بعد ما أعلم الورى أنّه الفا   عل لا غيره تعالى علاه
يحجب الحجب عندما يظهر الأمـ   ـر على الخلق والحجاب خداه
إن ذاك المثال ممثوله المحـ   ـدث أبداه للعيون تراه
عزّ من في ضياه يبصر الشكل   وجهل الجهول عنه عماه
فإذا ما الغطاء زال عن الخلق   فثم المريد يعطي مناه

(٣٩٣) نقلا عن هامش « المجالس والمسايرات » ص ٢١٠.

وقال أيضاً :

خاب من لم يراكم فيرى اللـ ... ـه عيانا بمن تمثل فيه
أنتم للعيون حجب إذا ما ... وحد الخلق منكم من يليه
فمتى أظهر العظيم عظيماً ... غيب الحجب فاعلاً بالشبيه
منكم الملَك والملائك فيكم ... يا غيوبا من البناء البنيه

وكذلك قال مولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم في الحجاب، ما هو البرهان :

نحنُ في الله لا حلول ولكن ... مثل ما في الضياء ينظر ظلا
نحن أجزا مطالع النور لما ... طلع النور بالمغيبِ كلاّ
نحنُ لا في الورى لآل خفي ... وبذاك الخفي يشرق إلاّ
نحن أدنى البيوت منكم وفيكمْ ... من علينا من الغيوب تدلىً
نحن منكم لكم وفي النور نور ... عزّ من يستمد منه وجلاّ

وقال بعض الحدود البلغاء قس وغفر له :

« بالميم والعين والحائين والفاء ... نيلي لما أنا راجيه والفائي
بالخمسة الحجب اللاتي بها احتجبت ... ذات الذوات فأبدت نور لألاء
مطالع النورِ من كانَ الظهور بها ... للمنصت السامع الواعي وللرائي
تلك المقامات عند العارفين بها ... وسيلتي في معادي يوم رجعائي »[٣٩٤].

وأيضاً :

« هم الأولى بهم تجلّى ربنا ... لخلقه سبحان من عز وجل »[٣٩٥].

وهناك عبارة أخرى :

« فان النفوس الطاهرة الفاضلة من الحدود المؤمنين اذا فارقت

---

(٣٩٤) « كنز الولد » ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧٠ .
(٣٩٥) أيضاً ص ١٩٨ .

أجسامها، وصعدت في الأسباب وتدرجت في دخول الأبواب، ارتقاء إلى أن تبلغ الباب الذي هو مجمعها، وبرزخها الأدنى فإن العناية الإلهية تعمد إلى تحريك الشمس لسريان قواها إلى أجسامهم الشفافة، عند نقلة كل شخص منهم، فتخمرها وتمزجها، ثم تجمع تلك القوى من الجسم حتى يكون مجتمعاً على سبيل فعلها أولاً، وهو نطفة في الرحم، أربع طبائع، فتخمره كما يخمر اللبن الحليب لإخراج الزبدة الشائعة فيه. فكذلك تخمر النطفة حتى تكون علقة، ثم مضغة، ثم تستخرج الزبدة التي هي النامية، التي فيها الحسية بالقوة، فكذلك تخمر الجسم ثلاثة أيام، ثم تستخرج باقي تلك الزبدة، التي هي الريحية، فتخرق الحجب إلى القمر وتسلم تلك الجملة إلى الشمس يوم الاجتماع، والشمس تحفظ كل ما صعد إليها، من جميع كل جسم ينتقل صاحبه، جسماً بعد جسم لأنها المجمع الطبيعي، والباب الجسماني، وعلى ذلك فإن اللطائف تتوارد إلى باب المقام، لطيفاً بعد لطيف، وتلك الآثارات تتوارد إلى الشمس، من كثيف بعد كثيف.

فإذا آن الوقت لولادة الإمام عليه السلام ليخلف المقام الأول، إذا تم التمام، دفعت الشمس ما اجتمع إليها، وقد صارت جملة واحدة قابلة للانفعال، أعضاء جسدانية نامية حية، إلى الزهرة، ثم إلى عطارد، ثم إلى القمر، ثم تدفعه سعود هذه الكواكب السعيدة إلى قرار حفيظ في شيء من الفواكه، فيكون وقوعه عليه مثل وقوع الطل، فينشفه، وسبب الله تعالى ذلك للمقام الكريم عليه السلام، صاحب ذلك العصر والأوان، فيغتذي به غلافه الجسداني، وبعض من قد علم الله من أزواجه، مستحقاً لذلك.

ثم تكوّن الجملة ولداً تاماً، كاملاً تاماً طاهراً، شريفاً في الساعة التي يغتذي بتلك الجملة والده، وتظهر له الإشارة، وهو التجلي به، وظهور النور به، فيشير به من ساعته، ويشير إليه. وهذا القول هو سر الإمامة، والمشيئة؛ وصار ذلك المولود جسمه حياً، جوهرياً، مضيئاً، يتشكل بالأشكال، والألوان، ويتراءى بالصفات المختلفة، ويكون ولي عهد الإمامة، الذي يظهر به الظاهر به العجز والقدرة وقتاً بعد وقت، ويظهر به

أيضاً المعجز والضعف، لأن لا يقال فيه بالإلهية، وهو الملك المقرب، الموكول إليه أمر العالم الدينيّ الذي به تتعلّق الأنفس وبه تستمد في دار الحس، وهو بجسمه المشار إليه باسم الغلاف، يشاهد أن لكل فاكهة طيبة غلافاً، مثل الجوز، والموز، واللوز، والتين، والنارنجيل، وأمثالها. فهذه غلافات طبيعية، وجواهرها، ولبابها، نفوس حية، عالمة قادرة؛ التي هي معنى الغلاف، وزبدته المستخرجة من تلك الفضلات، وهذا الغلاف أيضا يسمى كافورياً «ضوء صورياً» حساً كله، سمعاً كله، بصراً كله، شماً كله، نطقاً كله، لمساً كله، نخيلاً كله، فطنة كله، فكرة كله، وهماً كله تمييزاً كله، حفظاً كله.

وبرهان ذلك ما روي أن عيسى صلى الله عليه وسلم ظهر من قبره بعد ثلاثة أيام، وظهر لتلامذته في جبل الزيتون ثلاثة أيام. وما رواه جعفر بن منصور اليمن: أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما أقام بقبره سوى ثلاثة أيام. وما روي في أن أسماعيل بن جعفر عليه السلام ظهر بالبصرة بعد ثلاثة أيام من قبره. إنّه وذلك الغلاف كما قدمناه ذكره إذا ولد، ووفت له سني التربية، انتقل الباب الذي هو مجمع الصور اللطيفة الروحانية، وجذبتها العناية الإلهية التي هي النور الساري الجاري، من النهاية الإلهية الأولية، الحافظ على وجودها، عمود شعشعانية، مجردة انبعاثية، قائمة بالفعل. ثم وصلت بينها وبين معنى ذلك الغلاف المستخرج المدرج، الذي هو من جملته وشكله، فتمتزج بذلك اللطيف، وتتحد بذلك الغلاف، وتحتجب به كما يصعد المستفيد إلى المفيد، سواء بسواء.

ولهذا معنى النسب، والسبب، الذي فرق أهل الإلحاد والكفر بينهما[٣٩٦].

ونظن أن هذه النصوص التي أوردناها في هذا الفصل لكافية لبيان ومعرفة عقيدة القوم في التناسخ والحلول.

---

(٣٩٦) «كنز الولد» للحامدي ص ١٩٠ إلى ١٩٣.

هذا ولقد ذكر المفضل بن عمر الجعفي في كتابه (الهفت الشريف) عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«ان الله خلق للعصاة سبعة أبدان يترددون فيها ثم ينقلبون إلى غيرها»[٣٩٧].

ويروي المفضل هذا عن جعفر أيضا أنه قال له:

«إنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنما هو قرد أو كلب أو خنزير أو دُبّ فاشتبه ذلك على الناس»[٣٩٨].

وروى أيضا عنه أنه قال:

«وقوله تعالى أيضاً: «**وما من دابةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**». قال العالم: يعني أن كل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت امم قبلكم. ثم قال: ان عدونا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الانسانية حتى إذا عاد أحدهم يقتل الف قتلة ويذبح ألف ذبحة ويموت الف ميتة. واما أولياء الله وأتباعهم المؤمنون خلصهم الله من المسوخية وجعل ذلك عقوبة لاعدائهم ان ذلك هو العذاب الأدني. وأمّا العذاب الأكبر فعند قيام القائم حتى ينتقم كل ولي من الأعداء. قال العالم: أول ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام حتى يمر بكل شيء في البر من العذاب، ثم يصير أنه يمر في البحر، ثم في الجو والهواء، حتى في كل شيء يدب ويدرج حتى يصير أضيق من قم الخياط، لقوله تعالى: «**وكذلك نجزي الظالمين**». فهذه علة أرواح الكافرين تجعل في المركبات إلى قيام القائم. وقال العالم: وأمّا الذي لم يكن فيه روح الحياة مثل الحجر والشجر والماء والملح وغيره مما لا يدب ولا يدرج ومما يتحلل من ابدان المؤمن والكافر، فكل شيء رأيته أو سمعته أو شممته وله طعم طيب ورائحة زكية أو ملامسة لينة أو مطعم أو مشرب، فإن ذلك مما يتحلل من ابدان المؤمنين وكلّما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن

---

(٣٩٧) «الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص٢٦ ط دار الأندلس الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.
(٣٩٨) أيضا ص٣٦

أو مـر أو كريـه أو مما يكـرهه الإنسـان في شمه أو في منـظره أو في ذوقـه أو في ملامسته في جميع الحالات، فـإن ذلك ممـا يتحلل من ابدان الكـافرين وليس للكـافرين أظهـر ولاهم فيه أنعم من بـدن الإنسانيـة الذي هـو فيهـا، فـإذا استوفى دولته اخرجه من بدنه هذا إلى أنجس الابدان وأشرها»(٣٩٩).

وقال إخوان الصفاء:

«مـن اسـتراح من المعـاد والـترداد... صـار في جملة المـلائكـة المقربين»(٤٠٠).

والمفسر الاسماعيلي أيضا يذكر هذا التناسخ في تفسيره كثيراً مثل ما يقول تحت قوله تعالى: «**فزادتهم رجسا إلى رجسهم**»:

«يعنى في ظهورهم في النسوخية في الكرات»(٤٠١).

وأيضاً: «عذاب الله، وهو تدحرجهم في القوالب»(٤٠٢).

وأيضا يقول:

«لجنهم سبعـة أبواب: معنـاه سبع دركـات، الـدرك الأول هم الـزنـج والبربر، والدرك الثاني يسمى العكس في قصص القردة والنسناس، والثالث في قصص السباع»(٤٠٣).

وقال:

«فأولئك الذين لهم سوء العذاب: يعني في القوالب الممسوخة»(٤٠٤).

---

(٣٩٩) أيضا ص٦٦، ٦٧.
(٤٠٠) «جامعة الجامعة» لإخوان الصفاء ص ١٨٢ تحقيق عارف تامر.
(٤٠١) تفسير «مزاج التسنيم» لضياء الدين الاسماعيلي ص ١٣ تحقيق شتروطمان ط غونتيغن.
(٤٠٢) أيضا ص٨٠.
(٤٠٣) أيضا ص١٠٩.
(٤٠٤) ٣٢٦.

ويقول الاسماعيلي محمود شبستري:

وقد سألوا وقالوا ما النهاية فقيل: هي الرجوع إلى البداية»[٤٠٥].

وأخيراً نذكر ما قالوا:

«ان جميع الأئمة يصيرون ذاتا واحدة (أي عند الرجعة)، وكل منهم قادر على الانفصال»[٤٠٦].

القيامة

وأما القيامة عند الإسماعيلية فإنهم يقصدون بها قيام القائم كما يقول إخوان الصفاء:

«أعلم أن صاحب الدور السابع المؤيد بسعة اللطافة في المعارف هو الغاية، وبه تكون النهاية وقيام القيامة»[٤٠٧].

وبمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد عن القيامة، هي:

«قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدانية، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان»[٤٠٨].

---

(٤٠٥) «بعض ازتاويلات كلشن» راز لمحمود شبستري ص ١٣٩ من «سه رسالة اسماعيلي»؟

(٤٠٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص٤٩ من أربعة كتب اسماعيلية.

(٤٠٧) «جامعة الجامعة» الفصل الخامس والثلاثون ص١٧٤ ط دار مكتبة الحياة لبنان، أيضا «سى وتش صحيفة» لسهراب بدخشاني ص٥٣، أيضا «هفت باب ابو اسحاق» باب ينجم ص٣٤، أيضا «روضة التسنيم» لنصير الدين طوسى تصحيح أيوانوف فارسي ص٨٦ ط مطبعة اجمل بومبي ١٩٥٠م.

(٤٠٨) «رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» ص٦٩ من «أربع رسائل اسماعيلية» نشر عار تامر ط دار مكتبة الحياة لبنان ١٩٧٨م.

ويقول الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي:

«إن البعث بعثان: فالبعث الأول هو بعث الصورة الحاصلة للمستفيد من المفيد فينبعث العلوم الالهية والمعارف الربانية. وأما البعث الثاني فهو النقلة إلى حدّه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: من مات فقد قامت قيامته، وصار أيضا بتلك النقلة في عالم ثان وبعث عند قيام القائم على ذكره السلام. وذلك هو البعث الحقيقي والنشور لأهل الحق، ولأهل الباطل للجزاء»[٤٠٩].

وعلى ذلك يبين جعفر بن منصور اليمن الداعي الاسماعيلي الكبير معنى يوم الفصل، ويوم النفخ في الصور بقوله:

«إن يوم الفصل كان ميقاتا» يوم الفصل هو المهدي صلى الله عليه الذي يفصل الله به بين الحق والباطل والمؤمن والكافر، وهو ميقات أمر الله ونهايته، وسابع النطقاء السبعة، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، يعني يوم يعلن بالدعوة إليه، وقد ظهر أمره فتأتون أفواجاً، فوجا بعد فوج رغبة ورهبة»[٤١٠].

ثم يبين معاني علامات يوم القيامة بقوله:

«وفتحت السماء فكانت أبوابا، يعني وكشف علم الأئمة الباطن المستور فيكون فيها مقامات أبواب يعلمه منهم كل سائل وطالب، وسيّرت الجبال فكانت سرابا، يعنى وسيّرت الحجج أمروا أن يظهروا سيرة الحق عند ظهور المهدي ويسيروا بها، فكانت سرابا، يعني فكان الحجج مثل السراب يومئذ من انقيادهم وطاعتهم وظهور أمرهم بعد امتناعهم عن الإظهار بالستر والكتمان»[٤١١].

---

(٤٠٩) «زهر بذر الحقائق» للداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ص١٧٧ من (منتخبات اسماعيلية).

(٤١٠) «كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص١٧٠ نشر شتروطمان ط دار الفكر العربي.

(٤١١) أيضا.

وورود في كتاب اسماعيلي باطني قديم آخر أن يوم ظهور القائم هو يوم التناد ويوم التلاق، ويوم الآزفة، ويوم التغابن، والساعة، والقيامة، وكذلك الصاخة والغاشية وغيرها من الألفاظ المماثلة لها كلها تنبيء عن يوم ظهور الناطق السابع القائم كما يقول ابن حوشب الداعي الاسماعيلي الذي فتح اليمن وأقام فيها الدعوة الاسماعيلية، وهو من مؤسسي هذه الديانة، والوالد الأكبر لجعفر وهو يعدّد سور القرآن:

«بعد سورة الفرقان ست سور، والسابعة سورة السجدة، وفيها ذكر القيامة فدلت على تمام السبعة المتمين بالعدد، وكذلك على سابع النطقاء بذكر القيامة، [ويستأنف العدد] بعد سورة السجدة فبعدها سورة الاحزاب أولها «يا أيها النبي إتق الله» فهو محمد ﷺ ثم بعد سورة الأحزاب ست سور والسابعة سورة غافر وهي أول الحواميم، وفيها ذكر التناد ويوم التلاق، وفيها «وأنذرهم يوم الآزفة» وهذا كله وقت ظهور سابع النطقاء، فدلت على تمام السبعة المتممين بالعدد، ودلت على سابع النطقاء». . . ثم يستأنف العدد بعد سورة الفتح فبعدها سورة الحجرات وأولها «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» وهو محمد، وبعدها ست سور والسابعة سورة الواقعة وبما ذكر عند وقوعها وهو وقت ظهور سابع النطقاء. . . ثم بعد سورة الحديد ست سور، والسابعة سورة التغابن، ويوم التغابن يوم القيامة، فدلت على السبعة المتمين بالعدد، ودلت على سابع النطقاء بذكر يوم القيامة؛ ثم بعد سورة التغابن: سورة الطلاق أولها «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» فيها ذكر محمد؛ ثم بعد سورة الطلاق ست سور والسابعة سورة الجن وفيها «حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً، قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً» فقوله «ما توعدون» فهو وقت ظهور سابع النطقاء، وهو الساعة: وقال «وما يدريك لعل الساعة قريب» فدلت سورة الجن على السبعة المتمين بالعدد، ودلت على سابع النطقاء بما فيها، ثم بعد سورة الجن سورة المزمل وهو مخاطبة لمحمد ﷺ، ثم بعدها ست سور والسابعة «عبس وتولى» وفيها

«فإذا جاءت الصاخة» وهو وقت ظهور سابع النطقاء، بذكر الصاخة وهو وقت الظهور؛ ثم بعد سورة عبس، سورة «إذا الشمس كورت» والشمس دليل على الناطق وهو محمد، ثم بعدها ست سور والسابعة سورة الغاشية أولها «هل أتاك حديث الغاشية» وهو وقت ظهور سابع النطقاء فدلت على تمام السبعة المتمين بالعدد، ودلت على سابع النطقاء بذكر الغاشية وقت ظهوره»(٤١٢).

وبمثل ذلك قال القاضي الإسماعيلي النعمان المغربي في كتابه الباطني تحت قول الله عز وجل: (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض):

«فالنفخ في الصور هو ما يأتي به سابع النطقاء عليه السلام والصور الشرعية وسماها صور لأنها محيطة بجميع الشرائع ومعنى قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله فالسموات هم النطقاء ومن فيها من أهل الظاهر والأرض في منزلة الأسس ومن فيها من أهل الباطن الذين ستروا الأمر ثم استأنف بعد ذلك بقوله إلا من شاء الله وهم المؤمنون الصابرون على البأساء والضراء فهذه الكشفة الأولى التي تجري على يد القائم وأما الثانية فهو قوله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها الآية.. فذلك عند اتصاله في النفس وهي المنزلة التي بها الكمال والتمام وفي المنزلة يظهر له جميع الحدود العلوية الكروبية وذلك ان قيل إن له منزلتين يظهر بها في الجسمانية والروحانية واذا ظهر بهذه المنزلة حاسب أهل الجسمانية وأهل الروحانية وهو ظهوره في العالم السفلي والعالم العلوي وأما ما سألت عنه عن الذي له من المنزلة وسائر النطقاء وحدودهم في ذلك العالم بعد الارتقاء من هذه الدار فأعلم أن منزلة القائم سلام الله عليه في العالم الروحاني أنه مالك لجميع الحدود كلها ألا ترى إلى قول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا

(٤١٢) «كتاب الرشدو الهداية» لابن حوشب منصور اليمن ص١٩٣ وما بعد المطبوع مع المنتخبات لأيوانوف ج١ ط مطبعة برل ـ ليدن هولندا ١٩٤٨م.

كما خلقناكم أول مرة وقوله للمنافقين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدوني وقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقوله إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم وقوله هل ينظرون الا أن ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور فهذه إشارة كلها إليه»(٤١٣).

ويقول الداعي حاتم بن عمران مبيّنا الأيام وما تدلّ عليه:

«خلق الله تعالى السموات والأرض في ستة أيام فكان دليل تلك الستة نطقاء كما سبق أن بيّناه، فأول الأيام يوم الأحد فهو لآدم لأنه أول من تعبد الله في دور الستر وقام بالرسالة، وعلّمه الله بهذه الأيام الستة عدد النطقاء والأئمة.

ويوم الأثنين وهو لنوح لأنه تالي النطقاء الذي أجرى الله منه الحكمة.

والثلاثاء لإبراهيم لأنه جاء ثالث النطقاء وجمع الله فيه علومه... ويوم الجمعة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه جمع علم من مضى من أولى العزم والرسل والأوصياء إلى يوم القيامة، وليجمع الله شمله ويملكه الأرض كلها شرقها وغربها بلا منازع له بظهور صاحب يوم السبت الذي هو القائم، وهو من نسله عليه الصلاة والسلام، وبه تختتم أمور الدنيا وتفتح الآخرة، وتتضاعف الأعمال، ويجازي أصحاب السيئات»(٤١٤).

ويمثل ذلك قال الداعي علي بن محمد بن الوليد، وزاد «أنه هو اليوم الآخر، واليوم المعلوم المبشر به، والمعبر عن النشأة الأخرى والخلق الجديد، ويوم ندعو كل أناس بامامهم»(٤١٥).

---

(٤١٣) «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان ص٧٤، ٧٥ من (خمس رسائل اسماعيلية) نشر عارف تامر ط بيروت.

(٤١٤) «رسالة الأصول والأحكام» للداعي حاتم بن عمران ص١١٦ من خمس رسائل اسماعيلية.

(٤١٥) انظر «كتاب جلاء العقول وزبدة المحصول» ص ١٣٤، ١٣٥ من منتخبات اسماعيلية ط دمشق.

وأضاف شهاب الدين أبو فراس على تلك الأيام يوما آخر، وهو (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا)، «وان الرحمن في هذه الآية هو القائم بهويته البسيطة»[٤١٦].

ويوم ظهوره هو يوم الفصل كما صرح بذلك أبو يعقوب إسحاق السجستاني[٤١٧].

واليوم الأخر أيضا[٤١٨].

وأخيراً ننقل ما قاله إبراهيم بن الحسين الحامدي:

«يعني إذا تجردت الصور بكماله فجمعت، سطع فيها أنوار الملكوت، ولا يكون لكل منها إلّا بقدر الآلة التي حصلت لها بالاكتساب. فإنه لا أنساب هنالك في الدنيا.

قال الله تعالى: **﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾**. أي أشار إلى صاحب الدور السابع الذي يحصل في الوجود آخر دور حين ينبعث في عالم الطبيعة أولاً كما تنبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه إشارة إلى صاحب الدور السابع الخاتم للأدوار الذي به يتم الخلق، فيفتح أولاً في دار الطبيعة باب الجزاء، وفي الآخرة ثانياً، وهو النفخ الأول. يريد به أول كما نفخ في أصحاب الأدوار أولاً، فصعق من في السموات ومن في الأرض. إلّا من كان عارفاً بمرتبته، ومؤمناً به من قبل ذلك، قائلاً به، كما قال تعالى: **﴿إلا من شاء الله﴾**. وهذا هو يعني به النفخ الأول، والجزء الأول في دار الطبيعة الذي ذكره حصول الأنفس بالمجمع الأدنى، الذي هو باب الإمام عليه السلام، كما بينا ذلك، قال تعالى: **﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾**. إلى قوله:

---

(٤١٦) انظر «كتاب الايضاح» لشهاب الدين أبي فراس بتقديم عارف تامر ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٤١٧) أنظر «كتاب اثبات النبوءات» الفصل الثالث من المقالة الثالثة ص٩٢ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٤١٨) انظر «كتاب الكشف» الرسالة الثالثة ص٥٢.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي كل أهل ملة، وحكم بينهم بالحق فيما كانوا متعلقين به، فلا يبقى علم إلاَّ ويتعلمه أهل الأرض بمكانه، ولا يترك أمر يتقرب بعبادته إلاَّ بالعبادة الناسخة لما سبقها، فيحكم في ذلك بما ينفذ من نور التأييد فتصير الصور كلها صورة واحدة تجمع الصور فيحصل تمامها في الصفحة العليا من السموات على باب الحجاب»[٤١٩].

من هو الناطق السابع؟

فالناطق السابع عند الاسماعيلية هو محمد بن اسماعيل، والذي يعدّه الاسماعيلية ناسخا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلّم كما سيأتي بيانه إن شاء الله لأنه هو متمّ دور الناطق السادس محمد صلوات الله عليه حسب زعم الاسماعيلية، وبقيامه قامت قيامة الشريعة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. ويصرح بذلك الكثيرون من الدعاة الاسماعيلية وأئمتهم، ومنهم الداعي إدريس عماد الدين كما ذكر ذلك في كتابه الباطني (زهر المعاني):

فيقول: «فقام محمد بن اسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده عليّ أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول، ومنه ابتداء الدور الثاني . . . فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله، فأظهر العلوم، وبيّن الحقائق، وكشف لخلصائه منها السر المكتوم، فظهرت منه حقائق ومعجزات، ودلائل وآيات، لم تظهر في الائمة من قبله، ولا قام أحد من الائمة كمثله، لأنه السابع صاحب القوة والظهور، والضياء والنور، ومبين العلم المستور.

---

(٤١٩) «كنز الولد» لابراهيم لابراهيم بن الحسين الحامدي تحقيق مصطفى غالب ص٣٣٣ ط دار الأندلس بيروت.

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدودها، المحيط بعلومهم. وهو القائم بالقوة، صاحب الكشفة الأولى، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي، الذي هو صاحب الكشفة الأخرى والبطشة العظمى، قائم القيامة الكبرى، لأن القيامات كثيرة، أولها المأذون المكفوف، ثم المأذون المطلق، ثم الداعي المحرم، ثم الداعي المطلق، ثم داعي البلاغ، ثم الحجة، وغايتها الباب». وإنما كانت هذه الحدود قيامات، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للأجسام الصائرة إلى أفقه المعروفة به.

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى، وهو المقام الذي هو الامام عليه أفضل السلام، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات، وكل واحد ممن ذكرنا قائم بنسبة إلى من دونه. ويتلوها جميعاً قائم القيامة الكبرى، صاحب البطشة العظمى، المجتمعة عنده جميع المقامات، وهو لهم غاية الغايات الشريفة، الجامع لها.. وإنما وقع عليه إسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي، وليس بمتم ولا رسول، بل هو منفرد برتبة الوحدة، وقد تم التمام، واتسق النظام. وإنما خص محمد بن اسماعيل بذلك، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر، لأنك إذا عددت آدم ووصيه وائمة دوره، كان خاتمهم الناطق، وهو نوح عليه السلام.. وهو الناطق الخاتم للنطقاء، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً، وإذا عددت الأئمة في دوره، كان محمد بن إسماعيل سابعهم، وللسابع قوة على من تقدمه. فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للاسبوع وقائماً؛ وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس»[420].

وبذلك قال الداعي حاتم بن عمران بن زهرة أن محمد بن اسماعيل:

---

(٤٢٠) «زهر المعاني» ص٥٣ وما بعد نقلا عن كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية للاسماعيلي المعاصر من ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.

«عظمت دعوته حتى قال بعض المستجيبين عنه أنه صاحب القيامة»[٤٢١].

وقال أيضا:

«كان قائم الدور السابع محمد بن إسماعيل»[٤٢٢].

وسيأتي بيان ذلك أيضاً في فصل نسخ الشريعة.

الى القائم يكون الحساب ومنه يكون الجزاء والعقاب

وبعد تصريح الاسماعيلية أن القيامة هي قيام القائم يصرحون بأن القائم هو الذي يكون إليه الحساب، وهو الذي يجازي ويعاقب لأنه هو الله الواحد القهار الذي نزل فيه (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[٤٢٣].

و «لأنه هو ربّ يوم الكشف المستوى على العرش»[٤٢٤].

ويصرح بذلك علي بن الوليد حيث يقول:

«ما حكى القرآن الكريم، وخبر الرسول صلى الله عليه وآله من صفة العرش واستواء الرب عليه وجيئه في ظل من الغمام والملائكة للمجازاة والمحاسبة، والإثابة والمعاقبة فكان ذلك يصح ظاهرة في قائم القيامة على

---

(٤٢١) «رسالة الأصول والأحكام» لحاتم بن عمران ص١٢١ من خمس رسائل اسماعيلية.

(٤٢٢) أيضا ص ١٢٥.

(٤٢٣) أنظر «الرسالة المذهبة» للنعمان القاضي ص٧٥ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(٤٢٤) انظر «كتاب الايضاح» للداعي شهاب الدين أبي فراس ص٨ ط المطبعة الكاثوليكية ـ لبنان.

ذكره السلام المستوفي قوى السموات والأرض الستة الذين هم النطقاء الستة في مــدة أدوارهم الستــة، المكنى عنهم بخلق السمــوات والأرض في ستــة أيام . . . ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكـة بروزه عـلى ذكره السـلام بمن في ضمنه من الصور القدسانية والهياكل النورانية لكافة الخلق يوم فصل القضاء والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم والمجازاة لهم عـلى سوالف مقـدماتهم . . . ثم ان القائم على ذكره السلام قد جرى عنه بوساطته مما طرق من مادة مبدعه نـور سار أفـاضه عـلى كافـة النطقـاء الستـة ومن في ضمنهم من المؤمنـين مـا لا يهتدي عقولنا إلى تصوره، ولا تستطيع ألسنتنا العبارة عنـه، فشخص كل ناطق لأهل دوره، ووصى لأهل عصره، وامام لأهل زمانه، وكل واحد لأهل صقعه، فيوافقون كل أحد على ماسبق منه من صغير أمر وكبـير، ويقرئـونهم كتابهم، وذلك شخصهم لهم صورهم التي تصورونها في دار الدنيا، وعرضها عليهم من خير وشر، وكبير وصغير وقمطير، ولا يغـادر صغيرة ولا كبـيرة إلّا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا.

يصح ذلك ما ورد من كلام سيـدنا المؤيـد أعلى الله قـدسه، في المجلس الرابع والستين من المائـة الخامسـة، وأوردنا في تفسـير الظاهـر من ذكر النبأ العـظيم، وانه هـو القيامـة التي يجلس الله تعـالى فيهـا عـلى عـرشـه لفصـل القضاء، والقيام بثواب المحسنين، وعقاب المسيئين. ويقول ما قيل: عرفت شيئا وغابت عنك أشياء، إلى قوله: فإن الذي بهـذا المثابـة هو قـائم القيامـة عـلى ذكره السـلام، المجموعـة له قـوى الأنبياء والأوصيـاء والأئمة وأربـاب التأييد كلهم، فيـظهر في شخص جسـماني موجـود محدود. قلنـا إن كل شيء طائع من شرف الإنتهـاء إليه لأنهم الأنبيـاء، وهو النبـأ العظيم، وأسـماؤهم وأنباؤهم مشتقة من اسمه، ورسومهم منساقة إلى رسمه. والله تعالى المنزه أن يشبـه بخلقه الـروحاني والجسـماني إلى قولـه: والقائم عليـه السلام صـاحب المنزلة التي أوردناها، والمستوى على عرشه لفصل القضاء، المكنى عنـه بقولـه تعالى: وجاء ربك والملك صفاً صفاً، فصح بهذا القول، وانكشف عن هـذا السر، حقيقة ما دعا إليه الأنبياء صلوات الله عليهم.

وكان الرب المثيب المعاقب البارز لفصل القضاء والمحاسب، هو القائم على ذكره السلام»[٤٢٥].

وقبل ذلك قال أيضا:

«ان قائم الدور الأكبر والقيامة الكبرى، وهو الذي يكون بيده الثواب والعقاب... إليه المنقلب والمآب»[٤٢٦].

وبذلك قال الداعي الاسماعيلي القديم أبو يعقوب اسحاق السجستاني:

«إن القيامة التي دعا إليها المرسلون موسومة بيوم الحساب والمتعارف من الحساب أنه إحصاء الشيء الذي بلغ إلى غايته ونهايته وتحصيل المدخل والمخرج واثبات ما حصل منهما ثم وجدت الرسل في وضعهم النواميس لم يحاسب أحد منهم قوم الرسول المتقدم بل وضعوا أشياء هي أحوج إلى المحاسبة من وضع الرسول المتقدم إذ ليس لأحد منهم هو النهاية، فلما بلغ الأمر إلى القائم عليه السلام ألزم الأمم السالفة بمحاسبة ما ألزموا أنفسهم من استعمال نواميس رسلهم والمطالبة لهم باحصاء حقائقها... فمن هذه قلنا: ان نهاية الرسل إلى القائم سلام الله على ذكره إذ هو الموصوف بالمحاسبة ويوم الحساب، ثم هي أعني القيامة موسومة بيوم الجزاء، والجزاء إنما يكون بعد العمل للرسل الذين يقدمونه وليس كلهم ولا واحد منهم جاز أمته بما لزم من العلم بل أخبرهم أن اليوم الذي يثبت لهم الجزاء فيه بما عملوا هو اليوم الآخر وأنه يوجب عليهم الإيمان بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالي: (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً) إذ هو النهاية والغاية والحدود الجسمانية كلها داخلة فيه

---

(٤٢٥) «رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد الباب الثالث ص١٤٣ وما بعد من (منتخبات اسماعيلية)، أيضا «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص٤٦ من (أربعة كتب اسماعيلة).

(٤٢٦) «جلاء العقول» لعلي بن الوليد ص١٣٦، أيضا «الأنوار اللطيفة» للحارثي اليماني ص١١٠.

ومن آمن بذلك اليوم حق الايمان فقد آمن بما دونه من الأيام التي يجب الايمان بها إذ أن حقيقة الايمان بذلك اليوم هو الوقوف على جميع الحدود والواقف على جميع الحدود مرهوبا.

فإذن نهاية الكل من الرسل إلى القائم عليه السلام وسم يومها بيوم الجمع»[٤٢٧].

«والقيامة موسومة أيضا بيوم الفصل، لأن الفصل إنما يكون بعد الخصومة والمنازعة فيفصل بين الخصمين والمتنازعين باقامة الحق، والمخاصمات إنما تكون بين أهل الشرائع فيما ينتحلونه ويتقلدونه من الديانات فيكفر بعضهم بعضا، وترى كل فرقة منهاجها وصاحبتها، فإذا بلغت الخصومات والمنازعات إلى غايتها ونهايتها ظهر القائم بالحق فيفصل بين أهل الأديان بالكشف عن حقائق ما ينتحلونه ولا يبقى لهم خصومة ولا منازعة، وقال الله تعالى: (وأشرقت الأرض بنور ربها) يعني أشرقت التأويلات والحقائق التي عليها استقرار النفوس الزكية بنور ربها عني به القائم ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون، يعني وألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها»[٤٢٨].

«القائم من القيامة وهي موسومة بيوم الفصل لأن الفصل إنما يكون بعد الخصومة والمنازعة، وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر الحقائق، والقائم ألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها[٤٢٩].

وذكر جعفر بن منصور اليمن تحت قول الله عز وجل: (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار):

---

(٤٢٧) «اثبات النبوءات» الفصل الثامن من المقالة الخامسة ص١٦٦، ١٦٧.
(٤٢٨) أيضا ص١٦٨، ١٦٩.
(٤٢٩) أيضا الفصل التاسع المقالة السادسة ص١٩١.

«من خصم في ذلك اليوم وتحقق عليه ولاية الظالمين أخـذه سيف القائم صلوات الله عليه ولم يكن له (أي للنبي) أن ينقذه من النار»[٤٣٠].

وبمثل ذلك كتب المفسر الاسماعيلي ضياء الدين تحت قول الله عز وجل: (ويوم يحشرهم):

يعنى للحساب لدى القائم المنتظر»[٤٣١].

وكتب النعمان المغربي القاضي:

«إن القائم له ثلاث حدود: حد الجسماني، وحد القيامـة في الروحـاني، وحد الحساب»[٤٣٢].

وأيضا ما نقلناه سابقا عنه أنه قال:

«إن للقائم منزلتين يظهر بهما في الجسمانية والـروحانيـة، وإذا ظهر بهـذه المنزلة حاسب أهل الجسمانية وأهل الروحانية، وهـو ظهوره في العـالم السفلي والعالم العلوي»[٤٣٣].

الثواب والعقاب والجنة والنار

وأمـا الثواب والعقـاب والجنة والنـار، وكذلـك منكـرو نكـير، والحشر والنشر فلها معانٍ ومفاهيم ومدلولات تخالف تماماً ما يعتقده المسلمون وماورد في القرآن والسنة مثل اختلافهم معهم في المبدأ والمعاد، والقيامة، ومن يكون إليه الحساب.

---

(٤٣٠) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن نشر شتروطمان ص٧٦ ط دار الفكر العربي.

(٤٣١) «مزاج التسنيم» الجزء الأول من القسم الثالث ص ٢٣ بتصحيح شروطمان ط المجمع العلمي. غونتيغن.

(٤٣٢) «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان ص ٧١ من (خمس رسائل اسماعيلية) ط دار الانصاف.

(٤٣٣) أيضاً ص ٧٤.

فعن الثواب والعقاب يقول الداعي الاسماعيلي في جواب سائل سأله: «ما حقيقة الثواب والعقاب؟»

فقال: «الجواب، اعلم أن حقيقة عقابها فنقصها عن بلوغ كما لها وإدراك مجدها، ودليل ذلك أن الجسم إذا أكملت آلاته، وتمت جوارحه وأدواته، وأقبلت عليه طبيعته، وحكم بها وتصرّف في جميع الكائنات وأحاط بها بما علا ودنا فأحسّ بذلك غاية السرور، وإذا لم يكن كذلك قصر عن بلوغه وضجر وتألّم.

ومن وجه آخر أن حقيقة الثواب نظر النفس إلى مولاها من حيث قدرتها وقربها منه وجوا رها في حضرة قدسه.

وحقيقة عقابها احتجابها عنه وبعدها منه لقوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم انهم لصالوا الجحيم. ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذّبون).

ومن وجه آخر أن نظر اعجب مجدها هو غاية مناها وأقصى منتهاها وقربها منه هو نهاية سرورها وبعدها عنه هو حسرتها وعدم نظرها هو ألمها وعقابها»(٤٣٤).

ويقول الداعي علي بن الوليد:

«أما الثواب والعقاب كان كما وصفه الله من الأنهار الجارية والحور والأطعمة والأشربة اشارة في الثواب الأدنى إلى ما يحصل للنفوس من الفوائد العلمية في الدعوة التأويلية، فكان الأنهار أمثال ما يجري من العلماء من نشر الفوائد العلمية في مستفيديهم، والحور امثالهم ما يصورونهم به من الصور القدسية التي تحار في حسنها الأفكار، وتقصر عن وصفها الألسن، ولا تكتنفها الحدود والأفكار، وهي التي تزاوج النفوس فتصفها، وتشرف عليها

(٤٣٤) «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» للداعي الاسماعيلي ابراهيم ط المستشرق كوؤيارد - باريس ١٨٧٤م.

وترفع قدرها في أهل عليين والفوائد التي تشتهي الأنفس، وتلذ الأعـين، هو ما يطلعونا عليـه من الحقائق الشـاهد محسـوسها لمعقـولها، ومثلهـا لممثولهـا، وتبرهن فروعها على صحـة أصولهـا، وهي ماتشتهيـه الأنفس التي هي حدود الدين، وتلذ الأعين الذين هم أعين الحق للناظرين، ولذلك قالت الحدود: «ان الدعوة جنة بالقوة تؤدي إلى الجنة بالفعل. . . وأما العقاب الأدني فهو ما يدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات، وما يحل بهـا من الألم عند الاستفهامات والسؤالات إذا سمعت آي الكتاب والتبس عليها فيه نهج الصواب، ونظرت في مختلف آياته، وتفاوت عباراته، والنزع وعجـائب موضوعاته، تلاطمت بها أمـواج الشكوك في زاخـر بحره، ورمت بهـا الحيرة والـظلام إلى أسفل قعـره، فهي تارة تهب طـالبة حـل مشكلة، وتارة تخبـذ، وحينا تذكي نار شوقها بحثاً عن طيات ذلك، وحيناً تخمد. فهي تتعجـل من آلام ما تخلدها حنادس الظلام حتى يهجم عليها الموت وهي أغفـل ما كـانت عنـه، ونفسها أوحش مـا كـانت منـه، ثم تـرد قنـاطـر العكـوس، وصراط الهبوط، وإدراك النحوس، إلى أوان اليوم المعلوم، وحضور الأجل المحتوم، ويكون حصول العقاب الأكبر لهـا عند قيـام القائم عـلى ذكره السـلام، وهو مالا سبيل إلى وصفه. لأن أول ذلك وأهونه أنهم يذبحون كما تذبح الضحايا ذبحاً، ويطرحون على وجوه الصحراء طرحاً»[٤٣٥].

وأما الداعي الاسماعيلي القـديم أو يعقوب السجستـاني فيقول في كتـابه (الينابيع) مبيناً حقيقة الثواب تحت عنوان (إن الثواب هو العلم):

«لمـا كان قصـارى الثواب إنمـا هي اللذة وكانت اللذة الحِسّيـة منقطعـة زائلة، وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزليّة غير فانية، باقية غـير منقطعـة. وليست لذّة بسيطة بـاقية عـلى حالاتهـا غير لـذّة العلم. كان من هـذا القول وجوب لذّة العلم للمثاب في دار البقاء، كما قال الله ـ عز وجلّ ـ «أكلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين اتقوا.»».

(٤٣٥) «جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ١٥١، ١٥٢ من منتخبات إسماعيلية.

وأيضاً فإن اللذات الحسيّة ليس وجودها من موضع واحد، بل في مواضع مختلفة. والمثل في ذلك أنّ اللذّات المنالة بحاسّة البصر بين إدراك الألوان والصور والأشكال، إذا فسدت تلك الحاسّة، لا تدرك بحاسّة السمع والشّم والذوق واللمس. وكذلك اللذّات المدركة بحاسّة السمع من إدراك الأصوات والألحان والتأليف والنغم، إذا فسدت تلك الحاسّة، لا تدرك بحاسّة البصر والشّم والذوق واللمس. وهكذا اللذّات المدركة بحاسّة الشّم من إدراك الأرايح والطيّب، إذا فقدت تلك الحاسّة، لم تدرك بحاسّة البصر والسمع والذوق واللمس. وكذلك الذوق واللمس على ما ذكرنا. ثمّ وجدت العلم إذا امتدّ في الوقوف على المعلومات لاصابة اللذّات النسبيّة، فسبيله في باب الدرك سبيل واحد، فيلتذّ به من جهة واحدة أنواع كثيرة لا يحصى عددها، ولا يفقد منه شيء يكون يعتقد أنّه فقد لذّة العلم. فإذا الثواب في دار البقاء هو العلم لا الحسّ ولا الأشياء الحسيّة.

وأيضاً فإنّ العلم لا يبيد بل يزيد وينمو عند كلّ استنباط ويتكثّر، والحسّ يفسد وينقص ويضمحلّ بذاته عند الاستعمال ويستحيل، كالمأكولات والمشروبات اللذيذة تستحيل من جهتها وحالتها، فتصير بحالة يتألم الإنسان منها أن يمسّها أو يتناولها. واللذة العلمية إذا استعملها، أشهى وأطيب مما كان قبله.

فإذن الثواب هو العلم لا الحسّ»(٤٣٦).

ويقول الداعي الاسماعيلي الفارسي بأن الثواب هو معرفة قائم القيامة ومتابعته، والعقاب جهله القائم ومعصيته وعدم معرفته لأنه لم يبعث الأنبياء إلا لكي يبشّروا الخلق، ويهدوهم إلى قائم القيامة، قال الله عز وجل: عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون... وانه هو سبب خلق العالم. فمن عرفه فقد وجد الثواب

---

(٤٣٦) «كتاب الينابيع» للسجستاني الينبوع السابع والعشرون ص ٦٥، ٦٦، ٦٧ من (سه رساله اسماعيلى).

الأبدى والراحة السرمدية، ومن لم يعرفه فهو الذي حصل له العذاب الأبدى والشقاوة الأزلية، وهو الذي ورد ذكره في القرآن: ومن يكفـر بالله ومـلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً(٤٣٧).

وأما ناصر خسرو الاسماعيلي الفارسي فيقول:

«ان الثواب المشخص هو حصـوله عـلى وجوده الحقيقي، والعقـاب هو عدم الحصول عليه، والوجود الحقيقي للإنسان هو اتحـاده بذات الخـالق كي يبقى موجودا، ويصير أبديـا، وهذا هـو الثواب، وعـدم اتحاده بـذات الرب يؤدي إلى عدم حصوله على الوجود فيجرّه إلى العدم ولا يصل إليه فيبقى أبـد الدهر بين الوجود والعدم، وهذا هو العذاب كما قـال الله عز وجـل: إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى(٤٣٨).

وأما الداعي حاتم بن إبراهيم الحـامدي فلقـد أعرض عن ذكـر الثواب والعقاب قائلاً:

وأما الثواب والعقاب فلا يمكن في هذا جواب لعلوّ ذلك»(٤٣٩).

ومرة قال:

«ولولا الخوف أن تقع أسرار أولياء الله في أيدي الأراذل الذين يكفـرون أهل الحق لبينّا ذلك شافيا»(٤٤٠).

وأما منكرو نكير فيقول عنهما الداعي الاسماعيلي الحارثي اليماني:

«ان في الكلام المتعارف عند أهل الظاهر أن لابدّ من مبشر وبشير لأهـل الخير، ومنكر ونكير لأهل الشر. . . والقول في ذلك أن كل ناطق دور وصيـه

---

(٤٣٧) انظر «سى وشش صحيفة» للداعي الاسماعيلي سهراب ولي بدخشـاني، صحيفة بيست وسوم دراشارات بثواب وعقاب ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤٣٨) «زاد المسافرين» لناصر خسرو ص ٤٨٤، ٤٨٥ ط مطبع كاوياني برلين ـ ألمانيا.

(٤٣٩) انظر كتابه «زهر بذر الحقائق» ص ١٧٧ .

(٤٤٠) أيضاً ص ١٧٦ .

هما الملكان المشار اليهما في عصرهما بمبشر وبشير لأوليائهما، وبمنكر ونكير لأضدادهما، وكذلك كل امام زمان وحجته، فهو مبشر وبشير لأوليائه، ومنكر ونكير لأضداده، وعلى هذا القول ينطوي الأمر في كل وقت وزمان ولذلك قال أمير المؤمنين علي:

«ياحار همدان من يمت يرني من مؤمن أومنافق عجلا
يعرفني طرفه وأعرفه باسمه والكنى ومافعلا»

وحقيقة أن خيال كل مقام من ناطق ووصي وامام في كل واحدمنهم يحرّك عمود النور الذي هو الساري من عالم القدس المتصل بصورة كل ولي عهد صاحب الزمان علي، فيتخيل للمنتقل عند آخر دقيقة من عمره علمه الالهي وعمله الصالح شخصا نورانيا فيسرّ به ويبتهج بسببه، ويغتبط عند معاينته، ويعلم حينئذ أنه صائر إلى خير، ويفارق في الوقت والحين... فذلك حقيقة مبشر وبشير للولي، وأما الضد، فان المغناطيس الخبيث المظلم الذي هو العقدتان بحركة المقام لهما يحركان علمه الابليسي وعمله الخبيث الذي كان يعمله ويعتقده في أهل الحق، ويكنه لهم من العداوة ويضمره فيهم من المناصبة والبغض لهم، والأعمال القبيحة، وهو صورته التي ابتنت من ذلك شيئا بعد شيء، فيتخيل له في آخر دقيقة من عمره شخصاً مظلما مشوها، على أقبح ما يكون وأشوهه فينكره وبفزعه ويقلقه ويهوله، ثم يفظع عند ذلك، وقد علم من أهل الشر، وهذه حقيقة منكر ونكير»[٤٤١].

وبمثل ذلك ذكر علي بن الوليد «أن كل ناطق ووصيه هما الملكان المشار إليهما بمبشر وبشير للأولياء ومنكر ونكير للأضداد اللعناء الأشقياء»[٤٤٢].

---

(٤٤١) «الأنوار اللطيفة» للحارثي اليماني ص ١٤٧، ١٤٨ الفصل الثالث والرابع الباب الأول من السرادق الرابع.

(٤٤٢) «الذخيرة في الحقيقة» الفصل الحادي والثلاثون ص ١٤٤ ط دار الثقافة لبنان ١٩٧١م.

وأما الجنة والنار فيبيّن حقيقتهما الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب إسحاق السجستاني بقوله:

«الجنّة والنار لفظتان تقتضيان معنيين: أحدهما لأهل الثواب، والآخر لأهل العقاب. فنظرنا في كلّ واحد من هذين اللفظتين ممّا يقتضيه في المعنى. فوجدنا الجنّات تقع على اسم البستان الذي هو مزيّن بالأشجار المثمرة والرياحين الطّيبة والمياه الجارية، لكي يكون للحسّ فيها سكون وراحة ودعة. كذلك العلوم والفوائد العقلّية والنفسيّة انّما هو بستان التمييز، قد زيّن بالنطقاء والأسس والأئمّة واللواحق وبعلومهم الجارية من قبلهم وبحكمهم الطّيبة الشهيّة، التي تكون للصور الخفيّة فيها سلوة وسرور وراحة وأنس ودعة؛ غير انّ علومهم الجارية ههنا انّما هى علوم مشوبة بألفاظ وعبارات، لا ينبىء عن هويّتها الاّ الوقت المقدّر لها. فاذا بلغت غاياتها واستقرّت في هويّتها ورمت بثقلها، استقرّت بأحسن هيئة وأشرف رتبة بما «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

ومثال ذلك الأغذية التي بها قوام الحياة في الأبدان، فانهاحياة لها؛ غير ان الحياة فيها مستورة في قشورها ووقاياتها؛ فاذا استقرت في هويّتها ورمت بسفلها، استقرّت بأحسن هيئة وأشرف رتبة، ولا يملّ البدن تلك الحياة أبداً، ولا يتعب في امساكها (بل يملّ) من قبل أن رمت بسفلها من قبل نيل الأغذية ويتعبه استعمالها. كذلك العلوم الجارية من النطقاء المشوبة بالألفاظ والعبارات تملّ النفس الاستعمال لها، ويصيبها التعب والنصب في حفظها. فاذا ألقت عنها قشورها، صارت في غاية اللطافة والبعد من الملالة والنصب والتعب.

وأمّا النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النيّئة؛ غير أنّها تفسد الصور الطبيعيّة وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة. كذلك الشرائع الناموسيّة المعراة عن العلوم مستعملة لإصلاح العالم الطبيعيّ وقوام الخلق بها؛ غير أنّ الاصطلاء بها والاستعمال لها يفسد الصورة اللطيفة ويوقع الشبهة والالتباس؛ غير أنّها إذا برزت بهويّتها، نراها في غاية

الإيلام للأنفس المتعلّقة بها ما «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

ومثله كالسموم القاتلة، فإنها قد أخرجتها الطبيعة لصلاح الخلق في بعض الأوقات الداعية إليها. فإذا أدامها الانسان، أفسدت حياته وقطعت عنه لذّات هذا العالم الحسيّ. غير أنّ النار ههنا موجودة في كلّ موضع ولا يخلو منها موضع. والجنّة غير موجودة في كلّ مكان، بل في مكان دون مكان. وفي الأمكنة التي توجد (فيها) الجنّة، عليها موكّل لا يأذن لكلّ أحد (في) الدخول فيها. وأمّا النار فإنّها ظاهرة نيّرة مبذولة لكلّ أحد. كذلك الشرائع المقلّدة موجودة في كلّ مكان، لا يخلو منها قوم من الأقوام. وأمّا العلوم المخصوصة بها أقوام، فلا يتهيّأ لأحد الوصول إليها إلّا بإذن الهادي العالم الموكّل بها. وأمّا الشريعة فإنّها ظاهرة نيّرة مكشوفة مبذولة لكلّ طالب، فاعرفه»[٤٤٣].

ويقول الداعي الفارسي سهراب ولي بدخشاني: «إن الجنة عبارة عن البقاء والمعرفة في العالم المعقول وعن اللذات في العالم المحسوس، وعلى ذلك أن الجنة هي كناية عن أهل الحق والبقاء وهم أرباب التأويل الذين يعرفون حقائق التنزيل، وعن أهل اللذات الذين هم أصحاب الجاه والمال، وأن أبواب الجنة الثمانية عبارة عن القوى التي يملكها الانسان ويدرك بها المحسوسات والموهومات والمعقولات، وأنها هي الحواس الخمسة والخيال والوهم والعقل. وخازن الجنة هو الشخص الذي يكون هواه تبعاً لعقله»[٤٤٤].

---

(٤٤٣) «كتاب الينابيع» للسجستاني الينبوع الثامن والعشرون في معنى الجنة والنار ص ٦٧ و ٦٨ و ٦٩.

(٤٤٤) كتاب فارسي «سي وشش صحيفة» لسهراب ولي بدخشاني صحيفة سي وسوم دربيان بهشت ودرهائي بهشت ص ٦٢، ٦٣.

وأما الجحيم فيقول هذا الداعي:

«إن الجحيم عبارة عن الباطل والفناء والألم، وأهل الجحيم هم أهل الباطل وأهل الفناء والألم، وأن أبواب الجحيم السبعة كما ورد في القرآن: (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) وأن هذه الأبواب السبعة هي الحواس الخمسة الظاهرة والخيال والوهم»(٤٤٥).

ويقول أبو إسحاق القوهستاني: «إن الجنة شخص يدعو الخلق إلى الخالق، وأن الجحيم أيضاً شخص يبعد الناس عن الله وعن ألوهيته، وأهل الجنة هم الذين يتحدون في ذات الله، وأهل النار الذين يهربون من الاتحاد في ذات الله»(٤٤٦).

ويقول الداعي عبدان:

«إن الجنة هي العقل، وأبوابها الثمانية هي النفس والحروف العلوية السبعة»(٤٤٧).

ويقول داع اسماعيلي آخر:

«إن أبواب الجنة الثمانية هم الأئمة السبعة، والقائم على ذكره السلام، وأبواب النار السبعة هم أضداد الأئمة السبعة، والقائم لا ضدّ له لقهره الأضداد عند قيامه»(٤٤٨).

ويقول الداعي قيس بن منصور:

«إن أهل الجنة هم الأنس بالفعل، وأرضهم الروحانية هي القائم،

---

(٤٤٥) أيضاً «صحيفة سي وششم» ص ٦٧، ٦٨.

(٤٤٦) «هفت باب أبو اسحاق» باب ششم ص ٤٧، ٤٨.

(٤٤٧) «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ١٣٨ نشر عارف تامر ط دار الآفاق الجديدة ١٩٨٢م.

(٤٤٨) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٧٣ من (أربعة كتب اسماعيلية) نشر المستشرق شتروطمان ط المجمع العلمي غونتيغن.

وماؤهم الروحاني هو النفس، وهواؤهم العقل، والكلمة للعقل والنفس، والقائم في المقام الأعلى من النار»(٤٤٩).

هذا وقد ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب والحشر والنشر وغيرها من أمور الآخرة كلّها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد الطيبي بقوله:

«والقبر فهو الصورة الجسمانية، والهياكل الجرمانية، وأمّا عذاب القبر فهو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع، وذلك على سبيل التغيير، وأمّا إتيان منكر ونكير، فهو إستيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك، وأمّا الحشر فهو إنحطاط النفوس في سلك إنقيادها وإنجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها:

[يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناس بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِك يَقْرأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمون فَتيلاً].

وأمّا النشر فهو ظهور النفوس في عالمٍ بعد عالم على وفق مكتسباتها، وأمّا تأويل القيامة، فقيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسيَّة، والآلات الجسدانية، وقيام الشرائع والأديان، بظهور صاحب الزمان، وقيام الدور بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية، وقيام القيامة بكمال الإخلاص والنجاة، واستراحة النفوس بأجمعها من الإيراد والإصدار، واتصالها بعالم القدس، ومحل الأنوار، وانقضاء مدة الساعات الكبيرة، واجتماع السيارات بعد افتراقها في نقطة الاعتدال الأولى بقيامة الكل، وانقضاء البعثين، وانطباق المنطقتين، وحصول العلم والقدرة للنفس في العالمين، وفقدان التفاوت في الأصول، وخلع الهيولي لباس الصورة، والاستغناء عن موجبات الضرورة، واتخاذ العالم بنوعه وأصله، وتحقيق قوله، وإليه يرجع الأمر كله، وأمّا الكتاب فهو لوح الضمير، ومحل ما حرمنا به النفس من التصديق والتصوير، وقراءته هي المعاينة والمشاهدة النفسية لمعلوماتها المكتسبة، فإذا كانت العلوم البرهانية، والحقائق القطعية مأخوذة

---

(٤٤٩) «رسالة الأسابيع» لقيس بن منصور الداديخي ص ١٧٢ من (خمس رسائل اسماعيلية).

من قبل النفس باليمين تكون هي الطرف الأعلى في الهدى واليقين، وإذا كانت التصورات الوهمية والتصديقات الظنيَّة، والشكوك الجدلية، والاعتقادات التقليدية مأخوذة من قبل النفس بالشمال، تكون في الطرف الأدنى من الضلال والتخمين، وأما الحساب فهو توقف النفس الكليةً العالية للنفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال عند استعمالها آلات الصورة والأشكال، بالقوى الأربعة المركبة، ومنها القوى الانسانية وهي الملكية، فإن تغلبت عليها استحقت حسن الثواب، وأمنت من سوء العقاب، وارتقت سائحة في فضاء الأفلاك، متصرفة في العوالم التي هي دونها، واندرجت في العروج إلى مستقرها الروحاني، وعالمها النوراني، وان تغلبت عليها القوى الثلاثة منعتها من الانبعاث، وسارت بها إلى موضع العقاب، عندئذٍ تكون قد رجعت بخيبة المآب، وانطلقت إلى ظل ذي ثلاث شعب، وسجنت في قبور الذل والتعب، وأمَّا الميزان فهو الآلة التي يستعملها العقل الدّراك المحيط المميز المركب من البسيط، وأمَّا الصراط فهو البرزخ، ومعبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى، وأمَّا معنى الجنَّة فهي العوالم الثمانية: أولها جنة الميراث وهي رتبة الانسانية، والثانية جنة عدن وهي الرتبة الملكية، وثالثها جنة الخلد وهي العوالم الفلكية، ورابعها الجنة العالية وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية، وخامسها جنة الفردوس وهي النفسانية، وسادسها جنة النعيم وهي عالم العلم، وسابعها جنة رضوان وهي عالم العقل، وثامنها جنة المأوى وهي عالم الأمر الذي منه بدت العوالم وإليه معادها، أما درجات الجنة فهي مراتب العلوم ومقادير المفهوم في كل مقام، وأمَّا اللذات والنعمات، فهي جولان النفوس في فضاء معارها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدها ومواقعها، وأمَّا الأرائك والظل والنمارق والحلل، فهي مظاهر النفوس في الصور المتفاضلة، وخلعها للصور المخالفة، وتلبسها بالأشخاص المشاكلة، وأمَّا الأبارق والأكواب والساقي والكأس والشراب فهي آلات المدارك وأدوات المخالطة بعلوم الملكوت والملائكة، والساقي هو إمام الدور الدائر، والكأس ما ألفه الناطق من الظواهر، والشراب المظهور من تأويل التنزيل، وكشف المستور، وأما النار

فهي العوالم السبعة المتولدة من الثلاثة أركان أولها: لظى وهي كرة الأثير، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير، ثم السعير مقر الماء، ثم الهاوية مكان الغبار، ثم جهنم عالم الحيوان غير الإنسان ثم مقر مرتبة النبات، ثم سجيل منزلة المعدن ودرجاته وأجرامه الكثيفة والثقيلة، وأهلها هم النفوس الجزئية القائلة في الآيات بالباطل، والاعتقادات الرديئة، وأمّا العذاب، والعقاب فما تجده من الآلام والأوجاع والاسقام ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات، والزبانية فهي صور أهل الشكوك والجهالات، وأشخاص أهل الضلالات والخيالات، ومظاهر الآراء الباطلة، والاعتقادات الرديئة، وشجرة الزقوم الانتساب إلى الأضواء، والاجتناء من ثمرة الكفر والعناد، وطعام غسلين اعتقاد ما لا يطيقه العقل والدين، وتقلب أصحاب الشبهات والتخمين، وشراب الحميم الاحكام والمخالفة للحق اليقين، وأمّا المصير والرجوع إلى الله تعالى فهو انتهاء جميع النسب والاضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة على المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية، أو معرفة مرتبة الامام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام»(٤٥٠)

ولا بأس أن نذكر أخيراً أن الداعي الكبر القديم. أبا يعقوب السجستاني قد أنكر القيامة والبعث والنشور وانشقاق السماء وانفطار الأرض وانتثار الكواكب وغيرها من علامات الساعة واستهزأ بها، كما أنكر الجنة والنار بمعناهما الحقيقي، وقال مخاطباً مخالفيه:

«إذا كان أمر القيامة على ما وصفتموه وخلد الأبرار والفجار في النعيم والجحيم ماذا بقي من ربوبيته؟

وفي أيّ شيء يستعمل قدرته؟»(٤٥١).

---

(٤٥٠) «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي ص ٦٨ وما بعد من أربع رسائل اسماعيلية ط دار مكتبة الحياة بيروت.

(٤٥١) انظر «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ٨٢ ط بيروت.

وهناك عقائد أخرى وافق فيها لاسماعيلية الطوائف الشيعية الأخرى، نذكرها ههنا إتماماً لهذا الباب، فمنها: الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم فيصرح القاضي النعمان بهذه العقيدة في كتابه (أساس التأويل) قائلاً:

«ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة أساسه صلوات الله عليه وكتموا نص الرسول وبيعته التي بايعوه بغدير خم واتبعوا ابليس وقابيل والسامري حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وأمرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الأساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ لما جمعه وجاءهم به فقالوا حسبنا ما معنا من كتاب الله ولا حاجة لنا إلى ما معك فأخذه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصراً ولا معيناً واشتدت عليه المحنة وكثر أذاهم له حتى هموا بقتله في صلاته لأن الضد الأول أمر خالد بن الوليد إذا صلى عليه السلام معهم في الصف الأول وقال له إذا سلمت فاضرب علياً وهو في الصلاة في تسبيحه فاقتله وتكون فيها سداً فلما صلى تفكر في قوة بني هاشم وقال ربما لا يتم لخالد قتله فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل، فأطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت أن تطلع فعندئذ قال: لا يفعل خالد ما أمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال علي صلوات الله عليه لخالد ويلك أو كنت تفعلها ومد يده إلى طوقه ومسكه فما قدر أحد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد ﷺ فأقسموا عليه فخلاه من يده»[٤٥٢].

وقد مثل جعفر بن منصور اليمن للتحريف في القرآن أمثلة عديدة فيقول:

«وقد خاب من حمل ظلماً ظلم آل محمد «هكذا أنزلت هذه الآية»[٤٥٣].

وأما قول الله عز وجل: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون».

---

(٤٥٢) «أساس التأويل» للقاضي النعمان.

(٤٥٣) «كتاب الكشف» ص ٧٨.

فيجيب عنه مفسرهم الكبير حيث يقول:

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون «أي من التغيير في معانيه»[٤٥٤].

إذ من المعروف أنهم يعتقدون أن معانيه محفوظة، مصونة لدى أئمتهم ودعاتهم.

وإضافة إلى ذلك فإن الاسماعيلية يعتقدون بأن القرآن الكريم من تأليف النبي ﷺ ولم ينزل به جبريل كما هو معتقد المسلمين فيذكر داعيهم الكبير أبو يعقوب إسحاق السجستاني في كتابه:

«ألّف النبي كتابه (القرآن) مما استفاده من العالم الروحاني»[٤٥٥].

وهناك روايات أخرى يروونها، وقد ذكرناها فيما سبق في فصل «اعتقادهم في النبوة» مثل «تسلّمت من خمسة وسلمت إلى خمسة» وغيرها يستدلون منها أن القرآن الكريم لم ينزل به جبريل وإنما تسلم من رجال أو عقول.

فهذا هو اعتقادهم في كتاب الله القرآن الكريم بأنه من كلام الرسول ﷺ ومحرّف فيه؛

وأما معتقدهم في الصحبة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين فيقول جعفر بن منصور اليمن في تفسير قول الله عز وجل: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»:

«هم أبو بكر وعمر وعثمان»[٤٥٦].

ويفسر الآية «وكان الشيطان للانسان خذولا «أي عمر لأبي بكر»[٤٥٧].

---

(٤٥٤) انظر «مزاج التنسيم» ص ١٠٦.

(٤٥٥) إثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٥٧.

(٤٥٦) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٢٥.

(٤٥٧) أيضاً ص ٣٠، «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن، نسخة خطية.

كما أنه يقول:

«إن القائم يصلب أبا بكر وعمر»[٤٥٨].

ويقول:

«ألا انهم هم السفهاء» أي الأول من الظلمة والثاني ومن آمن بهما»[٤٥٩].

وأن كتابه (الكشف) لممتلىء من مثل هذه السباب والشتائم، والتفسيق والتكفير.

وأما القاضي النعمان فكفّر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حيث قال:

«كفر أبو بكر بنصبه عمر * وكفره لما أتى عنه الخبر»[٤٦٠]

ويقول:

«كان أبو بكر وعمر وعثمان جاهلين بأحكام الدين»[٤٦١].

وكذب علي عليّ حيث قال:

«قال علي في أهل صفين: والله ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر»[٤٦٢].

وحكي المؤيد الشيرازي قصة غريبة تدل على كفر أبي بكر وعمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم ملخصها أن أبا بكر كان حجة لإحدى الجزائر وكان يطمع أن يكون هو آخر الأنبياء ولكن الله أرسل محمداً ﷺ، فاضطرب أبو بكر ولم يجد بداً من إيمانه بمحمد ﷺ طمعاً في الوصاية، ولكن الله نصّ على عليّ، فعزم أبو بكر وعمر وغيرهما على اغتصاب حق الوصاية من علي، فلما

(٤٥٨) أيضاً ص ٣٤.

(٤٥٩) أيضاً ص ٦.

(٤٦٠) «الأرجوزة المختارة» للقاضي النعمان ص ٩٩.

(٤٦١) «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان ص ٣٧٩.

(٤٦٢) أيضاً ص ٢٣٥.

علم بذلك رسول الله ﷺ دعاهم فحلفوا أنهم ما قالوا فأنزل الله هذه الآية:

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا»[٤٦٣].

ويقول كذلك في تفسير الآية:

«ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا» إن الشيطان هو عمر»[٤٦٤].

ويقول الكرماني:

«ترك النبي ﷺ قومه وفيهم المنافقون، ومضلون، والمبطلون . . . لم يساعد الزمان علياً فغلبته الأضداد وقعدوا مكانه»[٤٦٥].

وأما الحامدي فيقول في كتابه:

«من الصحابة من أقروا بنبوة النبي وخالفوا علياً فلم ينفعهم إقرارهم بالرسول»[٤٦٦].

ولعن أحد دعاتهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في رسالته حيث قال:

«أبو بكر لعنة الله عليه، عمر لعنة الله عليه ـ عياذا بالله ـ»[٤٦٧].

ويقول السجستاني:

«لما انتقلت الإمامة والخلافة من أهل بيت النبوة إلى تيم وعدي وأمية أتت بسفك الدماء واستحلال الفروج»[٤٦٨].

---

(٤٦٣) «شرح الرسائل» ج٢ ص ١٦٣ نقلاً عن مقدمة «ديوان المؤيد الشيرازي» لمحمد كامل حسين.

(٤٦٤) «المجالس المؤيدية» ج٢ ص ١٣٦.

(٤٦٥) «راحة العقل» للكرماني ص ٥٠٠.

(٤٦٦) «كنز الولد» للحامدي ص ٩٩.

(٤٦٧) «كتاب الإزهار» لحسن بن نوح الهندي منتخبات اسماعيلية ص ٢٢١.

(٤٦٨) «إثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٥٩.

وأما مفسرهم ضياء الدين الاسماعيلي فقد كفّر الصحابة، وشتمهم، وسبّهم في مواضع كثيرة لا تعد ولا تحصى، من كتابه (مزاج التنسيم) فانه طبق جميع آيات الكفر والضلال على أخيار هذه الأمة وأسلافها، فمثلاً يقول تحت تفسير قول الله عز وجل: «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض»:

«هم: الثلاثة ومعاذ وعبيدة وسالم وعبد الرحمن ومعاوية وعمرو وطلحة والزبير . . . إنهم رأس الضلالة في كل دور من أدوار الستر»[٤٦٩].

ويقول:

«الزاني لا ينكح إلا زانية: يعني الأول والثاني . . . فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» أي عند نبشهم من قبورهم لدى تعليقهم في جذوع النخل»[٤٧٠].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة.

هذا هو اعتقادهم في صحابة الرسول ﷺ.

وأما التقية فيروون فيها روايات كثيرة عن أئمتهم، منها الرواية المشهورة: قال جعفر: التقية ديني ودين آبائي . . .[٤٧١].

ورواية أخرى ذكرها جعفر بن منصور اليمن في كتابه:

قال الأئمة: اكتموا سرّنا، ومن أذاع سرنا فقد جحد حقنا»[٤٧٢].

وأما رأيهم في مخالفيهم فهم يعتقدون بتكفيرهم وتفسيقهم ولعنهم فيقول جعفر بن منصور اليمن:

---

(٤٦٩) «مزاج التنسيم «لضياء الدين ص ٣٣٥.

(٤٧٠) أيضاً ص ٢٧٧.

(٤٧١) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٩٢ من «المنتخب»، أيضاً «الأنوار اللطيفة» ص ١٤٤، أيضاً «المجالس المويدية» ص ٤٠٣.

(٤٧٢) «كتاب الكشف» ص ٣.

الذين كفروا سواء عليهم . . . أراد به الأضداد ومن اتبعهم»[٤٧٣].

ويقول السجستاني مخاطباً لمخالفيهم :

«على جميع الوجوه الكفر لكم لازم»[٤٧٤].

وقالوا :

«أهل الباطل (أي المخالفون) أمثال الكلاب»[٤٧٥].

وقال النعمان المغربي : المخالفون : اتبعوا أهواءهم وخالفوا كتاب الله»[٤٧٦].

وقال أحد دعاتهم : يأجوج ومأجوج هم أمثال أهل الظاهر[٤٧٧].

ويخاطب السجستاني مخالفيهم ويقول :

«إن مدّ الله أعماركم سترون ما تحسون به نتن أنفسكم وطهارة أنفسنا»[٤٧٨].

كما أن المؤيد الشيرازي سمى المسلمين الذين يخالفون ديانته بأولاد الزنا[٤٧٩].

وذلك لانكارهم علياً فانه بمنزلة أم للمسلمين ويستدلّون لذلك بما ينسبونه إلى الرسول ﷺ أنه قال : «أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين» فقد أنكر المسلمون علياً فإذن هم أولاد الزنا»[٤٨٠].

---

(٤٧٣) أيضاً ص ٤ و ٦.

(٤٧٤) «الافتخار» للسجستاني ص ١٨ .

(٤٧٥) «كتاب الكشف» ص ٩٦ .

(٤٧٦) «اختلاف أصول المذاهب» للنعمان المغربي ص ٣٨ ط دار الأندلس، بيروت.

(٤٧٧) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٣٠ من «أربعة كتب اسماعيلية».

(٤٧٨) «كتاب الافتخار» ص ١٣١ .

(٤٧٩) انظر «القصيدة الأربعون من «ديوان المؤيد الشيرازي» ص ٢٨٤ .

(٤٨٠) انظر «المجالس المؤيدية» للشيرازي ج١ ص ١٣١ .

وأخيراً نذكر ما قالوه في الخلفاء الراشدين الثلاثة ومن اتبعهم: «الأضداد الثلاثة وتابعيهم لعنهم الله»[٤٨١].

فهذه هي نظرتهم إلى المسلمين المخالفين لمذهبهم وديانتهم.

هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الباب. والله يهدينا إلى سواء السبيل.

---

(٤٨١) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٧ من «أربعة كتب اسماعيلية».

الباب السادس

الاسماعيلية والتأويل الباطني

من الخصائص التي يختص بها الاسماعيلية، ويعدّونها من مفاخرهم هي تمسكهم بالتأويل الباطني قائلين: إنه لا بدّ لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه[1].

مستدلين بقول الله عز وجل: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ــ إلى قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم[2].

وبما نسبوه إلى رسول الله ﷺ:

«ما نزلت عليّ من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن»[3].

وروى أبو حاتم الرازي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) كتاب «أساس التأويل» للنعمان القاضي ص ٢٨ ط دار الثقافة بيروت».

(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

(٣) انظر «أساس التأويل ص ٢٩، ٣٠ أيضاً المجالس المؤيدية للشيرازي ج١ ص ٣٤٩ ط دار الأندلس بيروت.

«ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع»(٤).

ثم قسّموا الظاهر والباطن بين الرسول والوصي حيث قالوا:

«كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلوات الله عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه عليه جزيل الانعام»(٥).

وفرّقوا بين الظاهر والباطن إلى حدّ أن قالوا:

«إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصيّ عليّ بن أبي طالب»(٦).

وهكذا جعلوا علياً رضي الله عنه شريك الرسول في نبوته وشريعته كاذبين على الرسول ﷺ أنه قال:

أنا صاحب التنزيل: وعليّ صاحب التأويل»(٧).

فجعلوا تبليغ نصف الدين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وتبليغ النصف الآخر إلى عليّ رضي عنه الذي هو الوصيّ والأساس كما صرّح بذلك الداعي الاسماعيلي:

---

(٤) «أعلام النبوة» لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي ط انجمن فلسفة إيران ١٣٩٧هـ.

(٥) «كتاب الذخيرة» في الحقيقة للداعي علي بن الوليد المتوفي سنة ٦١٢هـ ص ١١٣ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

(٦) انظر «الافتخار» للداعي أبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ٧١ ط لبنان.

(٧) «سيرة المؤيد في الدين» ص ١٧ تقديم محمد كامل حسين ط دار الكاتب المصري، إيضاً كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٥ نشر شتروطمان ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٤٩م، أيضاً «مذكرات داعي الدعاة» ص ٣٥ تحقيق عارف تامر ط مؤسسة عز الدين بيروت، أيضاً «فصل من الرشد والهداية» لابن حوشب منصور اليمن ص ٢١١ من «COLECTANEA»، نشر الجمعية الاسماعيلية ط ليدن ــ هولندا.

إن علي بن أبي طالب هو مثل الليل لكونه صاحب التأويل، ومنزلة الرسول منزلة النهار لأنه صاحب التنزيل الظاهر، ولما كان الدين ظاهراً وباطناً قام النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين وهو الباطن(٨).

فما دام صاحب التأويل مبلّغاً نصف الدين ومالكه فلا يقل شأنه ومقامه عن صاحب التنزيل الذي يملك تبليغ نصف الدين الآخر، بل يكون عارفا بكل ما عرفه صاحب التنزيل، وعالماً بما علمه، ومطلعاً على ما اطلع عليه، بل يفوقه في أشياء حيث هو يعرف كنه الأشياء ومغزاها، ويطلع عليها المستحقين المستجيبين، ولا يبوح بها عند غيرهم وقت ما لا احتياج لصاحب الظاهر إلى هذه الأمور لملكه الأمور الظاهرة التي لا تحتاج إلى الاخفاء والكتمان.

ولقد صرّح بكل ذلك كبير القوم أبو يعقوب إسحاق السجستاني الداعي الأجل في كتابه (إثبات النبوءات) تحت عنوان (أن الدور لا يكون إلّا من اثنين: صامت وناطق) فيقول:

لما كان الناطق يأتي لينسخ شريعة ما قبله بإظهار شريعة جديدة، كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله، وأنه لا بدّ للناطق من صامت يكون قريباً منه وأساساً له. وقد جاء بالقرآن الكريم: (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) فدلت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه لا بد لكل ناطق من صامت يحتاج إلى مشورته في أمور الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الإلهية والعناية الربانية، وقد وجب أن يكون الصامت قد اطلع مثل الناطق على جميع الأسرار النبوية ليمكنه موآزرته ومعاونته ومعاضدته بتنفيذ أحكامها.

---

(٨) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٢٩، ٣٠ من (أربعة كتب اسماعيلية) لشتروطمان ط المجمع العلمي غونتيغن.

وقد اتفق جميع العلماء على أن الله سبحانه وتعالى أنزل فرائضه في الشرائع مجملة وغير مقسمة ففسرها وقسمها الرسول ظاهرياً ووضع كل شيء منها في موضعه ثم عهد بتقسيمها وتفصيلها باطنياً إلى صامت يعرض عليه من التأليف ما يكون له القوة والفاعلية، وقد لا يكمل الدور إلّا باثنين صامت وناطق، وقد رأينا الخلق من الابداع قد استقرّ على أصلين: ناطق وهو السابق، وصامت وهو التالي[٩].

ولا يكون نصب صاحب التأويل واصطفاؤه واختياره إلّا من قبل الله عز وجل كما يكون اصطفاء صاحب التنزيل واختياره[١٠].

ولا يكمل الدين إلّا به لا بغيره كما ذكره جعفر بن منصور اليمن:

«إن حجة محمد وهو علي صاحب التأويل صلوات الله عليه ينفخ الروح في الأجسام، ومعناه في الباطن أنه يلقي العلم الباطن على العلم الظاهر فيثبت بذلك الدين القيّم ويكمل بإذن الله، ويحيى بذلك العلم الأموات بالجهل، والروح مثل العلم والعمل مثل الجسم، وكل جسم لا روح فيه فهو ميّت، وكل عمل لا علم معه هو جسد لا روح فيه، فالجاهل ميت حتى يحييه صاحب الحق بعلم الحق[١١].

فالعلم والروح هو الباطن، والعمل هو جسد بلا روح، واعتقاد بلا علم كما قال إخوان الصفاء[١٢].

وعلى ذلك قال الكرماني:

---

(٩) «إثبات النبوءات» للسجستاني الفصل العاشر من المقالة السادسة ص ١٩١، ١٩٢ ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٦ لبنان.

(١٠) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٦ تحقيق شتروطمان ط دار الفكر العربي.

(١١) «كتاب الكشف» ص ٦٨.

(١٢) انظر «رسائل أخوان الصفاء» ج١ ص ٧٨.

«إن أهل الظاهر العابدون بالعمل فقط، وإن أهل الباطن هم العالمون بالعلم»[13].

و «منكر صاحب التأويل كافر»[14].

كما كفروا كل من لا يؤمن بالباطن، فيقول جعفر بن منصور اليمن:

«من عمل بالباطن والظاهر فهو منا، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه، وليس منا»[15].

ويقول النعمان القاضي:

«ومن أقام الظاهر وحده دون الباطن كان كمن قال رسول الله ﷺ: إنه لا خلاق له، وممن قال الله سبحانه: «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، والخلاق في اللغة: النصيب من الحظ الصالح فمن اقتصر على الظاهر وحده دون الباطن لم يكن له نصيب من الحظ الصالح في الدنيا ولا في الآخرة، والشرى الذي ذكره الله عز وجل أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم هو البيعة للرسول في وقته ولإمام كل زمان من بعده، كما نص على ذلك سبحانه في هذه الآيات بقوله: «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به» وقوله: «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» هو العهد المأخوذ في البيعة، فمن اشترى به ثمناً قليلاً من أعراض الدنيا بمخالفة ما أخذ عليه فيه لم يكن له نصيب من الحظ الصالح في الآخرة كما أخبر الله سبحانه بذلك فيما تلوناه من كتابه وبيناه فيما تقدم من كتابنا هذا من وجوب إقامة الظاهر والباطن، وأنه لا يجزي إقامة أحدهما دون الآخر»[16].

---

(١٣) انظر «راحة العقل» ص ٢٧٥ ط دار الأندلس بيروت.

(١٤) كتاب الكشف ص ٦٨.

(١٥) كتاب الفترات والقراءات لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٦ نسخة خطية.

(١٦) تأويل الدعائم للنعمان القاضي ج ٣ ص ٢٧١ ط دار المعارف مصر.

وروى أيضاً عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر»[١٧].

وكتب آخر تحت قول الله عز وجل: (ومن الناس من يعبد الله على حرف):

من عبدالله تعالى بظاهر دون باطن، أو بباطن دون ظاهر فهو ممن يعبده على حرف[١٨].

فالعاملون بالظاهر والمتمسكون به والقائمون عليه هم المسلمون عامة.

وأما المتمسكون بالباطن والمعتقدون بالتأويل فهم الاسماعيلية الذين سمّوا بالباطنية أيضاً لقولهم هذا.

كما أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ معجزته ظاهر القرآن، وتأويله معجزة لعليّ رضي الله عنه، ثم وسعوا فيه وعمموه على أولاده فقالوا:

فجعل عز وجل ظاهر القرآن معجزة رسوله، وباطنه معجزة للأئمة من أهل بيته لا يوجد إلّا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله ﷺ جدّهم، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته، وهو علم متوافر بينهم، مستودع فيهم، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون، ويعطون كل أحد منه ما يستحقون، ويمنعون منه من يجب منعه، ويدفعون عنه من استحق دفعه لقول العزيز الوهاب: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب[١٩].

ومعنى هذا وما سبق أن رسول الله ﷺ لم يبلّغ دين الله إلى الخلق إلّا قسماً منه مع قطع النظر أنه بلغ إلى من يستحقه أو لا يستحقه، وأن علياً

---

(١٧) الرسالة المذهبة للقاضي النعمان ص ٣٨ من خمس رسائل اسماعيلية ط دار الأنصاف.

(١٨) المجالس المستنصرية ص ٣٩ تحقيق محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي مصر.

(١٩) «أساس التأويل» للنعمان ص ٣١، ٣٢ باب جوامع من القول في تثبيت التأويل وباطن ما جاء في الحديث والتنزيل.

رضي الله عنه هو الـذي بلّغ القسم الآخر ولمن يستحقـه ويستأهله خـاصة، وبتبليغه كمل الابلاغ، وبقيامه كمل الدين.

وهكذا اشترك هو والنبي ﷺ في أداء الرسـالة التي حمّـلاها كـلاهما دون الآخـر، وصار القشر والجسم نصيب الـرسول، واللب والـروح حظّ عـلي، وعلى ذلك يقال له الأساس بمعنى أنه هو الأصل والمقصـود، كما أن الأسـاس يكون أصلاً للعمارة وسوساً للشجرة، ولذلك يكفـر من يؤمن بالقشر والجسم ولا يؤمن باللبّ والروح.

وبناء على ذلك أن الإيمان بالناطق والرسول ودعـوته لا يكفيـان لإدخال الكافر في الاسـلام، بل لا بـدّ مع ذلـك الإيمان بـالأساس والصـامت، فهو معيار الإيمان، وعلى دعوته المدار للفوز والفلاح.

ويظهر من هذا التقسيم أيضاً أن الرسول ﷺ صـامت عن الباطن، كـما أن علياً رضي الله عنه ساكت عن الظاهر:

«الناطق هو صاحب الشريعة، والصـامت هو أسـاس الشريعة في عهـد الناطق وصاحب تأويلها، فالرسول ينطق بـالظاهـر، والأساس صـامت عنه أي عن الـظاهر مؤدى للبـاطن . . . فالنـاطق بإزاء القلم، والصـامت بإزاء اللوح»[٢٠].

ومعنـاه أن علياً لا يـأمـر النـاس بـالصـلاة والـزكـاة والصـوم والحـج وبـالتكاليف الشرعيـة الأخرى سـواء أتوا بهـا أم لم يـأتـوا، وعملوا بهـا أم لم يعملوا، فإن عليه تبليغ الباطن وتعليم التأويل لا غير.

كما أن الرسول ﷺ ساكت عن العلم والبـاطن نهائياً ليس عليـه بيانـه، والافصاح به كما صرّح بذلك جعفر بن منصور اليمن:

الناطق نطق بالظاهر، وأعجم بالباطن فلم يفصح به[٢١].

---

(٢٠) أيضاً ص ٤٠، ٤١.

(٢١) «كتاب الشواهد والبيان» ص ٥١ ــ نسخة خطية.

وإن كان الأمر كـذلك فـما معنى إذن أن الرسـول عليه الصـلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة، وأنه رسول الجميـع، ودعوتـه إلى الخلق عامـة، وأنه خاتم النبيين، في قول الله عزّ وجلّ:

«وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً»(٢٢).

و «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»(٢٣).

و «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»(٢٤).

وقول الله عز وجل: «ما كـان محمد أبـا أحد من رجـالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»(٢٥).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة في هذا المعنى.

ثم وما الفائدة من دعوة الرسول ﷺ عامة النـاس إلى دين الله، واكتفاء علي رضي الله عنه وأولاده بعـده بدعـوتهم الخاصـة وخاصـة الخاصـة، وبعد أخـذ المـواثيق والعهـود مـا دامت النجـاة مقتصرة عـلى من يقبـل التـأويـل والباطن، التأويل الذي ليست لـه أية منـاسبة قـريبة ولا بعيـدة بالـظاهر من حيث اللفظ والمعنى، والبـاطن الذي لا دلالـة عليه من الكـلام، من سياقـه وسباقه ومدلوله.

أو لم يكن هـدف القـوم من هـذا كلّه صرف النـاس عن الشريعـة وتعـطيلها، وإبعـادهم عن الرسـول ﷺ ودعوتـه الحقيقية بـالتستر وراء عـلي وأولاده وهم منهم براء، حيث لا يقولون ما يقولون من التـأويل والبـاطن إلاّ من عند أنفسهم مختلقين مخترعين، متقوّلين عـلى الطيبـين من أهل بيت عـلي ظلماً وباطلاً، بهتاناً وزوراً، بأقوال لم يتفوهوا بها أبداً.

---

(٢٢) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢٣) سورةالأعراف الآية ١٥٨.

(٢٤) سورة يوسف الآية ١٠٨.

(٢٥) سورةالأحزاب الآية ٤٠.

وبـذلك قـال كل من الغـزالي، والديلمي، والعلوي، فيقـول الديلمي تحت عنوان (ذكر طرف من تأويلاتهم الباطنية):

«اعلم أن مذهبهم في الجملة أنه لا بدّ لكل ظاهر من باطن وهو المقصود في الحقيقة وهو بمنزلة اللبّ والظاهر بمنزلة القشر وعمّـوا بذلـك جميع الكـلام وأنـواع الأجسام ولم يعتـبروا المطابقـة بين الـظاهر والبـاطن بل تـأويلاتهم لا تناسب الظاهـر من حيث الحقيقة والمجـاز ولم يقتصروا مع ذلـك على تـأويل واحد بل أثبتوا تأويلاً للتأويـل وجعلوا للعبارة الـواحدة أيضـاً تأويـلات عدّة حتى ذكر صاحب «المبتـدأ والمنتهى» وهو من أكـابرهـم في الكفـر والضلالات والعمى قال وقد روى عن موالينا عليهم السـلام أنّا نقـول الكلمة لهـا سبعة وجوه فقال قائل سبعة وجوه فقال سبعون فقال القائل سبعون فقـال سبعمائـة فكـل ما أرتـج على قـارئه وخفيت معـرفته ودقّت عليـه اشارتـه وكُنّا بقـربـه فليسألنا عنه أو من يعلم أنه أعلم منه من أبناء جنسه ممّن يحمل هـذا العلم، ومتى كان الأمر على ما ذكره فلا يمكن الوقوف على المراد بالكلام أصلاً والحال هذه ولعلّ السائل لو قال له سبعمائة لقال سبعة آلاف ثم كذلك لأن كل ذلك قد خرج عن الحصر لعدم المطابقة وهذا يحقق لكل ذي تمييز أن غـرض القوم ما قدمناه من الخلع عن الدين والسلخ عن دين المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وقد قـال تعالى «ويـوم القيامـة ترى الـذين كذبـوا على الله وجـوههم مسودة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين»(٢٦).

وقال الغزالي:

«انهم لمـا عجـزوا عن صرف الخلق عن القـرآن والسنـة صرفـوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفـاظ إبطال معـاني الشرع، وبما زخـرفوه من التـأويلات تنفيـذ انقيـادهم للمبـايعة والمـوالاة، وأنهم لو صرّحـوا بـالنفي المحض والتكـذيب المجـرد لم

(٢٦) «بيـان مذهب البـاطنية وبـطلانه» للديلمي ص ٣٩، ٤٠ ط إدارة تـرجمان السنـة لاهور باكستان.

يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين»(٢٧).

وبمثل ذلك قال العلوي:

«أعلم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن التصديق، عمدوا بلطف الاحتيال، ودقة الاستدراج، فصرفوا ظواهر الشرع ونصوصه إلى هذيانات لفقوها، وتهويسات جمعوها وزوّروها، ليستفيدوا بذلك إبطال معاني الشرع وهدم أساسه، وأوقعوا في نفوسهم أنهم لو صرّحوا بالنفي المحض والتكذيب الصرف، لم يثقوا بانقياد الخلق لضلالاتهم، ولا بإصغاء سمع أحد إلى جهالاتهم. فقالوا: كل ما ورد من التكاليف، والحشر والنشر، وضمائر النصوص، والظواهر، وجميع المعجزات، فهي بأجمعها أمثلة ورسوم إلى بواطن مكذوبة، وأمور محرفة موهومة»(٢٨).

والدليل على أن تأويلاتهم وباطنهم لا علاقة لها بظاهر الكلام، ولا سياقه وسباقه، ولا مدلوله ومطلوبه هو ما أثبتوه في كتبهم الباطنية وكتب التأويل من العجائب والغرائب البعيدة كل البعد عن الكلام الأصلي ومعناه الحقيقي والمفهوم المتبادر إلى الذهن.

وكذلك أن التأويلات التي أتى بها هؤلاء الناس أتوا بها من عند أنفسهم، لم يقل بها عليّ رضي الله عنه، الذي يقولون إنه هو صاحب التأويل، لوجود التعارض والتناقض في تأويل شيء واحد صادر عن أكابرهم في كتبهم المختلفة، التعارضات والتناقضات التي بلغت إلى حدّ لا يمكن التوفيق بينها، والتي جعلت أحد المثنين عليهم والمحبين لهم يضطر ويقول:

نستطيع أن ندرك كثرة الاختلافات التي كانت بين الدعاة، ولا نستطيع أن نعلل وجود هذه الاختلافات في حين أن الفاطميين صرّحوا مراراً أن

---

(٢٧) «فضائح الباطنية» للإمام الغزالي الباب الخامس الفصل الأول ص ٥٥ ط الكويت.

(٢٨) «الافحام لأفئدة الباطنية الطغام» الافحام الرابع ص ٧١ ط منشأة المعارف ـ الاسكندرية.

علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الذي أودعه الله أسرار دينه وأسرار خلقه[٢٩].

وإليكم بيان ما قلناه من كتب القوم من التأويل البعيد الغريب الذي لا ينهض الكلام به، والتعارض والتناقض في تأويل شيء واحد.

نظرية المثل والممثول

وقبل أن نسرد النصوص نريد أن نلفت أنظار الباحثين والقراء إلى أن هناك إصطلاحاً إسماعيلياً خاصاً للتأويل، وهو: المثل والممثول. فالمثل هو الكلام الدال على شيء، والممثول هو مقصود الكلام الباطني الذي يدل عليه. فمثلاً يقول الاسماعيلية إن المبدع الأول وهو القلم يدل على الناطق، والمبدع الثاني وهو اللوح يدل على الأساس. فالمبدع الأول والقلم، والمبدع الثاني واللوح مثل، والناطق والأساس ممثولان، وكذلك يقولون إن صلاة الظهر مثل على النبي، وصلاة العصر مثل على عليّ. فالظهر مثل والعصر مثل أيضاً، والنبي ممثول للظهر، كما أن علياً ممثول للعصر، فالظاهر مثل والباطن ممثول.

ويقول المؤيد الشيرازي مبيناً معنى المثل والممثول:

خلق الله أمثالاً وممثولات، فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول، والدنيا مثل والآخرة ممثول، وأن هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل، وأن قواها الباطنية التي تؤثر في المسموعات هي ممثول تلك الأمثال[٣٠].

---

(٢٩) انظر مقدمة «ديوان المؤيد» الشيرازي» لمحمد كامل حسين ص ٩٧ ط دار الكاتب المصري القاهرة ١٩٤٩م.

(٣٠) «المجالس المؤيدية» المجلد الثاني المجلس السابع.

وبمثل ذلك قال في ديوانه:

والـذي قـال في الـكـتـاب تـعـالى مـثـل ذاك تحـتـه ممـثـول[٣١].

وجاء في كتاب (المجالس المستنصرية):

معشر المؤمنـين إن الله تعـالى ضرب لكم الأمثـال جمـلاً وتفصيـلاً، ولم يستح من صغر الأمثال إذا بين بـه ممثولاً، وجعـل ظاهـر القرآن عـلى باطنـه دليلاً[٣٢].

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مبيناً التأويل وعلاقته بالمثل والممثـول وأصل هذه النظرية ومصدرها ومأخذها، فيقول:

«فالقاعدة في التأويل عند الاسماعيلية هي تطبيق المثل والممثول، فظاهر القرآن مثل، وباطنه ممثولات. والظاهـر هو هـذه المعاني التي يعـرفها العـامة وينطق بها علماء أهل السنة. والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين، وعـلى الرغم من أن الإسـماعيلية أتـوا بأدلـة من القرآن الكـريم على التـأويل وعـلى نظريـة المثل والممثول فإن هذه النظرية وإن كانت قد صبغت بالصبغة الإسلامية فإنها هي نظرية المثل الأفلاطونية القديمة، أدخلوها في عقيدتهم بعـد أن غيروا فيهـا بما يتفق مع تعاليمهم وعقائدهـم الإسلامية، ويخيل إلى أن فكرة التأويل البـاطن على هذا النحو الذي نراه عند الإسماعيلية لم تعرف لدى المسلمـين قبل عصر الترجمة والحركة العلمية التي ظهرت في عصر المأمون العبـاسي وبعده. وبعـد أن تـرجمت الكتب الفلسفيـة اليـونـانيـة، فـالمعـروف أن بعض فـلاسفـة الإسكندرية وعلى الأخص فيلون وتلاميذه حاولوا تأويل التوراة تأويلاً باطنياً ــ إن صح هذا التعبير ــ وأن القديس أوغسطين هو أول من حـاول تأويـل الإنجيل تأويلاً باطنياً كذلك. وجاء الإسماعيلية وأخذوا فكرة التأويل مما نقل

(٣١) ديـوان المؤيد الشـيرازي القصيدة الخـامسة ص ٢١٧ تحقيق محـمـد كامـل حسـين ط دار الكاتب المصري ــ مصر ١٩٤٩م.

(٣٢) «المجالس المستنصرية» ص ٩٨، ٩٩ تحقيق محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي.

إلى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة، ولكنهم صبغوا تأويلهم بالصبغة الإسلامية كعادتهم دائماً في كل ما أخذوه عن العلوم والفلسفة الأجنبية. ومع ذلك كله لم يستطع الإسماعيلية أن يتخلوا جملة عما أخذوه من العلوم والفلسفة الأجنبية، فقد ظهرت في تأويلاتهم آثار هذه العلوم والفلسفة كما ظهر تأثرهم بالعقائد والأديان القديمة التي غمرت العالم قبل الإسلام وبعده. ويخيل إلى كذلك أنهم لم يتخذوا هذا التأويل الباطن إلا إمعاناً منهم في زيادة شرف علي بن أبي طالب والأئمة. وخصهم بميزات تبعدهم بعض البعد من سائر البشر، فكأن الولاية هي المحور الذي تدور عليه جميع العقائد الفاطمية، فتأويلاتهم وفلسفتهم في الابتداع والخلق، وكل عقيدة في النفس والعقل كلها تنتهي إلى نتيجة واحدة وهي الوصي والأئمة»(٣٣).

فهذا هو الاصطلاح الاسماعيلي الخاص في التأويل. كان من اللزام أن يعرفه القراء قبل الدخول في المبحث الأصلي وهو التأويل عند الباطنية لورود ذكره كثيراً في هذا المبحث.

تأويل كلمة الشهادة

ونشرع الآن في ذكر التأويل الاسماعيلي، ونبدأ من دعائم الاسلام الخمسة أي كلمة الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. وأولاها كلمة الشهادة، يقول في تأويلها المؤيد الشيرازي:

«إن هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص كلمة جامعة حاصرة لجميع خلق الله سبحانه من عالم العقل، وعالم النفس، وعالم الأفلاك، وعالم الطبيعة على صغر حجمها، ونضارة جرمها... إن مثلها مثل النطفة التي

---

(٣٣) «في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين ص ٢٨ ط دار الفكر العربي ١٩٧٠م القاهرة.

هي على قلتها حاصرة للأشكال الظاهرة والباطنية من الصور الانسانية المتشكلة بأشكال عالم الجسم من حيث كونها مولودة بعقله ونفسه حتى أنها من حيث الفكر تحيط بالعوالم وما فيها إحاطة خطّ الدائرة بمركزها»(٣٤).

ويقول:

«إن هذه الكلمة نفي في الأول، وإثبات في الآخر، فالنفي في قولنا لا إله، والاثبات في قولنا إلاّ الله . . . فالنفي والإثبات من قول لا إله إلاّ الله فصلان، وتركيب الكلمة جميعها من ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء، وإنما كثرت من جهة التكرار، يكون جملة ما قلناه خمسة فصول، وفيها أربع كلمات: لا كلمة، إله كلمة، إلاّ كلمة، الله كلمة. وفيها سبعة مقاطع. لا واحد، إله اثنان، إلا اثنان، الله اثنان، فتلك سبعة. وعدد الحروف جميعها اثنا عشر، فيكون جملتها ثمانية وعشرين، ونحن نقيم أمثلتها من السماء والأرض وتقطيع الأيام والانسان الذي هو العالم الصغير، ومن القرآن الذي هو عالم الدين بإذن الله تعالى ليعرف تقابل بعضها ببعض، وشهادة بعضها لبعض، ذلك تقدير العزيز العليم.

إن أمثلتها من السماء في النفي والإثبات الكواكب الثابتة وغير الثابتة، والأحرف الثلاثة التي منها تركيب الكلمة، الجواهر الثلاثة، الشمس والقمر والنجوم، والكلمات الأربع: الحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة؛ والمقاطع السبعة المدبرات السبعة، والحروف الاثنا عشر، والبروج الاثنا عشر، فذلك ثمانية وعشرون. ونحن نقيم أمثلتها من الأرض، فالنفي والاثبات العامر والخراب، الجواهر الثلاثة: الطول والعرض والعمق، والكلمات الأربع: التراب والمعادن والنبات والحيوان. والمقاطع السبعة، الأقاليم السبعة، الحروف الاثني عشر، الجزائر الاثني عشر، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من الأيام النفي والاثبات الليل والنهار. والجواهر الثلاثة، الماضي والحال والمستقبل، الكلمات الأربع، الفصول الأربعة،

(٣٤) «المجالس المؤيدية» ج١ المجلس التاسع ص ٤٢ ط دار الأندلس بيروت.

شتاء، وصيف، وربيع وخريف؛ المقاطع السبعة: الأيام السبعة من الأحد إلى السبت، الحروف الاثني عشر، الشهور الاثني عشر، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من الانسان الذي هو العالم الصغير، النفي والاثبات، الجسد والروح، الجواهر الثلاثة، النماء والحس والنطق، الكلمات الأربع الاخلاط الأربعة التي هي: الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم؛ المقاطع السبعة الأعضاء الرئيسية التي هي: اليدان والرجلان والظهر والبطن والرأس الحروف الاثني عشر الجوارح الاثني عشر التي هي الساقان والركبتان والفخذان، والزندان، والمرفقان، والعضدان، فذلك ثمانية وعشرون. أمثلتها من القرآن النفي والاثبات، المحكم والمتشابه؛ الجواهر الثلاثة ثلاث طاعات مقرون بعضها ببعض: «يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأمْرِ مِنْكُمْ». الكلمات الأربع مثل أنهار الجنة الأربعة، المقاطع السبعة سبع سموات، وسبع شداد، وسبع بقرات سمان، وسبع عجاف، الحروف الاثني عشر «وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثني عَشَرَ نَقِيباً» «فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً» فذلك ثمانية وعشرون»(٣٥).

فهذا هو تأويل كلمة الشهادة من المؤيد الشيرازي داعي الدعاة الاسماعيلي.

وأما قاضي قضاة الاسماعيلية النعمان المغربي فيقول في تأويلها:

وجدت الشهادة على فصلين: أحدهما نفي وثانيهما إثبات، فقوله (لا إله) نفي، و (إلا الله) إثبات، وكل فصل منها كلمتان، الأولى منهما متصلة بالثانية، ودونها، والثانية أعلى منها، وكذلك الفصل الذي هو إثبات أعلى من الفصل الذي قبله، والذي هو النفي، فمثل الحد الأخير الذي هو الاثبات في الباطن، مثل على الحدّ العلوي ومثل الحد الذي هو النفي في الباطن مثل على الحد السفلي، ومثل الكلمة الأخيرة من الفصل الأخير (أي الاثبات) مثل على الحدود العلوية، ومثل التي قبلها مثل الحد الذي يليه،

---

(٣٥) أيضاً ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.

ومثل الكلمة الثانية من الفصل الأول في الباطن مثل على الحدود السفلية، ومثل التي قبلها مثل على الحدّ المتصل به دونه.

فالكلمتان المتصلتان في حد الاثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين. وهما لا وإلاّ والكلمتان المتصلتان بهما من الحدين أعلى وأجل، وهما إله والله، فقد دلّ ذلك على أشرف الحدود العلوية والسفلية، وان كان كل واحد من الآخرين متصل به ودونه وأقلّ حروف منه، وأن الكلمة الأخيرة حملت ثلاثة أحرف جمعت فيها كافة حروف الشهادة وهي: الألف واللام والهاء . . . فالحد العلوي القلم، ودونه اللوح، وهما الحدان العلويان أقام الله عز وجل بإزاء هذين الحدين العلويين الروحانيين حدين آخرين سفليين جسمانيين، وهما الناطق والصامت. . . فالكلمات الأربعة للشهادة مثلٍ لهذه الحدود الأربعة فمن أقامهم وعرفهم وقبل عنهم وشهد لهم كان مكملاً لحدودهم من الشهادة، وقد جمعتهم الشهادة وجمعوا حدودها . . . ثم إذا نظرنا إلى عدد حروفها وماتدل عليه وتشهد له فكانت (لا إله إلا الله) سبعة فصول، وذلك دليل ومثل على سبعة نطقاء، والسبعة الأئمة في دور كل ناطق . . . والسماوات السبعة مثل للسبعة النطقاء، والأرضين السبعة مثل للحجج السبعة، وأمثالهم أيضاً السبعة النجوم المدبّرات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: فالمدبرات أمراً. . .

وحروف الشهادة اثنا عشر حرفاً، وأمثالهم في السموات البروج الاثني عشر، وأمثالهم من الأرض الجزائر الاثنتا عشرة، لكل واحد منهم جزيرة، وأمثالهم من الروحانيين الاثنا عشر الملائكة الرسل أولي الأجنحة لأنهم برسالة صاحب الأمر يتوجهون، وأجنحتهم الدعاة، لأن كل واحد منهم يبعث إلى إحدى الجزائر حدّاً له لقوله عز وجل: (الحمدلله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)، فهم أي الحدود الاثنا عشر في العالم السفلي نظير الملائكة في العالم العلوي لقوله تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين).

فالسبعة، والاثنا عشر مجموعة تسعة عشر، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله: (عليها تسعة عشر)، وقد جمعتهم الشهادة، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم، وعمل بما أخذه عنهم، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة . . . وهذه هي الشهادة قد بيّنا حدودها على الأصول وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع، وهي (محمد رسول الله) ﷺ، وهي ثلاث كلمات مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين، وهم: اسرافيل وميكائيل وجبرائيل، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الأرضيين بعد الناطق والأساس، وهم: الامام والحجة واللاحق، وهي أيضاً ستة فصول مثل النطقاء الستة أولى العزم وقد ذكرناهم، وهي كذلك اثني عشر حرفاً مثل اللواحق الاثني عشر، وقد مضى ذكرهم، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العليا، وهي الأصول والشهادة للرسول ﷺ هي الدرجة الدنيا، وهي الفروع.

وقد دخلت أي الحدود العليا والدنيا في حروف الشهادة»[٣٦].

وأما الداعي الاسماعيلي الخطير أبو يعقوب إسحاق فهو يؤولها بتأويل آخر غريب، فيقول في كتابه (الينابيع) في الينبوع الثلاثين في معنى الشهادة:

«قول النبي صلى الله عليه وعلى آله: (لا إله إلا الله مفتاح الجنة) هو أن الجنة كلمة الله التي بها أبدع الأشياء التي هي في الجنة من أيسية. لا يوجد في شيء من الأشياء محض الكلمة التي هي إبداع الشيء لا من شيء. ولو وجدت في شيء من الأشياء، أمكن أن يكون ذلك الشيء إبداعاً لا من شيء. وليست توجد هذه الفضيلة في شيء من الأشياء ليحتمل هذه الفضيلة لكلمته ــ جلّ وتعالى، ــ فهي جنّة بالحقيقة.

والكلمات الأربع من الشهادة ــ التي هي مفاتيحها ــ الأصول الأربعة: الأصلان والأساسان. فالسابق مفتاح جميع الأيّسيّات من الروحانيّ

(٣٦) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد المغربي قاضي قضاة الدولة العبيدية في المغرب والقاهرة أيام المهدي الاسماعيلي وأبنائه: القائم، والمنصور، والمعز ص ٣٨ وما بعد.

والجسماني، إذ كلّ أيس هو مثل ما جمع السابق في هويّته بإبداع المبدع إيّاه فيه، أعني بالسابق فتح جميع الأيسيّات من الكلمة. والتالي مفتاح جميع الأشياء ذوات النظم والتأليف بمقدار حظّه من الكلمة، إذ الأشياء المنظومة المؤلّفة لا تتوهّم إلاّ مصوّرة في الأنفس اللطيفة قبل ظهورها منظومة مؤلّفة، أعني بالتالي فتح جميع الأشياء المركّبة المنظومة.

والناطق مفتاح جميع الألفاظ المنطقيّة المعبّرة عن الفضائل العقليّة والمركّبات النفسيّة المخبّرة عن صور الكوائن الفلكيّة؛ فيه ـ أعني بالناطق ـ فتح جميع السياسات الشرعيّة من الكلمة. والأساس مفتاح جميع ما آل إليه (من) الأيسيّات العقلية والمركّبات النفسيّة والسياسات الناطقيّة. وهو الذي يضع كلّ شيء موضعه، وبه ـ أعني الأساس ـ فتح جميع التأويلات العلميّة من الكلمة.

فـ «لا» من الشهادة شطريّة الأساس حرفان، نصف حروف «الله» التي هي شطرية السابق، إذ «الله» أربعة أحرف، وهو ـ أعني «لا» ـ كلمة النفي و «الله» كلمة الاثبات، على أنّ الأساس هو الذي أبرز نصف ما جرى من السابق في الناطق، والناطق هو الذي أبرز الظاهر من الحقيقة والشريعة من التأويل، وهو الذي احتاج إلى نفي الشبهات عن التوحيد. والسابق لا ينصف ما برز المبدع فيه، بل أخرجه في غاية الكمال. فلذلك صارت كلمته أربعة أحرف، إذ الأربعة أكمل الأعداد. وهو الذي أثبت الصانع حيث أقرّ بالالٰهية. و «اله» شطرية الناطق، إذ هو خليفة السابق في العالم الجسماني وفي «إلـه» نقصان حرف واحد من «الله» وهو «لام»، على أنّ الناطق لم ينل التماميّة كما نالها السابق، وهو صاحب المراتب الثلاث من الرسالة والوصاية والإمامة. و«إلاّ» شطريّة التالي، وهي كلمة الاستثناء، على أن التالي مثل السابق في إظهار الأيسيّات الجسمانيّة، لا في باب الأيسيّات الروحانيّة.

وهذه الكلمات الأربع الدلالة على الأصول الأربعة: إذا جمعتها، انفتح لك من المبدع جميع الأشياء. والمفتاح لا يفتح الباب بنفسه، بل يجب أن يكون له فاتح يفتحه، كذلك لا يتهيّأ لأحد أن يقف على مراتب الأصول

الأربعة التي هي مفتاح كلمة المبدع إلّا بفاتح هادٍ من متمّ أو لاحق أو جناح. وإن سقطت من المفاتيح شظيّة واحدة، لا يتهيّأ للفاتح أن يفتح الباب. كذلك إن كان الفاتح الهادي منكراً مرتبة واحدٍ من الأصول الأربعة ـ من السابق والتالي والناطق والأساس ـ لم يتهيّأ أن يفتح للمرتاد شيئاً من معالم دينه. فإن أخذ في مفاتحته مع الانكار، إنّما يتعب نفسه ولا تزيد مفاتحته إلّا عناء وانغلاقاً، كما أنّه إذا همّ صاحب المفتاح الذي سقطتْ شظيّته، أن يفتح الباب بذلك المفتاح، لم يمكنه ذلك وأتعب نفسه، بل ربّما أزال الغلق عن موضعه من كثرة التحريك. فلهذا المعنى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ «لا إله إلّا الله مفتاح الجنّة»(٣٧).

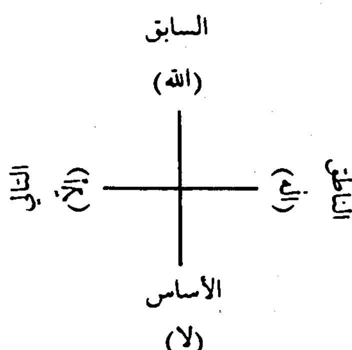
ثم طبّق كلمة الشهادة على صليب النصارى فيقول:

«إنّ الشهادة مبنيّة على النفي والاثبات، فالابتداء بالنفي والانتهاء إلى الاثبات. وكذلك الصليب خشبتان: خشبة ثابتة لذاتها، وخشبة أخرى ليس لها ثبات إلّا بثبات أخرى. والشهادة أربع كلمات؛ كذلك الصليب له أربعة أطراف. فالطرف الذي هو ثابت في الأرض، منزلته منزلة صاحب التأويل الذي يستقرّ عليه نفوس المرتادين. فالطرف الذي يتابله علوًّا في الجوّ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه يستقرّ نفوس المؤيدين. والطرفان اللذان في الوسط يمنةً ويسرةً على التالي والناطق، اللذين أحدهما صاحب التركيب والآخر صاحب التأليف، أحدهما مقابل الآخر، والطرف القائم على السابق الممدّ لجميع الحروف.

الشهادة سبعة فصول؛ كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات. والزوايا الأربع والنهايات الثلاث دليلة على الأتمّاء السبعة في دوره، كما دلّت الفصول السبعة في الشهادة على أئمّة دور ناطقنا ـ علي السلام ـ وكلّ طرف منها له ثلاثة أطراف، تكون الجملة اثني عشر؛ كذلك الشهادة اثنا عشر

(٣٧) «كتاب الينابيع» للسجستاني ص ٧٠، ٧١، ٧٢ من «سه رساله اسماعيلي» تحقيق المستشرق هنري كربين ط انستيتو ايران وفرنسه تهران.

حرفاً. وكما أنّ تأليفها من ثلاثة أحرف غير مكرّرة، كـذلك الصليب تـركيبه من سـطوح وخطوط وزوايـا. فالخـطوط نظيرهـا الألف، والسطوح نـظيرها اللام، والزوايا نظيرها الهاء. وكما أنّ الشهادة إنّما تكمل عند اقترانها بمحمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ كذلك الصليب إنّما شرف بعـد أن وجد عليـه صاحب ذلـك الدور، ولنصـوّر ههنا كيفيّـة اتّفـاق الصليب مـع الشهـادة بفصـولهـا وأقسامها تحت الحسّ»(٣٨).



وأما ما قاله المعز لدين الله الامام الاسماعيلي في تأويـل كلمة (لا إلـه إلا الله) فهو: «لا إله إلا الله مركبة من ثلاثة أحـرف أي اللام والألف والهـاء لا يدلّ عليها نقطة ولا تشير إليها علامة فهي تدل بنفسها على نفسها على مقابلة الروحانيـات ومقابلة البـارىء والعقل والنفس والفلك والشهـادة قسمان نفي وإثبات لا إله نفي إلا الله أثبـات وأربعة أقسـام بعدهـا لا إله إلا الله وسبعـة أقسـام بعده لآ آلَـه واثنا عشر بعـدهـا آلَ آ اِ لَ آ هَ آ لَ ا آ لَ اَ لَ اَ هـ وسنـورد مثلها ممثولاتها إن شاء الله فامّا الشهادة فهي قسمان أربع كلمات سبعة فصـول اثنـا عشر حرفـاً، والإنسان جسم وروح قسـمان مركّب من أربـع طبائـع وله أعضاء سبعة واثنتا عشرة جارحة، الدنيا قسمان معمور وخراب أربـع جهات

(٣٨) «كتاب الينابيع» للسجستاني الينبوع الثاني والثلاثون بعنـوان (اتفاق الصليب بـالشهادة) ص ٧٥، ٧٦.

المشرق والمغرب والجنوب والشمال سبعة أقاليم اثنتا عشرة جزيرة، الفلك قسمان النصف المتطاطيء والنصف المرتفع أربع نقط وفيه سبعة أفلاك فيها السبعة الكواكب السيّارة واثنا عشر برجاً على مقابلة الشهادة، ولا إله إلا الله مجمله لا إمام إلا إمام العصر»(٣٩).

ويقول جعفر بن منصور اليمن كما نقل عنه الديلمي:

«لا إله إلا الله بنيت على أربع كلمات اسمين لطيفين خاصّين وهما إله والله، وكلمتين غامضتين جاريتين في كلام الناس لا وإلا أحدهما نفي والآخر إثبات فدلّ ذلك على المشهود بمعرفة من وراء أربعة حدود كثيفَين ولطيفَين والاسمان اللطيفان هما على العقل والنفس البسيطين في العالم العلوي والكثيفان في العالم السفلي وهما الناطق والأساس أي النبي والوصي وأنهما بيان لهذا العالم السفلي، وجه آخر: هي إربع كلمات لا دليل على الداعي إله دليل على الحجّة إلا دليل على الإمام الله دليل على الأساس، وجه آخر: لا دليل على السابق إله دليل على التالي إلا دليل على الناطق الله دليل على الأساس، وجه آخر لا دليل على النار الكليّة وهي الأثير إله دليل على الهواء إلا دليل على الماء الله دليل على الأرض ـ إلى آخر ما ذكره.

ثم قال في الفصول ومن سبعة فصول لا إله إلا الله دليل على الأئمة السبعة وهي اثنا عشر حرفاً دليل على الحجج الاثني عشر، وكذلك في العالم الأثنان نصف خراب ونصف عمران والأربعة في العالم المشرق والمغرب والجنوب والشمال، والسبعة في العالم سبعة أقاليم والاثنا عشر اثنتا عشرة جزيرة، واعلم أن هذه التأويلات موضحة بنفي الصانع في كل واحد منها، قال لا إله إلا الله كلمة واحدة وقطعتان وأربعة وسبعة واثنا عشر كذلك في الانسان رأسه واحد نصفان نصف قُدّام عامر ونصف خراب من خلف والأربعة القفا واللحيان والصدغان والسبعة العينان والأذنان والمنخران والفم

(٣٩) تأويل الشريعة للمعز لدين الله ص ٤ نسخة خطية.

وحروفها اثنا عشر عين ثلاثة أحرف إذن ثلاثـة أحرف منخـر أربعة أحـرف، فم حرفان، فهذه اثنا عشر حرفاً مكتوب بخطّ الباري على وجه كل إنسان.

ثم قال: محمد رسول الله حروفهـا أيضاً اثنـا عشر محمد أربعـة حروف، رسول أربعة حروف، الله أربعة حـروف، محمد أيضـاً، نصفه نفي ونصفـه إثبات»[٤٠].

فهـذه هي تأويـلاتهم لكلمة الشهـادة، البعيدة كـل البعد عن ألفـاظها الظاهرة من حيث الحقيقة والمجاز أيضاً، ولا دلالة فيها إطلاقاً على مـا ذهبوا إليها من منطوقها ومدلولها.

وهذه هي بعض الاختلافات التي تحصل عندهم في تأويـل كلام واحـد مـع ادعائهم بـأن التأويـل مأخـوذ عن الامام المعصـوم الذي لا يخـطىء ولا يغلط، والذي يأخُذُ رأساً بطريق الوحي والإلهام من الله، وقد صدق الله عز وجل حيث قال:

«.. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[٤١].

وما أصدق ما قاله الديلمي بعد ذكر تأويلهم الشهادة:

هذا تأويلهم الفاسد الرديء الذي يذهب إليه البـاطنية الاسـماعيلية ولا ينـاسبه الخـطاب، ولا يـدل عليـه سنـة ولا كتـاب، وهـو بـاطـل عنـد أولي الألبـاب، خارج عن الحق والصـواب . . . وان تأويـلاتهم نهاية الاختـلاف لأنها على غير أصـل معلوم، بل هي عـوارض خواطـر رديئة وسـوانح أفكـار فاسدة، ونحن نشير إلى جمل تكشف لـذوي البصيرة، أنهم أبعـد الناس عن الصواب[٤٢].

---

(٤٠) «كتاب الرضـاع» لجعفر بن منصـور اليمن المنقول من «بيـان مذهب البـاطنية وبـطلانه» ص ٤١، ٤٢ ط دار إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٤١) سورةالنساء الآية ٨٢.

(٤٢) «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للديلمي ص ٤٣.

وبعد هذا ننتقل إلى العبادات وأولها الصلاة، وللصلاة سوابق ولواحق، فرائض وسنن ومستحبات، ولكل منها تأويل باطني اسماعيلي حسب مقررهم:

«لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطني لا يعلمه إلّا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم»(٤٣).

فأول سوابق الصلاة هي الطهارة، والطهارة تكون من الأحداث، فيذكرها وتأويلاتها النعمان المغربي بقوله:

«ذكر الأحداث التي توجب الوضوء، وأن الذي ينقض الوضوء ويوجب الطهارة في الظاهر الغائط والريح تخرج من الدبر، والبول والمذي وهو الماء الرقيق يخرج من القبل لشهوة الجماع من غير جماع، والنوم الغالب . . . وموجب الغسل الجماع والاحتلام والحيض . . . فمثل الغائط مثل الكفر . . . ومثل البول مثل الشرك . . . ومثل الريح مثل النفاق . . . ومثل النوم مثل الغفلة . . . ومثل المذي الخارج من القبل مثل الشك . . . ومثل الجماع في الباطن مثل اجتماع المؤمن المستفيد مع من يفيده العلم والحكمة، وسماعه ذلك منه، فتلك المجامعة الباطنة، ومثل لسان المتكلم فيها مثل الذكر، ومثل الأذن مثل الفرج، ومثل الماء الدافق الذي يكون في الظاهر عن الجماع مثل العلم الذي يخرج من اللسان إلى الأذنين، فإن صار إلى القلب فوعاه كان مثله مثل وصول الماء إلى الرحم ويكون الجنين بقدرة الله فيه عن ذلك، كذلك تكون الحياة في القلب إذا وعي العلم والحكمة وعمل بهما وإن سمع ذلك من يسمعه فلم يعه كان بمنزلة الماء الذي يكون عن الجماع لا يصل إلى الرحم فأكثر مَا يكون منه اللذة عن الجماع ثُمّ لا يكون له نتيجة، كذلك الذي يسمع ما لا يعيه من الحكمة وكذلك إن وصل إلى الرحم ولم تخدمه الطبيعة فسد كذلك يكون في الباطن ما سمع من العلم والحكمة وحفظ ثم نسي فذهب فلا ينتفع به سامعه.

---

(٤٣) انظر «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب الاسماعيلي ص ٤٢ ط دار الأندلس بيروت.

ومثل من لا يسمع ما يلقى إليه بتركه الإقبال عليه واشتغاله عنه مثل الوطء في غير الفرج يتلذذ هو بذلك ويذهب ما يلقيه من الماء فيفسد، كذلك يتلذذ القائل المؤدي للعلم والحكمة بما يقوله وينتفع به ولا يتلذذ به ولا يفيد من يقال له إذا لم يسمعه ولم يقبل عليه.

ومثل الوطء بلا إنزال في الظاهر مثل المفيد يعرض ويرمز من العلم والحكمة بما لم يبينه.

ومثل الاحتلام مثل المفيد يلقي ما يلقيه من العلم والحكمة وهو في غفلة وعن غير إقبال على ذلك بقلبه كما يكون في الظاهر من النائم الذي مثله في الباطن مثل الغافل وإذا كان ذلك كذلك لم ينتفع السامع به ولم يصل إلى قلبه ولم تعه أذن كما لا يكون من الاحتلام حبل ولا يصل الماء منه إلى الرحم، ومن هذا قول بعض الحكماء إن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الأذن.

ومثل الطهارة في الظاهر من كل ما خرج من القبل مثل كل ما يكون من الكلام من المفيد وإن لم يصل ذلك إلى المستفيد كما لا يصل إلى الفرج كلّ ما يخرج من الذكر مثل الدم والدود والحصاة وأشباه ذلك مما يوجب الوضوء في الظاهر.

ومثل الطهارة مما يخرج من الدبر غير الغائط مثل ما يكون من أحداث الإنسان غير الكفر من المعاصي والذنوب والخطايا التي يجب التطهر منها من العلم بالتوبة والانتصال والمراجعة.

ومثل الحيض في النساء مثل الأحداث السوء في المستفيدين يوجب ذلك عليهم إذا انتصلوا وتابوا منها التطهر من العلم بالتثبت والتوقي من الرجوع إليها لأن مثل المستفيدين أمثال النساء.

ومثل غسل الكافر إذا أسلم بالماء الظاهر مثل الداخل في الإيمان من العلم مما يثبته على ما أمر به.

ومثل غسل الميت قبل أن يكفن ويحمل إلى قبره في وجه من وجوه التأويل مثل من كفر بعد إيمانه لأن الموت الظاهر مثله في الباطن مثل الكفر»[٤٤].

هذا ثم يبيّن تأويل بيت الخلاء، ولطرافته ننقله ههنا بنصه وفصه بما فيها من الكذب الصريح على النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيقول النعمان الاسماعيلي هذا:

«الماءُ مثله مثل العلم وبيت الخلاء مثله مثل الدعوة فيها يتخلى من الكفر والشرك والنفاق، وقد ذكرنا أن أمثالها أمثال الغائط والريح والبول تخرج من الدبر والقبل وفيها يتطهر بالعلم من ذلك ومن كل معصية.

ومن ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى بيت الخلاء فقال لعلي رضي الله عنه يا علي إن لهذا البيت اثني عشر حدًّا من لم يعرفها لم يستكمل حقائق الإيمان ولا عرفني ولا عرفك حق المعرفة أولها أن لا يدخله الداخل إلا بحذاء يعني بنعل ومثل النعل مثل الظاهر يعني أنه لا يدخل الدعوة إلا من كان على ظاهر دين الإسلام، فإذا دخله قدم رجله اليسرى يعني أن دخول الدعوة إنما يكون من قبل الحجة لأن أمر الدعوة إليه، ثم يستر رأسه حتى يخرج منه، والقبلة مثلها مثل إمام لا يواجهه بكفر، ولا بشرك ويتكىء إذا تغوط على رجله اليسرى أي يعتمد في البراءة من الكفر على الحجة الذي له أمر الدعوة، ولا يطيل الجلوس فيه يعني لا يطيل التلبث على الباطل بل يسرع البراءة منه، ولا يتجمر برجيع ولا عظم يعني ولا يتطهر بنجاسة ولا بميتة أي ولا يتطهر إلا بعلم ولي زمانه لا بعلم أهل الباطل ويستجمر وتراً يعني يجعل اعتماده في الطهارة على علم إمام زمانه وحجته وبابه ويستنجيء بيده اليسرى ولا يصب الماء فوق الغائط، ولكن يتنحى عنه ثم يستنجيء ويتوضأ، وقد ذكرنا معنى باطن ذلك، ولا يتكلم حتى يخرج منه يعني إنصات

---

(٤٤) «تأويل الدعائم» للنعمان القاضي ج ١ ص ٧٩ وما بعد نشر محمد حسن الأعظمي ط دار المعارف مصر.

المأخوذ عليه فاستماعه لما يقال له، وإذا خرج قدم رجله اليمنى يعني يجعل اعتماده على إمام زمانه، وهذا باطن هذه الحدود الاثني عشر وظاهرها آداب في ظاهر الطهارة ينبغي استعمالها ومن لم يعرفها لم يستكمل حقائق الإيمان كما قال رسول الله ﷺ ولم يعرفه ولم يعرف وصيه إذا لم يعرف باطن ذلك لأنه لا يعرفهما حق المعرفة ولا يستكمل حقائق الإيمان إلا من صار إلى دعوة الحق»(٤٥).

فانظر إلى ما يقوله القوم، وما أقبحهم، وما أقذر ما قالوه!

وكيف ضربوا المثل القبيح للدعوة، كما أنهم على أيّ شيء مثّلوا الناطق والوصي، وهذا إن دلّ على شيّء فإنما يدل على خبث سريرتهم وسوء ما يضمرونه تجاه الشريعة الاسلامية النقية البيضاء، وما الله بغافل عما يعملون.

وأما الاستنجاء فقالوا:

«الاستنجاء بالحجارة والمدر مثله في الباطن مثل الاستمتاع بعلم المأذونين . . . والاستنجاء بالخرق وما أشبهها من الصوف والقطن والكتان وأشباه ذلك مثله في الباطن مثل الاستمتاع بظاهر علم الأئمة.

والاستنجاء بالعجم والبعر والعظام، والعجم النوى مثله مثل باطن أهل الظاهر، وتأويلهم الذي أحدثوه بآرائهم، والبعر مثل أحداثهم، والعظام أمثالهم لأنهم أموات في الباطن فليس يجوز التطهر بشيء من علمهم ولا بشيء مما أحدثوه من آرائهم، ويستنجي بغير ذلك»(٤٦).

وأما الوضوء فقالوا:

«هو البراءة من الأضداد الذين ادعوا الإمامة»(٤٧).

---

(٤٥) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٨٤.
(٤٦) أيضاً ص ٩٠، ٩١.
(٤٧) «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب اسحاق السجستاني ص ١١٠ ط بيروت.

وأمـا المضمضة والاستنشـاق فباطن ذلـك ومثله أن الفم في الباطن مثله مثل الناطق الذي هو النبي ﷺ في وقته والإمام في عصره.

ومثل الأنف مثل أساس النبي ومثل حجـة الإمام، وغسـل الوجـه مثل الاقرار بإمام الزمن وبالسبعة النطقاء والسبعة الأئمة . . . وغسـل اليدين إلى المرفقين وهما منتهى حديهـما إقرار كـذلك، ومعـرفة بحـدودهما من أولهـما إلى آخرهما . . . ومسح الرأس مثل أن يستر الباطن وأن لا يظهر منه شيئاً . . . والمسح على الأذين الإقرار بالأساس والحجة وظاهرهما وباطنهـما . . . والمسح على الرجلين هو الإقرار بالإمام والحجة(٤٨).

إلى آخر ذلك من الخرافات والهذيانات.

تأويل الصـــلاة ومتعلقاتهـــا

وأما الأذان والإقامة فقالوا:

«تأويل الآذان والإقامة في الباطن الدعاء أي دعوة الحق التي مثلهـا على ما تقدم من القول في الباطن مثل الصلاة الـظاهرة التي يـدعي إليها بـالأذان فكذلك باطنها التي هي دعوة الحق يدعو إليها الـدعاة وهم أمثـال المؤذنين في الظاهر»(٤٩).

ثم ذكر النعمان القاضي الاسماعيلي موضحاً معنى الأذان بقوله:

إن علياً صلى الله عليه وسلم قال:

«مـا آسى عـلى شيء إلا أني كنت وددت أن لـو سـألت رســول الله ﷺ الأذان للحسن والحسين ﷺ تأويله أنه كان أحب ﷺ أن لـو قد سـأل رسول

---

(٤٨) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٩٤.

(٤٩) «تـأويل الـدعـائم» ج ١ ص ٢٠٨، وكـذلـك «كتـاب الافتخـار» لأبي يعقـوب إسحـاق السجستاني ص ١١٦.

الله ﷺ أن يدعو للحسن الحسين في الظاهر وينص عليهما بـالإمامـة من بعده كما دعا إليه هو بذلك ونص عليه في الظاهر يوم غدير خم وغيره وأمر بالأذان بأن الصلاة جامعة لذلك وحتى اجتمع الناس إليه وقام فيهم بولايته وإن كان قد عهد في ذلك إليه وعرفه كيف تنتقل الإمامة في ذريته وأسر ذلك في الباطن إليه فانه عليه الصلاة والسلام كان أحب أن يسأل ذلك منه ﷺ ظاهراً ليؤكد بذلك إمامة الأئمة من ذريته وإن كنت تأكدت فـذلك هـو الأذان الذي كـان أحب أن يسأله من رسول الله ﷺ ليخبر الناس به كما قال تعـالى: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بـريء من المشركين ورسـوله» يعني أخبار من الله ومن رسوله ﷺ بذلك، وكذلك قوله: «فأذن مؤذن بينهم» يعني اخبر مخبر والأذان في اللغـة الاخبار بـالشيء يقول أذنت بكـذا وكذا أي أعلمت به وأذنني فلان بكذا أي اعلمني به قال تعالى: «وإذ تـأذن ربكم لئن شكـرتم لأزيدنكم . .» وقـال: «فقل آذنتكم عـلى سواء» وكـذلك المؤذن في البـاطن الذي هـو داعي الحق يخـبر النـاس ويعلمهم بـأمـر دينهم والمؤذن في الظاهر يخبر الناس بالصلاة وإن وقتها قد حضر.

ويتلو ذلك قول الصادق ﷺ: الآذان والإقامـة مثنى مثنى، تأويـل ذلك أن الأذان مثله مثل الدعاء إلى حجته وهو ولي أمر الأمة من بعده الذي يقيمه لذلك في حياته ويصير مقامه له بعد وفاته»(٥٠).

وأما الصلاة فالمراد منها عند القوم هي:

«الـطاعة لأمـير المؤمنين (أي عـلي) والأئمـة الـذين اصـطفـاهم الله من ولده»(٥١).

وقال السجستاني أبو يعقوب إسحاق.

«الصلاة عندنا ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم»(٥٢).

---

(٥٠) «تأويل الدعائم» المجلس الثاني من الجزء الرابع ص ٢١٣، ٢١٤.
(٥١) انظر «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ٢٨ نشر شتروطهاف.
(٥٢) «كتاب الافتخار» ص ١١٦.

وقال الحامدي إبراهيم بن الحسين:

«الصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام»(٥٣).

ونقل عن حميد الدين الكرماني أنه قال:

«إن الصلاة في التأويل تصرف على وجوه كثيرة، فمنها الطاعة، ومنها تعلم العلم، ومنها الدخول في العهد والإحرام، ومنها الرحمة، ومنها ظاهر الشريعة، ومنها إقامة الدعوة، ومنها الصورةالروحانية»(٥٤).

إن الداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي، وصاحب (المجالس المستنصرية)، وضياء الدين إسماعيل بن هبة الله ذكروا أن إقامة الدعوة هي ممثول الصلاة الظاهرية(٥٥).

وبمثل ذلك قال المؤيد الشيرازي إن الصلاة: «مثل على إقامة الدعوة التي هي سبب وصل ما أمر الله به أن يوصل من المراتب الروحانية والجسمانية ومراتب الجدود العلوية والسفلية(٥٦).

وليس المقصود من الدعوة إلا الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه والأئمة الاسماعيلية حسب زعم القوم كما يقول المفسر الاسماعيلي قوله عز وجل: (وكان يأمر أهله بالصلوة).

---

(٥٣) «كنز الولد» لابراهيم بن الحسين الحامدي ص ٢٨٦ ط دار الأندلس بيروت، أيضاً هفت باب أبو اسحاق لأبي إسحاق قوهستاني ص ٥٣ ط طهران.

(٥٤) «كنز الولد» ص ٢٨٧.

(٥٥) انظر «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني، الفصل الرابع من السرادق الأول الباب الأول. «مجموعة الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية» للأعظمي ص ٨١ ط الهيئة المصرية العامة، و «المجالس المستنصرية ص ٢١٤ ط دار الفكر العربي القاهرة، «المزاج التنسيم» التفسير الاسماعيلي ص ٢٨٨ ط المجمع العلمي غونتيغن.

(٥٦) «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي المجلس السابع والستون من المائة الثانية ص ٢١٤ ملحق «بالمجالس المستنصرية» ط دار الفكرالعربي.

«يعني أهل النسبة الأشرف في البقعة المقدسة (بالصلوة والزكاة) يعني بالدعاء إلى الميم والعين، بنشر العلوم في تلك الحضرة بإيضاح مقام المجمعين والمحمدي والعلوي»(٥٧).

ويقول الداعي ادريس نقلاً عن علي رضي الله عنه وهو يكذب عليه أنه قال:

«ويقيموا الصلاة، هي ولايتي، من إقامها إقام الصلاة»(٥٨).

وبمثل ذلك قال جعفر بن منصور اليمن:

«الصلاة هي مثل العين المعين نشربها التي لا تغيرها الاعصار، وهي الدعوة إلى صاحب الحق في كل عصر وزمان صلى الله عليه وعلى آله(٥٩)».

وقال في مقام آخر:

«الصلاة: الحسين والأئمة من ولده»(٦٠).

وأورد مثله المفضل الجعفي حيث قال:

«الصلاة أمير المؤمنين، والزكاة معرفته»(٦١).

ونقل عن جعفر أنه قال:

«إقامة الصلاة هي معرفتنا»(٦٢).

هذا ولقد فصّل القول في ذلك النعمان المغربي حيث قال في المجلس الخامس من الجزء الثالث من (تأويل الدعائم) تحت عنوان «ذكر الصلاة وتأويلها في الباطن وتأويل حدودها»:

---

(٥٧) «مزاج التنسيم» سورةمريم ص ١٩٤.
(٥٨) «زهر المغاني» للداعي ادريس ص ٧٤ من «المنتخب» لايوانوف ط بومبي.
(٥٩) «كتاب الكشف» ص ٥٥، ٥٦.
(٦٠) أيضاً ص ٢١. للمنضل الجعفي أيضاً.
(٦١) «الهفت الشريف» ص ٤٠ ط
(٦٢) أيضاً

«الصلاة في التأويل مثلها مثل الدعوة ولذلك جاء فيما يؤثر من الدعاء عند سماع الأذان الذي هو مثل الدعاء إليها أن يقول من سمع المؤذن: لبيك يا داعي الله وليس كل مؤذن يؤذن للصلاة داعي الله ولكن الداعي إلى الله الرسول في عصره وكل إمام من بعده في زمنه من أقامه الرسول والإمام إلى الدعاء إلى ما أتى به عن الله ومن ذلك قوله تعالى: «يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به» حكاية عمن أمر قومه بأن يجيبوا دعوة رسول الله ﷺ وقال: «ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض» وقال: «وأنه لما قام عبدالله يدعوه» يعني رسول الله ﷺ فأولياء الله هم الدعاة والهداة والمنذرون وإلى صاحب الزمان منهم كانت الإشارة عند سماع الأذان يقول من سمع ذلك: لبيك داعي الله لأن الصلاة التي دعا ذلك المؤذن إليها هي ظاهر باطن الدعوة إليه وهي واجبة كوجوب الصلاة على جميع أهل الشريعة وعلى كل من بلغته الدعوة ظاهرة وباطنة، ومن ذلك أيضاً مايؤثر في الدعاء عند سماع إقامة الصلاة والقيام بها إليها من قول الداعي في ذلك الدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة فجاء بذكر الدعوة مع الصلاة إذ كانت باطنها ومن ذلك قول الله: «إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» فالنهي عن الفواحش إنما هو في باطن الصلاة وهي الدعوة وفيها يكون الأمر والنهي»(٦٣).

ثم قال:

«إفترض الله خمس صلوات في الليل والنهار . . . . . تأويل ذلك أن الخمس الصلوات في الليل والنهار في كل يوم وليلة مثلها في الباطن مثل الخمس الدعوات لأولى العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا إليه قال تعالى لمحمد ﷺ: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل» ففعل وصبر فكان منهم وأولوا العزم من الرسل خمسة، أولهم نوح ثم ابراهيم ثم

---

(٦٣) تأويل الدعائم للنعمان المغربي قاضي قضاة الامام الاسماعيلي المعز لدين الله ج ١ ص ١٧٦، ١٧٧ ط دار المعارف مصر.

موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ فأما آدم ﷺ فلم يكن من أولي العزم قال تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» فلما كانت الصلاة كما ذكرنا في الجملة مثلاً لدعوة الحق جعلت الصلاة في كل يوم وليلة في شريعة محمد ﷺ خمس صلوات كل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولى العزم الذين قدمنا ذكرهم فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثل لدعوة نوح ﷺ وهي الدعوة الأولى وهو أول أولي العزم من الرسل والعصر مثل لدعوة ابراهيم ﷺ وهو ثاني أولى العزم وهي الصلاة الثانية والمغرب وهي الصلاة الثالثة مثل لدعوة موسى ﷺ وهي الدعوة الثالثة وهو ثالث أولى العزم والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى ﷺ وهي الدعوة الرابعة وهو الرابع من أولى العزم وهي الصلاة الرابعة والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل لدعوة محمد ﷺ وهي الدعوة الخامسة وهو خامس أولى العزم»(٦٤).

ومن الغرائب أن النعمان القاضي هونفسه ذكر في رسالته «الرسالة المذهبة» خلاف ماذكر ههنا فقال فيها بعد ذكر الصلوات الخمس:

«أولهن الظهر وهي دليل على محمد ﷺ وعلى آله، وهو صاحب الشريعة ... وأما صلاة العصر ... وهي دليل على القائم المنتظر صاحب سيف التأويل... والمغرب دليل على آدم أبو البشر»(٦٥).

وهذا عكس ما ذكره في «الدعائم»، وإن دلّ هذا الاختلاف الصادر من شخص واحد فإنما يدلّ على أن التأويل الاسماعيلي الباطني ليس لـ قواعد

---

(٦٤) أيضاً ص ١٧٨، ١٧٩.

(٦٥) انظر الرسالة المذهبة للنعمان بن محمد المغربي ص ٣٢، ٣٣. من «خمس رسائل اسماعيلية».

(٦٦) «الرسالة المذهبة» للنعمان بن محمد المغربي ص ٣٤، ٣٥، أيضاً «كتاب الكشف» لجعفر ابن منصور اليمن ص ١٢٨، أيضاً «المجالس المستنصرية» للداعي علم الاسلام ثقة الإمام ص ٤٨، ٤٩ أيضاً «كتاب الافتخار» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ١٢٠ ط بيروت.

ثابتة، وأسس منضبطة يرجعون إليها في التأويل، بل يقول كل واحد ما يحويه، وما يمليه عليه فكره وخياله.

هذا، ثم أوّل القوم أركان الصلاة وأجزاءها من التكبير، وقراءة الفاتحة، والركوع والسجود، والقيام، والقعود، والتسليم بتأويلات لا علاقة لها بالظاهر ولا بالمنطوق إلا ما يريدون بها إثبات دعاويهم الباطلة، وصرف الناس عن العمل والتكاليف الشرعية، فمثلاً يقولون:

«إن التكبير بمعنى تلاوة العلم، ومعنى الركوع حد الأساس، ومعنى السجود حد الناطق لأن الأساس بمنزلة الأنثى والناطق بمنزلة الذكر، وللذكر مثل حظ الانثيين، فإذا كان الركوع مرة واحدة فالسجود مرتين، والتحميد بمعنى الحدود العلوية لأنه تمجيد لهم وهو جالس، والتسليم هو درجة الإجلال، أو تسليم المرء نفسه وماله إلى إمام عصره وزمانه»(٦٦).

فهذه هي تأويلاتهم للصلاة، اختصرناها اختصاراً شديداً عما ذكروها في كتبهم الباطنية والتأويلية بإسهاب وإطناب، ولو أننا قد ذكرنا بعض التفاصيل التي نحذفها هنا عند ذكر التكاليف الشرعية الأخرى لإعطاء الباحث والقارىء صورة تعمق الاسماعيلية في هذا الخصوص.

تأويل الزكاة

وأما الزكاة فيقول في تأويلها الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين نقلاً عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«إيتاء الزكاة هي الإقرار بالأئمة من ذريتي»(٦٧).

وقال المؤيد الشيرازي:

«زكاة المال تطهيره بإخراج حق الله منه إذا بلغ حداً محدوداً، واستوفى

(٦٧) «زهر المعاني» لادريس عماد الدين ص ٧٤ من «المنتخب» لايوانوف.

مدة معلومة، وكمثل ذلك يجب في العلم الذي هو المال الحقيقي أن يخرج إلى مستحقيه عند وجوبه»[٦٨].

وبمثل ذلك قال أبو يعقوب السجستاني[٦٩].

وقال في كتاب آخر:

«إن إيتاء الزكاة هو إطاعة الناطق ثم الأساس»[٧٠].

وقال «ثقة الامام علم الاسلام»:

«إن الزكاة هي الفريضة الرابعة من فرائض الاسلام وهي مثل علي أول من دعا إليه وهو الرابع من أصحاب الشرائع موسى الكليم عليه السلام بقول الله تعالى: إذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكي» وفروضها السبعة التي ذكرناها مثل علي أئمة دوره على السلام وسننها الاثنتا عشرة هم اثنتا عشرة اسباطا، إنما مثل على حجج زمانه الاثني عشر الذين قال الله تعالى فيهم «وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما» وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عيناً»[٧١].

وفصل القول في تأويلها النعمان بن محمد حسب عادته فقال:

«الزكاة في الظاهر إخراج ما يجب على الأغنياء في أموالهم ودفعه إلى الأئمة الذين تعبد الله جل وعز الناس بدفع ذلك إليهم وتعبدهم بصرفها في الوجوه التي أمرهم الله بصرفها فيها وجعلها طهراً للمؤمنين الذين يدفعونها، فقال جل من قائل لنبيه محمد ﷺ «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وأجمع المسلمون على أن ذلك لم يزل الواجب فيه بزوال الرسول ﷺ

(٦٨) «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي، المجلس السادس والعشرون من المائة الثانية ص ٢١٤ الملحق «بالمجالس المستنصرية».

(٦٩) انظر «كتاب الافتخار» ص ١٢٢.

(٧٠) «إثبات النبوءات» للسجستاني ص ٦ ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

(٧١) «المجالس المستنصرية» ص ٦٧.

وعلى آله الذي آمن بقبضه وأوجبوا دفع ذلك إلى الأئمة من بعده فالواجب دفع ذلك على من وجب ذلك عليه إلى إمام زمانه أو إلى من أقامه لقبضه على ما افترضه الله جل ذكره وبيّنه رسوله ﷺ فهذا هو الواجب في الظاهر في الزكاة. وتأويل الزكاة أن الزكاة في لغة العرب التي نزل القرآن بها الطهارة وقال أصحاب اللغة: وزكاة المال تطهيره إذا زكى الرجل ماله أي أخرج منه ما يجب عليه فيه من الزكاة فقد طهر وحل له ما بقي عنده منه، وإذا لم يفعل ذلك كان المال غير مطهر وكان غير حلال، ومن ذلك قول الله عز وجل: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» ومعنى إنفاقها في سبيل الله إنفاق ما وجب فيها من الزكاة، وقال رسول الله ﷺ: ما أخرجت زكاته فليس بكنز، والكنز ما خبىء وما ستر، فإما ما أخرج الواجب فيه فقد أظهر وعرف مقداره بمعرفة ما أخرج منه فلم يستر، والزكاة أيضاً في اللغة الصلاح، يقال منه رجل صالح زكي، والصلاح لا يكون إلا مع الطهارة ولا يكون الرجل صالحاً إلا وهو طاهر من الذنوب ولا طاهر من الذنوب إلا وهو صالح، فالزكاة في اللغة تقع على الطهارة وعلى الصلاح وهي أيضاً في اللغة الزيادة، يقال منه زكا الشيء يزكو إذا زاد ونما، والزكاة في التأويل تجري على هذه الوجوه كلها تكون في موضع طهارة، وفي موضع صلاحاً، وفي موضع زيادة ونمواً على قدر ما يوجبه المراد بالخطاب فيها كما يجوز ذلك في ظاهر اللغة التي نزل القرآن بها، وقد قال الله جل وعز: «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» فالتزكية ما ذكرناه وقوله «دسّاها» خلاف ذلك. ونقيضه فيما ذكر أهل المعرفة باللغة، وقد قال جل وعز: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم» فيحتمل أن يكون أراد وهو أعلم بما أراد تطهرهم وتصلح أمرهم أو تزيد فيهم وتنميهم وقد يجوز أن يريد بذلك لطهارة لأن العرب تكرر اللفظ إذا اختلف ظاهره، واتفق معناه، ويكون قول الله عز وجل: «وأقيموا الصلاة» يعني بباطن ذلك إقامة دعوة الحق وآتوا الزكاة أي أعطوا الواجب الذي تزكون به أي تتطهرون وتطهرون أموالكم به وتتزيدون من الفضل بإعطائه يكونون بذلك صالحين عدولاً، كما يقال للرجل زكا إذا عدل وبلغ مبلغ العدول كذلك يبلغ مبلغ ذلك من تزكى بماله

وتكون الزكاة أيضاً المزكى الذي يزكي الناس ويطهرهم والعرب تسمى الشيء باسم ما صحبه ولازمه وكذلك جاء في بعض التأويلات أن مثل الصلاة مثل النطقاء، والأئمة الذي يقومون بإقامة الدعوة، ومثل الزكاة مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل بما توجبه أعمالم فيكون على هذا قوله لا صلاة إلا بزكاة يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين. والحجج الذين هم أوصياء الأئمة فهذه جملة من القول في تأويل الزكاة»[٧٢].

تأويل الصوم

وأما الصوم فقالوا:

«إن الصوم هو الستر والكتمان، ألا ترى إلى قول مريم: «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا»[٧٣].

وبمثل ذلك قال الحمدي عند ذكر أسماء الأئمة حيث ذكر:

«إنهم ممثول شهر الصيام الذي هو الستر والكتمان، وهم الأئمة المستورون»[٧٤].

ولقد أفصح في هذا السجستاني بعض الإفصاح حيث قال:

«الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر، وكتمان الأسرار عنهم . . . وصوم شهر رمضان هو ستر مرتبة القائم . . . ومن شهد منكم الشهر فليصمه» أي من أدرك زمان الإمام فليلزم الصمت»[٧٥].

---

(٧٢) «تأويل الدعائم» للنعمان المغربي ج ٢ ص ٨٧، ٨٨.

(٧٣) «الرسالة المذهبة» للنعمان القاضي ص ٥٧.

(٧٤) انظر «كنز الولد» لابراهيم الحامدي ص ٢٠٨.

(٧٥) انظر «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ١٢٦، ١٢٧ ط بيروت ــ لبنان.

وذكر الداعي الاسماعيلي الآخر مبيناً معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك»:

«إن الصائم مثل الكاتم لدينه وعلمه عمن لا يستحقه، والخلوف هو ما يطلع على الانسان من بخار المعدة ولتعطلها عن الطعام، فأشار بذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه، فإن ذلك الإمساك أحب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله وفي غير وقته، وشبهه لديه تعالى برائحة المسك الذي هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده»(٧٦).

وقال النعمان القاضي:

«الصوم في الباطن كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والإمساك عن المفاتحة به ممن يؤذن له في ذلك كما جاء في اللغة أن الصوم هو الإمساك عن الكلام والوقوف عن الأعمال، والنهار مثله مثل الظاهر وأهله، والليل مثله مثل الباطن وأهله، ولذلك كان الصوم في النهار دون الليل، ليصح ذلك ظاهراً وباطناً ويطابق بعضه بعضاً، ويظهر القول فيه ويصح معانيه، كذلك المفاتحة في الباطن لا يجوز لأهل الظاهر وتجوز لمن يطلق له من أهل الباطن وفي حد ذلك ومكانه . . . . وقول الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه: صوم شهر رمضان فرض في كل عام، فشهر رمضان شهر من شهور السنة معروف، والسنة اثنا عشر شهراً، فمثل السنة في التأويل الباطن مثل الناطق صاحب الشريعة، وهو في شريعة الاسم محمد النبي صلى الله عليه وآله وقيل ذلك لأن الناطق صاحب الشريعة وهو يسن الحكمة ويأتي

---

(٧٦) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٦٨ من «أربعة كتب اسماعيلية» تحقيق شتروطمان ط المجمع العلمي غونتينغن.

من قبل الله عز وجل بعلم الشريعة، ولأن جماع أمر الشريعة له وهو يدبر ما فيها ويحكمه كما تدور السنة على كل ما يجري فيها في دورها، فكذلك الناطق الذي هوصاحب الشريعة، مثل شهور الاثني عشر مثل نقباء صاحب الشريعة الاثني عشر، ومن ذلك قول الله عزوجل: «وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً» وكذلك كان نقباء موسى عليه السلام، كذلك أيضاً نقباء عيسى عليه السلام اثنا عشر، وهم الحواريون واحد النقباء يكون أساساً لصاحب الشريعة. يوصي إليه في حياته ويكون ولي أمر أمته بعد وفاته، فمثل شهر رمضان في دور محمد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وهو وصيه في حياته ولي أمر أمته من بعده، والي الوصي يصير أمر الدعوة المستورة وعلم التأويل الباطن المستور، فنص الله عز وجل بذلك عليه، وكان الصوم الذي ذكرنا أن مثله مثل الكتمان والتأويل في الشهر الذي هو مثله في الباطن، وقال جل من قائل: «ولتكملوا العدة» فكمال عدد أيام شهر ثلاثون يوماً، ويكون تسعة وعشرين يوماً، فنص الله عز وجل على شهر رمضان بكمال العدة فكان ذلك كامل الأيام أيامه ثلاثون يوماً لا تنقص أبداً ما دامت الشهور تجري، ومثل الأيام كما تقدم البيان مثل أولياء الله القائمين بأمر دينه لعباده، ومنه قوله جل ذكره: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله» وكان بين المهدي وبين علي صلوات الله عليهما عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب، وهؤلاء مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله عز وجل بصومها، وذلك في التأويل كتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلى من عاملوه إلى أن يأذنوا في ذلك لمن يرونه»(٧٧).

ثم بيّن النعمان هذا معنى القول المنسوب إلى جعفر أنه قال:

«لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع إلى مولاه، ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يبر. تأويل ذلك أن مثل العبد الآبق مثل الزائل من إمام زمانه النازع عن الكون في جملته،

(٧٧) «تأويل الدعائم» للنعمان المغربي ج ٣ ص ١٠٨، ١٠٩.

ومثل المرأة الناشزة مثل المستفيد المنقطع عمن يفيده رالمتخلف عن الإتيان إليه لالتماس الحكمة من قبله، ومثل الولد العاق مثل الجاني على داعية أو على بابه اللذين هما أدنى أبويه إليه فمن فوقهما من حدود أولياء الله على ما قدمنا شرحه إلى ناطق زمانه وحجته وإلى صاحب شريعته وأساسه بما يكون منه إلى أحد منهم من قول أو فعل يعقه به بحسب ما يكون في الظاهر من الولد إلى والديه عقوقاً، فمن فعل ذلك ظاهراً وباطناً وصام في الظاهر والباطن لم يتقبل منه صيامه، لما تقدم القول به من أن الولاية مثلها مثل النية، وأنه لا يقبل منه عمل إلا بنية ولاية، ومن عصى إمامه أو رغب عنه أو عق أحداً من حدوده الذين هم الأسباب فيما بينه وبينه وهم في الباطن آباؤه فقد خرج من ولايته، ولا يقبل له عمل مادام على ذلك حتى يرجع عنه إلى ما خرج منه بالتوبة والرجوع إلى أمر الله وأمر أوليائه، فهذا تأويل قول الصادق عليه السلام أنه لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يبر، وبيان ذلك ظاهراً وباطناً(٧٨).

تأويل الحج

والحج لا يختلف أمره عن العبادات الأخرى فأن القوم جعلوه غرضاً لتأويلهم الباطني الفاسد مثل ما فعلوا بدعائم الاسلام الأخرى فقال قائلهم في الحج، وهو أحد بناة مذهبهم وداعي الدعاة للإمام الاسماعيلي المعز لدين الله، جعفر بن منصور اليمن مبيناً معنى الحج في قول الله عز وجل: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

«أمر جل وعلا باتباع الإمام صلوات الله عليه الذي من يختاره نجا وفاز، فالحج هو الإقرار بالولي المأمود عليه السلام «من استطاع إليه سبيلاً»

---

(٧٨) «تأويل الدعائم» ص ١١٠، ١١١

فالعباد كلهم فيهم استطاعة غير أنهم ممنوعون التوفيق، والسبيل لهم بين وهو الداعي إليه سبيل الله جل وعلا، وهذه الصفة تقع على حجة الإمام ووصي الرسول فالحجة سبيل الإمام الذي يدعو به الناس إلى الله عز وجل كما قال الله عز وجل: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، أي أشركوا بأمر الله في الإمام صلوات الله عليه أهواء أنفسهم واختيار كبرائهم الذين أضلوهم السبيل فجعلوا مع الإمام غيره من لم يجعله الله ولا رسوله ممن ليس له حق ولا يهدى إلى صراط مستقيم لا جعلنا الله فيهم ولا من أعدادهم هو على ذلك قدير فالسبيل واضح بيّن ولكنهم قد جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً. ما أبين هذا الخطاب لمن كان له بصر حديد، ألا تنظر أيها المستفيد إلى غير ما أمر به فقال ومن كفر فان الله غني عن العالمين، ولولا أنه جل وعلا علم أنهم يستطيعون وقد أقام لهم السبيل وأبان لهم الدليل لما قال لمن خالف أمره ومن كفر فلولا أنه قد أعطاهم استطاعة السعي وحاسة الطلب لما ألزمهم اسم الكفر ولكنه جل وعلا لم يمنعهم من رشدهم شيئاً فأوقع عليهم إسم الكفر عند خلاف أمره وترك فرضه، ثم أبان جل وعز أنه غني عن العالمين يعني بذلك دعاته أنه غني عنهم وهو الذي أعانهم وأغناهم وملكهم وملك بهم وجعلهم ملائكة مكرمين وأولياء مخلصين جعلنا الله منهم ومعهم ولا قطع بنا عنهم إنه سميع بصير»(٧٩).

وقال في موضع آخر مفسراً قول الله عز وجل: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».

بيان هذا أنه لا بد من إمام يدعو ويشير إلى الإمام وإلى الناطق فالأذان مثل الإمام المتم، والإقامة مثل الناطق، وكذلك الأذان بالحج، فالحج مثل الناطق والأذان مثل الإمام الذي يدعو ويشير إلى الناطق فمعنى قوله: «وأذن

---

(٧٩) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٥٣، ١٥٤.

في الناس بالحج يأتوك رجالاً يعني: أقم في الناس الإمام يدعو إلى الناطق وكذلك مقام إبراهيم في مسجد مكة عنده يقوم الذي يؤم الناس في الصلاة ويتوجه إلى البيت، فمقام إبراهيم في ذلك الموضع مثل الإمام الذي تجرى الدعوة من قبله وبطاعته واتباعه للناطق عم، فمعنى هذا القول أن الأذان صاحب الدعوة وأنه يستحق أن يكون في مقام إبراهيم، فما أبين هذا الخطاب لتعلم أن الباريء عدل في جميع الأشياء ظاهرها وباطنها، وإنما طلب الناس بالموجود لا بالمعدوم، وأقام لهم مؤذناً يؤذنهم إلى معرفة الله سبحانه ويبين لهم مكنون سره، فمن أجاب ذلك المؤذن والناطق فقد سعد، فالمؤذن لا بد منه لأنه بأذانه طولب العباد وبه أبصر الناس وإلى دعوته أتوا من أقاصي البلاد وأدانيها، وهذا معنى في الباطن لطيف خفى لمن كان له جوهر لطيف ولم يكن له جسم كثيف بلا جوهر لطيف»[٨٠].

وقال المغربي مفسراً هذه الآية:

«البيت دليل على الإمام، والاستطاعة هي التأييد، والسبيل دليل على العلم»[٨١].

وبمثل ذلك قال السجستاني:

«حج البيت هو قصد إمام الزمان مفترض الطاعة ..... والغرض من حج البيت معرفة الأئمة ...... والمراد من الزاد والراحلة في الحج هو العلوم، ودليل معرفة الإمام ..... والإحرام هو اعتقاد معرفة الإمام»[٨٢].

وأما بعض التفصيل فإليكم من كتاب «تأويل الدعائم» الذي لم يصنّفه النعمان بن محمد المغربي إلا لهذا الغرض، النعمان الذي عاشر أربعة من الأئمة الاسماعيلية من المهدي إلى المعز، وعيّن أوّل قاض للاسماعيلية في بلاد

(٨٠) أيضاً ص ١١٠، ١١١.
(٨١) «الرسالة المذهبة» للنعمان بن محمد ص ٣١.
(٨٢) انظر «كتاب الافتخار» للسجستاني.

مصر وغيرها من البلاد التي تسلط عليها الاسماعيليون بعد دخول المعز فيها واستيلائه عليها. فهذا هو النعمان الذي وضع أكبر عدد من الكتب الاسماعيلية يقول مبيناً معنى الآية:

«فالزاد في الظاهر هو ما يتزوده من يريد الخروج إلى الحج في الظاهر من مطعم ومشرب، ومثل ذلك في الباطن ما قد تقدم القول به من أن مثل الطعام والشراب في الباطن مثل العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الدائمة، كما بالطعام والشراب حياة الأجسام، الراحلة في الظاهر الدابة التي يرتحلها من أراد الحج لركوبه وحمل زاده، ومثلها في الباطن ما قدم تقدم القول به من أن الدواب من الإبل والخيل والبغال والحمير التي أخبر الله سبحانه في كتابه أنه خلقها لركوب العباد، البشريين وحمل أثقالهم وجعلها زينة لهم، أمثالها في الباطن أمثال أولياء الله وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد ديناً ودنيا، ومن ذلك قول الله عز وجل لمحمد نبيه صلى الله عليه وآله: «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» فهم ومن أقاموه من أسبابهم ولحمل الخلق على سبيل الحق أمثال ما يرتحل ويحمل عليه في الظاهر. وقد بينا فيما تقدم أمثال كل جنس من الدواب ومن مثله في الباطن من أولياء الله وأسبابهم، فإذا وجد من وقف لطلب معرفة إمام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة إليهم من يدله عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله، وبين له ما دعاه إليه فذلك في الباطن وجود الزاد والراحلة، وأما أمن السبيل فمثله في باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه إليه ومفيده من العلم والحكمة ما يثبت ذلك عنده مأموناً غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفاً بذلك وأما ما يخلفه لأهله، فظاهر ذلك عنده مأموناً غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفاً بذلك وإماماً يخلفه لأهله، فظاهر ذلك أنه من أراد الحج في الظاهر ولم يكن عند إلا قدر ما تحمله لزاده ومركبه، ولم يجد غير ذلك مما يقوت به عياله لم ينبغ له أن يدعهم يهلكون بعده ويذهب إلى الحج بما عنده، لأنه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» فإذا كان تضييع العيال إثماً لم ينبغ له أن يرتكب الاثم ليبغى به الثواب، وقد جاء هذا

القـول أيضاً عن الأئمـة عليهم السلام، وتـأويل ذلـك في البـاطن أن عيـال الـرجل أمثـالهم في الباطن أمثـال المستفيدين منـه من كان ممن عـلا قـدره أو سفل، حتى يكون الانسان مفيد زوجته وولده وخـادمه، وكـذلك جـاء الأمر عن الله عـز وجل في ظـاهر قـوله: «وأمـر أهلك بالصـلاة واصـطبر عليهـا» وقوله: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكن عند ربه مرضيـاً» وقال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «كلكم أمير، وكلكم مسئـول عن رعيته، والسلطان أمير على من أمر عليه، ومن أمره السلطان كذلـك على قـوم فهو أمـير عليهم ومسئول عنهم، والرجل أمير عـلى عيالـه ومن في بيته ومسئـول عنهم، والمرأة أميرة على ما في بيت زوجها ومسئولة عن ذلك، والعبد أمير على ما فوضه إليه مولاه ومسئول عنـه»، وقال النبي صـلى الله عليه وآلـه: «إن العبد الصـالح ليؤدب أهله وولده وأهل بيته بالأدب الصـالح حتى يـولجهم الجنة كلهم فـلا يفقـد منهم صغيراً ولا كبيـراً ولا عبداً ولا حـراً، وإن الرجـل السـوء ليؤدب أهله بالأدب السوء حتى يولجهم النار فلا يفقد منهم صغيراً ولا كبيراً ولا حراً ولا عبداً، فعلى من وجد ما قدمنا ذكره من المفيد والعلم الـذي يحمله لطلب إمام زمانـه أن يبتغي مثل ذلـك لأهله، ولا يدعهم في ضـلال وعمى وينفرد دونهم في ذلك بنفسه، بل عليه أن يرشدهم وينصح لهم ليهدى الله عز وجل منهم من يهـديه ويحق القـول على من عنـد عنه واعتـاص عليه، فهـذا جمـاع القـول في وجود الـزاد والراحلة وأمن السبيـل وقـوت العيـال لمن أراد الحـج ظاهراً وباطناً، فمن وجد ذلك وأمكنه كان عليه طلب أمام زمانه حتى يصـل إلى معرفته كما يطلب الحاج في الظاهـر البيت الحرام الـذي ذكرنـا أن مثله في الباطن مثل إمـام الزمـان، حتى يصل إلى معـرفته ويتقلد عهـده ويـدخـل في جملته، ومن وجد ذلك فلم يقبل عليه ولم يطلبه كان ممن تواعده الله عز وجل بالوعيد الذي ذكره الله في كتابه على لسان رسوله وألسنة أوليائه الـذي قدمنـا ذكـره، ووصف بما وصف بـه من الكفر وتـرك شريعة من شرائـع الاسلام، وإنه إن فعل ذلك فليمت يهودياً أو نصرانياً»[٨٣].

---

(٨٣) «تأويل الدعائم» ج٣ المجلس لسابع من الجزء الثالث ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.

وأما الحج رجالاً وعلى كل ضامر:

فمثل من يمشي على رجلين ممن يقصد الحج مثل من يفسر برسول الله وبعلي وصيه صلوات الله عليهما، ومثل من يحج على راحلته مثل من عرف الإمام والوصي والحجة(٨٤).

وأما أقسام الحج الثلاثة فمعناها:

«ومن أفرد الحج كان مثله مثل من أفرد طلب معرفة الإمام، ومن أفرد العمرة كان مثله مثل من أفرد طلب معرفة حجة الإمام، وهو الذي يقيمه في حياته ويصير الأمر إليه من بعده، ومن قرنهما معاً كان مثله مثل من طلب معرفة الإمام والحجة جميعاً، وذلك الذي جاء أن فيه الفضل ظاهراً وباطناً»(٨٥).

وأما أشهرْ الحج أي شهران، والأيام التسعة فقالوا:

مثل الشهرين اللذين يفرض فيهما الحج مثل الإمام والحجة لأنه كما ذكرنا في طلب معرفتهما يفرض الحج، والتسعة الأيام مثلها مثل السبعة النطقاء ومثل السبعة الأئمة أيضاً الذين بين كل ناطقين، وقد تقدم البيان عنهم ومعرفة الداعي وبابه اللذين بهما يوصل إلى معرفة ذلك فذلك تسعة حدود على عدد الأيام التسعة، ومن طلب معرفة الإمام والحجة فلا بد له من معرفة هؤلاءالتسعة ففرض الحج في الباطن إنما يكون في طلب معرفة هؤلاء(٨٦).

وأما الإحرام فانه مثل الإحرام في الباطن إيجاب طلب معرفة الإمام والحجة ومواقيت الإمام في الظاهر حدود المواضع التي يوجب فيها ذلك»(٨٧).

---

(٨٤) أيضاً ج ٣ ص ١٤٥، ١٤٦.

(٨٥) «تأويل دعائم الاسلام» ج ٣ ص ١٥١.

(٨٦) أيضاً ص ١٥١.

(٨٧) أيضاً ص ١٥٧.

وجعل المواقيت خمسة: «هي أيضاً مثل الصلوات الخمس» وكذلك الذين ينصبون أمثالها في الباطن وهم الحدود الذين نصبهم أولياء الله إعلاماً للناس خمسة لا ينصب ذلك إلا نبيّ أو وصي أو إمام أو حجة أو مستخلف فهؤلاء هم الذين ينصبون للناس الأعلام الذين يهتدون بهم الذين هم أمثال المواقيت، فهؤلاء الأعلام أيضاً هم خمسة أصناف الحجج وأبواب الحجج، والنقباء وأبواب النقباء والدعاة، فمن أراد معرفة إمام زمانه الذي يكون مثله في الظاهر مثل من أراد الحج أو معرفة حجة زمانه الذي يكون مثله مثل من أراد العمرة لم يلتمس ذلك ويطلبه إلا من قبل من يليه من أهل هذه الأصناف الخمسة، وهم أمثال المواقيت الخمسة التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس بظاهر حجهم وعمرتهم، وأن يأتي أهل كل ناحية عند ذلك إلى ميقاتهم، كذلك يأتي من ابتغى معرفة إمام زمانه أو حجته إلى من يلي مكانه من هؤلاء فيلي أمره في ذلك ويدله على إمام زمانه أو حجته على ما قدمنا وذكرنا فيما تقدم، أو أمثال الشهور الاثني عشر أمثال نقباء صاحب الزمان الاثني عشر، وهم أصحاب الجزائر لكل جزيرة من جزائر الأرض نقيب فهم وأسبابهم على ما ذكرنا أعلام ومواقيت في التأويل»[٨٨].

وأما الطواف والنحر فبينهما بقوله:

«إن مثل الحج في الظاهر مثل قصد إمام الزمان في الباطن، والمجيء من كل أفق إليه للدخول في جملته وبيعته والكون معه وحيث يأمر بالكون فيه وجعل حج البيت في الظاهر مثلاً لذلك دليلاً عليه، وإن مثل العمرة كما تقدم القول بذلك مثل قصد حجة ولي الزمان وهو ولي عهده الذي يقيمه في حياته ويصير إماماً من بعده، وقد ذكرنا أنه متى لم يقمه بعد فمثل القصد إلى الإمام إذا كان وحده ولم يقم بعد حجته مثل الحج المفرد في الظاهر، فإذا أقام إمام الزمان حجته كان القصد إليهما معاً من الواجب على جميع الناس، وذلك في الظاهر مثله مثل من يخرج ليقضي الحج والعمرة في سفر واحد، فإن

---

(٨٨) أيضاً ص ١٦٠.

ساق معه هدياً ليقربه فإنما الواجب أن ينحر الهدى أو يذبحه بمنى بعد الوقوف بعرفة ومزدلفة، فمن كان معه هدى فصار إلى مكة بدأ بالعمرة فطاف لها وسعى، وذلك قضاء واجب العمرة ويبقى محرماً على سبيل ما كان حتى ينتهي إلى منى وينحر هدية فيحل لأن الاحلال من الاحرام حلق الرأس وغير ذلك مما يحرم وسيأتي ذكره وقد قال الله سبحانه: «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله» وأمثال الهدايا والضحايا في الباطن أمثال المخالفين ومثل سوقهم إلى المنحر يوم النحر بمنى، فمثل يوم النحر في الباطن كما تقدم القول بذلك مثل خاتم الأئمة وهو صاحب القيمة وإليه يساق المخالفون الذين لم يستجيبوا لمن قبله من أئمة الحق، فمن اهتدى إليه وأجاب دعوته قبل ارتفاع الدعوة كان مثل ذلك مثل ذبح الهدى ونحره في الظاهر الذي يتقرب به إلى الله جل وعز، كما تقدم القول بأن مثل الذبح مثل أخذ العهد، وقد مضى بيان ذلك وتمام شرحه فيما تقدم، ومن تخلف عنه إلى أن يقوم بالعقوبة في اليوم الذي ذكر الله عز وجل: «إنه لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» فمن لم يعرفه قبل ظهوره حقيقة معرفته ويستجيب لمن يدعو إليه وينذر به ولم ينفعه إيمانه به إذا قام لأن قيامه هو القمة التي لا يقبل فيها عمل، وأمثال الذين يسوقون الهدى أمثال القائمين بدعوة الحق على مقادير منازلهم فيها والذي يساق من الهدى ثلاثة أصناف الابل والبقر والغنم، وقد ذكرنا أمثالهم فيما تقدم، وأن أمثال الابل أمثال النطقاء، وأمثال البقر أمثال الحجج وأمثال الغنم الدعاة فمن دونهم من المؤمنين، فكل ذي حد منهم يقيم صاحب الحد الذي هو دون حده فالامام يقيم حجة يكون إماماً بعده ومثل ذلك الذي يقرب البدنة من الابل وهو أعلى الهدى وأفضله وكذلك الامام أعلى الخلق وأفضلهم ومثل تقريبها مثل إقامة الامام من يكون إماماً بعده يتقرب بذلك إلى الله جل ذكره إذا كان ذلك من الفرض عليه أن يسلم الأمر الذي هو بيده إلى من يقوم به من بعده ولا يبخل بذلك عليه ولا يصرف عنه، ومثل الذي يقرب البقرة مثل الناطق يقيم حجته فيكون أساساً بعده، والأساس وهو وصي الرسول يقيم حجته فيكون إماماً بعده، والإمام كذلك إذا أقام حجته يكون إماماً بعده، ومثل

الذي يقرب الشاة مثل الحجة يقيم الداعي، ومثل الذي لا يجد قرباناً يقربه فيقتصر يكتفي على ذبح الدجاجة وأشباهها من الحيوان الذي لا يجوز به الأضحية ولا يكون نسكاً مثل الداعي الذي لم يطلق له أن يقيم داعياً فيقيم من يجب له أن يقيمه من المأذونين وليسوا في حال دعاة، وإنما سبيل المأذونين الكسر على المخالفين فإذا استجابوا لدعوة الحق قرب من يستجيب منهم إلى الداعي الذي يقيمه ليأخذ العهد عليه، فمن كان عاملاً في دعوة الحق فمثله كما ذكرنا مثل سائق الهدي، لأنه يأخذ على من استجاب له ويدفع من لم يستجب له إلى أن يبلغوا إلى خاتم الأئمة، فإذا قصد أحد من العاملين في دعوة الحق إلى حجة زمانه واتصل به اتصل بإمام الزمان في حده ذلك من غير أن ينتقل منه إلى غيره ولا يتصل بالإمام إلّا بعد اتصاله بالحجة، لأنه باب الإمام الذي يؤتي منه إليه، فإذا نصبه الإمام لم يأخذ أحد إلّا من قبله، وذلك مثل البدء بالعمرة قبل الحج ومثل انصال العاملين في دعوة الحق بإمام زمانهم بعد اتصالهم بحجته في حدهم ذلك مثل قران سائقي الهدى بين الحج والعمرة من غير أن يحلوا إحرامهم»[٨٩].

وأما التلبية فهو قصد إمام كل زمان ووفده استجابة لدعوته وقرباً منه طاعة له . . . . ومعنى تكرار التلبية أربع مرات وهو قوله: لبيك اللهم لبيك الخ هو أن يعتقد المستجيب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام زمانه وطاعة حجته في الظاهر والباطن والسر والاعلان[٩٠].

وأما الرفث والفسوق والجدال:

تأويل ذلك في الباطن أن من فرض الحج في الباطن لم يجز له أن يفاتح أحداً بعلم الباطن لأن مثله مثل المفاتحة قبل الجماع، والفسوق الخروج من إطاعة الله وطاعة أوليائه . . . . . والجدال لا ينبغي لمن سعى يطلب إمام زمانه وتمسك به أن يجادل أحداً حتى يؤذن له في ذلك ويعرف ما يجادل به،

---

(٨٩) أيضاً ص ١٧٢، ١٧٣.
(٩٠) أيضاً ص ١٨١.

فـأما قتـل المحرم الصيـد فمثله في الباطن مثـل من فاتـح بعلم الباطن وهـو محرم»[٩١].

وقال جعفر بن منصور اليمن:

«المراد من الرفث والفسوق والجدال، أبو بكر وعمر وعثمان»[٩٢].

وحلق الرأس فأن مثل الرأس مثل الرئيس الذي يأخذ من دونه عنه أمر دينه ومثل الشهر مثل ظاهر العلم ومثل حلقه عن الرأس قبل كشف البـاطن بـإزالة علم الـظاهر عنـه، ومثل ذلـك منكشف الباطن لغـيره وهـو محـرم في البـاطن ممنوع من ذلـك . . . . . وأما الفـدية فمثـل ذلك في البـاطن إن من كشف أمر رئيس في الدين الذي يستفيد منه علم التأويل كان عليه أن يسعى في إرقاء ثلاثة من المؤمنين إلى حـد الستر والكتـمان، وذلك الملاعن على حـد الكتمان عند ما يفاتحون من يجب كتمانه من تأويل الباطن»[٩٣].

إلى آخر ذلك من الخرفات.

وأما مثل بيت الله الحرام فيقول:

«وبني البيت مربعاً ولذلك سمي كعبة، والكعبة في اللغة المربـع، ومثل أركانه الأربع مثل لموسى وعيسى ومحمد والقـائم من ولده صلوات الله عليهم الذي هو سابع النطقاء، وقد قدمنا البيان على ذلك من أمره وشأنه وهو خاتم الأئمة، ثم أدار الحجر عـلى الركنـين من أركان البيت الأربعـة وجعل ذلـك مثلاً لانقطاع النبوة عن ولد اسحاق بعد الناطقين من ذريته اللذين هما موسى وعيسى عليهما السلام، وهمـا مثل الـركنين حجـر الحجر عليهـما، والحجر في اللغـة المنع وذلـك مثل المنـع بعد نبـوة محمـد ﷺ من التمسـك بشريعتهـما، ولذلك لا يطاف بهما وإنما الطواف من وراء الحجر ويطاف بالركنـين الباقيـين الركن الذي فيه الحجر الأسـود والركن اليـماني، ويستلمان في كل شـوط يجوز

(٩١) أيضاً ص ١٨٤.
(٩٢) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص١٢٥.
(٩٣) «تأويل الدعائم» ج ٣ ص ١٨٨.

الطائف بهما فيه، ومثل الركن الذي فيه الحجر مثل محمد النبي ﷺ والحجر كما ذكرنا مثل الأوصياء من ذريته، ومثل الركن اليماني مثل القائم من ولده خاتم الأئمة لا حجر فيه، ومثل ذلك أنه لا وصي له ولا إمام من بعده يتلوه، وهو صاحب القيمة صلوات الله عليه، فمن أجل ذلك وإن الله سبحانه جعل ملة محمد نبيه قائمة لا تنسخها ملة، وشريعته ثابتة لا تزيلها شريعة، وجعل السابع من ذريته وعلى ملته وشريعته ودعوته، ونسخ بشريعته شرائع من مضى من قبله، كان مثل ذلك في الظاهر الطواف بركني البيت واستلامهما دون الركنين الآخرين اللذين حجر عليهما»(٩٤).

وأما الصفا والمروة فقال:

«مثلهما في الباطن لأهل كل حد من حدود المعرفة مثل مفيدهم الذي يستفيدون منه ومثل مفيده الذي يستفيد هو منه، فمثل المفيد الأعلى مثل الصفا، ومثل الذي يستفيد منه ويفيد من دونه من أهل الطبقة التي هو مفيدها مثل المروة، فوجب على كل من قصد إمام زمانه أو اتصل به وبحجته ألّا ينقطع عن مفيده الذي كان يفيد منه، بل يتصل به ويقبل عليه ويأخذ عنه، ويتصل كذلك اتصال إقرار ومعرفة بمفيد حتى يصير إلى حد من يستفيد منه، وذلك مثل السعي بين الصفا والمروة في ظاهر الحج»(٩٥).

وقد جمع هذه المعاني كلها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي في كتابه (الدستور ودعوة المؤمنين للحضور) حيث يقول:

«وأما الحج فهو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت، بيت العلم والحكمة وقطع النظر عن سواهم، والزاد والراحلة الاستمداد للوقوف في عرفات، والمزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة، وأما معنى النحر والحلق فإزالة الباطل، وإظهار الحق ورمي الحجر الأسود قبول الدعوة من الناطق المؤيد، والطواف بالأركان والمقام وزمزم هي دعوة الباطن، والسعي

---

(٩٤) أيضاً ص ٢١١.
(٩٥) أيضاً ص ٢٢٠.

بين الصفا والمروة تتميم الدعـوة والوفـاء، وإتمام الحـج بالعمـرة الكاملة هي الاستجابة للمأذونين في الدعوة الشاملة»[٩٦].

ونذكر هنا ما قاله هذا الداعي أيضاً في تأويـل الحلال والحـرام والصلاة والصوم والزكاة فيقول:

«وأما الحلال الواجب إظهاره وإعلانه، والحرام الواجب ستره وكتمانـه، فهـو الطاعـة والدخـول في عنـد إمـام الزمـان، والثاني المعصيـة والميل لأئمـة الضـلال والعدوان، وأمـا الصلاة فهي صلة الـداعي إلى دار السـلام بصلة الأبوة في الأديان إلى الأمـام، والزكـاة إيصال الحكمـة إلى المستحق، وإرشاد الطالب لمنهج الحق، والصوم الامساك عن كشف حقائق النواميس الشرعيـة لغـير أهلها في دور الكشف، والسـتر هو استتـار الإمـام بحجبـه واختفـاؤه بدعاتـه ـ والنهار دليـل على دور الكشف، والافـطار ظهور الإمـام من وراء حجابه، وإظهار السرائر المكنونة، والعلوم المخزونة»[٩٧].

فهذه هي التأويلات الباطنية للعبادات والتكـاليف الشرعية أثبتنـاها من كتب القوم أنفسهم« ونريد أن نضيف إليها بعض التـأويلات الأخـرى لأهم الأشياء التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، قبل أن نذكر تـأويل بعض السـور والآيات القرآنية، ليكمل البحث في هذا الموضوع.

---

(٩٦) ص ٧١ من الكتاب المذكور من مجموعة «أربع رسائل اسماعيلية».
(٩٧) أيضاً ص ٧٠، ٧١.

العــــرش

ونبدأ بعرش الرحمن الذي ورد ذكره كثيراً في كلام الله الخالد في القرآن الكريم مضافاً إلى رب السمواب والأرض «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش»[٩٨].

وأيضاً: «سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون»[٩٩].

وأيضاً: «الله لا إله إلّا هو ربّ العرش العظيم»[١٠٠].

وأيضاً «فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم»[١٠١].

وأيضاً: «هو الغفور الودود ذو العرش المجيد[١٠٢].

وأيضاً: «الرحمن على العرش استوى»[١٠٣].

وأيضاً: «ثم استوى على العرش يدبر الأمر»[١٠٤].

---

(٩٨) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٩٩) سورة الزخرف الآية ٨٢.

(١٠٠) سورة النمل الآية ٢٦.

(١٠١) سورة المؤمنون الآية ١١٦.

(١٠٢) سورة البروج الآية ١٥.

(١٠٣) سورة طه الآية ٥.

(١٠٤) سورة يونس الآية ٣.

وغيرها من الآيات الكثيرة الكثيرة.

فقالوا: إن المراد من العرش هو العقل أو العلم أو الابداع، أو الناطق السابع وغير ذلك كما ذكر ذلك الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب السجستاني:

«إن المراد من العرش والكرسي العقل والنفس»(١٠٥).

ويقول السجستاني أيضاً:

«إن المبدع لم يوجد أول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صورةالمبدعات كلها، ويضاف إلى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء إلى الانتهاء، وقال للعقل (العرش أي أنه مقرّ لمن جلس عليه وبجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه، ويقال للعقل (الأول) ومعناه الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه أسبوع لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربة منها واتحاده بها وهي العلم والأمر اللذان هما بمعنى واحد، وقد يجوز أن العقل فعله سبق قوته. ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود دونه قواتهم سابقة أفعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً»(١٠٦).

وبمثل ذلك قال الداعي الاسماعيلي الآخر:

«إن العرش ينصرف على وجوه كثيرة حقيقتها الابداع وما حصل عنده من المادة الأزلية قد صار هو هي، وهي هو التي علم بها ما كان وما سيكون، ومن اتصل به من ذلك قسط من عالم الابداع وعالم الدين، فهو عرش لما دونه»(١٠٧)

---

(١٠٥) انظر «كتاب الافتخار» للسجتاني ص٤٠.

(١٠٦) نقلاً عن مقدمة «تأويل الدعائم» للحسن الأعظمي الاسماعيلي ج٢ ص ١٨، ١٩.

(١٠٧) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية» ص ٩١ من «أربعة كتب اسماعيلية» جمع شتروطمان ط المجمع العلمي غونتيغن.

وقال أيضاً في جواب سائل سأله عن معنى (خلق الله العرش بالكلمات السبع).

«إعلم أن الكلام في هذه المسألة كلام عال جداً والجواب عنه لا يصلح أن يكون إلّا لمن أذن له لكني لما أوثره من إفادتك أكتب إليك بذلك واستغفر الله تعالى من سطره وهو أمانة عندك، لا نسخته، ولا أوقفت عليه أحداً إلا من يأمرك موصل ذلك إليك بإيقافه عليه قوله خلق الله العرش يعني بالعرش في هذا الموضع قائم كل قيامه وبالكلمات السبع بعضها حجب لبعض عقول عالم الإبداع التي بين التالي والعاشر ويعني بخلقه خلق الدين وقوله على الماء، فالماء إشارة إلى العلم يريد الله أنه صورة علمية وقوله معروشاً بالعلم والقدرة فالمعروش هو المرفوع وعني بالعلم ههنا والقدرة المادة، والتأييد الذي طرقه من دار القدس فارتفع به عن جميع من في عالم الطبيعة وقوله وجعل كلماته آياته إلى آخر القول، فهذه سبعة أشار بها إلى النطقاء والسبعة الأئمة الكائنين في ذلك المجمع الأشرف»[١٠٨].

وبمثله قال علي بن الوليد:

«كما حكي القرآن الكريم، وأخبر الرسول صلى الله عليه وآله، من صفة العرش واستواء الرب عليه، ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكة للمجازاة والمحاسبة، والاثابة والمعاقبة. فكان ذلك يصح ظاهره في قائم القيامة على ذكره السلام، المستوفى قوى السموات والأرض، الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة، المكنى عنه بخلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان معنى إستوائه على العرش في اليوم السابع هو أنه على ذكره السلام محيط بهم إحاطة العلم، مالك لأمرهم ملكاً.

وكالتصرف ومجيئه في ظلل من الغمام والملائكة، بروزه على ذكره السلام، بمن في ضمنه من الصور القدسانية، والهياكل النورانية، لكافة

---

(١٠٨) أيضاً ص ٦٦، ٦٧.

الخلق، يوم فصل القضاء، والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم، والمجازاة لهم على سوالف مقدماتهم»[109].

وقال المؤيد الشيرازي ما معناه إن المراد من العرش هو العقل الذي هو المبدع الأول»[110].

وقد ذكر المؤيد الشيرازي اختلاف الفرق في العرش وحملة العرش في ديوانه وعرض على كل طائفة، وشنع على كل فرقة بقوله:

«وقائل يقول عرش يحمله ... وهو يئط تحته إذ يثقله
وإن في معنى على العرش استوى ... مبتدعاً كل وركاب الهوى
فواحد بالاستواء قالا ... وواحد قال وقد أحالا
معنى استوى استولى وهذي مكنته ... وحوله من دينه وقوته
فكان حيناً لم يكن مستولياً ... يا من غدا عن الهدى مولياً
وهو الذي قد حرف الكتابا ... عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئاً ليس فيه فيه ... وحكم آي أحكمت ينفيه»[111]

ويقول الداعي ادريس:

«العرش هو العلم الباهر والنور الزاهر، والثمانية الذين يحملون العرش هم أساساً آدم هابيل وشيث، وأساس نوح سام بن نوح، وأساساً إبراهيم إسماعيل وإسحاق، وأساساً موسى هارون ويوشع، وأساس عيسى شمعون الصفا، فهؤلاء ثمانية حملة العرش لأن الخطاب متوجه إلى محمد وذلك الذي حملوه هو علم على المنتقل من أول الأدوار ومبتدأ الأعصار. وحملة العرش في دور محمد فاطمة والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق واسماعيل

---

(١٠٩) «جلاء العقول وزبدة الحصول» لعلي بن محمد بن الوليد ص ١٤٣ من «منتخبات اسماعيلية» ط مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٨م.

(١١٠) انظر «المجالس المؤيدية» جـ ٢ ص ٥٧.

(١١١) «قصيدة الدوحة» للمؤيد الشيرازي ص ٤١ من «ثلاث رسائل اسماعيلية» أيضاً ديوان المؤيد» القصيدة الأولى.

ومحمد بن إسماعيل، فهم حملة السر الخفي الذي لا يظهره الله لأحد من خلقه الّا لهم خاصة»[١١٢].

وبذلك قال أيضاً الداعي حاتم بن إبراهيم:

«إعلم أن كل ما ارتفع هو عرش، والعرش المذكور هو العلم، وهو مانزل على أول نطقاء دور الستر الذي هو آدم»[١١٣].

ويقول الكرماني في أسلوبه الخاص:

«وكان الفلك الأعلى هو الموجود الأول منها، قلنا عليه من جهة ما هو محرك الذي يتصل بالكلام على الملائكة المقربين إنه لما كانت الحركة في الجسم المتحرك لا مما به كونه جسماً ولا كانت مما نعده في حده فيكون الجسم طويلاً عريضاً عميقاً متحركاً، كأن وجود الحركة فيه لا من ذاته، وإذا كانت الحركة لا من ذاته كانت من غيره، فالغير الذي هو منه الحركة لا جسم بكونه غيراً، وإذا كان الغير لا جسماً فلا يخلو أن يكون في تحريكه الجسم إما داخله وإما خارجه، ويمتنع أن يكون خارجاً بامتناع كون الجسم متحركاً من محرك يحركه من خارجه وهو غير ذي جسم لحاجته في تحركيه إياه إلى أجزاء من جنس ما يحركه الذي هو الجسم بما يلقاه بذاته فيحركه، وهو ليس بذي أجزاء، ولا بذي جسم جملة بكونه غير جسم، وإذا امتنع بكون ما هو خارج عنه غير جسم ولا ذي أجزاء أن يكون متحركاً، وكان الفلك الأعلى الذي هو نهاية الأجسام جسماً متحركاً لزم أن تكون حركته من محرك هو داخله، وأن يكون هذا المحرك لا جسماً، **فالمحرك للفلك الأعلى المعرب عنه في السنة الإلهية بالكرسي** هو المحرك الأول للجسم بكونه فيه، وهو المتحرك الأول بحركة ذلك الجسم المعرب عنه في السنة الإلهية بالعرش، ولذلك يقال عند حد الطبيعة إنها مبدأ حركة وسكون في الشيء الذي هو فيه بالذات، وذات هذا المحرك هي الحياة السارية عن عالم الربوبية المعرب عنها بالصورة التي

---

(١١٢) «زهر المعاني» نقلاً عن مقدمة ديوان المؤيد الشيرازي لمحمد كامل حسين ص ١١٧.

(١١٣) «الشموس الزاهرة» لحاتم بن إبراهيم نقلاً عن مقدمة «ديوان المؤيد» ص ١١٧.

وجودها بالإنبعاث من عالم الإبداع مع الهيولي على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون إحداهما فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة بكونها مفعولاً وذاته لا كذات العقول في التجرد من المواد صوراً محضة، بل هي من شيئين بهما وجوده: **أحدهما الهيولي والأخرى الصورة، سماهما عالم الدين الكرسي والعرش**»[114].

وقال جعفر بن منصور اليمن في تفسير الآية: «وأتممناها بعشر».

«فتم الحجج من أحمد إلى محمد ثمانية وهم حملة العرش، والعرش هو العلم، والعلم هو التأويل»[115].

وأخيراً ننقل ما ذكره النعمان القاضي، فيقول:

«إن العرش دين الله الذي تضمنته دعوة الحق، والدعوة في ذاتها عرش لأنها الدين الخالص، فدين الله هو قوام الأمر، (وبه تكون الحياة الدائمة في الدار الآخرة ويستظل وإليه يلجأ» فترك المشبهون أعداء الله معنى العرش في كتابه، واقتصروا على أن العرش سرير، وأن الله جالس عليه كما يصفون المخلوقين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وقد جاء في الظاهر عن الصادق ﷺ أن رجلاً من شيعته سأله عن قول الله عز وجل: «الرحمن على العرش استوى» وقوله: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» فقال له: ما يقول هؤلاء الملاعين؟

قال: يقولون: إن الله خلق عرشه ثم استوى عليه، فضرب جبهته بيده ثم قال: لا إله إلا الله، من زعم أن الله يحمله شيء من خلقه فقد زعم أن الذي يحمله أقوى منه، ثم قال للسائل: فما يقولون في قوله تعالى: وكان عرشه على الماء؟

---

(١١٤) «راحة العقل» المشرع الرابع من السور الخامس ٢٩٥، ٢٩٦.

(١١٥) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٦ نشر شتروطمان ط دار الفكر العربي القاهرة.

قال: يقولون: إن العرش كان على الماء والرب فوقه، فقال: كذبوا، عليهم لعنة الله، إن الله حمل دينه على الماء وهو عرشه، والماء العلم عرشه على أوليائه، فالعرش في التأويل ما ذكرنا، وظله ما ستر المؤمنين العاملين به من عذاب الله وسخطه واستظلالهم به وركونهم إليه، وكونهم في دعوة الحق مع أهلها أولياء الله فلا يكون يوم القيامة ملجأ يلجأ إليه غيرهم»(١١٦).

فهذه هي التأويلات المتباينة المخالفة الكثيرة التي أوّلوا بها العرش، وصدق الله عز وجل:

«ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»(١١٧).

وأما معنى الاستواء فنورد فيه عبارة واحدة من المفسر الاسماعيلي ضياء الدين ما قاله في تفسيره في قول الله عز وجل: (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش):

«يعني ربنا أهل النسبتين في هياكل الستة الأئماء بتسليمه هم إلى محمد ابن اسماعيل «الرحمن» هو مقامه الأنزعي الذي رجعوا إليه «فاسأل به خبيراً» يعني اسأل عن مقامه مقيمك الخبير به»(١١٨).

---

(١١٦) تأويل الدعائم ج ١ ص ٢٥١، ٢٥٢.

(١١٧) سورة النساء الآية ٨٢.

(١١٨) «مزاج التنسيم» سورة الفرقان ص ٣٩٢.

السمـــوات والأرض

إن الاسماعيلية اختلفوا في تأويـل السماوات والأرض فمنهم من يقـول: إن السـماء كناية عن النطقـاء، والأرض عن الأسس والأئمة كـما ذكر ذلـك المؤيد الشيرازي في مجالسه تحت قول الله عز وجـل: إنا عـرضنا الأمـانة عـلى السموات والأرض»[119].

وبمثـل ذلك قـال السجستاني في كتـابه «الافتخـار»[120] الكتاب الـذي جعله مفخرة للاسماعيلية لتضمنه على التأويلات التي لا توجد عند غيرهم.

وبـذلـك قـالَ قبله ابن حـوشب الملقب بمنصـور اليمن حيث فسّر خلق السماوات بخلق النطقاء والأرض بالوحي فيقول:

«يوم خلق السماوات» أي يوم بعث النطقاء»[121].

وأيضاً «وأنزلنا من السماء ماء» فالماء «العلم» والسماء «الرسول»[122].

والأرض «الوحي والحجة»[123].

---

(١١٩) انظر «المجالس المؤيدية» للمؤيد الشيرازي، المجلس الثالث بعد المائتين.

(١٢٠) انظر ص١٠٤.

(١٢١) «كتاب الرشد والهداية» ص ٢٠٣ في آخر كتاب (المنتخبات) لايوانوف.

(١٢٢) أيضاً ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(١٢٣) أيضاً ص ٢٠٩.

وبذلك قال الداعي الاسماعيلي في قصيدته المسماة بالشافية:

«والأرض بالدين أساس الناطق سام محل العلم والحقائق
ودعوة الله هي السفينة بها رجوع الأنفس الأمينة
وناطق يتلوها السماء الصافية منها نفوس المؤمنين السامية»(١٢٤)

«إن استقرار السفينة على الأرض معناه في التأويل الاسماعيلي الباطني استقرارها على أساس الناطق أي حجته لأن الأرض بالتأويل أساس الناطق الذي يرسل المطر إلى الأرض، والمطر هو علم الحقيقة الذي يحيى كل شيء عليها. . . . وإن الناطق مثل السماء الصافية التي ترسل الغيث إلى الأرض، والسماء مثل الناطق الذي يرسل العلم الحقيقي إلى الأساس، فيوزّعه ويحيى به جميع المولودات والكائنات سواء من نبات أو معدن أو حيوان فيدبّ فيها الحياة، كما أن العلم يحيى النفوس الميتة من أثر الجهل، الغارقة في بحر الضلال»(١٢٥).

وعلى ذلك فسّر الداعي الاسماعيلي السجستاني أبو يعقوب إسحاق قوله تعالى: «الذي خلق سبع سموات طباقاً» بقوله: «أقام النطقاء السبعة الذين بينهم مطابقة لم تتفاوت أوضاعهم من التأييد الجاري لهم من الأصليين، ولا من التأويل الذي يجري من قبل الأسس بعدهم»(١٢٦).

وإن الكرماني أحمد حميد الدين يؤول مرة «السموات والأرض» في قوله تعالى «في خلق السماوات والأرض» بالأنبياء والأوصياء»(١٢٧).

وفي قوله «الله نور السماوات والأرض»(١٢٨).

---

(١٢٤) انظر «العقيدة الشافية» ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
(١٢٥) «القصيدة الشافية» الهوامش ٢٩٧، ٢٩٩.
(١٢٦) انظر كتاب «إثبات النبوءات» الفصل السادس من المقالة الأولى ص ٢٧ ط المطبعة الكاثوليكية.
(١٢٧) انظر «راحة العقل» ص ٥٦٤.
(١٢٨) انظر ص ٥٧٦.

ومرة يؤولها بالدعوة الظاهرة وأهلها، والأرض بالدعوة الباطنة وما فيها من العلوم التي تستقر عليها العقول»(١٢٩).

ومثل ذلك أيضاً قال النعمان المغربي القاضي(١٣٠).

المصطلحات الاسلامية وتأويلاتها

وهناك أمور ومصطلحات وأشياء أخرى يؤولها الاسماعيلية حسب أهوائهم وأغراضهم وأهدافهم بتأويلهم الخاص بهم، ولقد جمعها أحد الدعاة الاسماعيلية في كتابه نذكر البعض منه، ويأتي ذكر البعض الآخر في تأويل السور والآيات القرآنية عند الاسماعيلية، فيقول الداعي شمس الدين ابن أحمد بن يعقوب الطيبي:

«واعترف أن لا ظاهر إلّا وله باطن، ولا صورة إلا ولها معنى كامل، ولا قشر إلّا وله لب، ولا مدينة إلّا ولها باب، ولا نور إلا وله حجاب، ولا شريعة إلّا ولها طريقة، ولا طريقة إلّا ولها حقيقة، ولا حقيقة إلّا ولها تنزيل، ولا تنزيل إلّا وله تأويل للعلماء الراسخين، ولا راسخ إلّا من المتأولين، فقولنا الله تأويل الكلمة، وتأويل العلم مظهر العظمة، والحدوث تأخر المعلول عن العلة، وسبقها عنه ببراهين وأدلة، وأما الامكان فهو نفس الافتقار، وحصول دوران الدائر على المدار، والواجب بالذات استحالة العدم، وثبوت المعنى في الأزل والقدم، وتقديس واجب الوجوب لذاته، وتنزيهه عن صفاته، وأن يسلب عن جميع ما خطر بأذهاننا، ونبت في

---

(١٢٩) انظر كلام الكرماني في كتابه «راحة العقل» تحت قوله عز وجل» يوم تكون السماء كالمهل. ص ٥٧٩.

(١٣٠) انظر «الرسالة المذهبة» للنعمان للقاضي ص ٨٤ من «خمس رسائل اسماعيلية» ط دار الانصاف، بيروت.

أفهامنا، وأعلى من أن تصل إليه أفهامنا وأوهامنا، فصفاته السلبية تخرجنا من حيز الأفكار والتعطيل، وتخلصنا من قيد التشبيه والتمثيل، وأمّا النبوءة والرسالة فهي ظهور الكلمة بالحجاب، وتنصيب الدليل والمرشد والباب، إلى منهج الحق وطريق الصواب، والنبي فهو المخبر عن الأصول، والداعي إلى ما يدعو إليه الرسول، وهو الناطق الداعي إلى الأصلين السابق والتالي والفروع الثلاثة والخمسة العلوية الحاملة للكمال، وأمّا الصحيفة والكتاب، وتبيان جزيل الخطاب، فهو اتصال التأييد من السابق إلى الناطق وهدايته إلى التأليف، وإعانته على التصنيف، وأما الملائكة المقربون(١٣١) فهم القوى العاملة في العوالم العالية والسافلة، وتسبيحهم في الليل والنهار، وإمدادهم أهل الإيمان بالاستغفار، ودوامهم على ترتيب ونظام الأمور، وإظهار خواصها في مقامها المعلوم بلا فتور . . . وأما الأديان والشرائع فهي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام الأرضية، وتكميل علوم النفوس البشرية، وهي ستة بين السبعة على عدد أيام الجمعة . . . والنفور والجهاد دحض حجة أركان العناد، وإبطال أقوالهم بالبراهين العقلية، والحجج القطعية، وأمّا الزنا فهو اتصال المستجيب من غير شاهد، والفتح قبول اختبار المعاهد، والربا الرغبة في الإكثار، وطلب الحطام، وإفشاء الأسرار، والفحشاء ذكر المحامد للطغاة المتمردين، والمحاسن لأهل العناد المعتدين، والمنكر تبديل العالم بالجاهل، والبغي تقديم المفضول على الفاضل، والعدل ترك الناقص مع وجود الكامل، والإحسان إحاطة العلم بالإمام، وقدرته على ما بطن وظهر تجلى واستتر، وإيتاء ذي القربى محبة الرسول، وولاية أولاد البتول، وتفضيل الهاشميين، والقول بإمامة الفاطميين، والظلم وضع الإمامة في غير آل محمد، والإعراض عن العالم الحي، والاقتداء بالجاهل الميت، والقتل بغير حق هو المجادلة بغير بيان،

---

(١٣١) وقال القاضي النعمان عن الملائكة: «الملائكة هم الحجج وأرباب دعوته القائمون بها، وهم الدعاة الأخذون عهده على المستجيبين (الرسالة المذهبة للنعمان القاضي الاسماعيلي ص ٨٤ من «خمسة رسائل اسماعيلية» وقال الكرماني: «الملائكة هم حدود الدعوة» (انظر «راحة العقل» ص ٥٨٢).

والمكاثرة بغير برهان، والملاهي علم الحشوية، ومعتقدات الظاهر التي تلهي النفوس عن الحقائق، ولا تمر في الدقائق، والمناهي متابعة سنة الجاهلين، وموافقة الأضداد الجاحدين المنكرين، والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة إشارته البسيطة على المعاني والأجسام، وأما الجن(١٣٢) فهم المستورون عن أعين الأغيار الناشرون أجنحة الرحمة على أهل الأمصار، والعفاريت هم أصناف الجاحدين والمعاندين.

وأما إبليس فهو المخصّص لمعاداة إمام الزمان(١٣٣).

قصص الأنبياء

وإن البحث في التأويل الباطني الاسماعيلي لا يكمل بدون ذكر تأويل القوم لقصص الأنبياء والسور القرآنية وآياتها، وقد ذهب القوم فيه مذاهب شتى، وأجالوا الفكر في متاهاته وأركزوا الخيل في ميادينه حتى ابتعدوا كل البعد عن منطوق الكلام ومدلوله، وجاؤوا بأشياء لاعلاقة لها بالكلام من قريب أو بعيد.

ولقد ذكر تأويل قصص الأنبياء كلّ من جعفر بن منصور اليمن، والنعمان القاضي، والمؤيد الشيرازي، وحاتم بن إبراهيم الداعي، والداعي صاحب (العقيدة الشافية)، ومحمد بن علي بن الحسن الصوري وغيرهم الكثيرون ولكن امتاز من بينهم داعي الدعاة الاسماعيلي جعفر بن منصور

---

(١٣٢) قال الحارثي اليماني في تأويل الجن: «إنهم أرواح المخالفين تلوذ إلى المواضع المظلمة والبواليع المنتنة والحشوش الموحشة، وهذه الصور تمازج امرأة أو صبياً فيقول العامة: خالطه الجان (انظر «الأنوار اللطيفة» ص ١٣٦، ١٣٧).

(١٣٣) انظر «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» ص ٦٨ وما بعد من «أربع رسائل».

اليمن، وقاضي القضاة الاسماعيلي النعمان، فإنّ جعفر بن منصور اليمن خصص لذلك كتابين مستقلين (أسرار النطقاء) و(سرائر النطقاء) كما أن النعمان القاضي خصّص كتاباً لتأويل قصص الأنبياء باسم (أساس التأويل).

والجدير بالذكر أن المؤيد الشيرازي، ومحمد بن علي الصوري والداعي الاسماعيلي صاحب (القصيدة الشافية) استعملوا النظم لبيان تأويل قصص الأنبياء، حيث الآخرون ذكروه في النثر، وإننا ــ متجنبين الإطالة ــ نذكر نموذجاً من تأويلهم في تلك القصص.

ومن الملاحظ أن التأويل الاسماعيلي تختلف الآراء فيه والأقوال ــ فإن واحداً من الدعاة يقول كذا، والآخر يقول عكس ذلك، فمثلاً يقول المؤيد الشيرازي إن الشجرة المذكورة في قصة آدم التي منع من قربها الربّ تبارك وتعالى بقوله «ولا تقربا هذه الشجرة» هي رمز بحد عال لا قبل له بتناوله والوصول إليه، وهي الشجرة التي مثلها الله في كتابه بالكلمة التي يقال إنها كلمة الشهادة فقال عز وجل: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) وهي كلمة الشهادة . . . فمعنى قوله: (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أي لا تمنّيا لكما مكاناً لا تنالانه، وشأواً لا تلحقانه، فتكونا واضعين الشيء في غير موضعه»(١٣٤).

ولكن الداعي حاتم بن إبراهيم يقول عكس ذلك تماماً حيث قال:

«إن الشجرة المنهي عن أكلها كان هابيل بن آدم حيث جعله أبوه وصيّاً له مع كونه أصغر من قابيل، فأخبر عن ذلك إبلس الذي هو الحارث بن مرة بعد تضرعه إليه ثم تقدم إلى قابيل وقال له: إن أباك قد عزم على إقامة أخيك هابيل وصياً له وأنت الكبير وأحق بالأمر منه ثم أمره بادعاء المنزلة، فتكبر قابيل، وحسد أخاه، وقتله ظاهراً وباطناً وادعى منزلته، فكان هابيل الشجرة المنهي عن أكلها، وهي المنهي عن كشف مرتبته، فكانت هذه خطيئة

---

(١٣٤) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ج ١ ص ٢٢ نقلاً عن ديوان المؤيد.

آدم، فأمر بأخذ العهود والمواثيق من ذلك اليوم على حفظ أسرار أولياء الله»(١٣٥).

هذا في حين أن قاضي القضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد يقول غير ما قاله المؤيد وما قاله حاتم بن إبراهيم، فإنه يجعل الشجرة المنهي عنها في قوله تعالى: «لا تقربا هذه الشجرة» رفع العمل ووضع التكليف فيقول: «لا تقربا هذه الشجرة، جعل الشجرة التي نهاه أن يقربها ومنعه منها وحرمها عليه مثلاً لحد قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعاً . . . ويتجرد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك، لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستور عندهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم وعلم يستضاء حتى يصل إلى صاحبه أي صاحب القيامة، فيظهره ويجرده، وذلك محظور ممنوع قبله، فمنع الله عز وجل آدم في ابتداء الأمر من ذلك لتجرية سنة الله التي لا تبديل لها عليه، وسأل إبليس إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وعني باليوم صاحب القيامة . . . فاستزل ابليس اللعين آدم وحواء بقوله لهما: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» أي زيّن لهما حتى حد الاباحة فيما حذرهما الله عز وجل منه، وقال لهما: إن حد العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب، ولو تركتماها لصرتما في حد الروحانيين اللطيف، وتجردتما عن العالم الجسماني الكثيف، ولكُنتما ملكين خالدين فيما تشتهيان، وذلك قوله تعالى: «فدلاّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما» أي فجاوزا حدود النطقاء التي أبيحت لهما إلى حد صاحب القيامة إلى ما ليس لهما، فتناولا منه وأكلا من الشجرة فوقعا في الخطيئة والمعصية(١٣٦).

وأما جعفر بن منصور اليمن وهو داعي الدعاة للمعز لدين الله الإمام الاسماعيلي والمعاصر لقاضي القضاة للمعز يقول في هذه القصة بتعبير اخر

---

(١٣٥) «الشموس الزاهرة» للداعي حاتم بن إبراهيم ــ قصة آدم.

(١٣٦) «أساس التأويل» ص ٦٢، ط دار الثقافة، بيروت.

غير تأويل النعمان، وحاتم، والمؤيد. فيقول: إن الشجرة المنهيّ عنها كان إبليس، وهذه هي عبارته:

«إن الجنة التي أسكنها آدم فهي دعوة إمام العصر، وإن الحارث بن مرة أي إبليس قد خدم فيها وكان من أحد دعاتها، فلما اصطفى صاحب الوقت آدم وارتضاه وقربه منه وأناله أعلى مراتب الدعوة وأطلعه على جميع حدودها وأسرارها وأعلمه ما لم يعلم به أحد من حدوده فأقرهم إليه لموضع ترافعهم عليه، وأمرهم بطاعته والأخذ عنه، وأباح لآدم أن يعلمهم إلا الحارث لأنه أبى أن يطيعه ويخضع له، وكان إبليس هو الشجرة المنهي عن المفاتحة بالعلوم السرية إذ كان حده قبل إبلاسه كحدّ الدعاة، فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته وانقطعت مادته فشيطن وأبلس، وحسد آدم فأخذ في غوايته لكي يقع به العصيان فيقطع موادّه ويسقط مرتبته، فجعل يغويه بالكلام ويظهر له أنه ناصح وعليه مشفق وأخذ يقسم له بالله حتى استقر في نفس آدم أن جميع ما يأتي به حق، فأطلعه آدم على حد القائم ومرتبته إذ هي نهاية المراتب وأعلاها فلما أظهر أمر الله لعدو الله بغير أمر من الله أخرجه من جنته أي قطعه الإمام من دعوته»[١٣٧].

ومن الطرائف أن النعمان القاضي نفسه أوّل الشجرة بتأويل آخر في كتابه الآخر غير (أساس التأويل) حيث يقول في جواب سائل سأله:

«وسألت عن معنى ما أتت به الرواية أن آدم وحواء والحية وإبليس هبطوا إلى الأرض فالأرض ههنا دليل على من نصب الدعوة وهبوط آدم وحواء إليها وإقرارهما في إقامة الدعوة وإبليس والحية مثل على الضد وحجته المنصوبتان بإزاء الولي ما لم يختلف طرفاها فاستدارت الحية بالدائرة التي لا يخلق طرفاها فإذا دخلت طرف الضد فذلك قوله لتركبن طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون وأما الشجرة التي هبطوا إلى الأرض من أجلها فهي الدعوة وعلم التأويل التي أمر في سترها ونهى عن الكلام عنها وعرف أنها منزلة

---

(١٣٧) «أسرار النطقاء» ــ نسخة خطية.

مدخرة لولده إلى أوان الظهور يعني ظهور القائم فأغواه إبليس من طريق الحيلة والتلبيس وذكره بوعد الله إياه في ولده فأبدى ما استكتم وملك لغير ملك وكان قبيحاً فعله وقوع العداوة بين ولديه»(١٣٨).

فهذه هي التأويلات الاسماعيلية الباطنية في قصة آدم، المتعارضة بعضها مع بعض المتناقضة تماماً، وكل في فلك يسبحون، وإنهم في كلّ واد يهيمون، وليس لهم في تأويلاتهم قواعد ثابتة، وأصول راسخة مع ادعائهم أنها مأخوذة من المعصوم الذي لا يغلط ولا يخطيء ولا يضل ولا ينسى.

وبعين هذا الأسلوب، وهذه التناقضات والتعارضات أوّلوا قصص أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن، وتفاخروا بها على غيرهم من المسلمين نعرض عن ذكرها تجنباً للإطالة ولكن تأتي صورتها في تأويلات الاسماعيلية في الآيات القرآنية.

السور والآيات

نبدأ تأويل الآيات من ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن، فلقد كتب كتاباً خاصاً في التأويلات، وأورد فصلاً منه ايوانوف في آخر كتابه «المنتخبات» ذكر فيه الحروف المقطعة بقوله:

«أول القرآن «بسم الله الرحمن الرحيم، فـ «بسم الله» سبعة أحرف يتفرع منها اثنا عشر، ويتلوها اثنا عشر حروف «الرحمن الرحيم» والسورة سورةالحمد، وهي سبع آيات، فالسبع التي هي «بسم الله» تدل على النطقاء السبعة، ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيباً: ثم الاثنا عشر التي هي «الرحمن الرحيم» يتفرع منها تسعة عشر: فدل ذلك على

(١٣٨) الرسالة المذهبة ص ٧١، ٧٢ من «خمس رسائل اسماعيلية».

أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة واثنا عشر حجة فذلك تسعة عشر.

والسبع آيات التي هي سورة الحمد أمثال لمراتب الدين السبع، فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله، كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله»[١٣٩].

وفي الحروف المتقطعة في أوائل السور يقول:

«وفي القرآن أحرف من حروف المعجم في أوائل السور ليس لها ظاهر معناها كما في أول سورة البقرة وشبهها، فالألف فيها تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام، هذا فيما كان أوله «ألم».

وأول سورةالأعراف «المص» فالألف تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام المتم، والصاد على حجة الإمام. وأول سورة يونس «الر» فالألف واللام يدلان على الناطق والوصي، والراء تدل على الإمام المتم. وكذلك ما كان أوله الراء. وأول سورة الرعد «المر» . . . لأن العجمتين فوق القاف ظاهرتان. والقاف والنون أيضاً دلائل النطقاء والأئمة، والعجمة التي فوق النون واحدة مثل المؤمن، لأنه يظهر الولاية وحدها، وهي ظاهر على الإمام، ولا يتكلم المؤمن بشيء من باطن علمه، وكذلك العجمة فوق ظاهرها مستقرها النون، لأن النون المستور وهو الباطن. فهذه دلالتها فإذا اجتمعت المعجمات الخمس مع الأحرف الأربعة عشر صارت تسعة عشر، فصارت فيها دلالة أخرى على التسعة عشر: الأئمة السبعة والحجج الاثنا عشر»[١٤٠].

وأما ابنه أو حفيده جعفر الملقب بابن منصور اليمن فهو من المكثرين في هذا الباب والمبالغين فيه، فانه ألف كتاباً مستقلاً في تأويل آي القرآن سماه

---

(١٣٩) انظر «الرشد والهداية» ص ١٩٠ الملحق بالمنتخبات للجمعية الاسماعيلية بومبي ط برل ليدن هولندا.

(١٤٠) أيضاً ص ١٨٩.

(كتاب الكشف) كما خصص كتابين لتأويل قصص الأنبياء والرسل، ونورد ههنا بعض تأويلاته للآيات القرآنية من (كتاب الكشف) فيقول في تفسير الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم» يقول في تفسيرها:

«يعني بالنبي ههنا الحجة الذي ينبىء المؤمنين بعلم الباطن ويعني بالمؤمنات ههنا المؤمنين الذين قد رفعت درجاتهم وأراد الحجة أن يأذنهم في الدعوة فيقول الله سبحانه هذا للحجة يعني إذا جاءك هؤلاء المؤمنون يأخذون منك العهود ليبايعوا بها الإمام «عَلى أنْ لا يُشْرِكْنَ بالله شيئاً» على أن لا يدعو إلى غير الإمام الذي اختاره الله فإنه من دعا إلى غير إمام يختاره الله فقد أشرك بالله إذ جعل له في إمامة دينه شريكاً يختار غير خيرة الله لخلقه، وإمامُ الحق الذي هو باختيار الله تعالى من أشار إليه إمام قبله وصحت له إشارات الإمامة من لدن وصي الرسول الذي أشار إليه الرسول إماماً بعد إمام حتى انتهت الإمامة إليه «ولا يسْرِقْنَ» يعني ولا يُطلعوا على علم الدين الباطن من لم يؤخذ عليه العهد، فالداعي إذا فعل ذلك فقد سرق والمؤمن المحرم إذا تعلم بما لم يؤذن له أن يتكلم به أو أفشى ما سمع عند أهل الظاهر فقد سرق وأسرق «ولا يزنين» يعني ولا يأخذوا العهد على أحد بغير إذن ولا إطلاق من الإمام «ولا يقتلن أولادهن» يعني ولا يحرموا أحداً من المؤمنين ما يستحقه من حدود الدين سعيه ولا ينقضوه عند الإمام بطعن عليه ظلماً «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن» يعني ولا يدعوا إلى منكر من أمر الدين ولا مقام إمام ولا حجة يقولونه من عند أنفسهم بغير أمر من الإمام. والأيدي الأبواب والأرجل المؤمنون الدعاة المأذون لهم، لا يفترون هذا البهتان بين الأبواب والمؤمنين ينسبونه إلى الأبواب ويخدعون المؤمنين فيظلموا أنفسهم يعني الأبواب والمؤمنين «ولا يعصينك في معروف» يعني ولا يعصونك في مقام الإمام المعروف مقامُه ولا أمر من الدين معروف الحق

واضح مبين «فَبَايِعْهن» يعني فأشرط عليهم ذلك وأطلق لهم الدعوة ومرهم بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام»(١٤١).

وقال في موضع آخر:

قال الله تعالى جل وعلا «الله نور السماوات والأرض»، فنوره في السماوات هداه، ونوره في الأرض الأئمة الذين بهم يهتدي «مَثَلُ نورِهِ» في أرضه «كَمِشْكاةٍ فيهَا مِصْبَاح» المشكاة بلغة الحبشة» الكوَّة التي لها مَنْفَذ وضربها مثلاً لفاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وعليها ليس لها عيب «فِيهَا مِصْبَاحٌ» يعني الحسين عليه السلام. «المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ» يعني حين كان في بطنها «الزجاجة كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» يعني فاطِمة صَلوات الله عَليها في صفاتها كالزجاجة وفي شرفها على النساء كالكوكب الدري يعني النير . . . «يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ» يعني يكاد الحسين صلى الله عَليه في بطنها ينطق بالإمامة قبل أن تلده وهُوَ قَوْله «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» يقول ولو لم يُقمه إمامٌ: «نُورٌ على نُورٍ» يقول في ذكائه ووفره هادٍ مهتدٍ بإمامه «يَهْدِي الله لنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» من خلقه يقول يَهْديهم بالولاية له لولاية الأئمة من ولده»(١٤٢).

وقال أيضاً:

«قال الله عز وجل «فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس» قال أمير المؤمنين: «الأوصياء مني وأنا منهم نخنس أنفسنا ونجري ونكنس من عدونا إلى الدردور، وهو سيف القائم»(١٤٣).

وقال صاحب «المجالس المستنصرية» في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم»: «بسم الله سبعة أحرف إشارة إلى السبعة الأئمة» الرحمن الرحيم «اثنا عشر حرفاً مثل على الحجج الاثني عشر»(٢٤٤).

---

(١٤١) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.

(١٤٢) أيضاً ص ١٧، ١٨.

(١٤٣) أيضاً ص ١١.

(١٤٤) «المجالس المستنصرية» ص٣٥.

وبذلك قال الداعي قيس بن منصور الداديخي:(١٤٥).

وأما ما ذكره الداعي حاتم بن عمران في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم فهو مخالف لما سبق، فيقول في رسالته (الأصول والأحكام):

«إن حروف بسم الله الرحمن الرحيم هم مثل على محمد وعلى والحسن والحسين وفاطمة لأنهم تسعة عشر حرفاً وحروفهم مثلها، وهم أيضاً مثل على عدد الملائكة الكبار الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم به»(١٤٦).

وأول الداعي إبراهيم بن الحسين الحمدي ليلة القدر بأنها لية يرى فيها جميع الخلق القائم(١٤٧).

وأما النجم والقمر والشمس في قصة إبراهيم عليه السلام فيؤولها مؤلف (القصيدة الشافية) بقوله:

«والنجم في التأويل حد الداعي لأنه للمؤمنين راعي
وبعده الحجة وهو القمر بنوره لفائض تجلو الفكر
والشمس حد النطق والرسالة لأنها مرتبة الجلالة»(١٤٨)

ويؤولون «السفينة» في قصة نوح عليه الصلاة والسلام بالدعوة»(١٤٩).

ويقول النعمان القاضي مبيّناً تأويل الخمر في قوله تعالى:

«إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون».

«الخمر ههنا باطل في صورة حق، ألا ترى قوله في قصة يوسف عليه السلام أما أحدكما فيسقي ربه خمراً» أراد به أن ينصب المكائد ليصدّه عن

(١٤٥) انظر «رسالة الأسابيع» ص ١٥٨ من «خمس رسائل اسماعيلية».
(١٤٦) انظر «الأصول والأحكام» ص ١١١ من «خمس رسائل اسماعيلية.
(١٤٧) انظر «كنز الولد» للحامدي ص ٢٦٩ ط دار الأندلس بيروت.
(١٤٨) «القصيدة الشافية» ص ٥٤ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.
(١٤٩) انظر «أجزاء عن العقائد الاسماعيلية»، جمع المستشرق كويارد ص ٣٤.

الهدى، وليقطعه عن أولياء الله فنهاه عن هذه الحالة وعن اتباعها»(١٥٠).

وقال السجستاني:

«محمد رسول الله يعني هو الذي نال الرسالة والذين معه يعني علي بن أبي طالب الذي قارنت عينه ميمه حتى نال مرتبة المعيّة كما شرحنا: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّار﴾ وهو ـ الحسن بن علي ـ لأنه أشد من الكفار قيامه بالإمامة لما علموا أن الإمامة قد حصلت له ولأهل بيته فلذلك كنًى الله عنه بالإمامة في الجماعة رحماء بينهم وهو ـ الحسن بن علي ـ ومن قبله ومن بعده من الاتماء ينالون التأييد في الستر من الأصلين بقوة الجد المهوب لهم من خالقهم، تراهم ركعاً وهو ـ علي بن الحسين ـ الذي انحنى ظهره من المحنة سجداً وهو ـ محمد بن علي ـ الذي استقر عليه أمر الإمامة يبتغون فضلاً من الله وهو ـ الصادق ـ ورضواناً وهو ـ المبارك ـ سيماهم في وجوههم من أثر السجود يعني به القائم وهو الذي به يظهر أثر دين جده محمد بن المصطفى صلّى الله عليهما إذ شرح عن كل جليل ودقيق ذلك مثلهم في التوراة والانجيل كزرع وهو الأساس الذي زرع زرعه الناطق لأمته لدين هو إليه ملتمسين منه البيان والتأويل كما أن مرجع الخلق إلى الزرع لمصلحة أبدانهم والظفر بغذائهم أخرج شطئه وهو ـ الحسن بن علي ـ إذ لم يكن له صلب من نظيره فآزره، أراد ـ بن الحسين بن علي ـ الذي بقيت الإمامة في عقبه فاستغلظ أراد ـ علي بن الحسن ـ الذي استغلظ على المفاتحة واجترى على أعدائه فاستوى أراد ـ محمد بن الباقر ـ الذي استوى به أمر الدعوة في العالم بعد انقطاعها ورتّبها على نبوته أراد به ـ الصادق ـ الذي سبقت الإمامة في عقبة يعجب الزارع وهو ـ المبارك ـ لمّا سلّم الصادق إليه الإمامة أعجب أولاده بذلك إذ كانوا يتمنونها ليغيظ بهم الكفار وهو القائم سلام الله على ذكره الذي به وبذكره يتميز غيظ الكافرين الجاحدين به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة يعني وعد الله الذين صدقوا بالأولياء وكذبوا

(١٥٠) «الرسالة المذهبة» ص ٦٦، ٦٧.

بالأعداء أن ينالوا من هؤلاء المسمى بيان الحقائق المستودعة في الأوضاع والشرائع الخفية فيها وأجراً عظيماً يعني وثواباً عظيماً»[١٥١].

وقال الكرماني:

«إذا السماء انفطرت» قالوا في التفسير: انشقت، يقول: تبطل أحكام الشرائع «وإذا الكواكب انتثرت» يقول: تبطل مقامات الحدود في دين الله. «وإذا البحار فجرت» يقول: وتظهر السنن المتقدمة في الأديان ويقام ذكر حدود الله في دينه وعلومهم بالتأويل عن الشرائع. «وإذا القبور بعثرت» يقول: وتظهر الحكم والعلوم في العالم وتكثر الخيرات. «علمت نفس ما قدمت وأخرت» يقول: إذا كان ذلك وقام حكم الإعتقادات بالفعل فحينئذ تعلم النفس ما فعلت من خير وتحس بالضرر فيما فعلت من تأخير الفضلاء وتقديم المفضولين. وقال تعالى: «إذا الشمس كورت» يقول: تذهب آثار شرائع الأنبياء التي هي كالضوء من الشمس «وإذا النجوم انكدرت» قالوا في التفسير: تسقط النجوم على وجه الأرض حتى لا يبقى نجم في السماء إلا وهو على وجه الأرض، يقول: تسقط مراتب الحدود حتى لا يبقى لها أثر بالمشفع وإزالة الرسم بقيام القيامة. «وإذا الجبال سيرت» يقول: استخدم الجبارين في الأرض فيكون كلهم طائعين لصاحب القيامة. «وإذا العشار عطلت» يقول: وأبطل التعليم بإزالة الحدود من رتبهم «وإذا الوحوش حشرت» يقول: وجمع جميع من على وجه الأرض على الطاعة فيكون كلهم تحت الأمر «وإذا البحار سجرت» يقول: وأقيمت حدود ظاهر الشريعة وأعيدت إلى ما كان محذوفاً عنها من كلام المبتدعين والأبالسة، وذلك يكون في الوقت المعلوم وأمثاله في الدور السابع. «وإذا النفوس زوجت» يقول: وجمع كل إلى قرينه وشبيهه من المنافقين والمجرمين. «وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت» وسئلوا بأي حجة أخر من أخر من حدود الله عن مراتبهم وقدم عليهم غيرهم. «وإذا الصحف نشرت» يقول: وأظهرت مساويء

---

(١٥١) «إثبات النبوءات» لأبي يعقوب إسحاق السجستاني ص ١٩٠.

المذاهب والإعتقادات. «وإذا السماء كشطت» يقول: وذكر أئمة الضلال من القلوب بإبطال دورهم وانتهاء الأمر إلى يوم القيامة وانقضاء الأدوار ويصير الأمر للواحد القهار، «وإذا الجحيم سعرت» يقول: أقيمت آية وعيد الله للمعاندين لأمره من جهة صاحب القيامة، «وإذا الجنة أزلفت» يقول: أقيمت مواعيد الله للمتقين في الدنيا والآخرة، «علمت نفس ما أحضرت» يقول: حينئذ تعلم الأنفس حقائق ما جاءت به الرسل ويبقى الموحدون ما دامت السموات والأرض، ولا تزال تنحل عنهم على مضي الأيام المعالم الدينية إلى ألا يبقى شيء فيرجع العلم إلى القوة لعدم أهله، ويظهر الجهل بكثرة أهله، ويظلم العالم بوحشية الجهل، كما قال الله تعالى: «لابثين فيها أحقاباً» إلى قوله: «وغساقاً» ثم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد على ما تقتضيه حكمته، وهذه الأمور كلها له بكونها نهاية ثانية للموجودات التي نهايتها الأولى الإبداع الذي هو المبدع الذي هو الموجود الأول»[١٥٢].

وبهذا نكمل البحث في هذا الخصوص ظانين بأننا أوردنا من تأويلات القوم ما فيه الكفاية لمن أراد البحث والنظر في هذا الموضوع، وهذا القدر من التأويلات يعطي صورة واضحة لمنهج القوم المعوج للتلاعب بآي القرآن والشريعة السماوية حسب أهواء القوم وأغراضهم.

ويظهر من هذا أن جميع الفرق الضالة المنحرفة من البابية، والبهائية، والقاديانية أخذوا تأويلات آي القرآن الكريم من هؤلاء الباطنية لنشر عقائدهم الباطلة وأضاليلهم الخبيثة.

---

(١٥٢) «راحة العقل» للكرماني ص ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨ ط دار الأندلس بيروت.

الاسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه

ان الغزالي أبا حامد ذكر في كتابه (فضائح الباطنية) أو كتاب (المستظهري) تحت عنوان (الطرف الخامس في اعتقادهم في التكاليف الشرعية):

«والمنقول عنهم الاباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع. إلاّ أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نُسب إليهم. وإنما الذي يصح من معتقدهم فيه أنهم يقولون: لابد من الانقياد للشرع في تكاليفه، على التفصيل الذي يفصله الإمام، من غير متابعة الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما؛ وإن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم. فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور، واطلعوا على بواطن هذا الظواهر انحلّت عنهم هذه القيود، وانحطت عنهم التكاليف العملية، فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم. فإذا ناله استعدّ للسعادة القصوى، فيسقط عنه تكليف الجوارح. وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحُمُر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة. وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم أرفع من ذلك. وهذا فن من الاغواء، شديد على الأذكياء. وغرضهم هدم قوانين الشرع، ولكن يخاذعون كل ضعيف بطريق يغويه ويليق به. وهذا من الاضلال البارد، وهو في حكم ضرب المثال كقول

القائل في الاحتماء عن الأطعمة المضرة إنما يجب على من فسد مزاجه؛ فأمّا من اكتسب اعتدال المزاج فليواظب على أكل ما شاء أيّ وقت شاء. فلا يلبث المصغي الي هذا الضلال أن يمعن في المطعومات المضرّة إلي أن تتداعي به إلى الهلاك»[1].

وردّ عليه الداعي الاسماعيلي عليّ بن الوليد في كتابه الذي كتبه خصيصاً للردّ على كتاب الغزالي (دامغ الباطل وحتف المناضل):

«ان كلام هذا المارق في هذا الفصل ينقض آخره أوله، ويبطل أوله آخره وذلك انه زعم ان من ذكرهم يرون بالاباحة واستباحة المحظورات، وانكار الشرائع، ثم قال: والذي يصح من معتقدهم فيه انهم يقولون لابد من الانقياد للشرائع على ما يفصله الامام، فيالله ويالعباد الله أيكون في التناقض والتحامل اظهر مما ابداه هذا المارق الملحد؟ وفي العناد، والاصرار على الباطل اعظم مما قال به هذا الشيطان المتمرد، ومتى يصح أحد قوليه بطل الثاني، واذا تعين في ذلك ما هو باد من التناقض انهدم من كليهما المباني، ومن كان لا يشعر بتنافي الكلام الذي يسرده، ان له الاستطاعة بالاطلاع على ما يضمر سواه ويعتقده، فاما اتباع شرع رسول الله صلوات الله عليه أخذاً له عن خليفته المعصوم، وتلقياً له منه خالصاً غير مشوب من زيادة أو نقصان، من ذوي القياسات المبتدعة، والآراء المتبعة، المورثة حيرة للحاكم بها، وللمحكوم له، ونحصنه عن اتباع الشافعي، وابي حنيفة، فالله قائل ذلك، لقد مال عن فخاخ ابليس المنصوبة، ومدارج الشيطان المزورة، بـرواء الانتماء الادعاء لاستعمال الشريعة المتلفعة بها، المحجوبة المفضية بسالكها إلى مهاوي الفجار، الرامية بهم إلى أسفل درك من النار، متحيز إلى فئة الابرار الاخيار، معتصما بحبل الله المنجي من تمسك به من الهلاك والدمار، راكبا سفينة النجاة الفاطمية ليسلم من عطب طوفان الضلال والبوار، مستكشفا بالأنوار العلوية حقائق الرموز وزبد الاسرار، مقتفيا من

(١) «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي ص ٤٦-٤٧ ط مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

الشرائع المحمدية تلك الموضوعات الشريفة، والآثار، ليرد بالكون في زمرتهم إلى ما اعدّ الله لهم من جنات وانهار، مفارقاً للعصب التيمية والعدوية الاشرار، مجانياً للشجرة الملعونة في القران الاموية المجتثة من فوق الارض مالها من قرار، والفئة الدعية العباسية متبرئاً من كل ظالم جبار. . .
وأما قوله: فان ذلك واجب على الخلق، والمستحسن إلى ان ينالوا رتبة الكمال في العلوم، فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الامور، واطلعوا على بواطن هذه الظواهر. انحلت عنهم هذه القيود، وانحطت عنهم التكاليف العملية، فان المقصود من اعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى، فيسقط عنه تكليف الجوارح، وانما تكليف في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالاعمال الشاقة، وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم ارفع من ذلك، وهذا فنّ من الاغواء شديد على الاذكياء، وغرضهم هدم قوانين الشرع، ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق تغويه وتليق به، وهذا من الاعتلال البارد، وهو في حكم ضرب المثال، كقول القائل ان الاحتماء عن الاطعمة المضرة انما تجب على من فسد مزاجه، فأما من اكتسب اعتدال المزاج فليواظب على أكل ما شاء، أي وقت شاء فلا يلبث المصغي إلى هذا الضلال ان يُمعِنَ في المطعومات المضرة إلى ان يتداعى به الهلاك، هذا قوله. نقول في جَواب ذلك: انا قد اوضحنا في الباب الثالث من كتابنا هذا كون ما يحكيه هذا المارق من اطراح أعمال الشريعة الغرَّاء صلوات الله على صاحبها، هو مقال فرقة من فرق الغلاة، يزعمون ان من علم المعاني استغنى بمعرفتها عن الاعمال، وأوردنا من البراءة منهم واللعن لهم، والاحتجاج على ابطال مقالتهم، مابنا غنيةً عن اعادته هاهنا، اذ ليس يلزمنا تكرير الحوار، اذا كرر هذا الملحد القول بالتشنيع، ونسب أهل الحق إلى مذهب أهل الباطل، القبيح الفظيع، الا انا نورد لمعة زيادة في الاحتجاج على من يزعم انه اذا علم سقط عنه العمل، فنقولُ: قال الله تعالى: ﴿انما يخشى الله مِن عِبادِهِ العُلماءُ﴾ فاوجب الخشية للعلماء، والخشية هي شدة الخوف، ومن عظمت مخافته فواجب منه ملازمة الطاعة، اذاً العلماء أكثر عملاً باوامر الله العظيم لخشيتهم لله، ولذلك ما كانت

الانبياء والأوصياء والائمة واتباعهم الأفاضل العلماء عليهم جميعاً الصلوات والتسليم، يلزمون انفسهم من اعمال العبادة الشرعية اكثر مما يأمرون به سواهم، ابتغاء للأفضل، وخشية من الله، وقياماً بالشكر ممن قد وثق منهم بمغفرة الله، وكفى بهذا نقضاً لما قاله اعداء الله»[٢].

وكان الغزالي محقا في قوله، صادقا في كلامه، مع أنه لم يحصل على كتب الاسماعيلية السرية، ولذلك صرح: «أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك اذا نسب إليهم».

وكان الداعي الاسماعيلي كاذباً في إنكاره عليه، وتنكره على ما قله عنهم، مع تحمسه الشديد، وبذاءة شتمه وسبابه. غير صادق في تبرئه ممن يقول بتلك المقولة، ويعتقد بمثل ذلك الاعتقاد لأن الشواهد والأدلة تخالف ذلك، ونصوص الاسماعيلية تصرح وتخبر بعكس ما يقوله هذا الداعي الاسماعيلي الذي لم يستعمل في ردّه على الغزالي الاّ الاستهجان والاستخفاف من القول، ولم يستند الا إلى التقية، ولم يجرؤ على ذلك الا لظنّه بأن كتب الاسماعيلية الباطنية لا تصل إليها ايدي المخالفين لهم والمنكرين عليهم، والاّ فهذه حقيقة ثابتة ناصعة بأن الاسماعيلية يقولون برفع التكاليف العملية عن الذين نالوا رتبة الكمال، وأدركوا الحقائق، بل أكثر من ذلك يقولون بنسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد مرّ ذكر ذلك سابقاً بأن الاسماعيلية يقولون بالنطقاء السبعة في دور الستر، وهم: آدم، ونوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وقائم الزمان[٣].

---

(٢) دامغ الباطل وحتف المناضل للداعي علي بن الوليد ج ١ ص ١٧٣ ومابعد ط مؤسسة عز الدين بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ.

(٣) انظر أساس التأويل للنعمان القاضي الاسماعيلي المتوفي ٣٦٣هـ ص ٣١ و ٥١ ط دار الثقافة بيروت، أيضاً الأنوار اللطيفة للحارثي اليماني ص ١٣٠، وكنز الولد ص ٢٠٧، أيضاً كتاب الايضاح لشهاب الدين أبي فراس ط المطبعة الكوثوليكية بيروت، وغيرها من الكتب.

فهـذا هو مـذهبهم الأصلي ومعتقـدهم الحقيقي يخفونـه عن الآخرين، ويردّون على من ذكر هذا ونسبه إليهم بشدة وحماس ظاهـريّ، والاّ فالحقيقـة عكس ذلك.

وأكبر دليل على ما قلناه هو دعاء المعز لدين الله الامام الاسماعيلي الـرابع في دور الظهور، الذي له منزلة كبيرة في أعين الاسماعيلية حيث أنه هو الرابع من الظهور، والسابع من محمد بن اسماعيـل، والسابـع هو متم الـدور، وله منزلة عالية ودرجة سامية في الفلسفة الاسماعيلية، وكذلك أنه هو الـرابع من المهدي الاسماعيلي، وللرابع مكانة كبيرة أيضاً لدى الاسماعيليـة، اضافـة إلى أنه هو الذي فتح مصر، وأقام فيها الدعوة الاسماعيلية والمذهب الاسماعيلي، ونشر هذا المذهب من مصر إلى أطـراف الأرض وأكنافهـا، كما أن المعـز هذا صرح نفسه، بأنه يسبق جميع من تقـدمه من الأئمـة والوصي، وحتى النـاطق محمد صلوات الله وسلامه عليه(٤).

يقول المعز هذا، في دعاء يوم السبت، من أدعية الأيام السبعة:
«اللهم صـل على أبينـا آدم الذي شرّفتـه وكرّمتـه. . . وصل عـلى بابـه ووصيـه شيث بن آدم، وعـلى أئمـة دوره وهم ستـة. . . اللهم صـلي عـلى رسـولك نـوح. . . الذي شرفتـه وكرّمتـه، وعطلت بـه ظاهـر شريعة آدم، وجعلته ثاني النـطقاء. . . اللهم صـل على خليلك ابـراهيم بن تارخ الـذي شرّفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة نـوح، وجعلته ثـالث النطقـاء. . . اللهم صل على نجيّك موسى بن عمران الذي شرّفتـه وكرّمتـه، وعطلت بـه ظاهر شريعة ابراهيم، وصـيّرته رابـع النطقـاء. . . اللهم صل عـلى روحك المسيـح عيسى بن مريم الـذي شرّفته وكـرّمته، وعـطلت بـه ظـاهـر شريعـة موسى، وصيّرته خامس النـطقاء. . . واخصص اللهم محمـد بن عبدالله من ولد اسماعيل الذي شرّفته وكرّمته، وعطلت به ظاهر شريعة عيسى، وصـيّرته سادس النطقاء. . . وعلى القائم بالحق والناطق بالصـدق، التاسـع من جده

---

(٤) انظر المجالس والمسايرات للنعمان ص ١٠٧ الجزء الثالث ط تونس.

الرسول، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأئمة من البررة. . . الذي شرّفته وعظّمته وكرّمته، وختمت به عالم الطبائع، وعطّلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ وتملأ به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وخبطا كالذي قال النبي: المهدي منا أهل البيت رجل أشم الأنف أفنى أكحل، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وخبطا، وهو مترجم القرآن ومفسره ومظهر بيانه ومنوره، وهو قائم يوم القيامة والفصل والتغابن والبعث والنشر: يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم. . . وصل على الخلفاء الراشدين الذين يقضون بالعدل وبه يعدلون»(٥).

وذكر المعز هذا في دعاء يوم السبت لأنه دليل على القائم، كما أن يوم الأحد دليل على آدم، والاثنين على نوح، والثلاثاء على ابراهيم، والأربعاء على موسى، والخميس على عيسى، والجمعة دليل على محمد صلوات الله عليهم(٦).

وعبارات هذا الدعاء صريحة في معناها، ظاهرة في مفهومها لا تحتاج إلى توضيح وبيان بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد رسول الله الذي جعله الله خاتم النبيين، وأكمل به الدين كما أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه نسخ بمجيئه شريعة عيسى عليه السلام، وكما أن عيسى نسخ شريعة من قبله. ، وهلّم جرا.

واستعمل المعز ـ وهو امام معصوم لدى الاسماعيلية لا يخطىء ولا يلحن، ولا ينطق عن الهوى إن هو الاوحى يوحى ـ نفس العبارة، وعين

---

(٥) «أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين الله الامام الاسماعيلي الرابع عشر، دعاء يوم السبت، أيضاً (زهر المعاني) للداعي ادريس ص ٥٦ من (المنتخب) لايوانوف ط مطبعة أجمل بريس بومبي، وكذلك (الأنوار اللطيفة) الباب الثاني من السرادق الثالث الفصل الخامس ص ١٣٠.

(٦) انظر (رسالة الأصول والأحكام) للداعي حاتم بن عمران ص ١١٦ من (خمس رسائل اسماعيلية) ط بيروت ١٩٥٦م.

الألفاظ لمحمد بن اسماعيل، التي استعملها لمحمد بن عبدالله وغيره من النطقاء الخمسة الذين نسخوا شريعة من قبلهم من الأنبياء والنطقاء.

فهل بعد هذا شك لشاك وريب لمرتاب، ومجال لقائل بأن الاسماعيلية يؤمنون بكل ما يؤمن به المسلمون، وهم طائفة من طوائفهم، «ولم يعملوا على طرح الأديان وابطال العبادة كما وهم الكتاب والمؤرخون الذين تحدّثوا عن الفاطميين... وان الفقه الاسماعيلي لا يكاد يختلف عن فقه أهل السنة»(٧).

وأيضاً: «ومن عجب أن يذهب المؤرخون أن الفاطميين كانوا يدينون بالاباحة وتعطيل الشرائع»(٨).

ولا أدرى، ولست اخال أدرى كيف يستسيغ بعض الناس أن ينصبوا أنفسهم للدفاع عن قوم لم يدافعوا عن أنفسهم، بل قالوا بأكثر مما ينقل عنهم مخالفوهم والمنتقدون عليهم.

ولقد رأينا كثيراً من الناس مسلمون - ولا نشك في اسلامهم - وهم يدافعون عن الكفرة دفاعا مميتا، ويقاتلون دونهم قتالا ربما لم يقاتل المتهم عن نفسه مثل قتاله وجداله، وما أكثر هؤلاء الناس، فبعضهم أصحاب أغراض وأطماع، والبعض الآخر جهلة غير عارفين، ولكن الدكتور محمد كامل حسين لم يكن من هذين القسمين - حسب ظننا - فغفر الله له هذا التسامح.

ثم إن هذا لم ينقل عن المعز وحده، ولو كان منه وحده لكان كافياً للحجة والتدليل لأنه إمام معصوم حسب زعم القوم، وحائز على مرتبة الألوهية والربوبية كما مرّ بيانه في مبحث الإلهيات، ومبحث الإمامة، بل وصرح بهذه الحقيقة الآخرون أيضاً، كما أنه لم يورد ولم ينقل في كتاب واحد،

---

(٧) انظر كتاب (في أدب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ص ٣٠ ط دار الفكر العربي - القاهرة.

(٨) انظر مقدمة (كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة) للدكتور محمد كامل حسين ص ٢٤ ط دار الفكر العربي - القاهرة.

ولا من كتاب واحد، بل ورد هذا الدعاء في الكتب الكثيرة الاسماعيلية.

هذا ولقد ذكر هذه الحقيقة كثير من الدعاة الاسماعيلية وأثبتوها في كتبهم الباطنية بأساليب متعددة وطرق مختلفة.

فيقول الداعي إدريس عماد الدين المتوفي سنة ٨٧٢هـ:

«وقام محمد بن اسماعيل صلوات الله عليه وهو سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده على أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني، والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الأول، ومنه ابتدأ الدور الثاني ... فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله، فأظهر العلوم، وبيّن الحقائق، وكشف لخلفائه منها السر المكتوم، فظهرت منه حقائق معجزات ودلائل وآيات لم تظهر في الأئمة من قبله، ولا قام أحد منهم كمثله لأنه السابع صاحب القوة والظهور، والضياء والنور، ومبيّن العلم المستور.

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه، غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدودها، المحيط بعلومهم، وهو قائم بالقوة، صاحب الكشفة الأولى، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي الذي هو صاحب الكشفة الأخرى، والبطشة العظمى، وقائم القيامة الكبرى، لأن القيامات كثيرة ... وإنما وقع عليه (محمد بن اسماعيل) إسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي، وليس بمتم ولا رسول، بل هو منفرد برتبة الوحدة، وقد تم التمام واتسق النظام.

وإنما خصّ محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره كان خاتمهم الناطق وهو نوح عليه السلام ... وإذا عددت عيسى ووصيّه وأئمة دوره كان محمد ﷺ متسلّماً لمراتبهم، وهو الناطق الخاتم للنطقاء، وكان وصيّه عليه السلام بالفضل منفرداً، وإذا عددت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل

سابعهم، وللسابع قوة على من تقدّمه، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع وقائماً، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس»[٩].

فالعبارة صارخة بمدلولها، ناطقة بمنطوقها ومفهومها لا تحتاج إلى توضيح وتبيين.

وقال أيضاً في الباب السابع عشر من هذا الكتاب:

«إسماعيل بن جعفر خاتم الأتماء، والخلق الأخر» ولده محمد ﷺ قد كان ظهر شخصه، وبان رسمه، وهو في رتبة القائم سابع النطقاء ﷺ روح الحياة»[١٠].

وبمثل ذلك قال داع اسماعيلي أقدم منه وهو طاهر بن ابراهيم الحارثي المتوفي سنة ٥٨٤ هـ:

«ولما قام الناطق السادس الذي هو محمد ﷺ بالأمر، وأعلن بالشهادتين وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة أسلم له من أسلم، وجاهد معه من جاهد ... فلما كملت فاطمة زوجّها أبوها أمير المؤمنين ﷺ بأمر الله تعالى ووحيه، فتمّ التمام، واتسق النظام، وازدوج الإيمان والاسلام، وجرت الدعوة الظاهرة على حالتها، والدعوة الباطنة في ضمنها، واستمر أمرها إلى أن استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن، ومن الدعوة الباطنة الحسين، وكانت الدعوة الظاهرة قسط الناطق، والدعوة الباطنة قسط الوصيّ ... وانساق الأمر بعد مولانا الحسين (عليه السلام) كذلك في باقي الأئمة المتمين إلى أن انتهى الأمر إلى مولانا محمد بن اسماعيل فكان محمد بن اسماعيل متم الدور وخاتم الرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدوده، المحيط بعلومهم، وهو القائم بالقوة، صاحب الكشفة الأولى ... وإنما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالعلم الإلهي، وقوله أنا لأنه غير

---

(٩) (زهر المعاني) للداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين ــ الذي له العصمة الكبرى مثل الامام ــ ص ٥٣ وما بعد من (المنتخب) لايوانوف.
(١٠) أيضاً ص ٤٧.

منتظم في مسلك نطقاء دور الستر، إذ هو بخلافهم، وليس لـه متم ولا رتب بحدوده، ولا هو برسول بل هو منفرد برتبة الإلهية، وإنما مولانا محمد بن اسماعيل المخصص بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ونطقائه، فإذا اعددت آدم (عليه السلام) ووصيه ومتمي دوره السبعة كان سابعهم ناطقاً . . . وإذا عددت محمداً ووصيه، ومتمي دوره الستة كان سابعهم ناطقاً، وهو محمد بن اسماعيل. ومتمي دوره الستة الثلاثة الأئمة المستورون وأبوابهم الثلاثة، الذي أمر كل إمام بابه الذي هو أخذ عنه هذه الثلاثة الأبواب أن يتسمى بالإمام لهذا المعنى، إذ بقيامه تمام الدور الستر. واعتقاد دور الكشف، ونسخ شريعة الرسول السادس»[11].

وهل هناك أكثر من ذلك؟

نعم، هناك أكثر من ذلك وأصرح. يقول الداعي الاسماعيلي الآخر في كتابه (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية، التي لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له العقد والحل) في هذا الكتاب، العريض العنوان، يقول في جواب سائل سأله في المسألة الحادية والعشرين عن معنى تسليم الرسول:

«ولما كان محمد بن اسماعيل عليهما السلام سابع الأئمة وخاتم دور الأتماء، وكان كل سابع يقوم مقام الناطق إن أوجب الوقت ذلك كان ناطقاً، وإلا كان حافظاً لرتبته، وقد قيل: إن شهادة رسول الله لمحمد بالرسالة إشارة بها إلى محمد بن اسماعيل صلوات الله عليهما، وذلك معنى تسليمه إليه»[12].

---

(١١) (الأنوار اللطيفة) لطاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني الفصل الرابع والخامس من الباب الثاني من السرادق الثالث ص ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠.

(١٢) (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) ص ٩٩ من (أربعة كتب اسماعيلية) جمع ونشر شتروطمان ط المجمع العلمي غونتيغن ــ ألمانيا.

هذا ولقد عقب الداعي المذكور جوابه هذا بعدما لاحظ فيه التعقيد والاجمال، فقال:

«بقي من معاني هذه الألفاظ ما لا يسطر في القراطيس . . . وهذا سؤال يمتنع جوابه لكونه لا يتحقق ما يشير إليه من أعلى الله قدسه لاتساع المعاني، وكثرة الفنون فيها وفيما ورد من الأجوبة مقنع إن شاء الله»(١٣).

ولكن الداعي الاسماعيل الآخر القديم كان أصرح منه وأوضح في كلامه حين قال:

«وتسليمه (أي رسول الله ﷺ) لمحمد بن اسماعيل شهادته له بالأذان عند قوله: أشهد أن محمداً رسول الله لأن شهادته لنفسه غير جائزة، وإنما كانت شهادته لمحمد بن اسماعيل عليه السلام ــ ما أصرحه وأقبحه ــ وأما شهادة الأئمة وسائر المسلمين فهي له (أي لرسول الله) لأنه الناطق السادس، وكون الشهادة مثناة في الأذان لما كانت الشهادة الأولى له، والثانية لمحمد بن اسماعيل الذي هو متم دوره، وهو سابع الرسل، وإليه أشار مولانا المعز في دعائه يوم السبت إذ هو الناطق السابع»(١٤).

ولا أظن أنه خفي المعنى والمطلوب بعد هذا التصريح والتوضيح، الصراحة التي بلغت حد الوقاحة.

وإن كان هناك إشكال لبعض المندفعين حباً وولاء للإسماعيلية، والمتبلدين المتجاهلين الذين يصرّون على جعل الاسماعيلية طائفة من طوائف المسلمين مكابرين الحق، ومعاندين أهله فإليهم ولهم أورد عبارة أخرى من الداعي الاسماعيلي الآخر، ومن كتابه الذي يعدّ من أهم الكتب في الحقيقة وأعظمها، ألا وهو إبراهيم الحامدي المتوفي سنة ٥٥٧هـ في كتابه (كنز الولد) الذي قلما يؤذن بالاطلاع عليه للاسماعيلية أنفسهم، يقول ذلك في كتابه.

---

(١٣) أيضاً ص ١٠٠.

(١٤) (الأنوار اللطيفة) للحارثي اليماني المتوفي سنة ٥٨٤هـ ص ١٦١ الفصل الثاني من الباب الخامس من السرادق الرابع.

«وأما محمد بن اسماعيل فهو متم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها، وهو السابع من الرسل، وبيان ذلك في أدعية مولانا المعز السبعة، وهو الذي يشهد له وللقائم محمد بن عبدالله المهدي، لأنه قائم القيامة الوسطى، وقائم القيامة الأولى مولانا أمير المؤمنين ﷺ وقائم القيامة الكبرى صاحب الكشف ﷺ في أذانه بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين، لأن الخلق يشهدون برسالته، وهو يشهد لمتم دوره وشريعته ومنهاجه، وهو منسوب إلى عبدالله بن ميمون في التربية»[١٥].

وقال مثل ذلك على بن الوليد في كتابه (الذخيرة في الحقيقة)[١٦].

يعني أن محمد بن اسماعيل ليس برسول فحسب مثل عيسى وموسى، بل هو المعني بمحمد رسول الله في الأذان، ويشهد برسالته خاتم النبيين الذي ختم به النبوءات والرسالات بقول الله عز وجل: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً»[١٧].

وجعل دينه آخر الأديان: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً[١٨].

وأيضاً: «ان الدين عند الله الإسلام»[١٩].

وأيضاً: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين[٢٠].

وأمته آخر الأمم، والذي قال:

---

(١٥) (كنز الولد) ص ٢١١ ط در الأندلس بيروت ١٩٧٩م.

(١٦) انظر ص ٩٠ و ٩١ ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

(١٧) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(١٨) سورة المائدة الآية ٣.

(١٩) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٢٠) سورة آل عمران الآية ٨٥.

«أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٢١].

وقال: «أنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم»[٢٢].

قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل»[٢٣].

ومقولات الرسول في هذا كثيرة جداً.

فهذا النبي الخاتم يكذبون عليه أنه هو الذي يشهد برسالة محمد بن اسماعيل، مع أن شهادته لكل من يدّعى النبوة والرسالة بعده ثابتة موجودة، لابنبوته ورسالته، بل بدجله وكذبه كما قال عليه الصلاة والسلام:

«لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله ـ وفي رواية ـ أنا خاتم النبيين لانبي بعدي»[٢٤].

وقال مخاطباً أباذرّ: «ياأباذرّ، أول الأنبياء آدم، وآخرهم محمد»[٢٥].

ولكن الاسماعيلية يقولون عكس ذلك مكذبين صريح القرآن والسنة:

«الرسالة مشتركة بين سبعة نفر، وهم: آدم، ونوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم صلوات الله عليهم»[٢٦].

ويقولون أكثر من ذلك «أن كل خلف، يكون أفضل من كل سلف. فنوح أفضل من آدم، وابراهيم أفضل من نوح، إلى أن تهيأ ظهور من هو أفضل من ابراهيم وهو موسى، ثم ظهر من هو أفضل من موسى وهو عيسى

---

(٢١) أخرجه أبو داود والترمذي.
(٢٢) رواه ابن ماجة والحاكم.
(٢٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢٤) أخرجه أبو داود والترمذي.
(٢٥) رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية وصححه ابن حجر في الفتح.
(٢٦) (اثبات النبوءات) للسجستاني ص ١٣١ ط عارف تامر المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٦م.

إلى أن تهيأ ظهور من هو أفضل من عيسى وهـو محمد، إلى أن تهيّـأ ظهور من هو أفضل من محمد وهو القائم»[٢٧].

ويقـول ابراهيم الحـامدي مبينـا فضـل القـائم عـلى سبعـة من الأنبيـاء والرسل: «النطقاء السبعة أولهم آدم عليه السلام مثله مثل السلالة لأنـه كان ابتداؤه ضعيفا، ونوح مثله مثل النطفة، وإبراهيم مثله مثل العلقـة، وموسى مثله مثل المضغة، وعيسى مثله مثل العظام، ومحمد ﷺ وآله وسلّم مثله مثل اللحم، والقائم مثله مثل إنشاء خلق آخر، فتبارك الله أحسن الخالقـين على إتقان الروحانيين والجسمانيين بأمره ووحيه وكلمته. فدل ذلك أن الولد التـام في الحقيقة هو صاحب القيامة، لأن الله سبحانه قد بين بقوله: **﴿ثم أنشأنـاه خلقاً آخر﴾** غيرهم، لأنّه قد خرج من حد القوة إلى حد الفعل، ومن تقدمه من النطقاء هم بالقوة إلى أن يدور عليهم ما دار عليه من المراتب مـع النفس الكليـة وبذلـك كملت فيه جميـع القوى التي كـانت لمن تقدمـه، وهو أصـل الخلقة الروحـانية وعلة الخلقـة الجسمانيـة بواسـطة الحدود الـروحانيـة الذين مثلهم مثل الكواكب الذين بهم تتم خلقة المولود في بطن أمة بتأثير الكـواكب السبعة والطبائع والبرزخ، فإذا وقفت النطفة في المعـدن والقرار المكـين تدور بها الكواكب السبعة وكل كوكب ينقلها من حال إلى حال حتى تتم خلقتهـا، ومثل ذلك في تـرتيب الدين الـروحاني والجسماني. أي السبعة الحـدود يتحد كل واحد بناطق من النطقاء بمادة إلهية، ويصل إليه من المادة والقوة على قـدر حاله ومنزلته واحتماله حتى يكمل في حده كذلك إلى آخرهم حتى يجتمع جميع ذلك كلّه في قائم القيامة على ذكره السلام ويصير في حد الكمال والتمام، فمن ذلك إنا قلنا إنّه الولد التام، فإذا ظهر القائم في هذا العالم عند تمام الأسـابيع والأئمة بجسده ويراه جميع الخلق بعد إنذار حجته التي تقوم قبله، وهي التي قال الله تعالى سبحانه **﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر﴾** وهو صـاحب الجزاء

---

(٢٧) انظر كتاب (الايضاح) لأبي فراس ص ٤٣ وما بعد ط عـارف تامر المطبعـة الكاثـوليكية بيروت.

إن خيراً فخير، أو شراً فشر، وهي بداية دور آخر يمده حدان عظيمان لم يمدا من قد مضى من النطقاء وحدودهم.

فالقائم منه السلامْ وعلو درجته بأن النطقاءهم أجزاء لنفس الكل، ولابد للجزء أن يصير يوماً كاملاً فلآدم جزء من النفس، ولنوح عليه السلام جزءان، ولإبراهيم عليه السلام ثلاثة، ولموسى عليه السلام أربعة، ولعيسى عليه السلام خمسة، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم ستة، وللقائم علينا سلامه سبعة أجزاء. فإذا اجتمعت فيه الأنوار السبعة التي قلنا إنها أجزاء صار بمنزلة النفس وقابلها وأخذ منها بغير واسطة ووصلت إليه المادة من الأول بتوسط العلة فقام مقام النفس وارتقت النفس إلى حد العقل، وهي درجة سدرة المنتهي التي عندها جنة المأوى، وأيضاً إذا انتقل القائم على ذكره السلام من هذا العالم إلى العالم الروحاني بعد استقرار ما قرره وتدبير ما تدبره، أمر ونهي من أمور ما يحتاج إليه كيف يشاء. لأن كوره طويل وليس إلى صفته سبيل، ولا يجوز أن نذكر ما كان بعده إلا رمزاً أو إشارة دون التصريح، وفي هذا المقدار كفاية لمن عنده علم من الكتاب»[٣٨].

وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى قد ذكرنا بعضا منها فيما مرّ ذكره في المبدأ والمعاد.

وبعد هذا ننظر إلى الاسماعيلية . . . ماذا يقصدون من نسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويظهر لكل باحث ومتحر للحقيقة أنهم لا يقصدون من نسخ الشريعة الا تعطيلها، ورفع التكاليف، واسقاط الظاهر. وهاهي النصوص من كتب القوم أنفسهم.

يقول القاضي النعمان المغربي وهو أكثر الاسماعيلية تحفظا واحتياطا، وحتى في كتبه السرّيّة، يقول:

---

(٢٨) (كنز الولد) للحامدي ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٩م.

«قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعا.. ويتجرّد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك، لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستور عندهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم، وعلم يستضاء به حتى يصل إلى صاحبه صاحب القيامة، فيظهره ويجرّده، وذلك محظور ممنوع قبله»[٢٩].

وبمثل ذلك قال معاصر النعمان، والذي يفضله لقيامه مقام داعي الدعاة الإسماعيلية، وهو أكبر منزلة يحصل عليها واحد من الاسماعيلية بعد الامام، وقد ذكرنا فيما سبق تقدّمه على النعمان المذكور، يقول الداعي الاسماعيلي هذا:

«وفي عصر القائم يظهر التأويل محضا، والامام الذي قبله يقول بظهر الشريعة وباطنها، ولم يكن عمل قبل آدم، كما لا يكون عمل بعد القائم»[٣٠].

وقال أيضاً:

«القائم لا شريعة له، بل هو يزيل الشرائع وينسخها باقامة التأويل المحض»[٣١].

وأيضاً: «القائم المهدي دوره دور علم بلا عمل، والذهب من أمثال القائم المهدي صاحب دور الجزاء وخاتم الدنيا وفاتح باب الآخرة، وانما مثل بالذهب لأنه صاحب الظهور ومبطل الشرائع كلها، ومسقط ظاهر النطقاء والعمل به»[٣٢].

---

(٢٩) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد بن حيون المغربي المتوفي سنة ٣٦٣هـ ص٦٢ ط دار الثقافة بيروت.

(٣٠) «تأويل سورة النساء» لجعفر بن منصور اليمن نسخة خطية ص ٦٠.

(٣١) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليمن نسخة خطية ص ١١٩.

(٣٢) أيضاً ص ٦٢.

وقال الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب اسحاق السجستاني:

«اذا ظهر القائم عليه السلام، وتخلص المؤمنون من الستر والكتمان، وقدروا على كشف مذاهبهم وجب رفع هذه الشريعة التي هي سمة الستر والكتمان»[٣٣].

وقال الداعي الاسماعيلي الآخر وهو يذكر قيام القائم:

«وأما الشرائع فتحط عنهم التكليفات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، ويبقى معهم الشرائع العقليات التي هي عقد النكاح والطلاق والمواريث والأملاك، ودفن الموتى، وغسلهم الأجسام بالماء، وما شاكل ذلك من الشرائع العقلية»[٣٤].

ونقل هذا الداعي أيضاً عن الكرماني في كتابه (كتاب الرياض):

«إن الشرائع لا ينسخ منها إلا التكاليف، فأما الشرائع العقلية مثل ملك الأموال، وعقد النكاحات، ودفن الموتى، وما أشبه ذلك فلا ينسخ»[٣٥].

ولم ينطق الدعاة الاسماعيلية بمثل هذه الأقوال إلا لأنهم سمعوها من أئمتهم الحائزين على مرتبة العصمة الكبرى مع كونهم أنفسهم كالمعصومين أيضاً.

فها هو الإمام الاسماعيلي السابع الثاني من محمد بن اسماعيل، المعز لدين الله يقول بمثل ما قال دعاته لفظاً وحرفاً:

«التكرار في الأذان مرة بعد مرة مثل على الظاهر والباطن، ودليل على أنها دعوة بعد دعوة قد تقدمت والأخير الذي يكون في القيامة، وهو قول (لا

---

(٣٣) «اثبات النبوءات» للسجستاني ص ١٨٣.

(٣٤) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٠ من «أربعة كتب اسماعيلية» نشر شتروطمان.

(٣٥) أيضاً ص ٩١.

إله إلا الله) مرة دليل على القائم ينسخ بشريعته كل شريعة قد تقدمت، ولا يحدث شريعة، وإنما يأتي بباطن الشرائع والصحف محضاً مجرداً، فلذلك كانت دعوته ولا تكرير فيها ولا تثنية، ومن كرر الدعوة الأخيرة ذهب إلى أن القائم له حد في الجسمانية، وحد في الروحانية»[٣٦].

ويؤيد ذلك ما رواه المؤرخون عن المهدي الاسماعيلي وأولاده عندما استولوا على المغرب وبلاد مصر، وتسلّطوا عليها أبطلوا الشريعة، وأباحوا المحرمات، وسبّوا الأنبياء، وقتلوا المسلمين. فيذكر الإمام الذهبي المتوفي سنة ٨٤٨هـ نقلاً عن القاضي عبد الجبار المتكلّم:

«إن القائم أظهر سبّ الأنبياء، وكان مناديه يصيح: العنوا الغار وما حوى، وأباد عدة من العلماء، وكان يناصر قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف»[٣٧].

وقتلوا خلقاً من المسلمين كما ذكر أبو زيد الدبّاغ في كتابه (معالم الإيمان)، والذهبي، وأبو الحسن القابسي صاحب الملخص:

«إن الذين قتلهم عبيدالله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردّهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت، فقال سهل الشاعر:

وأحل دار النحر في أغلاله ... من كان ذا تقوى وذا صلوات

ودفن سائرهم في المونستير، وهو في لسان الفرنج المعبد الكبير»[٣٨].

ولما رأى المسلمون ذلك أفتوا بارتدادهم وزندقتهم كما قال القاضي عياض:

---

(٣٦) «تأويل الشريعة» للمعز لدين الله ــ نسخة خطية ص ٥.
(٣٧) انظر «سير أعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٥٢، أيضاً «البيان المغرب» ج ١ ص ٢١٦.
(٣٨) «معالم الإيمان» للدباغ ج ٣ ص ٣٤ ط المكتبة العتيقة ــ تونس، أيضاً «سير النبلاء» للذهبي ص ١٤٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣م واللفظ له.

«أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزندقة»[٣٩].

كما أفتى العلماء بعدم الدخول في مذهبهم ولو أكرهوا، واختاروا القتل ولم يقبلوا مذهبهم وسبب ذلك أنهم يعطلون الشرائع كما ذكر القاضي عياض في ترجمة أبي محمد الكستراني أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟

فقال: «يختار القتل ولا يعذر، ويجب الفرار ــ وسبب ذلك؟ ــ لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز»[٤٠].

وأفتى العلماء بوجوب الجهاد ضد هؤلاء الاسماعيلية، واجتمع أهل السنة تحت راية أبي يزيد مخلد الذي كتب على رايته: (اللهم انصر وليك على من سبّ نبيّك) وقد ذكر هذا كله الإمام الذهبي، والمراكشي صاحب (البيان المغرب) وأبو زيد الدبّاغ صاحب (معالم الإيمان) وغيرهم، وننقل عبارة الإمام الذهبي لتبيين الحقيقة، وكشف النقاب عن معتقدات الاسماعيلية الأصلية، ووجهة نظر علماء ذلك الزمان تجاههم. فالعبارة للذهبي:

«وقَدْ أجْمَعَ علماءُ المَغْرِب على محاربةِ آل عُبيد لما شهروه من الكُفْر الصراحِ الذي لا حيلةَ فيه. وقد رأيتُ في ذلك تواريخ عِدَّة، يُصدِّق بعضُها بعضاً.

وعُوتِب بعضُ العُلَماء في الخُروجِ مع أبي يزيد الخارجي، فقال: وكيفَ لا أخرُجُ وقد سمِعْتُ الكفرَ بأذنيَّ؟ حَضَرْتُ عقداً فيه جمعٌ من سُنَّة ومشارقة، وفيهم أبو قُضَاعة الدَّاعي، فجاء رئيسٌ، فقال كبيرٌ منهم: إلى هُنا يا سيدي ارتفعْ إلى جانبِ رسولِ الله يعني: أبا قُضَاعة، فما نَطَقَ أحد.

ووجد بخط فقيه. قال: في رجب سنة ٣٣١هـ قام المكوكب يَقْذِفُ

---

(٣٩) «ترتيب المدارك» ج ٤ ص ٧٢٠، أيضاً «سير أعلام النبلاء» ج ١٥ ص ١٥١.
(٤٠) «ترتيب المدارك» ج ٤ ص ٧١٩، أيضاً «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٥١.

الصَّحابة، ويَطْعُنُ على النبيِّ ﷺ، وعُلِّقت رؤوس حَمير وكِباش على الحوانيت، كُتِبَ عليها أنَّها رؤوس صَحابةٍ.

وخَرَجَ أبو إسحاق الفقيه مع أبي يَزيد، وقال: هُمْ أهلُ القِبْلة، وأولئك ليسوا أهلَ قِبْلَةٍ. وهُمْ بنو عَدوِّ الله، فإن ظَفِرْنَا بهم، لم ندخلْ تحتَ طاعةِ أبي يزيد، لأنه خرجيّ.

قال أبو مَيْسَرة الضَّرِيرُ: أدخلني الله في شَفَاعَة أسْود رَمَى هؤلاءِ القوم بحجرٍ.

وقال السَّبَائي: أي والله نجدُّ في قَتْلِ المُبدِّل للدين.

وتسارَعَ الفقهاءُ والعُبَّاد في أُهْبَةٍ كاملة بالطُّبول والبُنُود. وخَطَبهُم في الجمعة أحمدُ بنُ أبي الوليد، وحرَّضَهم. وقال: جاهدوا من كَفَرَ بالله وَزَعَمَ أنَّه ربٌّ من دون الله، وغيَّر أحكام الله، وسبَّ نبيَّه وأصحاب نبيه. فبكى النَّاسُ بكاءً شديداً. وقال: اللهمّ إنَّ هذا القِرمِطيَّ الكافرَ المعروفَ بابنِ عُبيهد الله، المدعي الربوبيةَ، جاحدٌ لِنعمتك، كافرٌ بربوبيتك. طاعنٌ على رُسُلك، مكذبٌ بمحمدٍ نبيّك، سافِكٌ للدِّماء. فالعَنه لعناً وبيلاً، واخْزِه خِزْياًلا طويلاً، واغضبْ عليه بكرةً وأصيلاً. ثم نَزَلَ فصلَّى بهم الجمعة.

ورَكِبَ ربيع القَطَّان فرسَه مُلبساً، وفي عُنُقِهِ المُصْحَفُ، وحَوله جَمْعٌ كبير، وهو يتلُو آياتِ جهاد الكَفَرَة. فاستُشهِدَ ربيعٌ في خَلْقٍ من النَّاس يومَ المَصَافِّ. وكان غَرَضُ هؤلاءِ المجوسِ بني عُبيد أَخْذَهُ حيَّاً ليُعذِّبُوه.

قال أبو الحسن القَابِسي: استُشهد معه فضلاء، وأئمةٌ وعُبَّاد.

وقال بعضُ الشعراء في بني عُبيد:

المَاكِرُ الغَادِرُ الغَاوي لشيعتِه ... شرّ الزَّنادق من صَحْب وتُبَّاع
العَابدين إذاً عِجْلاً يخاطِبُهم ... بسحر هَارُوت من كُفْر وإبْداع
لو قيل للرُّوم أنتم مثلُهم لَبَكُوا ... أو لليهود لَسَدُّوا صَمْخَ أسْمَاع»[٤١].

(٤١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ج ١٥ ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

وهذه كلها شهادات تنطق على ما كان عليه الاسماعيلية حقيقة، وعلى ما كان شائعاً معروفاً لدى العلماء المعاصرين من تعطيل الشرائع، وإباحة المحظورات، وبغض الاسلام، وعداوة المسلمين، وإهانة الأنبياء والرسل، وغير ذلك من الأمور التي تظهر جلياً بأن القوم يعتقدون بتعطيل الشريعة ورفعها وإبطالها، وسقوط التكاليف عن معتنقيهم.

ويؤيد ذلك أيضاً رسالة المعز لدين الله إلى القرمطي حسن الأعصم حيث يقر فيها آباءه وأسلافه على ما كانوا عليه من القتل والفتنة وإباحة المحظورات، وقلع الحجر الأسود، ونهب الحجاج وغير ذلك من الأمور العظام التي ارتكبوها، كما أقر فيها نسبتهم إليه وإلى آبائه، وإلى الاسماعيلية، كما أن عبارات الأئمة الاسماعيلية وتصريحاتهم الخاصة، وادعاءاتهم الربوبية والألوهية، واتصافهم بأوصاف الخالق والرب، ورضا بعضهم على تأليهه، وتأييده المخفي لمن يؤلهه ويدعو الناس إلى ألوهيته، وتشجيع الناس على قبول مثل هذه الدعوات، وكتابتهم الشتائم والسباب على منابر المساجد ومحاريبها وغير ذلك من الأمور الكثيرة الكثيرة تدل على ما يكنّه القوم في القلوب، ويكتمونه في الصدور.

زيادة على ذلك مجاهرة بعض الدعاة الاسماعيلية الكبار بالباطل من تعطيل الشريعة، واستحلال المحارم، واستباحة المحظورات، وإتيان الفواحش والمنكر علنا، وعلى رؤوس الأشهاد في كل عصر من العصور المختلفة، ومكان من الأمكنة وجد فيها الاسماعيلية كما أقرّ بذلك المؤيد، الشيرازي في مجالسه بقوله:

«استعيذوا بالله سبحانه من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة، وهم من طلائع الكفر والإلحاد شرّ طليعة، يستوطئون مركب الإباحة، ويميلون ميل الراحة، ويحتجون بكون الصلاة إشارة إلى حد من حدود الدين، فإذا عرف سقطت الصلاة، وأن الزكاة إشارة مثله فإذا عرف بطلت الزكاة، وأن الصوم هو السكوت عن إفشاء سرهم إلى غير أهله، فإذا هم سكتوا لم يبق بهم حاجة إلى الصوم واحتماله كله، وإن النهي عن شرب الخمر معناه الكف عن

موالاة بعض الأضداد، وإذا كفوا كان شربها حلالاً سهل القياد، فلا يزالون كذلك حتى يحلّون من فروض تكاليف الشريعة كل عقد، ويردون من مهاوي الهوى في تحليل المحرّمات شرّ ورد، وهؤلاء أضرّ بالدين وبالمؤمنين ممن شهر سيفه، وشرع رمحه، إلى أئمتهم بالبغضاء، وركب الأبلق مجاهرة لهم بالكفاح واللقاء»(٤٢).

وأقرّ المعزّ لدين الله الإمام الاسماعيلي بأن دعاته كانوا يحلّون المحارم، ويُرخصونها للناس(٤٣).

كما أنكر على بعض دعاته ولعنه(٤٤).

ولم يكن التنكير والعقوبة على هؤلاء لارتكابهم المحارم، والعمل بالباطن المحض، بل لأنهم أظهروا ما أخذ الميثاق عليهم في إخفائه وكتمانه.

وكذلك الثبوت عن الأئمة الاسماعيلية أنفسهم بارتكاب الفضائح واقتراف المهالك، وأمر الاسماعيلية بعدم الاعتراض عليهم كما نصّ على ذلك القاضي النعمان في كتاب (الهمة في آداب اتباع الأئمة).

فهذه كلها شواهد ثابتة، وحجج قطعية، وأدلة واقعية على معتقدات القوم الخفيّة، واعتقاداتهم الأصلية.

وأما بناؤهم المساجد ومشاركتهم في بعض الطقوس الدينية الاسلامية فلم يكن إلا تعمية على الناس عامة الذين كانوا ضد مذهبهم ومعتقداتهم، وتأليفاً لقلوبهم، وتوطيداً لسلطتهم، وحفاظاً على ملكهم وسلطانهم، لا رغبة، بل رهبة من الشعب الذين لم يرضوا باعتناق ديانة الحكام الاسماعيليين مع تحملهم صنوفاً من العذاب وأنواعاً من الظلم وألواناً من الاضطهاد والجبر والقهر. وهذا ما لا يستطيع إنكاره أحد من الذين لهم إلمام بالتاريخ الاسماعيلي أيام تسلّطهم على مصر وجاراتها.

---

(٤٢) «المجالس المؤيدية» لهبة الله المؤيد الشيرازي ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٤٣) أنظر «المجالس والمسايرات» للنعمان القاضي ص ٤٠٨ ط تونس.

(٤٤) انظر أيضاً ٤٠٧ من «المجالس والمسايرات».

وخاصة بعد ما جرّبوا عصيان الشعب المغلوب على أمرهم للتخلي عن عقائدهم، والاعتناق بمبادئهم في أوائل أيام تسلطهم على المغرب كما ذكرناه آنفاً.

فإخماداً للثورات، وإطفاء لنار البغض العقائدي الذي كان يضطرم في قلوب المسلمين المؤمنين ضدهم، وتحبباً إلى الناس، وإرضاء للناس عنهم كانوا يبنون المساجد، ويقيمون بعض الرسوم الاسلامية، ويأتون الطقوس الدينية. وإلا فعقائدهم كانت ولا زالت تختلف عن عقائد الاسلام والمسلمين.

وها هو الاسماعيلي المعاصر الذي كتب كتباً عديدة في العقائد الاسماعيلية والتاريخ الاسماعيلي ـ ولو أنها كلها سرقات على سرقات، وجهالة على جهالات ـ يقرّ بذلك ويصرح بأن الاسماعيلية يعتقدون بنسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وبرفع التكاليف، فيقول:

«ويعتبر الإمام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع لأن إمامته حسب ترتيب الدعوة الاسماعيلية الفلسفي السابع، والإمام السابع له اعتبار خاص فهو صاحب نشرة علمية انتقالية، وناسخ عهد، وفاتح عهد، ويجمع بين النطق والإمامة، فهو صاحب شريعة وحقيقة، لذلك نراه ينادي بالتأويل، ويهتم بالباطن»(٤٥).

ويقول:

«ويعتبر الإمام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع ومتم الدور، لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتم بالباطن»(٤٦).

---

(٤٥) مقدمة «راحة العقل» مصطفى غالب الاسماعيلي ص ٢٣.
(٤٦) «تاريخ الدعوة الاسماعيلية» ص ٣٤ له أيضاً.

وعلى ذلك فالاسماعيلية النزارية اليوم، وهم ورثة الاسماعيلية القدامى الحقيقيون، لا يصلّون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يحجون، ولا يبنون المساجد، ولا يأتون بأيّ عمل من أعمال التكليف من شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهم المسمون بالآغاخانية، وأئمتهم يقامرون، ويشربون الخمور، ويمرحون ويسرحون ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وقد خصصنا لذكرهم مفصلاً المجلّد الثاني لهذا الكتاب.

فالحاصل أن الاسماعيلية في باطنهم لا يعتقدون إلا ذلك الاعتقاد، وهو رفع الشريعة وتعطيلها، ونسخها من قبل محمد بن اسماعيل لأنه هو السابع من الأئمة، وله مقام النطق ومرتبة الرسالة.

وقد أظهروا هذه الحقيقة في كتبهم السرية التي يسمونها كتب الباطن أو كتب الحقائق، التي لا يطلع عليها إلاّ من يصل المراتب العليا في الدعوة الاسماعيلية، وأطمأن إليه، وأخذ منه الميثاق المغلّظ بالعتق والطلاق، والتخلّي عن جميع الممتلكات، واستباحة ماله وعرضه ودمه، والتي نقلنا منها بعض النصوص آنفاً فيما مرّ.

وشهد بذلك أي الإباحة والتعطيل عند الاسماعيلية، وإقرارهم برسالة محمد بن اسماعيل كل من اعتنى بالردّ عليهم، أو كتب في الفرق، من أعلام أهل السنة، والزيدية، والشيعة وغيرهم، حتى المستشرقين، لاشتهار ذلك عنهم بين الناس، وتسرّب أسرارهم إليهم(٤٧).

و أما إنكار بعض الاسماعيلية نسخ الشرائع وتعطيلها، وخاصة شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وإظهار البراءة منهم، ونقل تبرّي الأئمة الاسماعيلية منهم أيضاً ليس إلاّ إنكاراً للحق الثابت الصريح المكشوف، كما أن هذا الانكار لا يوجد إلاّ في كتب الظاهر، وقد أثبتنا فيما سبق أن القوم ينكرون شيئاً في الكتب الظاهرية، ويثبتون عين ذلك الشيء في الكتب السرّية، ينكرون عن أئمتهم اتصافهم بأوصاف الرب جل مجده وعزّ شأنه،

---

(٤٧) راجع كتب الفرق.

ثم يصفونهم بالأوصاف التي لا تليق إلا بالله عز وجل، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وكذلك أشياء كثيرة وأمور عديدة لكونهم أهل الباطن، وإخفاؤهم مبادئهم وعقائدهم عن أهل الظاهر والعامة ـ حسب تعبيراتهم ـ.

وإلّا فأيّ شيء ينكرونه؟

رسالة محمد بن اسماعيل وكونه ناطقاً؟

أم انقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ونسخ شريعته؟

أورفع التكاليف والعمل بالظاهر، والاكتفاء بالباطن المجرد المحض؟

وثبوت واحد من هذه الأمور يكفي لمعرفة القوم وحقيقة مذهبهم والحكم عليهم بأنهم لا علاقة لهم بالدين الحنيف الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي لا نبي فيه بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ولا رسالة بعد رسالته، ولانسخ لشريعته، ولا انقضاء لدوره، وهو القائل ﷺ: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي»(٤٨).

كما أنه لا غناء لأحد عن العمل مهما بلغ شأنه ومكانه، وعلت مكانته، وارتفعت منزلته ورتبته حسب تعليمه وإرشاده: «يافاطمة بنت محمد، اعملي، اعملي فاني لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، سليني من مالي ما شئت، اعملي، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً»(٤٩).

وهو صلوات الله وسلامه عليه مع كونه سيد الخلق وإمام الأنبياء والمرسلين كان قائم الليل وصائم النهار، عابداً لله خاشعاً، ذاكراً لله آناء الليل وآناء النهار، ساجداً متخشعاً، وكان يطيل القيام في جناب الله في الليالي حتى أنزل الله أمره في كتابه شفقة عليه: يا أيها المزمل قم الليل إلّا

---

(٤٨) مشكاة المصابيح.
(٤٩) أيضاً.

قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً. إن لك في النهار سبحاً طويلاً»(٥٠).

كما كان يطيل سجوده وقعوده إلى أن ورمت قدماه فداه أبواي وروحي، وكان يبكي في صلواته ودعائه وفي خلواته في بطون الليالي والناس نيام، يناجي ربه ويناديه، ويسمع الصوت منه كأنه صوت القدر(٥١).

والذي جعل الصلاة حداً بين الكفر والاسلام، والزكاة والحج والصوم كلاً منها ركناً من أركان الاسلام، وعموداً من أعمدته، الذي بني الاسلام عليها، ولا إسلام بترك واحد من هذه الدعائم.

نعم، فلننظر ماذا ينكره الاسماعيليون من تلك الأمور الثلاثة التي ذكرناها عن رسالة محمد بن اسماعيل، أو انقضاء الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، أو ارتفاع التكاليف الشرعية، والاكتفاء بالعلم والباطن؟.

ونحن قد أثبتنا كل هذه الأمور من كتب الاسماعيلية أنفسهم بأنهم يؤمنون بهذه الأمور الثلاثة ويعتقدونها، بذكر العبارات والصفحات والمجلدات.

وإضافة إلى ما ذكرناه نورد بعض النصوص الأخرى حول هذه الأمور الثلاثة من أهم الكتب الاسماعيلية السرّيّة زيادة للعلم والمعرفة والبصيرة لمن أراد أن يتعلم ويتعرف ويتبصر.

وأما الذين أشربوا في قلوبهم العجل فأمرهم إلى الله، الذي نهى في محكم كتابه نبيه وصفيه محمداً ﷺ أن يكون للخائنين خصيماً بقوله:

«.. ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله..»(٥٢).

---

(٥٠) سورة المزمل الآية ١ إلى ٧.
(٥١) الحديث.
(٥٢) سورة النساء الآية ١٠٥.

يقول داعي الدعاة الاسماعيلي القديم جعفر بن منصور اليمن الذي يعدّ أحد المؤسسين للديانة الاسماعيلية، والواضعين لها الأصول والأسس يقول في كتابه الباطني الكبير مبيّناً معنى البيوت في قول الله عز وجل (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال) يقول:

فمن زعم أن الله بيوتاً غير هذه البيوت التي بيّنت الشرائع، وأظهرت الودائع، وبانت بالمعجزات، وعلت بالصفات، وقال: أنه يقع التغيير والزوال كان ممن ألحد في آيات الله جلّ وعلا، ودعا إلى غير شرائعه وأبلس من رحمته، بل هي البيوت المؤذنون بالشرائع في كل عصر وزمان الذين هم رفع الله جل وعلا أمرهم باتباعهم فبهداهم اقتده، وجعلهم قدوة، وأمر بالاقتداء بهم، وطلب الهداية من عندهم، بيان هذا أن هذه البيوت إنما هي النطقاء الذين ينطقون بالتنزيل والشرائع.

«فهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، ومحمد وهو أحمد، ومحمد المهدي الناطق السابع صلوات الله عليهم أجمعين، فهم بيوت وحي الله تبارك وتعالى إلى كل واحد منهم في عصره بحكم الله وأمره»(٥٣).

ثم بينّ هذا الداعي منزلة هذه البيوت ومكانتها، كما يوضح أن في البيوت السبعة هذه بيتاً أعظم وأكبر من البيوت كلها، فمن هو يا ترى؟

يقول بكل صراحة ووقاحة:

«فكل قائم في عصره هو اسم الله الذي يدعي به في ذلك العصر كما قال الله عزّ وجل: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . . ليعلم عباده أنه لا يقبل عبادتهم إلا من وجه واحد يختاره دون الوجوه، وحدّ يختاره دون الحدود، وموضع يختاره دون المواضع، وسبيل يختاره دون السبل، واضطرهم إلى هاد يهديهم، ورسول إليه يدعوهم ويعرفهم أن ذلك الذي يهديهم لا يكون إلاّ واحداً، ولا يقبل العبادة إلاّ به، ولا يقبل اختيارهم

---

(٥٣) «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٠٤ نشر شتروطمان ط دار الفكر العربي ــ القاهرة.

لأنفسهم دون اختيار الله لهم من يصطفيه ويختاره، فدين الله عز وجل متصل من آدم ﷺ على أيدي النطقاء والأئمة صلوات الله عليهم حتى يكمل الله دينه وأمره بالناطق السابع المهدى صلوات الله عليه ـ وأكثر من ذلك؟ نعم أكثر وأشنع ـ فهو الذي إليه دعت الدعاة وإلى معرفته ندبت الرسل عليه الصلاة والسلام، وبشريعته تمت الشرائع، وهو صاحب إظهار الأمر كله، وعلى يديه يختم، وبه عبدالله عز وجل من عبد، وبأذانه طالب الله العباد . . . فهو أذان لقول الله عز وجل: وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر: يريد الأكبر أنه لا شيء أكبر منه ولا مثله فيدانيه، وهو أكبر البيوت، وأعظم البيوت، وأعظم الحجب، ونهايتها، وهو ظهور حجاب الله الأعظم»[٥٤].

فهل هناك كفر بعد هذا الكفر؟

وخروج عن الاسلام الاسلام بعد هذا الخروج؟

وجرأة على تكذيب الله عز وجل، وتكذيب كلامه المحكم، والاستهزاء بآيات الله البينات؟

والتحريف في كلمات الله المحكمات؟ الذي يقصر عنه تحريف اليهود المغضوبين عليهم المذمومين في كتاب الله عز وجل بقوله جل وعلا: «يحرفون الكلم عن مواضعه»[٥٥].

وهل هناك صراحة فوق هذه الصراحة، وبيان فوق هذا البيان بأن الدين لم يكمل بدين الاسلام؟

وأمر الله لم يتم بخاتم النبيين وسيد المرسلين؟

وشرائع الله لم تتمّ بالشريعة التي جاء بها الصادق الأمين؟

---

(٥٤) انظر «كتاب الكشف» ص ١٠٩، ١١٠.

(٥٥) سورة المائدة الآية ١٣.

ووعد الله لم يصدق فيه بأنه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه؟

ووحي الله لم ينقطع به ولم يختتم؟

بل هناك أعظم منه وأكبر وأجل وأفضل، «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون»(٥٦).

هذا وكتابه (كتاب الكشف) هذا كلّه، وكتبه الأخرى السرّيّة الباطنية ــ وجميع كتبه في الباطن ــ مليئة من مثل هذه التصريحات والبيانات مثل:

«الناطق السابع هو صاحب الظهور، وكشف المستور، وخاتم الأعصار والأزمنة والدهور(٥٧).

وهو: الأول والآخر، وهو الظاهر على جميع أنبيائه ودعاته ورسله، وهو الباطن الذي بطن الأشياء فلا تدرك إلاّ من عنده، وهو بكل شيء عليم»(٥٨).

وقال تحت قول الله عز وجل: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم):

«الرسول الناطق الذي يكون بعد محمد هو المهدي الذي أشار إليه محمد»(٥٩).

وقال:

«سابع النطقاء هو متمم دور المصطفى»(٦٠).

وأيضاً: إن أول الأدوار دور آدم . . . والدور السادس دور محمد . . .

---

(٥٦) سورة التوبة الآية ٣٠.
(٥٧) انظر ص ١١٤ من «كتاب الكشف».
(٥٨) أيضاً ص ١٣٨.
(٥٩) أيضاً ص ١٦٨.
(٦٠) «كتاب الفترات والقرانات» ص ٣ نسخة خطية.

والدور السابع دور القائم محمد بن اسماعيل الذي تختتم به الدنيا، وتنفتح الآخرة»[٦١].

ويقول أبوه أو جدّه ــ على اختلاف في الأقوال ــ ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن: «وأما بنعمة ربّك فحدّث، والنعمة الرسول، فذلك اسمه في الباطن حيث كانت في كتاب الله كما قال الله لنبيه محمد ﷺ وأما بنعمة ربّك فحدّث، يعني بالرسول الناطق الذي بعدك من ولدك»[٦٢].

وبمثل ذلك يقولُ داعي الدعاة الاسماعيلي عليّ بن حنظلة المتوفي سنة ٦٢٦هـ في نظمه بعد ذكر النطقاء الستة:

«الناطق السابع روح العالم   وصفوة المجموع منذ آدم
غاية فعل عالم الطبائع   وغرض الباري القدير الصانع
من أجله حرّكت الأفلاك   وأجريت في ضمنها الأملاك
على يديه الفوز والحساب   لأهله والخسر والعقاب»[٦٣].

وقال الداعي الاسماعيلي الأجلّ الذي قلّما يضاهيه أحد من الاسماعيلية في كتاباته الفلسفية أحمد حميد الدين الكرماني في رسالته (أسبوع دور الستر):

فلله الحجة البالغة على خلقه . . . واصطفى بتبليغ حكمته وإبلاغ عرشه وهو على عرش التنزيه صفوة من الأمم، سماهم المرسلين وهم المبشرون والمنذرون والمهدون، فكانت أولاً شريعة آدم صاحب يوم الأحد . . . ثم أعقبه النور . . . ثم نسخ شريعة إبراهيم صاحب يوم الثلاثاء المتوّج بالبقاء ثالث النطقاء . . . ثم انبثق النور الرابع . . . وهو موسى صاحب يوم الأربعاء . . . ثم ظهر جوهر الأب المتعالى من صفات البريّة بظهور الأب الأقدس المسيح النفيس صاحب يوم الخميس . . . ثم ظهر

(٦١) كتاب «الأدلة والشواهد» نسخة خطية.
(٦٢) «كتاب الرشد والهداية» من كتاب أيوانوف (COLECTENA) ط الجمعية الاسماعيلية بريل ــ ليدن ــ هولندا.
(٦٣) «سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة ص ٤١، ٤٢ ط المعهد الفرنسي ــ دمشق ١٩٥٣م.

الأمر الإلهي، والفيض المحمدي ذو العلا والرفعة صاحب يوم الجمعة محمد . . . أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

واستقرّ الوقت لصاحب يوم السبت القائم في الأرض مقام العقل في عالمه، محطّ رجال حملة النور، في سالف الدهور، ومقصد الراحة، وعنده تكون الاستراحة، ذو الكلمة المصونة، والجوهرة المكنونة، التي أنارت الكواكب، فمن أنوارها انتثرت، وغارت في البحار.

هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربّك يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون.

سيأتي إلى الناس في حقبة ... يبلغ فيها معاني الحكم

وعنه غداً تظهر المعجزات ... ويظهر من أمره ما كتم

وتملأ له الأرض عدلاً كما ... ملئت من قبل جوراً وظلم

وينجز وعد الإله القدير ... بديع السماء وباري النسم»[٦٤].

ويقول: الداعي الاسماعيلي الآخر حاتم بن عمران وهو يبين الأيام ومدلولاتها فيقول:

«فأولها يوم الأحد وهو الابتداء، وله من النطقاء آدم الذي هو المبعوث الأول. وثانيها يوم الاثنين وهو يدل على نوح الناطق الثاني. وثالثها يوم الثلاثاء وهو يدل على ابراهيم الناطق الثالث. ورابعها الأربعاء وهو يدل على موسى الناطق الرابع. وخامسها يوم الخميس وهو يدل على عيسى الناطق الخامس. وسادسها يوم الجمعة وهو يدل على محمد الناطق السادس، وأما السبت فهو دليل على القائم الذي هو سابع أيام الأسبوع»[٦٥].

---

(٦٤) «رسالة دور أسبوع الستر» للكرماني ص ٤٢ وما بعد من (أربع رسائل اسماعيلية) ط دار مكتبة الحياة لبنان ـ ١٩٧٨م.

(٦٥) «الأصول والأحكام» ص ٢١٦ من (خمس رسائل اسماعيلية).

ويقول النعمان القاضي:

«إن كل ناطق يبشر بالناطق الـذي يأتي من بعـده وينذر قـومه من أئمـة دوره، وكذلك عيسى عليه السلام وأئمة دوره بشروا برسـول الله محمد ﷺ، وذلك فيما يقرأه أهل التوراة والانجيل في توراتهم وأناجيلهم على ما قـرأوا به بعد أن حرّفوا وغيّروا كما قال الله عز وجل، وكـذلك بشر محمـد بالقـائم من بعده صلوات الله عليهما، وبالمهدي من قبله وأنذر من التكذيب به وإنكاره، ومن ذلك قوله تعالى: إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً»(٦٦).

وقال أيضاً في كتابه الآخر:

«إن القائم صلوات الله عليه هو متمم النطقاء»(٦٧).

وقال:

«إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العـالمين ذريـة بعضهـا من بعض والله سميـع عليم» فجعـل صفـوة الصفـوة من العـالمين النطقاء السبعة، هم: آدم، ونوح، وابـراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمـد، والقـائم صلوات الله عليهم، وجعلهم أصحـاب شرائـع وأحكـام وحـلال وحرام»(٦٨).

ويقـول الداعي محمـد بن سعد تحت قـول الله عز وجـل: حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة:

يعني بذلك النـاطق السابـع صاحب الكشف القـائم في هذا الـوجه إذا بلغ أشده واكتمل أمره أتى إليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً»(٦٩).

(٦٦) «أساس التأويل» للنعمان المتوفي ٣٦٣هـ ص ٣١٨، ٣١٩.
(٦٧) «الرسالة المذهبة» للنعمان ص ٥٦ من (خمس رسائل اسماعيلية).
(٦٨) «أساس التأويل» للنعمان القاضي.
(٦٩) «الكافية» لمحمد بن يعد بن داؤد الـرفنة ص ٢٩ من (ثـلاث رسائـل اسماعيليـة) ط دار الآفاق الجديدة بيروت.

وقال قيس بن منصور:

«والقائم هو المتمم للجميع والقاضي لديون آبائه»[٧٠].

فهذا هو الناطق السابع، حكمه حكم النطقاء الستة الآخرين الذين سبقوه، وشأنه شأنهم أصحاب النبوءات والرسالات، بل هو يفضلهم ويحوز على مقام وشرف لم يفز به الأولون، ولم يحزه السابقون كما صرح بذلك القوم ونقلنا عنهم بالعبارات الصريحة، والنصوص الظاهرة المكشوفة، الآن، وفي بداية الكلام.

وإثبات هذا وحده كاف لإخراج القوم من الطوائف الاسلامية، وحتى الضالة المنحرفة، لأن كل من يعتقد بنبوة أحد بعد نبوة محمد ﷺ فهو كافر بالاتفاق، لاخلاف في ذلك بين علماء الاسلام وفقهاء المسلمين، وقد نقل القاضي عياض الاجماع على ذلك كما قال:

«من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ لأنه أخبر أنه ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر الله عنه أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل إلى الناس كافة، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد دون تأويل وتخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء قطعاً وإجماعاً وسمعاً»[٧١].

وأما معتقد الاسماعيلية بانقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه، ونسخ شريعته بعده بمجيء القائم أوردنا فيه أيضاً النصوص الصريحة، والعبارات الناطقة، والتصريحات القاطعة في الموضوع من أهم كتب الاسماعيلية.

---

(٧٠) «رسالة الأسابيع» ص ٦٤ من (خمس رسائل اسماعيلية)، أيضاً «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ٩٠.

(٧١) كتاب «الشفاء» للقاضي عياض.

ونضيف إليها بعض العبارات الأخرى إكمالاً للبحث، وتتميماً للفائدة كي يعلم أن هذا الأمر موضع اتفاق لدى القوم كافة ولو لم يتظاهروا به في كتب الظاهر مع عدم استحقاق أحد ممن ينتسب إلى الاسماعيلية أن يردّ كلام إمامه المعصوم، وقد ورد من أئمتهم والدعاة المطلقين الذين هم كالمعصومين صراح بأن شريعة محمد ﷺ عطلت، ونسخت بمحمد بن اسماعيل:

وها هي بعض النصوص الأخرى:

يقول الاسماعيلي المعاصر عارف تامر وهو ينقل مذهب أخوان الصفاء تحت قول الله عز وجل: (يوم نطوي السماء كطيِّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين):

«ففي التأويل الاسماعيلي أن السماء هي الشريعة العائدة للناطق، وتأويل الآية أنه عند ظهور القائم السابع المنتظر ستطوي جميع الشرائع وعددهم عدد السموات أي ست شرائع، وهي لآدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد كما يطوي السجل، ويضيف إليهم الشريعة السابعة التي تلغي جميع ما قبلها، وعندئذ يبدأ عهد جديد»(٧٢).

وقال إخوان الصفاء أيضاً:

«إذا كان وقت قيام القائم السابع بالأمر الجديد لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، والخير هو المعرفة به قبل قيامه»(٧٣).

ويقول الداعي أبو يعقوب إسحاق السجستاني:

«إذا ظهر القائم سلام الله عليه، وانقاد الخلق له، وقهرهم بالقوة الممنونة عليه فقد انقطع طمع المخترعين عن إضافة المراتب إلى أنفسهم

---

(٧٢) انظر «جامعة الجامعة» لأخوان الصفاء ص ٥٨ المقدمة لعارف تامر ط مكتبة الحياة بيروت.

(٧٣) «جامعة الجامعة» لأخوان الصفاء ص ١٣٨.

وادعوا ما ليس من شأنهم إذ الرئاسة إنما تكون لمن قدرها الله له وهو القائم سلام الله على ذكره، ويجب أيضاً رفع هذه الشريعة»[٧٤].

ويقول جعفر بن منصور اليمن:

«إذا ظهر السابع وجب عليهم طاعته وترك الأمر الأول الذي قامت الشريعة به»[٧٥].

وأيضاً: وإن السابع هو القائم بتبديل الشريعة لمن عرف ذلك وعقل[٧٦].

ويقول النعمان القاضي:

«وسألت عن اتخاذ موسى السبت عيداً، وعيسى الأحد، ومحمد الجمعة وكل هؤلاء صلوات الله عليهم أشاروا إلى القائم عليه السلام لأنهم أرادوا الحكمة مستورة وقد أشاروا بها رمزاً إلى من أشرقت به المنازل، فأشار موسى عليه السلام إليه لأنه سابع الأيام، وأشار عيسى إلى الأحد لأنه رجع إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعرف أن له المنزلة وفي دوره تتم منزلة عيسى، وأشار محمد إلى الجمعة لأن حده اشتمل على حدود من تقدمه، فالجمعة للقائم لأنه نسخ جميع الشرائع . . . واعلم أن القمر مثل على القائم ما دام للمثاني سبعة بأزاء سبعة وقد ظهرت علة الخلق ووقعت محنة الكسوف وغيبة الهلال أيضاً للثمانية وعشرين وبمقدار غيبته واستتاره الليلتين ويومين ثمانٍ وأربعين ساعة. فهذه هي عدد الحدود التي بين الناطق والقائم، وهي القيامة الكبرى، فإذا تمت ظهرت الآيات وانكشفت المستورات، وفطر المؤمنون من صيامهم»[٧٧].

---

(٧٤) «إثبات النبوءات» المقالة الخامسة ص ١٧٩.
(٧٥) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ١٠٧ نسخة خطية.
(٧٦) أيضاً ص ٩٥.
(٧٧) «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان ص ٧٠ و ٧١ من (خمس رسائل اسماعيلية).

وقال «الداعي الاسماعيلي الأجل، أحمد حميد الدين الكرماني في كتابه الباطني الكبير وهو يذكر انقضاء دور محمد صلوات الله وسلامه عليه بابتداء دور القائم، فيقول بأسلوبه الباطني المعقد الخاص به تحت قول الله عز وجل:

«وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً، إلى قوله: والملائكة بعد ذلك ظهير، فخشي أن يظهر النبي منعاً عن اتباعه وقبول قوله اعتباراً بما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وآله في الملة من الأمر بالشيء والنهي عن ضده جميعاً فيفتضح بعد أن كان قد بشر قومه وعشيرته أنه هو المقدم من دون غيره، فتمنى أنه لو ترك أمره على مطاويه لما حرم تلك الرتبة ولم يؤهل لها، فسأل النبي الإنظار فيما وعد به من قبل، مما كان أحد الذنوب المغتفرة للنبي ليكون له ذكراً إلى يوم القيامة عوضاً عما حرم من رتبة الوزارة فلا يضيع سعيه وخدمته وذلك قوله تعالى: «إلى يوم يبعثون» فعلم النبي صلى الله عليه وآله أن الذي قدر سيكون، ولن يكون إلا ما جرى به القلم الذي توجبه الحكمة، وأن انتهاء أمر القائمين في الأمر بعده للأمور والأخبار من الله إلى الوقت المعلوم فيه أن تكون النفس الزكية، وهو تمام الدور، ففعل أو لم يفعل فلا بد من قيام القائمين ووقوع الخلاف والإختلاف بعده بقلة مساعدة الزمان، وأعلمه أن ذكره يبقى إلى يوم الوقت المعلوم حتى يكون إلى أيام ظهور القائم عليه السلام، فيوم لفظة غير معرفة هو على الخاتم للدور الكبير السادس وكأنه يقول: أيامك أيام أتباعك في عقد الرياسة والمخالفة ممتدة إلى يوم الحد الأول من الدور السابع الذي هو الوقت المعلوم في استفاضة التأييد في الحدود، وتعليم الأمور، كالبحران الذي هو الوقت المعلوم في ظهور قوة نفس العليل وفعلها وتغييرها أمره، وعلى رأسه تظهر القوة فيؤثر كل قائم منهم بالأمر تأثيراً يظهر مناره ويبقى في الناس آثاره بسطاً لمعالم الشريعة وأعلامها وتمييزاً لكلمة التوحيد وأحكامها، وطياً عن القلوب ذكر الأبالسة المضلين ومذاهبهم وسننهم إلى دونوها كما طووا ذكر أولياء الله القائمين مقامه عن قلوب الأمة على طول المدة والأيام، وقلة مساعدة الزمان لأولياء الله تعالى على الثبات فضلاً عن التغيير والإلزام.

وهـو اليوم الـذي وعد الله تعـالى به بقـوله: «يـوم نطوي السـماء كطي السجـل للكتب» يقول: إن ذلـك الحد الـذي هو من أيـام الله تعالى لا كـما قال: «وذكرهم بأيام الله» الذي يرد الأمور إلى قوانينها الأولة في أيام الناطق، ويطوي ذكر أئمة الضلال الذين هم كالسماء العاليـة على مـا دونها كما طـووا ذكـر أئمة الحق من قلوب الأمـة بالغلبـة واليـد. وقـال تعـالى: «يـوم يـرون المـلائكة لا بشرى يـومئذ للمجـرمين» إلى قـوله: «هبـاء منثوراً» «يـوم يرون الملائكة» إشارة إلى ما يكون في الدور السابع، يقول: إن الملائكـة الذين هم أصحاب الدعوة الذين هم كالملائكة في الآخرة القائمين بالعبادتين يوبخـون المقصرين والتـاركين أمـر الله تعالى عـلى تعلقهم من أديـانهم بمـا تعلقـوا بـه فيمنعـونهم عن أن يكونـوا من أهل الجنـة المستجيبين إلى إقـامـة الـطاعـات «ويقـولـون حجـراً محجـوراً» يقــول: إنهم: يعلمـونهم أنــه محظور عليهم بإغلاقهم باب التوبة من أن يكونوا من المؤمنين»(٧٨).

ويقول الداعي الاسماعيلي: «إن الدور الصغير السابع يعني بـه الأسبوع الذي يلي دور القائم عليه السلام، وبه يتم دور النبي صلى الله عليه وعلى آله الذي هو الدور الكبير السادس»(٧٩).

ويقول الداعي الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي:

«ولما كان مولانا محمـد بن اسماعيـل قائـماً بالقـوة وجب تجديـد الشريعة والالتزام بها إلى الوقت المعلوم والأجل المحدود»(٨٠).

ويقول الكرماني وهو يوضح بأن العاشر من الناطق يكون ناطقاً أيضـاً، ويأتي بشريعة جديدة، كما أن الناطق لا يكون إلا صاحب شريعة وأمر جديد خلاف الأول كما يصرح:

(٧٨) «راحة العقل» للكرماني ص ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢.

(٧٩) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١٠٠ من (أربعة كتب اسماعيلية) ط المجمع العلمي غونتيغن.

(٨٠) «الأنوار اللطيفة» الباب الثالث الفصل الخامس ص ١٧٦.

«إن الموجود في الدور من الحدود عشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الأئمة الذين يتمون الأدوار الصغار، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره، ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد»[٨١].

ويكتب المصحح الاسماعيلي تحت هذا:

«الدور الصغير يعني الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق فيها سبعة أئمة. أما الدور الكبير فيبتدىء من عهد آدم إلى ظهور القائم المنتظر الذي يسمى دوره بالدور السابع ويكون بنفس الوقت متماً لعدد النطقاء الستة. والدور يتألف من إمام مقيم وناطق وأساس له وسبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور»[٨٢].

ونذكر أخيراً ما قاله أحد بناة هذه الديانة وهو الداعي الاسماعيلي ابن حوشب الذي أرسل إلى اليمن وفتحها، وسمي بمنصور اليمن، ومن ولده جعفر المشهور، يقول هذا ابن حوشب:

«وفي سور القرآن دلالة أيضاً وذلك أنّ بين كل ناطق وناطق سبعة متمين.

وكذلك القرآن، فأول السور دلالة على محمد لأنه الناطق بها، ثم بعدها سبع سور، وبعد السبع ذكر محمد، وكذلك بعد كل سبع إلى آخر القرآن، فالسبع من السور تدلّ بعددها على تمام السبعة المتمين بين الناطقين.

ويدل بما فيها على سابع النطقاء، الذي يأتي بفرض من الله سبحانه وأمر حادث يدلّ على الناطق الذي بعد محمد»[٨٣].

---

(٨١) «راحة العقل» للكرماني ص ٢٤٢.

(٨٢) أيضاً.

(٨٣) «كتاب الرشد والهداية» لابن حوشب الملقب بمنصور اليمن في آخر كتاب (COLLECTANEA) لأيوانوف ط ليدن.

ويقول أيضاً في هذا الكتاب:

«فإذا حسبت التي فيها ذكر محمد ﷺ فهي دلالة النطقاء وهي أربع عشرة سورة، فسور النطقاء التي هي لهم مفردة تدل عليهم، وسور المتمين تدل عليهم بتمام السبعة، وفيها ذكر سابع النطقاء، ففيها دلالتان يدل ذلك على أن لكل ناطق شريعة لم يشرعها من قبله، وأن كل مُتمٍ إنما يتم شريعة ناطق قبله»(٨٤).

وهذه العبارة نص في الموضوع.

فهذا هو الأمر الثاني أي انقضاء دور محمد ﷺ ونسخ شريعته، وقد أضفنا إلى النصوص والعبارات التي أوردناها أولاً نصوصاً وعبارات أخرى.

فيقول جعفر بن منصور اليمن:

«القائم لا شريعة له، بل هو يزيل الشرائع وينسخها بإقامة التأويل المحض»(٨٥).

ويقول:

«وفي عصر القائم يظهر التأويل محضاً، والإمام الذي قبله يقوم بظاهر الشريعة وباطنها لم يكن عمل قبل آدم، كما لا يكون عمل بعد القائم»(٨٦).

ويقول معاصره النعمان القاضي:

«إن الصلوات عديدة، فالأول الصلوات الخمس . . . والثاني صلاة الكسوف . . . والثالث صلاة العليل والعريان . . . والرابع صلاة الخوف . . . والخامس صلاة الاستسقاء . . . والسادس صلاة الجنائز . . . والسابع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمثال الستة الأضرب من

---

(٨٤) أيضاً ص ٩٧.

(٨٥) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور اليمن ص٣١ نسخة خطية.

(٨٦) «تأويل سورة النساء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٦٠ ـ نسخة خطية.

الصلاة أمثال لدعوة الستة النطقاء كما ذكرنا أن مثل الصلاة مثل الدعوة ضروبها مختلفة المعاني وكلها فيها أعمال.

كذلك دعوة كل ناطق من النطقاء الستة الذين قدّمنا ذكرهم، وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى عيسى عليهم الصلاة والسلام ومحمد ﷺ كلها مأمور فيها بالعمل والشرائع والأعمال فيها مختلفة كما قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)، والصلاة السابعة التي هي الصلاة على النبي ﷺ وهي قول بلا عمل مثل لدعوة آخر الأئمة وخاتمهم، وهو صاحب عصر القيامة لأنه إذا قام رفع العمل وقامت القيامة»(٨٧).

وهل هناك احتياج للإيضاح أكثر، وهل بعد هذا شك لشاك، وريب لمرتاب بأن الاسماعيلية يقولون برفع التكاليف؟

ونحن لا نورد العبارات، ولا نتعب أنفسنا إلّا توفيراً على الباحثين من المعاناة التي قاسيناها في إخراج الأدلة الواضحة والشواهد القاطعة والبراهين الساطعة من بطون الكتب بعد قراءتها كلمة كلمة، ولفظاً لفظاً، وحرفاً حرفاً، وقطعا على من يتعلل بأن القائل بمثل هذه المقولات الآحاد من القوم.

فيقول الداعي أبو يعقوب السجستاني في كتابه (النصرة):

«أما القائم عليه السلام فإنه يرفع الشرائع»(٨٨).

ويقول الداعي أبو فراس شهاب الدين وهو يذكر النطقاء السبعة:

«فآدم صاحب التطوع، ونوح صاحب التطوع والشريعة، وإبراهيم صاحب التطوع والشريعة والمناهي، وموسى صاحب التطوع والشريعة والمناهي والحدود التي هي عقوبات الدنيا، وعيسى صاحب التطوع والشريعة والمناهي والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة، ومحمد صاحب

---

(٨٧) «تأويل» الدعائم» للنعمان القاضي ج١ ص ١٨٢ ط دار المعارف مصر.

(٨٨) «كتاب النصرة» للسجستاني نقلاً عن «كتاب الرياض» للكرماني ص ٢٠١ ط دار الثقافة بيروت.

التطوع والشريعة والمناهي والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة جميعاً.

وأما القائم سلام الله على ذكره فهو صاحب التأويل الذي هو مجمع جميع شرائع النطقاء وأعمالهم، وهو ربّ يوم الكشف[89].

ويقول الداعي الاسماعيلي محمد بن علي الصورى في منظومته في العقائد:

ثم يقوم الولد النفيس والسيد المؤيد الرئيس
ذاك الإمام قائم القيامة لا شك في ذاك ولا ملامة
ويقتل الخنزير كلب الروم وتيس بغداد حليف اللوم

إلى أن يقول:

ويرجع الدين بالعلم المحض والدين في الحس كغصن غض
ويبطل التركيب والتكليف حين يجيء الرب والصفوف[90]

وقبل أن نسرد نصوصاً أخيرة من الإمام الاسماعيلي المعصوم السابع الثاني المعز لدين الله نريد أن نذكر ههنا أن الاسماعيلية لا يقولون برفع التكاليف بعد الناطق فحسب، بل يقولون برفعها قبل قيام الناطق السابع والقائم للخاصة، فيقول طاهر بن ابراهيم الحارثي:

«أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية والحكم الإلهية التاركون للعبادة الظاهرة، الممتدة أيديهم إلى شيء مما حظرته الشريعة فيكون ولاؤهم وما علموه من علم، غير ضائعين»[91].

---

(٨٩) «كتاب الإيضاح» للداعي الاسماعيلي شهاب الدين أبي فراس ص ٨ ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤م. أيضاً «شجرة اليقين» للداعي عبدان ص ١٢ ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

(٩٠) أنظر «القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصوري ص ٧٠ ط المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق ١٩٥٥م.

(٩١) «الأنوار اللطيفة» للحارثي اليماني ص ١٣٣.

ويقول بعدما يذكر أن للإمام ستا وعشرين حجة:

«فهم اثنا عشر حجج الليل واثنا عشر حجج النهار، والباب، والحجة... وهذه الحجج الذين هم حجج الليل، هم أهل الباطن المحض، المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلوّ درجاتهم، وهم أفضل الستة والعشرين بعد المقام، والباب السابق عليهم السلام(٩٢).

ويؤيد هذا ما ذكره المفضل بن عمر الجعفي عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال تحت قول الله عز وجل: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات:

قلت (أي المفضل الجعفي): يا مولاي، هل علينا معرفة هذه الدرجات؟

قال الصادق: نعم، من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، وما دام لا يعرف هذه الدرجات، ولا يبلغها بمعرفته، فإذ أبلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة فهو حينئذٍ حرّ قد سقطت عنه العبودية، وخرج من حدّ المملوكية إلى حدّ الحريّة باشتهائه ومعرفته.

قلت: يا مولاي، فهل ذلك في كتاب الله؟

قال: نعم، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾.

فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب ولا شيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة، وإنما وضعت الاصفاد والأغلال على المقصرين.

وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك فقد أعتقه من الرق، ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر(٩٣).

وبعد هذا نرجع إلى موضوعنا، وننقل ما قاله الإمام الاسماعيلي المعز لدين الله في هذا الموضوع، وكلام الإمام إمام الكلام، فيقول:

---

(٩٢) أيضاً الفصل الأول الباب الثاني السرادق الثاني ص ١٠٢.

(٩٣) «كتاب الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص ٤١، ٤٢ تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلي ط دار الأندلس الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

«التكرار في الأذان مرة بعد مرة مثل على الظاهر والباطن، ودليل على أنها دعوة بعد دعوة قد تقدمت والأخير الذي يكون في القيامة وهو قول لا إله إلا الله مرة دليل على القائم ينسخ بشريعته كل شريعة قد تقدمت، ولا يحدث شريعة، وإنما يأتي بباطن الشرائع والصحف محضاً مجرداً[٩٤].

وأيضاً:

سئل الإمام المعز عن القائم على ذكره السلام وهو يبطل الشرائع كلها وكيفية سيرته في الدين والشريعة؟

فقال: يأتي بالتأويل المجرد فيتأول جميع صحف الأنبياء، ويأتي تأويل شرائعهم مجرداً كما قال (يوم يكشف عن ساق) والساق هي الحقيقة التي قام الظاهر بها، وبها قامت الدعوة الظاهرة، إن القائم بالتأويل المجرد يرفض ظاهر العمل ولا يرفض العقليات، قالوا: زدنا شرحاً لهذه الإشارات، فقال: الرموزات[٩٥].

وأيضاً:

سئل الإمام المعز عن قول الله تعالى: ﴿**وإذا النجوم انكدرت**﴾؟ فقال: «هو دور القائم على ذكره السلام، تسقط فيه الحدود والمراتب[٩٦].

وهذا آخر ما أردنا اثباته في هذا الباب.

وقد ثبت من هذه النصوص والتصريحات والعبارات الواضحات أن الاسماعيلية يعتقدون بالأمور الثلاثة كلها، الأمور التي كل واحد منها موجب للكفر، ومخرج للإنسان عن الملة الإسلامية الحنيفية البيضاء، أعني:

١ - الاعتقاد بإتيان رسول بعد خاتم الأنبياء سيد المرسلين.
٢ - وانقضاء دوره، ونسخ شريعته بشريعة أخرى.
٣ - ورفع التكاليف الشرعية، والاكتفاء بالباطن المحض.

---

(٩٤) «تأويل الشريعة» من كلام الإمام المعز ص ٥ - نسخة خطية.
(٩٥) أيضاً ص ٤٨.
(٩٦) «تأويل الشريعة» ص ١٨٥ - نسخة خطيّة.

فكيف وقد تجتمع هذه الأمور الثلاثة كلها في طائفة واحدة، وهي تدين وتؤمن بها كلها.

فهل هناك كفر فوق هذا الكفر؟

وهل بعد هذا الاعتقاد خروج على الإسلام ومعتقداته وتعاليمه؟

وكان هذا شائعاً مشهوراً عنهم بين المسلمين من قديم الزمان، ولذلك حكم عليهم علماؤهم وفقهاؤهم ومؤرخوهم بالكفر والزندقة، وسموهم الاباحيين المعطلين.

ولم يكن انكار علي بن الوليد في كتابه (دامغ الباطل وحتف المناضل) على كتاب الإمام الغزالي (فضائح الباطنية) إلا إنكار التقية أو إنكار المجادل المكابر.

كما أن تبرئة الاسماعيلية من قبل الدكتور محمد كامل حسين ومن حذا حذوه عن تعطيل الشريعة ونسخها ليس إلا تبرئة مبنية إما على جهل بالعقائد الاسماعيلية الحقيقية، مثل رميه شيخ الإسلام ابن تيمية بانكار حديث (أول ما خلق الله العقل) مع وروده في البخاري الذي يجعل الإنسان يشك في علمه ومعرفته بعلم الحديث(٩٧).

---

(٩٧) ذكر الدكتور محمد كامل حسين في مقدمة ديوان المؤيد الشيرازي في هامش صفحة ٩٢ بعد ذكر هذا الحديث (أول ما خلق الله العقل) فقال له: أقبل «فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: فبعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أجل منك، بك أثيب وبك أعاقب).

فعلّق عليه بتعليقة رقم ٣:

«نلاحظ أن هذا الحديث أخرجه البخاري، واعتبر ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) أن هذا الحديث موضوع، بينما نرى ابن سينا أخذ به في رسالته (معرفة النفس)» - ثم أعاد نفس الكلام بعد تعديل يسير في مقدمة كتاب (المهمة في آداب اتباع الأئمة) للنعمان القاضي في تعليقة رقم ٢ بعد ذكر هذا الحديث نفسه:

«ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، وأنكره عدد من العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية الذي وضع رسالة في هذا الحديث» (أنظر مقدمة الكتاب المذكور ص ٢٦) وذكر ذلك كذلك في كتابه (في أدب مصر الفاطمية).

أو أنه هو وأمثاله تجاهلوا عن عمد وقصد لغرض لا يعلمه إلا الله، أو هم أنفسهم.

ومما يؤيد هذا أن كل من كتب في الفرق ومقالاتهم، سمّوهم معطلين وإباحيين.

كما أن المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ الاسماعيلية ذكروا نفس هذه العقائد الاسماعيلية والمعتقدات الباطنية في كتبهم.

وإن الشريف أخا محسن من ولد محمد بن اسماعيل والمعاصر للاسماعيلية وقت تغلبهم على مصر، ذكر مثل هذه المعتقدات عن الاسماعيلية، من كون محمد بن اسماعيل ناطقاً ورسولاً، ونسخ الشريعة، ورفع التكاليف.

وهذا هو النويري وهو من كبار مؤرخي مصر ومن مصر، وكذلك المقريزي وهو أيضاً من مصر، ومن الموالين للاسماعيلية المصريين وغيرهم أوردوا عند ذكر صفة الدعوة الرابعة الاسماعيلية فقالوا:

مع أن الدكتور لا يعرف بأن هذا الحديث لم يورده البخاري، لا في صحيحه ولا في غيره اطلاقاً. إن يقصد من البخاري الإمام البخاري.

ثانياً: إن علماء الحديث تكلموا في هذا الحديث كثيراً، وعدّوه في الموضوعات كما هو مبيّن ومصرح في كتب هذا الفن.

ثالثاً: ما وجه المقارنة في تصحيح الحديث بين ابن تيمية وابن سينا حيث يقول:

«إن ابن تيمية يحكم عليه بالوضع بينما ابن سينا يأخذ به»؟

مع معرفة كل من له أدنى المام بالعلم أن ابن سينا لا علاقة له قريبة ولا بعيدة بهذا العلم الشريف، قطع النظر أن يستدل بأخذه حديثاً وتركه إياه مقابل ابن تيمية شيخ الإسلام، والبصير المدقق، والماهر المحقق في هذا العلم الشريف ومثيلاته.

رابعاً: إن هذا الحديث لا شك في كونه موضوعاً كما ذكره شيخ الاسلام، والملا علي قاري وغيرهما من الكثيرين الكثيرين.

اعلم أنَّ الدعوة الرابعة أن تقرّر عند المدعو بأن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال الناطقين على الأمور سبعة بعدد الأئمة سواء، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته، ويحفظها على أمته، ويكون معه ظهرياً في حياته وخليفة له من بعد وفاته، إلى أن يؤديها إلى آخر، يكون سبيله معه سبيله هو مع نبيّه الذي هو تابعه، ثم كذلك لكل مستخلف خليفة، إلى أن يمضي منهم على تلك الشريعة سبعة، ويسمّون هؤلاء السبعة الصامتين، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أوّلهم، ويسمّون صاحب الأوّل سوسه، وربما عبّروا عنه بغير ذلك.

ثم يزعمون أنه لاّ بد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دور ثانٍ، ينسخ به شرع من قبله، ويكون خلفاؤه بعده يجري أمرهم كأمر من كان قبلهم، ثم يأتي بعدهم ناسخ، ثم اتباع سبعة صمت أبدا إلى أن يأتي السابع، فينسخ لجميع ما قبله، ويكون صاحب الزمان الأخير الناطق.

٨ [ثم يرتبون هؤلاء بالتسمية لهم والأوصاف، فيقولون: أوّل هؤلاء النطقاء آدم، وصاحبه وسوسه شيث، ويقال بابه في موضع سوسه ويسمّون بعده تمام سبعة صمتوا على شريعة آدم، ثم نوح فإنّه ناطق ناسخ وسام سوسه، ثم تمام السبعة، ثم الثالث إبراهيم وسوسه إسماعيل، ثم تمام السبعة، ثم الرابع موسى وسوسه هارون، ثم مات هارون في حياته فصار سوسه يوشع بن نون، ثم تمام السبعة بعده، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى، وهو أحد السبعة قبله، وهو أقامه ونصبه، ولهم في هذا ما سيأتي ذكره، وسوس المسيح شمعون الصفا، ثم تمام السبعة بعده، ثم السادس محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وسوسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو المنتهى إليه علوم من قبله، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها، وإليه تفسيرها، وإلى أمره أجرى ترتيب سائر من قبله، في أمور سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

فهذه درجة أخرى قرّرها الداعي عند المدعو نبوّة نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وسهّل بها النقل عن شريعة، وأخرج بها المدعو إليها عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنّ من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنّه خاتم الرسل وأنّه لا نبي بعده، وأن دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالعلم بذلك من ديانته وما عرف من مذهبه، وأنّ أمته بلّغت عنه ذلك وفهمته؛ وأنّ من مفهوم شريعته أنه لم يكن يجوز لأحد نبوّة غيره، في وقته ولا فيما بعده، فكانت هذه الدعوة أوّل ما أخرج الداعي بها المدعوّ عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله في جملة الكفّار المرتدّين عن شريعته، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه(٩٨).

وهذا عين ما ذكرناه من كتب الاسماعيلية أنفسهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(٩٨) أنظر «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري المتوفي ٧٣٣هـ ج ٢٥ ص ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م. «الخطط» للمقريزي ص ٣٩٣، ٣٩٤ ط دار صادر - بيروت.

الباب السابــع

الاسماعيلية : ماهية الدعوة ونظامها

إن للاسماعيلية نظاماً خاصاً بهم، وللدعوة إلى مذهبهم السري هيئتها الخاصة بها، والمخصوصة بهم، لايوجد لاحد غيرهم الا ما ينقل عن الماسونية ومجالسها ما هيتها ونظامها، أو كما يوجد للنصارى نظام كهنوتى ومراتب الدعاة ونظامهم، الاّ أنّ الاسماعيلية في تنظيم الدعوة والدعاة وماهية هذا النظام وهيئته يشبه أكثر ما يشبه بالماسونية، ووجه الشبه الكبير بينهما أن كلاّمنهما مذهب سرّى يخالف جميع المذاهب الموجودة والقيم الروحية، ويقوم على الانحلال والتحلل والاباحة، واستعمال جميع الوسائل لنيل الأغراض والأهداف، وتشكيك الناس في عقائدهم ومعتقداتهم واستخدام الحيلة والمكر والخداع لادخال الناس في مذهبهم، واستدراجهم في دعوتهم على مراحل ومراتب، وتقسيمهم في طبقات ومنازل، وكذلك محاولة الهدم والتدمير والقضاء على الموجود، وكل هذا لا يحصل إلاّ بالسر والكتمان والاخفاء الشديد، والنظام المحكم المستحكم والطاعة العمياء، وإعطاء الناظم، والمشرف والمدير، والرئيس، صبغة قدسية وانه ما فوق البشر، واتصافه بأوصاف ربانية، وتحلّيه بحلى ملكوتية وإحاطته بالعصمة والطهارة، مع الهيبة والاجلال، وكونه لا يسئل عمل يفعل وهم يسألون.

وعلى ذلك لابدّ للباحث أن يتعرف على نظام الدعوة الاسماعيلية وماهيتها لأنه بدون ذلك لا يمكن نه أن يعرف عقائد هؤلاء الناس وأفكارهم المنبثقة من هذا النظام، وكذلك مراتب رجالها وشخصياتها ومكانتهم في

المذهب، ومنزلتهم عند الاسماعيليين، وكذلك شان أقوالهم ومَقُولاتهم، ومرتبة الاحِتجاج والاستناد بها.

وهذا مع أنه لايمكن لأحد أن يتعرّف على مصطلحات الاسماعيلية الكثيرة دون التعرف على ذلك النظام.

فنظام الدعوة الاسماعيلية مبنيّ على رئيس، هو مدار الدعوة وقطبها وعليه يدور رحى المذهب والديانة، فرئيس الدعوة يكون أحياناً الناطق، وأحيانا الأساس، والوصي، وفي حين آخر صاحب الزمان وهو الامام، وقد ذكرنا أوصاف كل واحد منهم ونعوته، ومقامه ومنزلته. والشروط التى تلزمه فيما سبق في باب العقائد مفصلا، نعرض عن ذكره ههنا، ونتدرج إلى ذكر نظام الدعوة ومن دون هؤلاء ممن يلزمهم، ويحيط بهم، وينوب عنهم ويعينهم على بث الأفكار ودعوة الناس إليها، وإدخالهم في إطاعتهم والردّ على مناوئيهم، والمناظرة مع مخالفيهم، كما نذكر ههنا بدء الدعوة حسب المعتقدات الاسماعيلية وتسلسلها وهيئتها ونظامها، فيقول الاسماعيلية: إن المبدع لما أبدع عالم الابداع، وأوجد صوراً كثيرة كانت صورة من تلك الصور المبدعة بمبدعها بدون تعليم معلم وإلهام ملهم، وهي المسمّى بالعقل الأول، والمبدع الأول والقلم، ثم لحقت العقل الأول صورتان أخريان باعتراف المبدع والاقرار به، وسمّيتا بمنبعثين، فأخذ العقل الأول السابق منهما باباً له وحجاباً وبوساطته بدأت الدعوة إلى توحيد المبدع يخاطب منه من دونه، وهو المسمى بالنفس الكلية، والمنبعث الأول واللوح، والعقل الثاني، وتأخر المنبعث الثاني لعدم اعترافه بسبق الأول، ومن هناك كان بدء الدعوة الاسماعيلية في العالم الروحاني[1].

---

(١) ملخص ما ذكره الحسين بن علي بن الوليد في كتابه «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١٠٢ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي» نشر هنري كربين ط طهران، انستيتيوت إيران وفرنسا ١٩٦١م، وكذلك الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد» لطاهر بن ابراهيم الحارثي المتوفي سنة ٥٨٤هـ ص ٨٣ وما بعد من كتاب «الحقائق الخفية» للأعظمى ط مؤسسة الهيئة المصرية ١٩٧٠م.

ويذكر الحامدي هذا بقوله:

«احتجب المبدع الأول القائم بالفعل بالمنبعث الأول، كاحتجاب المتعالى سبحانه به، وذلك لتمامه وكماله وعلوه، وجلاله، وفعله في التزامه بحده، وتقديسه وتمجيده، وشهادته لمن شهد له بما شهد به، واتحد به المبدع بمعنويته.

ثم وضعت الدعوة لذلك العالم به، فاجاب البعض بالتلبية والانابة والتسبيح، والتقديس، والتمجيد له، ولمن دعاهم إليه، ودلهم عليه، لكونه قد صار غيبا لايدرك لما احتجب به، وتقاطر الذين اجابوا فئة بعد فئة، سبع فئات»(٢).

وأما في العالم الجسماني فكان بدء الدعوة من صاحب الجثّة الابداعية الذي ذكرنا ظهوره وخلقته في مبحث المبدأ في باب العقائد الاسماعيلية مفصلاً، وخلاصة القول أنه لما ظهر آدم الأول وصاحب الجثة الابداعية من مغارات سرانديب على اختلاف الأقوال من بين الثمانية والعشرين شخصاً، علم بغير معلّم ولا ملهم مبدعه فأقرّ به مثل العقل الأول، ثم أقبل على السبعة والعشرين الذين ظهروا معه فدعاهم إلى الإقرار بمبدعهم والاعتراف له بالألوهية فأجابوا إلى ذلك وأيّدوه في دعوته وشهدوا بما شهد به، فسموا حدوده أي المؤيدين لِدَعوته والمعيّنين عليها، والناصرين له، وهم أركان الدعوة(٣).

ثم وزّع صاحب الجثة الابداعية، أو آدم الأول، أو الشخص الفاضل كما يسميه الاسماعيلية على هولاء السبعة والعشرين أعمال الدعوة وفوض اليهم أمورها، ورتّبهم على مراتب، ونصب لهم مناصب، فيقول الداعي

---

(٢) «كنز الولد» لابراهيم بن الحسين الحامدي المتوفي ٥٥٧هـ ص ٦٨ الباب الثالث ط دار الاندلس، بيروت ١٩٧٩م.

(٣) ملخص ما قله الحسين بن علي بن الوليد في كتابه «رسالة المبدأ والمعاد» ص ١١١ الفصل الثاني وما بعد وكذلك «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن ابراهيم الحارثي الباب الثاني من السرادق الثاني ص ١٠١ وما بعد.

الاسماعيلي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني مبيّنا دعوته، وهذه المراتب والتقسيمات: إن المتحد بالعقل العاشر الذي «أشرقت ذاته إشراقا كليا، ونطق بالحكمة والموعظة الحسنة واطلع من المغيبات والمحاضرات على جميع الفنون، وعلم ما كان وما سيكون، وقام في عالم الجسم مقام العقل الأول في عالم العقل، ومقام العقل العاشر في مقامه منفرداً برتبة الوحدة، ومقام العظمة، موسوما بالابداع في هذا العالم، فدعا تلك الاشخاص السبعة والعشرين إلى توحيد الله تعالى، وتنزيهه وتجريده، فأجابوه مسرعين، ولبّوا دعوته مهطعين، وأخذ عليهم العهود المؤكدة، والمواثيق المغلظة المشددة، وعلمهم ما اصل به وإليه من المتحد به، واطلعهم عليه من العلوم الغيبية، والأسرار الملكوتية، بعد أن أوضح لهم الحلال والحرام، وعلّمهم القضايا والاحكام، وقنن لهم قوانين العبادة، وأفادهم جميع ما يحتاجون إليه من الافادة، وأمرهم أن يشعروا العالم نكاح تلك الاناث على حسب ما سنّه لهم من السنة، ومنّ عليهم من المنة، وأودعهم جميع ذلك وأوزعهم ما هنالك واختار منهم ستة عشر شخصاً أقام أفضلهم بابا، والثاني حجة، وداعيين أحدهما داعي بلاغ، والثاني داعي مطلق، واثنا عشر جعلهم حجج الليل، وتركهم بحضرته لايفارقونه، وفرّق أحد عشر شخصا وهم الباقون في جزائر الأرض الاحدى عشرة، والثاني عشر هو الكائن معه في جزيرته التي هو فيها، ورتبهم محفوظة في جميع الجزائر إلى الآن، وإلى آخر الزمان. وأمر كل واحد منهم بالدعوة له في جزيرته التي جعلها إليه، ويقال لهم حجج النهار الاثنا عشر، فقامت الدعوة له كما أمر جميع أهل الجزائر عما نهى وزجر، وهذه الحجج الذين هم حجج الليل، هم أهل الباطن المحض، المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم وهم أفضل جميع الثمانية والعشرين بعد المقام، والباب السابق عليه الكلام، وحجج النهار هم القائمون بالظاهر والباطن جميعا[٤].

---

(٤) «الأنوار اللطيفة» الباب الثاني من السرادق الثاني ص ١٠٢ ومثل ذلك في رسالة «المبدأ والمعاد» ص ١١٣ وما بعد من «سه رسالة اسماعيلي».

فمن هنا بدأت الدعوة في العالم الجسماني، كما كان بدء الدعوة من العقل الأول في العالم الروحاني، ومن آدم الأول أخذت هيئة الدعوة، وعلى أساسها قام نظامها حسب زعم الاسماعيلية على اختلاف بينهم في عدد حدود الدعوة وأركانها وأسمائهم ومراتبهم كما نحن في صدد بيانه، ولكن الاسماعيلية نصّوا على أن الامام لا يكون إلا في سلالة صاحب الجثّة الابداعية، ولا تتسلسل الامامة إلّا في عقبه دون أخلاف الحدود الآخرين وأعقابهم[٥].

هذا، ويذكر النعمان القاضي حدود الدعوة في العالم الجسماني، والذي يسمى أيضاً عالم الدين، والعالم السفلي أيضاً بعد ذكر الحدود العلوية:

«والحدود السفلية هم الأسس، والأئمة، والحجج، والنقباء أصحاب الجزائر، والأجنحة وهم الدعاة، والسادس من الحدين هو القابل، وصار ابليس عدوا لآدم وضده، وكل من وإلى الله تعالى من ناطق وصامت وإمام وحجة وتولاهم وائتم بهم فهو من حزب آدم الذي هو حزب الله تعالى، وكل من عادى أولياء الله وناصبهم وبعد عن أمرهم أو ادعى مقامهم فهو من حزب ابليس الذي استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله[٦].

وقد فصل القول في موضع آخر من كتابه هذا عن حدود الدعوة مبيّنا تأويل قوله تعالى: «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون» فقال:

فباطن المدينة حد حرم الباطن، ورهط الحرم تسعة اصناف فكان بازاء كل صنف منهم رهط من أضدادهم يفسدون حدود الدعوة، فأول صنف من رهط الحرم النطقاء، والثاني الأسس، والثالث الأئمة، والرابع الحجج،

---

(٥) انظر «الأنوار اللطيفة» الفصل الثالث من السرادق الثالث من الباب الثالث ص ١٠٨.

(٦) «أساس التاويل» للنعمان القاضي المتوفي سنة ٣٦٣هـ - ص ٧٠ ، ٧١ ط دار الثقافة بيروت.

والخامس النقباء، والسادس الأيادى، والسابع الأجنحة، والثامن المأذونون، والتاسع المستجيبون»[٧].

ثم بين عمل كل واحد من هؤلاء الحدود ومرتبته فقال:

«ان الناطق يقوم بظاهر الشريعة، والحجة يقوم بباطنه... إن علم الناطق قد قسم بين حجته وعامة أهل دعوته، فهو يفيد أهل الدعوة بظاهره ويفيد حجته بباطنه وحجته يفيد اللواحق، واللواحق يفيدون الأجنحة والأجنحة يفيدون المؤمنين[٨].

هذا وقد ذكر الحدود وأسماءهم وأعمالهم الموزعة عليهم ومراتبهم، الداعي الاسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني المتوفي ٤١١هـ بأسلوبه الفلسفي بقوله:

«وكانت مراتب الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كما لها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقول خروجا إلى الفعل من حد القوة وحصولا في حيز البقاء والأزل عن البركة الممنون بها عليهم في عالم الوضع الذي هو مجمع السنن الالهية عشرا، إن المراتب العشر ثلاث منها كلية، وسبع منها تابعة، فالثلاث الكلية هي الرسالة التي هي اضافة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة التي هي اشياء كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود وتنال الكمال الأول، ثم الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها والقيام بها بجميع التنزيل وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة بها تتصور الأنفس بالصورة الابداية وأنال كمالها الثاني. ثم الامامة التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع اشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهرا وباطنا، وجذب الأنفس إلى الوجود، وبذلك سماهم الله تعالى: «أولى الامر» والسبع التابعة هي أولاً: فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب. وثانياً. الحكم في ترتيب

---

(٧) أيضاً ص ١٠٤، ١٠٥.

(٨) انظر «أساس التاويل» أيضاً ص ١٠٣.

المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب الـذي يتعلق بالحجـة، ولذلـك قال الله تعـالي إخبـارا عن منتـه عـلى داود: ﴿وآتينـاه الحكمة وفصـل الخطاب﴾ اذا كـان حجة فعلت درجتـه فنال المنـة بالبابية، ، وثالثا: الاحتجاج بالبرهـان في إثبات الحـدود العلوية ومـراتبها في وجوداتها وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعى البـلاغ. ورابعاً: تعليم العبـادة العلميـة ونشر التـأويـل وتعـريف الحـدود الـذي يتعلق بـالـداعي المطلق. وخامساً: تعليم مـراسم العبادة العلميـة وتعريف الحـدود السفلية وأدوارهـا صغارا وكبارا الذي يتعلق بالداعي المحصور. وسادساً: أخذ العهد والميثـاق وتعريف رسوم الدين، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق. وسـابعا: المكاسرة والهداية إلى الحق والاعتصام بالحبل الذي يتعلق بالمأذون المحصور. وإن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها، ثم لا تنعكس كالناطق الـذي يملك مادونـه من المراتب، والـوصي الذي يملك مـا دونه ولا يملك مـا فوق، فالأعالى للاسافل جزئية، مترتب كله على ما صورناه ليعاين.

المراتب السافلة للأعالي
جزئية بمعنى أنها لا تنعكس
ولا يستحق التحتاني ما فوقه

الناطق
الأساس
الإمام
الباب
الحجة
داعي البلاغ
الداعي المطلق
الداعي المحصور
المأذون المطلق
المأذون المحصور
الكاسر

المراتب العالية الكلية كما نقول كل ناطق ناطق وأساس وإمام وغير ذلك إلى آخر
المراتب وكل أساس أساس وإمام وحجة وداعي وغير ذلك إلى آخر
المراتب، وكذلك كل عالي مرتبة على من دونه ولا ينعكس
فلا يجوز أن نقول إن كل أساس ناطق
وكل إمام أساس

وإنه لما كان الناطق جامعاً للبركة محتويا على مراتبها كلّها، وكان له التنزيل والتأويل والأمر وفصل الخطاب، والحكم والابلاغ وتعريف الحدود العلوية وتعريف الحدود السفلية وأخذ العهد والهداية واختص منها بالتنزيل الجامع للشريعة الذي هو بعض منها، وأقام الأساس دونه للتأويل كان كونه كذلك شاهدا في ميزان الديانة بأن الابداع الذي هو المبدع الأول ذو مراتب عشر يختص منها بالتصوير الذي هو تكوين الصور التي هي أعيان المبادىء في الوجود عموماً والفلك الأعلى خصوصا، ولذلك سماه الله في كتابه المصور وأن يترتب عنه دونه بالابتعاث غيره ثانيا، وكان كون الاساس جامعاً للمراتب واختصاصه منها بالتأويل الذي هو بعض منها واقامة الامام دونه شاهدا بان الموجود الثاني الذي ترتب دون الأول بالانبعاث مالك للمراتب ويختص منها بالبرء الذي هو اعطاء ما حصل في الوجود من الصور أليق شيء به على ما يوجبه نظم الحكمة عموماً والفلك الثاني خصوصاً ولذلك سماه الله تعالى الباري، وان يترتب عنه دونه غيره ثالثا، وكان كون الامام جامعاً للمراتب واختصاصه منها بالأمر والسياسة للامة التي هو بعض منها، واقامته دون الباب شاهدا بأن الموجود الثالث المترتب دون الثاني بالانبعاث جامع للمراتب، ويختص منها بالخلق الذي هو التركيب عموماً والفلك الثالث خصوصاً، ولذلك سماه الله تعالى في كتابه الخالق، فجمع المراتب الثلاث في آية واحدة، ونسبها إلى الأول فقال: ﴿**هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى**﴾ أي له المراتب التي دون ذلك، وأن يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره رابعاً، وكان كون الباب جامعاً لما دونه واختصاصه من مراتب البركة بفصل الخطاب الذي هو بعض منها واقامته دون الحجة شاهدا بأن المترتب الرابع الذي هو دون الثالث جامع للمراتب دونه يختص منها ببعض مابه يوجد الموجودات في دار الجسم عموماً وبالفلك الرابع خصوصاً، وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره خامسا، وكان كون الحجة جامعاً للمراتب التي دونه واختصاصه منها بالحكم الذي هو بعض البركة، واقامته داعي البلاغ شاهدا بان الموجود الخامس المترتب دون الرابع له المراتب التي دُونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموماً وبالفلك

الخامس خصوصاً، وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره سادساً، وكان كون الداعي قائما بالبلاغ ودونه غيره مترتب شاهدا بأن الموجود السادس المترتب دون الخامس له المراتب التي دونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموماً وبالفلك السادس خصوصاً وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره سابعاً، وكان كون الباقين من الحدود على ذلك، واختصاصهم بما قد اختصوا به وترتب من يقوم دون كل منهم إلى العاشر بحسب المذكور في كيفية الانبعاث من وجود الموجودات شاهداً بأن يترتب عن كل واحد منهم غيره دونه، ويختص بسماء إلى العاشر الذي صار تماما لعالم الانبعاث وتأثيره مختص بما دون فلك القمر من الاجسام المستحيلة والمتولدة على ما عليه حال الحد العاشر الذي هو المكاسر في تأثيره في الأنفس واختصاص فعله يجذبها إلى طريق الحق.

والجدول الآتي صورة جامعة لذلك تقريباً:

الحدود العلوية		الحدود السفلية	
الموجود الأول هو المبدع الأول	الفلك الاعلى	الموجود الأول هو الناطق	رتبة التنزيل
الموجود الثاني هو المنبعث الأول	الفلك الثاني	الثاني هو الاساس	رتبة التأويل
الموجود الثالث	الفلك الثالث (زحل)	الثالث هو الإمام	رتبة الأمر
الموجود الرابع	الفلك الرابع (المشتري)	الرابع الْباب	رتبة فصل الخطاب (الذي هو الملك)
الموجود الخامس	الفلك الخامس (المريخ)	الخامس الحجة	رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا
الموجود السادس	الفلك السادس (الشمس)	السادس داعي البلاغ	رتبة الإحتجاج وتعريف المعاد
الموجود السابع	الفلك السابع (الزهرة)	السابع الداعي المطلق	الحدود العلوية والعبادة الباطنية
الموجود الثامن	الفلك الثامن (عطارد)	الثامن الداعي المحدود	رتبة تعريف الحدود السلفية والعبادة الظاهرة
الموجود التاسع	الفلك التاسع (القمر)	التاسع المأذون المطلق	رتبة أخذ العهد والميثاق
الموجود العاشر	ما دون الفلك من الطبائع	العاشر المأذون المحدود الذي هو المكاسر	رتبة جذب الانفس المستجيبة

وقد يوجب ميزان الديانة وزنا آخر يؤيّد ما قلناه، وهو أن يجعل مكان الحدود دون النبي والوصي والأئماء السبعة في الدور ليكون كل منهم في عالم الدين بازاء عقل موجود في عالم الأبداع فيكون عاشرهم القائم الذي يتمم الدور ويقوم بنفسه في مرتبته يحكم في الأنفس كلها، ويملك عالم الطبيعة ويحكم فيها، ويكون هو الذي لا يترتب بعده مرتبة أخرى لكونه النهاية الثانية على ما تقدم من تصويره فقد بان بذلك أنه العاشر من الحدود السفلية لكونه نهاية لذوى المراتب التي عنها وبجميعها تكون المواليد الروحانية ولم يترتب دونه مرتبة، وانه ليس له إلّا العناية بالأنفس في دار الطبيعة وجذبها إلى بيت العبادة لترتقي في الدرجات. وظهر بكون ذلك كذلك أن العاشر من الموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام لتكون عنها المواليد الجسمانية ولكونه نهاية وقف الانبعاث عنده، وأنه ليس له إلّا العناية بعالم الكون والفساد، ومواصلة ما يتهيأ منه للقبول ومراقدته كالعاشر من الحدود السفلية الذي ليس له بالأنفس وجذبها إلى العبادة والطاعة. ثم نقول إنه معلوم من المقدمات أنها اذا كانت مثل شيء، وذلك الشيء مثل شيء آخر، فذلك شيء، الآخر مثل المقدمات، واذا كان ذلك كذلك، وكان نظام ترتيب الحدود السفلية في عالم الدين مثل نظام الموجود في ترتيب الأجسام العالية، وكان نظام الاجسام العالية بكونه معلولا عن عالم الابداع نسبيا للنظام الموجود فيه ومثلا، كان الموجود من الحدود السفلية مثل الموجود من العقول العلوية في عالم الابداع والانبعاث مثلا بمثل»(٩).

هذا ولقد ذكر هبة الله الشيرازى أسماء الحدود وترتيبهم كالآتي:

«النبي، الوصي، الإمام، الحجة، الداعي، المأذون، المستجيب»(١٠).

---

(٩) «راحة العقل» ص ٢٥٢ - ٢٥٧، أيضاً «تحفة القلوب» لحاتم بن ابراهيم الحامدي. نسخة خطية ص ١٤٤.

(١٠) انظر «المجالس المؤيدية» المجلس الثالث من المائة الثانية نقلا عن كتاب «المجالس المستنصرية» تحقيق محمد كامل حسين - ط: دار الفكر العربي القاهرة.

وأما الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب أسحاق السجستاني فلقد ذكر حدود الدعوة أيضاً، وبيّن مهمة كل واحد ومعنى الاسم الذي يطلق عليه ولكن بشيء من التبديل والتغيير في الأسماء والعدد، فيقول وهو يذكر أركان الدعوة في العالم الجسماني بعد ذكر أركان الدعوة في العالم الروحاني:

«وأما الحدود الجسمانية الذين جعلهم الله تعالى وسيلة بينه وبين عباده فأولهم الرسول ويسمى ناطقا، فمعنى وقوع اسم الناطقية عليه إضافة إلى قوته وغلبته ونصرته إلى النطق، لا إلى شيء من أسباب الجسد وهيئاته مثل الشجاعة والجود والعشرة، وان قدرته على تسخيره الأمة وغلبته على الحق انما هو من أجل نطقه وصفوة نفسه إذ ليس من آثار النفس عندنا أطهر من النطق فقيل له من أجل ذلك ناطق، يعني قاهر أمته بالنطق. . . . . ثم الوصي، ويقال للوصي اسم الأساس فمعناه أنه أساس المؤمنين لبناء آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي، فاشتق للوصي اسم الأساس ويقال له أساس الأئمة واللواحق، وأساس دور الكشف، ويقال للرسول والوصي بكلمة واحدة «الأساسان» على أن ما ورد من التنزيل والتأويل كان لدينهما ودنياهما وأولاهما وعقباهما، إذ بالتنزيل عصمة الرجل وماله، كما أن بالتأويل حياة روحه ونجاة نفسه. . . . . ومن الحدود الجسمانية الإمام، ويقال له المتم، فمعنى المتم أن بالائمة تتم أدوار النطقاء على أن لكل أمام متما حظه ونصيبه من دور ناطقه ليبلغ الأمر من الأول إلى الثاني. . . . . وبعد الامام الحجة، ويقال له لاحق فمعنى اسم الحجة هو أن الامام لا يمكن أن يقيم حجته على أهل زمانه من نفسه وذلك لطول الأرض وعرضها، فقسّم الأرض بأقسام الفلك على اثنتي عشرة جزيرة بازاء برج من بروج السماء وسبعة أقاليم ازاء السبعة الأفلاك، فجعل في كل اقليم حجة وفي كل جزيرة لاحقا ليدعو الخلق إلى دين الله وتكون حجته على الخلق قائمة، وأما معنى اللاحق فانه مشتق من اللحوق ولما كان التأييد إذا جرى مجرى الخصوص لا يتعدى من واحد في كل زمان لتكون رئاسة العلم خالصة لذلك الواحد ولم يمكنه إقامة الحُجة على الخلق بنفسه كما ذكرنا من طول الأرض وعرضها فأمر بنصب

اللواحق في الجزائر لكل لاحق منهم خليفة هذا المخصوص وله قسط من تاييده ليمكنه بقوته وسياسته في جزيرته فهو لاحق له ويقال إلى الجماعة لواحق ويقال للامام والحجة بلفظة واحدة (الفرعان) فمعنى الفرع أنه مضاف إلى الأصل فوجب أنه إذا قلت للفرع وجب به الأصل، ومعناه أن الامام والحجة فرعان من الأصلين قاما في العالم الجسماني مقام الأساسين، وفي العالم الروحاني مقام الأصلين ثم (اليد) ومعنى اليد أن كل لاحق لابد له من واحد يعتمد عليه ويثق به ويستقيم إليه ليقوم مقامه ويحدث به أمر يصلح وأسبابه وأسباب من قلده أمرهم، فوجب من أجله أن يكون عدد الأيادي عدد اللواحق وأما (ذو الامتصاص) فإنه ربما اتفق لبعض المختارين صفوة يتهيأ له بصفوته مص ما يترجم بلسانه مما وقع له من الحلاوة والدراية مما لا يشك فيه أنه ليس بالتفكير ممكن الوصول إليه فعلم أن صاحبه قد مص من العالم البسيط المصة الشرعية، ثم (الداعي) ويقال له (الجناح) فمعنى الجناح وإضافته إلى الداعي هو أنه معتمد على اللواحق في الدعوة، لاعلى الدعاة وهم الذين يطيرون في نشر الدعوتين ظاهراً وباطنا ومرتبة الأجنحة تسليم صقع مذكور معروف على الحدود إلى واحد منهم ويتهيأ له أن ينصب من تحت يده جماعة من المأذونين لطوال صقعه وعرضه بعد أن يتوهم فيهم الخير والصلاح والصفة والامانة ثم (المأذون المطلق) وهو من نصبه (الجناح من نواحي صقعه وأطلق له يجري الدعوة فيمن أحب من صقعة ثم (المأذون المحدود) وهو من أذن له الافادة لواحد أو لاثنين أو ثلاثة أو أربعة وهو محدود في مكانه لا يتعدى إلى غيره.

ثم (المؤمن) وهو من عرف صاحب زمانه باسمه ونسبه ومسكنه وبيعته ووقف على مجاري الأدوار والأكوار ومراتب الأسابيع التي تلمع في كل دور وكور ووقف على كيفية البعث والثواب والعقاب ثم (المستجيب) وهو على من استجاب لدعوة الحق وانقاد لمعرفة التوحيد ومعرفة الحدود العلوية والسفلية ومعرفة متشابهات التنزيل والشريعة فهذه جملة أسامى الحدود وما لكل واحد منهم من الخواص والسمات، فإذا وقف المستجيب على هذه الأسامى وحفظها ووقف على معانيها كان التذاذه يصونه عند قدح الطاعنين

وغمز الغامزين وعيب العائبين»[11].

هذا ولقد ذكر الداعي الاسماعيلي حاتم بن عمران بن زهرة من الحدود السفلية الناطق، والأساس، والحجة، والداعي، وجناح، وملحق، وداعي، ومأذون، وصامت، ومستوجب، ومحرم، ومستجيب، ومستعيذ[12].

ولقد ذكر الداعي الاسماعيلي ابراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه الهام «كنز الولد» حدود الدعوة في مواضع عديدة، فذكر في موضع منه أنهم: الرسول، ثم الامام، ثم الباب، ثم الحجة، ثم الداعي، ثم الداعي المطلق، ثم المكاسر، ثم المؤمن، وان الباب هو أقربهم إلى الامام[13].

ومرة ذكر: الامام، ثم الحجة، ثم الباب ثم داعي البلاغ، ثم الداعي المطلق، ثم المأذون المحصور[14].

ومرة أخرى نقل عن ابي يعقوب السجستاني الترتيب هكذا:

الرسول، الامام، الحجة، اللاحق، المجتهد، المستبصر، المستجيب»[15].

وأما جعفر بن منصور اليمن، وهو أحد بناة هذا المذهب وداعي دعاته فانه يذكر أسماء أخرى، كما يقدمّ على باب الامام منصبين آخرين، مع أن الباب يقال عنه:

هو من حدود الصفوة والباب، فهو أفضل الحدود، وهو حد العصمة، ولا ينتهي إلى ذلك إلاّ الآحاد والأفراد، وهو باب صاحب الزمان الذي يؤتى

---

(١١) «تحفة المستجيبين» للداعي الاسماعيلي أبو يعقوب السجستاني ص ١٥١، إلى ١٥٤ من «خمس رسائل اسماعيلية» جمع عارف تامر ط دار الانصار دمشق ١٩٥٦م.

(١٢) انظر رسالة «الاصول والاحكام» ص ١١١ من «خمس رسائل اسماعيلية».

(١٣) انظر «كنز الولد» ص ٢٤١ و ٢٤٣.

(١٤) أيضاً ص ١٦٣.

(١٥) «كنز الولد» ص ٢٥١.

منه إليه وحجته على الخلق، وحامل علمه، وصاحب دعوته»[16].

ولكن جعفر بن منصور اليمن كما قلنا يذكر ترتيب أركان الدعوة وحدودها على النحو الآتي :ـ

" الامام، الحجة، ذو مصة، الباب، الداعى، المكلب، المؤمن "[17].

فعلى كل، وعلى اختلاف في القول هؤلاء هم أركان الدعوة الاسماعيلية غير الحجج الليلية والحجج النهارية الأربعة والعشرين حيث أنهم يوفقون بين جهاز الدعوة وبين النظام الفلكي ودورته، فجعلوا العالم مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثنى عشر شهراً. والعالم مقسم إلى اثنى عشر قسماً، ويطلق على كل قسم جزيرة[18].

وهي : العرب، والترك، والبربر، والزنج، والحبشة، وخزر، والصين، والفارس، والروم، والهند، والسند، والصقالبة[19].

فلكل جزيرة من هذه الجزر داعٍ ويسمى بحجة الجزيرة أو داعى الدعاة، ثم إن الشهر ثلاثون يوماً، فعلى ذلك يجب أن يكون في كل جزيرة ثلاثون داعياً يساعدون داعى الدعاة أو حُجة الجزيرة، ثم إن لكل يوم أربعاً وعشرين ساعة، منها اثنتا عشرة بالنهار واثنتا عشرة بالليل، فلذلك جعل لكل داع أربعة وعشرون داعياً المسمون بالحجج الليلية والحجج النهارية، فحجج الليل يحضرون في حضرة الامام ولا يفارقونه، ويتولون أمور الدعوة الباطنية، وحجج النهار يرسلون إلى الجزر الاثنتى عشرة، وهم يقومون بالدعوة الظاهرة[20].

---

(١٦) نقلا عن «أدب مصر الفاطمية» لمحمد كامل حسين ص ٣٩ ط دار الفكر العربي.

(١٧) «كتاب الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمن ص١٣٠ ـ نسخة خطية.

(١٨) ويقصدون من الجزيرة القسم، لا الجزيرة الحقيقية.

(١٩) Rise of Thefatimids by Ivanow P. 20

(٢٠) انظر «الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمن، و«المجالس المؤيدية» للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي.

ثم يقولون : إن المحيط من الأفلاك مثل على مرتبة الناطق المحيط بجميع مراتب حدود الدين إحاطة المحيط بالأفلاك .... ثم كان في ضمن المحيط فلك البروج، وهي فيه مقسومة إثنى عشر قسما، كل قسم منها برج، كان ذلك مثلا على مرتبة الوصي الكائن جميع الحدود صغيرها وكبيرها في ضمنه، وهو جامع بحجج الجزائر الاثنتى عشرة المستولى كل واحد منها على من في جزيرته من الحدود والمؤمنين كجمع فكل البروج للبروج الاثنى عشر، وكل برج منه يستولى على عدة من النجوم صغارها وكبارها.

وكان في ضمن فلك البروج فلك زحل. وهو مثل على مرتبة الإمام القائم بعد الوصي والنبى، الخالف لهما في مقامهما العالى السنى، المحيط بما دونه من الأفلاك الجرمانى احاطة الامام عليه السلام بما دونه من الرتب الدينية.

وكان في ضمن فلك زحل فلك المشترى. وهو مثل على مرتبة الباب، القائم بين يدى الامام لفصل الخطاب، المكنى عنه بالحجاب، الكائن مركزا لاهل الثواب، ككون الامام عليه افضل السلام من تلقائه وقع مخالفوه في أليم العقاب. وكذلك الباب لا يعرفه إلا أهل الطاعة والثواب. والامام ظاهر لكافة الخلق، فمعصيتهم له إلى العذاب أقوى الأسباب.

وكان في ضمن فلك المريخ فلك الشمس. وهو مثل على مرتبة داعى البلاغ القائم عن أمر الحجة في أهل دعوته بالابلاغ.

وكان في ضمن فلك الشمس فلك الزهرة، وهو مثل على مرتبة داعي المطلق، وهو الذي قام بإبلاغ أمر داعي البلاغ وحقق، وكان في ضمن فلك الزهرة فلك عطارد وهو مثل على مرتبة داعي الاحرام، المنفذ لما يأمر به داعي المطلق من القضايا والأحكام.

وكان في ضمن فلك عطارد فلك القمر. وهو مثل على مرتبة المأذون المطلق، في نشر ما علم من علم داعى الاحرام وحقق.

وكان في ضمن فلك القمر الطبيعة السارية في عالم الكون الفساد وهي مثل على مرتبة المكاسر المقام في أهل الظاهر بالجهاد، الساري فيهم للأرقاء لمن قبل منهم، والاصعاد المؤثر فيهم، بقبولهم ربع الكون، وبعصيانهم خسران الفساد، والجاذب لمن أطاعه منهم إلى دائرة الوجود الحقيقي بالهداية والإرشاد.

وهذه المقابلة بهذه الأفلاك لرتب هؤلاء الحدود لأشخاصهم، وهي الأفلاك دون الكواكب السيارة فيها»(٢١).

وبمناسبة ما ذكرناه من الداعي الاسماعيلي الكبير علي بن الوليد أركان الدعوة وحدودها ومراتب هؤلاء الدعاة مقابل البروج، نريد أن نذكر الأعمال الخاصة بهم أيضا وتنقلهم من مرتبة إلى مرتبة وترقيهم من درجة إلى درجة من هذا الداعي الاسماعيلي الذي يبين كل هذا في تفسير باطني لقول الله عز وجل «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» الخ قبل انتقالنا إلى مراتب الدعوة وبيانها، فيقول:

ولما كان الشخص الإنساني الذي هو آخر المواليد الجسمانية لا يخرج إلى حد كماله إلا بعد تنقله في سبعة أحوال، وهي التي ذكرها الله بقوله: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين»، كان إنتقال المولود الديني لذلك في أحواله إلى أن ينتهي إلى كماله في بطن أمه المتولية لحضانته، وتلك دعوة الوصي في عصره، ودعوة حجة كل إمام في وقته، المعنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين» وبقوله: «الأرض أمكم وهي بكم برة» في أصول سبعة بها يحصل كما له الثاني.

---

(٢١) «جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد ص١١١، ١١٢ من «منتخبات اسماعيلية» تحقيق الدكتور عادل العواء، ط: مطبعة الجامعة السورية. دمشق ١٩٥٨م.

وذلك أن أول الحدود كما سبق القول به هو المكاسر. فهو يستخرج من أهل الشريعة الغراء بمكاسرته وإلقاء إحتجاجه وحسن عبادته بمرافدة حدود لدين العالمين عليه، وسواري موادهم المتصلة إليه، من أصغى وأجاب، وقبل المواعظ وأناب فيعقد عليه العهد الكريم، ويلزمه ولاء ذوى التسليم، ويوقفه في حد الاستجابة القريب، ويروض نفسه بالتقويم له والتأديب، ويغذيه بخلص التأويل، ويضرب له الأمثال المطابق محسوسها للمعقول، فيكون نفس المستجيب في هذا الحد سلالة دينية مقابلة ومماثلة للسلالة الجسمية التي قد حصلت في الرحم.

وقد وقع على هذه السلالة الدينية اسم الوجود، وحصلت في حيز الحرم الكريم، ودخلت في أول أبواب جنة النعيم، ورقت أول درج سلم النجاة، وفارقت أهل البغي والمداجاة فمتى أكمل المستجيب هذه الرتبة بالمواظبة على ما يندب إليه من الأوامر، والإنتهاء عما ينهى عنه من النواهي والزواجر، وجب على من في أفقه نقله إلى رتبة المكاسر، لتخلفه في فلك. . . . . فيتولى ما كان حده مستويا من الهداية والإرشاد، ويقوم بما كان قائما به من تخليص من أجابه من عالم الكون والفساد، فيكون نفس المؤمن في رتبة نطفة دينية مقابلة للنطف الجسمية، ممتازة عن السلالة بمرتبة العلمية.

فإذا ادعى فيما أقسم فيه حق الواجب، وقام بالغرض والأرب، وتبين منه حدة صفاء وإخلاص واستوجب منه بذلك إصطفاء وإختصاصا، نقله إلى مرتبة المأذون المطلق، فأطلق له ما كان قبل ذلك فيه محصوراً، وأجيز له من التصرف في الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها ما كان فيه ممنوعاً ومحصوراً. وهذه المرتبة للنفس مرتبة العلقة الدينية، مقابلة للعلقة الجسمية.

ولها بانتقالها فيها على من دونها المرتبة بحق الخدمة فيها صرف أمره إليها، وتبذل الجهد في العناية والتقويم لمن كان عهد تخليصه عليها، حتى إذا وقف مستأجرها حق الأجرة في ربح اعناه وقامت بما أقامها له حق قيامه، استحقت منه نقلتها إلى مرتبة الداعي المحصول، فقامت في تلك المرتبة كافلة لما كلفها من الأمور، وهي في هذه المرتبة مضغة دينية مقابلة للمضغة

الجسمية، بصقال الصور النفسية بالفوائد، وجلائها ملية بازائها في رتب المعارف الحقيقية، واعلائها، حتى إذا سلمت فيها إستودعته حق الإمانة، واستَحْفَظَتْه من الخيانة، نقلها عن الحصر إلى الإطلاق، وذكت بسوابق عملها، وعطف مولاها عليها، من أسر الوثاق، فنقلها إلى مرتبة الداعي المطلق في الإصدار والإيراد، والإقامة لمن شاء من حدود الدين والاقعاد. وهي في هذه المرتبة حائزة رتبة العظام الدينية مقابلة لمرتبة العظام الجسمية، فتقوم في تلك المرتبة خالفة لمولاها، شاكرة لما أنعم به عليها وأولاها، مبسوطة إليه. . . . . . . في أهل جزيرتها، مملكة الاعطاء والمنع في دائرتها.

حتى إذا بلغت مراد مقيمها في نشر أعلام الهداية، ورعت أمانته فيها، إسترعاها حق الرعاية واستوجبت نقلها إلى مرتبة الكمال والبلاغ فتكون في مرتبة اللحم الدينية المقابلة لمرتبة اللحم الجسمية، فتولى تلك المنزلة أحسن الولاية، وينال من الشرف والرفعة بها أبلغ الغاية إذا وفت خدمتها في فلكها، ونصحت في سرها وجهرها لوليها ومالكها، إستحقت النقلة إلى مرتبة الحجة العظام التي هي الباب الأكبر، والمقام الأنور، والجمع الداني المستحق أن يكون الإمام الثاني. وهو تحقيق قول الله تعالى: «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» فتستقر في ضمن فلك الدائر، حصل لها المرتبة المقابلة من الخلقة الجسمية للخلق الآخر، فيصير الإنسان بالفعل قد حاز حد الكمال الثاني، وفارق العالم الداني الفاني، كمفارقة الجسم عند الولادة لضيق الاحشاء والأرحام، وقيامه بوفاء الخلقة والتمام.

ولما كان المولود الجسمي بعد كماله في سبعة الأحوال ينتقل إلى كماله المشاكل فيه لأبويه غير هذا الانتقال، وذلك أنه ينتظر به أوان البلوغ واستكمال المادة الجسمية برهة حتى يستكمل، وحينئذ يستأنف ما تولاه أبواه من إيجاد مثله، ويستقبل كذلك الإنسان الحقيقي، والشخص الفاضل الديني، الذي هو زبدة العوالم وصفوها، وخلاصتها وليها، عند اجتماع أجزائه وكماله واستعلاء رتبته وجلالها وكونها قد حازت الخلق الآخر،

وسكنت سكون الغنى عن حركة الحاجة، فلم يبق لها إلا حركة الحامد الشاكر، فإنها تلبث برهة لتمام بلوغ الميقات، ثم يبرز مقاما اماميا مليا بتدبير أراضي الدعوة الهادية، والملة النفسانية والسموات، فيعطف مستقبلا لإستخراج مثله من صفو أرض الكتاب والشريعة، ومرقيا له بسواري فيض أنواره في درجات الحدود الرفيعة، حتى يحصل في افقه ماثلا، وينال الغرض الذي كان له أملاً، ويصير سنبل زرعه الحكمى حاصلاً فسيتخلفه في عماله كما استخلفه الذي قبله مستخرجا لزبد أهل الإيمان، ويرقى هو إلى جوار الملك الديان، ماكثا في البرزخ العالي إلى يوم يبعثون، وحائزا مرتبة رجال الأعراف التي فيها إلى بلوغ الميقات يبعثون»[٢٢].

فهذا هو نظام الدعوة عند الإسماعيلية، وهذه هي هيئتها، وهؤلاءهم أركانها المعبر عنهم عند القوم بالحدود.

ولا يكون الشخص مؤمنا حقيقياً إلا بعد ما يؤمن بهؤلاء الحدود مع إيمانه بالإمام والأساس والناطق، ولا تصح طاعته إلا بطاعتهم كما يقول الداعي الاسماعيلي الحسن بن نوح الهندي:

«إن طاعة المستجيب لا تصح لله تعالى إلا بطاعة المأذون. وطاعة المأذون لا تصح لله تعالى إلا بطاعة الداعي. وطاعة الداعي لله لا تصح إلا بطاعة الحجة. وطاعة الحجة لله تعالى لا تصح إلا بطاعة الباب. وطاعة الباب لله لا تصح إلا بطاعة الإمام عليه السلام. وطاعة الإمام لا تصح لله تعالى إلا بطاعة من نص عليه وهلم جرا إلى الوصي إلى النبي عليهما السلام»[٢٣].

وأما أشهر الدعاة الإسماعيلية وأبواب الأئمة وحججهم فهم: ميمون القداح، وعبدالله بن ميمون القداح، وهرمز، وابن حوشب بن زادان

---

(٢٢) رسالة «الأصول والأحكام» ص ١٣٠ إلى ١٣٣ من منتخبات اسماعيلية.

(٢٣) «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» لحسن بن الهندي البهروجي ص ١٨٥ من منتخبات اسماعيلية لعادل العوا.

الملقب بمنصور اليمن، وابو عبدالله الشيعي، وفيروز، وأبو عفير، وأبو سلامة، وأبو الحسن الترمذي، وأبو محمد الكوفي، وجعفر بن منصور اليمن، والنعمان القاضي، وأبناؤه وأحفاده، وأحمد أبو يعقوب إسحاق السجستاني والمؤيد في الدين الشيرازي، وناصر خسرو وغيرهم الكثيرون الكثيرون الذين يرد ذكر البعض منهم المشهورين المعروفين في الباب الأخير من هذا الكتاب «زعماء الاسماعيلية وفرقها» كما مر ذكر البعض فيما سبق من الأبواب.

والجدير بالذكر أن هذا النظام كان للاسماعيلية القدامى، وأما الاسماعيلية الجدد أي النزارية والمستعلية، أو الآغاخانية والبهرة فلقد أوجدوا فيه بعض التعديلات وغيروا وبدلوا، أعرضنا عن ذكرها لبيانها في القسم المستقل بهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الدعوة الاسماعيلية: أسلوبها ومراتبها

هذا كان بيان الدعاة وأركان الدعوة وأعضاؤها ومراتبهم والأعمال الموكولة إليهم ولابد لنا أن نذكر بعد هذا، الدعوة الإسماعيلية ومراتبها، والأساليب التي كانت تستعمل لبثها ونشرها بين الناس، وجلب القلوب وجذب النفوس إليها، وخير سبيل لمعرفة هذه الأساليب حكاية يسردها الاسماعيلية أنفسهم عن إدخال منصور اليمن في الدعوة الاسماعيلية كما حكاها قاضي القضاة الاسماعيلية النعمان بن محمد المغربي الملقب بأبي حنيفة الاسماعيلي وغيره من المؤرخين الاسماعيلية ونحن نذكرها بألفاظ النعمان لمكانته السامية لدى القوم، وكونه أقدم من كتب في هذا الموضوع، فيقول القاضي النعمان:

وكان إبتداء أمر أبي القاسم صاحب دعوة اليمن فيما أخبرنا به أهل العلم والثقة من أصحابه، أنه كان من أهل الكوفة من أهل بيت علم

وتشيع، وكان قد قرأ القرآن وقومه وطلب الحديث والفقه. وكان ممن يذهب إلى مذهب الإمامية الإثنى عشرية أصحاب محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد الذين كانوا يرون أنه المهدى، وأنه يظهر، ويكون من أمره ما يكون على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فنحلوه ذلك، وتولوه، ولم يروه وزعموا أنه تغيب عنهم ثم بطل ذلك في أيديهم. وكانت له أخبار طويلة وحَماقة عجيبة.

قال أبو القاسم: فعرضت لي الفكرة يوما في ذلك وذكرت قول الفهرى، شعرا:

ألا يا شيعة الحق ذوى الإيمان والبر
أتتكم نصرة الله على التخفيف والزجر
فلا تدعوا إلى الداعيـ ـن أهل النكث والغدر
فلو قد فقد العاشـ ـر أو زيد على العشر
لدارت عصب الصبر على الدائر بالشر
فعند الست والتسعيـ ـن قطع القول والعذر
لأمر ما يقول النا س بيع الدر بالبعر
وصار الجوهر المخزو ن علقا غير ذي قدر
يتيم كان خلف البا ب فانفضّ على الوكر

قوله في اليتيم ههنا رمز على المهدي (صلوات الله عليه)، وكان بحسب ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى».

قال أبو القَاسم: فرأيت الوقت قد قرب على ما قاله الفهرى وجالت خواطري في ذلك، واشتغل به فكري. فخرجت إلى الفرات ـ أو قال إلى دجلة ـ وإنى لأمشي على النهر إذ حضر وقت الصلاة فتوضأت، وصليت، وجلست مفكراً فيما كنت فيه. ثم أخذت في قراءة القرآن فافتتحت سورة الكهف، فإني لأقرأ فيها إذ أقبل شيخ ومعه رجل لا والله ما نظرت عيني قبل ذلك الشيخ إلى أحد ملأ قلبي هيبة منه. ونزل ناحية، وجلس الرجل بين

يديه بعيدين مني. فقطعت القراءة لهيبته، وبقيت أنظر إليه إذا أقبل غلام يمرح في مشيته. فقرب مني، فانكرت ذلك عليه إجلالا للشيخ، فلم يلو على فقلت: من أنت فقال: حسيني. فاستعبرت. قلت: بابي الحسين (صلوات الله عليه) المضرج بالدماء. الممنوع من هذا الماء. فرأيت الشيخ نظر إلي عند ذلك. وتكلم الرجل الذي بين يديه كلاما لم أفهمه. فقال لي الرجل: تقدم إلينا رحمك الله! فقمت إليه حتى جلست بين يدى الشيخ، فرأيت دموعه تسيل على لحيته ـ أظنه عند ذكرى الحسين (صلوات الله عليه) وقال لي: من أنت الذي تذكر الحسين بما ذكرته؟ قلت: رجل من الشيعة. قال: ما اسمك؟ قلت: الحسن بن فرح بن حوشب. قال: أعرف أباك من الشيعة الإثنى عشرية. قلت: نعم. قال: فأنت على ذلك؟ فسكت، قال: تكلم! فأنا من إخوانك قلت: كنت فيمن كان على ذلك إلى أن بطل أمر في أيدينا، وما أخرجني إلى هذا المكان إلا ضيق صدري بذلك، وذكرت له ما عرض لي، قال: أرى فيك نباهة، وقد سمعتك تقرأ فلم قطعت القراءة؟ قلت: والله ـ أيدك الله ـ ما اسكتنى إلا هيبتك قال: فاقرأ كما كنت تقرأ. فابتدأت من حيث وقفت حتى بلغت: (فَانطَلَقَا حَتّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ) فأومى بيده إلى أن أسكت. فسكت فقال: أنت ممن يقول بالعدل والتوحيد؟ فقلت: نعم، هو مذهبي، قال فمن أي وجه العدل أن تقتل نفس زكية بغير نفس ـ الآية إلى قوله (فَخَشِينَا اَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً) فسكت قال: قل. فقلت: ماذا أقول؟ والله لكانني ما قرأتها قط وإنني إلى علم الوجه في ذلك لفقير، فإن رأيت تعريفي ذلك فعلت قال: دون ذلك ستر رقيق. قلت: ترى كشفه لي جعلت فداك! قال: يكون ذلك إذا أمكن إن شاء الله وأخذوني في غير ذلك حتى إذا وقف منه على مكان الجواب فيه أخذ في غيره، وأنا كل ذلك أسأله الجواب فيه، فيقول مثل ما قال. ثم تحرك للقيام، فقلت. يا سيدي أحب أن أعرف المنزل، قال: لماذا؟ قلت: لإقتضاء وعدك فتبسم وقال: لعلنا أن نجتمع ههنا من غد إن شاء الله ومضى وتركني.

فلما غاب عني ندمت إذ لم أكن تبعته حتى أعرف مكانه، وعظم موقع كلامه من قلبي، وشغل ما سمعت منه ذهني، وعدت من غد إلى المكان،

وأقمت به إلى الليل فلم أر أحدا. فاختلفت كذلك وأنا من الغم بما فاتنى منه فيما لا أصفه، حتى إذا كنت في حد اليأس منه، مرّبى الرجل الذي كان معه، فنهضت إليه، وسلمت عليه وقلت: ما فعل الشيخ ـ حفظه الله ـ وقد كان وعدني بالإجتماع من غد يوم لقيته معك ههنا، وإني لمتردد من يومي ذلك إلى وعده؟ قال: لو وعدك ما أخلفك، ولكن لم يكن في مخرج قوله وعد ثابت. قلت: فأين لي به؟! فوالله لقد شغل قلبي ما سمعت منه. قال لي الرجل: إجلس نتحدث قليلاً. فجلسنا فإذا الرجل معه علم كثير. فطارحت عليه وأراد القيام والمسير، فقلت: والله لا أفارقتك أو تكشف لي هذا الأمر. فمازلنا حتى أخذ على العهود، وعرفنى أن الشيخ هو إمام الزمان، وفتح لي من المعرفة كثيراً وعرفني الموضوع وجمع بيني وبين الإمام وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر، ودنو العصر، ويقول في كثير من كلامه: «البيت يماني والركن والدين يماني والكعبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن».

ـ قال: ثم قال لي يوما: يا أبا القاسم، هل لك في غربة في الله؟ قلت: يا مولاي! الأمر إليك، فما أمرتني به أمتثلته، قال: إصبر كانى برجل قد أقبل إلينا من اليمن وما ليمن إلا أنت، فقلت: أستعين بالله على ما يرضيك.

ـ وكان الرجل من أهل جيشان، مدينة باليمن، شاب جميل من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار، يقال له أبو الحسن على بن الفضل قد خرج حاجا من جيشان في جماعة من أهلها، في حملة أهل اليمن سنة ست وستين ومائتين. فلما قضى حجه خرج إلى قبر الحسين (صلوات الله عليه) زائرا له، في جماعة من أهل اليمن ممن شهد الموسم من الشيعة. فلما انتهوا إليه أصابوه معمورا بالشيعة. فجعل على بن الفضل هذا يبكى عنده، وينتحب ويعدد مناقب الحسين (صلوات الله عليه) ويذكر فضله ورجل من الدعاة يراعيه كل يوم على ذلك. فلما رأى نيته وإجتهاده، خلابه، وبسطه، وفتح له شيئا من العلم، وألقى إليه بعض المسائل، فركن على بن الفضل إليه ولازمه، وبحث عما عنده، فقال له الرجل يوما في حديثه: أرأيتك لو أدركت صاحب

هذا القبر الذي تبكى عنده، وتذكر فضائل صاحبه ما كنت صانعـا في أمره؟ قال كنت والله أضع خدّي، وأقبّل الأرض التي يطأها، وأتبركُ بفضل وضوئه وأكون لو شهـدت مصرعه أول صريـع بين يـديه. قـال: فإذاً قـد فاتـك فما عندك؟ قال: ما ترى من الأسف والحـزن عليه. قـال: فكأنـك ترى أن الله قطع أمره بإنقطاعه، ورفع حجته عن خلقه بموته؟ قال: كلّا! ولكن كيف لي ذلـك؟ فسكت الرجـل، وجعـل عـلى بن الفضـل يلح عليـه ويقـول: والله مارميت لي بمارميت إلا وعنـدك أثر منـه، فإهـدنى إليه. وجعـل يلازمـه وهو متـوقف عنـه، ويـطارح عليـه وهـو ينقبض منـه، إلى أن حضر انصراف أصحابه، فودعهم وكتب إلى أهله وتخلف عن الرحيل.

فـانصرف الرجـل إلى موضعـه، فاتبعـه، فقال لـه: أين تريـد؟ قـال: معك، والله لا أفارقنك أو تدلني على من أشرت إليه، وسار معه. فلما دخـل المدنية التي فيها الإمام، أتى به إلى مسجد، فقال له: إجلس ههنا حتى أتيك فجلس ومضى عنه. وأقام أربعـين يومـا وعلى في ذلـك المسجد لا يـبرحه إلا لحاجة الإنسان، والرجل يتفقده من حيث لا يراه.

فلما رأى قوة عزمه ونيته أتاه. فلما رآه وثب إليه وقال: يا سيدي! ما هذا الفعـل الذي قـطعت بي، وتـركتني؟ قـال: وانـك لههنـا! قـال: واين كنت أذهب؟ وأنت تقول لي: إجلس ههنا حتى آتيك. قال: فلو لم آتك، ما كنت صانعا؟ قال: إذن والله لا أبرح حتى أموت، فالقى الله معـذورا. فذهب بـه إلى موضعه، وأخذ عليه، وأوصله إلى الإمام. فلما رآه واختبر حاله قـال لأبي القـاسم: يا أيهـا القاسم هـذا الـذي كنـا ننتـظره، فكيف رأيـك في الـذي عرضت عليك من أمر اليمن؟ قال: يـا مولاي أنـا على مـا قلت لك والأمـر إليك. قال اعزم على اسم الله، فو الله ليظهرن الله أمرك ولتصـدرن الدعـاة إلى آفـاق الأرض عنك. ودعـا بعلى بن الفضـل، فسألـه عن أخبار اليمن، وأحواله، وملوكـه، فأخـبره بما أراد من ذلـك، فقال: أتعـرف عدن لاعـة؟ قال: يا مولاي! عسى أن تكون أردت عدن أبين؟ قال لا! إلّا عدن لاعـة. قال: ما أعرفها. قال لأبي القاسم إلى عدن لاعة فاقصد، وعليهـا فاعتمـد،

فمنها يظهر أمرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفترق دعاتنا. وقال لعلي بن الفضل: إني مرسل أخاك هذا داعياً إلى اليمن وأنت معه، وتقدم إلى كل واحد منهما ناحية وأوصاه.

- وأعطى أبا القاسم كتابا، فيه أصول ورموز، كان افتتاحه «باسمك الله الرحمان الرحيم من أب المسلمين، وأمير المؤمنين ووارث الوارثين، سماء الطارقين، وشمس الناظرين، وقمر المستضيئين، وقبلة المسلمين، وأمان الخائفين وقاتل إبليس اللعين، وركن الإسلام، وعلم الأعلام، وقلم الأقلام، ويوم الأيام، ونور التمام، رسالة عبد مسكين، يعمل في البحر منذ سنين، ولعل سفينته تنجو من الغرق فينجو من ينجو فيها من العطب». ثم افتتح الكلام الذي أصله، والمعنى الذي أراده، وقال له فيما عهده إليه: إن لقيت من هو ألحن بالحجة منك، فانغمس له في الباطن، قال: وكيف ذلك؟ قال: تقطع الكلام، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك ذكره، فتحتجز بذلك منه، إلى أن يتهيأ الحجة عليه. وأوصاه بعلى بن الفضل خيراً وقال: هو شاب قريب عهد بالأمر، فانظر كيف تسوس أمره وتقدم إلى على ناحية وأوصاه، وقال له: إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم، فانظر كيف تصحبه وودعهما، ودعالهما، وإنصرفا عنه متوجهين إلى اليمن.»(٢٤)

فهذه الحكاية تعطي صورة واضحة لأسلوب الدعوة الإسماعيلية حيث الزرق، والتفرس والتأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، والربط، والتدليس، والتلبيس.

وكذلك التهرب ممن هو أعلم بالدليل، وأقرع بالحجة وأقوى حيث قال الإمام الاسماعيلي لمنصور اليمن فيما قاله له:

---

(٢٤) «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣هـ ص ٣ إلى ١٢ تحقيق فرحات الدشراوي ط الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٥م ومثله في «عيون الأخبار» و«فنون الآثار» للداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين القرشي - السبع الرابع ص٣٩٧ وما بعد ط دار الأندلس - بيروت.

«ان لقيت من هو ألحن منك بالحجة فانغمس له في الباطن، قال: وكيف ذلك؟

قال: تقطع الكلام، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك ذكره»(٢٥)

وهناك رواية أخرى عن حمدان قرمط أحد الدعاة الإسماعيلية القدامى ذكرها كل من المقريزي والنويرى وغيرهما تشابه رواية منصور اليمن في أسلوب الدعوة وتبين طريقتها فيذكر كل من المقريزي والنويري.

«لما صار الأمر إلى أحمد بن عبدالله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه ـ وأحمد هذا هو جد عبيدالله الملقب بالمهدي ـ بعث ـ وهو بسلمية ـ الحسين الأهوازي داعية إلى العراق، فلقى حمدان بن الأشعث قرمطا بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه، فقال له الحسين الأهوازي: كيف الطريق إلى قس بهرام؟ فعرفه حمدان أنه قاصد إليه، وسأله الأهوازي عن قرية تعرف ببانبورا من قرى السواد، فذكر أنها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدور على نهر هد من رستاق مهروسا من طسوج فرات بادقلى، قال: فتماشيا ساعة، فقال له حمدان: إني أراك جئت من سفر بعيد، وأنت معي فاركب ثورى هذا، فقال له الحسين: لم أومر بذلك، فقال له حمدان: كأنك تعمل بأمر أمر لك؟ قال نعم، قال: ومن يأمرك وينهاك؟ قال: مالكي ومالك ومن له الدنيا والآخرة، قال: فبهت حمدان قرمط مفكراً، وأقبل ينظر إليه ثم قال له: يا هذا ما يملك ما ذكرته إلا الله تعالى! قال: صدقت، والله يهب ملكه لمن يشاء قال له حمدان فما تريد فى القرية التي سألتنى عنها؟ قال: دفع إلى جراب فيه علم سر من أسرار الله تعالى، وأمرت، أن أشفى هذه القرية وأغنى أهلها وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم.

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان: يا هذا نشدتك الله ! ألا دفعت إلى من

---

(٢٥) انظر «افتتاح الدعوة» ص١٢، و «عيون الأخبار» السبع الرابع ص٤٠٠، وأيضاً «كتاب المهمة في آداب أتباع الأئمة» للقاضي النعمان ص٥٥ ط دار الفكر العربي، القاهرة.

هذا العلم الذي معك وانقذتني ينقذك الله!! قال له: «لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله تعالى على النبيين والمرسلين وألقى عليك ما ينفعك، قال: فمازال حمدان يضرع إليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد، ثم قال له: ما اسمك؟ قال: قرمط، ثم قال له قرمط: قم معي إلى منزلي حتى تجلس فيه، فإن لي إخوانا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى، فصار معه إلى منزله، فأخذ على الناس العهد هناك»(٢٦).

وعلى ذلك ذكر كل من آبن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ تقريباً.(٢٧)

والهمداني عبدالجبار بن أحمد قاضي القضاة المتوفى سنة ٤١٥هـ(٢٨).

والبغدادي عبدالقاهر المتوفى سنة ٤٢٩هـ(٢٩).

والحمادي محمد بن مالك المتوفى حوالي سنة ٤٥٠هـ(٣٠)

والإسفرائيني المتوفى ٤٧١هـ(٣١).

والغزالي أبو حامد المتوفى سنة ٥٠٥هـ(٣٢).

والشهرستاني عبدالكريم(٣٣)

والديلمي محمد بن الحسن المتوفى سنة ٧١٥هـ تقريباً(٣٤).

والنويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ(٣٥).

---

(٢٦) أنظر «نهاية الأرب» للنويري ج ٢٥ ص ١٨٩، ١٩٠.
(٢٧) انظر «الفهرست» لابن النديم ص٢٢٨.
(٢٨) انظر «تثبيت دلائل النبوة» لعبد الجبار الهمداني ج١ ص٥٩٥ وما بعد.
(٢٩) انظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٩٤ وما بعد.
(٣٠) انظر «كشف أسرار الباطنية» للحمادي ص٢١ وما بعد.
(٣١) انظر «التبصير في الدين» للاسفرائيني ص ١٢٦.
(٣٢) انظر «فضائح الباطنية» للغزالي ص٢١ وما بعد.
(٣٣) انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ص٣٣ على هامش «الفصل»
(٣٤) انظر «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للديلمي ص٢٦ وما بعد.
(٣٥) انظر «الخطط» للمقريزي ص٣٩١ وما بعد.

والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ

وغيرهم الكثيرون الكثيرون، ذكروا أساليب الدعوة الاسماعيلية الخداعة وترتيبها لإستدراج الناس إلى الدعوة وإدخالهم فيها.

ونختار لبيان ذلك عبارة الغزالي لاختصارها وشمولها على جميع جوانبها، فيقول أبو حامد في الباب الثالث في الفصل الأول تحت عنوان «في درجات حيلهم».

«وقد نظموها على تسع درجات مرتبة، ولكل مرتبة إسم. أولها الزرق والتفرّس ثم التأنيس ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع ثم السلخ.....

أما الزرق والتفرس فهو أنهم قالوا: ينبغي أن يكون الداعي فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة متفطنا للبواطن بالنظر إلى الشمائل والظواهر، وليكن قادراً على ثلاثة أمور:

(الأول) وهو أهمها: أن يميز بين من يجوز أن يطمع في إستدراجه ويوثق بلين عريكته لقبول ما يلقى إليه على خلاف معتقده. فرب رجل جمود على ما سمعه لا يمكن أن ينتزع من نفسه ما يرسخ فيه، فلا يضيعن الداعي كلامه مع مثل هذا. وليقطع طمعه منه، وليلتمس من فيه إنفعال وتأثر بما يلقى إليه من الكلام. وهم الموصوفون بالصفات التي سنذكرها في الفصل الذي يلي هذا الفصل. وينبغي أن نتقى، بكل حال، بث البذر في السبخ، والدخول إلى بيت فيه سراج يعنى به الزجر عن دعوة العباسية، إرغاما لأنوف اعدائها، فإن ذلك لا ينغرس ابد الدهر في نفوسهم، كما لا ينغرس البذر في الأرض السبخة بزعمهم. ويزجرون أيضا عن دعوة الأذكياء من الفضلاء وذوي البصائر بطرق الجدال ومكامن الاحتيال، وبه يعنون الزجر عن بيت فيه سراج.

(الثاني) أن يكون مشتعل الحدس، ذكى الخاطر في تعبير الظواهر وردها إلى البواطن إما إشتقاقاً من لفظها، أو تلقيا من عددها، أو تشبيها لها بما

يناسبها. وبالجملة فإن لم يقبل المستحيب منه تكذيب القرآن والسنة فينبغي أن يستخرج من قلبه معناه، الذي فهمه، ويترك معه اللفظ منزلا على معنى يناسب هذه البدعة، فإنه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه.

(الثالث) من الزرق والتفرس: ألا يدعو كل أحد إلى مسلك واحد، بل يبحث أولاً عن معتقده وما إليه ميله في طبعه ومذهبه. فأما طبعه فإن رآه مائلاً إلى الزهد والتقشف والتقوي والتنطف دعاه إلى الطاعة والإنقياد وإتباع الأمر من المطاع وزجره عن اتباع الشهوات وندبه إلى وظائف العبادات، وتأدية الأمانات: من الصدق وحسن المعاملة والأخلاق الحسنة، وخفض الجناح لذوي الحاجات، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإن كان طبعه مائلاً إلى المجون والخلاعة قرر في نفسه أن العبادة بله وأن الورع حماقة، وأن هؤلاء المذبين بالتكاليف مثالهم مثال الحمر المعناة بالأحمال الثقيلة. وإنما الفطنة في إتباع الشهوة ونيل اللذة وقضاء الوطر من هذه الدنيا المنقضية التي لا سبيل إلى تلافي لذاتها عند انقضاء العمر. ـ وأما حال المدعو من حيث المذهب فإن كان من الشيعة فلنفاتحه بأن الأمر كله في بغض بني تيم وبني عدي وبني أمية وبني العباس وأشياعهم، وفي التبرى منهم ومن أتباعهم، وفي تولي الأئمة الصالحين وفي إنتظار خروج المهدي. وإن كان المدعو ناصبيا ذكر له أن الأمة إنما اجمعت على أبي بكر وعمر، ولا يقدم إلا من قدمته الأمه. حتى إذا إطمأن إليه قلبه ابتدأ بعد ذلك ببث الأسرار على سبيل الاستدراج المذكور بعد. وكذلك إن كان من اليهود والمجوس والنصارى حاوره بما يضاهي مذهبهم من معتقداته، فإن معتقد الدعاة ملتقط من فنون البدع والكفر، فلا نوع من البدعة إلا وقد اختار منه شيئا، ليسهل عليهم بذلك مخاطبة تلك الفرق على ما سنحكي من مذهبهم.

أما حيلة «التأنيس» فهو أن يوافق كل من هم بدعوته في أفعال يتعاطاها هو ومن تميل إليه نفسه وأول ما يفعل الأنس بالمشاهدة على ما يوافق إعتقاد المدعو في شرعه. وقد رسموا للدعاة والمأذونين أن يجعلوا مبيتهم كله ليلة عند واحد من المستجيبين، ويجتهدون في استصحاب من له صوت طيب في قراءة

القرآن ليقرأ عندهم زمانا، ثم يتبع الداعي ذلك كله بشيء من الكلام الرقيق وأطراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب. ثم يردف ذلك بالطعن في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام، ويذكر أن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم! - وهو فيما بين ذلك يبكي أحياناً ويتنفس الصعداء. وإذا ذكر آية أو خبرا ذكران لله سرا في كلماته لا يطلع عليه إلا من اجتباه الله من خلقه وميزه بمزيد لطفه. فإن قدر على أن يتهجد بالليل مصليا وباكيا عند غيبة صاحب البيت بحيث يطلع عليه صاحب البيت، ثم إذا أحس بأنه أطلع عليه عاد إلى مبيته واضطجع كالذي يقصد إخفاء عبادته، وكل ذلك ليستحكم الأنس به ويميل القلب إلى الاصغاء إلى كلامه. فهذه هي مرتبة التأنيس.

وأما حيلة «التشكيك» فمعناه أن الداعي ينبغي له بعد التأنيس أن يجتهد في تغيير إعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه. وسبيله أن يبتدئه بالسؤال عن الحكمة في مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن المتشابه من الآيات وكل ما لا ينقدح فيه معنى معقول. فيقول في معنى المتشابه: ما معنى «الر» و«كهيعص» و«حم عسق»، إلى غير ذلك من أوائل السور؟ ويقال: «أترى أن تعيين هذه الحروف جرى وفاقاً بسبق اللسان، أو قصد تعيينها لأسرار هي مودعة تحتها لم تصادف في غيرها؟ وما عندي أن ذلك يكون هزلاً وعبثاً بلا فائدة» - ويشكك في الأحكام: ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة؟ ما بال الاغتسال يجب من المنى الطاهر ولا يجب من البول النجس؟ ويشككه في اخبار القرآن فيقول: ما بال أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة؟ وما معنى قوله: «وَيَحمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة» وقوله تعالى: «عَلَيْها تِسعة عشر» افترى ضاقت القافية فلم يكمل العشرين، أو جرى ذلك وفاقا بحكم سبق اللسان، أو قصداً لهذا التقييد ليخيل أن تحته سرا، وأنه في نفسه لسر ليس يطلع عليه إلا الأنبياء والأئمة الراسخون في العلم؟ ما عندى أن يخلو عن سر وينفك من فائدة كامنة والعجب من غفلة الخلق عنها لا يشمرون عن ساق الجد في طلبها. - ثم

يشككه في خلقة العالم وجسد الآدمي ويقول: لم كانت السموات سبعا دون أن تكون ستا أو ثماني؟ لم كانت الكواكب السيارة سبعة والبروج إثنى عشر؟ ولم كان في رأس الآدمي سبع ثقب: العينان والأذنان والمنخران والفم ـ وفي بدنه ثقبان فقط؟ ولم جعل رأس الآدمي على هيئة الميم ويداه إذا مدهـا على هيئة الحاء، والعجز على هيئة الميم والرجلان على هيئة الدال بحيث إذا جمع الكل يشكل بصورة محمد؟ افترى ان فيه تشبيها ورمزا؟ ما أعظم هذه العجائب! وما أعظم غفلة الخلق عنها! ولا يزال يورد عليه هذا الجنس حتى يشككه وينقدح في نفسه أن تحت هذه الظواهر أسرار سدت عنه وعن أصحابه، وينبعث منه شوق إلى طلبه.

وأما حيلة التعليق فبأن يطوى عنه جوانب هذه الشكوك إذا هو استكشفه عنها، لا ينفس عنه أصلاً، بل يتركه معلقاً ويهول الأمر عليه ويعظمه في نفسه ويقول له: لا تعجل فإن الدين أجل من أن يعبث به، أو أن يوضع في غير موضعه ويكشف لغير أهله، هيهات هيهات!

جئتماني لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيحا

ثم يقول له: لا تعجل! إن ساعدتك السعادة سنبث إليك سر ذلك، أما سمعت قول صاحب الشرع: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».

وهكذا لا يزال يسوقه ثم يدافعه حتى إن رآه أعرض عنه واستهان به وقال: مالي ولهذا الفضول، وكان يحيك في صدره حرارة هذه الشكوك ـ قطع الطمع عنه، وإن رآه متعطشاً إليه وعده في وقت معين، وأمره بتقديم الصوم والصلاة والتوبة قبله، وعظم أمر هذا السر المكتوم. حتى إذا وافى الميعاد قال له إن هذه الأسرار مكتومة لا تودع إلا في سر محصن، فحصن حرزك، واحكم مداخله حتى أودعه فيه. فيقول المستحيب: وما طريقه؟ فيقول: أن آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع فإنه الدر الثمين والعلق النفيس. وأدنى درجات الراغب فيه صيانته عن التضييع. وما

أودع الله هـذه الأسرار أنبياءه إلا بعـد أخذه عهـدهم وميثاقهم، وتـلا قولـه تعالى: «وإذ أخذنا من النبيين ميثـاقهم ومنك ومن نـوح»........ الآية، وقال تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهـدوا الله عليه»، وقـال تعالى: «ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها» وأما النبي صلى الله عليـه وسلم فلم يفشه إلا بعد أخذ العهد على الخلفاء وأخذ البيعة على الأنصار تحت الشجرة. فـإن كنت راغبـاً فاحلف لي عـلى كتمانـه، وأنت بالخـيرة بعده: فـإن وفقت لدرك حقيقته سعدت سعادة عظيمة، وإن اشمأزت نفسك عنه فلا غرو، فـإن كلا ميسر لما خلق له. ونحن نقـدر كأنـك لم تسمع ولم تحلف، ولاضـير عليك في يمـين صادقـة. فـإن أبي الحلف خـلاه، وإن أنعم وأجـاب فيـه وجـه الحلف واستوفاه.

وأمـا حيلة الربط فهـو أن يربط لسـانه بـإيمـان مغلظة وعهـود مؤكـدة، لا يجسر على المخالفة لها بحال....................

وأمـا حيلة التدليس فهـو أنه بعـد اليمين وتـأكيد العهـد لا يسمح ببث الأسرار إليه دفعة، ولكن يتدرج فيه ويراعى أموراً:

(الأول) أنه يقتصر في أول وهلة على ذكـر قاعـدة المذهب ويقـول: منار الجهـل تحكيم الناس عقـولهم الناقصـة وآراءهم المتناقضـة، وإعراضهم عن الإتبـاع والتلقي من أصفياء الله وأئمتـه وأوتـاد أرضـه، والـذين هم خلفـاء رسـوله من بعـده فمنهم الـذين أودعهم الله سره المكنـون ودينـه المخـزون، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر وأسرار هذه الأمثلة، وإن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت. ولذلك قال عليه السلام لما قيـل: ومن أين يعرف الحق بعدك؟ فقال: «ألم أترك فيكم القرآن وعترتي؟» ـ وأراد به أعقابه، فهم الذين يطلعون على معاني القرآن.

ويقتصر في أول وهلة على هذا القدر، ولا يفصح عن تفصيـل ما يقـوله الإمام.

(الثـاني) أن يحتال لإبـطال المدرك الثـاني من مدارك الحق وهـو ظـواهـر القرآن. فإن طالب الحق أما أن يفـزع إلى التفكر والتـأمل والنـظر في مدارك العقـول، كما أمـر الله سبحانـه به، فيفسـد نظر العقـل عليه بـإيجاب التعلم والاتبـاع، أو يفزع إلى ظـواهر القـرآن والسنة. ولـو صرح لـه بـأنـه تلبيس ومحدث، لم يسمع منه. فليسلم له لفظه، ولينتزع عن قلبه معناه بـأن يقول: «هذا الظاهر له باطن هو اللباب، والظاهـر قشر بالإضـافة إليـه يقنع بـه من تقـاعـد بـه القصـور عن درك الحقـائق، حتى لا يبقى لـه معتصم من عقـل ومستروح من نقل».

(الثالث) ألا يظهر من نفسه أنـه مخالف لـلأمة كلهم، وأنـه منسلخ عن الـدين والنحلة، إذ تنفـر القلوب عنـه، ولكن يعـتزى إلى أبعـد الفـرق عن المسلك المستقيم وأطـوعهم لقبول الخـرافات، ويتسـتر بهم، ويتجمل بحب أهل البيت، وهم الروافض.

(الرابع) هو أن يقدم في أول كلامه أن الباطل ظاهر جـلي، والحق دقيق بحيث لو سمعه الاكثرون لانكروه ونفـروا عنه، وإن طـلاب الحق والقائلين به من بين طلاب الجهل أفراد وآحاد، ليهون عليه التميز عن العامة في إنكار نظر العقل وظواهر ما ورد به النقل.

(الخـامس) إن رآه نافـراً عن التفرد عن العـامة، فيقـول لـه: إني مفش إليـك سراً، وعليـك حفظه» فـإذا قال: «نعم» ـ قـال: «إن فـلانـاً وفـلانـاً يعتقدون هذا المذهب ولكنهم يسرونه» ـ ويـذكر لـه من الأفاضـل من يعتقد المستجيب فيه الذكـاء والفطنـة. وليكن ذلك المـذكور بعيـداً عن بلده، حتى لا يتيسر له المراجعة، كما جعلوا الدعوة بعيدة عن مقر إمامهم ووطنه، فإنهم لو أظهروها في جواره لافتضحوا بما يتواتر من أخباره وأحواله.

(السـادس) أن يمنيه بـظهور شـوكة هـذه الطائفـة وإنتشار أمـرهم وعلو رأيهم وظفر ناصريه بأعـدائهم واتساع ذات يـدهم ووصول كـل واحد منهم إلى مـراده حتى تجتمع لهم سعـادة الدنيـا والآخـرة، ويعـزو بعض ذلـك إلى

النجوم، وبعضه إلى الرؤيا في المنام إن أمكنه وضع منامات تنتهي إلى المستجيب على لسان غيره.

(السابع) ألا يطيل الداعي اقامته ببلد واحد، فإنه ربما اشتهر أمره وسفك دمه. فينبغي أن يحتاط في ذلك فيلبس على الناس أمره، ويتعرف إلى كل قوم باسم وآخر، وليغير في بعض الأوقات هيئته ولبسته خوف الآفات ليكون ذلك أبلغ في الاحتياط.

ثم بعد هذه المقدمات يتدرج قليلاً قليلاً في تفصيل المذهب للمستجيب وذكره له على ما سنحكي من معتقده.

وأما حيلة التلبيس - فهو أن يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس ذائعة، ويرسخ ذلك في نفسه مدة. ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة كقوله: إن أهل النظر لهم أقاويل متعارضة الأحوال متساوية، وكل حزب بما لديهم فرحون. والمطلع على الجوهر: الله. ولا يجوز أن يخفى الله الحق، ولا يوجد أحداً (. . . . .) كل الأمر إلى الخلق يتخبطون فيه خبط العشواء ويقتحمون فيه العماية العمياء، إلى غير ذلك من مقدمات (. . . . .) مستعصية.

وأما حيلة الخلع والسلخ وهي هما متفقان، وإنما يفترقان في أن الخلع يختص بالعمل، فإذا أفضوا بالمستجيب إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت إلى درجة الخلع. - أما السلخ فيختص بالإعتقاد الذي هو خلع الدين. فإذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا، وسميت هذه الرتبة: البلاغ الأكبر. فهذا تفصيل تدريجهم الخلق واستغوائهم»[٣٦].

هذا ويؤيد أن ما قاله الغزالي عن الاسماعيلية وكيفية دعوتهم وترتيب مدارجها، حق وصواب هو اعتراف الداعي الاسماعيلي الكبير والحائز على منصب الداعي المطلق علي بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢هـ في كتابه الذي رد

(٣٦) «فضائح الباطنية» للغزالي ص٢١ - إلى - ٣٢ ط مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

به على الغزالي المذكور المسمى «دامغ الباطل وحتف المناضل» فإنه خصص الباب الخامس من كتابه هذا للرد على الباب الثالث من كتاب «فضائح الباطنية» للغزالي بعنوان (الباب الخامس يتضمن الرد عليه في بابه الثالث عما ذكره في بيان درجات حيلهم في التلبيس والكشف عن سبب الاغترار بحيلهم بزعمه) فإنه بعد تحمسه، وتغليظه في القول وتكثيره الشتائم والسباب مثل.

«إن ذكر هذا المارق لهذه المراتب التسع وتعداده لها، مما لم يحكه أي الفرق في تصنيف، ولا ذكره أحد من العلماء في وضع ولا تأليف، ولو كانت مقالات القائلين بها لظهرت عنهم قبل إبتداع هذا المفترى لها، وانتشرت، ولما اغفلت العلماء الديانون ذكرها فيما سطرت ولما كانت كما ذكرنا قبل استحداث هذا المارق لها، جارية في مضمار العدم، لم يحكها أحد من الأمم، صح أنها من جملة الأكاذيب التي ابتدعها، والإفتراءات التي لعظيم شقوته إخترعها، ويكفيه خزيا يذهب به إلى أسفل درك النار مع الذاهبين، قول الله تعالى: (لعنة الله على الكاذبين) وأما تسميته لما ذكره بالحيل، فهو بهذه السمة أحق وبتوجيه مذمتها إليه أجدر وأليق................ فهو إذن المحتال بخبيث فعله، الكائن من جملة حيل إبليس اللعين ورجله، والقول بالحيل رأى من تعصب هذا المارق لهم من أئمة الضلال»[٣٧].

بعد هذه السباب والشتائم بدأ يقرّ كل ما قاله الغزالى مثل ما قال عن الزرق والتفرس.

«نقول في جواب ذلك: ليت شعرى! أي هذه الشمائل التي ذكرها هذا الملحد ينكر ويذمّ»[٣٨].

---

(٣٧) «دامغ الباطل وحتف المناضل» ص٩٥، ٩٦ للداعي على بن الوليد الإسماعيلي بتقديم مصطفى غالب الإسماعيلي ط موسسة عزالدين، بيروت، لبنان ١٩٨٢م.

(٣٨) انظر ص ٩٦ من «دامغ الباطل».

ثم قال في فصل آخر رداً على الغزالي في كون الداعي مميزا من يطمع في استدراجه ومن لا يطمع، فقال بعد كلام كثير:

«حبذا ما استعمل مما يفيده ثناء جميلاً في المعالجة وشكراً وثواباً جزيلاً في الآخرة»(٣٩).

ثم قال في سبيل الرد على الغزالي عن منع وضع البذرة في أرض سبخ، قال في جوابه:

«نقول في جوابه: حبذا ما أمر به قائل ذلك من الأعراض عن كل مصرّ مستكبر»(٤٠).

هذا ولقد ورد عين ما ذكره الغزالي في سجلّ إسماعيلي من قبل الإمام الإسماعيلي إلى داعي دعاته، ذكر فيه مما ذكر:

«ولا تلق الوديعة إلاّ لحفاظ الودائع، ولا تلق الحب إلاّ في مزرعة لا تكدي على الزارع، وتوخ لغرسك أجل المغارس، وتوردهم مشارع ماء الحياة المعين، وتقربهم بقربان المخلصين، وتخرجهم من ظلم الشكوك والشبهات، إلى نور البراهين والآيات، واتل مجالس الحكم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات، والمستجيبين والمستجيبات، في قصور الخلافة الزاهرة، والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة، وصن أسرار الحكم إلاّ عن أهلها، ولا تبذلها إلاّ لمستحقها، ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله، ولا تستقل أفهامهم بتقبله، واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول، ودل على اتصال المثل بالممثول، فإن الظواهر أجسام والبواطن أشباحها والبواطن أنفس والظواهر أرواحها، وإنه لاقوام للأشباح إلا بالأرواح، ولا قوام للأرواح في هذه الدار إلاّ بالأشباح، ولو افترقا لفسد النظام، وانتسخ الإيجاد بالإعدام. واقتصر من البيان، على ما يغرس في

(٣٩) أيضاً ص٩٧.
(٤٠) أيضاً ص ٩٨.

النفـوس صور الإيمـان، ويصون المستضعفـين من الافتنان،وانههم عن الإثم ظاهره وباطنه، وكامنه وعالنه»[٤١].

ثم يذكر علي بن الوليد حيلة التانيس ويرد عليه بقوله:

نقـول في جواب ذلـك: إنّ هـذه الغـيرة التي ذكـرهـا، والأحـوال التي وصفها عن فاعلها لا مطعن بها على فاعلها»[٤٢].

ويقول عن تعليل الإسماعيلية الناس بالفرج المنتظر:

«نقول في جواب ذلك: أما انتظار الفرج فـلا على فـاعله من حرج، إذا هو من علامات ذي التقى والزهد[٤٣].

ثم يجيب على ما ذكره الغزالي من حيلة التشكيك بأن الغزالي قال:

«وأما حيلة التشكيك فمعناه أن الداعي بعد التأنيس ينبغي أن يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب، بأن يزلزل عقدته فيما هو مصمم عليه، هـذا قولـه. نقول في جواب ذلك: إن كان المستجيب الذي ذكره هذا المارق أجاب داعي ضلاله فعقيدته متغـيرة قبل الإجـابة لضعفهـا عن أن يتحصن عن الانخداع لـداعي الضـلال، وبعـده عن الحق، لقبـولـه مـا يلقيـه إليـه من الـترهـات والمحـال، فقد سبق إلى عقيـدته التغيـير وحسبـه مـا إليـه يصـير، وإن كـان المستجيب أجاب داعي الهدى فـلا غرو أن يغـير اعتقاده الأول إجـلاء طراوة عقله، عما لبسها من الصدا.»[٤٤]

ثم قال رداً عليه بأنه قال الغزالي:

«فيقول الداعي في المتشابة: مـا معنى «المر» و«كهيٰعصٓ» و«حمٓعسٓق» إلى غير ذلك من أوائل السور الخ.

---

(٤١) انظر «صبح الأعشى» للقلقشندي ج ١٠ ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٤٢) «دامغ الباطل» ص١٠٣.

(٤٣) انظر ص١٠٥.

(٤٤) أيضاً.

نقول في جواب ذلك: إن إيراد الداعي ما يورده على مستجيبه من آي الكتاب وقدح زناد ذكائه تنبيها له لمن طوى عليه لفظه من المعاني واللباب هو ما ندب إليه من التدبر له والتذكير فيه»[٤٥].

وأما قول الغزالي:

ثم الداعي يشكله في خلقة العالم وجسد الآدمي ويقول: كانت السماوات سبعاً دون أن تكون ستا أو ثمانية الخ.

نقول في جواب ذلك: إن سؤال الداعي لمستجيبه عن الكواكب وسائر الخلق لم يفعل إلاّ ما أمر الله تعالى به عباده وحضّهم عليه.......... وما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله.............. فكيف يطعن هذا الضال الملحد على من يقول بما نصه الله تعالى في كتابه، وأمر به رسوله صلى الله عليه وآله، لولا مروقه عن الاسلام وانسلاخه عن هداه»[٤٦].

وأما حيلة التعليق بأن يطوى عن المستجيب جواب هذه الشكوك الخ، فيردّ عليه حسب زعمه بقوله:

نقول في جواب ذلك: إن كتمان سرّ الحكمة عن طالبها في مبدء الطلب، واختباره بضروب الامتحانات ليظهر منه آثار الاستحقاق............ ليس ببديع ولا أمر فظيع»[٤٧].

وأما أخذ العهد والمواثيق وحيلة الربط فقال في جواب ذلك:

«نقول في جواب ذلك: إن العهد الكريم والميثاق مكرر ذكر في الكتاب العزيز تكراراً مقدر واجب فرضه فيه تكرير فلا مغمض على قائله، ولا مطعن على آتيه وفاعله........... وان الاستيثاق من الناس إنما وجب في دين الله تعالى»[٤٨].

---

(٤٥) أيضا ص١٠٧.
(٤٦) أنظر ص١٠٨.
(٤٧) أنظر ص١٠٩.
(٤٨) انظر ص١١٠.

وأما ما ذكره الغزالي من حيلة التدليس يقول الداعي الاسماعيلي بصدد الرّدّ عليه:

«نقول في جواب ذلك: إن قول هذا المارق ليس ذلك بمنكر في العقول ولا في الرسوم بل فيه الاحتياط والصيانة للحكمة التي هي باب العلوم»...

ثم استدل بقول المسيح عليه السلام: لا تنثروا القدس بين أيدي الكلاب، ولا تلقوه إلى الخنازير، وقال عليه السلام: لا تعلقوا يواقيتكم على قردتكم، ولا تلقوا بقدسكم إلى خنازيركم فإن القردة لا علم لها بما علقت، ولا الخنازير بما طعمت، وقد تقدم من الاحتجاج في فصل من هذا الباب على كون الاختبار والامتحان لمن يراد إلقاء سر الحكمة إليه واجب»(٤٩)

فهذه هي خلاصة الرد من قبل الداعي المطلق الاسماعيلي عليّ بن الوليد على الغزالي فيما ذكره من مدارج دعوتهم وترتيبها، فأن يسمّى هذا الرد ردّا، الذي ليس إلّا إقراراً محضا، واعترافا خالصا بأن ما قاله الغزالي عنهم حق ثابت لا مردّ له، اللهم إلّا تبريراً لما يعملون، وتجويزا لما يفعلون، ولا أدري لما ذا كانت الشتائم والسباب؟

ولما ذا كان الإندفاع والتحمس في بداية الكلام لو لم يكن بعد ذلك كله إلا إثباتاً لما قاله وتوثيقاً لما كتبه عنهم؟

اللهم إلّا ما أنكره من صيغة العهد والمواثيق التي ساقها الغزالي، ولاعبرة لصيغة دون صيغة مادامت الأيمان المؤكّدة، والعهود الموثقة موجودة ثابتة لمن أرادوا إدخاله في الديانة الاسماعيلية.

ولقد أطلنا الكلام في هذا لأننا قد أوجبنا على أنفسنا بأن لا نتكلم عن فئة ومعتقداتها، وطائفة وعقائدها، ونحلة وأفكارها، وديانة وآرائها إلّا من كتب أصحابها ومعتنقيها لأنها أثبت للحجة وألزم للخصم.

---

(٤٩) ص١١٤، ١١٥.

وبما أننا اضطررنا أن نود في هذا المبحث مدارج الدعوة وكيفيتها بترتيب صحيح اضطررنا أن نلجأ لبيان ذلك إلى كتب غير الاسماعيلية، ولكننا لم نرد أن نكتفي بايرادها من كتب الغير مهما كثرت وتظافرت وتواتر فيها الأخبار إلاّ مدعمة موثقة من كتب الاسماعيلية أنفسهم، فالحمدلله أقمنا الدليل وأوضحنا الحجة وبرهنّا على الذي تصدّى بالردّ عليها بالعناد والاستكبار، ولكنه لم يجد بدّاً من الاقرار والاعتراف لأن كل ما قيل في ذلك حق ثابت لا مهرب منه ولا مفر، ولو أنه اختلق لها المبررات والمجيزات، وما لنا في ذلك من إيراد واعتراض، بل كل ما أردناه هو إثبات هذه الهيئة للدعوة الاسماعيلية وترتيبها.

ولد أمر بمثل ذلك التدرّج والترتيب أقدم قاضٍ اسماعيلي في دور الظهور، ألا وهو النعمان القاضي في كتابه «الهمة في آداب اتباع الأئمة» في فصل خاص حيث ذكر بعد كلام طويل نعرض عنه تجنبا للتكرار:

«ولتثبيت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقى فيها الداخل في ذلك، فإذا لم يقف على ذلك أوّلاً فأولا ويرتقيه درجة درجة ووصل إليه منه الشيء قبل وصول ما يجب أن يصل إليه قبله هلك، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته لهلك، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق إلاّ لمن أطلقوه له لأنه لو كان مطلقاً لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته، والجنين لو استخرج قبل أن ينتهي إلى حد التمام، فلهذا ولا متحان العباد أسرّ أولياء الله ذلك وأخفوه»(٥٠).

ويقول في فصل آخر تحت عنوان (ذكر ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة في دعائهم إليهم):

---

(٥٠) «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان القاضي، الفصل السابع ص٥٥ ط دار الفكر العربي القاهرة.

ثم ينبغي للداعي اختبار أمر من يدعوه وتعرف أحوالهم رجلاً رجلاً، وتميز كل امريء منهم ومعرفة ما يصلح له أن يؤتى إليه ويحمله عليه من أمر الله وأمر أوليائه، ومقدار ما يحمله من ذلك وقدر قوته وطاقته ومتى يوصل ذلك إليه وكيف يغدوه به، وامتحان الرجال وتعرف الأحوال، ومقدار القوى ومبلغ الطاقات، وعلم ذلك هو أفضل ما يحتاج إليه الدعاة في باب السياسات والرياضيات، فكثير ما فسد أمر الداعي من جهله بهذا الباب ـ وفسدت دعوته منه، وقد يعترى من يجوز عليه التضييع من الدعاة وينفق عنده منهم وتجوز عليه الحيل من الفساد في أمره والخلل في دعوته ما يطول القول بذكره»(٥١).

والجدير بالذكر أن رسائل إخوان الصفاء وهي في زعم الاسماعيلية رسائل إمام إسماعيلي في دور الستر ـ ذكر فيها مثل هذا التدرج والترتيب في الدعوة، كما ذكر فيها أن الداعي يثير شكوك المستمع حول بعض الآيات وبعض الأخبار لإثارة الشكوك والشبهات وجلب الناس إلى الدعوة، وهاهم إخوان الصفاء يذكرون نفس المراتب في الدعوة، والأساليب التي ذكرها الغزالي عنهم، فيقولون لدعاتهم:

«إن شيعتنا وإخواننا المتفرقين في البلاد، وسائر من ينسب إلينا، فهم في أحوالهم ومراتبهم على منازل ثلاث: فطائفة منهم خواص وعقلاء، متدينون أخيار فضلاء، وطائفة منهم أغبياء أشرار أردياء، وطائفة بين ذلك متوسطون. ولكل طائفة منهم آراء ومذاهبٌ هم فيها مختلفون، وأقاويل مقننة هم بها مشغوفون، وأخلاق وسجايا هم بها متغايرون. ولهم، مع ذلك، أفعال وأعمال هم لها معتادون، فنريد أن نذكر كل طائفة منهم بأوصافهم وندل عليهم بعلاماتهم، حتى إذا دخلت مدينة أو بلداً من البلدان، ولقيتَ منهم أحدا، تبينتهم بعلاماتهم وعرفتهم بسيماهم، فلقيتهم بالتحية والسلام، وداخلت كل طائفة منهم بألطف ما تقتدر عليه من الرفق

---

(٥١) أيضاً ص١٣٧.

والمداراة، وذاكرتهم من علمنا بحسب ما تقبله قلوبهم، وألقيت إليهم من أسرارنا حسبما تحتمله عقولهم وتتسع له نفوسهم، وتبلغ إليه هممهم، وتتصوره أفهامهم وتكون في كل ذلك كمثل الطبيب الحكيم الرفيق الذي ذكرت قصته في أول الرسالة لإخوان الصفاء.

إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمور الديانات، العارفون بأسرار النبوات، المتأدبون بالرياضيات الفلسفية، وإذا لقيت أحداً منهم وأنست منه رشدا، فبشره بما يسره، وذكّره باستئناف دور الكشف والانتباه، وإجلاء الغمة عن العباد بانتقال القرآن من برج مثلثات النيران إلى برج مثلثات النبات والحيوان، في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الاعلام.

وأعلم أن من أخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكّون، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا، وطائفة أخرى موقنون ببقائنا لكنهم غافلون عن أمرنا، غير عارفين بأسرارنا، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا، مستعجلون لمجيء أيامنا، مشتهون نصرة أمرنا، فإذا لقيت منهم أحدا فبشره بما يسرّه، وأقرّ عينه بما يظنه بعيداً مما يومله، وعرّفه أن ما يرجوه غير بعيد، وذكّر من وثقت بهم من إخواننا بما ألقينا إليك من عملنا، وأطلعه على ما أطلعناك عليه من أسرارنا، كيما تطمئن نفوسهم فيما يعتقدون فينا، ويتبين لك صدق ما هم مقرّون به من أمرنا، أخرج إليهم من رسائلنا ما ترغب نفوسهم فيه وترتاح إليه وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بينّا لك»(٥٢).

فهذه هي العبارة الناطقة بأحقية ما قيل عن الاسماعيلية في ترتيب دعوتهم وكيفيتها ونظامها.

---

(٥٢) «رسائل إخوان الصفاء» ج٤ ص١٤٥، ١٤٦، الرسالة السابعة من العلوم الناموسية والشرعية في كيفية الدعوة، ط: دار صادر بيروت.

وأما التشكيك فيقول إخوان الصفاء: إن الداعي ينبغي أن يلقى على المستمع والمستجيب الأسئلة هذه:

هذا، وما «طه» وما «حم» أو ... «طس»، أو أشباهُ هذا من سُوَرْ
وما أمورٌ أُخفيتْ أنباؤها ... عن ظاهرٍ بين رُعاعٍ كالحُمُرْ
من قصةِ الجانِ الذين أفسَدُوا، ... واستَحْوَذوا منها بماءٍ قد غَمَرْ
وما هي «الحيةُ» و«الطاووس» إذ ... كانا مُعِينَيْنِ لإبليسَ الخَسِرْ؟
وما هي الحِنطةُ إذ حُذِّرها ... آدمُ من بينِ النباتِ والخُضَرْ؟
وكيف لمَّا ذاقها بدت له ... سَوْآتُه، وكان قبلُ مُسْتَتَرْ؟
وكيف تعليمُ «الغُرابِ» أولاً ... «قابيلَ» دَفناً لأخيه إذ حضرْ؟
وما هي النارُ التي كانت على ... الخليل إبراهيم بَرداً إذ شكَرْ؟
وما هي «الطيرُ» التي أنشَرها ... له الإله بعد موتٍ إذ صَبَرْ؟
وما هو «الطوفان» إذ عَمَّ، وما ... سفينةُ الألواح فيه والدُّسُرْ؟
وما قميصُ يوسُف وذِئبُه، ... والدمُ، إذ جيء بإفكٍ مُشتَهرْ؟
و«الجُبُّ» إذ أُلقي في غيبتِه، ... والحبسُ إذ قد خصَّ بما منه بَهَرْ؟
وكيف باعوه على مُبتاعِه، ... بالثمنِ البَخْسِ وبالشيء النَزَرْ؟
وما هو البرهانُ، إذ أبصرَ قال ... عندها السجنُ مرادي فصَبَرْ؟
وشاهدٌ منه قد استَشهَدَه ... على قميصٍ كان قدَّ من دُبُرْ؟
وكيف كان، بعد ذا، قميصُه ... فيه شفاءٌ لأبيه مُدَّخَرْ؟
وما هو العجلُ الذي خارَ، وما ... الصَّفراءُ حَيَّتْ قتيلاً في البقَرْ؟
وما دمٌ فاضَ فصار شَرَفاً ... لمن عليه، لا على الماء اقتُصِرْ؟
وكيف تاهت أُمَّةٌ عظيمةٌ ... دهراً، وأرضُ التِّيهِ كالذَّرِّ صَغُرْ؟
و«الجبلُ» المرفوعُ فيهم ظِلُّه، ... يَشهدُه من غابَ منهم وحضرْ؟
وخَرُّ ذي المُلكِ سليمانَ، وما ... «خاتَمُهُ» وما «العصَا» ساعةَ خَرّ؟
وما هي الطيرُ، وما مَنطِقُها، ... والريحُ إذ تجري به وتَنسخِرْ؟
وما هو الكُرسيُّ في إلقائه ... له عليه جسَداً لمَّا اختُبرْ؟

والعرشُ إذ أحضَرَهُ عالِمُه ... قبلَ ارتداد طَرفِه كما ذَكَرْ؟
ويونُسٌ إذ قد بلَعهُ حوتُه، ... فشاهَدَ الأنجُمَ فيها واعتَبرْ؟
وما المسيحُ الروحُ، والمَهدُ الذي ... كلَّم فيه الناسَ في وقت صِغرْ؟
وصَلبُ هاروتَ وماروتَ، وما ... يُعلِّمانِ الناسَ ممن قد سَحَرْ؟
ونومُ أهلِ الكهفِ والبعثُ لهم، ... وكلبُهم سابعُهم حَسْبَ الخَبرْ؟
وسَدُّ يأجُوجَ ومأجوجَ، ومن ... يلحَسُه من زُمَر بعدَ زُمَرْ؟
وكيف سوَّاه حِجاباً مُوثَقاً ... نفخُ المُعينينَ، وإفراغُ القَطرْ؟
وكيف إذ يَقتربُ الوعدُ لهم، ... تشخَصُ أبصارُهمُ إذا انقَعَرْ؟
وما طلوعُ الشمسِ من مغربِها، ... ما بين قَرنَيْ ماردٍ لا ينزجِرْ؟
وكيف بعدَ نورها تكويرُها، ... والأنجُمُ الزُّهرُ عليها تَنكدرْ؟
وما هو «الدَّجالُ» إذ حُذِّرَ منـ ... ـه كلُّ خَلقٍ وهو شخصٌ ذو عورَ؟
وكيف يجري عن جَنابيْ جيشِه ... من الجبال شامخاتٌ في الكِبَرْ؟
فالجبَلُ البصريُّ فيه جَنَّةٌ ... مُثمرةٌ، ذاتُ رياضٍ وزَهَرْ
والأصفهانيُّ عليه أبداً الذي ... نارٌ تَلَظّى ودُخانٌ مُنعكِرْ
وذاك لا يَعلمهُ إلَّا الذي ... أشهَدَ خلقَ نَفسِه فيما عبَرْ
وكان في خَلقِ السَّمواتِ العُلى والأ ... رض قد عُوضِدَ أو كانَ خَبَرْ
فالحمدُ لله الذي أشهدَنا ... ما لم نَكُن نعلَمُ إلَّا بالخَبرْ

ثم يقولون: ولا ينبغي لأحد من إخواننا أن يجيب أحداً إذا سئل عن هذه المسائل إلّا لمن قد هذّب نفسه وأصلح أخلاقه لأن صدأ النفس ورداءة أخلاقها ممتنع من فهم معاني هذه»(٥٣).

وهل بعد هذا شكّ لشاك، أو ريب لمرتاب بأن الاسماعيلية لا يلتجئون إلى مثل هذه الحيل لإيقاع السذّج من الناس في شراكهم وحبائلهم، ولا يستعملون لبثّ دعوتهم ونشر أفكارهم تلك الوسائل التي ذكرها الغزالي وغيره.

---

(٥٣) أيضا، الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية ص١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

وأما صيغة العهد والميثاق فلقد أوردناها فيما مرّ في الأبواب السابقة وفي مقدمة هذا الكتاب من مختلف الكتب، ونورد ههنا صيغة أخرى في مثل هذه المواثيق والعهود لم نذكرها من قبل من رسالة إسماعيلية كتبت خصيصاً لهذا الغرض، وهي من رسالة «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، ولمن أراد الدخول في الدعوة الاسماعيلية، والحضور إلى الجنة مع الولدان والحور تحت أكناف الستور» يبيّن فيها الداعي الاسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب بعد ذكر مقولات الداعي والنقيب عند إدخال أحد في الدعوة الاسماعيلية بعد امتحاناته:

«فإذا فرغ النقيب من هذا المقال وشهدت الجماعة يجلس كما يجلس في الصلاة ويقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم. (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون).

ثم يقسم المستجيب فيقول: اقسم بالله، الذي لا إله إلاّ هو، الحي الجبار القهار، عالم الغيب والشهادة، والنقص والزيادة، القائم على كل نفس بما كسبت، القوي الشديد الآخذ لها بما أظهرت واضمرت، العليم بما في الضمائر، الخبير بمكنون السرائر، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، ولا تفوته غوامض الأشياء، الذي من أقسم به كاذبا واستشهده باطنا، استحق الخزى والخذلان، وحلّ في مقام السخط والهوان. وأقسم به ثانياً وثالثاً ورابعاً، كما أقسمت به أوّلاً، وأقسم بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأشهد ملائكته المقربين، وأرواح أنبيائه المرسلين، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين، أنني طالب راغب في المذهب الاسماعيلي من خالص اعتقادي، وصميم فؤادي، اعتقاداً لا يشوب باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الايمان، وليس قصدى في هذه الرغبة إلاّ تحقيق أمر الدين، وطلب معرفة حقيقة اليقين، وتصحيح الاعتقاد، والدخول مع الفرقة الناجية، من الطغيان والفساد، ومعرفة مولانا

صاحب الوقت، وامام الزمان. وإنّ إذا فهمت أمراً، وعرفت سرّا، اكتمه وأخفيه عمن لا يعتقد بمعتقدي، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول وبنية ولا إشارة ولا عبارة، ولا تكتبه يداي، ولا ينطق به لساني، وإن أضمرت خلاف ما أنطق به، أو كنيت أو تخليت أو تفكرت أو توهمت، أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه، وأكون محارباً لهم، منكراً أمرهم، ومخالفا قولهم، وذابحهم وشارب دمائهم، وبريئا منهم في الدنيا والأخرة، وخارجا من دين الإسلام والمروءة والإيمان. والله على ما أقول وكيل وشهيد». (٥٤)

ولقد ذكر الدكتور زاهد علي الاسماعيلي في كتابه زيادة على هذا:

«فمن نكث منكم... فهو بريء من الله... قولوا نعم وجميع ما يملكه وحوته يداه من مال أو أثاث أو عقار أو متاع أو عرض أو جوهر أو زرع أو ضرع أو سائمة أو عمولة أو ركوبة أو رقيق أو كسب من جميع مكاسب الدنيا فهو صدقة على مساكين المسلمين غير مرتجع من ذلك بشيء إليه... قولوا نعم وكل ما أفاده في باقي عمره من فائدة يقل خطرها أو يجل فهي محرمة عليه لا يفكه من ذلك إلا الوفاء بما عاهد عليه قولوا نعم وكل مملوك يملكه ذكرا أو أنثى أحرار لوجه الله لا سبيل له ولا لأحد بسببه عليه قولوا نعم وكل إمرأة له أو يتزوجها في باقي عمره فهن طوالق ثلاثة البتة طلاق الحرج والسنة عند كل حيضة تطليقه لا رجعة له في ذلك ولا مثوبة قولوا نعم ـ وعليه المشى إلى بيت الله العتيق ثلاثين حجة خافيا راجلا لا يقبل الله منه إلا بالوفاء قولوا نعم وعليه لعنة الله التي لعن بها إبليس وحرم عليه الجنة... وهو بريء من حول الله وقوته... والزمتم أعناقكم عهدالله الكريم... والحمدلله... العلي العظيم»(٥٥).

---

(٥٤) الرسالة المذكورة من «أربع رسائل اسماعيلية» جمع عارف تامر الاسماعيلي ص٥٤، ٥٥ ط دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨م.

(٥٥) «هماری اسماعیلي مذاهب» ص٣٢٦، ٣٢٧.

وقال:

يقسم بهذا العهد والميثاق في الثامن عشر من الحجة يوم عيد الغدير من كل سنة، ونقل مثل ذلك أيضا عن جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للإمام الإسماعيلي المعز لدين الله.[٥٦]

وهذا عين ما أورده الغزالي في كتابه، وكذلك النويري في (نهارية الأرب)[٥٧]. والمقريزي في خططه[٥٨]. وغيرهم بشيء من التبديل والتغيير ببعض الألفاظ دون المعنى والمفهوم.

ولو لا خوف الإطالة لنقلنا ههنا ما ذكره كل من النويري والمقريزي عن مدارج الدعوة التسعة ومنازلها مفصلة واحدة بعد الأخرى ولكننا نرى أن ما ذكرناه فيه الكفاية، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابيهما[٥٩].

مجالس الدعوة

إن الدعوة الاسماعيلية كانت تذاع وتنشر سراً في دور الستر، ولكن بعد استيلاء الاسماعيلية على بلاد المغرب أولاً، ثم بلاد مصر ثانياً، أقيمت لالقائها مجالس خاصة يلقى فيها الإمام الاسماعيلي الدعوة أحياناً أو بابه الذي عرف بعد ذلك بداعي الدعاة، في أكثر الأحيان نيابة عن الإمام كما ذكر ذلك النعمان المغربي القاضي أن المعز الإسماعيلي الرابع من الأئمة الإسماعيلية في دور الظهور كان يتكلم في مجلس من مثل هذه المجالس كلاماً في الموعظة إلى أن وقف الخادم قائلاً:

---

(٥٦) انظر ص٣٢٨.

(٥٧) انظر ج ٢٥ ص٢١٧ تحقيق محمد جابر عبد العال ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

(٥٨) انظر «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي المتوفي ٨٤٥هـ.

(٥٩) «الخطط» للمقريزي ج١ ص٣٩١ و «نهاية الأرب» للنويري ج٢٥ ص١٩٥ وما بعد.

«قد قرب وقت الصلاة يا أمير المؤمنين فقال: وما ذلك؟ إن حضر وقتها صليت بإخواننا، وما عسى أن نقوم عنه إليه إلا وما نحن فيه أفضل منه، والله مالذتي إلا فيما أنا فيه، ومن لي أن أقوم على ذلك أيام حياتي لو قد وجدت من يأخذ عني، ويفهم مني، وينتفع بما سمع، ويعي ما أقول»(٦٠).

وأما إلقاء الدعوة عن نائبه في الدعوة وهو داعي الدعاة أو الباب فقد ورد ذكر ذلك أيضاً في كتاب (المجالس والمسايرات) للنعمان القاضي حيث يذكر بأن المعز لدين الله هذا أمر بعض دعاته أن يقرأ كتاب (دعائم الإسلام) في مجلس من مجالس قصره.(٦١)

وهذا كان هو الأكثر والمعمول به بأن أحد الدعاة كان يلقى دروس الدعوة في مثل هذه المجالس بعد موافقة الإمام الإسماعيلي وتوقيعه أحيانا على محاضراته ودروسه التي يريد إلقاءها على المستمعين المستجيبين باسم الإمام الاسماعيلي.

وكانت هذه المجالس تعقد أحياناً في أماكن ثلاثة، أولاً: القصر، ثانياً: المساجد، ثالثاً: في دور العلم المعروفة بدور الحكمة أيام الاسماعيلية.

فأما القصر فلقد ذكر ذلك النعمان القاضي أيضا حيث ذكر عن المعز الاسماعيلي أنه قال لبعض الأولياء:

ما تنظرون اليوم في شيء تنتفعون؟ ما تقرأون شيئا؟ فسكتوا.

وكنت قبل ذلك قد سمعت بعضهم يحرض بعضا في الاجتماع لقراءة كتاب «دعائم الاسلام» الذي بسطه المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبوا استماعه وقراءته وانتساخه والتعلم منه والتفقه فيه»(٦٢).

---

(٦٠) «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان ص٢٢٤ ط المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨م.

(٦١) انظر الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب ص٣٠٦.

(٦٢) «المجالس والمسايرات» للنعمان القاضي ص٣٠٦.

ويذكر أيضاً:

«ولما فتح المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين باب رحمته وأقبل عليهم بوجه فضله ونعمته، أخرج إلى كتبا من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه. فكثر إزدحام الناس وغص بهم المكان وخرج احتفالهم عن حد السماع وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه، وطائفة من رحبة القصر، وصاروا إلى حيث لا ينتهى الصوت إلى اخرهم». (٦٣)

ولقد ذكر ذلك مؤرخ مصر والاسماعيلية، المقريزي في خططه عن عبدالظاهر تحت عنوان (المحول) حيث يقول:

«المحول هو مجلس الداعي ويدخل إليه من باب الريح وبابه من باب البحر ويعرف بقصر البحر وكان في أوقات الاجتماع يصلى الداعي بالناس في رواقه. وقال المسيحي: وفي ربيع الأول يعنى من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلاً فكفنهم العزيز بالله». (٦٤)

وينقل أيضا عن ابن الطوير أنه قال وهو يذكر داعي الدعاة:

«وأما داعي الدعاة فإنه يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين إثنا عشر نقيبا وله نواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر إليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين

---

(٦٣) الجزء الثامن عشر ص٣٨٦.

(٦٤) الخطط. للمقريزي ج١ ص٣٩٠، ٣٩١.

وخميس ويحضر مبيضا إلى داعي الدعاة فينفذه إليهم ويأخذه منهم ويدخل بـه إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه إن أمكن ويأخـذ علامتـه بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوتـه على المؤمنـين في مكانـين للرجال عـلى كرسي الـدعوة بـالايوان الكبـير وللنسـاء بمجلس الـداعي وكـان من أعـظم المبـاني وأوسعها، فإذا فـرغ من تلاوتـه على المؤمنـين والمؤمنات حضروا إليـه لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة أعني خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقـاهرة ومصر و أعـمالهما لاسيـما الصعيد ومبلغهـا ثلاثـة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده بينه وبينـه أمانتـه في ذلـك مع الله تعـالى فيفرض لـه الخليفـة منـه مـا يعينـه لنفسـه وللنقبـاء وفي الاسماعيلية الممـوّلين من يحمـل ثلاثـة وثلاثـين ديناراً وثلثي دينـار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة بإسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليهـا خط الخليفة بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر بـه وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبدالقوي أبـا عن جد آخـرهم الجليس»[٦٥].

ويذكر المقريزي أيضا عن المسبحي:

«وكـان الداعي يـواصل الجلوس بـالقصر لقراءة مـا يقرأ عـلى الأوليـاء والدعاوى المتصلة فكان يفرد للأولياء مجلسـا وللخاصـة وشيوخ الـدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطارئين عـلى البلد مجلسـا وللنساء في جـامع القـاهرة المعـروف بالجـامع الأزهـر مجلساً وللحـرم وخواص نساء القصور مجلساً وكان يعمل المجالس في داره ثم نفذهـا إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجـالس كتبا يبيضـونها بعد عـرضها عـلى الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصـل من النجوى من كل من يدفع شيئا من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسـماء من يدفع شيئا على ما يدفعه وكذلك في عيدالفطر يكتب ما يدفع عن الفـطرة

---

(٦٥) أيضا.

ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال شيئا بعد شيء وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفي سنة أربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على أيدى القضاة وكتب سجلّ آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة»(٦٦).

وإن المجالس كانت تعقد في القصر في كل خميس وجمعة كما ذكر ذلك المقريزي عن المسبحي، وكما ذكر النعمان أيضا أن المعز خصص له بقراءة العلوم الحكمية (الاسماعيلية) يوم الجمعة بعد الصلاة كما يذكر وهو يخاطب المعز:

والله يا أمير المؤمنين لقد كنت إذا قرأت على الناس ما أمر أمير المؤمنين بقراءاته عليهم من الحكمة يوم الجمعة وذكر أنه كان هذا بعد الصلاة حيث يقول وجلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع المسائل»(٦٧).

ويظهر من المؤيد الشيرازي الداعي الاسماعيلي الكبير بأن يوم الخميس كان مختصا للخاصة كما يذكر في إحدى قصائده:

يا صباح الخميس أهلا وسهلا ... زادك الواحد المهيمن فضلاً
أنت عيد للمؤمنين عتيد ... جمع الدين منهم فيك شملا
نحن نجنى ثمار جنات عدن ... كلما أقبل الخميس وولى
من رياض انهارها جاريات ... وبها الحور في المقاصر تجلى
تتروى الأرواح منها بماء ... هو أشفى من الزلال واحلى
رتبة خصنا بها صاحب العصر ... أمين الإله عز وجلّا
حجة الله، كعبة الله عين الله ... خير الأنام فرعا واصلا

---

(٦٦) أيضا.
(٦٧) كتاب «المجالس والمسايرات» الجزء العشرون ص٤٣٤، ٤٣٥.

والمقام المحمود، والحاضر المو جود مفنى الطغاة بالسيف قتلا
الامام العدل الولى معد نجل من كان للنبوة بعلا[٦٨]

وأما المساجد فكانت تلقى فيها أيضاً دروس الدعوة الاسماعيلية كما ذكر المقريزي عن المسبحى بأن الداعي كان يفرد للنساء بجامع القاهرة المعروف بجامع الأزهر مجلسا»[٦٩].

وأيضا إن حفيد النعمان المغربي القاضي عبدالعزيز بن محمد أيضا قرأ على الناس في الجامع الأزهر كتاب جده (اختلاف أصول المذاهب)[٧٠].

ويذكر القلقشندي عن المسبحي أيضاً أنه قال:

«إن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله في حمله رزق جماعة من العلماء، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق، وبنى لهم داراً بجانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتلكموا في الفقه وأبو يعقوب قاضي الخندق رئيس الحلقة والملقى عليهم إلى وقت العصر، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا.»[٧١]

وأما دار العلم أو دار الحكمة فيذكر القلقشندي:

«كان بجوار القصر دار تعرف «بدار العلم» خلف خان مسرور، كان داعي الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءاً من أوقافه التي وقفها على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع راشدة، ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لإجتماع الناس فيها والخوض في المذاهب خوفا من الإجتماع على

(٦٨) انظر «ديوان المؤيد الشيرازي» القصيدة الحادية والعشرون ص٣١٤ ط دار الكاتب المصري ١٩٤٩م.
(٦٩) انظر «الخطط» للمقريزي ج١ ص٣٩٣.
(٧٠) «رفع الأصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلاني ص٧٣.
(٧١) «صبح الأعشى» للقلقشندي ج٣ ص٣٦٧ ط المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٤م.

المذهب النزاري، ثم أعادها الأمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعي هو الناظر فيها»(٧٢).

وذكره المقريزي أيضا حيث قال:

«وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدّار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه وكذلك من رآى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضاً التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بختار الصقلبى قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبدالغني بن سعيد وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر

---

(٧٢) «صبح الأعشى للقلقشندي ج٣ ص٣١٦، ٣٦٧.

لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء إثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء إثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها إثناء عشر دينارا ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير»(٧٣).

وذكر أيضاً أن داعي الدعاة كان هو الذي يشرف على سير الدراسة فيها، وهو الذي يرتب لها الدعاة والأساتذة طبقا لما يرسم لها من الخطط والغايات». (٧٤)

وقد ذكر أبو المحاسن جمال الدين بن تغرى بردى الاتابكى أن دار العلم هذه انشأها الإمام الإسماعيلي الحاكم بأمر الله سنة أربعمائة من الهجرة فقال تحت حوادث السنة الرابعة عشرة من عهد الحاكم:

«وأمر بعمارة دار العلم وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة». (٧٥)

ولكن عبدالله المرتضى الاسماعيلي يذكر في كتابه «الفلك الدوار» أن دار العلم أو دار الحكمة هذه أنشئت سنة ٣٩٥هـ، فيقول وهو يبين غرض إنشائها أيضا:

إن دار الحكمة التي أنشأها الحاكم سنة ٣٩٥ بجوار القصر الغربي بالقاهرة كانت من أجسم المؤسسات العلمية وأرقاها ووقف لها أماكن جمة

---

(٧٣) «الخطط» للمقريزي ج١ ٤٥٨.

(٧٤) أيضاً.

(٧٥) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ج٤ ص٢٢٢ ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ينفق عليها من ريعها ففرشوها وزخرفوها حتى أصبحت جنة في تقانتها، والغرض من دار الحكمة لخدمة الناس في المطالعة والدرس والتأليف وهي طريقة القدماء في تعليم الناس إذ يتعذر إلا على الأغنياء اقتناء الكتب الكثيرة نظراً لغلائها فمن أحب تعليم رعيته أنشأ مكتبة جمع فيها الكتب وفتح أبوابها للناس.

وكان الإمام الحاكم يستحضر العلماء إلى الدار المذكورة إلى ما بين يديه ويأمرهم بالمناظرة،،

أجل إن المراد الأسمى في إنشاء دار الحكمة لتكون ذات مراتب ثلاث كما نفصلها:

الأولى:

جعلت لاستيعاب الكتب كما ذكر للتمدن الإسلامي والمطالعات والمحاضرات بين العلماء والفقهاء وأرباب المناصب الكبرى في المملكة من سياسة وقضاء وهلم جرا والأخرى أنه يقال عنها (دار المبارات) أو (ميدان السباق العلمي) لما كان خريجوها يدهشون العالم في سعة علمهم وكثرة إطلاعهم كالحسن بن عبدالله اليازورى وأبو سعيد التسترى والجرجاني وعلى ابن فلاح وزير الوزراء والسيد حمزة بن على الفارسي.

الثانية:

جعلت لتثقيف القضاة وتدريبهم على شئون القضاء وكان منهم الذين يتولون مناصب القضاء لكن لا يخول لطالب أن يتمرن في هذه الدار إلا أن يتثقف في الأزهر سيما وقد كانت وضعيتها تمثل صفة محكمة فيتقاضون أولئك ويترافعون أمام بعضهم ليتدربوا على القضاء وبالاختصار أنها كانت (مقر التدريب القضائي) لأن منصب القضاء عند الخلفاء الفاطميين وخصوصاً الإمام الحاكم كان من أروع المناصب وأجل الوظائف وكان القاضي عندهم أرفع الموظفين لديهم قدراً وأعلاهم شأناً ومن شاء الاستيضاح التام عما ذكرنا فليراجع تاريخ (صبح الأعشى صحيفة ٤٨٦ في الجزء الثالث).

الثالثـة:

كان شأنها تعليم موظفي الدعوة الإسماعيلية الدينية الصحيحة. الـذين كان يعهد إليهم بالدعوة للمذهب الإسماعيلي (كالوزراء والـدعاة والمـأذونين) وكـان هؤلاء يتلقون علومهم في النحـو والفلسفة والمنـطق والنجـوم وأصـول الفقه في الأزهر وحينما يبلغون فيه أشدهم العلمي يغـادرونه إلى دار الحكمـة حيث تلقى عليهم أصول القيام بمهـام شئون المـذهب كيلايـوشكوا بعـثرات أثناء مهمتهم التي سندلى إليهم وان هذا القسم من دار الحكمة يدعى إذ ذاك (ب مائدة الرشد) أو الأخرى (ب قبة الهدى) لأنها كانت تتفجـر منها ينـابيع الحكمة ويسطع منها نور الهدى وقد كان لوزراء الدين والدعاة والمأذونين رتبة سامية في الدعوة وجاء على ذكرهم «صبح الأعشى في الجـزء الثالث صحيفـة ٤٨٧». مـا يدل عـلى سمو مقـامهم فقال: «إن رتبـة داعى الدعـاة تـلى مقـام الـوزارة ورتبة قـاضي القضاة وكـان يـتزيـا بـزي القضـاة في اللبـاس وغـيره وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليهم مذهب أهل البيت» «أي آل محمد صلى الله عليـه وسلم» بـدار تعـرف بـدار العلم ويـأخـذ العهـد عـلى من ينتقـل إلى مذهبهم»[٧٦].

فهذه هي الأماكن التي كانت تلقى فيها محاضرات الدعـوة الاسماعيليـة ودروسهـا، وفيها كـان يلقن علوم هؤلاء الناس وعقـائدهم ويـرسخ أفكـاره ومعتقداته، ثم انتقلت المجالس بعد انقضاء الدولة الاسماعيليـة في مصر إلى قـلاع حسن بن صبـاح في ألمـوت وغـيرهـا للنـزاريـة ثم إلى اليمن والهنـد للمستعليـة، وسيأتي ذكـرها وهيئتهـا عند ذكـرهم في الجـزء الثـاني من هـذا الكتاب.

---

(٧٦) «الفلك الدوار» لعبدالله المرتضى الاسماعيلي ص٦٣، ٦٤، ٦٥ ط سوريا.

الباب الثامن

الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات

إنّ الإسماعيلية يدّعون بأنهم لم يأخذوا تعاليمهم وعلومهم إلا من الأئمة المعصومين(١) الذين لا يخطئون ولا يغلطون، ولم يبنوا عقائدهم ومعتقداتهم إلا على أفكارهم ومروياتهم، ولم يستقوا إلا من منابعهم وينابيعهم، ولم يذهبوا إلا مذاهبهم، ولم يسلكوا إلى مسالكهم، ولم ينهجوا إلا مناهجهم دون الآخرين، فإنهم اتبعوا غير المعصومين الذين يخطئون ويغلطون.

ومن لوازم العصمة عدم التعارض والتناقض، كما أنّه من نتائج عدم العصمة وثمراته وقوع الأخطاء والإختلاف " . . **ولو** كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً".

وقد رووا في ذلك روايات كثيرة، منها ما رووها عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال يوماً لبعض شيعته :

" إنّ الناس قد أخذوا من ههنا وههنا، وأخذتم من حيث أخذ نبيّ الله "(٢).

---

(١) وعصمتهم كعصمة الأنبياء والرسل بل وأعلى منهم وأفضل كما ذكرناه مفصلا في الباب الرابع.

(٢) " المجالس المستنصرية " للداعي علم الاسلام ثقة الامام ص ٧٤ المجلس الرابع عشر ط دكتور محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة.

هذا، ولقد استكبر النعمان بن محمد المغربي قاضي القضاة الإسماعيلية، وتبجّح كثيراً في كتبه أنّ الإسماعيلية هم الوحيدون في الدنيا الذين يقتدون بالمعصومين ولا يتبعون المخطئين، واتّباع من يجوز عنهم صدور الخطأ يسبّب الخلاف والفرقة، لاختلافهم في فهم القضية واستنباط الأحكام واستخراج المسائل لتعدد الأفهام وتنوّع المعلومات، عكس أشياع المعصومين فإنّهم مع تعددهم لا يكونون إلا واحداً لاتحادهم في المصدر والمرجع ولسلامتهم عن الهفوة والزّلة في النّقل والأداء، فيقول في كتابه الذي كتبه خصيصاً للرّد على جميع الطوائف غير الإسماعيلية (إختلاف أصول المذاهب) تحت عنوان " ذكر علّة الإختلاف ".

" وقد سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد، عن علّة اختلاف النّاس بعد رسول الله، وكيف يختلفون بعد رسول الله ؟ وما هى الأسباب ؟ فقال السّائل : هل اختلفوا في حياة رسول الله ؟ قال : وكيف يختلفون ورسول الله معهم ؟ يبين لهم ما اختلفوا فيه، فيرجعون إليه، قال: صدقت ! وكذلك لولى الأمر من بعده من يعلم ما يسأل عنه، فإذا سألوه أجابهم عما اختلفوا فيه، ولكن من ولى الأمر بعده لا يعلم بكل ما ورد عليه فيه، فكان الإختلاف من أجل ذلك، ولو سلموا لولى الأمر، وأخذوا عنه لما اختلف منهم اثنان في دين الله تعالى، كما لم يختلفوا في حياة رسول الله، فهذا ما روى في الإختلاف، في بدء الأمر. وأمّا ما كان بعد ذلك فإنه ولى أمور النّاس من بنى أميّة، وبنى العباس، من لا علم لهم بحلال الله وحرامه، ولا لهم بغية في اقامة ذلك، وانّما كان ابتغاؤهم وهمتهم، طلب حطام الدنيا. فلما ظفروا، أقبلوا عليه، وأعرضوا عما سواه، وسلموا أمر الدين للمتفقهين من العوام، (بزعمهم) فكان ذلك مما أرضوهم به، واستمالوهم بسببه، إلى بغيتهم، على ما لا يعلمونه فيهم، وخلوا بأنفسهم وتنافسوا في رئاستهم، وكثروا، وتشعبت بهم الأهواء، وخالفت بينهم الآراء . . . . فانفرد المتغلبون الذين تعبدوا الله ومن جلسوا مجالسهم بإقامة الدين إلى من بايع لهم، وتسلم لأمرهم وتولاهم وتسموا بالعلماء والفقهاء، وتنافسوا في المراتب وكثروا

وترأسوا في الناس، واختلفوا إذ عجزوا عن علم الكتاب والسنة، فاستنبطوا أحكاماً من ذات أنفسهم للأمة عندما أنفوا من ردّ ما اختلفوا فيه إلى الذي أمرهم الله بالرد إليه، حرصاً على رئاستهم، وحتى لا ينسب العجز عند من ترأسوا عليه إليهم، فيعدلوا عنهم، وفي هذه جملة من القول في سبب اختلافهم، إلى أن قام مهدى الأمة من أهل بيت الرحمة، الذي جاءت الأخبار عن رسول الله بالبشرى بقيامه وذكر ما يكون من اقامة دين الله على يديه وفي أيامه، ما يطولَ شرحه ويخرج عن حد هذا الكتاب، منها قوله: " المهدى من ولدي، يحيى سنتى، ويتمّم أمرى، ويطالب بثأر أهل بيتى، ويملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا وخبطا " فقام المهدى فأحيى السنن، وأمات البدع، وأسكت المبطلين المختلفين في الدين، فأقام مناره، ونصب أعلامه، وشرّع شرائعه، وقوّم أحكامه، وحمل الأمة للسير على منهاجه وقطع الأحداث والبدع منه، والإختلاف فيه والتغاير. ولقد دسّ إليه بعض الملحدين، رقعة كالمتنصح له، من غير أن يظهر له نفسه، يقول: " لو أن أمير المؤمنين أخذ العامة بمذهب زيد، الذين أكثرهم يذهبون إليه في المواريث، لدفع إلى بيت المال من ذلك ما لا عظيماً، فلما وقف على قوله استشاط غيظاً، وأمر بطلبه والفحص عنه، ليعاقبه عقوبة من كان مثله فلم يجده وخفى أمره، إذ لم يكن يبدى نفسه، وإنما دسّ رقعته، فقال المهدى: أراد هذا الفاسق، أن يرى الناس أننا خلفنا حكم الله بعرض من أعراض الدنيا، إنما تعبدنا الله بإقامته، والحكم بالحق بين عباده، ولم يقمنا للجمع من حطام الدنيا من غير حلته ووجهته وحقه، ونحيى سنة جدنا نبيّه، وأمر بأن لا يلتقى اثنان على مفاوضته، لا في حلال ولا في حرام، إلا ما أقامه من مذهب الحق على كتاب الله وسنة نبيّه محمد، وتابعه على ذلك أمراء المؤمنين من ولده، فأخذ الناس به من بعده، فعاد الدين على ابتدائه، وانتظم في نظام أوليائه "(٣).

---

(٣) كتاب " اختلاف أصول المذاهب " للنعمان بن محمد القاضي ص ٣٢ - إلى - ٣٥ الباب الأول ط دار الاندلس، بيروت ١٩٨٣ م.

وقال أيضاً في الباب الثالث من هذا الكتاب متبجّحا على مذهبه لعدم إمكان وقوع الخلاف فيه :

" فنحن لا نقلدّ من لم يأمر الله بتقليده كما قلّدتم أنتم من قلدّتموه، ولا أخذنا عن أئمتنا امرا كانوا يجهلون فاستنبطوه كما فعل من أخذتم أنتم ذلك عنهم، وإنما قلنا ما آثروه لنا ورووه، وحملوه ولم يبتدعوه، ولا تقوّلوه كما فعل ذلك من أخذتم أنتم عنهم "(٤).

هذا، ومثل هذا كثير في كتب القوم من المتقدمين والمتأخرين، فيظنّ الباحث والقارىء بعد ما يقرأ هذا ويسمعه لأول وهلة أن الإسماعيلية لا اختلاف بينهم ولا تعارض ولا تناقض في ديانتهم لبنائها على أسس أسسها المعصومون، وقواعد رسمها الذين لا يخطئون، وأصول قررها الوحى، ولكنه عندما يسبر غورة كتبهم، ويتفحص في رسائلهم، ويمعن النظر في عقائدهم، ويتعمق في معتقداتهم، ويبحث في تعاليمهم وأفكارهم ويتنقب في آرائهم ونظرياتهم ليجد الأمر مقلوباً والحال معكوساً بأن الإسماعيلية مجموعة عقائد متعارضة، وآراء متخالفة، وأفكار متضاربة، وقواعد متناقضة، وأسس غير ثابتة كاد أن لا يتفق القوم في مسألة واحدة وقضية متفردة.

ومن كثرة ما وقع الخلاف بينهم في مسائل كثيرة بدأ يضيق أحد الكتاب المادحين لهم والمدافعين عنهم بكل قوة وحماسة، وينظر إلى أن يقول بعد الإطلاع على اختلافاتهم الكثيرة الكثيرة :

" من ذلك نستطيع أن ندرك كثرة الإختلافات التي كانت بين الدعاة، كما لا نستطيع أن نعلّل وجود هذا الخلاف في حين أن الفاطميين صرحوا أن علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الذي أودعه الله أسرار دينه وأسرار خلقه "(٥).

---

(٤) أيضاً، الباب الثالث ص ٧٧.

(٥) مقدمة " ديوان المؤيد في الدين الشرازي " لمحمد كامل حسين ص ٩٧ ط دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٤٩ م

وأجبرت هذه الإختلافات الشديدة، الكاتب الإسماعيلي المعاصر على أن يقرّ ويعترف :

" من المعلوم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، ذلك أنها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، فاختلفت باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة ".

وبمثل ذلك قال أيضاً الباحثان الآخران :

" ونحن نعلم أن العقائد الإسماعيلية لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة، بل هى عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، لكل بيئة عقائدها، وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الزمن، فاختلفت العقائد الإسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الإسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد الإسماعيلية طول تاريخها "(٧).

وها نحن نضع النقاط على الحروف لبيان ذلك وإيضاحه بالإختصار.

---

(٦) مقدمة " كنز الولد " لمصطفى غالب الاسماعيلى ص دار الاندلس ١٩٧٩ م.
(٧) مقدمة " سيرة الأستاذ جوذر " لمحمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى شعيره ص ١٧ ط دار الفكر العربي.

رجوع النّص القهقرى

من المعلوم أن الاختلاف حصل في الشيعة فيمن يلي الإمامة بعد جعفر بن محمد الباقر.

فقال قوم : انّ الإمام بعده موسى الكاظم.

وقال قوم : عبد الله الأفطح.

وقَوْمٌ قالوا بإمامة محمد الديباج.

والآخرون بأقوال وآراء ذكرناها مفصلة في الباب الأول من هذا الكتاب.

فعارض الإسماعيلية هؤلاء الجميع وقالوا : إنّ الإمام بعده إسماعيل ابنه الأكبر ولو أنه مات في حياته ولكن النص لا يرجع القهقرى، وبقيت الإمامة في عقبه فصار الإمام بعده محمد بن اسماعيل.

وهذا معنى قول الله عزّ وجل " وجعلها كلمة باقية في عقبه " فلا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين.(٨).

---

(٨) انظر " زهر المعاني " ص ٥٠ من " المنتخب " لايوانوف، أيضاً "اسرار النطقا " لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١ وما بعد من " المنتخب " أيضاً " غاية المواليد " ص ٣٦ من " المنتخب " أيضاً " عيون الأخبار " السبع الرابع ص ٣٣٥ وغيره من الكتب الكثيرة الكثيرة.

فعلى هذا الأساس والأصل كوّنوا فرقتهم، وقام مذهبهم، بل هو أصل الأصول، وأساس الأسس، الذي يميّز الإسماعيلية عن الشيعة الآخرين، لولاه لما كان لهم الوجود، ولذلك أكثروا فيه القيل والقال، وشنّعوا على الطوائف الأخرى الشيعية لإعراضهم عن هذا الأصل وإهمالهم إيّاه، وقد سوّدوا صفحات كثيرة لكتبهم في هذا الموضوع.

ولكنّه من الغرائب والعجائب أن الأئمة الإسماعيلية بعدئذ لم يراعوا هذا الأصل، وحاولوا نقضه ومخالفته، ومن المدهش أن المعز الإسماعيلي وهو الإمام الإسماعيلي الرابع في دور الظهور نقضه فعلا وعارضه، وخالفه، ورماه خلف ظهره غير آبه ولا مكترث عندما مات ابنه عبد الله في حياته، الذى جعل النص فيه أولا وأعلن ولاية العهد له بعده، ثم نقل النص إلى أخيه العزيز ابنه الأصغر دون نقله إلى ابن عبد الله مثلما صار في ابن اسماعيل.(٩).

وهكذا هدم ذلك المبدأ الأساسى الذي قام عليه المذهب الإسماعيلى والديانة الإسماعيلية ولا أدرى كيف يستسيغ الإسماعيلية بعد ذلك أن يردّوا على الشيعة الإثنى عشرية والزيدية والآخرين من الادارسة والحسنيين ما دام انهدم دعامة مذهبهم الأصلية من نقل الإمامة في الأعقاب، وعدم رجوع النص القهقرى ؟

وكيف يحق لهم اثبات إمامة محمد بن اسماعيل دون الآخرين من أعمامه من ولد جعفر بن محمد الباقر ؟

وأحواله تتشابه تماماً مع العزيز بن المعزّ.

وهذا التناقض والتعارض وحده كاف للقضاء على المذهب الإسماعيلى والحكم عليه بالبطلان.

---

(٩) انظر " سيرة الاستاذ جواذر " ص ١٣٩، و١٤٣، أيضاً " اتعاظ الحنفاء " ج ١ ص ٢٠٣ أيضاً " سير أعلام النبلاء " ج ١٥ ص ٣٦٤، ٣٦٥ " ديوان تميم بن المعز " ص ١٤٧ ط دار الثقافة ١٩٧٠ م، أيضاً " الخطط " ج ١ ص ٣٥٣.

وقد أثار تصرف المعزّ هذا وقضاؤه على المبدأ الإسماعيلى الهام ونقضه أصلا من أصول المذهب استغراب واندهاش الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور محمد عبد الهادى شعيرة المحققَين لكتاب (سيرة الأستاذ جوذر) حتى قالا :

" ومن الموضوعات التي وردت في هذا الكتاب وتلفت نظر الباحثين في الدراسات الإسماعيلية أن المعز لدين الله نص على ولى عهده عبد الله، ثم توفى عبد الله في حياة أبيهَ، ثم رأينا العزيز بالله يخلف أباه المعز لدين الله في الإمامة. هذه المسألة تشبه تماماً ما كان عليه الأمر في حياة جعفر الصادق الذي نص على ولى عهده ابنه إسماعيل، ومات إسماعيل في حياة أبيه، فانقسم أتباع جعفر إلى فرقتين : فرقة قالت بأن النص لا يرجع القهقهرى فلابد أن ينتقل النص إلى ابن اسماعيل وهؤلاء هم الإسماعيلية، والفرقة الثانية قالت بأن النص انتقل إلى موسى الكاظم وهؤلاء هم الإمامية الإثنا عشرية، وإذن فالأساس الذي قامت فرقة الإسماعيلية عليه وظهرت في الوجود بموجبه هو أن النص لا يرجع القهقهرى ولا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، بل لابد أن ينتقل في الأعقاب، وبذلك أوّلوا الآية القرآنية " وجعلها كلمة باقية في عقبه " بأن النص لا يكون إلا في الأعقاب، ومع هذا المبدأ الأساسى لفرقة الإسماعيلية نرى المعز لدين الله يخالف هذا المبدأ بأن جعل النص أولاً إلى عبد الله ثم نقل النص بعد وفاة عبد الله إلى العزيز. فكيف تسنى له أن يفعل ذلك مع أن رجال الدعوة في عصر المعز ظلوا يؤيدون مبدأ الدعوة الأساسى الذي نقضه المعز ودافعوا أمام هجمات الإثنى عشرية والزيدية "(١٠).

وأيضاً :-

" توفى الأمير عبد الله بعد ذلك بقليل ورثاه أخوه الأمير تميم بقصيدة مطلعها

(١٠) مقدمة كتاب " سيرة الاستاذ جوذر " ص ٢٣، ٢٤.

كـل حـى إلى الـفـنـاء يـصـير والـليـالى تـعـلة وغـرور

وكانت وفاته في حياة أبيه. وكان المفروض أن يتولى الإمامة بعد المعز حفيده ابن عبد الله جريا على عقيدة الإسماعيلية في تسلسل الإمامة وجريا على سابقة وفاة اسماعيل في حياة أبيه جعفر الصادق. ولكن المعز لم يقم وزنا لهذه العقيدة الإسماعيلية الأساسية في نشأة المذهب وكيانه، فاختار ابنه الآخر نزارا الذي تلقب بالعزيز ليكون وليا للعهد وإماماً من بعده. وبذلك هدم المعز الأساس الأول من أسس الدعوة "(١١).

وأخيراً نريد أن نثبت ههنا ما قاله داعى الدعاة الإسماعيلي إدريس عماد الدين ردّا على الفرق الشيعية الأخرى غير الإسماعيلية في هذه المسألة، فيقول:

" تشتّتت شيعته وتمزقت، وقالت كل فرقة منها . . . بإمامة واحد من آله، فزلت عن سفينة النجاة! وفي طوفان جهلها غرقت، سوى من اعتقد إمامة اسماعيل بن جعفر، ومحمد بن اسماعيل (عليه السلام) وعلمت أن محمداً بعد أبيه وجده هو الإمام.

وقد روت الشيعة وغيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: إن الإمامة محصورة في ولده دون ولد الحسن والحسين (عليه السلام) لأن الإمامة صارت للحسين بعد الحسن صلوات الله عليهما، وهى في ولد الحسين أصلية تمشي قدما قدماً، ولا تمشى إلى الوراء، ولا ترجع القهقرى، وهي بالنص من إمام على إمام.

وهذا حديث عن الصادق (عليه السلام) رواه الخاص والعام، وأورده نشوان بن سعيد الحميرى في كتابه المعروف (بشمس العلوم) الذي ألفه في علم اللغة فوضح بقول الصادق (عليه السلام) أن الإمامة لا تمشى إلى الوراء ولا تعود القهقرى، فلم ترجع عن اسماعيل بن جعفر (عليه السلام) بعد أن

---

(١١) أيضاً، تعليق رقم ١٣٤ على الوثيقة رقم ٨٢ ص ١٨٨.

صارت إليه ووقع النص عليه، بل جرت في عقبه وثبتت في الإمام محمد بن اسماعيل "[١٢].

وكذلك نريد أن نذكر ما قاله حميد الدين الكرمانى حجة العراقيين في كتابه (المصابيح) يثبت إمامة اسماعيل وبعده محمد بن اسماعيل فيقول :

" وكان جعفر نص على إسماعيل (صلى الله عليه وسلم) واختلفت الشيعة فيه بما قالت من موته قبل جعفر(صلى الله عليه وسلم). واشارة جعفر بعد ذلك إلى بعض أولاده وقوله " ما بدا الله بداله كما بدا له في اسماعيل، كان لا يخلو الأمر بعد نص جعفر بن محمد بن على (عليه السلام) على اسماعيل فيما يدعى من نصه بعد موت اسماعيل على بعض أولاده من وجوه ثلاثة :

أما انه نص على بعض أولاده بعد موت اسماعيل كما يقال ولإسماعيل ولد. أو نص ولم يكن لاسماعيل ولد. أو لم ينص على أحد بعد ما تقدم من نصه على اسماعيل أولا. فإن كان قد نص ولإسماعيل ولد كان جعفر (عليه السلام) حاكماً بغير ما أنزل الله حيث اعطى ميراث إسماعيل مع كون ولد له إخوته من غير علة سالبة لولده كما سلبت ولد الحسن، وأوجبت لولد الحسين عليه السلام، وتوهم مثل ذلك في جعفر غير جائز لصحة إمامته وعصمته.

وإذا لم يكن جائزاً كان من نسب إليه من نصه (عليه السلام) على بعض أولاده بعد تقدم النص على إسماعيل باطلاً، وإذا كان باطلاً كانت الإمامة لولد إسماعيل ثابتة.

وإن كان . . . عليه السلام قد نص . . . ولم يكن لإسماعيل عليه السلام ولد وكان في علم الله وتقديره أن يكون منقطع النسل وجب من حيث علم الله وتقديره أن يكون النص لا يجوز فيمن ينقطع نسله مع كون الإمامة محفوظة في العقب أن لا ينص جعفر على إسماعيل.

(١٢) " عيون الاخبار " السبع الرابع، ص ٣٤٩.

ولما كان وجدناه قد نص عليه، كان منه العلم بأنه غير منقطع النسل والعقب، وإذا كان غير منقطع النسل والعقب فالإمامة له ولنسله ثابتة، وإن كان (عليه السلام) لم ينص على أحد بعد نصه على إسماعيل (عليه السلام) فالإمامة لإسماعيل. فإذا ثبت إمامة إسماعيل ثبت نسله. إذ لا يستحق الإمامة من لا يكون له عقب بكونها محفوظة في العقب، وإذا ثبت نسله فالإمامة لنسله ثابتة.

وإن كان (عليه السلام) لم ينص على أحد بعد نصه على إسماعيل، فالإمامة لإسماعيل. فإذا ثبت إمامة إسماعيل ثبت نسله، إذ لا يستحق الإمامة من لا يكون له عقب بكونها محفوظة في العقب، وإذا ثبت نسله، فالإمامة لنسله ثابتة، وكان إذا كان لا يخلو من ثلاثة أوجه، فأوجبت الوجوه الثلاثة كون الإمامة لإسماعيل وذريته، فالإمامة ثابتة لإسماعيل وولده - إذ الإمامة في إسماعيل وذريته.

البرهان الثاني: نقول: إن الإمامة لما كانت في عقب جعفر (عليه السلام)، وكان الإمام لا ينص على من يجعله إماما إلا بعد أن يعلم أنه يصلح لها، وكان أول ما يستصلح للإمام في إمامته أن يكون لا عقيما، ثم وجود عقبه ونسله. إذ من كان لا عقب له لا يَستَحِقُّ الإمامة، وكان الإمام جعفر نص على إسماعيل، كان من ذلك الحكم بأن لإسماعيل ولدا وعقبا، وإلا كان لا ينص عليه، وإذا كان له عقب، فعقبه أحق بالإمامة من أعمامه. إذ الإمامة لإسماعيل ولعقبه من دون غيرهم.

البرهان الثالث: لما كان الإمام معصوماً لا تسبق منه زلة، وكان لو لم يكن لإسماعيل عقب ولا ذرية نص جعفر عليه زلة، وجب من حيث كون عصمة الإمام أن يكون لإسماعيل ما نص عليه عقب وذرية، وإذا كانت له ذرية وعقب، فعقبه بالإمامة أولى من أعمامه، إذ الإمامة بعد إسماعيل لولده وعقبه من دون غيره"(١٣).

(١٣) " المصابيح في إثبات الإمامة " المصباح السادس من المقالة الثانية ص ١٢٩ الى ١٣٢.

فهل من مجيب عن هذه الأدلة التي هى عين الدلائل ضد تصريف الإمامة عن ابن عبد الله بن المعز المنصوص عليه أولا إلى العزيز بالله ؟

وهل من مدافع عن المعز وعصمته حسب براهين الكرماني ؟

ومن الطرائف أن هذه الحادثة تكررت في ابن المعزّ، العزيز بالله نزار حيث أنه ولد له ولد قبل الحاكم فنص على إمامته ولكنه مات في حياته فنقل النص في ابنه الثاني[١٤] مع أن الكرمانى نص في مصباحه أن الإمام لا ينص بالإمامة فيمن لا يستحقها كما مرّ ذكره.

تنحية الابن الأكبر عن الإمامة

وهناك مسألة خطيرة أخرى وهى أن الشيعة الإثنى عشرية، والإسماعيلية أيضاً يرون أن الإمامة في الولد الأكبر للإمام، وهو الذي يرثها دون الآخرين من إخوته، ولهم في ذلك روايات كثيرة عن أئمتهم المعصومين، وبها تمسكوا لإثبات إمامة أئمتهم وأحقيتهم لها.

ولقد بحثنا هذه القضية بشيء من التفصيل في كتبنا عن الشيعة الإثنى عشرية[١٥] عند نقضهم هذا الأصل ومخالفتهم إياه في إمامة موسى الكاظم دون عبد الله الأفطح الإبن الأكبر لجعفر بن محمد الباقر من بين الموجودين بعد موت إسماعيل بن جعفر، ولقد نرى نفس هذا النقض والمخالفة عند الإسماعيلية أنفسهم، وأكبر مثال ذلك هو المعزّ الإسماعيلى نفسه الذي عارض هذا الأصل ونقضه وخالفه أيضاً.

فان المؤرخين من الإسماعيلية وغير الإسماعيلية أجمعوا قاطبة على أن الولد الأكبر للمعز كان الأمير تميم وبه كان يكنّى ولكنه حرمه عن ولاية العهد

(١٤) انظر " نهاية الارب " الجزء الخاص بالاسماعيلية.
(١٥) انظر، خصيصاً لذلك كتابنا " الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ ".

والإمامة بعده وجعلها في ابنه الثاني الأمير عبد الله أولا ثم بعد موته في العزيز ابنه الثالث معرضا عن تميم، ومعارضا الأصل الكبير للديانة الإسماعيلية، وأن الوثيقة الهامة التي تخبر عن كون الأمير تميم أكبر أبناء المعزّ، وحرمانه عن الإمامة، وجعلها في الإبن الأصغر هى ما أثبتها أبو على المنصور العزيزي الجوذرى كاتب المعز والعزيز في كتابه (سيرة الأستاذ جوذر) المتولّى أمور الإسماعيلية في أيام الثلاثة من أئمتهم، ونحن ننقل هذه الوثيقة بتمامها، وهى الوثيقة رقم ٨٢، يقول الجوذرى :

" وقد تقدم ذكرنا في كتابنا هذا ما كان من إكرام القائم بأمر الله صلوات الله عليه وتشريفه للأستاذ بافراده واختصاصه بأخذ العهد عليه للمنصور بالله صلوات الله عليه وأن الأستاذ كتم ذلك سبع سنين ثم فعل به ذلك الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه بأن أخذ عليه للأمير عبد الله مفرداً بالمهدية في السفرة التي حمل المال فيها فكتم الأستاذ ذلك عنه حسب ما أمر به سبعة أشهر، ثم إن مولانا صلوات الله عليه أخذ بعد سبعة أشهر، على غيره مثل محمد بن على ومحمد بن الحسن وعسلوج وغيرهم، واستكتمهم ذلك، وكان الأستاذ إذا تقرر عنده علم ولى العهد لم يلتفت بعد الإمام إلا إليه حتى كان يقول في كثير من الأوقات من حيث يسمعه الإمام في عصره : "إنما هو الله عز وجل ومولانا المفترض الطاعة ومن أشار إليه من ولده وجعله ولى عهده والباقى لهم المؤدة في القربى لا غيرها " فلما خرج مولانا عليه السلام إلى المهدية لشد ما بالخزائن من الأمتعة ثم رجع مولانا عليه السلام إلى دار ملكه واحتاج الأستاذ أن يتحرك من المهدية أمر مولانا صلوات الله عليه أولاده وإخوته بالخروج للقائمة وجميع رجال الدولة، ولم يحدد مولانا عليه السلام للأستاذ كيف يسلم على الأمراء أولاده ولا من يقدم ولا من يؤخر، وكان مولانا عليه السلام مشغول الضمير في كيف يكون سلامه عليهم وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا عليه السلام الأكبر وهو تميم، فلما قرب منهم الأستاذ عمل في نفسه على إقامة الحق وإفراد من خصه الله به، فقصد الأمير عبد الله صلوات الله عليه فقبل

الأرض بين يديه ثم قبل ركابه. وكان من حنق الأمير عليه ما كاد أن يسقطه عن سرجه ثم ركب فلم يلتفت إلى غيره ولا سلم على أحد سواه، فوقعت على قلوب أولئك خجلة، ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم، فمنهم من يصوب رأيه فيما فعله ومنهم من يخطئه، فلما اتصل بمولانا عليه السلام فعله وما كان منه من ذلك سر سروراً عظيماً وقال :

" لم يزل جوذر موفقا مذ كان "(١٦).

هذا، وقد نقض هذا الأصل وأهمل هذا الأساس في المرة الثانية أيضاً عند ما حرم الولد الأكبر الإمام الإسماعيلي الثامن في دور الظهور المستنصر بن ظاهر وهو نزار، وجعل الإبن الأصغر له المستعلى إماما للإسماعيلية التاسع، وحصل الخلاف بين الإسماعيلية وقتئذ فانقسموا إلى طائفتين : النزارية والمستعلية، وقد ذكرنا هذا فيما مرّ. (١٧).

فهذه هى حقيقة الأسس المتينة والأصول الثابتة للديانة الإسماعيلية.

والجدير بالذكر أن الإسماعيلي المعاصر قد اعترف بأن إمامة الإبن الأكبر من القواعد الإمامية للمذهب الإسماعيلى بقوله :

" ومن أصول ومرتكزات العقيدة الإسماعيلية ضرورة وجود الإمام المعصوم، المنصوص عليه، من نسل على بن أبي طالب، والنص على الإمام يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه، بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب، أي أن ينص الأب على إمامة ابنه الأكبر، ولا تزال الإمامة المحور الذي تدور على العقائد الإسماعيلية وفسلفتها، لأن الإمامة ركن أساسى لجميع أركان الدين "(١٨).

---

(١٦) " سيرة الاستاذ جوذر " لابى على منصور العزيزى الجوذرى ص ١٣٩، ١٤٠.

(١٧) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب.

(١٨) " تاريخ الدعوة الإسماعيلية " لمصطفى غالب ص ٣٩، ٤٠ ط دار الاندلس بيرت ١٩٧٩ م.

هذا ومن الطرائف أن السابقين من الأئمة الإسماعيلية أيضاً لم يراعوا هذا الأصل فلقد ذكر الداعى الإسماعيلي إدريس عماد الدين بأن الإمام عبد الله بن محمد بن اسماعيل وهو الثامن من أئمتهم الذى استتر بعد أبيه محمد وجده اسماعيل ولد له أول ولد فسمّاه عليا وهو الملقب بالليث، وكان فارساً شجاعاً سخياً ودينا، وكان له ابن المسمّى بأحمد فصيحاً متكلماً شجاعاً مثله ولكن عبد الله بن محمد بن إسماعيل حرم عليا عن الإمامة (بدون عاهة وعذر شرعي) وجعلها في ابنه الأصغر أحمد الذي ولد في قرية أشناس بقرب الديلم "[19].

إضافة إلى ما ذكرناه ذكر الإسماعيليون أنفسهم بأن جلا من الأئمة الإسماعيلية في دور الظهور أرادوا تحويل الخلافة من أبنائهم الكبار إلى الصغار وحرمانهم منها، مثل المهدى حينما أراد تنحية القائم وجعل الإمامة في ابنه الأصغر أحمد بن المهدى[20].

وكذلك أراد القائم تنحية ابنه المنصور من الإمامة كما ذكر النعمان القاضى في مجالسه[21].

وهناك نص في " المجالس " أيضاً أخطر بكثير حيث يروى المعز بنفسه بأن القائم لم يكن يريد إمامة ابنه المنصور، وكان يريد تنحيته منها وجعلها فيه فيقول النعمان بن محمد :

" سايرت المعزّ لدين الله (ﷺ) في بعض أسفاره فذكر القائم (ﷺ) واختصاصه إياه ومحبته له وقربه منه وما كان امتحن به المنصور (ﷺ) من طول ستر أمره وتركه إظهاره إلى أن قرب وقت انتقاله.

---

(١٩) انظر " عيون الاخبار وفنون الآثار " للداعى ادريس ص ٣٤٩ وما بعد ط دار الاندلس بيروت.

(٢٠) أنظر " المجالس والمسايرات " ج ٢ ص ٦٢ نسخة خطية، أيضاً " سيرة الاستاذ جوذر " ص ١١٥، أيضاً " البيان المغرب " ج ١ ص ١٩٣.

(٢١) أيضاً ص ٤٤٨، ٤٤٩ ط تونس.

فقال المعز (ﷺ) دخلت إليه بعد أن يظهر المنصور (ﷺ) ونصبه للناس بعد مدة اثنتى عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك وذلك قبل وفاته (ﷺ) بثلاثة أيام، وعنده بعض حرمه، فأمرها فتنحت عنه، ثم أدناني من نفسه، وضمني إلى صدره، وقبل بين عينيّ، بكى فبكيت لبكائه ولا أدرى ما أبكاه.

ثم قال لى : يابنى انّ مولاك محبّك مفارقك بعد ثلاث. وعقدها بيده.

قلت : بل يبقى الله أمير المؤمنين ويمد في عمره ويقدمنا قبله.

قال : اسمع ما أقول لك : إنّ أخوف ما أتخوفه عليك من أبيك، ما علمه من إيثارى إياك وإيثارك أمرى على أمره، وميلك إلى دونه، وما أعْلمه من ميله إلى أمهات إخوتك. فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم. وكلا لا يفعل الله ذلك إن شاء الله ! ولكن متى رأيت منه أثرة عليك أو ميلا عنك فاصبر صبر من أحلّه الله محلّك، وأقامه مقامك. فأنت والله صاحبها، ولو لا صغر سنّك اليوم ما عدتك "[21].

وفي مقام آخر قال :

" لو لا صغر سنّك لجعلت هذا الأمر إليك "[13].

ولقد استغرب الأساتذة المحققون لهذا الكتاب هذا الأمر فعلقوا على العبارة المذكورة.

" يظهر من كلام القائم أن تعيين ولى العهد موكول إلى الإمام وحده، وأنه في ذلك قد يتجاوز ابنه إلى حفيده، وهذا مخالف للمبادىء الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة تكون في الولد الأكبر بعد والده، ولا تنقل من الإمام إلى أخيه، باستثناء السابقة الفريدة في الحسن والحسين.

---

(٢١) " المجالس والمسايرات " الجزء الثاني والعشرون ص ٤٦٨، ٤٦٩.
(٢٢) انظر " المجالس والمسايرات " ص ٩٤، ٩٥، أيضاً " عيون الاخبار " السبع الخامس ص ٢٢٩.

وقد خالف المعز هذا المبدأ حين عين لولاية العهد ابنه الثاني عبد الله فتجاوز ابنه الأكبر تميماً، كما في سيرة الأستاذ جوذر، أو عزله، كما في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد ص ٤٧.

وخولف المبدأ أيضاً فيما بعد حين تنازع الأخوان نزار والمستعلى ابنا المستنصر الفاطمي، فتولي الإمامة المستعلى - وهو الإبن الأصغر - فانشقت الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية "[٢٣].

وخالف هذا المبدأ أيضاً النزاريون كما خالفه المستعليون حين حرم آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الإمام الإسماعيلي النزارى الثامن والعشرون إبنه الكبير " عليّ " الذي جعل ولاية العهد فيه سنة ١٩٢٧ م[٢٤] فصرّفها إلى حفيده كريم شاه بقوله :

نظرا للظروف التي تغيرت تغيراً أساسياً في العالم، في السنوات الأخيرة، ونظرا للتغيرات الكبرى التى وقعت، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية، فانى على يقين أن مصلحة الطائفة الإسماعيلية تقتضى أن يخلفنى شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولى زعامة الطائفة الإسماعيلية لذلك : أختار حفيدى " كريم " ليكون خليفة لى، وزعيماً للطائفة من بعدى - ١ "[٢٥].

فصار إماما للإسماعيلية النزارية بعد وفاة جدّه في اليوم الرابع عشر من يوليو ١٩٥٧ م بدل أبيه على خان وهكذا استوت طائفتان إسماعيليتان من النزارية والمستعلية في مخالفة هذا المبدأ الأساسى الكبير والأصل الثابت المقرر الهام.

---

(٢٣) انظر تعليق رقم ١ على صفحة ٩٥ من " المجالس والمسايرات " للمحققين الحبيب فقى، وابراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوى.

(٢٤) انظر " الفلك الدوار " لعبد الله المرتضى الاسماعيلي ص ٢٦٨، وكذلك " تاريخ الدعوة الاسماعيلية " لمصطفى غالب الاسماعيلى ص ٣٧٩.

(٢٥) " تاريخ الدعوة الاسماعيلية " ص ٣٨٨.

تسلسل الإمامة في الأعقاب

وهناك عقيدة ثابتة راسخة أخرى عند الإسماعيلية، وهى أن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب واحداً بعد واحد، وإلى مولود بعد والد[٢٦].

ولكن الإمام الإسماعيلي السادس المعصوم - حسب زعم القوم - الحاكم بأمر الله قد خالف هذه العقيدة وداسها بالنعال جهرا عندما جعل ولى عهده عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدى وأحدا من بنى عمومته :

" وفيه (أى سنة أربع وأربعمائة) جمع سائر الناس على اختلافهم بالقصر وقرىء عليهم سجل بأن أبا القاسم عبد الرحيم بن الياس بن أبى علىّ بن المهدى بالله أبى محمد عبيد الله قد جعله الحاكم بأمر الله ولىّ عهد المسلمين في حياته والخليفة بعد وفاته، وأمر الناس بالسّلام عليه وأن يقولوا له في سلامهم عليه : السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، وتعيّن له محل يجلس فيه من القصر. ثمّ قرىء السجل على منابر البلد

---

(٢٦) انظر " عيون الاخبار " السبع الرابع ص ٢٣٥، " راحة العقل " للكرمانى ص ٢٤٠، " المجالس والمسايرات " ص ٩٤، " منتخبات اسماعيلية " ص ١٦٢، " الأصول والأعلام " لأبى المعالى ص ١٢٧ من " خمس رسائل ".
" المجالس والمسايرات " للقاضي النعمان ص ١٢٤، " راحة العقل " للكرمانى ص ٢٤٠، " سيرة الاستاذ جوذر " ص ٨٢.

وبالإسكندرية، وبعث بذلك سجلا إلى افريقية، فقرىء بجامع القيروان وغيره، وأثبت اسمه مع اسم الحاكم في البنود والسّكة والطّراز، فعظم ذلك على نصير الدولة أبي مناد باديس وقال : ولو لا أن الإمام لا يعترض عليه في تدبير لكاتبته ألا يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بني عمه . . . . . وضرب على السكة اسم عبد الرحيم ولى عهد المسلمين "(٢٧) .

والجدير بالذكر أن ابنه عليا الذي تلقب بالظاهر بعدئذ كان موجوداً حيث كانت ولادته سنة ٣٩٤ هـ ولكن آباه لم يجعل الإمامة فيه أي في عقبه حسب المذهب الإسماعيلي بل جعلها في غير العقب.

وهكذا نقض بدوره أصلاً آخر من أصول الإسماعيلية، . وخالفه وعارضه جهاراً دون أن يعطي له أيّ بال وأية أهمية .

متى يصير الإمام إماما ؟

انّ الإسماعيلية يعتقدون فيما يتعقدون أن الإمام لا يكون إماما إلا بعد انتقال الإمام الذي قبله من الدنيا ظاهراً وباطناً، كي لا يكون في الدنيا إمامان في وقت واحد، وأيضاً أن علوم الإمامة لا تنتقل في وارث الإمامة إلا في اللحظة الأخيرة من حياة الامام المتنقل، ولقد صرح بهذه القاعدة جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب للمعز لدين الله الإمام الإسماعيلى، فيقول :

" إنما سمّى الإمام اليتيم لأنه قد غاب أبوه، وأبو الإمام الذي أقامه، ولا يكون الإمام إماما ويسمى باسم الإمامة حتى يغيب الإمام الذي أفضى

(٢٧) " اتعاظ الحنفاء " للمقريزى ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١ ط القاهرة ١٩٧١ م، أيضاً " الخطط " للمقريزى ج ٢ ص ٢٨٨، " النجوم الزاهرة " ج ٤ ص ١٩٣ و ٢٣٥ " سيرة أعلام النبلاء " ج ١٥ ص ١٨٤ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣ م .

إليه بالإمامة فكون الإمام في عصره أيهما كان في ذلك العصر وقع عليه اسم اليتيم "[٢٨].

وبمثل ذلك قال النعمان بن محمد معاصر الأربعة من الأئمة الاسماعيلية من المهدى إلى المعز وقاضى قضاتهم وداعيهم الأجل :

"واليتامى هم في الباطن الأئمة ، وسموا يتامى لأن كل واحد منهم في عصره فرد منقطع القرين لا مثل له فيه ومن ذلك قيل للدرة التي لا نظير لها من الدرر اليتيمة ، وقيل لهم أيضاً يتامى لأن آباءهم وهم الأئمة من قبلهم في الظاهر والباطن قد نقلوا من الدنيا ولا يكون إماماً في الدنيا وأبوه حي "[٢٩].

وهذا لأنه لا ينتقل علوم الإمام الماضي إلى الذي يخلفه في آخر دقيقة تبقى من حياته كما نقل ذلك الداعي الإسماعيلي حاتم بن إبراهيم عن محمد الباقر أنه قال :

"إذا مات الإمام ضلّ كل من على وجه الأرض إلا من عرف الخلف منه في ذلك الوقت .

فقيل له : متى يفيض إلى الإمام علم من كان قبله؟

قال : في آخر دقيقة تبقى من عمر الأول»[٣٠].

وبمثل ذلك نقل النعمان القاضي عن المعز الإسماعيلي أنه قال :

"إن الله (عج) ينقل ما كان عند الماضي من الأئمة إلى التالي منهم في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي»[٣١].

---

(٢٨) " كتاب الكشف " لجعفر بن منصور اليمن ص ٥٤ ط شتروطمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

(٢٩) انظر كتاب " تأويل الدعائم " للنعمان بن محمد المغربي ج ٢ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ط دار المعارف مصر ١٩٦٩ م .

(٣٠) " تحفة القلوب " لحاتم بن ابراهيم الحامدى ص ٩٢ نسخة خطية .

(٣١) " المجالس والمسايرات " الجزء الثاني عشر ص ٢٦٥ ، ومثله أيضاً في ص ١٣١ .

وقال القاضي مفسراً ما قاله المعزّ :

" إنما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي : إنما ذلك في إكمال الأمر واستحقاق الإمامة ووجوب الطاعة، لأن ذلك لا يكون في اثنين، باقيين "[32].

فمن المضحكات أن هذه القاعدة لم تراع أيضاً عند تكوين الديانة الإسماعيلية حيث جعلوا الإمامة في اسماعيل بن جعفر وأبوه جعفر حيّ يرزق ؟

ولا أدرى أيبقى مذهب القوم بعد التمسك بهذه القاعدة الأصولية ولم يؤسسوه إلا على أن إسماعيل كان إماما في حياة أبيه، ولذلك توارث ابنه الإمامة بعد موته معه وجود جده جعفر.

فماذا يقول المنصفون ؟؟

تناقض آخـــر

وأقوال الإسماعيلية هذه معارضة تماما لما قالوه في اثبات إمامة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه : بأن جعفر خلى من الإمامة وصفر بعد نصبه إسماعيل إماما كما صرح بذلك النعمان القاضى[33]، والحسن بنْ نوح الهندى[34]، والداعى الإسماعيلى صاحب كتاب (التراتيب)[35]، وغيرهم[36].

---

(٣٢) أيضاً ص ٢٦٧.
(٣٣) في كتابه «الرسالة المذهبة» ص ٨٣ من «خمس رسائل اسماعيلية».
(٣٤) في كتابه «كتاب الأزهار ومجمع الأنوار» ص ٢٢٩.
(٣٥) ص ١٣٥، ١٣٦.
(٣٦) أنظر لذلك ما كتبناه مفصلاً في الباب الأول من هذا الكتاب.

وبناء عليه قالوا : إن النص لا يرجع القهقرى لأن أمر الإمامة خرج من أيدى الناس.

ولكن السؤال إذن كيف خرج من يد جعفر ولم يخرج من يد المعزّ ؟

وكيف خلى الأول من الإمامة، وصفرت يداه عنها ولم تصفر يدا الثاني ؟

فهل من موفق يوفق بينهما؟ وهل من مجيب يجيب ؟

وقد صدق الله عز وجل : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً "(٣٧).

وأمر نبيه أن يقول : " لا يضلّ ربّي ولا ينسى "(٣٨).

كما أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم " وما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحى يوحى "(٣٩).

شرط دفن الإمام الماضي

ولقد ذكر جوذر مستودع سرّ القائم والمنصور والمعز، وقائم مقام القائم على المغرب :

خصني بفضيلة آثرني بها على جميع العالمين، وأفردني بها من بين جميع الدعاة والمؤمنين، وذلك لما أراد دفن المهدي بالله صلى الله عليه. أحضرني دون جميع العالم، وقال لي وليس إلا أنا وهو على حافة القبر الذي يريد انزال المهدي بالله صلى الله عليه ـ فيه :

---

(٣٧) سورة النساء الآية ٨٢.

(٣٨) سورة طه الآية ٥٢.

(٣٩) سورة النجم الآية ٣.

«يـا جوذر، إنـه لا يحل للحجـة بعد الإمـام أن يدفن الإمـام حتى يقيم حجة لنفسه، ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي، وقد ارتضيتك لهذه الإمامـة دون جميع الخلق، وتلا هذه الآية من قول الله عز وجـل «انا عـرضنا الأمـانة عـلى السمـوات والأرض والجبـال فـأبـين أن يحملنهـا وأشفقن منهـا وحملهـا الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً».

ثم قال:

«إدن مني».

فدنوت منه فقال:

«هات يدك».

فبسطت يدي وأنا خائف وجل من الهيبة التي ركبهـا الله عز وجـل له في قلبي حتى كأنه ليس هو المولى الذي كنت أدل عليه خـطاف وغيره أيـام حياة المهدي بالله صلى الله عليه، فقال لي:

«أنا آخذ عليك عهد الله وغليظ ميثاقه أنك تكتم عني ما أظهره وأكشفه لك» فقلت:

«نعم يا مولانا صلى الله عليك».

فقال:

«ولدي اسماعيل هو حجتي وولي عهـدي فاعـرف له حقـه، واكتم أمره أشد كتمان حتى أظهره بنفسي في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره».

ثم دفن المهدي بالله صـلى الله عليه، وواراه في قـبره صلى الله عليـه[٤٠] فهـذه هي القاعـدة الاسماعيليـة الجليلة الأخرى قـد أقـر بهـا وأعلن الإمـام الاسماعيلي المعصوم ـ القائم بن المهدي ويعلق عليها معلق الكتاب ومقدمه:

«هذا رأي لم نقرأه من قبـل فيما قـرأناه من كتب الاسـماعيلية الأولى التي وقعت بين يدي، حقيقة أجد أن على الإمام أن ينص على صاحب الأمـر من

---

(٤٠) «سيرة الأستاذ جوذر» ص ٣٩، ٤٠، مثله في «زهر المعاني» الباب السابع عشر ص ٧٢ من «المنتخب» لايوانوف.

بعده من ولده، فهذه عقيدة أساسية في عقائد الاسماعيلية، فالنص ركن من أركان الإمامة عندهم، أما أن «لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه» فهذا هو الأمر الغريب ولا أظن أن أحداً من الأئمة بعد القائم نفذ هذه العقيدة التي أشار إليها القائم فها هو المعز لدين الله لم يقم حجته (ولي عهده) عبد الله قبل أن يدفن أباه المنصور، إنما صرح بالنص على ولي عهده لجوذر فقط عندما كان المعز يتهيأ للانتقال إلى مصر أي بعد عشرين سنة من وفاة المنصور، وها هو العزيز بالله بن المعز الذي توفي أبوه المعز سنة ٣٦٥هـ ولم يولد ولي عهده الحاكم إلا سنة ٣٧٥هـ أي بعد عشر سنوات من وفاة الإمام، وكذلك نقول عن الحاكم بأمر الله الذي توفي أبوه العزيز وهو في الحادية عشرة من عمره وهو الأمر الذي لا يتأتى معه أن يقيم لنفسه حجة قبل دفن الإمام، فهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على أن العقيدة التي قال بها القائم لم تطرد مع الذين جاءوا بعده من الأئمة، ولا أدري على وجه التحقيق من أين جاء بها القائم»(٤١).

ونضيف إلى ذلك أن الظاهر قتل أبوه الحاكم ولم يتزوج بعد.

وتوفي الظاهر هذا وابنه المستنصر لم يتجاوز السابعة من عمره.

وكذلك المستعلي بن الظاهر لما مات كان ابنه الآمر طفلاً، له من العمر خمس سنين.

وأما الآمر فقد مات بلا عقب، أو عقب لم يتجاوز الواحدة من العمر(٤٢).

وأكثر من ذلك وأخطر أن محمد بن اسماعيل الذي عليه يدور رحى مذهب الاسماعيلية لم يكن قد بلغ الحلم عند وفاة أبيه اسماعيل بن جعفر دون أن يكون له ولد يقيمه حجة له.

---

(٤١) مقدمة كتاب «سيرة الأستاذ جوذر» ص ١٩، ٢٠ تحقيق الدكتور محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره.

(٤٢) أنظر التفاصيل لذلك وذكر المصادر والمراجع في الباب الثاني من هذا الكتاب.

«وذلك ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المصدق الأمين في تسليمه الأمر إلى ولده اسماعيل بن جعفر، وغيبة اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولية، ولم تكن الإمامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره، فأودع حجته المنصوبة بين يديه ميمون القداح مقامه لولده وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشدّه سلام الله عليه»(٤٣).

معرفة الإمام

من العقائد الاسماعيلية المشهورة التي يعتقدون بها، والمعتقدات التي يتمسكون بها هي أنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية(٤٤).

وقد نسب النعمان بن محمد المغربي هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عن جعفر أنه قال:

«من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية، فقال (عليه السلام): إماماً حيّاً؟

قيل له: لم نسمع حياً.

قال (يعني جعفر): قد قال والله ذلك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٤٥).

هذا من جانب ومن جانب آخر خالفوا هذه العقيدة ونقضوها بقولهم إن

---

(٤٣) «غاية المواليد» ص ٣٦ من «المنتخب» لايوانوف.

(٤٤) «المجالس المؤيدية» للشيرازي ص ١١٩ ط دار الأندلس بيروت «رسالة الأسابيع» لقيس بن منصور ص ١٧٨ من «خمس رسائل اسماعيلية»، «هفت باب أبو اسحاق» فارسي ص ٢٦ «الرسالة في الإمامة» لأبي الفوارس أحمد بن يعقوب ص ٣.

(٤٥) «دعائم الإسلام» ج ١ ص ٢٧ ط دار المعارف مصر ١٩٦٣م بتحقيق آصف فيضي.

الأئمة الاسماعيلية في دور الستر لم يكن أحد يعرفهم إلا دعاتهم المقربون(٤٦).

وحتى الدعاة المقربون لم يكونوا يعرفون بهم كما ذكر في كتاب (استتار الإمام).

وكما صرّح المؤرخ الاسماعيلي وداعي دعاتهم ادريس عماد الدين في «عيونه» أكثر من مرّة في مواضع متعددة، والآخرون في كتبهم المختلفة.

وأيضاً لا يعرف الاسماعيلية المعتقدون بإمامة المستعلي بن المستنصر ثم الآمر بن المستعلي بعده من هو إمامهم من بعد الآمر إلى يومنا هذا.

ومن الطرائف أنهم شنّوا الهجوم على الشيعة الاثنى عشرية لاعتقادهم في الغائب، فيقول جعفر بن منصور اليمن:

«وإذا كان الإمام مفقود العيان منتظر الرجعة فما منفعة من بعده به، وإلى من يرجعون في أمر حلالهم وحرامهم وفرائضهم وأحكامهم، ومن يقيم فيهم حدود الله ويفرق بينهم في الأحكام، وأنا متى فقدنا الموجود رجعنا إلى عباده ونسينا الباري جل وعز إلى الظلم، وإنه أحالنا على عدم، ومتى اختلفنا في حكم من الأحكام رجعنا إلى الرأي والقياس، وليس هذا من فعل الحكيم أن يأمرنا بالسمع والطاعة لشخص مفقود، ولو جاز لنا ذلك لأمرنا بعبادة من لم يلد لنكون ننتظره حتى يلد كما ينتظر الغائب»(٤٧).

وأيضاً:

«والحسن مذ مات إلى وقتنا هذا مائة وعشرون سنة، والناس يعبدون عدماً افترى أن الله جل وعز يسألني عن ظلم الخلق لما أحالهم على معدم الشخص، وقد بطل قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، من مات ولا يعرف إمام عصره مات ميتة جاهلية، وقول الصادق عليه السلام

---

(٤٦) كما ذكرناه مفصلاً في الباب الأول من هذا الكتاب.

(٤٧) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨٥ من «المنتخب» لإيوانوف.

من مات ولم يعرف إمام عصره حيّاً مات ميتة جاهلية، فلا قول الرسول حفظتم ولا قول الذريّة أخذتم، فمن إمامكم الذي تدّعون به وإلى من ترجعون، إنْ التاث عليكم شيء من أمر دينكم، إنما أنتم مع العدم، مرة تقولون: إنه في جبال رضوى، ومرة يقيم في الصحراء، ومرة ساكن في الماء مستعد للخروج إلى الدنيا للفصل بين الأموات والأحياء، وإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور»(٤٨).

وقال الداعي الاسماعِيلي الكبير حميد الدين الكرماني مبيناً ضرورة الإمام واحتياج الناس إليه:

«لما كانت الحاجة إلى الإمام إنما كانت لأن يكون حافظاً رسوم الشريعة وعين الكتاب من أن يزاد فيها أو ينقص منها، وداعياً إلى الإسلام بالترغيب والترهيب، ووافداً بالمسلمين على ربهم يوم الحساب، ومخرجاً إياهم من اختلاف ما فيه يختلفون بعلمه وتفسيره، وقاضياً فيما يحدث من الحوادث بينهم بما أنزل الله، ومستغفراً لهم، ومصلياً بهم، ومطهراً لهم بأخذ ما أمر الله بأخذه عنهم على ما يراه، ومقيماً عليهم الحدود، ومجيباً عما يراد إليه مما يراد معرفته من أمور الدين، ومبلغاً إلى الأمة ما قاله الرسول، وساداً مسده في جميع ما كان يتعلق به من طلب مصالح الأمة، وكان لولا هذه الأسباب لا يحتاج إلى إمام، وكان من لا يكون حافظاً رسوم الشريعة، ولا مخرجاً للناس من اختلافهم إذا ردوا إليه، ولا قاضياً، ولا قائماً بجميع ما ذكرناه مقام الرسول بأمره فليس بإمام»(٤٩).

وأيضاً:

«لما كانت العلة التي لأجلها وجب وجود الإمام وجوب حفظ الشريعة والكتاب من أن يزاد فيهما أو ينقص منهما بعد ما كان ممكناً الزيادة فيهما

---

(٤٨) أيضاً ص ٩٢.

(٤٩) «المصابيح في إثبات الإمامة» لحميد الدين الكرماني المتوفى ٤١١ هـ ص ١٣٦ ط بيروت ١٩٦٩م.

والنقصان منهما، والدعوة إليهما وإلى الإسلام بالترغيب والترهيب، وحاجة الأمة إلى من يصلي بهم، ويعلمهم معالم دينهم، ويخرجهم مما يختلفون فيه، ويقضي فيما بينهم بما أنزل الله، ويستغفر لهم، ويطهرهم، ويقيم عليهم الحدود، ويجيب عما يرد إليه من المسائل، وليبلغهم الرسول صلى الله عليه وسلّم، ويأخذ منهم حقوق الله على ما يراه، ويسد مسد النبي صلى الله عليه وسلم فيما بين ظهرانيهم بأمره صلى الله عليه وسلم، فكان من كان حافظاً للكتاب والشريعة على رسومها ويدعو إلى الإسلام وإليهما، ويذب بالترغيب والترهيب عنهما، ويصلي بالناس، ويعلمهم معالم دينهم، ويخرجهم مما يختلفون فيه إذا رجعوا فيه إليه، ويقضي بما أنزل الله، ويستغفر الله لمن يستغفره، ويطهرهم، ويقيم عليهم الحدود، ويجيب عما يرد إليه من المسائل، ويبلغهم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم على صيغته ويأخذ منهم حقوق الله وينفقها في وجهها، ويسد مسد النبي صلى الله عليه وسلم فيما بين الأمة بأمره بنص القائم مقامه، فهو إمام»(٥٠).

هذا، وبمثل ذلك قال القاضي النعمان في كتابه (اختلاف أصول المذاهب).

وغيره في غيره.

ومعنى هذا كله أن الناس يحتاجون إلى إمام يقوم بينهم بهذه الأعمال التي ذكرها الاسماعيلية.

فنسائل القوم: هل أئمتهم في دور الستر كانوا يقومون بهذه الأعمال، ويؤدون هذه الواجبات؟

وكذلك الآن هل يعرف الاسماعيلية الطيبية أو المستعلية أو البهرة إمام زمانهم من اليوم الذي قتل الأمر إلى يومنا هذا؟

وهل قاموا ويقومون بالأعمال التي عدّدها كبراؤهم وقادتهم؟

---

(٥٠) أيضاً ص ١٤٦، ١٤٧.

وهناك أسئلة أخرى، وإيـرادات أوردها الاسـماعيلية عـلى مخالفيهم من الشيعـة الاثنى عشرية وغـيرهم على اعتقـادهم بـالغـائب المنتـظر ـ المـوهـوم المعـدوم ـ حيث تـرد عليهم نفس الإيـرادات، وتـطرح عليهم نفس الأسئلة ولكن لها موضعها ومحلّها في الجزء الثاني من هذا الكتاب(٥١).

عمر الإمام

وهناك قاعـدة أخرى من القـواعد الاسـماعيلية التي اخـترعوهـا للطعن والتشنيـع على مخـالفيهم غير عـالمين بـأن الله يومـاً من الأيام يـردّ كيدهم إلى نحورهم ـ وكلّهم في سوء المعتقد وبطلان ما يؤمنون به ويعتقدون سواء.

وهي القاعدة التي ذكرها باب أبواب المعزّ ـ وهو كالمعصوم عنـد القوم ـ فيقول ردّاً على الاثنى عشرية الذين يقـولون بـإمامـة محمد الملقب بـالجواد بن علي الملقب بالرضا:

«وقد قامت فرقة بعده على ولده محمد بن علي، وادعت فيه الإمامة وكان علي لما صار إلى المأمون خلفه بالمدينة طفلاً صغيراً في حجراتـه، ومات خلفـه ابن خمس سنين إلى العشرة لا يجرى عليه الحكم ولا يجوز شهادته ولا يـرضى عقله، وإنه لا يجوز شهـادته من لم تجب الصـلاة خلفه ولا تؤكـل ذبيحته ولا رأينا أحداً من الملوك المتقدمة من اليهود والنصارى وغيرهم قدم مثل هذا ولا رضي به. . . وأنتم تقولون: إنه أوصى إليه قبل أن يفارقه، وكيف يوصي إلى من لا يجوز عليه الحكم، والوصية عندنا وعندكم بأمر الله ووحيه إلى السلف ينصب الخلف كما تقدّم القول به بشهود عدول، وهـل يجوز لأحـد في ظاهـر

---

(٥١) حيث يكـون ذلـك الجـزء مختصـاً في البحث عن النـزاريـة، والمستعليـة، والـداؤديـة، والسليمانية، والأغاخانية إن شاء الله.

أمره أن يوصى ولداً له إذا كان لم يجر عليه الحكم، وهل يجوز أن يسلّم إلى وصيّ يوصيه بولده ويستخلفه عليه أن يسلّم إليه ماله حتى يشهد عليه عدول يقبل شهادتهم المنصوب للقضاء»(٥٢).

وذكر مثل هذا الآخرون.

فإجماع الشيعة على أن الإمام لا يكون إماماً إلا عندما يكتمل شبابه، ويبلغ الحلم وسنّ الرشد، فمن لا تجوز شهادته، ولا يرضى عقله، ولا تجب الصلاة خلفه، ولا تؤكل ذبيحته ولا يجوز عليه الحكم لا يكون إماماً.

نعم! هذا هو الأصل، لكن لا أدري كيف يعارضونه ويخالفونه عندما يثبتون إمامة محمد بن اسماعيل بعد اسماعيل بن جعفر وكان عمره يوم ذاك ثلاث سنين كما صرّح بذلك الداعي ادريس عماد الدين في كتابه الباطني:

«فسلّمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل إلى ميمون بن غلان فرباه وأخفى شخصه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره»(٥٣).

وكذلك الحاكم بأمر الله الذي يحكي عن نفسه بأنه يوم وفاة أبيه وتولّيه الخلافة كان يلعب «فدعاني أبي وضمّني وقبّلني وهو عريان، وقال: أمض فالعب، فأنا في عافية.

قال: ثم توفّي، فأتاني برجوان، وأنا على جميزة في الدّار، فقال: انزل ويحك، الله الله فينا، فنزلت، فوضع العمامة بالجوهر على رأسي، وقبل الأرض ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وخرج بي إلى الناس، فقبّلوا الأرض، وسلّموا علي بالخلافة»(٥٤).

---

(٥٢) «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨٩، ٩٠ من «المنتخب» لايوانوف.
(٥٣) «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» لايوانوف.
(٥٤) «سير اعلام النبلاء» للذهبي ص ١٧٣، «النجوم الزاهرة».

وكـذلك المستنصر بن الـظاهر الـذي لم يتجاوز السـابعة من عمـره يوم أقاموه إماماً للاسماعيلية(٥٥).

فاستبدت بـالإمامـة أمّه وأودعتهـا في اليهود حتى إن شـاعراً من شعـراء ذلك العصر ابن بوّاب اضطر أن ينظم هذه الأبيات:

يهـود هـذا الـزمـان قـد بـلغـوا غـايـة آمـالهـم وقـد مـلكـوا
الـعـز فـيـهـم والمـال عـنـدهـم ومـنـهـم المـسـتـشـار والمـلك
يـا أهـل مصر قـد نـصـحـت لـكـم تـهـوّدوا قـد تـهـوّد الـفـلك(٥٦)

وكذلك الآمر بن المستعلي لم يكن قد بلغ السادسة من العمر(٥٧).

وأما الطيب فحاله حال ابن الحسن العسكري المولود المعدوم أو الموهـوم المـوجود. ويضـاف إلى هؤلاء محمد القـائم(٥٨) على رأي بعض الاسـماعيلية الذين لا يعدونه ابن المهدي الاسماعيلي الحقيقي، ويجعلون المهدي كفيلاً لـه ومستودع أمره(٥٩).

فماذا يقول الاسماعيلية عن هذا التعارض الصريح والتناقض الشنيع؟

وكيف يثبتـون إمامـة أئمتهم مع اتفـاق الشيعة عـلى تلك القاعـدة التي ذكرها باب أبواب المعز وداعي الدعاة الاسماعيلية جعفر بن منصـور اليمن، وفي ضـوئها وحسب مقتضيـاتها ومتـطلباتهـا لا يثبت إمامـة واحـد من هؤلاء المذكورين.

---

(٥٥) «اتعاظ الحنفاء» ج ٢ ص ١٨٢ «الخطط» للمقريزي ج ١ ص ٣٥٥ أيضاً «الكامل» لابن الأثير. ج ٨ ص ١٠ «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٥ ص ٢٢٩ «تاريخ ابن إياس» ج ١ ص ٢١٥.

(٥٦) «حسن المحاضرة» للسيوطي ج ٢ ص ١١٦.

(٥٧) أنظر ج ٥ ص ١٥٣، «الخطط» ج ٢ ص ١٩٠ «تاريخ ابن إياس» ج ١ ص ٢٢١ «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي، «تاريخ ابن خلدون»، «وفيات الأعيان» ج ٥ ص ٣٠١.

(٥٨) الإمام الثاني الاسماعيلي في دور الظهور.

(٥٩) «غـايـة المـواليـد» ص ٣٧ من «المنتخب»، «زهـر المعـاني» ص ٦٦ من «المنتخب» لايوانوف.

عمر محمد بن اسماعيل

وما دمنا لا زلنا في ذكر اختلاف الاسماعيلية وتناقضاتهم حول أئمة الدور الأول من اسماعيل ومحمد بن اسماعيل بناة هذا المذهب ومؤسسي هذه الديانة، نريد أن نذكر ههنا الخلاف الكثير والتناقض الكبير في عمر محمد بن اسماعيل عند وفاة أبيه فيقول جعفر بن منصور اليمن: إن عمره كان أربع عشرة سنة حيث يقول ردّاً على المخالفين:

«فصار اسماعيل باب الله ومحرابه وبيت نوره والسبب بينه وبين خلقه، واجتمعنا نحن وأنتم على ذلك، فلما غيّب شخصه في حياة أبيه سراً من أعدائه ومحنة لأوليائه... لم يغب عن الدار حتى خلف ولداً كاملاً، وأن الأمر قد رجع إليه بأمر الله ووحيه إليه، وإنه لما حضره ما أراده الله من أمره أوحى إليه أن يسلّم الأمر إلى ولده محمد، دعا نقباءه وخواص أصحابه وسلّم إليه بمحضر من خاصّته ستراً عليه كما فعل هرون (هارون) بيوشع بن النون إذ جعله خليفة على ولده إلى أن تمّ أمره، وقد كان هذا رجلاً كاملاً له أربع عشرة سنة، وصاحب هذا العمر جائز القول مقبول الشهادة»(٦٠).

فهذا ما قاله داعي الدعاة الاسماعيلية وباب أبواب الإمام «المعصوم» الذي هو كالمعصوم أيضاً.

---

(٦٠) كتاب «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١، ٨٢ وكذلك ص ٩٩ من «المنتخب» لايوانوف ط أجمل بريس، بومبي.

وقال داعي البلاغ الاسماعيلي الذي له أيضاً العصمة كالإمام، خطاب ابن الحسن في كتابه (غاية المواليد): إن محمد بن اسماعيل كان وقت وفاة أبيه في حد الطفولية(٦١).

هذا وقال ادريس عماد الدين الداعي المطلق للاسماعيلية، الذي هو كالمعصوم أيضاً في كتابه السرّي المشهور (زهر المعاني):

ولما آن لاسماعيل الأجل تلبيساً على الضدّ لشدّة حسده وبغيه وحرصه في إطفاء نور الله والله متمّ نوره بما فعله إن شاء الله، وأوصى إسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم لولده حجباً ومستودعاً كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً فأقام له يوشع بن النون ستراً عليه وحجاباً له، فسلّمه، أعني مولانا محمد بن اسماعيل، إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي قدس الله روحه، فربّاه وأخفى شخصه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيل له مستودع أمره، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ»(٦٢).

ومن المعارضات الفاضحة والمناقضات القبيحة أن الداعي المطلق هذا نفسه يناقض ما قاله ههنا ويخالف في كتاب آخر مشهور في التاريخ الاسماعيلي حيث ذكر:

«وكان الإمام محمد بن اسماعيل (عليه السلام) حيث قبض أبوه ابن ست وعشرين سنة، وأخوه علي بن اسماعيل رجل بالغ الحلم، له من العمر ثماني عشرة سنة فبقيا عند جدهما الإمام الصادق (عليه السلام)(٦٣). ما أجهل هذا المعصوم وما أبلهه!

(٦١) أنظر «غاية المواليد» الباب الرابع ص ٣٦ من «المنتخب» لايوانوف، وقد أثبتنا النص فيما مر آنفاً في هذا الباب استغنينا به عن إيراده مرة أخرى.

(٦٢) «زهر المعاني» ص ٤٧ من «المنتخب» لايوانوف.

(٦٣) أنظر «عيون الأخبار» للداعي المطلق ادريس عماد الدين، السبع الرابع، ص ٣٥١ ط دار الأندلس بيروت.

وما أكبر هفوته وزلّته، وأفحش خطأه وغلطته!

وهناك مؤرخ اسماعيلي آخر من سوريا عبد الله المرتضى يقول في كتابه (الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار) بقول آخر، وهو:

«ولد للإمام جعفر الصادق عليه السلام ستة أولاد ذكور وهم اسماعيل ومحمد واسحاق وعبد الله وموسى وعلي وقد عهد لابنه اسماعيل بالإمامة على مسمع خواص شيعته الاسماعيلية حسب الناموس الالهي وشروط الوصاية وأحكامها ومبانيها فساق الاسماعيليون الإمامة في إسماعيل وجعفر حياً؟ فلما لبث اسماعيل بعد النص عليه بالإمامة سوى زمن وجيز حتى توفي فترك زوجته حاملاً (بمحمد الحبيب) ولقد ألقي على هذا الإمام المصون وهو لا يزال في (زجاجته الدرية) سر الإمامة الدقيق وفيضها العذب الأنيق إمام بضعة من الدعاة والحدود»(٦٤).

فهذه هي بعض الأقوال في عمر إمام اسماعيلي واحد، الإمام الذي يعدّونه سابع النطقاء، ناسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وحول إمامته حصل الخلاف بين الطوائف الشيعية، وتفرقت الفرق، وتكونت الاسماعيلية من الذين تمسكوا بإمامته وآمنوا بولايته.

ثم الخلاف في ذلك ليس بخلاف يسير، بل الخلاف في أنه لم يكن مولوداً، وكان مولوداً وعمره ست وعشرون سنة.

وأطرف من ذلك أن كل القائلين بهذه المقولات «معصومون لا ينطقون عن الهوى».

ولا أدري كيف كان حجمه إذ حصل بين غير المعصومين؟

فهذه بعض الأمثلة القليلة القليلة للاختلافات الكثيرة الكثيرة حول محمد بن اسماعيل، واسماعيل أبيه، وعليها تقاس كثرة الخلافات والتعارضات والتناقضات بين القوم في المسائل والقضايا الأخرى التي

---

(٦٤) «الفلك الدوار» لعبد الله المرتضى ص ١٢٥ ط سوريا.

اختصّوا بها من التوحيد، والمبدع، والابداع، والولاية، والتأويل، وبدء الخليقة، والمعاد. وكذلك في النبوة، والوصاية، والولاية، والإمامة وغيرها من الأشياء الكثيرة الكثيرة لو نذكرها بتمامها لخرج الكتاب عن حده.

وإننا قد لّمحنا وألممنا إليها في الأبواب الماضيّة عند ذكر معتقدات القوم وأفكارهم أثناء الكلام عنها، ولم نرد في هذا الباب إلا توجيه الباحثين والقراء إلى أن دعواهم بأن علمهم مأخوذ من المعصومين هذه حقيقته.

وسنورد بعض الأمثلة الأخرى بتعارضاتهم وتناقضاتهم واختلافاتهم في قضية واحدة بالاختصار والإيجاز دون التطويل والاطناب اتماماً للفائدة، وكمالاً للبحث، فمثلاً يختلف الاسماعيلية في أول الخليقة ما هو؟

فقال الأكثرون: إن أول ما خلق الله تعالى العقل قال به إخوان الصفاء[٦٥] والمؤيد الشيرازي[٦٦] وأبو يعقوب السجستاني[٦٧] ثم ساقوا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال عز وجل: بعزتي وجلالي بك أثيب وبك أعاقب[٦٨].

ولكن النعمان بن محمد المغربي قال بعكس ذلك، وهو:
«أول ما خلق الله الحروف، وبالحروف علت الأسماء، وبالأسماء عرفت الأشخاص[٦٩].

ثم تخبط في نفس الكتاب فقال:
«أوّل ما خلق الله القلم»[٧٠].

---

(٦٥) أنظر «إخوان الصفاء» ج ٣ ص.
(٦٦) «المجالس المؤيدية» المائة الأولى ص ٦.
(٦٧) «تحفة المستجيبين» ص ١٣ من «ثلاث رسائل اسماعيلية» ط دار الآفاق، بيروت.
(٦٨) «المجالس المؤيدية» للشيرازي، المائة الأولى ص ٦ ط بيروت.
(٦٩) «أساس التأويل» للنعمان بن محمد القاضي ص ٣٦، ٣٧ ط دار الثقافة، بيروت.
(٧٠) أيضاً ص ٣٩.

ولكن الداعي الاسماعيلي الكبير أبا حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ يقول خلاف ما قاله هؤلاء فقال:

«أول ما خلق الله اسما، بالحروف غير منسوب، وباللفظ غير منطوق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتسمية غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفى مبعد منه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور... الخ»[٧١].

ثم أراد المؤيد الشيرازي التوفيق بين من يقوله: القلم، وبين من يقوله: العقل، فقال:

«إنّ العقل هو القلم»[٧٢].

ولكن الكرماني حميد الدين عارضه في ذلك وقال:

«إن المنبعث الثاني من العقل الأول المسمى بالقلم موجودتان، وأنه في الكمال كالأول»[٧٣].

يعني بذلك أن العقل هو الموجود الأول والانبعاث هو الموجود الثاني، وهو المعبر بالقلم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر قال ابراهيم بن الحسين الحامدي، والحسين بن عليّ بن الوليد وعلي بن حنظلة وطاهر بن ابراهيم، واللفظ للأخير:

«إن الله تعالى أبدع عالم الابداع المكنى عنه بعالم الأمر، وعالم العقل، وعالم القدس، وعالم الصفا، وعالم اللطافة، والعالم الروحاني، جميعاً معاً، دفعة واحدة من غير شيء تقدمهم، فيكون لهم هيولى أولى، ولا مع شيء صحبهم، فيكون مماثلاً لهم ومشاكلاً، ولا على شيء أقلهم، فيكون لهم

---

(٧١) أنظر «كتاب الزينة» لأبي حاتم الرازي ج ١ ط فيض الله الهمداني، ط مطبعة الرسالة القاهرة، مصر ١٩٥٧م.

(٧٢) «المجالس المؤيدية» ج ١ ص ١٠٩.

(٧٣) «راحة العقل» للكرماني. ص ٢١٧.

مكان أول، واخترعهم عالم وجود من عدم غير موجود تفضلاً منه وجوداً، إذ من شيمة الكريم القادر التفضل، ومن سجية العزيز العليم الجود والتطول، لا محتاجاً إليهم، ولا عابثاً بهم، إذ هو متعال متكبر عن ذلك أوجدهم أشباحاً صورية محضة نورانية، ذوات قامات ألفية، كالقامات الإنسانية البشرية، مباينة لأنفسها الهيولانية، وأجسامها اللحمية الدموية، إذ هي كثافة ظلمانية وتلك لطائف روحانية قدسانية، فوّجد تلك الأشباح النورانية متساوية في الكمال الأول، الذي هو الوجود، والحياة، والقوة والقدرة، لا تخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينها ولا تمايل»[٧٤].

ومثله في «المبدأ والمعاد»[٧٥].

فهذه هي التعارضات والتناقضات والاختلافات الكثيرة التي لا يمكن التوفيق بينها في المبدع الأول وحده.

ثم هناك اختلاف بين القائلين بأن العقل هو الموجود الأول، هل هو أول موجود فاض من الباري أم عن طريق الابداع، فقال إخوان الصفاء: العقل هو أول موجود فاض من الباري تعالى عن طريق الفيض»[٧٦].

ولكن المؤيد الشيرازي قال:

«فالعقل وجد عن الله سبحانه ابداعاً»[٧٧].

وبمثل ذلك قال الكرماني[٧٨].

ثم اختلفوا في العقل اختلافاً آخر هل فوق العقل الأول شيء؟

فقال الكرماني والسجستاني ليس فوق العقل الأول شيء[٧٩].

---

(٧٤) «الأنوار اللطيفة» الباب الثاني، الفصل الأول ص ٨٣.

(٧٥) «المبدأ والمعاد» ص ١٠٢، ١٠٣ من «رسالة اسماعيلي».

(٧٦) أنظر «رسائل إخوان الصفاء» ج ٣ ص ٢٥٦.

(٧٧) «المجالس المؤيدية» نسخة خطية.

(٧٨) «راحة العقل» للكرماني ص ١٥٨.

(٧٩) حميد الدين الكرماني نقلاً عن «أربعة كتب اسماعيلية» ص ٤٧، «كتاب الينابيع» للسجستاني ص ٢٥ «رسالة اسماعيلي».

ونقلوا عن بعض الحدود أنه قال:
«إن فوق العقل ثلثة حدود روحانية»[٨٠].
ثم اختلفوا فيه اختلافاً آخر هو: ما هو العقل الأول؟
فقال قوم: العرش هو العقل[٨١].
وقال الآخرون: جبريل هو العقل[٨٢].
ثم اختلفوا في العرش فقال قوم: إن العرش هو العقل[٨٣].
وقال قوم: إن العرش هو العلم كما قال الداعي ادريس:
«العرش هو العلم الباهر والنور الظاهر»[٨٤].

وبمثل ذلك قال حاتم بن ابراهيم:
«والعرش المذكور هو العلم، وهو ما نزل على أول نطقاء دور الستر الذي هو آدم»[٨٥].

وبمثل ذلك قال جعفر بن منصور اليمن[٨٦].
ولكنه نفسه قال في موضع آخر من الكتاب: إن العرش هو الملك»[٨٧].

وقال الداعي الاسماعيلي الآخر:
«إن العرش والكرسي هما الفلك المحيط وفلك البروج»[٨٨].

---

(٨٠) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ٤٧ من «أربعة كتب اسماعيلية» ط شتروطمان غوتتينغن.
(٨١) أنظر «تأويل الدعائم» للقاضي النعمان ج ٢ ص ١٩.
(٨٢) أنظر «كنز الولد» للحامدي ص ١٦٥.
(٨٣) أنظر «المجالس المؤيدية» ج ٢ ص ٥٧.
(٨٤) «زهر المعاني» لإدريس عماد الدين، نسخة خطيّة.
(٨٥) «الشموس الزاهرة» لحاتم بن ابراهيم، نسخة خطيّة.
(٨٦) أنظر «كتاب الكشف» ص ١٦.
(٨٧) أيضاً ص ٤٣.
(٨٨) أنظر «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص ١١٩ من «أربعة كتب اسماعيلية».

وقال النعمان القاضي:
«إن العرش هو دين الله الذي تضمنته دعوة الحق، والدعوة في ذاتها عرش لأنها الدِّين الخالص»[٨٩].

وقال الآخر:
«خلق الله العرش» يعني بالعرش في هذا الموضوع قائم كل قيامة[٩٠].
ثم اختلفوا في جبريل أيضاً، فقال البعض: إنه هو العقل كما مرّ بيانه.

وقال السجستاني:
«جبريل كناية عن ثقة الله الذي لا يجاوزه ولا يعدوه»[٩١].

وقال الداعي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني:
إن أبي بن كعب هو المكنّى عنه بجبريل[٩٢].
ثم نفسه يخالف ما قاله أولاً فيقول:
«أبو طالب هو بلسان الشريعة جبرئيل»[٩٣].

ولكن الداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين يروي رواية أخرى عن جبرئيل، التي تنبىء أنه لم يكن إلا ملكاً وهي:

«كان عليّ يسمع وقع جناح جبريل على السطح إذا نزل بالوحي[٩٤].

فهذه حقيقة دعواهم بأن علمهم مأخوذ من المعصومين، وأنه وقف عليهم من عند الله، وهذا مثال آخر من الأمثلة الكثيرة للتعارضات والتناقضات اللا محدودة واللا معدودة، وهذا إن دلّ على شيء دلّ على أن الديانة الاسماعيلية مجموعة من العقائد غير الثابتة، والقواعد المتعارضة

---

(٨٩) «تأويل الدعائم» ج ١ ص ٢٥١ ط دار المعارف مصر.
(٩٠) «مسائل مجموعة» ص ٦٧ من «أربعة كتب اسماعيلية».
(٩١) «كتاب الافتخار» للسجستاني ص ٤٤ ط، بيروت.
(٩٢) أنظر «الأنوار اللطيفة» ص ١٢٧ ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠م.
(٩٣) أنظر «الأنوار اللطيفة» الفصل الثالث من الباب الثاني من السرادق الثالث ص ١٢٨.
(٩٤) «عيون الأخبار» السبع الرابع ص ١٩٦.

المتناقضة، ولا توجد مسألة من مسائلها إلا وتضاربت فيها آراء القوم، ولا قضية من قضاياهم إلا وقد اختلف فيها الاسماعيليون اختلافاً كثيراً.

وكذلك ليس لها اسس ولا أصول قائمة دائمة فالأسس التي اخترعوها، والأصول التي اختلقوها، نقضوها أنفسهم وعارضوها وخالفوها.

وخير دليل على ذلك (كتاب النصرة) و (كتاب الاصلاح) ثم (كتاب الرياض) للدعاة الاسماعيلية الثلاثة الكبار، لا يقول في كتابه أحد شيئاً إلا ويعارضه الآخر، ولذلك استغرب الباحثون هذه الخلافات الكبيرة مع ادعائهم ما يدّعون من نزول الوحي على أئمتهم، وكونهم من المحفوظين عن الخطأ والزلل، وحصول دعاتهم على العصمة والصيانة عن السهو والنسيان والغلط.

«أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً»[٩٥].

و «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»[٩٦].

و«يقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»[٩٧].

---

(٩٥) سورة النساء الآية ٥٠.

(٩٦) سورة الكهف الآية ٥.

(٩٧) سورة آل عمران الآية ٧٨.

الباب التاسع

زعماء الاسماعيلية وفرقها

إن الاسماعيلية وليدة أفكار وآراء لأشخاص ساهموا في نشأتها وتكوينها، وإبرازها من العدم إلى الوجود، مبنية على أسس شيعية وقواعد باطنية من الحاقدين الحانقين على الأمة المحمدية وأسلافها، وخاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم خلفاؤه الراشدون الثلاثة، وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن سلك مسلكهم واهتدى بهديهم وتبعهم، على مر الزمان وكرّ الدهور، فحاولوا القضاء على الخلافة الإسلامية، والدولة المسلمة آنذاك، وإقامة مملكتهم وسلطنتهم على أنقاضها وأشلائها، وهدم شريعة الإسلام التي جاء بها محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، شريعة العمل والجد والجهد والجهاد، شريعة تأمر اتباعها بإتيان المعروف وتنهاهم عن الفحشاء والمنكر، ووضع شريعة جديدة بدلها تنسخ تلك الشريعة، وتضع عن معتنقيها إصر العمل، وأغلال الجهد، وثقل التقيد بالأوامر والإرشادات، وإطلاق الحريات لهم بكل ما يريدون ويشتهون.

فاشترك الكثيرون الكثيرون لبناء عمارة هذه الديانة وبنيان هذا المذهب، كل بقدره وإمكاناته وقوته وطاقته، بالكتابة والخطابة والرأي والفكر، ووضع القواعد والمعتقدات، واختلاف العقائد والآراء.

فمن هذه المجموعة والأفكار تكوّن المذهب، وهؤلاء هم الذين اختلقوه وبنوه، ولذلك يرى القارىء والباحث التناقض الظاهر والتعارض البيّن في

مسألة واحدة لدى الاسماعيلية، مع ادعائهم أن مذهبهم مأخوذ عن المعصوم الـذي لا يخطىء ولا يغلط، وقـد صدق الله عـز وجلّ، «ولـو كان من عنـد غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[١].

وعلى ذلك نريد أن نذكر بعض الأشخاص البارزين الذين لهم دور كبير في تكوين هذه النحلة وتأسيس قواعدها، وتـرسيخ أصـولها وأسسهـا، ونشر أفكارها ومعتقداتها، غير الذين ذكـرناهم في البـاب الأول والثاني، من أئمـة القوم وواضعي بذرتها الأوائل.

فمنهم: أبـو حنيفـة النعـمان بن محمـد بن منصـور بن أحمـد بن حيـون التميمي المغربي نسبة إلى بني تميم، ويسميه الاسماعيلية القاضي النعمان تهرباً من أن يلتبس اسمه بإسم أبي حنيفة النعمان بن ثـابت المشهور، وقـد اختلف في ولادتـه، فقيل إنـه ولد سنـة ٢٥٩هـ[٢]. وقيل سنـة ٢٩٣هـ[٣]. وولد في القيروان كما يذكر الزركلي[٤]. في بيئة إسماعيلية من أبوين إسماعيليين[٥]. لا كما يقوله ابن خلكان بأنه كان مالكياً، ثم انتقل إلى الاسـماعيلية[٦]، ولا اثنـا عشرياً كما يقوله النوري الطبرسي[٧]، ولا حنفياً كما ذكره أبو المحاسن[٨].

بل إن أباه كان من دعاة الاسـماعيلية «الـذين تلقوا البـذرة الاسماعيليـة الأولى على أيدي الحلواني وأبي سفيان»[٩].

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) أنظر مقال المستشرق (Gotthell) J.A.O.S 1907 .

(٣) أنظر مقال آصف فيضي الاسماعيلي «القاضي النعمان» في مجلة (J.R.A.S) ١٩٣٤م.

(٤) «الاعلام» للزركلي.

(٥) «اختـلاف أصول المـذاهب» المقدمـة لمصطفى غـالب الاسماعيـلي، أيضاً آصف فيضي في مقاله المذكور.

(٦) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦ .

(٧) «مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي ج ٣ ص ٢١٣ ط قدير طهران.

(٨) «النجوم الزاهرة» ج ٤ ص ١٠٧ .

(٩) أنظر مقدمة «اختلاف أصول المذاهب» لمصطفى غالب ص ١٠ .

وعبارة ابن خلكان نقلاً عن ابن زولاق تشعر ذلك:

«أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي» فعبارة الداعي قد تعني الوالد أيضاً[١٠] ويؤيد ذلك وصوله لدى المهدي الاسماعيلي في سن مبكرة، وتقربه إليه، ومأموريته على الجاسوسية حيث يذكر النعمان هذا بنفسه في مجالسه:

وخدمت المهدي بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأياماً، والإمام القائم بأمر الله من بعده صلى الله عليه وسلم أيام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كل يوم طول تلك المدة إلا أقلّ الأيام. وكان لهما صلوات الله عليهما من النعم والفضل عليّ في ذلك مالا أحصيه عدداً ولا أقوم ببعض شكره أبداً: أقل ذلك تعمد الزلل مني والصفح عما يأتيهما عني، وأنا أعلم، وإن اجتهدت وتحفظت واحترست، إني لا أسلم من ذلك. فما أتاني عن أحد منهما طول هذه المدة إنكار علمته ولا انتقاد شيء جهلته»[١١].

وعلى كل، كان النعمان عريقاً في إسماعيليته، مغالياً في مذهبه، خادماً لأئمته، عاملاً في مصالحهم، موصلاً إليهم أخبار ما يجري في البلاد، محبباً إليهم، مقرباً لديهم إلى أن وصل منصب القضاء بعد الخدمات العديدة التي أدّاها لكل من المهدي والقائم والمنصور من نقل الأخبار وجمع الكتب وانتساخها أيام المنصور لا أيام القائم كما يظنه محمد كامل حسين[١٢].

ويذكر كل هذا النعمان بنفسه:

وكنت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيام المهدي بالله صلوات الله عليه وأيام القائم صلى الله عليه وسلم كلها، وكانت له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصى عددها. وكانت خدمتي إياه في جمع الكتب له وانتساخها. فلما قبض القائم صلوات الله عليه، استقضاني قبل أن يظهر

(١٠) مقدمة كتاب «المجالس والمسايرات» ص ٧.

(١١) «المجالس والمسايرات» الجزء الثاني ص ٧٩ ط تونس.

(١٢) أنظر مقدمة «كتاب الهمة» ص ٧ أيضاً في أدب مصر الفاطمية ص ٦٥.

أمره وكنت أول من استقضاه من قضاته وأعلى ذكرى ورفع قدري، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذت في وصفه لقطع بطوله ما أردت ذكره.

فلم يكن في أيامه أحد أعز عليّ منه ولا أعظم قدراً ولا أجلّ في قلبي خطراً. وكنت إذا تمنيت كان أفضل ما أتمناه أن أموت في أيامه وعلى رضاه[13].

فولاه المنصور على قضاء طرابلس أولاً[14]، ثم على المنصورية ثانياً بعد انتقال الخلافة من المهدية إليها سنة ٣٣٧هـ، ثم جعله قاضياً على أفريقية كلها كما يذكر كل هذا:

«أول لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه يوم قدمت من مدينة طرابلس وكان المنصور بالله استقضاني عليها، ثم نفذ إلى أمره بالقدوم فقدمت»[15].

وقال:

«ولما استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه على المنصورية أمرني بالجلوس للنظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي: لو اتسع لي أن أجلسك بين يدي في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب إلي. فإذا كان ذلك لا يمكن فأجلس في سقيفة قصري فإنه أحق موضع أقيمت فيه الحقوق ونفذت فيه الأحكام»[16].

وأما توليته على قضاء أفريقيا كلها فيذكرها بقوله:

---

(١٣) أيضاً في ٨٠، ٨١.

(١٤) وإنني لأظن بأن الدكتور محمد كامل حسين لم يلتبس عليه أمر قضاء النعمان أيام القائم إلا من توليته قضاء طرابلس حيث ظن خطأ بأن الذي ولاه عليه هو القائم، مع أن القائم كان قد مات قبل ذلك سنة ٣٣٤هـ، ولكن المنصور ابنه لم يعلن وفاته آنذاك خوفاً من ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وبعد انتهائه منه سنة ٣٣٦ أعلن موت أبيه، وخلافته وفي هذه الفترة ولّاه قضاء طرابلس، ولم يكن ولّاه القائم كما التبس على الدكتور الأمر.

(١٥) «المجالس والمسايرات» ص ٥١.

(١٦) «المجالس والمسايرات» ص ٦٩.

«ولما أرحلني المنصور بالله (صلى الله عليه وسلم) عن مدينة طرابلس إلى الحضرة المرضية وافق وصولي إليها غداة يوم جمعة فخلع على يوم وصولي وقلدني، وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة إذ لم يكن يومئذٍ بالمنصورية جامع، وأمر بجماعة من خاصة بوابي القصر الأعصم بالمشي بين يدي بالسلاح إلى أن صليت فانصرفت.

ثم خرج توقيعه من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهد بالقضاء بمدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن أفريقية وأعمالها، فذكر ذلك وانتشر في الناس[١٧].

وكان مع هذه المكانة والمنصب يسجد للمنصور مع منعه إياه، ويذكر هذا أيضاً في مجالسه:

«ولما استقضاني المنصور بالله (ﷺ) بالمنصورية وأقمت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبلت الأرض بين يديه تعظيماً له وإجلالاً لمكانه. فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعل مثل هذا يا نعمان! وأنا كل ذلك أفعله وأرى أن نهيه ذلك ليس بنهي كراهية إذ كان المعز صلوات الله عليه يومئذٍ يفعله ومن دونه من الخاصة وسائر الناس خلا من يجهل حقه من الرعاع الذين لا يعقلون. فكرهت الدخول والكون في ذلك معهم إلى أن خرج صلوات الله عليه يوماً لبعض ما كان يخرج إليه، وخرج المعز معه بحسب ما كان يخرج إليه. فقبّلت الأرض بين يدي المنصور بالله (ﷺ) فقال لي بقول مغلظ منكر: قد نهيتك عن هذا مراراً ثم لا أراك تنتهي عنه! فجاءني من ذلك ما تحيرت به واغتممت له ولم أدر كيف الوجه فيه؟ فقصدت حينئذٍ إلى المعز عليه السلام وهو بين يدي الموكب وراء ظهره فذكرت له ما كان منه إليّ، ورأى أثر الغمّ من ذلك عليّ، فتبسم (ﷺ) في وجهي وقال: لا يغمك ما سمعت من أمير

---

(١٧) أيضاً ص ٣٤٨.

المؤمنين عليه السلام ولا يصرفك ذلك عما كنت تفعله، ودم عليه ولو نهاك عن ذلك ألف مرة»[١٨].

وكان من الغالين في أئمته إلى حد كان يقول:

«إنك إن رأيت الامام بعينيك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش... انك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك، ولا يخالجك الشك فيه انه صواب وحق»[١٩].

وكان يأمر الناس:

«ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه، ويتقيهم كما يتقى الله»[٢٠] ومن أقواله في هذا الأمر مسفها للعقول، مبلّدا للأفهام حيث يقول:

«فمن سمع شيئاً من كلامهم (أي الأئمة الاسماعيلية) فلم يجد له من ذلك مخرجا فليعلم أنه انما أتى في ذلك عن تخلفه في الفهم، وعدم التوفيق، ونسأل الله الهداية ونشهد لأوليائه بالعلم والحكمة والولاية»[٢١].

فمثل هذا الرجل المخلص المغالى قلما وجد للمتغلبين على بلاد المغرب ومصر من بعدها من الأئمة الاسماعيلية، فقربوه إليهم، وشددوا الوثاق بينه وبينهم.

وعلى ذلك لما مات المنصور قال له المعز المتخلف من بعده:

«يانعمان، ليحسن عزاؤك ويجمل صبرك! فمولاك مضى، ومولاك بقى، وأنت واجد عندنا ما كنت واجدا عنده ونحن كنا سببك عنده ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك ان شاء الله تعالى، فطب نفسا وقرّ عينا

---

(١٨) أيضاً ص ٥٧.
(١٩) «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة» للنعمان القاضي ص ١٣١.
(٢٠) أيضاً ص ٧٨.
(٢١) «المجالس والمسايرات» ص ٧٥.

وليحسن بنا ظنك وتسكن إلى ما تحبه لدينا نفسك!»(٢٢).

وتوالت عليه نعمه وهداياه واحساناته، ثم أمره المعز الإمام الاسماعيلي بدوره أن يضع كتبا للمذهب الاسماعيلي في العبادات والمعاملات لكي تؤسس عليها الديانة الاسماعيلية الظاهرة، وتبني على قواعدها وأسسها وأصولها، فألف كتباً كثيرة استقاها من الفقه الشيعي ووضعها للدولة الاسماعيلية آنذاك كما يقول:

«امرني الإمام المعز لدين الله (ﷺ) بتأليف شيء من العلم وقفني على جميع معانيه، وأصّل لى أصوله، وألقى إلىّ جملة من القول فيه. ولم أكن قبل ذلك تقدمت في تأليف شيء منه، ولا اتسع علمى فيه اتساعا يوجب أن اتقدم في تصنيفه. فلما فتق لي المعنى فيه، ولخصه لي، وأوضح لي معانيه، وأمرني بتأليفه وبسطه، تقدمت في ذلك تقدم واثق بعون الله به، إذ كان عن أمره (ﷺ) وتهيبت أمره ولم أرنى أبالغ فيه، ولم انته منه إلى ما يرضيه.

فابتدأت منه جزءاً ورفعته إليه (ﷺ) ولم افرغ منه إلاّ عن مشقة شديدة، وأنا ارى أنى مقصرٌ فيها وليت منه، ورفعت معه رقعة وصفت فيها بعض ما اعتراني فيه.

فوقع إلى في اسفلها صلوات الله عليه: يانعمان، وقفت على الكتاب الذي عملته فرأيته قد جاء حسنا ما بعده أحسن، فتماد على عملك فيه، أحسن الله عونك، وأجزل أجرك!.

فوالله ما هو إلاّ أن قرأت توقيعه هذا بخطه (ﷺ) وقبلته ووضعته على صدرى فكان الله تعالى أوصل إلى قلبي في ذلك مادة من المعونة التي دعا لي بها (ﷺ) فتحت ما كان انغلق على من معاني ما بدأت به، وقدرت أنه يأتي قليلا، فانفتح لي من معانيه ووجوه أجناسه ما جاءني منه فوق ما أملته وأضعاف من توهمته، وبدأت في الذي يلي منه ما رفعته، فكان أيسر شيء

(٢٢) أيضاً ص ٨٢.

على وأسهله، فرأيت تعجيل إجابة دعوته لي (ﷺ) بحسن المعونة فيه»[٢٣].

أيضاً:

«أمرني المعز لدين الله صلوات الله عليه بجمع شيء لخصه لي. وجمعه وبسط لي معانيه وسطر لي جملته، فابتدأت منه شيئا ثم رفعته إليه واعتذرت عن الابطاء فيه لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقته (ﷺ)، فطالعته في مقداره.

فوقع إلي: يا نعمان لاتبال كيف كان القدر مع إشباع المعنى في إيجاز، فكلما أوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن. والذي خشيت من أن يستبطأ في تأليفه، فوالله لولا توفيق الله (عز وجل) إياك وعونه لك لما تعتقده من النية ومحض الولاية، لما كنت تستطيع أن تأتي على باب منه في أيام كثيرة، ولكن النية يصحبها التوفيق»[٢٤].

وذكر أيضاً:

«وذكر لي يوما ـ وأنا أسايره ـ شيئا رآه في بعض ما ألفته في الاحتجاج على من خالف مذهب أهل البيت (ﷺ) من العامة، واستجاد القول فيه (ﷺ) ثم أفادني شيئاً كنت أغفلته، وقال: يجب أن تدخل مثل هذا فيه لتقطع به مقال من عسى ان يقول شيئا فيه، فان أعداء الله قد يسمعون من حجة الله لنا عليهم مالا يشكون فيه ولا يمترون في أنه الحق فيسكتون عنه حتى اذا مربهم شيء يدخل منه بعض الشبهة عليهم تنبهوا له وتكلموا فيه، وموّهوا من أجله»[٢٥].

ومثل ذلك أيضا ما ذكره في مجالسه:

«وجدت كتابا في الفقه عن الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول

---

(٢٣) أيضاً ص ٥٤٥.
(٢٤) أيضاً ص ٤٠١.
(٢٥) أيضاً ص ٤٣٠.

الله (ﷺ) فرأيت أنه لا يصلح لي العمل به ولا يحل لي الفتيا والقضاء بما فيه ولا انتحاله إلّا بعد أن يصححه امام الزمان فرفعته إليه (ﷺ) مع كتاب وقع إليّ، فيه روايات عن أهل البيت فوقف على ما فيها ووقع اليّ في الكتاب الذي جمعته: هذا كتاب مستملح عند العالم قريب من فهم الجاهل، فجزّئه ليكون أقرب وأسهل على السامع لانه لا يبتدىء البادىء في جزء منه إلّا وقد اشتهى النظر فيه، وإن طال عليه، ملّه»[٢٦].

ومن أهم مؤلفاته كتاب «دعائم الإسلام»، «تأويل الدعائم»، «أساس التأويل». الأرجوزة المختارة. افتتاح الدعوة. اختلاف اصول المذاهب. الرسالة المذهبة. شرح الأخبار. المجالس والمسايرات. كتاب الاقتصار.

وهذه كلها مطبوعة، وهناك كتب أخرى تنسب إليه وهي غير مطبوعة.

والجدير بالذكر أن الطبع الغالب على كتب النعمان أنها كتب الظاهر، وحتى الكتب التي ألّفها في التأويل يغلب عليها التقية والتحرز والاحتياط الشديد، وسبب ذلك أنه ألفها أيام المعز الاسماعيلي، ودور المعز كان دور الفتوحات والتسلط على البلاد السنّية فكان الحكم يخاف من إثارة الشكوك في نفوس الشعب تجاههم، وخاصة بعد ما حصل الاصطدام الشديد أيّام المهدي الاسماعيلي وابنه القائم والمنصور أيضاً من اصطدامات عنيفة مع الشعب السني المسلم، وبعد ما قامت المذابح في الأبرياء الذين لم ينتقم منهم هؤلاء إلّا لأنهم كانوا على مذهب السلف الصالح وعلى حبّ أصحاب النبي واتباعهم.

ولذلك يرى القارىء والباحث الاختلاف الشديد بين تعاليم النعمان ومعاصره جعفر بن منصور اليمن الذي كان باب الأبواب وداعي الدعاة للمعز الاسماعيلي.

وليس معنى هذا أن النعمان كان على معتقد غير ما يعتقده الآخرون من

---

(٢٦) أيضاً ص ٣٩٦.

الدعاة، بل المقصود منه أنه كان متحفظا ومتحـرزا أكثر مما كان تحـرز هؤلاء وأولئك، مع أن النعمان نفسه لا يكتم حقده وغله تجاه أهـل السنة وأسـلاف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وأئمة هذا الـدين، لكنه لم يكن يظهر المغالاة التي أظهرها الآخرون في كتبهم السرّية، ولذلك تعدّ جميع كتبه في العقائد من كتب الظاهر، لاكتب الباطن، والقـارىء قد لاحظ فيـما سبق الفـروق الواضحـة الظاهـرة بين كتـاباتـه وكتابـات الآخرين في مختلف المباحث التي مضت وسبقت، وكما سنذكر بعضـا منها عنـد ذكر ابن منصـور اليمن.

نبذة من تعاليم القاضي النعمان

إن من تعاليم القاضي النعمان أنه كان يعتقد بتحـريف القرآن الكـريم، ولقد صرّح بهذه العقيدة في كتابه «أساس التأويل» حيث قال:

«لما جمع عليّ القرآن وجـاءهم به فقـالوا: حسْبنا ما معنـا من كتاب الله ولاحاجة لنا إلى ما معـك فأخـذه وانصرف عنهم ولم يجد لـه ناصـراً ولا معيناً واشتـدّت عليه المحنـة وكثر أذاهم لـه حتى همّوا بقتله في صـلاتـه لأن الضـد الأول أمر خالد بن الوليد اذا صلى عليه السلام معهم في الصف الأول وقـال له: إذا سلمت فاضرب عليا وهو في الصـلاة في تسبيحه فـاقتله وتكون فيهـا سيدًا، فلما صلى تفكر في قوة بنى هاشم وقال: ربما لايتمّ لخالـد قتله فيختلف عليـه الناس ويـرجعوا عن بيعتـه فيقتل، فـأطال جلوسـه قبـل التسليم حتى كادت أن تطلع فعندئذ قال: لايفعل خالد ما أمرته به بـرفيع صـوته ثم سلّم فقال على صلوات الله عليه لخالد: ويلك أو كنت تفعلها؟ ومدّ يده إلى طوقه ومسكه فما قدر أحد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد (صلى الله عليه وآله) فأقسموا عليه فخلّاه من يده»[٢٧].

---

(٢٧) «أساس التأويل» للقاضى النعمان ص ٣٦١، ٣٦٢ ط دار الثقافة بيروت.

كما أنه كان يعتقد بتكفير الصّحابة وتفسيقهم ولعنهم، وقد مرّ ذكر عقيدة الاسماعيلية في الصحابة فيما سبق من هذا الكتاب، ونكتفي هنا بذكر عبارة واحدة صرح فيها النعمان هذا بعقيدته في خلفاء النبي الثلاثة الراشدين رضى الله عنهم حيث سمّاهم بابليس، وقابيل، والسامرىّ، فيقول في تفسير قول الله عزوجل:

«قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لايهدي القوم الظالمين».

«تأويل ذلك: قل أرأيتم بأصحاب محمد وحججه إن كان نصب هذا الوصي من عند الله بأمره وكفرتم به يعني سترتم منزلته التي اجتباها الله له واختارها وقد شهد موسى على مثله فأمر بني اسرائيل فأقروا بمن استخلفه عليهم ثم تداخلهم الحسد واتخذوا عجلا جسداله خوار والخوار مالا حقيقة له ولا يثبت في العقول، ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة أساسه صلوات الله عليه وكتموا نص الرسول وبيعته التي بايعوه بغدير خم واتبعوا ابليس، وقابيل، والسامرى حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا مجلسه وتسمّوا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وإمرة المؤمنين وتعلّقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الاساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن»(٢٨).

وكان يعتقد بنسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بمجيء القائم وقد بينّا هذا فيما مرّ فليرجع الباحث إلى ذلك.

وغير ذلك من العقائد المنحرفة الباطلة. فهذه هي بعض عقائد قاضي الاسماعيلية وتعاليمه.

ولقد انتقل النعمان مع المعز إلى مصر عند انتقاله إليها وشارك في القضاء مع أبي طاهر الذهلي الذي كان على قضاء مصر قبل استيلاء المعز عليها.

---

(٢٨) أيضاً ص ٣٩١.

وكـان النعمان من بنـاة هذا المـذهب كما ذكـر الفيضى نقلا عن الـداعي الاسماعيلي عماد الدين أن النعـمان كان مشرعـا، وإنه كـان دعامـة من دعائم المذهب الاسماعيلي، وأضاف الفيضى الاسماعيلي بـأنه فيـما أحسبه وصـل إلى رتبة الحجة.[٢٩].

ويقول المؤيد الشيرازي: إن الوزير الاسماعيلي اليازورى قاله عند تعيين أحد اولاده قاضيا على البلاد:

«إن النعمان بني هذا الأمر، وإن أحق الناس بمكانه أبناؤه»[٣٠].

وبقى النعمان معظما مكرما لـدى الامام الاسـماعيلي المعـز حتى كان هـو خلفه في أول عيد صلى في مصلى القاهرة، الذي بناه جوهر، وكـان يبلّغ عنه التكبير»[٣١].

كما كان المعـز عندمـا ركب إلى المقس وأشرف على أسـطوله مـع جوهـر ووجوه أهل البلد»[٣٢].

في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة في أول رجب منها توفى النعمان.

«فخرج المعز يبين الحزن عليه، وصلى عليه، وأضجعه في التابوت ودفن في داره بـالقاهـرة»[٣٣] عن ولـدين اثنـين: أبي الحسـين عـلي، وأبي عبـدالله محمد.

١ ـ فأبو الحسين علي ولد بالقيروان سنة ٣٢٨هـ، وقدم مصر مع أبيه عندمـا ارتحل إليها مع المعز الاسماعيلي، وتولّى القضاء بعد وفاة أبيـه واستقالـة

---

(٢٩) انظر مقال الفيض، القاضي النعمان في مجلة J.R.A.S (المجلة الآسيـوية الملكيـة) ١٩٣٤م ص ١٢.
(٣٠) السيرة المؤيدية ص ٩١ ط دار الكاتب المصري ١٩٤٩م.
(٣١) انظر «اتعاظ الحنفاء» ج ١ ص ١٩٠.
(٣٢) أيضاً ص ١٩٢.
(٣٣) أيضاً ص ٢٠٢.

أبي طاهر القاضي سنة ٣٦٦هـ، ومات أيام العزيز بالله سنة٣٧٤هـ، وصلى عليه العزيز.

٢ - وبعد وفاة علي بن النعمان ولى القضاء بعده أخوه محمد بن النعمان، وكان في حياته ينوب عنه في القضاء، فكتب إليه العزيز بالله:
«إن القضاء لك من أخيك، ولانخرجه عن هذا البيت»(٣٤).
وكان ولادته بالمغرب أيضاً سنة ٣٤٥هـ، وقدم مصر مع والده عند قدومه إليها، ومات هذا أيام الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٩هـ. وصلى عليه الحاكم.

٣ - ثم ولى القضاء بعد محمد بن النعمان ابن أخيه حسين بن علي بن النعمان المولود بالمهدية سنة ٣٥٣هـ.
وولى مرتبة داعي الدعاة أيضاً، ثم صرف عن القضاء سنة ٣٥٤هـ بأمر الحاكم، واعتقل وفي أوائل سنة ٣٩٥هـ ضربت عنقه بأمره.

٤ - ثم ولى القضاء بعده ابن محمد بن النعمان عبدالعزيز المولود سنة ٣٥٥هـ.
وكان من كبار علماء الدعاة الاسماعيلية، وإليه ينسب كتاب «البلاغ الأكبر والناموس الأعظم» الذي رد عليه القاضي أبو بكر الباقلاني، ولكنه لم ينج من نظرات الحاكم فعزل عن القضاء سنة ٣٩٨هـ، ثم اعتقل سنة ٣٩٩هـ، ثم أفرج عنه وأعيد إلى رئاسة ديوان المظالم، وأخيراً قتل سنة ٤٠٣هـ(٣٥).

٥ - وبعد عبدالعزيز ولى القضاء ابنه القاسم سنة ٤١٨هـ، ثم عزل عنه بعد عام، ثم أعيد إليه القضاء سنة ٤٢٧هـ، كما عين داعي الدعاة، وعزل مرة أخرى سنة ٤٤١هـ. ثم عين نائبا للمؤيد الشيرازي في الدعوة، وعند كبر سنه أنيب عنه ابنه محمد بن القاسم، وبعده انتهى

---

(٣٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧.
(٣٥) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٩ وما بعد.

دور أسرة النعمان، الذين خدموا الدولة الاسماعيلية أكثر من قرن ونصف.

جعفر بن منصور اليمن

ومن أهمّ بناة المذهب الاسماعيلي وزعماء الديانة الاسماعيلية وقادتها جعفر(٣٦) الذي هو ابن الحسن بن فرج بن حسن بن حوشب بن زادان الكوفي، الداعي الاسماعيلي المشهور الذي أرسله الامام الاسماعيلي المستور قبل ظهور ابنه المهدي الاسماعيلي في المغرب.

ولد جعفر في بيت هذا الداعي الاسماعيلي الكبير، وشبّت فيه العقيدة الاسماعيلية وحبها، وحب نشرها بين الناس، وكان مع أبيه عند استيلائه على اليمن، ولما مات أبوه سنة اثنتين وثلاثمائة «استخلف على أهل دعوته

(٣٦) ومن الغرائب أن بعض الباحثين الذين كتبوا عن الاسماعيلية ما استطاعوا أن يفرقوا بين جعفر وبين أبي القاسم الملقب بمنصور اليمن، فخلطوا بين هذا وذاك لعدم التمكن والتعمق في الموضوع، ولعدم وجود مصادر كافية ومراجع وافية في تراجم رجال الاسماعيلية وسيرهم وأحوالهم، فمثلا إن الأستاذ طه الولي مؤلف كتاب «القرامطة أول حركة استراكية في الإسلام ط : دار العلم للملايين، بيروت» خلط بين الأب والابن ولم يفرق بين سيرة هذا ومؤلفات ذاك، ومثل هذا كثير حتى لدى الاسماعيلية أنفسهم من الكتاب المحدثين مثل مصطفى غالب الاسماعيلي ومحمد حسن الأعظمي وغيره الذين لم يؤلفوا ما ألفوا إلاّ على السلب والنهب وسرقات جهود الآخرين حيث ينقلون القطعات الكبيرة والمقتطفات الطويلة بدون ذكر من اقتبسوا منه واقتطفوا عنه، ولا أظن أن أحدا من الدارسين للمذهب الاسماعيلي قد جدّ جده واجتهد مثل الهمدانيين والفيضي وزاهد على الاسماعيليين، ومحمد كامل حسين من غيرهم، مع أخطاء وأوهام كبيرة وكثيرة، التي لا يخلو ولاينجو منها كاتب ومؤلف، وخاصة في مثل هذه المواضيع العويصة.
وأما البيروتيون فحسبنا الله عليهم، لا يفترسون إلاّ الأموات ولا يقعون إلاّ على صيد الغير.

رجلا يقال عبدالله بن عباس الشاوري، وإلى ولده ابي الحسن المنصور شقيق جعفر الأكبر هذا، ووصاهما بطاعة المهدي»(٣٧).

ولكن حصل الخلاف بين الشاوري وبين أبي الحسن بن منصور اليمن، الذي أدّى أخيراً إلى الإطاحة بالشاوري وقتله، وتسلّط أبي الحسن على اليمن(٣٨).

وكان جعفر بن منصور اليمن هذا دائماً يمنع أخاه الأكبر من الاختلاف والتنازع مع الشاوري، ويقبح عليه فعله ويزجره بقوله:

«أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر قال والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ونحن أحق به منه فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذن يتلاشى ويزول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك»(٣٩).

ولما رآه غير ممتنع، ومصرّا على خلافه معه، ثم قتله إياه وتسلّطه على اليمن، وإعلانه التسنن فارقه وهرب إلى المغرب إلى المهدي الاسماعيلي:

«فوجد الخليفة المهدي قد توفي وقام بعده القائم سنة ٣٢٢هـ»(٤٠).

«وسكن في ظل الدوحة العلوية، وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة صلوات الله عليهم وفضل الدعاة، وبلغ إلى مراتب أبواب الفائزين بعلوم الدرجات»(٤١).

ولقى الحفاوة الكاملة لدى الأئمة الاسماعيلية، ومن كل من القائم

---

(٣٧) انظر «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي اليماني المتوفي في أواسط المائة الخامسة للهجرة، ص ٣٩ ط: مطبعة الأنوار ١٩٣٩م.

(٣٨) انظر أيضاً «كشف الأسرار» ص ٤٠، وأيضاً «السلوك» للجندي ص ١٠.

(٣٩) «كشف أسرار الباطنية»، ص ٤٠.

(٤٠) «السلوك» للجندي ص ١٥١.

(٤١) «عيون الأخبار وفنون الآثار» للداعي ادريس عماد الدين السبع الخامس ص ٤٤ ط دار الأندلس ــ بيروت.

والمنصور: إلى أن ذكره جوذر الاسماعيلي خادم المهدي الاسماعيلي، ونائب القائم وكاتب المنصور:

«وكان محلّ جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين، وكان يسكن داراً بالمنصورية بجوار علي بن الجنان، فسأله علي في بيع الدار فلم يفعل، ثم احتاج إلى أن اقترض دنانير واسترهنه الدار إلى أجل معلوم، فلما حان الأجلَ ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار، واتصل ذلك بالأستاذ فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام، فصرفه إليه الجواب، وهو:

«والله يا جوذر! لقد كثر تعجبنا منه، وذلك أن علياً أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين، فقد جاءنا من ذلك خلاف ماكنا نظنّ به الرجاجة والكمال وأنه لمحقوق بما ناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يجعل ذمامه بيد من لا رحمة له. فان كان إنما ذهب في طي هذا عنا مذهب التخفيف عنا في المسألة فمن الواجب كان عليه أن يتصور ماهو فيه، وإن الذي كلّفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال الملعون ولا يقيم نفسه مقام الشماتة لئلا يتصل بالقريب والبعيد إن ولياً وابن أجل أوليائنا المسعود برضى الله ورضى مواليه السابق في الخير كل من جاراه يكون على بابنا وهو عندنا في أجل الرضا محوجاً إلى ارتهان مسكنه الذي يجاورنا فيه، ولو كان أحسن مسكن، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها فلا يعود إلى مثلها فتسلمه إلى حوله وقوته، فقرر عنده ذلك إن شاء الله»(٤٢).

وأما أيام المعز فبلغ أعلى درجة في الدعوة لم يبلغها أحد آخر، وهي درجة باب الأبواب أو الحجة، فجعله المعز باب أبوابه الذي له مرتبة العصمة وفصل الخطاب، وبدأ يرجحه على كافة دعاته وقضاته، حتى النعمان القاضي أحد بناة هذا المذهب ومتشرعيه، وكان المعز ينصح النعمان أن يجعل

---

(٤٢) «سيرة الأستاذ جوذر» لأبي علي منصور الغزيزي الجوذري بتقديم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة ص ١٢٦ ، ١٢٧ ط: دار الفكر العربي.

جعفـر سيده ومـولاه. كما كـان النعمان يقبـل رجلي جعفـر بن المنصـور لعلو منزلته، وسمو مكانه، وعظم شأنه، كما تدل عليـه هذه الـرواية التي سردهـا الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين «أن القاضي النعمان اعتل بعلة، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى إلى الامـام المعز فسـأله عمن زاره، فقـال: كلهم زارني إلا جعفر ابن منصـور، فـأخـذ أمـير المؤمنين في حديثـه، ثم أمر بكتب فـأحضرت إليه. ففتـح كتابـاً منها، وقـال للنعمان: أنظر في هذا الكتاب. فلما تصفحـه قال الإمـام. ما تقـول في هذا؟ قال: ما عسى أن أقـول في قولكم. فقـال الإمام: هـذا تأليف مـولاك جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفراً لم يتمالك أن وقع عـلى رجليه يقبلهـما اعترافـاً له بالفضل»[٤٣].

فهذا كان هو جعفر في نظر الأئمة الإسماعيلية والاسماعيليين أنفسهم من يقع على قدميه ويقبل رجليه واضـع فقههم، وقاضي قضـاتهم، ودعامـة من دعائمهم.

ولماذا كانت له هذه المكانة العظيمة وهذا الشأن الرفيع؟

لأنه هو أحد الواضعين الحقيقيين للمذهب الاسماعيـلي الباطني الأصـلي المبني عـلى التـأويـل المحض والبـاطن المجـرد، ولـذلـك لايتنـاول كتبـه إلا المخلصـون المتعمقون في الاسـماعيلية، ولا تصـل إليها إلا أيـدي المـأذونـين الذين يسمح لهم بتناولها والقراءة فيها.

وعلى ذلك فان جعفر بن منصور اليمن هو أول من وضع كتب التأويـل والمؤلفات في الباطن من الاسماعيلية، كما أن النعمان هـو أول من وضع كتب الفقه والمصنفات الظاهرية.

فكتب النعـمان ولـو أنها تبحث في التـأويـل لا تعـدّ من الكتب السريـة الباطنية، ولا يمنـع من النظر فيهـا أحد من الاسـماعيلية إلاّ البـدائيين، وأمـا

(٤٣) «عيون الأخبار» للداعي إدريس السبع السادس ص ٣٩ نسخة خطية.

كتب جعفر فإنها كلّها سرية باطنية لا يحويها إلا من يؤذن لـه، ولا يقرأهـا إلا من يسمح له، وحتى النعمان القاضي مـع منصبه ومـرتبته لم يكن لـديه كتب جعفر حتى أحضرت إليه بأمر من الإمام الإسماعيـلي المعز لـدين الله، وأعطاه هو بنفسه ليقرأ فيها.

وإن لجعفر بن منصور اليمن كتباً كثيرة، منها:

«كتاب الفرائض وحدود الدين». و«كتـاب الشواهـد البيان». و«أسرار النـطقاء». و«سرائـر النطقـاء». و«تـأويـل الـزكـاة». و« كتـاب الكشف». و«كتاب الفترات والقرانات». و«رسالة في تأويل سورة النساء». و«رسـالة في الرضاع في الباطن».

وغيرها من الكتب الكثيرة نشر بعضها، وبعض منهـا لم ينشر بعد، ولهـا نسخ خطية موجودة لدى كثير من الباحثين.

ومات في أواخر الستينات من القرن الرابع من الهجرة.

تعاليمـــــه

من أهم تعاليمه أنـه يعتقد بـألوهيـة الأئمة والحلول والتنـاسخ والغيبـة والرجعة وتكفير الصحابـة والطعن في أبي بكـر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وتشديد القول فيهم وتكفير كل من لا يؤمن بولاية علي، ونسخ شريعة محمـد صلوات الله وسلامه عليه بقيام القائم ونزول جبريل عليـه وجعل العبـادات كلهـا رموز أو إشـارات على البـاطن، ويغلب على كتـابـاتـه الغلو والمبـالغـة والإغراق، وأيضاً عدم المبالاة والاحتياط والتحفظ غير مـا يوجـد في كتابـات النعمان القاضي لأننـا كما قلنـا إن كتابـات النعمان تعـد من الظاهـر بينما تعـدّ كتابات جعفر من الباطن.

ولقد ذكرنا هذه التعليمات فيما مرّ من المباحث في العقائد، ونـورد بعض المقتطفات مما لم نوردها سابقاً، وخاصـة في أصحاب رسـول الله ﷺ، فيقول مفسراً «الرفث والفسوق والجدال»:

«وقد بيّنا الرفث والفسوق والجدال وهم أيضاً في الباطن مذمومون لعنهم الله وهم أبوبكر وعمر وعثمان فإنهم طعنوا على الحجة عليه السلام ومنعوا حقه في الظاهر وأخذوا (فدكا) منه ومن زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما وعليهم أجمعين، والحجة رسول الله صلى الله عليه وهو عليّ بن أبي طالب فادعى عليّ مقامه وأخذ ميراث زوجته في الظاهر، وفي الباطن أنه رفث بخروجه عن طاعته وكفره بمقامه واتباعه أمر عمر وهو شيطان زمانه الفاسق عن أمر ربه»(٤٤).

ويقول تحت قول الله عز وجل «يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» يعني ويقول أبوبكر: «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني «يعني رسول الله ﷺ» وكان الشيطان للإنسان خذولاً «يعني بالشيطان عمر، وبالإنسان: الأول»(٤٥).

ويقول أيضاً:

إن القائم عندما يخرج يدخل المدينة:

«فيصعد المنبر بالهيبة والوقار وهو شاب حديث سنة، كثير حلمه، مصفّر لونه، عليه درع رسول الله صلى الله عليه ومتعمم بعمامة السحاب، متقلد بسيفه ذي الفقار، وحوله شيعته من المؤمنين قلوبهم أشدّ من زبر الحديد يكبّرون تكبيرة واحدة يرعدون قلب كل منافق ومناصب في جوفه والعزة يومئذ لله ولرسوله وللمؤمنين فيخطبهم بخطبة من صلاة الغداة إلى الظهر ثم يقوم فيصلى الصلاتين بأذانين وإقامتين ثم يصل إلى القبر فيهدم الحائط حتى يترك القبر حده فيقوم . . . . . .

هنالك يخسر المبطلون وهنالك يكون فيه الناس جميعاً . . . . فيضع السيف ولا يبقى شيء من أمورهم كان إلاّ صار مكشوفاً، ولا بدعة من

---

(٤٤) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص ١٢٥ ط: دار الفكر العربي نشر شتروطمان.
(٤٥) أيضاً ص ٣٠.

البدع إلا أطفئت ومحقت ويردّ الحق إلى أهله حتى يعود الإنسان كما ولد ويعلم أهل الولاية ما كانوا فيه»(٤٦).

هذه ومثل هذه الخرافات لكثيرة.

أحمد حميد الدين الكرماني:

ومن الدعاة الاسماعيلية الكبار الذين صاغوا دعوتها في قالب الفلسفة، وأصبغوها بصبغة منطقية، وقدّموها إلى الناس في قوالب الأفلاطونية الحديثة، أحمد حميد الدين بن عبدالله الكرماني، ويظهر أنه ولد في كرمان في فارس، وانتقل في بداية حياته إلى البصرة، ومنها كان يتردد على بغداد، وكان يلقي فيها دروسه الباطنية ومحاضراته التأويلية التي جمعت فيما بعد في كتابين «المجالس البغدادية» و «المجالس البصرية»(٤٧).

ويقال: إنه كان في البصرة أيام ما كان فيها إخوان الصفاء، الذين يقال عنهم بأنهم كانوا من الاسماعيلية(٤٨).

ويذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى إنه كان واحداً من الإخوان، كما كان أحد المشاركين في وضع الرسائل حيث أن كتابه «راحة العقل» وكتبه ورسائله الأخرى لها نفس الأسلوب والمنهج الذي استعمل في رسائل إخوان الصفاء(٤٩).

ونحن لانرى ذلك حيث أن أسلوب الكرماني يختلف تماماً عن الأساليب التي استعملت في الرسائل، لأن أسلوبه في كتاباته فلسفي معقد وناشف نوعاً ما، مقارناً بالأساليب التي استعملت في الرسائل فانها أساليب سهلة

---

(٤٦) أيضاً ص ٣٤، ٣٥.

(٤٧) انظر (A guide to Ismaili literatur By IVANOW p. 46).

(٤٨) انظر لويس ماسنيون Sut la date de la Composition de rasil Ikhuwan Al Safa vol. 4 p. 324

(٤٩) انظر مقدمة «الرسالة الواعظة» لمحمد كامل حسين ص ٤.

جزلة، وعباراتها واضحة صريحة في معناها غير غامضة وغامقة مثل عبارات الكرماني.

أما وجود بعض الفقرات من الرسائل في كتاب الكرماني «راحة العقل» وغيره فليس بدليل قوي من حيث لا يمنعه أن يقتبس بعض العبارات من الرسائل ويقتطفها، وخاصة عند من يعد الإخوان من الإسماعيلية.

وكذلك لا نوافق من يقول بأن الكرماني تثقّف على أبي يعقوب اسحق السجستاني الداعي الإسماعيلي المعروف وتتلمذ عليه(٥٠).

لأنه لم يدرك السجستاني. نعم! إنه تأثر بأفكاره كثيراً، وانتهج منهجه وسلك مسلكه في تصبيغ الدعوة الاسماعيلية بصبغة فلسفية، وتلوينها بلون منطقي، وتخليطها بالأفلاطونية الحديثة، فهو قد طوّر تلك المحاولات التي حاول بها السجستاني في هذا الخصوص.

ولكنه كان أمهر من السجستاني وأحزم، كما كان محتاطاً ومتحفظاً أكثر بكثير منه ومن غيره، لوجوده في بيئة معارضة تماماً لما يعتقده ويؤمن به ويتبناه، ولأجل ذلك لا يوجد عنده الانفتاح والانطلاق والتصريح الذي يوجد عند ابن منصور اليمن وغيره من الدعاة الكبار في زمانهم، وعلى كلّ يعدّ الكرماني من كبار الفلاسفة الإسماعيلية وأشهر دعاتها حتى جعل داعي الدعاة للعراق، وكان يلقب بحجة العراقيين أي رئيس الدعوة الإسماعيلية في فارس والعراق، ومن ثم بلغ صيته إلى القاهرة مقر الأئمة الاسماعيلية، وإلى الحاكم بأمر الله الإمام الإسماعيلي حتى استقدمه داعي دعاته وباب أبوابه ختكين الضيف، والملقب بالصادق الأمين من قبل الحاكم بأمر الله، وهذا في سنة ٤٠٨ هـ عند ظهور دعوة تأليه الحاكم كما يذكر ادريس عماد الدين:

---

(٥٠) انظر «القرامطة» لطه الولي ص ١٩٢، ومحمد كامل حسين «راحة العقل» مقدمة ص ١٧.

«حتى ورد إلى الحضرة الشريفة النبوية الإمامية، ووفد إلى الأبواب الزكية الحاكمية باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب، ولسانها الناطق بفصل الجواب، ذو البراهين المضيئة، والدلائل الواضحة الجليلة، مبين سبل الهدى للمهتدين، حجة العراق أحمد عبدالله الملقب بحميد الدين الكرماني قدس الله روحه ورضي عنه . . . مهاجراً عن أوطانه ومحله، وواردأ كورود الغيث إلى المرعى بعد محله، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدلهمة، وأبان بواضح علمه ونور هداه فضل الأئمة»(٥١).

ولقد ذكر الكرماني نفسه ووروده في القاهرة وأحوال الدعوة فيها آنذاك بقوله:

«فإني لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً، وللسدة العلويةزائراً، ورأيت السماء قد أظلت بسحاب عميم، والناس تحت إبتلاء عظيم، والعهد في الرسوم السالفة قد نقض، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض، والرسم في عقد مجلس الحكمة جرياً منهم بالإحسان قد رفض، والعالي قد اتضع، والسافل منهم قد ارتفع، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها، والناشئين في عصمة الإمامة وأولى أوليائها قدحيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال التي تشيب لها النواصي، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي لا يهلك بها إلا أولوا النفاق والمعاصي، وهم يومئذ يموج بعضهم في بعض ويرمي كل منهم صاحبه بفسق ونقض تتلاعب بهم الأفكار الردية وتتداولهم الوساوس المردية، ثم لا يعلمون ما أظلهم من الدخان المبين، ولاما ألم بهم من الإمتحان المستبين، فصار البعض منهم في الغلو مرتقين إلى ذراه، والبعض في النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم وما قبلوه من الدين بإختيارهم وإرتيادهم، وهم على شفا انحلال وحوول وإختلال وأعناق أولى الطرفين من الأبالسة إلى

(٥١) تنظر «عيون الأخبار» السبع السادس» ص ٥٦ خطية.

إختلاسهم ممتدة، وهممها في اصطيادهم محتدة»[٥٢].

وكتب هناك عدة رسائل منها، «الرسالة الواعظة»[٥٣] وغيرها من الرسائل.

مع أن الفرق بين تعاليمه التي بثها ونشرها في كتبه، وتعاليم من يدعو إلى تأليه الحاكم ليس إلا فرقاً لفظياً حيث أن الكرماني نفسه كان يصفه ويصف آباءه بالأوصاف التي هي خاصة بالرب تبارك وتعالى.

وأطرف من ذلك أن الحاكم نفسه كان يدعم تلك الحركة الداعية إلى تأليهه كما ذكرناه سابقاً في الباب الثاني من هذا الكتاب.

ومن الطرائف أن الكرماني هذا ألف رسالة مستقلة في إثبات أن الحاكم بأمر الله هو المبشر به في الكتب السماوية التي نزلت على أنبياء الله ورسله وسماها «مباسم البشارات بالإمام الحاكم»[٥٤].

ولا يعرف وقت موته بالضبط إلا أنه مات بين ٤٠٨هـ و٤١٢هـ بعد بلوغه المراتب العليا في الدعوة الإسماعيلية، التي تدل عليها عبارة الداعي ادريس عماد الدين حيث يقول عنه:

«الداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله هو أساس الدعوة التي عليه عمادها، وبه علا ذكرها، واستقام منارها، وبه استبانت المشكلات، وانفرجت المعضلات»[٥٥].

وله مؤلفات عديدة يظهر عليها التعمق في التفلسف والإلمام التام

---

(٥٢) رسالة «مباسم البشارات» للكرماني، المدرجة في «طائفة الدروز» لمحمد كامل حسين» ط دار المعارف مصر.

(٥٣) نشر هذه الرسالة الدكتور محمد كامل حسين.

(٥٤) وقد نشرها الدكتور محمد كامل حسين ضمن كتابه «طائفة الدروز» من ص ٥٥ إلى ص ٧٥.

(٥٥) «عيون الأخبار» لادريس عماد الدين السبع السادس ــ خطية.

بالأفلاطونية الحديثة، كما يغلب عليه التحفظ والاحتياط، والستر والكتمان الشديد، ومن أهم مؤلفاته:

«راحة العقل» و«المصابيح في إثبات الإمامة». و«كتاب الرياض في الحكم بين الصادين أي كتاب الاصلاح وكتاب النصرة»، و«مباسم البشارات»، و«ثلاث عشرة رسالة». و«تنبيه الهادي والمستهدي»، وهناك كتب أخرى غير مطبوعة.

ومن أهم تعاليمه أنه يوفق بين العالم الروحاني ودورة الفلك، والعالم الجسماني وعالم الدين، ويؤمن بتأثير الأفلاك والكواكب.

المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي:

ومن الدعاة المشهورين الإسماعيلية الذين ساهموا في نشر مذهبهم ودينهم بين الناس، وقدّموا له الجهود الجبارة، وتحملوا له العناء والمشقة، ولعبوا في توسيع نطاقه دوراً هاماً، هبة الله بن موسى بن داؤد الشيرازي.

ولد في شيراز سنة ٤٠٠هـ كما ذكر الدكتور حسين همداني(٥٦).

ولكن الدكتور محمد كامل حسين استدل من أبياته بأنه ولد سنة ٣٩٠هـ(٥٧).

وكان أبوه من كبار رجال الدعوة الإسماعيلية في فارس كما يذكره المؤيّد في سيرته:

إن والدي كان في هذا البلد متسماً بهذا الاسم، مرتسماً بهذا الرسم، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه أن يطأ عتبة باب، أو يقاسي ذل حجاب، وكان الوزير أبو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك وزير الوزراء، الذي كان ما كان باتساع مكنته وإنبساط يده، نازلاً في هذه الدار التي

---

(٥٦) انظر المجلة «الملكية الأسيوية البريطانية سنة ١٩٣٢ ص ١٣٠.

(٥٧) انظر «ديوان المؤيد الشيرازي» المقدمة ص ٢١، ٢٢.

تنزلها، فلم يعهد والدي قط داخلاً إليه ولا مسلماً عليه، ووجد ذلك غير دفعة يزوره ليلاً في بيته ويغشاه في منزله»[٥٨].

وكان أبوه قد كتب إلى الحاكم بأمر الله أن يعين أحد ولديه في الدعوة مكانه ولكن الحاكم الإمام الإسماعيلي رفض طلبه هذا وزجره على هذا الطلب»[٥٩].

فولد المؤيّد في مثل هذه البيئة المتعمقة في الإسماعيلية، وتتلمذ على أبيه والآخرين من الدعاة الإسماعيليين، ونشأ مفعماً بالحب والولاء للمذهب الإسماعيلي ونشره وترويجه بين الناس، وتولى رئاسة الدعوة في شيراز بعد أبيه، وكان أكثرية أهل شيراز مخالفين في منهجه، ومعارضين في مذهبه ودعوته فضايقوه كثيراً، ولما صلى باتباعه عيد الفطر سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل المسلمين بيوم ثارت ثورتهم فطالبوا السلطان أبا كاليجار بوساطة وزيره بهرام بن مافنة أن يطرده من البلاد ويبعد عنه[٦٠] وبعد أخذ وردّ أبعد من البلاد بعد ما حاول إثارة الفتن فيها بتأليب الديالمة الشيعة على الوزير وأمره[٦١].

ولكنه مع ذلك أبعد من شيراز وتوجه إلى بسا فبنى هناك مشهداً للإسماعيلية[٦٢].

وهناك استطاع أن يؤكد علاقته مع السلطان أبي كاليجار، وأخيراً سكن في الأهواز ولكنه بعد مدة طرد من الأهواز أيضاً حتى اضطر إلى أن يهرب إلى مصر بين سنة ٤٣٠ إلى ٤٣٩ على اختلاف في القول[٦٣].

---

(٥٨) «السيرة المؤيدية» ص ١٥. ط دار الكاتب المصري.
(٥٩) انظر رسالة «مباسم البشارات» للكرماني، الفصل الثاني.
(٦٠) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٥، ٦.
(٦١) أيضاً ص ٩، ١٠.
(٦٢) أيضاً ص ١٢.
(٦٣) يقول أيوانوف بأنه وصل إليها سنة ٤٣٩، والهمداني يقول إنه وصل إليها سنة ٤٣٠هـ والدكتور محمد كامل حسين يقول إنه لم يصل إليها إلا سنة ٤٣٦هـ.

وبقي مدة هناك، لم يستطع الوصول إلى الإمام الإسماعيلي المستنصر بالله، وكان المتسلط على البلاد آنذاك أبو سعيد التستري، وكان داعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان القاضي، فوصفهما وأحوالهما في سيرته بقوله:

«وقيل إن ها هنا يهودياً يكنى أبا سعد التستري ــ يحل منه الوزير الذي دخلت عليه محل اللفظ من المعنى، وهو لأمور هذه المملكة كلها الأساس والمبنى ــ فاجعل غداة غد نوبة لقائه، فتوجهت إليه في غد على ما مثل لي، فرأيت منه اهتزازاً لرؤيتي واهتشاشاً، واحتاشني وفور قبوله وحفاوته احتياشاً، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت لي من خزانة السلطان ــ خلد الله ملكه ــ على يده. وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة، الذي كان باب حطتنا ونحن بالبعد، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة، وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله وإيانا، فرأيته رجلاً يصول بلسان نسبه في الصناعة التي وسم بها دون لسان سببه، فارغاً مثل فؤاد أم موسى عليه السلام، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته، وهو مع ذلك موتور مني بما أوحى إليه بعض شياطين الإنس من أني ربما زاحمته في مكانته، بما لي من تنبيه في الأمر الذي هو في غمرة منه مع توسمه وإنتحاله له. ولما كان في يوم تأدية وقد حضر القصر الشريف ورأيته استوى على كرسيه لقراءة ما يقرأه على المؤمنين، ذكرت قول الله تعالى حكاية عن الهدهد «إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم»(٦٤).

ومكث مدة طويلة ينتظر الدخول على الإمام إلى أن دخل عليه، ويذكر ذلك اللقاء الأول في سيرته بقوله:

«فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

---

(٦٤) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٨١، ٨٢.

وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة، والمكـان الذي المح فيه أنـوار الطلعة الشريفة النبوية، كما قال المتنبي عن رسول الروم عند دخـوله إلى ابن حمدان، وإن كان بين الجهتين فرق ما بين التراب إلى الحساب:

وأقـبـل يمشي في الـبـسـاط فـما درى إلى الـبحـر يمشي أم إلى الـبـدر يـرتـقـى

فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الـروعة، وغلبتني العـبرة، وتمثل في نفسي انني بين رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما مـاثل، وبـوجهي إلى وجهيهما مقابـل، واجتهدت عنـد وقوعي إلى الأرض سـاجداً لـولي السجود ومستحقه، أن يشفعه لساني بشفاعة حسنة بنطقه، فـوجدتـه بعجمة المهـابة معقولاً، وعن مزية الخطابة معزولاً، ولمـا رفعت رأسي من السجود، وجمعت على أثوابي للقعـود، رأيت بنانـاً يشير إليّ بـالقيام لبعض الحـاضرين في ذلك المقام، فقطب أمـير المؤمنين ـ خلد الله ملكـه ـ وجهه زاجـراً، على أنني مـا رفعت به رأساً ولا جعلت له قدراً، ومكثت بحضرته ساعـة لا ينبعث لساني بنـطق، ولا يهتـدي لقـول، وكلما استـطرد الحـاضرون مني كـلامـاً ازددت إعجاماً، ولعقبة العي اقتحامـاً وهو ـ خلد الله ملكـه ـ يقول: «دعـوه حتى يهدأ ويستأنس» ثم قمت وأخذت يده الكـريمة فـترشفتها وتـركتها عـلى عيني وصدري وودعت وخرجت. فهذه قصتي في أول يوم»[٦٥].

ولكنـه لم يعين داعي الـدعاة كـما يتمناه ويتـوقعه، فبقي مـدة طويلة في مصر يتقلب في مختلف المنـاصب والمراتب إلى أن أرسـل للعراق لقلب نـظام الخلافة العباسية هناك مع المؤامرة مع بعض الشيعة والبساسيري بالذات ضد طغرل بك السلجوقي العدو اللدود للشيعة وكاسر شوكتهم وقوتهم، فـذهب مؤيداً بالمال والمنال ومكث مدة طويلة في الشام والعراق يحيك خطوط المؤامرة ولكنـه لم ينجـح في ذلـك، مـع بـذل الأمـوال وبـذر النفـاق، واتهم هنـاك باختلاس بعض الأموال التي كانت تـرسل من مصر إلى المتـآمرين، وسلبهـا

(٦٥) أيضاً ص ٨٥.

وغصبها، وبعد فشله في هذه المؤامرة رجع إلى مصر، وعيّن داعي الدعاة للإمام الإسماعيلي المستنصر سنة ٤٥٠هـ(٦٦).

ولو أن المؤرخين يختلفون في شأنه هل كان هو داعي الدعاة أو نائباً عنه، وعلى كل أدى المؤيد الشيرازي خدمات جليلة للدولة الإسماعيلية في مصر من استمالة بعض الأمراء العباسيين، وزرع بذور الفتنة ضدهم ومحاولة قلب نظام الحكم هناك في صالح الدولة الإسماعيلية.

ومات في سنة ٤٧٠هـ حسب قول ايوانوف(٦٧).

أو سنة ٤٩٠هـ حسب ما ذهب إليه الحسن بن نوح الهندي في «كتاب الأزهار»، ويرى الدكتور محمد كامل حسين أنه مات قبله بمدة(٦٨) لأن المستنصر الإمام الإسماعيلي صلى عليه، وقد مات المستنصر سنة ٤٨٧هـ، ودفن في دار العلم(٦٩).

بعد ما خلف كتباً عديدة، منها «المجالس المؤيدية»، و«ديوان المؤيد»، و«سيرة المؤيد في الدين».

وهذه مطبوعة، وكتب أخرى، ولكن أهم كتبه «المجالس المؤيدية» وهذا الكتاب يشتمل على محاضرات ودروس ألقاها في مجالس الدعوة الإسماعيلية حول المذهب الإسماعيلي والتأويل الباطني، كما أن ديوانه يعد من أهم الكتب الإسماعيلية لأنه يشتمل على أهم معتقداتهم.

ومن الغرائب أن المؤيد الشيرازي مع ادعائه المذهب الإسماعيلي وزعامته المبني على عصمة الأئمة وتنزيههم عن كل عيب وخطأ انتقد في سيرته المستنصر الإمام الإسماعيلي بنقد لاذع، وكان يسخر به»(٧٠).

---

(٦٦) انظر «تاريخ مصر» لابن ميسر ص ١٠.

(٦٧) انظر (guide to Ismaili literatur By IVANOW p. 43).

(٦٨) أنظر «ديوان المؤيد»، ص ٤٩.

(٦٩) انظر المقريزي «اتعاظ الحنفاء» ج٣ ص ١١.

(٧٠) انظر «السيرة المؤيدية» ص ٨٤، ٨٥.

أبو يعقوب إسحاق السجستاني

ومن الدعاة المشهورين الذين وضعوا أسس الديانة الاسماعيلية، وأرسخوا قواعدها، وأعطوها صبغة فلسفية أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي وكان يلقب بدندان، ويقولون: إنه تتلمذ على الداعي الاسماعيلي ببخاري أبي عبدالله بن أحمد النسفي، ومما لا شك فيه أنه كان من أنصاره وأنصار آرائه وأفكاره حيث أنه كتب كتابه المشهور «النصرة» تأييداً لكتاب النسفي «المحصول» ضد كتاب الرازي «الاصلاح»، انتصر فيه لآراء أستاذه النسفي، كما استدرك عليه بعض الملاحظات.

وكان السجستاني هذا من معاصري الأئمة الاسماعيلية الأوائل في دور الظهور، وحاول نشر دعوتهم في سجستان وبلاد ما وراء النهر، وكتب كتباً كثيرة، منها «إثبات النبوءات» و«كتاب الينابيع» و«كتاب الافتخار» و«تحفة المستجيبين»، و«كشف المحجوب».

وهذه كلها مطبوعة، وله كتب أخرى «تأويل الشرائع» و«سوسن النعم» و«أسرار المعاد» وغيرها من الكتب، لازالت مخطوطة موجودة.

وقيل: إنه قتل سنة ٣٣١هـ في طبرستان، لكن الأصح أنه كان حياً إلى سنة ٣٦٠هـ كما يظهر من كتابه «الافتخار» حيث أنه قال إنه وضعه سنة ثلاثمائة وستين.

أبو عبدالله النسفي

أبو عبدالله النسفي أستاذ السجستاني كان تلميذاً للداعي الاسماعيلي بخراسان الحسين بن علي المروزي، وحاول نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد

خراسان وما وراء النهر، واستطاع هذا الداعي الاسماعيلي أن يوقع في فخه وشراكه نصر بن أحمد الساماني، ويحصل منه على تأييده للمهدي الاسماعيلي الذي ظهر في بلاد المغرب آنذاك[٧١].

ولكنه استدرك أخيراً ما كان يهدف إليه النسفي، وبعد موت نصر بن أحمد خلفه في الحكم ابنه نوح، فجمع فقهاء المسلمين لمناظرته فلم يستطع النسفي الاجابة على ما أوردوه من الإيرادات والاعتراضات على الديانة الاسماعيلية، وأفحم في مقابلهم فقتله نوح بن نصر، كما قتل كثيراً من رؤساء الدعاة ووجوههم الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي[٧٢].

ومن أهم مؤلفاته كتاب «المحصول» الذي رد عليه اسماعيلي آخر أي الرازي، وأيّد آراءه وأفكاره تلميذه السجستاني، ثم جاء بعده الكرماني فحاكم الكتب الثلاثة في كتابته «الرياض» وقد ذكر البغدادي هذا الكتاب في كتابه «الفرق بين الفرق»[٧٣]. كما ذكر قتله على ضلالته سنة ٣٣١هـ.

وقد صنف النسفي كتباً غير هذا الكتاب «عنوان الدين» و«أصول الشرع» وغيره.

أبو حاتم الرازي

وكان من الدعاة الاسماعيلية القدامى أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) بقوله:

«ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري، وقال: كان من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة، وسمع الحديث كثيراً، وله تصانيف، ثم

(٧١) انظر «سياست نامة» لنظام الملك طوسي ج ٢ ص ٢٧٨ وما بعد.
(٧٢) الفهرست لابن النديم.
(٧٣) انظر ص ٢٨٣.

أظهر القول بالإلحاد وصار من الدعاة الاسماعيلية، وأضلّ جماعة من الأكابر، ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة»(٧٤).

وذكر الأسفرائيني أبا حاتم، والسجستاني، والنسفي كلهم تحت ذكر الباطنية بقوله:

«ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح إلى المغرب وغيّر اسمه ونسبه فقال: أنا عبيدالله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وأجابه جماعة من أهل المغرب، ثم خرج منهم رجل كان يدعى أبا حاتم إلى أرض الديلم فأجابته منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروزوذ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفي المعروف بالبزدوي. وأبو يعقوب السجزي أقام دعوته بناحية سجستان. وهذا البزدوي صنف لهم كتباً سمى واحداً منها كتاب: «المحصول»، وآخر كتاب «أساس الدعوة»، وآخر كتاب «كشف الأسرار»، وآخر كتاب «تأويل الشريعة»(٧٥).

وذكره البغدادي بقوله:

«ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم. ، فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شرويه»(٧٦).

ويظهر من ذلك أن الرازي لم يكن من هذه البلاد، بل كان طارئاً عليها.

فهذا هو أبو حاتم الداعي الاسماعيلي الذي حاول نشر الدعوة الاسماعيلية في هذه البلاد وجذب قلوب أمراء البلاد وحكامها إليها، وربطهم بالمهدي الاسماعيلي في المغرب.

---

(٧٤) انظر «لسان الميزان» ج ١ ص ١٦٤ رقم ٥٢٣ ط حيدر آباد ـ دكن ١٣٢٩هـ.

(٧٥) انظر «التبصير في الدين» ص ١٤١ ط عالم الكتب، بيروت.

(٧٦) «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٨٣ ط القاهرة.

من أهم كتبه «أعلام النبوة» وكذلك «كتاب الزينة»، وقد طبعا، كما أنه كتب كتاب «الاصلاح» رداً على بعض معتقدات النسفي، وله كتب أخرى.

فهؤلاء هم أعلام وزعماء الاسماعيلية، البارزون أيام ظهورهم غير أئمتهم وخلفائهم الذين ذكرناهم في الباب الأول والثاني من هذا الكتاب، وغير الدعاة والقادة الذين اشتهروا بعد انقراض الدولة الاسماعيلية وسنذكرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب عند ذكر الدور الجديد للدعوة الاسماعيلية.

ونتطرق الآن إلى ذكر أهم فرقها وطوائفها التي خرجت عن الاسماعيلية وتفرعت عنها. وهي:

الدروز، البديعية، النزارية، المستعلية، البهرة والآغاخانية.

الــــدروز

إن الباحث لا يستغرب بعد ما يدرس المذهب الاسماعيلي دراسة متعمقة أن ينشأ فيه طوائف، وأن يخرج منه فرق تدين بألوهية الرجال، وترك الأعمال، وإلغاء الشرائع، واستباحة المحظورات، مثل الدروز، والبديعية، لأن الديانة الاسماعيلية لم تبن إلاّ على مثل هذه المعتقدات، ولم تروّج إلاّ نظير هذه الأفكار كما بسطنا القول فيها في الأبواب السابقة، ولكن الفرق بينها وبين هذه الفرق المتفرعة عنها أنها حافظت على خفاياها وبواطن أمورها وصانت أسرارها، وكتمت حقيقتها، وأخفت أصليتها في ألفاظ وعبارات فلسفية غامضة، وإصطلاحات أفلاطونية معقدة، حيث أنّ هؤلاء جاهروا بمعتقداتهم، وأعلنوا عقائدهم أمام الملأ بدون تحفظ وتورع، وبدون حزم واحتياط، ودون لجوء إلى الألفاظ المنمّقة والعبارات المزوّرة.

فإن حمزة بن علي الزوزني، والحسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم، ومحمد ابن اسماعيل الدرزي بناة المذهب الدرزي، لم يكونوا إلاّ من دعاة

الاسماعيلية البارزين، والمقرّبين إلى الإمام الاسماعيلي الحاكم بأمر الله، والمدعمين منه هو، وما قالوا فيه، وما أظهروا من الآراء إلّا ما أخذوها من الديانة الاسماعيلية نفسها، وبإيعاز من الإمام الاسماعيلي «المعصوم» وتأييد منه، بل وبتحريضه وتشجيعه إيّاهم كما ذكره المؤرخون وصرّحوا به. فهؤلاء هم المؤرخون يذكرون هؤلاء الدعاة وعلاقتهم بهم، فيقول ابن المحاسن وهو يذكر الحسن الفرغاني المعروف بالأخرم:

«ثم عنّ له (أي للحاكم) أن يدعي الربوبية، وقرب رجلاً يعرف بالأخرم ساعده على ذلك، وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة. فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابته، ومعه أصحابه على دوابّهم وقاضي القضاة ابن أبي العوام جالس فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلّموا للقاضي رقعة فيها فتوى، وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم. فلما قرأها القاضي رفع صوته: منكرا، واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه الربوبية، وتقرب إليه جماعة من الجهال، فكانوا إذا لقوه قالوا: السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت، وصار له دعاة يدعون أوباش الناس، ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك، فمال إليه خلق كثير طمعاً في الدنيا والتقرب إليه. وكان اليهودي والنصراني إذا لقيه يقول: إلهي قد رغبت في شريعتي الأولى، فيقول الحاكم: افعل ما بدا لك، فيرتد عن الاسلام. وزاد هذا الأمر بالناس»(٧٧).

ويذكر الأمام الذهبي أن حسن بن حيدرة الفرعاني المعروف بالأخرم لما بدأ يدعو الناس إلى ما كان يدعو إليه من التناسخ والحلول وألوهية الحاكم استدعاه الحاكم، وخلع عليه، وأركبه فرساً مطهما، وسيّره في موكبه، وأولاه عطفه ورعايته، ولما قتله أحد من المسلمين السنة غضب الحاكم لذلك أيما

(٧٧) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ج ٤ ص ١٨٣.

غضب، وأمر باعدام القاتل في الحال، وكفنه الحاكم بأكفان من القصر، ودفن في حفل رسمي، وحمل أهل السنة صاحبهم، ودفنوه مكرماً وهرع الناس أياماً لزيارة قبره ولكن القبر نبش بعد أيام واختفت جثته بأمر من الحاكم»(٧٨).

وأما الدرزي فيذكره أبو الحسن نقلاً عن الإمام الذهبي أيضاً في تاريخه:

«إن رجلاً يعرف بالدرزي قدم مصر، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب. وإن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم فنفق على الحاكم وقرّبه وفوّض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلاّ على يده. وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه. فأظهر الدرزي الكتاب الذي فعله وقرأه بجامع القاهرة فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعث إليه في السر مالاً، وقال: اخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربي دمشق من أعمال بانياس فقرأ الكتاب على أهله، واستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرّر في نفوسهم الدرزي التناسخ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه، وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى»(٧٩).

وأما المقريزي المتعاطف مع الاسماعيلية، وفاطمي النزعة كما يسميه

---

(٧٨) ملخص ما ذكر الذهبي في «مرآة الزمان» المجلد الحادي عشر ج ٣ ص ٣٠٤ نقلاً عن «الحاكم بأمر الله» لمحمد عبدالله عنان ص ١٩٩.

(٧٩) «النجوم الزاهرة» ص ١٨٤.

البحاثة الكبير محمد عبدالله عنان فقد أقر اتصال الدرزي بالحاكم حيث كتب:

«قدم مصر داع عجمي اسمه محمد بن اسماعيل الدرزي، واتصل بالحاكم فأنعم عليه، ودعا الناس إلى القول بإلاهية الحاكم فأنكر الناس عليه ذلك»[٨٠].

«ثم ظهر داع آخر اسمه حمزة بن أحمد، وتلقب بالهادي، وأقام بمسجد تبر خارج القاهرة، ودعا إلى مقالة الدرزي، وبثّ دعاته في أعمال مصر والشام، وترخص في أعمال الشريعة، وأباح الأمهات والبنات ونحوهن، وأسقط جميع التكاليف في الصلاة والصوم ونحو ذلك. فاستجاب له خلق كثير، فظهر من حينئذ مذهب الدرزي ببلاد صيدا وبيروت وساحل الشام»[٨١].

وذكره المؤرخون الآخرون الكثيرون، منهم ابن عذارى المراكشي، والذهبي، والخزرج المصري، وابن سعيد الانطاكي، والمكين بن عميد وغيرهم.

فأما ابن عذارى المراكشي فيقول وهو يذكر نزار أبا المنصور، وبعده الحاكم بأمر الله:

«ثم ولي بعده الحاكم فأظهر أكثر مذهبهم، ثم إنه ادعى الربوبية من دون الله، وجعل داعياً يدعو الناس إلى عبادته، وسماه المهدي. فكتب داعيه الكتاب، وكان اسمه حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقرىء بحضرة الحاكم ــ لعنه الله ــ على أهل مملكته، ذكر فيه ــ تعالى الله عن إبطال المبطلين علواً كبيراً ــ «الحمد لمولاي الحاكم وحده! باسمك اللهم الحاكم بالحق» ثم تمادى، فقال «توكلت على إلاهي أمير المؤمنين ــ جل ذكره! وبه نستعين في

---

(٨٠) «اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزي ج ٢ ص ١١٣ بتحقيق د ــ محمد حلمي محمد ط القاهرة سنة ١٩٧١م.

(٨١) أيضاً.

جميع الأمور» ثم طول في الكتاب بالتخليط: فمرة يجعله أمير المؤمنين، ومرة يجعله الإله، وقال فيه: «وأمرني بإسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة. «وذكر أشياء يطول ذكرها. وكانت له راية حمراء تحت قصره، فاجتمع إليه خلق نحو خمسة عشر ألف رجل فيما قيل»[٨٢].

وأما البقية فلخص أقوالهم محمد عبدالله عنان بقوله:

«إن حمزة بن علي عكف مدى حين علي بث دعوته سراً، ولم يجاهر بها إلّا في أواخر سنة ٤٠٧ هـ أو أوائل سنة ٤٠٨ هـ، وعندئذ يبدو على مسرح الحوادث الظاهرة، ويلازم الجلوس في مسجد ريدان (أو مسجد تبر) بظاهر باب النصر، ويدعو جهراً إلى عبادة الحاكم، وينادي بالتناسخ في الأديان والشرائع وبالحلول، ويزعم أن الحاكم ليس بشراً، وآنما هو رمز حلّ فيه الإله، فاجتمع إليه طائفة كبيرة من غلاة الشيعة الاسماعيلية، وتلقب بهادي المستجيبين، ولقب الحاكم بقائم الزمان وبث دعاته في أنحاء مصر والشام ورخص في أحكام الشريعة، وأباح الأمهات والبنات وسائر المحارم، وأسقط جميع التكاليف في الصلاة والصوم وغيرهما، فاستجاب له كثير من الكافة، وكثر جمعه وذاع أمره، وكان الحاكم حين يمرّ ركبه بالمسجد، يخرج إليه حمزة ويحادثه طويلاً على انفراد، ولم يلبث أن أولاه الحاكم رعايته بصورة ظاهرة، وبعث إليه وإلى أتباعه بالسلاح ليدافعوا عن أنفسهم وقت الحاجة، إذا كانوا يوجسون شراً من الكافة، ثم تمادى حمزة في مشروعه فاتخذ له بطانة قوية من الدعاة والرسل، ولقب أحدهم وهو اسماعيل بن محمد التميمي «بسفير القدرة» وكان ينفذه لأخذ البيعة من الرؤساء والكبراء للحاكم في صفته الجديدة التي أسبغها عليه حمزة وشيعته، أعني باعتباره «قائم الزمان» فكان

(٨٢) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ج ١ ص ٢٨٦ ط المكتبة الأندلسية أوفست دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م بتحقيق المستشرقين كولان وليفي بروفنسال.

الكثير منهم يضطر إلى التظاهر بالقبول خوفاً من البطش والانتقام»(٨٣).

فهؤلاء هم مؤسسو المذهب الدرزي وبناة هذه النحلة، وهذه هي علاقتهم بالإمام الاسماعيلي المعصوم (حسب زعم القوم) الحاكم بأمر الله.

ولقد ذكر المؤرخون أن عزم الحاكم على إحراق مصر، وهتك أعراض الناس، وخطف نسائهم وبناتهم، ونهب أموالهم، وسفك دمائهم لم يكن إلاّ نقمة منه عليهم بأنهم لم يقبلوا ادعاءاته السخيفة، ولم يؤمنوا بألوهيته المزعومة، ولم يصغوا إلى دعاته المجاهرين بربوبيته والطائفين حول قصره بإرادة الحج، فنكل بهم وبأهلهم، وعمل بهم ما لم يعمله طاغية الروم في الروم.

وأما علاقة الديانة الدرزية بالديانة الاسماعيلية فإنها علاقة متصلة وثيقة، وليس في الدرزية ما لا يوجد في الاسماعيلية، بل إنها هي عينها ببعض الفروق الزمنية وفرق الجرأة والمجاهرة بالمعتقدات طالما خفيت وكتمت عن الآخرين، ولقد صدق الدكتور محمد كامل حسين حيث عنون بابه الثالث في كتابه «طائفة الدروز» بعنوان «عقيدة الفاطميين أساس عقيدة الدروز» ثم كتب تحته:

«إن الباحث في عقيدة الدروز يجب أن يكون ملماً إلماماً تاماً بعقيدة الشيعة الفاطمية، ولذلك رأيت أن أوجز هنا الحديث عن عقائد الفاطميين التي اعتبرها الأساس الأول لعقيدة الدروز. فالمصطلحات المذهبية الفاطمية تكاد تكون هي المصطلحات المذهبية عند الدروز، وأحياناً نرى الذين وضعوا عقيدة الدروز يستعملون مصطلحات الفاطميين لمدلولات جديدة

---

(٨٣) انظر الحاكم بأمر الله» لمحمد عبدالله عنان ص ١٩٧، ١٩٧ ط مكتبة الخانجي القاهرة نقلاً عن «تاريخ الأنطاكي» ص ٢٢٠ و٢٢٣، والمكين ابن العميد ص ٢٦٤ و ٢٦٥، والمقريزي في اتعاظ الحنفاء (المخطوط) لوحة ١٦٩، وراجع أخبار الدول المنقطعة (المخطوط) وأورده فستنفلد في «تاريخ الفاطميين» ص ٢٠٥ و ٦٠٢.

كـل الجـدة، ومـع ذلـك كله فهي ليست بعيـدة كـل البعـد عن آراء الفاطميين»(٨٤).

وكان بدء هذه الدعوة كما تشير الرسائل الـدرزية سنـة ٤٠٠هـ ولكن لم يجهر بها حسب ما ذكره المؤرخون إلّا سنة ٤٠٨هـ، أو سنة ٤٠٧هـ.

ومن الـطرائف أن الدرزي وحمـزة اختلفا فيـما بينهما عـلى غنيمة ألـوهية الحاكم وثمرتها، وهي النبوة، وأراد كل واحد منهما أن يكون هو نبياً ورسـولاً للإله الجديد، وكفر كل واحد منهما الآخر(٨٥).

وإن الـدروز اليـوم ينفـون نسبتهم إلى الـدرزي، بـل إنّهم يكفـرون الـدرزي ومن والاه، ولا يتبعـون إلّا حمـزة وتعـاليمـه، ويسمّـون أنفسهم بالموحدين ولكنهم لم يعرفوا في التاريخ الطويل إلّا بهذا الاسم واقتنعوا به.

مع الملاحظة أن تعاليم الدرزي وتعاليم حمـزة لا تختلفان في جـوهرهـا، بـل إنها متفقة تمـام الاتفاق، اللهم إلّا مـا أراد كل واحـد منهـما من احتكـار الزعامة والقيادة لنفسه.

مذهـب الـدروز

وتتلخص عقيدة الدروز في:

أ ألوهية الحاكم.
ب التناسخ والحلول.
ج الغيبة والرجعة
د إبطال الشرائع وأصول الاسلام.
هـ نبوة ورسالة حمزة بن علي.

---

(٨٤) «طائفة الدروز» الدكتور محمد كامل حسين ص ٨٦ ط دار المعارف مصر ١٩٦٢م.
(٨٥) انظر رسائل حمزة والدرزي.

فأما ألوهية الحاكم فيقول فيه حمزة بن علي بن أحمد الزوزني:

«فالحذر الحذر، أن يقول واحد منهم بأن مولانا جل ذكره: ابن العزيز، أو أبو علي، لأن مولانا سبحانه هو في كل عصر وزمان يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية كيف يشاء حيث يشاء . . . إلى أن يقول: وهو سبحانه لا تغيره الدهور ولا الأعوام ولا الشهور، وإنما يتغير عليكم بما فيه صلاح شانكم، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير، وأفعاله جل ذكره تظهر من القوة إلى الفعل كما يشاء «كل يوم هو في شأن» أي كل عصر في صورة لا يشغله شأن عن شأن.

وأما من قال واعتقد بأن مولانا جل ذكره سلم قدرته ونقل عظمته إلى الأمير علي، أو أشار إليه بالمعنوية فقد أشرك بمولانا سبحانه، غيره وسبقه بالقول . . . فمن منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقيل منه ويستغفر المولى جل ذكره وتقدس اسمه من ذلك . . . ولا يجوز لأحد يشرك في عبادته ابناً ولا أباً، ولا يشير إلى حجاب يحتجب مولانا جل ذكره فيه إلاّ بعد أن يظهر مولانا جل ذكره أمره، ويجعل فيمن يشاء حكمته، فحينئذ لا مردّ لقضائه ولا عاصياً لحكمه . . .

وما أدراك ماحقيقة الحاكم؟ ولم تسمى بالحاكم في هذه الصورة؟ دون سائر الصور؟ ومولانا جل ذكره غير غائب عن ناسوته، فعله فعل ذلك المحجوب عنا في نطقه ذلك النطق، لا يغيب اللاهوت عن الناسوت إلا إنكم لا تستطيعون النظر إليه، ولا لكم قدرة بإحاطة حقيقته.

وأراد بالحاكم، أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمة والحجج ويستبعدهم تحت حكمه وسلطانه، وهي عبيد دولته ومماليك دعوته الحاكم بذاته . . . وترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره، ولو طلب من أحدكم أن يقتل ولده لوجب عليه ذلك بلا إكراه قلب، لأن من فعل شيئاً هو غير راض به لم يثب عليه، ومن رضي بأفعاله وسلّم الأمر إليه، ولم يراء إمام زمانه، كان من الموحدين الذين لا خوف عليهم.

واعلموا أن الشرك خفى المدخل، دقيق الستر والمسبل، وليس منكم أحد إلّا وهو يشرك ولا يدري، ويكفر وهو يسري ويجحد وهو يزدري، وذلك قول القائل منكم: بأن مولانا سبحانه صاحب الزمان، أو إمام الزمان، أو ولي الله أو خليفته، أو ما شاكل ذلك من قولكم: الحاكم بأمر الله، أو سلام الله عليه، أو صلوات الله عليه»[٨٦].

هذا وقد ورد في مصحف الدروز العهد الذي يقولون: إن الحاكم بأمر الله أمر بكتابته على جميع الموحدين الذين آمنوا به، فيقول المؤمن به:

«آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلى، رب المشرقين، ورب المغربين وإله الأصلين والفرعين، منشىء الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلّى، وآمنت به، وهو رب الرجعي وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن.

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأومن عاملاً قائماً بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهراً وباطناً، علماً وعملاً، وأن أجاهد في سبيل مولانا، سراً وجهراً بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي، قولاً وعملاً، وأشهدت على هذا الإقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، وإني أقر بهذا، غير مكره أو منافق، وإنني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هو في السماء إله وفي الأرض إله، وأشهد مولاي هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: إني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها

---

(٨٦) «رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني.

وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الـذي لا أشرك في عبادتـه أحداً في جميع أدواري.

وأعيد فأقول: إنني قد سلّمت روحي وجسمي وما ملكت يداي وولدي لمولانا الحاكم جل ذكره، ورضيت بجميع أحكامه لي أو علـيّ، غير معـترض ولا منكر منها شيئاً، سرني ذلك أم سـاءني، وإذا رجعت أو حاولت الـرجوع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره، والذي كتبته الآن وأشهدت به على روحي ونفسي، أو أشرت بالرجـوع إلى غيري، أو جحـدت أو خالفت أمـراً أو نهياً من أوامر مولاي جل ذكره ونواهيه.

كـان مولاي الحـاكم جل ذكـره بـريئـاً مني واحـترمت الحيـاة من جميـع الحـدود، واستحقت على العقـوبة في جميـع أدواري من بـارىء الأنـام جـل ذكره، وعلى هذا أشهدك ربي ومولاي، من بيدك الميثـاق، واقر فـاجعلني من الموحدين الفائزين الـذين جعلتهم في أعلى عليـين، ثلة من الأولين، وقليـل من الآخرين، مولاي إن تشاء آمين»[٨٧].

وأما الحلول والتناسخ فيقولـون: إن الجسد لا يـرجع بعـد الموت ولكن النفس تحل في جسد آخر، فنفس الموحد تنتقل إلى موحد، ونفس المشرك إلى مشرك، ولا تتغير الأنفس ولكنها تغير قحصانها أي أشكالها الخارجية»[٨٨].

وقال الأستاذ عبدالله نجار الدرزي نقلاً عن الرسالة الموسـومة «من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمان»:

«إن البشر، وهـم عالم السواد الأعـظم ــ سواء في العـالم العلوي. أعني الفلك وما فيه من المدبرات والنيرات والاستقصات، أم في العالم السفلي، «لم يتناقصوا ولم يـتزايدوا، من حيث الأرواح التي هي معـدودة من أول الأدوار.

---

(٨٧) مصحف الدروز ص ١٠٧، ١٠٨.

(٨٨) انظر «رسالة الأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار» من رسائل الدروز.

تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر»[٨٩].

ويقولون: إن اللاهوت ظهر في صورة الناسوت فظهر أول ما ظهر العلي، ثم البار، ثم أبي زكريا، ثم علياً، ثم المعل، ثم القائم، ثم المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم»[٩٠].

وكلهم نفس واحدة.

«وكان الحاكم هو الظاهر فيهم جميعاً»[٩١].

وأما الغيبة والرجعة فيقولون بغيبة الحاكم ورجعته في آخر الزمان كما ذكر ذلك حمزة في رسالته المعنونة «بنسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم» كتب في آخره:

«فقد غضب الله تعالى ووليه أمير المؤمنين سلام الله عليه من عظم إسراف الكافة أجمعين، ولذلك خرج من أوساطكم . . . فإذا أطلت عليكم الرحمة خرج ولي الله أمامكم باختياره راضياً عنكم ظاهراً في أوساطكم»[٩٢].

أما ابطال الشرائع ونسخ الأديان فقد ذكرناه سابقا، وكما ذكر المؤرخون ان الحاكم بامر الله نفسه أبطل بعض الشعائر الدينية، مثل الجمعة وغيرها، وكان يريد إبطال الصوم وغيره من العبادات ولكنه قتل قبل ذلك، وقد ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان ملخصا لمذهب الدروز بقوله:

" فهم على ما دعا إليه حمزة منذ أكثر من تسعة قرون ينكرون الالوهية في ذاتها، ويعتقدون في ألوهية الحاكم بامر الله وفي رجعته آخر الزمان، ولهم

---

(٨٩) انظر «مذهب الدروز والتوحيد» للأستاذ عبدالله نجار ص ٥٦ ط دار المعارف، مصر ١٩٦٥م.

(٩٠) أيضاً ص ٩٥، ٩٦.

(٩١) رسالة «السيرة المستقيمة» للدرزية.

(٩٢) انظر السجل المذكور ضمن رسائل حمزة المدرج بكامله في آخر كتاب «الحاكم بأمر الله ص ٣٩٧ وأيضاً «مذهب الدروز والتوحيد» لعبدالله نجار ص ١١٩، ١٢٠.

في تصويرها أقوال معرقة أشرنا إليها من قبل. وينكرون الأنبياء والرسل جميعا، وينكرون أصول الاسلام والنصرانية واليهودية، بيد أنهم ينتسبون ظاهراً إلى الاسلام، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون، وأمام النصارى بأنهم نصارى، ويبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ولاسيما المسلمون، ويستبيحون دماءهم وأموالهم عند المقدرة، ويعتقدون أن الشياطين هم باقى الملل، وأن العقلاء أو خيارهم هم الملائكة، ولا يأخذون بشيء من أصول الاسلام كالصوم والصلاة والزكاة والحج، بل ينكرون أصول الاسلام جميعها والشريعة الاسلامية كلها. والألوهية البشرية، وهى لب مذهبهم، عندهم منة المنن ونعمة النعم "(٩٣).

وأما نبوة حمزة ورسالته فيقول صاحب كتاب " النقط والدوائر " الدرزى وهو يذكر حمزة :

" فهو صلوات الله عليه النور الكلى، والجوهر الأزلى، والعنصر الأولى، والأصل الجلى، والجنس العلى، فيه بدأت الانوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الاجناس . . . إلى أن يقول : فهو الامام، والدليل على عبادة الله، والداعى إلى توحيد الله والناطق بحق الله، والبرهان على الله، والرسول الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون "(٩٤).

وهذا آخر ما أردنا ايراده في هذا الموضوع راجين الله أن يوفقنا لكتابة كتاب مستقل عن هذه الطائفة بعد توفر المراجع والمصادر(٩٥).

---

(٩٣) " الحاكم بامر الله " ص ٣١٦.

(٩٤) " النقط والدوائر " ص ١٢ نقلا عن " عقيدة الدروز " للخطيب ص ١١٠.

(٩٥) ويعرف القارىء لكتبنا أننا لا نكتب في موضوع إلاّ بعد ما يجتمع لنا المصادر الممكن الوصول إليها. والمراجع الكافية لاثبات الحجة وإقامة البرهان، وأننا إذ نشكر الله عز وجل على أنه وفقنا للكتابة عن كثير من الفرق الضالة المنحرفة والرد على عقائدهم ومعتقداتهم، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم وعباراتهم أنفسهم ندعو الله مخلصين له الدين أن يمنّ علينا باكمال هذه المهمة كى لا تبقى طائفة منحرفة عن جادة الحق =

البديعيـــــة

والفرقة الثانية التي تفرعت عن " الاسماعيلية " وأسست قواعدها عليها هى فرقة " البديعية " التي أنشاها القصـاران أي الغسالان بـركات القصـار وحميد القصار. وقد ذكر هذه الفئة المقريزى في كتابه، ننقلها ملخصاً :

«كـان بركـات القصار وحميـد القصار يجتمعـان في دار العلم مع جمـاعة يعرفون بـالبديعيـة، فاعتمـد بركـات من جملتهم أن استفسد عقـول جماعـة وأخرجهم عن الصواب فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض عـلى بركـات، فهرب واختفى عند رجلين ممن قبلوا مذهبه، فمرض بركـات ومات، فعـرّفا أن احدى عجائـزهما قـد توفيت، ولكن علم فيـهما بعد بحيلتهـما فطلبهـما أبو عبد الله بن فاتك، واستدعى كذلك كل من كان تحت الحوطة من أصحـاب بركات فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله، وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبى فأمر بضرب رقابهم، ثم أمر بفتـح دار العلم في عهد الآمـر بأحكام الله، وعاد حميد القصار وظهر، وسكن مصر يدق الثياب بهـا ويطلع إلى دار العلم، وأفسـد عقل استـاذ وخياط وجمـاعة وادعى الـربوبيـة، فنفى دفعة واعتقل أخرى، ثم هرب بعد ذلك وكان قصيرا دميم الخلقة وادعى مع ذلك الربوبية وكان لديه فنون من السحر.

واعتقـل القصار بعـد مدة مـع أصحابـه فصلبوا عـلى الخشب وضربـوا بالنشاب فماتوا لوقتهم.

والصواب وخارجـة على مـا أنزل الله في كتـابه وبمـا أرسل بـه رسولـه محمدا صلوات الله وسلامه عليه إلاّ أن نبينّ حقيقتها للمسلمين، ونميط اللثام عن وجهها المتسـتر وراء اقنعة الزور، وحجب الخداع والمكـر من كتبها وعبـاراتها ليهلك من هلك عن بينـة ويحيى من حى عن بينة. وما ذلك على الله بعزيز.

وذكـر أن بعض أصحاب هـذا القصار كـان يشترى الكـافـور ويـرميـه بالقرب من خشبتـه التي هو مصلوب عليهـا فيستقبل رائحتـه من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضلّه، ثم أمر بأن يحطّوا عن الخشب ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قـبر القصار من قبـورهـم، وكـان قتلهم في سنة سبـع عشرة وخمسمائـة، وابتداء هـذه القصة سنـة ثلاث عشرة وخمسمائة»(٩٦).

المستعلية والنزارية

وبعد وفاة المستنصر الإمـام الإسماعيـلى افترقت الإسـماعيلية إلى فـرقتين كبيرتين متحاربتين متضاربتين : النزارية والمستعلية.

وقد ذكرنا سبب الإختلاف في الباب الثاني من هذا الكتاب، وخـلاصة ذلك عند ما مات المستنصر كان من المتوقع أن يخلفه ولده الأكبر نـزار حسب المقرر عند الإسماعيلية ولكن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيـوش بدر الجمالى وزير المستنصر بادر إلى ابنه الأصغر أبي القاسم أحمد، لكـونه ابن أخت لـه، وأجلسه على عرش الخلافة ولقبه بالمستعلى وطلب نـزارا وعبد الله واسـماعيل أولاد المستنصر ليبايعوه فاستمهل كل واحد منهم وفرّ نزار، وتوجه خفيـة إلى الاسكندرية، وبايعه هناك وإلى الاسكندرية نصر الدولـة بن افتكين الـتركية والقاضي أبو عبد الله العمار وأهل الاسكندرية، وتلقب بالمصطفى لدين الله، وكانت بينهما محاربات أدت إلى انهزام نزار والقبض عليه، ويقول المقريزي :

---

(٩٦) انظر " الخطط " للمقريزي ج ١ ص ٤٥٨، ٤٥٩ دار صادر بيروت.

" ثم الأفضل سلم نزارا لأهل القصر من أصحاب المستعلى وأنه منع عليه حائط فمات "(٩٧).

ولكن الأمر لم ينته بانتهاء نزار بل قد ثبت بعض الدعاة وبعض الأمراء على ولاء نزار وأحقيته بالخلافة، وكان على رأسهم الحسن بن صباح أحد دعاة الاسماعيلية الشرقيين ورئيس الطائفة الباطنية، ومن أصحاب المستنصر الذين صاحبوه وعاشروه، فخرجوا على المستعلى، ولم يؤمنوا بإمامته، ولم يستسلموا له، فتسلّطوا على كثير من قلاع إصبهان وأسسوا هناك دولة نزارية مستقلة على ولاء للنزار بن المستنصر والإيمان بإمامته وزعامته، وسموا بالنزارية حيث أن الآخرين استسلموا لشاهنشاه أفضل حيث أخبرهم أن المستنصر قد جعل ولاية العهد في ابنه المستعلى بالله، وآمنوا به، وسموا المستعلية، وقام بين هاتين الفئتين من الإسماعيلية حروب نتج عنها القتل والفتك راح ضحيتها الآمر بن المستعلى والدولة الفاطمية من مصر أيضاً كما يقول المقريزي :

" وفى أيامه (أي المستعلى) افترقت الإسماعيلية فصاروا فرقتين : نزارية، تعتقد إمامة نزار وتطعن في إمامة المستعلى، وترى أن ولد نزار هم الأئمة من بعده يتوارثونها بالنص، والفرقة المستعلوية، ويرون صحة إمامة المستعلى ومن قام بعده من الخلفاء بمصر، وبسبب ذلك حدثت فتن وقتل الأفضل فيما يقال وقتل الآمر "(٩٨).

وأخيراً انتقل المستعلويون من مصر إلى اليمن في كنف الصليحيين، وبعد زوال دولتهم افترقوا أيضاً فرقتين : الداؤدية والسليمانية، ثم انتقل مركز الداؤدية وهم الأكثرية من المستعلية إلى الهند، وسموا في التاريخ بالبهرة.

---

(٩٧) انظر " اتعاظ الحنفاء " للمقريزي ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م.

(٩٨) " اتعاظ الحنفاء " للمقريزي ج ٣ ص ٢٧ .

وأما النزارية فتقلبوا في تقلبات عديدة إلى أن أجلوا من قلاعهم في إصبهان وشردوا في العالم، ثم تجمعوا تحت زعامة آغاخان المحلاتى، وعرفوا في التاريخ الحديث بالآغاخانية ولما كنا خصصنا لبيان معتقدات هؤلاء وتاريخهم قسما خاصاً وجزءاً مستقلاً نكتفى ببيان هذا القدر منه.

فهذه هى الفرق المشهورة للإسماعيلية التي تفرعت منها، وهى تتمسك بآرائها ومعتقداتها إما ظاهراً أو باطناً.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الاسماعيليين

«إثبات النبوءات» لاسحاق أبي يعقوب السجستاني.
«إثبات الامامة» لأحمد بن ابراهيم النيسابوري.
«أجزاء عن العقائد الاسماعيلية» جمع المستشرق كويار.
«اختلاف اصول المذاهب» للقاضي النعمان.
«أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين الله.
«الأدلة والشواهد» لجعفر بن منصور اليمن، نسخة خطية.
«أربع رسائل اسماعيلية» تحقيق عارف تامر.
«أربعة كتب اسماعيلية» بتحقيق المستشرق الألماني شتروطمان.
«الأرجوزة المختارة» للقاضي النعمان.
«أساس التاويل» للقاضي النعمان.
«الأسابيع» لقيس بن منصور.
«أسبوع دور الستر» لأحمد حميد الدين الكرماني.
«استتار الامام» نشر ايوانوف.
«الاسرار ومجالس الرحمة للاولياء والابرار. للداعي الاسماعيلي.
«اسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن.
«اسلام ميرى مورثون كا مذهب» (اردو) لأغاخان.
«اسماعيلي تعليمات» (اردو).

«الاصول والأحكام» لحاتم بن عمران.
«اضواء على مسلك التوحيد» للدكتور سطمى نسيب.
«اعلام الاسماعيلية» لمصطفى غالب.
«اعلام النبوة» للرازي.
«افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان.
«الاقوال الذهبية» للكرماني.
«ام الكتاب، المنشور في إسماعيلية» لايوانوف.
«امام شناسى» (اردو) لنصير الدين.
«الأنوار اللطيفة» لطاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني.
«الايضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين» لعلي بن الوليد.
«بركات دعاء» (اردو) اسماعيلية ايسوسى ابشن.
«بعض از تاويلات كلشن راز» (فارسي) محمود شبستري.
«البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني.
«بنديات جوانمرى» (فارسي).
«البيزرة» لابي عبدالله الحسن.
«بير ناصر خسرو» (اردو) لنصير الدين.
«تاج العقائد» لعلي بن محمد الوليد.
«تاريخ أئمة اسماعيلية» (اردو) لديدار علي.
«تاريخ الدعوة الاسماعيلية» لمصطفى غالب.
«تاريخ العلويين» لمحمد أمين غالب.
«تاريخ فاطميين مصر» للدكتور زاهد علي.
«تأويل الدعائم» للقاضي النعمان.
«تأويل الزكوة» لجعفر بن منصور اليمن، مخطوط.
«تأويل الشريعة» للمعز لدين الله، نسخة خطية.
«تحفة القلوب» لحاتم بن ابراهيم.
«تحفة المرتاد وغصة الأضداد» لعلي بن محمد الوليد.
«تحفة المستجيبين» للسجستاني.

«تذكرة أعلى» (فارسي).
«تصورات» (فارسي) لخواجه طوسى.
«تنبيه الهادي والمستهدى» لأحمد حميد الدين كرماني.
«الثائر الحميري» لمصطفى غالب.
«ثبوت امامت» (اردو) لنصير الدين.
«جامعة الجامعة» لاخوان الصفاء.
«جلاء العقول وزبدة المحصول» لعلي بن الوليد.
«الجمعيات السرية» لعمر أبي النصر.
«جواهر حقائق» (اردو) اسماعيلية ايسوسى ايشن.
«جواهر حكمت» اسماعيلية ايسوسى ايشن.
«الحركات الباطنية في الإسلام» لمصطفي غالب.
«حسن بن صباح» (اردو) جواد مسقطى.
«الحقائق الخفية» للأعظمى.
«الحقائق العالية» لمؤلف مجهول.
«حقيقة إخوان الصفاء» لعارف تامر.
«حقيقى ديدار» (اردو) لنصير الدين.
«خاتون دائجست».
«خزينة جواهر» (اردو) لآغاخان.
«الخليفة المعز لدين الله» للصحفى.
«دامغ الباطل وحتف المناظل» لعلي بن الوليد.
«الدروز» لمحمد علي الزعبي.
«الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين أبي الطيب.
«دستور المنجمين».
«دعاء» (اردو).
«دعائم الإسلام» للقاضي النعمان.
«الدوحة» لهبة الله الشيرازي.
«ديوان ابن هانىء» بتحقيق الدكتور زاهد علي.

«ديوان تميم بن المعز لدين الله» لمحمد أبي الفضل.
«ديوان المؤيد في الدين الشيرازي». لمحمد كامل حسين.
«الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد.
«ذكر الهي» لنصير الدين.
«راحة العقل» للكرماني.
«رسائل اخوان الصفاء» لاخوان الصفاء.
«رسالة الاسم الأعظم» لداع اسماعيلي.
«رسالة امامت» (فارسي) للطوسي.
«رسالة در حقيقت دين» (فارسي) لشهاب الدين.
«الرسالة في الامامة» لأبي الفوارس أحمد بن يعقوب.
«الرسالة الصورية» لمحمد بن علي الصوري.
«الرسالة الكافية» لمحمد بن سعد.
«الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان.
«الرسالة الواعظة» للكرماني.
«الرسائل الاسماعيلية المختصرة» جمع شتروطمان.
«الرشد والهداية» لابن حوشب منصور اليمن.
«الروضة البهية في سلاطين الفاطمية» لذاكر حسين جعفر.
«زاد المسافرين» (فارسي) ناصر خسرو.
«زهر بذر الحقائق» لحاتم الحامدي.
«زهر المعاني» لادريس عماد الدين.
«السجلات المستنصرية» توقيعات وسجلات المستنصر بالله.
«سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن.
«سفر نامه ناصرى خسرو» لناصري خسور.
«سلمان باك» فارسي.
«سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة.
«سى وشش صحيفة» (فارسي) لسهراب ولي.
«سيرة الاستاذ جوذر» لابي علي منصور العزيزي الجوذري.

«سيرة جعفر الحاجب» نشر ايوانوف.
«السيرة المستقيمة» للدرزية.
«السيرة المؤيدية» لهبة الله الشيرازي.
«سيف بردين» لحاجى عمر.
«شجرة اليقين» لعبدان.
«شرح الأخبار» للنعمان القاضي. نسخة خطية.
«شرح العقيدة الشافية» لداع مجهول.
«الشعاع الشائع» لحميد بن محمد.
«الشموس الزاهرة» لحاتم بن ابراهيم.
«الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
«الصليحيون والحركة الفاطمية» للهمذاني.
«عالم اسلام» (اردو) لآغاخان.
«عبقرية الفاطميين» لمحمد حسين الاعظمي.
«العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك» لعلي بن الحسن الخزرجي.
«عيون الأخبار وفنون الآثار» لادريس عماد الدين.
«عيون المعارف» لشرف علي.
«غاية المواليد الثلاثة» لعلي بن الوليد.
«الفرائض وحدود الدين» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
«فلسفة دعا» اسماعيلية ايسوسى ايشن.
«الفلك الدوار» لعبدالله بن المرتضى.
«في نسب الخلفاء الفاطميين» بتقديم حسين بن فيض الله.
«القرامطة بين المد والجزر» لمصطفى غالب.
«القصيدة التائية» لداع اسماعيلي.
«قصيدة الدوحة» للمؤيد الشيرازي.
«القصيدة الشافية» لداع مجهول.
«القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصورى.
«الكافية» لمحمد بن سعد بن داود.

«كتاب الافتخار» للسجستاني.
«كتاب الاقتصار» للقاضي النعمان.
«كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي.
«كتاب الايضاح» لشهاب الدين.
«كتاب التراتيب» لداعي مجهول.
«كتاب الرضاع» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط.
«كتاب الرياض» للكرماني.
«كتاب الزينة» لابي حاتم الرازي.
«كشائش ورهائش» (فارسي).
«كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن.
«كتاب الشيخ ابراهيم» لداعي مجهول.
«كتاب الفترات والقرانات» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
«كتاب النصرة» للسجستان.
«كتاب الينابيع» للسجستاني.
«كلشن راز» لمحمود شبستري.
«كنز الولد» لابراهيم الحامدي.
«مباسم البشارات» حمد حميد الدين الكرماني.
«المبدأ والمعاد» للحسين بن علي بن الوليد.
«مجالس حاتم الحامدي» لحاتم بن ابراهيم الحامدي.
«المجالس المستنصرية» لداعي ثقة الإسلام.
«المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن محمد المغربي.
«المجالس المؤيدية» لهبة الله الشيرازي.
«مذكرات آغا خان» لآغا خان.
«مذكرات داعي الدعاة» لهبة الله الشيرازي.
«مذهب الدروز والتوحيد» للاستاذ عبدالله النجار.
«مزاج التسنيم» لضياء الدين الاسماعيلي.
«مسائل مجموعة من الحقائق العالية» لداع مجهول.

«مشارق أنوار اليقين» لرجب البرسى.
«المصابيح في اثبات الامامة» للكرماني.
«مصحف الدروز».
«مطالع الشموس في معرفة النفوس» لشهاب الدين.
«مقال آصف فيضى في المجلة البريطانية الآسيوية الملكية.
«المنتخب» لايوانوف.
«موسم بهار» (كجراتي) لميان محمد علي.
«النقط والدوائر» مخطوط.
«نهر النور الشعشعاني لابي محمد طاهر سيف الدين.
«نور مبين» لا ى ج جنارا.
«الهادي الدائم» (اردو) لقاسم علي محمد جعفر.
«الهداية الآمرية» تحقيق آصف علي فيضي.
«هفت أبواب» لحاجي قدرت الله.
«هفت باب أبو اسحاق» (فارسي) لابي اسحاق.
«الهفت والاظلة» للعضل الجعفي.
«همارب اسماعيلي مذاهب» للدكتور زاهد علي.
«الهمة في آداب اتباع الأئمة» للقاضي النعمان.

كتب لغير الاسماعيليين

«القرآن الكريم».
«أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» دكتور ابراهيم شعوط.
«أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين.
«اتعاظ الحنفاء» للمقريزي.
«أخبار الدول وآثار الأول» للقرماني.
«أخبار الدولة المنقطعة» لعلي بن ظافر الدرزي.
«أخبار القرامطة» للدكتور سهيل زكار.
«إخوان الصفاء» للدكتور جبور.
«إخوان الصفاء» لعمر فروخ.
«إخوان الصفاء» عمر الدسوقى.
«الاستفتاء» لعبيدالله.
«إسلام بلا مذهب» لمصطفى الشكعة.
«أصول الاسماعيلية «لبرنارد لويس. ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب.
«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للراوي.
«الاعلام» للزركلي.
«الاعلام بالتوبيخ» للسخاوي.

«الافحام لافئدة الباطنية الطغام» ليحيى بن العلوى.
«البداية والنهاية» لابن كثير.
«بيان مذهب الباطنية وبطلانه» للديلمى.
«البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذارى المراكشي.
«تاريخ الأنطاكي».
«تاريخ ابن اياس» لمحمد بن أحمد بن اياس.
«تاريخ أخبار القرامطة» لثابت بن سنان الصابي من مجموعة «أخبار القرامطة».
«تاريخ أفريقيا والمغرب» لامير عز الدين بن باديس.
«تاريخ الدولة الفاطمية» لحسن ابراهيم.
«تاريخ الطبري» للطبري.
«تاريخ جهانكشاه» ترجمة عربية بقلم الدكتور محمد سعيد.
«التاريخ العباسي والفاطمي» لأحمد مختار.
«تاريخ الفاطميين» دكتور حسن ابراهيم حسن.
«تاريخ مصر» لابن ميسر.
«التبصير في الدين» لابي المظفر اسفرائيني.
«تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبدالجبار الهمذاني.
«ترتيب المدارك».
«تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الزمان» لابي عبدالله محمد بن سعدون.
«التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» للملطي.
«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني.
«الجامع للترمذي».
«جامع التواريخ» (فارسي).
«جمهرة أنساب العرب» للحافظ ابن حزم.
«الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية» للدكتور محمد عبدالله عنان.
«حركات الشيعة المتطرفين» للدكتور محمد عبدالجابر العال.

«حسن بن صباح، باني دولت اسماعيلية» (اردو)ـ اسماعيلية ايسوسى ايشن.
«حسن المحاضرة» للسيوطي.
«الحيوان» للجاحظ.
«الخطط والآثار» للمسريزي.
«خلافة الفاطميين وسقوطها لعبدالمنعم ماجد.
«الخليفة المعز لدين الله الصحفي القديم. (ح).
«الخوارج والشيعة» ليوليوس ولهوزن ترجمه عن الالمانية الدكتور عبدالرحمن بدوي.
«داودية بوهرون كي تاريخ» (اردو) لمحمد نجم الغني.
«دبستان مذهب» (اردو) لمحسن فاني كشميري.
«الدولة الاسماعيلية في ايران» للجويني.
«الدولة الفاطمية في مصر» لمحمد جمال الدين سرور.
«دولة النزارية» لابي عبدالله الحسن.
«رجال الشيعة في الميزان».
«رفع الاصر عن قضاة مصر» لابن حجر.
«سنن ابن ماجة».
«سنن النسائى».
«سنن ابي داود».
«سياسة الفاطميين الخارجية» لمحمد جمال الدبن سرور.
«سياست نامه» لنظام الملك طوسى.
«سير اعلام النبلاء» للذهبي.
«سير البيئة المقدسة» نقلا عن «الحاكم بامر الله» لمحمد عبدالله عنان.
«سيرة الهادي إلى الحق» لعلي بن محمد بن عبدالله.
«شخصيات قلقة عن الإسلام» للدكتور عبدالرحمن بدوي.
«صبح الاعشى» للقلقشندي.
«صحيح البخاري».
«صحيح مسلم».

«الضوء اللامع» للسخاري .
«الطائفة الاسماعيلية» لمحمد كامل حسين .
«طائفة الدروز» لمحمد كامل حسين .
«طائفة النصيرية» الدكتور سليمان الحلبي .
«ظهر الإسلام» لأحمد أمين .
«عبيدالله المهدي» للدكتور حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف .
«عقد الجواهر في أحوال البواهر» (اردو)، لابي ظفر ندوى .
«الفاطميون في مصر» الدكتور حسن ابراهيم حسن .
«فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» .
«فتح الفاطميين للشام» للنخيلي .
«فجر الإسلام» لأحمد أمين .
«الفرق بين الفرق» للبغدادي .
«فرقة اسماعيلية» (فارسي) لمارشل كت .
«الفصل في الملل والنحل» لابن حزم .
«فضائح الباطنية» للغزالي .
«في أدب مصر الفاطمية» للدكتور محمد كامل حسين .
«في تاريخ الآغاخانية والبهرة» (فارسي) لمحمد كريم تبريزي .
«في التاريخ العباسي والفاطمي» لأحمد مختار .
«القرامطة» لابن الجوذي .
«القرامطة» لطه الولي .
«قيام الدولة الفاطمية» لعادلة علي الحمد .
«الكامل» لابن الاثير.
«كتاب السلوك» للجندي .
«كتاب الشفاء» للقاضي عياض .
«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» لابن خلدون .
«كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك اليماني .

«كينان آغا خان».
«لسان الميزان» للامام الذهبي.
«مار آستين» (اردو) لزكريا رازي.
«المجلة الملكية الاسيوية البريطانية».
«مجموعة الوثائق الفاطمية» للدكتور جمال الدين شيال.
«مذهب أور باطني تعليم» (أردو) لمرزا محمد سعيد.
«مذهب الدروز وأصولهم» لعبد الله نجار.
«مشكلة المصابيح» للتبريزي.
«معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري.
«المعز لدين الله» لحسن ابراهيم.
«معزز مهمان» (أردو) طارق عزيز.
«مقالات الإسلاميين» للأشعري.
«مقدمة ابن خلدون» لإبن خلدون.
«الملل والنحل» للشهرستاني على هامش الفصل لإبن حزم.
«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لإبن الجوزي.
«موسم بهار» باللغة الكجراتية.
«ميزان الاعتدال» للذهبي.
«ناتهواني ربورت» (أردو) ناتهواني.
«النجوم الزاهرة» لإبن تغري بردى الأتابكي.
«نظم الحكم» بمصر. لعطية مصطفى.
«النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب» للدكتور محمد جمال الدين سرور.
«النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق» للدكتور محمد جمال الدين سرور.
«النفوذ الفاطمي في مصر» للدكتور محمد جمال الدين سرور.
«نهاية الارب» للقلقشندي».
«نهاية الارب» للنويري.
«الوثائق السياسية والادارية في الدولة الفاطمية» لمحمد ماهر حماده.

«وفيات الاعيان» لابن خلكان.
«يتيمة الدهر». للثعالبي.

كتب الشيعة

«الارشاد» للمفيد.
«اعلام الورى» للطبرسى.
«الافحام لأفئدة الباطنية الطغام» ليحيى بن حمزة العلوي.
«تنقيح المقال» للمامقاني.
«جامع الرواة» لمحمد بن علي الحائري.
«الحجة من الكافي» للكليني.
«الروضة من الكافي» للكليني.
«رجال الطوسى» للطوسى.
«الشافي» للمرتضي.
«شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد.
«عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب» لابن عنبه.
«فرق الشيعة» للنوبختى.
«كشف الغمة» للاربلى.
«كمال الدين وتمام النعمة» لابن بابويه القمى.
«الكنى والالقاب» للعباس القمى.
«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.
«مقاتل الطالبيين» للاصفهاني.
«المقالات والفرق» لسعد بن عبدالله القمى.
«معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين» لابي عمرو بن عبدالعزيز.
«منهم المقال» للاسترآبادي.
«نهج البلاغة» بتحقيق الدكتور صبحي صالح.

ENGLISH BOOKS

1. A Creed of the Fatmids / Ivonow.
2. A Guide to Ismaili Literature / Ivonow.
3. Aga Khan /
4. Aly /
5. A Brief History of the Aga Khan by Naorojim. Dumasia.
6. An Ismalitic Work / Ivanow.
7. Brief Survey of Ismalism / Shahab.
8. Bombay Advocate General of Bombay
9. Cyclical Time and Ismaili Gnosis by Henry Corbin.
10. Collectance / Ivonow.
11. Ever Living Guide
12. Fargaments Doctring
13. Free Will / Ivonow.
14. Fatmids Caliphs / Husayin.
15. Glimpses of Islam / Aga Khan.
16. Ginans of Ismaili Pirs by Huzur Vazir.
17. History of the Assassins / Brömptin.
18. His Highness The Aga Khan / Aga Khan.
19. Ismaili Litratur / Ivonow.
20. Ibn Ali Qaddah / Ivonow.
21. Ismailiya or Rodatuttaslom / Ivonow.
22. Ismailitica / Ivonow.
23. Ismaili Manuscripts by Muizz Goriawala.
24. Ismaili Contributions to Ismili Culture by Seyyed Hossein Nasr.
25. Memoris of Aga Khan / W. Somerst.
26. Meaning of God / Ismass.
27. Message of Aga Khan /
28. Mul Arak Farmans
29. Prince Aga Khan / S. Iqbal.
30. Rawns in Game / Willian.
31. Problems in Nasir-i-Khusraans / Ivanow.
32. Rise of the Fatmids / Ivonow.
33. Six Cheaptrs / Ivanow.
34. Speceks of Aga Khan /
35. Schedule I.
36. Studies in Early Perisiar Ismailism / Ivanow.
37. The Origin of Ismaileism / Birnard.
38. Truth Warshippers / Goyard.
39. True Meeting of Riligion / Shahab.

40. The Order of Assassins / Marshal.
41. The Aga Khan by Sirdar Ikbal Ali.
42. The Muslim World by Aga Khan.
43. The Memoris of Aga Khan.
44. The Bhras by Asghar.
45. The History of the Assassins by Von Hammer.
46. The Nizriismali by Azim.
47. The Alleged Founder of Ismailism / Ivonow.
48. Tasawwurat Rawdatu't Taslim / Toosi.
49. The Fatmids / Abbashamdani.
50. The Fatimid Theory of State / P.J. Vatikiotis.
51. The Political Doctrine of the Ismailis by Sami Nasib.

الفهـــرس